

مَكْتَبَةُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ
الْقِـمُّ الْأَوَّلُ - المَوْلفات

جَامِعُ الرِّسَالِ

لِابْنِ تَيْمِيَّةٍ

أَبِي الْعَبَّاسِ شَيْخِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْحَلِيمِ

مُحَقِّقُ
الدُّكْتُورِ مُحَمَّدِ دُرَّشَادِ سَالِمٍ

النَّاشِرُ

دَارُ الْمَدِينِ

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ - جِلْدُ ت ٦٤٣٢٣٦٢

مَكْتَبَةُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ
الْقِسمُ الأوَّل - المَوْلفات

٢

جَامِعُ الرِّسَالِ

لِابْنِ تَيْمِيَّةٍ

أَبِي الْعَبَّاسِ نَعْمَى الدِّينِ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْحَلِيمِ

المجموعة الأولى

مُحَقِّق
الدكتور محمد رشاد سالم

النَّاشِر

دار المصنف

للنشر والتوزيع - جلة ت ٦٤٣٢٣٦٢

رسالة في قنوت الأشياء كلها لله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، وبه القوة

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وسلم تسليماً .

﴿ فصل ﴾

في قنوت الأشياء لله عز وجل ، وإسلامها ، وسجودها له ، وتسبيحها له .

القنوت
في القرآن

فإن هذه الأربعة قد ذكرها الله تعالى في القرآن . قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا
أَتَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ *
بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾
[سورة البقرة ١١٦ ، ١١٧] ، وقال تعالى في سورة الروم : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ * وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ
وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [سورة الروم : ٢٦ ، ٢٧] .

الإسلام

وأما الإسلام فقال تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أُسْلِمَ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾
[سورة آل عمران : ٨٣] .

السجود

وأما السجود فقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [سورة الرعد : ١٥] ، وقال :
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُونَ ^(١) ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ

(١) في الأصل : (يتفتق) ، وهي قراءة أبي عمرو ، وهذه القراءة جاءت في سائر المواضع .

سُجِّدَ لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿ [سورة النحل : ٤٨ ، ٤٩] .
وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ [سورة الحج : ١٨] .

التسبيح

وأما التسبيح فقال تعالى : ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ
فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ
حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [سورة الإسراء : ٤٤] ، وقال تعالى : ﴿ سَبِّحِ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة الصف : ١] ، [سورة الحشر : ١] في موضعين ، و : ﴿ سَبِّحِ
لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة الحديد : ١] ، و : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة الجمعة : ١] ، [سورة التغابن : ١] في موضعين ،
فخمس سور افتتحت بذكر تسبيح ما في السموات وما في الأرض له ؛ وقال :
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ
قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ [سورة النور : ٤١] .

فأما قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ﴾ [سورة البقرة : ١١٦]
فهو نظير قوله : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ
السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا
لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِلَّا آتٍ الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [سورة مريم : ٨٨ - ٩٥] . وقد قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ
اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمُ
مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يونس : ٦٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾
إلى قوله : ﴿ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٦-٢٩] .

* * *

س ٢٠
القنوت في اللغة

والقنوت في اللغة / دوام الطاعة ، والمصلّي إذا طال قيامه أو ركوعه أو سجوده فهو قانت في ذلك كله ؛ قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [سورة الزمر : ٩] ، فجعله قانتا في حال السجود والقيام .

وفي الحديث الصحيح : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الصلاة أفضل ؟ فقال : طول القنوت »^(١) . ولم يرد به طول القيام فقط ، بل طول القيام والركوع والسجود ، كما كانت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت معتدلة إذا أطال القيام أطال الركوع والسجود .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾ [سورة النحل : ١٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [سورة النساء : ٣٤] ، وقال تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ ﴾ [سورة التحریم : ٥] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٥] ، وسمى إطالة القيام في الصلاة قنوتاً لأنه يطيل فيه الطاعة ، ولو صلى قاعداً لقنت وهو قاعد ، وكذلك إذا صلى على جنب قنت وهو على جنب ، والقيام قبل الركوع يُسمى أيضاً قنوتاً .

(١) هو حديث جابر رضي الله عنه في : مسلم ١٧٥/٢ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب أفضل الصلاة طول القنوت) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٣ / ٣٠٢ ، ٣١٤ ، ٣٩١ ؛ الترمذی (بشرح ابن العربي) ٢ / ١٧٨ - ١٧٩ (أبواب الصلاة ، باب ما جاء في طول القيام في الصلاة) ؛ النسائي (بشرح السيوطي) ٥٨/٥ (كتاب الزكاة ، باب جهد المقل) .

قال ابن قتيبة^(١) : « لا أرى أصل القنوت إلا الطاعة ، لأن جميع الخلال : من الصلاة ، والقيام فيها ، والدعاء وغير ذلك يكون عنها ^(٢) » .

وقال أبو الفرج^(٣) : « قال الزجاج^(٤) : القنوت هو في اللغة بمعنيين : أحدهما القيام ، والثاني الطاعة . والمشهور في اللغة والاستعمال أن القنوت الدعاء في القيام ، فالقانت : القائمُ بأمر الله ، ويجوز أن يقع في جميع الطاعات ، لأنه وإن لم يكن قياماً على الرجلين فهو قيام بالنية » .

قلت : هذا ضعيف ، لا يُعرف في اللغة أن مجرد القيام يسمى قنوتاً ، والرجل يقوم ماشياً وقائماً في أمور ولا يُسمى قانتاً ، وهو في الصلاة يسمى قانتاً لكونه مطيعاً عابداً ، ولو قنت قاعداً ونائماً سُميَ قانتاً . وقوله تعالى : ﴿ وَتَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٨] يدل على أنه ليس هو القيام ، وإنما هو صفة في القيام يكون بها القائم قانتاً ، وهذه الصفة تكون في السجود أيضاً ، كما قال : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً ﴾ .

(١) في كتابه « تأويل مشكل القرآن » (تحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر) ، ص ٣٥٠ . وهذه العبارة هي آخر كلامه الذي استغرق صفحة كاملة ، وقال هناك : « ولا أرى أصل هذا الحرف إلا الطاعة ، لأن جميع هذه الخلال . . . الخ » .

(٢) عنها : في الأصل فيها ، وفي الهامش كتبت كلمة « عنها » وعليها حرف (خ) أى في نسخة أخرى . وأنتهت عن تأويل مشكل القرآن .

(٣) المقصود بأبي الفرج : عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، الإمام العلامة المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، ومن كتبه « زاد السير في علم التفسير » (ومنه نسخة خطية) وتيسر البيان في علم القرآن ، قال ابن رجب : مجلد ، وكتاب المفتي في التفسير قال ابن رجب : أحد وثمانون جزءاً . انظر ترجمته ومصنفاته في : وفيات الأعيان ٣٢١/٢ - ٣٢٢ ؛ تاريخ ابن الوردي ١١٨/٢ ؛ الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ١ / ٣٩٩ - ٤٣٣ ؛ الكامل لابن الأثير (ط . الحلبي) ١٠ / ٢٢٨ ، ١٢ / ٦٧ ؛ الأعلام للزركلي ٨٩/٤ - ٩٠ .

(٤) هو إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج ، النحوي اللغوي ، المتوفى سنة ٣١١ هـ . ومن كتبه الهامة « معاني القرآن » ومنه نسخة خطية . انظر ترجمته ومصنفاته في : وفيات الأعيان ٣١/١ - ٣٣ (وفيه : إبراهيم بن محمد) ؛ معجم الأدباء ١٣٠/١ - ١٥١ ؛ لمبناه الرواة ١٥٩/١ - ١٦٦ (وانظر في التعليق مراجع أخرى في ترجمته) ؛ الأعلام ٣٣/١ .

ققول القائل : إن المشهور في اللغة أنه الدعاء في القيام ، إنما أخذه من كون هذا المعنى شاع في اصطلاح الفقهاء إذا تكلموا في القنوت في الصلاة ، وهذا عُرف خاص . ومع هذا فالفقهاء يذكرون القنوت سواء صلى قائماً أو قاعداً أو مضطجعا ، لكن لما كان الفرض ليس يصح أن يصلّيهِ إلا قائماً ، وصلاة القاعد على النصف من صلاة القائم ، صار القنوت في القيام أكثر وأشهر ، وإلا فلفظ « القنوت » في القرآن واللغة ليس مشهوراً في هذا المعنى ، بل ولا أُريدَ به هذا المعنى ، ولا هو أيضاً مشتركاً ، بل اللفظ بمعنى الطاعة أو الطاعة الدائمة ، ولهذا يفسره المفسرون بذلك .

القنوت عند
ابن تيمية هو
الطاعة

ظ ٢٠

/ وقد روى في ذلك حديث مرفوع رواه ابن أبي حاتم من النسخة المصرية التي يروى منها الترمذى وغيره من حديث ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن دراجاً أبا السَّمْع حدثه : عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل حرف في القرآن يُذكر فيه القنوت فهو الطاعة » ^(١) .

(١) هذا الحديث رواه أحمد في مسنده ٧٥/٣ (ط . الحلبي) ونصه فيه : حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا حسن (وهو ابن موسى الأشيب) حدثنا ابن لهيعة ثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة » .

وروى الطبري الحديث مرتين عن ابن لهيعة ، وسند الأول إليه : حدثنا الربيع بن سليمان قال حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا ابن لهيعة . وسند الثانية إليه : حدثني المثنى ، قال حدثنا إسحاق ، قال حدثنا محمد بن حرب قال حدثنا ابن لهيعة .

وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه (تفسير الطبري ٢٣١/٥ ، ط . المعارف) : « وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ : ٣٢٠ ، وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط . وفي إسناده أحمد وأبو يعلى ابن لهيعة وهو ضعيف » قال الشيخ أحمد شاكر : « وابن لهيعة ليس بضعيف كما قلنا فيما مضى : ٢٩٤١ » (انظر تفسير الطبري ١٩٧/٣) .

وفي تفسير ابن أبي طلحة^(١) عن ابن عباس : ﴿ فَأَلْصَحَاتُ قَانِتَاتٌ ﴾ [سورة النساء : ٣٤] : « مطيعات » .

قال ابن أبي حاتم : وروى عن مجاهد وعكرمة وأبي مالك وعطاء وقتادة والسدى مثل ذلك .

وروى عن مقاتل بن حيان قال : « مطيعات لله ولأزواجهن في المعروف » .
وروى عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتُ ﴾ قال :
« يعنى المطيعين والمطيعات » .

قال : وروى عن قتادة والسدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم مثل ذلك . وروى بإسناده عن أبي العالية في قوله : ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ ﴾ [سورة آل عمران : ٤٣] قال : اركدى لربك . وعن الأوزاعي قال : « ركدت في محرابها قائمةً وراكعةً وساجدةً حتى نزل ماء الأصفر في قديمها » .
وعن الحسن أنه سئل عن قوله : ﴿ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي ﴾ قال :
« يقول : اعبدى لربك » .

وعن ليث عن مجاهد قال : « كانت تقوم حتى تتورم قدمها »^(٢) .
وقوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ قال ابن أبي حاتم : « تقدم تفسير القانت في غير موضع القانت الذى يطيع الله ورسوله » .
وروى عن أحمد بن سنان ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود قال : « القانت الذى يطيع الله ورسوله » .

(١) هو علي بن أبي طلحة . قال ابن سعد (الطبقات ٧ / ٤٥٨) : « روى التفسير عن ابن عباس ، رواه عنه معاوية بن صالح » . وانظر الجرح والتعديل ج ٣ ، ق ١ ، ص ١٩١ . وانظر تعليق الشيخ أحمد شاكر تفسير الطبرى ٢ / ٥٢٧ - ٥٢٨ .
(٢) انظر تفسير الطبرى (ط . المعارف) ٦ / ٤٠١ - ٤٠٣ .

فهذا تفسير السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم لألفاظ القنوت في القرآن^(١).

﴿فصل﴾

وكذلك فُتِّسروا القنوت في قوله: ﴿بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١٦] ، لكن تَنَوَّعَ كلامهم في طاعة المخلوقات كلها لما رأوا أن من الجن والإنس من يعصى أمر الله الذي بعث به رسله ، فذكر كل واحد نوعاً من القنوت الذي يُعمُّ المخلوقات .

رواية ابن أبي حاتم أوجه تفسير لفظ القنوت

قال ابن أبي حاتم : « اختلف في قوله : ﴿كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ على أوجه » . وروى بإسناده الحديث المرفوع : « كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة » .

الوجه الأول الطاعة

وروى عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : قانتون ، قال : مطيعون . يقول : طاعة الكافر في سجوده سجود ظله وهو كاره .

وأيضاً عن شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد : ﴿كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ قال : مطيعون ، كن إنساناً فكان ، وقال : كن حماراً فكان . ففَسَّرَهَا مجاهد بالسجود طوعاً وكرهاً ، وفسَّرَ الكره بسجوده ظله ، وفسَّرَهَا أيضاً بطاعة أمره الكوني ، وهو قوله : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة يس : ٨٢] وهذا الأمر الكوني لا يخرج عنه أحد .

(١) فسر الطبري لفظ « القنوت » بما يوافق تفسير ابن تيمية ، وأورد الآثار عن السلف في ذلك . انظر التفسير (ط . المعارف) ٥٣٨/٢ - ٥٤٠ ، ٥ / ٢٢٨ - ٢٣٧ (وخاصة ص ٢٣٦ - ٢٣٧ حيث ذكر الطبري القول الذي يرجحه في تأويل القنوت وهو الطاعة) ، ٦ / ٢٦٤ - ٢٦٥ ، ٤٠١ ، ٤٠٤ - ٤٠٥ ، ٨ / ٢٩٣ - ٢٩٤ .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: «أعوذ بكلمات الله التامات التي / لا يجاوزهن برّ ولا فاجر»^(١).

س ٢١

وهذان الوجهان ذكرهما ابن الأنباري^(٢)، مع ذكره وجهاً آخر: أنها خاصة . قال أبو الفرج: «فإن قيل: كيف عمّ بهذا القول وكثير من الخلق ليس له بمطيع؟ ففيه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن يكون ظاهرها العموم ومعناها معنى الخصوص، والمعنى: كل أهل الطاعة له قاتنون . والثاني: أن الكفار تسجد ظلالمهم لله بالغدو والآصال والعشيّات فنسب القنوت إليهم بذلك . والثالث: أن كل مخلوق قانت له بأثر صنعه فيه وجري أحكامه عليه، فذلك دليل على إله كونه؛ ذكرهن ابن الأنباري .

قال ابن أبي حاتم: الوجه الثاني: حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا أسباط، عن مطرف، عن عطية، عن ابن عباس، قال: قاتنون: مصلون .

الوجه الثاني
الصلاة

(١) في الموطأ ٢/٩٥٠ (كتاب الشعر، باب ما يؤمر به من التعوذ): «وحدثني عن مالك عن يحيى بن سعيد أنه قال: أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عفريناً من الجن يطلبه بشعلة، كلما التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه . فقال له جبريل: أفلا أعلمك كلمات تقولهن، إذا قلتهن طفت شعلته وخرافيه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بلى . فقال جبريل: فقل أعوذ بوجه الله الكريم، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وشر ما يخرج فيها، وشر ما ذرأ في الأرض، وشر ما يخرج منها، ومن فتن الليل والنهار، ومن طوارق الليل والنهار، إلا طاروقاً يطرق بخير يارحم .

ورود الحديث مرسلأ أيضاً عن كعب الأحبار بعده بقليل ٢/٩٥١ - ٩٥٢ . وجاء التعوذ بكلمات الله التامات بصيغ أخرى في أحاديث صحيحة كافي البخاري ومسلم وغيرهما . وانظر تعليقنا على الحديث في منهاج السنة ٢/٢٩٢ - ٢٩٣ . وانظر أيضاً الأذكار للنووي، ص ١٢١ .

(٢) أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري، النحوي اللغوي الأديب المتوفى سنة ٥٧٧ هـ . انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/٣٢٠؛ فوات الوفيات ١/٥٤٧؛ شذرات الذهب ٤/٢٥٨ - ٢٥٩؛ إنباه الرواة ٢/١٦٩ - ١٧١ (وانظر التعليق)؛ الأعلام ٤/١٠٤ .

قلت : وهذا من جنس وصفها بالسجود له والتسبيح ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ [سورة النور : ٤١] . لكن قد يُقال : فالصلاة صلاة المخلوقات والمؤمنين ، ولم يُرد أن الكافرين يصلون فتكون الآية خاصة . ولهذا حُكي عن ابن عباس أنه قال : هي خاصة .

قال : « والوجه الثالث ، ثم روى بالإسناد المروى عن الحسين بن واقد ، عن الوجه الثالث أبيه ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة : كل له قانتون ، قال : مقرّون ^(١) بالعبودية . الإقرار بالعبودية . قال : « روى عن أبي مالك نحوه » .

قلت : وهذا إخبار عما فطروا عليه من الإقرار بأن الله ربهم كما قال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ الآية [سورة الأعراف : ١٧٢] . فإن هذه الآية بينة في إقرارهم وشهادتهم على أنفسهم بالمعرفة التي فطروا عليها ^(٢) : « أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُمْ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة » ^(٣) .

وطائفة من العلماء جعلوا هذا الإقرار لما استخرجوا من صلب آدم وأنه أنطقهم وأشهدهم ، لكن هذا لم يثبت به خبر صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والآية لا تدل عليه .

(١) في الأصل : مقرّون ، وهو تحريف .

وفي تفسير الطبري : (٥٣٩/٢) : « حدثنا ابن حديد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة : كل له قانتون : كل مقر له بالعبودية » .

(٢) في الأصل : عليه .

(٣) ورد هذا الحديث بشامه في « منهاج السنة » ٢٣٤/٢ - ٢٣٥ ، وتكلمت عليه طويلا هناك وذكرت مكانه في البخارى ومسلم وسنن أبي داود وجامع الترمذى والوطأ وصحيح ابن حبان والسند وغيرها فارجع إليه .

وإنما الذى جاءت به الأحاديث المعروفة أنه استخرجهم وأراهم لآدم ،
وميز بين أهل الجنة وأهل النار منهم ، فُعرفوا من يومئذ . هذا فيه مأثور من
حديث أبي هريرة ، رواه الترمذى وغيره بإسناد جيد^(١) . وهو أيضاً من حديث
عمر بن الخطاب الذى رواه أهل السنن ومالك فى الموطأ^(٢) ، وهو يصلح للاعتضاد .
وأما إنطاقهم وإشهادهم فروى عن بعض السلف ، وقد روى عن أبي^(٣)
وابن عباس ، وبعضهم رواه مرفوعاً من طريق ابن عباس وغيره . وروى ذلك
الحاكم فى صحيحه ، لكن هذا ضعيف^(٤) . وللحاكم مثل هذا ، يروى أحاديث

(١) انظر الترمذى (بشرح ابن العربى) ٩٦/١١ - ٢٠٠ (كتاب التفسير ، سورة
الأعراف) وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح ، وقد روى من غير وجه عن أبي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم » .

(٢) الحديث فى: سنن أبي داود ٣١٢/٤ - ٣١٣ (كتاب السنة ، باب فى القدر) ؛ الموطأ
٨٩٨ - ٨٩٩/٢ (كتاب القدر ، باب النهى عن القول بالقدر) ؛ الترمذى (بشرح ابن العربى)
١٩٤ - ١٩٦ . وقال الترمذى : « هذا حديث حسن ، ومسلم بن يسار لم يسمع من
عمر ، وقد ذكر بعضهم فى هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً مجهولاً » .

(٣) روى الطبرى فى تفسيره أثريين موقوفين على أبي بن كعب رضى الله عنه ، الأول فى
تفسير قوله تعالى : (وأيدهم بروح منه) [سورة النساء : ١٧١] . انظر : التفسير
(ط . المعارف) ٤٢١/٩ - ٤٢٢ . والثانى فى تفسير هذه الآية من سورة الأعراف . انظر :
التفسير ٢٣٨ / ١٣ - ٢٣٩ . وقد صحح الأستاذ محمود شاكر إسناده وأشار إلى رواية
عبد الله بن أحمد بن حنبل له فى زياداته على مسند أبيه (انظر المسند - ط . الحلبي - ١٣٥/٥)
وإلى نقل الهيثمى له فى مجمع الزوائد ٢٥/٧ وإلى رواية الحاكم له فى المستدرک (٢ / ٣٢٣)
مطلوفاً . كما ذكر أن من رواه : الأجرى فى كتاب الشريعة ، ص ٢٠٧ ؛ ابن عبد البر
فى التمهيد ، ص ٣٠٧ ، ابن كثير فى تفسيره (٢ / ٢٦٣ - ٢٦٤ فى الطبعة التى أرجع إليها) ؛
الدر المنثور للسيوطى ١٤٢ / ٣ .

(٤) وردت آثار عديدة تذكر إنطاق الله لبنى آدم وإشهادهم على أنفسهم أكثرها
موقوف وبعضها مرفوع . وحديث ابن عباس المرفوع رواه أحمد فى مسنده (١٥١/٤) - رقم
٢٤٥٥ (ونصه : « حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا جرير - يعنى ابن حازم ، عن كلثوم
ابن جبر ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أخذ الله
الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعنى عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذراًها ، فنثرهم بين
يديه كالذر ، ثم كلمهم قبيلاً : (قال أأست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا =

موضوعة في صحيحه مثل حديث زريب بن برثملى وهامة بن الهيم^(١) وغير ذلك ، وبسط هذا له موضع آخر .

== عن هذا غافلين * أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أتتهلكنا بما فعل البطلون) .

وأورد الطبرى في تفسيره ٢٢٢/١٣ - ٢٥٠ كثيرا من الآثار الواردة في هذا الصدد منها حديث ابن عباس المرفوع (رقم ١٥٣٣٨) وأحاديث أخرى موقوفة عليه (منها الأرقام ١٥٣٣٩ - ١٥٣٤٣ ، ١٥٣٤٧ - ١٥٣٥٠ ، ١٥٣٦٠ - ١٥٣٦٢) ومنها حديث عبد الله بن عمرو المرفوع (رقم ١٥٣٥٤) .

وقد صحح الشيخ أحمد شاكر رحمه الله حديث ابن عباس المرفوع في تعليقه على المسند وتكلم عليه (ارجع إلى التعليق) ووافقه الأستاذ محمود شاكر على ذلك وتكلم على سائر الآثار كلاما مفصلا وبين طرقها ومواضع ورودها في كتب السنة وصحح بعضها وضعف بعضها الآخر فارجع إلى تعليقه .

وأشير هنا إلى رأى الطبرى الذى قال بعد أن أورد جميع الآثار في تفسير هذه الآية أن الوجه الأول في تأويلها هو الذى يقول أن الله خاطب ذرية آدم وأشهدهم على أنفسهم : أأست بربكم؟ قالوا : بلى . فقال لهم هو وملأ نكته : شهدنا عليكم .. إلخ . والوجه الثانى هو أن ذلك خبر من الله عن قبل بعض بنى آدم لبعض حين أشهد الله بعضهم على بعض . وقال أصحاب هذا الوجه : معنى قوله : وأشهدهم على أنفسهم : وأشهد بعضهم على بعض بإقرارهم بذلك .

قال الطبرى : إن الوجه الأول أولى بالصواب لو صح ، ولكنه لم يعلم صحيحا . ثم قال : وإن لم يكن ذلك عنه صحيحا ، فالظاهر يدل على أنه خبر من الله عن قبل بنى آدم بعضهم لبعض ، لأنه جل ثناؤه قال : (وأشهدهم على أنفسهم أأست بربكم قالوا بلى شهدنا) ، فكانه قيل : فقال الذين شهدوا على المقرين حين أقرؤا فقالوا بلى : - شهدنا عليكم بما أقرتم على أنفسكم ، كيلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . وانظر أيضا ما ذهب إليه ابن كثير في تفسيره ٢٦٣/٢ - ٢٦٤ .

وقد تكلم ابن تيمية عن هذه الآية وعن حديث : كل مولود يولد فطرته ، كلاما مسهبا استغرق معظم الجزء الأخير من كتاب « موافقة صريح العقول لصحيح المنقول » ، وهو الجزء الذى ما زال مخطوطا في المكتبة التيمورية بدار الكتب (رقم ١٨٢ عقائد) .

(١) حديث زريب بن برثملى رواه ابن عراق الكنانى في « تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة » ٢٣٩/١ - ٢٤٠ عن ابن عمر رضى الله عنه وأوله : « كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص وهو بالقادسية أن سرح نضلة بن جمونة إلى حلوان » وفيه أن نضلة سمع مخاطبا يخاطبه من الجبل فسأله من يكون وهل هو ملك أم ساكن من الجن أم طائف من عباد الله « فانطلق الجبل عن هامة كالرأس الأبيض واللحية عليه طمران من صوف فقال السلام عليكم ورحمة الله . قلنا : وعليكم السلام ورحمة الله ، من أنت يرحمك الله؟ قال : أنا زريب بن برثملى وصلى العبد الصالح عيسى بن مريم ، أسكنتى هذا الجبل ودعائى بطول البقاء ... ==

لكن كون الخلق مفطورين^(١) على الإقرار بالخالق أمر دل عليه الكتاب والسنة ، وهو معروف بدلائل العقول ، كما قد بُسِطَ في مواضع / وُبَيِّنَ أن الإقرار بالخالق فطري ضروري في جِبِلَّاتِ الناس . لكن من الناس من فسدت فطرته فاحتاج إلى دواء ، بمنزلة السفسطة التي تعرض لكثير من الناس في كثير من المعارف الضرورية ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

وهؤلاء يحتاجون إلى النظر ، وهذا الذي عليه جمهور الناس : أن أصل المعرفة قد يقع ضرورياً فطرياً ، وقد يُحتاج فيه إلى النظر والاستدلال .

وكثير من أهل الكلام يقول : إنه لا يجوز أن تقع^(٢) المعرفة ضرورية بل لا تقع إلا بنظر وكسب ، قالوا : لأنها لو وقعت ضرورة لارتفع التكليف والامتحان . ومنهم من ادعى انتفاء ذلك في الواقع ، وهذا ضعيف لأن الامتحان والتكليف الذي جاءت به الرسل كان بأن يعبدوا الله وحده لا يشركون به ؛ إلى هذا دعا عامة الرسل ، ومن كان من الناس جاحداً دَعَوَهُ إلى الاعتراف

== إلخ . وروى الحديث السيوطي في «الآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» ١/١٧٧-١٨٢ من وجوه عدة وتكلم عنه طويلاً وما ذكره : « قال الخطيب : روى الراسي هذا الحديث المنسكبر ، وابن لهيعة يدلّس عن ضعفاء وسليمان بن أحمد ضعيف » .

وأما حديث هامة بن الهيم فرواه ابن عراق في المرجع السابق ١/٢٣٨ - ٢٣٩ عن ابن عمر : « بينما نحن قعود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل من جبال تهامة إذ أقبل شيخ في يده عصا فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ، فقال : نفمة الجن وهمتهم من أنت ؟ قال : أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس . قال : وليس بينك وبين إبليس إلا أبوان ؟ قال : نعم .. إلخ » .

وروى الحديث السيوطي في «الآلئ المصنوعة» ١/١٧٤ - ١٧٥ من وجهين وقال : « موضوع . إسحاق بن بشر الكاهلي كذاب وضاع بالافتاق . وأبو سلمة يروى عن الثقات ما ليس من حديثهم لا يجوز الاحتجاج به . قال العقيلي : وكلا الإسنادين غير ثابت وليس للحديث أصل . قلت : وكذا قال في «الميزان» هو باطل بالإسنادين » .

ولم أجد الحديثين في «مستدرک» الحاكم .

(١) في الأصل : مفطورون .

(٢) في الأصل : أن يقع .

بالصانع: كفرعون ونحوه، مع أنه كان في الباطن عارفاً وإنما جحد ظلماً وعلواً، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا﴾ [سورة النمل: ١٤]، وقال له موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ﴾ [سورة الإسراء: ١٠٢] .

وخاتم الرسل دعا الناس إلى الشهادتين، فقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»^(١). وقال لمعاذ في الحديث الصحيح: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوا لك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم»^(٢).

ولهذا قالت الرسل لقومهم ما أخبر الله تعالى به في قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكٍ قَوْمٍ قَبْلَكُمْ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَقْفَاهِهِمْ﴾، إلى قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة إبراهيم: ٩ - ١١].

(١) قال السيوطي في «الجامع الصغير»: «متفق عليه رواه الأربعة عن أبي هريرة وهو متواتر»: والحديث مروى بمعناه عن عدد من الصحابة، وانظر: البخاري ١ / ١٠ (كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة... إلخ)، ١٥ / ٩ (كتاب استتابة المرتدين والمعاندين، باب قتل من أبى قبول الفرائض)؛ مسلم ٣٩ / ١ (كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله).

(٢) الحديث بمعناه في: البخاري ٢ / ١١٩ (كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة)؛ مسلم ٣٧ / ١ - ٣٨ (كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه).

وأيضاً ، فإن المعارف لا بد أن تنتهى إلى مقدمات ضرورية ، وهم لا يؤمرون بتحصيل الحاصل ، بل يؤمرون بالعمل بموجبها ويعلمون أخرى يكتسبونها بها .

وأيضاً ، فإن أكثر الناس غافلون عما فُطروا عليه من العلم ، فيذكرون بالعلم الذى فُطروا عليه ، وأصل الإقرار من هذا الباب ، ولهذا توصف الرسل بأنهم يذكرون ، ويصف الله تعالى آياته بأنها تذكرة وتبصرة ، كما فى قوله : (تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) [سورة ق : ٨] .

فإذا كان من المعارف ماهو ضرورى بالاتفاق ، ولم يكن ذلك مانعاً من الأمر والنهى : إما بتذكرة وإما بالاستدلال ، فيؤمر الناس تارة بالتذكرة وتارة بالتبصرة ، ثم يؤمر الناس أن يُقرّوا بما علموه ويشهدوا به فلا يعاندوه ولا يحجده ، / وأكثر الكفار جحدوا ما علموه .

ص ٢٢

والاعتراف بالحق الذى يُعلم والشهادة به والخضوع لصاحبه لا بد منه فى الإيمان ، وإبليس وفرعون وغيرهما كفروا للعناد والاستكبار ، كما ذكر الله تعالى ذلك فى كتابه .

ولكن الجهمية لما ظنت أن مجرد معرفة القلب هى الإيمان ، أرادوا أن يجعلوا ذلك مكتسباً ، وزعموا أن من كفره الشرع كإبليس وفرعون لم يكن فى قلبه من الإقرار شيء ، كما زعموا أنه يمكن أن يقوم بقلب العبد إيمان تام مع كونه يعادى الله ورسوله ، ويسب الله ورسوله فى الظاهر من غير إكراه^(١) ،

(١) يقول الأشعرى فى « مقالات الإسلاميين » ١/ ١٩٧-١٩٨ : « وزعموا أن الكفر بالله هو الجبل به ، وهذا قول يحكى عن جهم بن صفوان . وزعمت الجهمية أن الإنسان إذا أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه أنه لا يكفر بجحده ، وأن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل أهل فيه ، وأن الإيمان والكفر لا يكونان إلا فى القلب دون غيره من الجوارح » .
وأما ابن حزم فيقول فى « الفصل فى الملل والنحل » ٤/ ٢٠٤ أن غلاة المرجئة طائفتان وأن الثانية هى : « الطائفة القائلة إن الإيمان عقد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه بلا نية وعبد الأوثان أو لزم اليهودية والنصرانية فى دار الإسلام وعبد الصليب وأعلن =

ولهذا كفر وكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وغيرها من الأئمة من قال بقولهم^(١)، كما هو مبسوط في مواضعه^(٢).

والمقصود هنا بيان قول من قال من السلف كهكرمة وأبي مالك : ﴿كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ : أى مقرّون له بالعبودية .

قال ابن أبي حاتم : والوجه الرابع ، ثم روى بإسناده المعروف عن الربيع ابن أنس : ﴿كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ قال : كل له قائم يوم القيامة^(٣).

والخامس : ثم روى بإسناده من حديث عبد الله بن المبارك عن شريك عن سالم عن سميد بن جبير : ﴿كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ : بقول الإخلاص^(٤).

قلت : وهذا إن أراد به اعترافهم بأنه ربهم وأنهم إذا اضطروا دعوا الله

= التثليث في دار الإسلام ومات على ذلك فهو كامل الإيمان عند الله عز وجل ولي لله عز وجل من أهل الجنة ، وهذا قول أبي محرز جهنم بن صفوان السمرقندي مولى بني راسب كاتب الحارث بن سريج التميمي أيام قيامه على نصر بن سيار بخراسان .
وقد تلمذ الجهم على الجعد بن درهم كما اتصل بمقاتل بن سليمان من المرجئة ، وقتل مع الحارث بن سريج بمرو سنة ١٢٨ هـ .

وانظر أيضاً عنه وعن فرقته وآرائهم : مقالات الأشعرى ٢١٣/١ ، ٣١٤ ؛ الملل والنحل ٧٩/١ — ٨١ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٢٨ — ١٢٩ ؛ التبصير في الدين ، ص ٦٣ — ٦٤ ؛ الخطط للمقريزي ٣٤٩/٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٧ ؛ البدء والتاريخ ١٤٦/٥ ؛ ميزان الاعتدال ١٩٧/١ ؛ لسان الميزان ١٤٢/٢ — ١٤٣ ؛ الأعلام ١٣٨/٢ — ١٣٩ .
(١) انظر رسالة الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل (ضمن مجموعة شذرات البلاتين) ، ص ١٤ وما بعدها .

(٢) انظر مثلاً : التسمينية (ضمن مجموع الفتاوى ، ج ٥) ، ص ٣١ — ٤٠ .

(٣) قال الطبري في تفسيره ٥٣٩/٢ (ط . المعارف) : « وقال آخرون بما حدثني به الثني قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه عن الربيع : قوله : (كل له قانتون) ، قال : كل له قائم يوم القيامة » .

(٤) ذكر الطبري في تفسيره ٤٠٣/٦ (ط . المعارف) في تأويل قوله تعالى : (يا مريم اقنتي لربك) الآية [سورة آل عمران : ٤٣] ما يلي : « وقال آخرون : معناه : أخلصي لربك . ذكر من قال ذلك : حدثني الثني قال : حدثنا الحناني ، قال : حدثنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سميد : (يا مريم اقنتي لربك) ، قال : أخلصي لربك » .

مخلصين له الدين ، فهو من جنس قول عكرمة ، وإلا فالإخلاص الذى أمروا به ، وهو أن يعبدوا الله مخلصين له الدين ، إنما قام به المؤمنون، وهذا إنما يكون على قول من يزعم أن الآية خاصة ، ولم يذكر ابن أبي حاتم هذا صريحاً عن أحد من السلف إلا أن يتأول على ذلك قول ابن عباس أو قول سميد .

أقوال المفسرين هذا ولم يذكر أبو الفرج هذا عن أحد من السلف ، لم يذكره إلا فيما تقدم عن ابن الأنبارى ، بل قال : « وللمفسرين فى المراد بالقنوت ههنا ثلاثة أقوال : أحدها : أنه الطاعة ، قاله ابن عباس وابن جبير ومجاهد وقتادة . والثانى : الإفرار بالعبادة ، قاله عكرمة والشدى . والثالث : القيام ، قاله الحسن والربيع . قال : « وفى معنى القيام قولان : أحدهما : أنه القيام له بالشهادة بالعبودية ، والثانى : أنه القيام بين يديه يوم القيامة » .

لكن طائفة من المفسرين ذكروا عن المفسرين قولين كالنعلبي والبغوى وغيرهما . قالوا : واللفظ للبغوى^(١) : « ﴿ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ » قال مجاهد وعطاء الشدى : مطيعون . وقال عكرمة ومقاتل : مقرئون بالعبودية . وقال ابن كيسان : قأمون بالشهادة ، وأصل القنوت القيام ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : أفضل الصلاة طول القنوت » .

هل القنوت خاص أم عام ؟ قال : « واختلفوا فى حكم الآية ، فذهب جماعة إلى أن حكم الآية خاص . قال مقاتل : هو راجع إلى عزير والمسيح والملائكة . وعن ابن عباس أنه قال : هو راجع إلى أهل طاعته دون سائر الناس » .

قال : « وذهب جماعة إلى أن حكم الآية عام فى جميع الخلق ، لأن [لفظ] الكل^(٢) يقتضى الإحاطة بالشىء بحيث لا يشذ منه شىء . ثم سلكوا فى الكفار طريقين ، قال مجاهد : تسجد ظلالم لله عز وجل على كره منهم ، قال تعالى : ﴿ وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ

(١) فى تفسيره معالم التنزيل (بذيل تفسير ابن كثير : ط . المنار) ٢٩٣/١ - ٢٩٤ .

(٢) فى الأصل : لأن الكل . وما أثبتته عن تفسير البغوى .

وَالْآصَالِ ﴿ [سورة الرعد : ١٥] ، وقال السدى : هذا يوم القيامة ، دليله :
﴿ وَعَنْتِ أُلُوجُهُ لِحَى الْقَيُومِ ﴾ [سورة طه : ١١١] ، وقيل : قانتون :
مذللون مسخرون لما خلقوا له .

تطبيق ابن تيمية

قلت : من قال بالخصوص فإنه قد ينظر إلى سبب الآية ، وهو أنهم قالوا :
اتخذ الله ولدا . وهذا إنما قالوه في الملائكة والأنبياء كالسيح والعزير ،
فبين سبحانه أن الذين قيل فيهم إنه اتخذهم أولادهم عباد قانتون له ، كما ذكر
في الأنبياء : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ *
لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ أَرَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٦-٢٨] ،
فإن الضمير في قوله : ﴿ وَقَالُوا ﴾ عائد على المشركين ، وهم إنما قالوا ذلك في الملائكة ،
وأما المسيح وعزير فإنما قال ذلك فيهما أهل الكتاب ، وسياق الآية يبين
ذلك فإنه قال : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا
أَنْ نَّتَّخِذَ لَهُمْ آتَاخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى
الْبَاطِلِ قَيْدَمَهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾
[سورة الأنبياء : ١٦-٢٦]

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ ، وقوله :
﴿ لَهْوًا ﴾ قد فُسر بالولد والمرأة وُفسر باللعب ، فإن هذه الآية نظير قوله :
﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾
الآية [الدخان : ٣٨ ، ٣٩] ، ونظير قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية [سورة ص : ٢٧] ، ونظير
قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ
لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [سورة الحجر : ٨٥] ، ومثله قوله تعالى
﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ الآية [سورة المؤمنون : ١١٥] .

فقوله ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ١٦]

فنزّه نفسه أن يكون فعله كفعل اللاعب العايب الذى لا يقصد غاية محمودة يريد سوق الوسائل إليها ، فإن هذا فعل الجاد الذى يجيء بالحق ، كما قال إبراهيم لما آتاه الله رشده من قبل التوراة والقرآن : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذِكْرِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٥٢-٥٦] ، فهو لما قال ما قال : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾ [الآية : ٥٥] ، فالذى يأتى بالحق خلاف اللاعب ، فإنه يقصد أن يخبر بصدق ويأمر بما ينفع ، وهو العدل ، بخلاف اللاعب العايب فإنه ليس مقصوده هذا ، بل اللهو واللعب .

ولهذا قد يُشتم الإنسان على وجه اللعب ويفعل به أفعال منكرة فلا ينكر ذلك كما ينكره من الجاد الحق ، ولهذا كان عامة اللهو باطلا ليس له منفعة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل إلا رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبة امرأته فإنه من الحق » ^(١) . / فالحق ضد الباطل ، واللهو باطل ، ولهذا تنزّه سبحانه عن أن يخلقهما باطلا .

ص ٢٣

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ فاللاعب صاحب باطل لا صاحب حق . ولهذا لما دخل عمر على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده الأسود بن سريع ينشده فأسكته مرتين أو ثلاثا ، قال : « من هذا الذى تسكتنى له ؟ قال : هذا رجل لا يحب الباطل » ^(٢) ، فإن عمر كان لا يحبه ولا يصبر على صاحبه ، والنبي

(١) هو جزء من حديث رواه النسائي (بشرح السيوطي) ٦ / ٢٢٢ - ٢٢٣ (كتاب الخيل ، باب تأديب الرجل فرسه) عن عتبة بن عامر وأوله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ... » وفيه : « وليس اللهو إلا في ثلاثة : تأديب الرجل فرسه وملاعبته امرأته ورميه بقوسه ونبله ، ومن ترك الرى بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة كفرها ، أو قال : كفر بها » .

(٢) هذا الحديث مروي بمعناه في المسند ٣ / ٤٣٥ : المستدرک للحاكم ٣ / ٦١٥ =

صلى الله عليه وسلم كان أحلم وأصبر من عمر ، فهو أيضا لا يحب الباطل ، لكنه يصبر ويحتمل منه ما لم يكن محرما ، ولكن هو لا منفعة فيه لفاعله فإذا فعله احتمله عليه ؛ فهذا بيان قول من فسر اللاعب بالعبث وله نظائر .

والذين فُسِّروا بالولد والزوجة قالوا ذلك لأن من المشركين من جعل لله ولداً وصاحبة ، وقالوا : إنه ضاهى الحق ، وهم يسمون المرأة لهوا والولد لهواً ، وقال ابن قتيبة^(١) : « أصل اللهو الجماع وكُنِيَ عنه [باللهو]^(٢) كما كُنِيَ عنه بالسر » .

والنبي صلى الله عليه وسلم قد جعل ملاعبة الرجل امرأته من اللهو الذى ليس بباطل ، والربُّ تعالى منزّه عن اللعب مطلقاً ، فإن الذى يلاعب امرأته إنما يفعل ذلك^(٣) ذلك لحاجته إلى المرأة ، وحكمة ذلك بقاء النسل ، والله تعالى منزّه عن الولادة ، فتضمنت هذه الآية تنزيهه عن الخلق عبثاً لا الحكمة ، فإن ذلك لعب وعبث ، وتضمنت تنزيهه عن أن يتخذ ما يلهى به كالمرأة والولد ، ولهذا يبين بعد ذلك أنه إنما خلق ذلك بالحق وأنه منزّه عن الأولاد ، وقال : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ ، واللهو كله باطل فى حق الله تعالى ، وإن كان بعضه من الحق فى حق العباد .

وهو سبحانه وتعالى قال : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾ ، فإن ما يلهو به اللاهى يكون عنده لا يكون بعيداً عنه ، ونحن

== وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ؛ الحب الطبرى فى الرياض النضرة (ط . الحلبي) ١ / ٢٧٣ ؛ مجمع الزوائد ٩ / ٦٦ . ورويت قطعة من هذا الحديث فى : المسند (ط . الحلبي) ٤ / ٢٤ ؛ الإصابة لابن حجر والاستيعاب لابن عبد البر فى ترجمة الأسود بن سريع ؛ طبقات ابن سعد ٧ / ٤٢ .

(١) فى « تأويل مشكل القرآن » ص ١٢٤ .

(٢) باللهو : زيادة من تأويل مشكل القرآن .

(٣) فى الأصل : إنما جعل ذلك .

خلقنا السماوات والأرض وما بينهما فكيف يكون هذا العبأ ؟ ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ قَيْدَمَتَهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ .
 ثم قال : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ١٩ ، ٢٠] ؛ ثم رد على من أشرك به ؛ ثم حكي قول المشركين الذين قالوا اتخذ الرحمن ولداً ، قال سبحانه : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ تَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٦ - ٢٩] .
 فهذه صفة الملائكة ، والمسيح والمزير ونحوها أيضاً هم ^(١) بهذه الصفة فإنهم عباد مكرمون ، قال تعالى عن المسيح : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ [سورة الزخرف : ٥٩] ، وقال : ﴿ لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [سورة النساء : ١٧٢] .

فلما قال تعالى - في البقرة - : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ ، والذين قالوا اتخذ الله ولداً جعلوه إماماً من الملائكة وإماماً من الآدميين كالمسيح والمزير . فقله تعالى : ﴿ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ ؛ يبين أن هؤلاء الذين قيل فيهم إنهم أولاد هم عباد له مطيعون كما ذكر في « الأنبياء » وغيرها ، وكما قال : ﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَخْوِيلًا ﴾ * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنْ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مُحَذَّورًا ﴾ [سورة الإسراء : ٥٦ ، ٥٧]
 فبين أن هؤلاء المعبودين هم يعبدون الله تعالى . ومثله قوله : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ

آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا يَتَّبِعُونَ إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿ [سورة الإسراء : ٤٢]
على أصح القولين .

فهذا مأخذ من جعل الآية خاصة . لكن يُقال: الآية لفظها عام ، والمعموم مقصود منها ، كما هو مقصود من قوله سبحانه : ﴿ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ثم قال : ﴿ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ . فلما كان قوله : ﴿ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ عاماً ^(١) تبين أن الجميع مملوك له ، وللملوك لا يكون ولداً ، وتبين ^(٢) أيضاً أن كلهم له قانتون مطيعون عابدون ، والعابد المطيع لا يكون إلا مملوكاً ، لا يكون ولداً .

وأيضاً فإنه قد ذكر القنوت في سورة « الروم » مجرداً عن الولد ، فقال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [سورة الروم : ٢٥] ، ثم قال : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ * وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة الروم : ٢٦ ، ٢٧] ، فبين أن له ما في السماوات والأرض وأن كلا له قانتون ، وتخصيص هذا بمن قيل إنه ولد فاسد ظاهر الفساد ، وكذلك تخصيصه بالمؤمنين ، فإن هذا مذكور لبيان عموم الملك والاعتقاد وخضوع المخلوقات كلها له ، فلو خص به المؤمنون لكان ذلك عكس المقصود .

وهو مثل قوله : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [سورة آل عمران : ٨٣] ، فهو سبحانه يدعوهم إلى

(١) في الأصل : عام .

(٢) في الأصل : بين .

يدعوم إلى دين الإسلام ، وبين أن كل ما في السماوات والأرض مسلم لله :
 إما طوعاً وإما كرهاً ؛ وإذا كان لا بد من أحدهما فالإسلام له طوعاً هو الذى
 ينفع العبد ، فلا يجوز أن يتخذ غير هذا الدين ديناً ، فإنه ذكر هذا فى تقرير أن
 كل دين سوى الإسلام باطل فقال : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ ، وذكر
 بعد ذلك ما يصير به العبد مسلماً مؤمناً فقال : ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ
 عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ
 وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ
 وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ * وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ
 وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ٨٤ ، ٨٥] : ذكر عبادة
 الله وحده والإيمان برسله كلهم ، كما ذكر فى سورة البقرة ، قال أبو العالية : قوله
 ﴿ فَوَرِّبْكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٩٢ ، ٩٣]
 قال : خصلتان يُسأل عنهما كل أحد : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟ ^(١)
 وكذلك ذكر سجود من فى السماوات والأرض له طوعاً وكرهاً ؟ والسجود
 هو الخضوع وهو القنوت .

وأيضاً / فإذا كانت الصيغة عامة لم يجوز أن يراد بها الخصوص إلا مع
 ما يُبين ذلك ، فأما إذا جُرِّدت عن الخصوصات فإنها لا تكون إلا عامة ، والآية
 عامة عموماً مجرداً - بل مؤكداً - بما يدل على العموم . وأما تخصيص المؤمنين
 فهذا يكون إذا مُدحوا بذلك أو ذُكر جزاء الآخرة ، وليس المقصود هنا مدح
 المؤمنين بطاعته ، وإنما المقصود بيان قدرته وملكوته وخضوع كل شيء له ، وأنه
 مع هذا وهذا يمتنع أن يكون له ولد مع خضوع كل شيء له وقنوته له .
 ويقال فى الركوع من التسبيح المأثور فيه : سبحان من تواضع كل شيء لعظمته ،
 سبحان من ذل كل شيء لعزته ، سبحان من استسلم كل شيء لقدرته .

(١) هذا الأثر بمعنى حديث رواه أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم . انظر : الدر المنثور
 ١٠٦/٤ . وأخرجه الطبري عن أبي العالية فى تفسيره ٤٦/١٤ (ط . بولاق) .

أنواع القنوت

الذى يسم

المخلوقات

الأول

وعلى هذا فالقنوت الذى يعم المخلوقات أنواع :

أحدها: طاعة كل شيء لمشيئته وقدرته وخلقته ، فإنه لا يخرج شيء عن مشيئته وقدرته وملكه ، بل هو مُدَبِّرٌ مُعَبَّدٌ مَرْبُوبٌ مَقْهُورٌ ، ولو تخيل إليه فى نفسه أنه لا ربَّ له ، وأنه يقدر أن يخرج عن ملك الرب ، فهذا من جنس ما يتخيل لسكران ، والنائم المأسور المقهور ، والجنون المربوط بالأقياد والسلاسل ، بل نفوذ مشيئة الرب وقدرته فى المستكبرين عن عبادته أعظم من نفوذ أمر الأسرى أسيره ، والسيد فى مملوكه ، وقيم المارستان فى الجنون بكثيرٍ كثير .

هذا متوجه على قول أهل السنة الذين يقولون : لا يكون فى ملكه إلا ما يشاء ، فليس لأحد خروج عن القدر المقدور ، ولا يتجاوز ما خُطَّ له فى اللوح المسطور ؛ بخلاف قول القدرية ، فإن العصاة على قولهم خرجوا عن مشيئة وقدرته وحكمه وسلطانه وخلقته ، فليسوا قانتين لا لأمره الشرعى ولا لأمره القدرى الكونى ؛ وأما أهل السنة فيقولون إنهم قانتون لمشيئته وحكمه وأمره الكونى كما تقدم .

وعلى هذا الوجه فالقنات قد لا يشعر بقنوته ، فإن المراد بقنوته كونه مُدَبَّرًا مُصَرَّفًا تحت مشيئة الرب من غير امتناع منه بوجه من الوجوه ، وهذا شامل للجمادات والحيوانات وكل شيء . قال تعالى : ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ [سورة هود : ٥٦] ، وقال تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة يس : ٨٣] .

النوع الثانى من القنوت : هو ما يشعر به القانت ، وهو اعترافهم كلهم الثانى بأنهم مخلوقون مربوبون وأنه ربهم ، كما تقدم .

الثالث : أنهم يضطرون إليه وقت حوائجهم فيسألونه ويخضعون له ، وإن كانوا إذا أجابهم أعرضوا عنه . قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ

الثالث

دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ صُورَهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ
يَدْعُنَا إِلَى ضَرْبٍ مِّمَّةٍ ﴿ [سورة يونس : ١٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ
الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَغْرَضْنَاهُمْ
وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ [سورة الإسراء : ٦٧] . وهو أخبر أنهم كلهم
قانتون ، فإذا قاتلوا له فدعوه وتضرعوا / إليه عند حاجتهم كانوا قانتين له ،
وإن كان إذا كشف الضر عنهم نسوا ما كانوا يدعون إليه وجعلوا
له أنداداً .

ط ٢٤

الرابع : أنهم كلهم لابد لهم من القنوت والطاعة في كثير من أوامره ،
وإن عصوه في البعض ، وإن كانوا لا يقصدون بذلك طاعته ، بل يُسلمون له
ويسجدون طوعاً وكرهاً . وذلك أنه أرسل الرسل وأنزل الكتب بالعدل ،
فلا صلاح لأهل الأرض في شيء من أمورهم إلا به ، ولا يستطيع أحد أن
يعيش في العالم مع خروجه عن جميع أنواعه ، بل لابد من دخوله في شيء من
أنواع العدل ، حتى قطاع الطريق لابد لهم فيما بينهم من قانون يتفقون عليه ،
ولو أراد واحد منهم أن يأخذ المال كله لم يمكنه ، وأظلم الناس وأقدرهم
لا يمكنه فعل كل ما يريد ، بل لابد من أعوان يريد أرضاءهم ومن أعداء
يخاف تسلطهم ، ففي قلبه رغبة ورهبة تلجئه إلى أن يلتزم من العدل الذي أمر
الله تعالى به ما لا يريد فليسلم الله ويقنت له وإن كان كارهاً . وهو سبحانه قال :
﴿ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ ، والقنوت العام يراد به الخضوع والاستسلام
والانقياد ، وإن كان في الباطن كارهاً ، كطاعة المنافقين : هم خاضعون للمؤمنين
مطيعون لهم في الظاهر ، وإن كانوا يكرهون هذه الطاعة

الرابع

الخامس : خضوعهم لجزائه لهم في الدنيا والآخرة ، كما ذكر من ذكر أنهم
قانتون يوم القيامة ، وهو سبحانه قد يجرى الناس في الدنيا فيهلكهم وينتقم منهم ،

الخامس

كما أهلك قوم نوح وعاداً وحموداً وفرعون فكانوا خاضعين منقادين لجزائه وعقابه قانتين له كرها .

والجزاء يكون في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة ، وهو سبحانه قائم على كل نفس بما كسبت ، وهو قائم بالقسط ، والجميع مستسلمون لحكمه ، قانتون له في جزائهم على أعمالهم ، والمصابب التي يصيبهم في الدنيا جزاء لهم . قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [سورة الشورى : ٣٠] ، وقال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ [سورة النساء : ٧٩] .

فهذه خمسة أنواع : قنوتهم خلقه وحكمه وأمره قدراً ، واعترافهم بربوبيته ، واضطرارهم إلى مسألته والرغبة إليه ، ودخولهم فيما يأمر به وإن كانوا كارهين ، وجزاءهم على أعمالهم . ودخولهم فيما يأمر به مع الكراهة يدخل فيه المنافق والمعطى للجزية عن يده وهو صاغر ، والذي يسلم أولاً رغبة ورهبة ، فالقنوت شامل داخل للجميع ، لكن المؤمن يقنت له طوعاً وبغيره يقنت له كرهاً ، قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [سورة الرعد : ١٥] .

﴿فصل﴾

الكلام عن
السجود

والسجود من جنس القنوت ، فإن السجود الشامل لجميع المخلوقات هو المتضمن لغاية الخضوع والذل ، وكل مخلوق فقد تواضع / لعظمته وذل لعزته من ٢٥ واستسلم لقدرته ، ولا يجب أن يكون سجود كل شيء مثل سجود الإنسان على سبعة أعضاء ، ووضع جبهة في رأس مدور على التراب ، فإن هذا سجود مخصوص من الإنسان ، ومن الأمم من يركع ولا يسجد ، وذلك سجودها

كما قال تعالى : ﴿ اَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً ﴾ [سورة البقرة : ٥٨] ،
 وإنما قيل ادخلوه رُكْعًا . ومنهم من يسجد على جنب كاليهود ، فالسجود اسم
 جنس ، ولكن لما شاع ^(١) سجود الآدميين المسلمين صار كثير من الناس يظن
 أن هذا هو سجود كل أحد كما في لفظ « القنوت » .

وكذلك لفظ « الصلاة » لما كان المسلمون يصلون الصلاة للعروفة ، صار
 يظن من يظن أن كل من صلى فهكذا يصلي ، حتى صار بعض أهل الكتاب
 ينفرون من قولنا : إن الله يصلي ، ويترهونه عن ذلك ، فإنهم لم يعرفوا من
 لفظ « الصلاة » إلا دعاء المصلي لغيره وخضوعه له ، ولا ريب أن الله منزّه عن ذلك ،
 لكن ليست هذه صلاته سبحانه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
 يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ
 وَتَسْبِيحَهُ ﴾ [سورة النور : ٤١] .

وهو سبحانه قد ذكر سجود الظل في غير موضع كقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا
 إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّيْ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا
 لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ [سورة النحل : ٤٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ
 مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾
 [سورة الرعد : ١٥] ، ومعلوم أن الظل إذا سجد لم يسجد على سبعة أعضاء :
 يضع رأسه ويديه ثم يرفع رأسه ويديه ، بل سجوده ذله وخضوعه .

وقد سَمَّى الله تعالى المنحني ساجدا وإن لم يصل إلى الأرض في قوله : ﴿ وَإِذْ
 قُلْنَا اَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ
 سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾
 [سورة البقرة : ٥٨] ، وفي الأعراف : ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ
 تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى :
 (وادخلوا الباب
 سجدا) الآية

الْقَرْيَةِ وَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا
نَفْعَزْ لَكُمْ خُطَيْبَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [سورة الأعراف : ١٦١] .
فهنا لما أمرهم بالسكنى ، وهى المقام ، قال : ﴿ وَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ ﴾
ولم يحتج أن يقال : رغداً ، فإن الساكن المقيم مطمئن ، وهناك قال : ﴿ ادْخُلُوا
هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ قال : ﴿ فَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ ، فبين أنهم يأكلون
رغداً فيتهنون ^(١) لا يخافون الخروج . وبسط الكلام فى البقرة وذكر الدخول
لأنه قبل السكنى . ولهذا قال : ﴿ رَغَدًا ﴾ ، وقال : ﴿ وَسَنَزِيدُ ﴾ وقال : ﴿ قَبْدَلِ
الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا
مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٥٩] .

وقدّم السجود لأنه أهم . وقد اختلفوا فى هذا السجود ، فقيل : هو
الركوع ، كما روى ابن أبى حاتم من وجهين ثابتين عن سفيان الثورى ، عن
الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله :
﴿ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ قال : « رُكْعًا من باب صغير ، فدخلوا من قِبَلِ
أستاهم ، وقالوا : حنطة » ^(٢) . وقيل : « بل هو السجود بالأرض » ^(٣) . ثم قيل
ما رواه ابن أبى حاتم عن الربيع بن أنس ، قال : « سُجَّدًا ، قال : كان سجود
أحدهم على خده » . وروى عن وهب بن منبّه قال : « إذا دخلتموه فاسجدوا شكرا
لله » فكان صاحب هذا القول جعل السجود بعد الدخول ، ومن قال بهذا
أو قال بأنهم أمروا بالركوع فهو يقول : دخولهم وهم سجد بالأرض فيه

(١) يتهنون : يخفف يتهأئون . فى اللسان : هنأت الطعام أى تهنأت به ... وفى المثل :
تهنأ فلان بكذا وتمراً وتسمن وتزبن بمعنى واحد . . . وأكلنا من هذا الطعام حتى هئننا منه
أى شعبنا . . . وكل أمر يأتيك من غير تعب فهو هنىء .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٢ / ١٠٤ (الآثار ١٠٠٦ - ١٠٠٨) ، ١١٣ - ١١٤
(الآثار ١٠٢٤ ، ١٠٢٥) ؛ الدر المنثور ١ / ٧١ ؛ ابن كثير ١ / ٩٩ .
(٣) انظر تفسير الطبرى ٢ / ١١٥ (الأثر ١٠٣٢) .

ط ٢٥ صعوبة / وقد يؤذى أحدهم ولكن هو ممكن ، فإن الإنسان يمكنه حال السجود أن يزحف إذا كانت الأرض لا تؤذيه .

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه : « قال لهم : ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة ، فدخلوا يزحفون على أستاههم ويقولون حبة في شعرة »^(١) .

فهذا هو الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما في ذلك أقوالاً تخالف هذا ، فقال خصيف عن عكرمة عن ابن عباس : « فدخلوا على شق » . وروى السدي عن أبي سعد الأزدي^(٢) عن أبي الكنود عن ابن مسعود : « فدخلوا مقنعي رؤوسهم »^(٣) .

قال ابن أبي حاتم : اختلف التابعون فروى عن مجاهد نحو قول عكرمة عن ابن عباس وروى عن السدي نحو ما روى عن ابن مسعود وعن مقاتل أنهم دخلوا منكفتين^(٤) وأما القول^(٥) فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا : حبة في شعره ، وإذا ثقت الحبة وأدخلت فيها الشعرة فإنه يقال : حبة في

(١) الحديث بمعناه في : البخارى ٦ / ١٨ - ١٩ (كتاب التفسير ، سورة البقرة) ؛ مسلم ٨ / ٢٣٧ - ٢٣٨ (كتاب التفسير ، سورة البقرة) ؛ الترمذى (بشرح ابن العربي) ١١ / ٧٧ - ٧٩ (كتاب التفسير ، سورة البقرة) ؛ المسند (ط . المعارف) ١٥ / ٢٤٣ (رقم ٥٩٠٨) ، وقال الملقى رحمه الله : « وهو في جامع المسانيد والسنن ٧ / ٣٩٠ » . وتكلم ابن كثير عن الحديث بالتفصيل في تفسيره ١ / ٩٩ . وانظر : تفسير الطبرى ٢ / ١١٢ - ١١٣ (وكلام الشيخ أحمد شاكر في التعليق) ؛ الدر المنثور ١ / ٧١ . (٢) في تفسير الطبرى ١ / ١١٣ : « عن أبي سعيد » وهو أبو سعد الأزدي الكوفي قارئ الأزدي . قال ابن حجر في « تقريب التهذيب » ٢ / ٢٤٦ : ويقال أبو سعيد . (٣) جاء هذا القول في تفسير الطبرى ٢ / ١١٤ - ١١٥ في أثرين الأول عن ابن عباس والثاني عن عكرمة ؛ وفي الدر المنثور ١ / ٧١ عن ابن مسعود .

(٤) في الأصل رسمت الكلمة « ملتفتين » ورجعت أن يكون الصواب ما أثبتته . وعلى الكلمة إشارة إلى الهامش حيث كتبت كلمة « منكبين » وعليها حرف « خ » لإشارة إلى نسخة أخرى . (٥) أى : وأما قولهم .

شعرة ، ويقال : شعرة في حبة ، وهذا معنى ما رواه السدي عن مُرّة عن ابن مسعود أنه قال : إنهم قالوا : هطى سمقانا أزره مزبا « وهي بالعربية : حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعرة سوداء ^(١) ، فذلك قوله تعالى : ﴿ قَبَدَلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ . وكذلك رواه السدي عن أبي سعد الأزدي ، عن أبي الكنود ، عن ابن مسعود ، وهذا موافق لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم . لكن النبي صلى الله عليه وسلم إنما تكلم بالعربية ، وهذا اللفظ أخذه ابن مسعود عن أهل الكتاب ؛ وهذا أصح من قول ابن عباس أنهم قالوا : حنطة ، مع أن هذا مروي عن غير واحد .

قال ابن أبي حاتم : ورؤى عن مجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة والضحاك والحسن والربيع ويحيى بن رافع نحو ذلك ، لكن قد يقال : الحبة هي الحنطة ، وهم لم يقولوا بالعربية بل بلسانهم ، وهم إذا قالوا بلسانهم ما معناه : حبة حنطة : جاز أن يقال : حنطة . وحديث ابن مسعود وقد ذكر أنهم قالوا : حبة حنطة ، فلا يكون في القول خلاف .

وأبو الفرج ذكر خمسة أقوال وهي ترجع إلى هذا . ذكر الحديث المرفوع ، والثاني حنطة ، والثالث أنهم قالوا : حبة حنطة حمراء فيها شعرة سوداء - قاله ابن مسعود ، والرابع كذلك إلا أنهم قالوا مثقوبة - قاله السدي عن أشياخه .

قلت : كلاهما رواه السدي عن ابن مسعود وهما قول واحد .

قال : والخامس أنهم قالوا : استقلاباً ، قاله أبو صالح .

(١) في الأصل رسمت البارة العبرية تطن سمعانا ارنه مزبا . وسترد كلمة سمقانا بعد قليل مرة أخرى . وقد ورد هذا الأثر في تفسير الطبري ٢ / ١١٤ (رقم ١٠٢٩) ؛ ابن كثير ١ / ٩٩ ؛ الدر المنثور ١ / ٧١ . وانظر تفسير القرطبي ١ / ٤١١ ؛ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص . ٥٥ .

قلت: هذا الذى ذكره ابن مسعود بلسانهم «سمقانا»^(١) وقد فسر به بذلك.

قال: الأقوال كلها واحدة بخلاف صفة الدخول، فإن الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم دخلوا يزحفون على أستاههم، وفي لفظ: على أوراكمهم، والمعنى واحد، وما نقل خلاف هذا فإنما أخذ عن أهل الكتاب، وقد كان يؤخذ عنهم الحق والباطل. وقول ابن مسعود: مقنع رؤوسهم، لا يناقض الزحف على أستاههم. وابن عباس قال: يزحفون على أستاههم، كالرفوع، وقال: قيل: ادخلوا ركعاً، فلو جزمنا أن هذا مأخوذ عن النبي صلى الله عليه وسلم لجزمنا بأن الله أمرهم بالركوع، لكن ظاهر القرآن هو السجود، والسجود المطلق هو السجود المعروف، وكون الباب جمل صغيراً إنما يكون لمن يُكره على الدخول منه ليجتاج أن ينحني، وهؤلاء قصدت طاعتهم فأمرُوا بالخضوع لله والاستغفار، فدخولهم سجداً هو خضوع لله وقولهم: حطه، أى احطط عنا خطايانا، هو استغفارهم، كما أخبر الله تعالى أن داود خَرَّ راكعاً وأُتِيَ^(٢)، وكما شرع للمسلمين أن يستغفروا في سجودهم.

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في سجوده: «اللهم اغفر لى ذنبى كله، دِقَّةَ وَجِلِّهِ، أوله وآخره، علانيته وسره»^(٣). وكان أيضاً يقول: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لأحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»^(٤). وكان يقول في

(١) في الأصل سمقانا وعليها إشارة إلى الهامش حيث كتب «سمقانا» وعليها حرف «خ» أى في نسخة أخرى.

(٢) إشارة إلى الآية ٢٣ من سورة ص: (... وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأُتِيَ).

(٣) الحديث في: مسلم ٥٠/٢ (كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود).

(٤) الحديث في مسلم ٥١/٢ (الكتاب والباب السابقان) عن عائشة رضى الله عنها قالت: «فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفرائض فالتصت فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في السجدة وهما منصوبتان وهو يقول: اللهم أعوذ برضاك من سخطك... الحديث».

ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي ؛ يتأول القرآن^(١) .
وثبت في الصحيح لمسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثرُوا الدعاء »^(٢) . وفي الصحيح
أيضاً لمسلم عن ابن عباس قال : كشف النبي صلى الله عليه وسلم الستارة والناس
صفوف خلف أبي بكر فقال : « يا أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة
إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ، ألا وإنى نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو
ساجداً . فأما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن
أن يستجاب لكم »^(٣) .

ففي هذين الحديثين أنه خص السجود بالأمر بالدعاء فيه . ولهذا كان من
أهل العلم من يكره الدعاء في الركوع دون السجود .

وحينئذ فأمرهم بالاستغفار وقولهم حِطَّة في السجود أشبه ، فلم يثبت لنا إلى
الآن أن الركوع يُسمى سجوداً بخلاف العكس ، فإنه قال في حق داود : ﴿ وَخَرَّ
رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [سورة مريم : ٢٤] . وقد ثبت بالنص الصحيح واتفاق الناس
أن داود سجد ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سجدها داود توبة ونحن
نسجدها شكراً »^(٤) . وفي صحيح مسلم عنه عن ابن عباس قال : « نبيكم ممن أمر أن
يَقْتَدِيَ به ، سجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم »^(٥) . وفي صحيح

(١) الحديث في : البخارى ١٥٩/٢ (كتاب الصلاة ، باب التسييح والدعاء في السجود) ؛
مسلم ٥٠ / ٢ .

(٢) الحديث في مسلم ٤٩ / ٢ - ٥٠ .

(٣) الحديث في مسلم ٤٨ / ٢ وفيه .. فقال : أيها الناس (كتاب الصلاة ، باب النهي
عن قراءة القرآن في الركوع والسجود) .

(٤) قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية من سورة مريم بعد أن أورد الحديث : « تفرد
بروايته النسائي ورجال إسناده كلهم ثقات » .

(٥) الحديث في البخارى ١٦١ / ٤ (كتاب الأنبياء ، باب واذكر عبدنا داود) ،
١٢٤ / ٦ (كتاب التفسير ، سورة مريم) : نصه : « عن مجاهد قلت لابن عباس : أسجدق
من ؟ فقرأ : (ومن ذريته داود وسليمان) حتى أتى (فبهداًم اقتده) فقال : نبيكم صلى الله
= (٣ جامع الرسائل - ١)

مسلم عنه أيضاً قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها »^(١) وفي الترمذى وغيره عن ابن عباس قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنى رأيتنى الليلة وأنا نائم كأنى أصلى خلف شجرة ، فسجدت فسجدت الشجرة لسجودى ، فسمعتها وهى تقول : اللهم اكتب لى بها عندك أجراً ، وضع عنى بها وزراً ، واجعلها لى عندك ذخراً ، وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود ؛ فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم سجدة ص ثم سجد ، فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل من قول الشجرة »^(٢) .

والآثار عن السلف متواترة بأن داود سجد ، فكل ساجد راكم ، وليس كل راكم ساجداً ، فإنه إذا سجد من قيام انحنى انحناء الراكع وزاد فإنه يصير ساجداً ، ولو صلى قاعداً أيضاً انحنى انحناء الركوع وزاد فإنه يصير ساجداً ، فالساجد راكم وزيادة ، فلهذا جاز أن يُسمى راکماً وأن يجعل الركوع نوعين : ركوعاً خفيفاً ، / وركوعاً تاماً ، فالقيام هو السجود ، بخلاف لفظ السجود فإنه إنما يستعمل فى غاية الذل والخضوع ، وهذه حال الساجد لا الراكع .

ظ ٢٦

عليه وسلم من أمر أن يقتدى بهم . ولم يذكر النابلسى فى ذخائر الموارث ٧٠/٢ أنه فى غير البخارى ؛ وقال الشوكانى فى نيل الأوطار ٣ / ١٢٠ إن ابن خزيمة رواه .

(١) الحديث فى البخارى ٤٠/٢ (كتاب الجمعة ، باب ما جاء فى سجود القرآن وسنتها) : « عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ص ليس من عزائم السجود وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها » . وهو مروي فيه أيضاً ٤ / ١٦١ (كتاب الأنبياء ، باب واذكر عبدنا داود) . وقال النابلسى فى « ذخائر الموارث » ٢ / ٤٩ : إن الحديث فى البخارى فى الموضوعين السابقين وفى سنن أبى داود فى الصلاة عن موسى بن إسماعيل وفى الترمذى فيه عن ابن أبى عمر وفى النسائى فيه عن إبراهيم بن الحسن المقسى . ولم يذكر أنه فى مسلم . وقد ورد الحديث فى المسند (ط . المعارف) ٤ / ١٨٠ (رقم ٢٥٢١) ، ١٣١/٥ (رقم ٣٨٧) ولم يذكر المعلق رحمه الله أنه فى مسلم ، وكذا الشوكانى فى نيل الأوطار ٣ / ١١٩ .

(٢) ذكر الحديث ابن كثير فى تفسيره وقال : « رواه الترمذى عن قتيبة ، وابن ماجه عن أبى بكر بن خالد ، كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس نحوه ، وقال الترمذى : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » . والحديث فى : الترمذى (بشرح ابن العربى) ٦٠/٣ (كتاب الصلاة ، باب ما يقول فى سجود القرآن) ؛ سنن ابن ماجه ٣٣٤/١ (كتاب إقامة الصلاة ، باب سجود القرآن) .

لكن ليس من شرط السجود مطلقاً أن يصل إلى الأرض ، فقد ثبت في الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي على راحلته قبل أى وجه توجّهت به ، ويؤثر عليها ، غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة^(١) .

وقد انفق المسلمون على أن المسافر الراكب يتطوع على راحلته ويجعل سجوده أخفض من ركوعه وإن كان لا يسجد على مستقرّ ، وكذلك الخائف ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٩] يصلي إلى القبلة وإلى غير القبلة ، ويومئ بالركوع والسجود ولا يصل إلى الأرض .

فعلّم أن الهيئة المأمور بها في السجود على الأرض وعلى سبعة أعضاء هي أكمل سجود ابن آدم ، وله سجود لا يسجد فيه على الأرض ولا على سبعة ، بل يخفض فيه رأسه أكثر من خفض الركوع ، ولهذا كان عند جمهور العلماء لو ركع في سجود التلاوة بدلا عن السجود لم يُجزّره ، ولكن إذا كانت السجدة في آخر السورة فله أن يفعل كما ذكره ابن مسعود أنه يكتفى بسجود الصلاة فإنه ليس بينه وبينه إلا الركوع ، وهذا ظاهر مذهب أحمد ومذهب أبي حنيفة وغيرهما ، لكن قيل : إنه جعل الركوع مكان السجود ، والصحيح أنه إنما جعل سجود الصلاة هو المجزئ كما لو قرأ ، فإن الركوع عمل فيه فلم يجعل فصلاً ، لاسيما وهو مقدمة للسجود ، ومن الناس من قال في قصة داود إنه خرّ ساجداً بعد ما كان راكعاً . وذكر أن الحسين بن الفضل قال لأبي عبد الله بن طاهر عن قوله : ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا ﴾ [سورة س : ٢٤] ، هل يقال للراكع : خرّ ؟ قال : لا ، ومعناه نخر بعد ما كان راكعاً ، أى سجد .

(١) انظر ما ذكره الشوكاني في نيل الأوطار : باب صلاه الفرض على الراحلة إلا لعنر ٢ / ١٤٨ - ١٥٠ ؛ باب تطوع المسافر على مركوبه حيث توجه به ٢ / ١٨٢ - ١٨٣ ؛ باب أن الوتر سنة مؤكدة وأنه جائز على الراحلة ٣ / ٣٥ - ٣٧ .

وهذا قول ضعيف ، والقرآن إنما فيه : ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا ﴾ لم يقل : خر بعد ما كان راكعًا ، ولا كان داود حين تحاكموا إليه راكعًا ، بل كان قاعدًا معتدلاً أو قائماً خفراً ساجداً ، وسؤال ابن طاهر إنما يتوجه إذا أريد بالركوع انحناء القائم كركوع الصلاة ، وهذا لا يقال فيه خراً .

والمراد هنا السجود بالسنة واتفاق العلماء ، فالمراد خراً ساجداً ، وسمّاه ركوعاً لأن كل ساجد راكع لا سيما إذا كان قائماً ، وسجود التلاوة من قيام أفضل ، ولعل داود سجد من قيام ، وقيل : خر راكعاً ليبين أن سجوده كان من قيام وهو أكمل ، ولفظ « خراً » يدل على أنه وصل إلى الأرض فجمع له معنى السجود والركوع ، والسجود عبادة تُفعل مجردة عن الصلاة كسجود الشجرة وسجود داود وسجود التلاوة والشكر وسجود الآيات ^(١) وغير ذلك ، وهل يشترط له شروط الصلاة ؟ على قولين ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي ذر أنه قال : « كنت في المسجد حين وجبت الشمس ، فقال : يا أبا ذر تدري أين تذهب الشمس ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي الله عز وجل فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها ، وكأنها قد قيل لها : ارجعي من حيث جئت ، فترجع إلى مطلعها فذلك مستقرها . ثم قرأ : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ [سورة يس : ٣٨] » ^(٢) .

ص ٢٧

(١) في سنن أبي داود ٤٢٥/١ (كتاب الصلاة ، باب السجود عند الآيات) : « عن عكرمة قال : قيل لابن عباس : ماتت فلانة ، بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فخر ساجداً ، فقيل له : تسجد هذه الساعة ؟ فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رأيتم آية فاسجدوا ، وأى آية أعظم من ذهاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ؟ » .
(٢) الحديث بمعناه في : البخارى ٩ / ١٢٥ (كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء) ؟ مسلم ١ / ٩٦ (كتاب الإيمان ، باب بيان الزمن الذى لا يقبل فيه الإيذان) ؟ وانظر الدر المنثور ٥ / ٢٦٣ .

فقد أخبر في هذا الحديث الصحيح بسجود الشمس إذا غربت واستندائها ، وكذلك قال أبو العالية وغيره . قال أبو العالية : مافى السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجداً حين يغيّب ، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له ، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعته . ومعلوم أن الشمس لا تنزل في الفلك كما أخبر الله تعالى بقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٣] فهي لا تنزل تسبح في الفلك ، وهي تسجد لله وتستأذنه كل ليلة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فهي تسجد سجوداً يناسبها ، وتخضع له وتخضع ، كما يخضع ويخضع كل ساجد من الملائكة والجن والإنس .

وكذلك قوله : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾ [سورة الدخان : ٢٩] . بكاء كل شيء بحسبه ، قد يكون خشية لله ، وقد يكون حزناً على فراق المؤمن . روى ابن أبي حاتم ، عن ابن وهب ، أخبرني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : قال : عمرو ، يعني ابن دينار : إني ليلة أطوف بالبيت ، إذ سمعت حنين رجل بين الأستار والكعبة وبكائه وتضرعه ، فوقفت لأعرفه ، فذهب ليل وجاء ليل وهو كذلك حتى كاد يسفر فأنكشف الستور عنه ، فإذا هو طاووس رضى الله عنه ، فقال : من هذا ، عمرو ؟ قلت : نعم أمتع الله بك ، قال : متى وقفت ههنا ؟ ، قال : قلت : منذ طويل . قال : ما أوقفك ؟ قلت : سمعت بكاءك . فقال : أعجبك بكائي ^(١) ؟ ، قلت : نعم ، قال : وطلع القمر في حرف أبي قُبَيْس ^(٢) . قال : ورب هذه البنية ^(٣) إن هذا القمر ليبكى من

(١) « أعجبك بكائي » من « أعجبه الأمر : حمله على العجب منه ، وكسبه التعجب » انظر اللسان (عجب) .

(٢) في معجم البلدان : « أبو قبيس بلفظ التصغير ، كأنه تصغير قبس النار ، وهو اسم الجبل المشرف على مكة . . . قيل : سمى باسم رجل من مذحج كان يكنى أبا قبيس لأنه أول من بنى فيه قبة . . . وهو أحد الأخشين » . وانظر أيضاً : معجم ما استعجم ٣ / ١٠٤٠ ؛ الجبال والأمكنة والمياه للزخمرى ، ص ٧ ، ط . النجف ، ١٣٨١ / ١٩٦٢ .

(٣) في اللسان : « والبنية - على فعيلة - الكعبة لشرفها إذ هي أشرف مبني . . . وكانت تدعى بنية إبراهيم لأنه بناها ، وقد كثر قسمهم برب هذه البنية » .

خشية الله ولا ذنب له ، ولا يُسأل عما عمل ولا يحازى به ، فمعبت أن بكيتُ من خشية الله وأنا صاحب الذنوب ، وهذا القمر يبكي من خشية الله ، وقرأ ابن زيد : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ ﴾ [سورة الحج : ١٨] قال : فلم يستثن من هؤلاء أحداً حتى جاء ابن آدم استثناء فقال : ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ [سورة الحج : ١٨] ، قال : والذي كان هو أحق بالشكر هو أ كفرهم ، ثم قرأ : ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [سورة فاطر : ٢٧ ، ٢٨] قال : وكذلك اختلفوا في دينهم كما اختلف الأولون ^(١).

ولفظ « السجود » يستعمل في اللغة لخضوع الجامدات وغيرها ، كالبيت المعروف :

بِحَيْشٍ تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ تَرَى الْأَكْمَ فِيهِ سَجْدًا لِلْحَوَافِرِ ^(٢)

(١) انظر لهذا الخبر والذي قبله : الدر المنثور ٤/ ٣٤٨ .
(٢) في الأصل : بحيش تظل . والتصويب من المصادر المذكورة بعد . والبيت لزيد الجليل ، والرواية فيه مختلفة فهي تارة : بجمع ، وتارة : بحيش ، وفي الشطر الثاني : ترى الأكَم منه ، وفي رواية : فيها ، وفي ثالثة : منها . قال الأستاذ محمود محمد شاكر في تعليقه (تفسير الطبري ٢/ ١٠٤) أن البيت في : « الكامل ١/ ٣٥٨ » ، والمعاني الكبير : ٨٩٠ ، والأضداد لابن الأنباري : ٢٥٦ . وحامسة ابن الشجري : ١٩ ، ومجموعة المعاني : ١٩٢ وغيرها .
والباء في قوله « بجمع » متعلقة ببيت سالف هو :

بني عامرٍ هل تعرفون إذا غداً أبو مكنفٍ قد شدَّ عقد الدَّوَابِرِ؟

والبلق جمع أبلق وبلقاء : الفرس يرتفع تحجبها إلى الفخذين ، والمجرات جمع حجرة (بفتح فيكون) الناحية . والأكَم (بضم فسكون ، وأصلها بضمتين) جمع لإكام ، جمع أكمة ، وهي تل يكون أشد ارتفاعاً مما حوله ، دون الجبل ، غليظ فيه حجاره . قال ابن قتيبة في المعاني الكبير : يقول : إذا ضلت البلق فيه مع شهرتها فلم تعرف ، ففيها أخرى أن يضل . بصف كثرة الجيش ، ويريد أن الأكَم قد خشعت من وقع الحوافر . وورد البيت مرة ثانية في التفسير ٢/ ٢٤٢ (وانظر التعليق) .

السجود في
اللفظ

قال ابن قتيبة^(١): «حجراته جوانبه ، يريد أن حوافر الخيل قد بلغت الأكم ووطئتها حتى خشعت وانخفضت » .

قال ابن عطية في قوله: ﴿يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ [سورة النحل : ٤٨] :
وقالت فرقة منهم الطبري^(٢) عبر عن الخضوع والطاعة وميلان الظلال ودورانها^(٣) بالسجود ، كما يقال للمشير برأسه نحو الأرض على وجه الخضوع :
ساجد ، / ومنه قول الشاعر :

وكلتا هُما خَرَّتْ وَأَسْجَدَ رَأْسُهَا كَمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تَحْنَفِ^(٤)

﴿فصل﴾

وإذا كان كذلك فالله سبحانه ذكر في الرد قوله : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [سورة الرد : ١٥] فعم في هذه الآية ولم يستثن ، وقسم السجود إلى طوع وكره . وقال في الحج : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [سورة الحج : ١٨] .
وفي هذا «الكثير» قولان : أحدهما أنه لم يسجد فلماذا حُقق عليه العذاب ، كما تقدم عن طاووس ، وهو قول الفراء وغيره . والثاني : أنه سجد وحقق عليه العذاب ، فإنه ليس هو السجود المأمور به .

(١) في « تأويل مشكل القرآن » ص ٢٣٢ (ط . عيسى الحلبي) وليس فيه عبارة : «حجراته جوانبه» وفيه : « قد قلت الأكم » . وانظر تعليق الأستاذ السيد أحمد صقر .
(٢) انظر تفسير الطبري (بولاق) ١٤ / ٧٩ .
(٣) في الأصل : الظل ودورانها .

(٤) قال الأستاذ محمود محمد شاكر (تفسير الطبري ٢ / ١٤٤) أن البيت لأبي الأخرز الحناني ، وذكر أنه في سيبويه ٢ / ٢٩ ، ١٠٤ ، واللسان (حنف) . وقال في شرحه : « يصف ناقتين طأطأتا رءوسهما من الإغباء ، فشبه رأس الناقة في طأطأتها برأس النصرانية إذ طأطأته في صلاتها . وأسجد الرجل : طأطأ رأسه وخفضه وانحنى » .

قال أبو الفرج : « وفي قوله : ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ قولان : أحدهما : أنهم الكفار وهم يسجدون ، وسجودهم سجود ظلم ، قاله مقاتل . والثاني : أنهم لا يسجدون ، والمعنى : وكثير من الناس أبى السجود ويحق عليه العذاب لتركه السجود ، هذا قول الفراء . »

قلت : ذا قول الأكرين ، وقد ذكر البغوي^(١) في قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ الآية - قال : « قال مجاهد : سجودها تحول ظلها ، وقال أبو العالية : ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له ، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعته . » قال : « وقيل : سجودها بمعنى الطاعة ، فإنه مامن جماد إلا وهو مطيع لله خاشع له^(٢) مسبح له ، كما أخبر الله عز وجل عن السماوات والأرض : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [سورة فصلت : ١١] . وقال في وصف الحجارة : ﴿ وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَرْجُطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ٧٤] ، ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [سورة الإسراء : ٤٤] . »

قال : « وهذا مذهب حسن موافق لقول أهل السنة . »

قلت : قد تقدم قول الطبري وغيره بهذا القول ، فإذا كان السجود في هذه الآية ليس عامًّا وهو هناك عام ، كان السجود المطلق هو سجود الطَّوع . فهذه المذكورات تسجد تطوعاً هي وكثير من الناس ، والكثير الذي حقَّ عليه العذاب إنما يسجد كرهاً ، وحينئذ فالكثير الذي حق عليه العذاب لم يقل فيه إنه يسجد ولا نفى عنه كل سجود ، بل تخصيص من سواه بالذِّكر يدل

(١) في تفسيره ٥ / ٥٦٢ .

(٢) في تفسير البغوي : خاشع لله .

على أنه ليس مثله ، وحينئذ فإذا لم يسجد طائعا حصل فائدة التخصيص وهو مع ذلك يسجد كارهاً ، فكلما القولين صحيح . وكذلك قال طائفة من المفسرين - واللفظ للبقوى - قالوا ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ بكفرهم ^(١) وتركهم السجود ، وهم مع كفرهم تسجد ظلالم لله تعالى .

وقال في سورة النحل : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [سورة النحل : ٤٨ - ٥٠]
 قال : فلفظ « دابة » / إن لم يتناول بنى آدم ، فالإبل تسجد طوعاً ، وإن تناول بنى آدم فسجودهم طوعاً وكرهاً .

س ٢٨

﴿ فصل ﴾

والذين فسروا السجود بالخضوع والانقياد لهم في سجودها قولان ، أحدهما : أنه كونها مصنوعة مخلوقة منقادة لمشئة الله واختياره ، كما قالوا في تسبيحها مثل ذلك ، وأنه شهادتها ودلائلها على الخالق . قال أبو الفرج في قوله : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة الرعد : ١٥] : الساجدون على ضربين : أحدهما : من يعقل فسجوده عبادة . والثاني : من لا يعقل فسجوده بيان أثر الصنعة فيه والخضوع الذي يدل على أنه مخلوق ، هذا قول جماعة من العلماء واحتجوا باليبس المتقدم :

* ترى الأكم فيه سجداً للحوافر *

قال : وأما الشمس والقمر والكواكب فألحقها جماعة بمن يعقل ، قال

(١) في تفسير البغوى ٥ / ٥٦٣ « وهم الكفار لكفرهم » .

أبو العاليه : سجودها حقيقة مامنها غارب إلا خرّ ساجداً بين يدي الله عز وجل ثم لا ينصرف حتى يؤذن له . قال : ويشهد لقول أبي العاليه حديث أبي ذر ، وذكره . قال : وأما النبات والشجر فلا يخلو سجوده من أربعة أشياء ، أحدها : أن يكون سجوداً لنعلمه ، وهذا إذا قلنا برده فيها^(١) . والثاني : أنه تقيؤ ظلالة . والثالث : بيان الصنعة فيه . والرابع : الانقياد لما سخر له .

قلت : الثالث والرابع من نمط واحد وهو كالمقدم ، وأما السجود الذي لنعلمه فهو كما ذكره البغوي وقال البغوي أيضاً في قوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَلْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ٧٤] فإن قيل : الحجر لا يفهم فكيف يخشى؟! ، قيل : الله يفهمها ويلهمها فتخشى بإلهامه . قال : ومذهب أهل السنة أن الله علماً في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره ، ولها صلاة وتسبيح وخشية كما قال عز وجل : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ ، وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ ﴾ . الآية ، فيجب على المرء الإيمان به ويكلّ علمه إلى الله تعالى ، وذكر الحديث الصحيح عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىّ قبل أن أبعث ، وإني لأعرفه الآن^(٢) ، وذكر حديث حنين الجذع ، وطرقه صحاح مشهورة^(٣) . وروى عن السدي ،

(١) برده فيها : كذا بالأصل .

(٢) الحديث في مسلم ٧ / ٥٨ - ٥٩ (كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل النبوة) . وذكره الطبري في تفسيره ٢ / ٢٤١ / (ط . المعارف) (وانظر التعليق) . وهو في مسند جابر بن سمرة رضي الله عنه في المسند (ط . الحلبي) ٥ / ٨٩ ، ٩٥ ، ١٠٥ ؛ مسند الدارمي ١ / ١٢ .

(٣) روى البخاري في صحيحه ٥ / ١٩٥ (كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام) عن ابن عمر رضي الله عنهما : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فن الجذع فأثاه ففسح يده عليه » ورواه من طرق أخرى عنه وعن جابر =

عن أبي عباد بن [أبي] يزيد^(١) عن علي قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في نواحيها خارجا من مكة بين الجبال والشجر ، فلم يمر بشجرة ولا جبل إلا قال : السلام عليك يا رسول الله^(٢) . وقال : قال مجاهد : لا ينزل حجر من أعلى إلى أسفل إلا من خشية الله . وبشهادة لما قلنا قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [سورة الحشر : ٢١] .

قلت : وأما تفسير سجودها وتسبيحها بنفوذ مشيئة الرب وقدرته فيهما ودلالاتها على الصانع فقط فالإقتصار على هذا باطل ، فإن هذا وصف لازم دائم لها لا يكون في وقت دون وقت ، وهو مثل كونها مخلوقة محتاجة فقيرة إلى الله تعالى ، وعلى هذا فالمخلوقات كلها لا تزال ساجدة مسبحة ، وليس المراد هذا فإنه قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشَىٰ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ [سورة ص : ١٨] ، وقال : ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ [سورة ص : ١٩] ، وقال : ﴿ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ [سورة النور : ٤١] ، فقد أخبر سبحانه وتعالى عنه أنه يعلم ذلك ، ودلالاتها على الرب يعلمه عموم الناس .

وأيضا فقد أخبر الله تعالى في القرآن من كلام الهدهد والنمل ، وأن سليمان

رضي الله عنهما . والحديث مروي في سنن الترمذي (بشرح ابن العربي) ١٣ / ١١١ (كتاب المناقب ، باب حدثنا عباد بن يعقوب الكوفي) وعن أنس بن مالك وأبي وجابر وغيرهم . وهو في السند (ط . المعارف) عن ابن عباس وأنس وابن عمر رضي الله عنهم . انظر الأرقام ٢٢٣٦ ، ٢٢٣٧ ، ٢٤٠٠ ، ٢٤٠١ ، ٢٤٣٠ ، ٢٤٣٢ ، ٥٨٨٦ . وانظر تفسير الطبري ٢ / ٢٤١ ؛ البداية والنهاية ٦ / ١٢٥ - ١٣٢ ؛ فتح الباري ٦ / ٤٤٣ . (١) في الأصل : عباد بن يزيد . والتصويب من سنن الترمذي . وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٥ / ١٠٩ . وقال روى عن علي وفيه لإسماعيل السدي . وروى له الترمذي حديثا واحدا واستغربه .

(٢) الحديث بمعناه في : الترمذي (بشرح ابن العربي) ١٣ / ١١١ (كتاب المناقب ، باب حدثنا عباد بن يعقوب الكوفي) وقال : « هذا حديث غريب . وقال : عن عباد بن أبي يزيد » ؛ سنن الدارمي ١ / ١٢ .

عَلَّمَ منطق الطير بما يدل على الاختصاص ، وهذا في الحيوان .
 وأيضاً فإنه جعل الجميع يسجد ثم قال : ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ [سورة الحج : ١٨] وهذا المعنى يشترك فيه جميع المخلوقات دائماً ، وهو وصف لازم لكل مخلوق : لا يزال مفتقراً إلى الخالق ، ولا يزال دالاً عليه ، ولا يزال منقاداً لما يشاء الرب .

وأيضاً فإنه قسم السجود إلى طوع وكره ، وانفعالها لمشئته الرب وقدرته لا ينقسم إلى طوع وكره ، ولا يوصف ذلك بطوع منها ولا كره ، فإن دليل فعل الرب فيها ، ليس هو فعل منها ألبتة .

والقرآن يدل على أن السجود والتسبيح أفعال لهذه المخلوقات ، وكون الرب خالقاً لها إنما هو كونها مخلوقة للرب ليس فيه نسبة أمر إليها ، يبين ذلك أنه خصّ الظل بالسجود بالغدو والآصال ، والظل - متى كان وحيث كان - مخلوق مربوب ، والله تعالى جعل الظلمات والنور ، والقول الذي ذكره البغوي أقرب من القول الذي ذكره أبو الفرج ، وهو سبحانه تارة يجعلها آيات له ، وتارة يجعلها ساجدة مسبحة ، وهذا نوع غير هذا .

وعلى هذا القول : الجميع واحد ، ليس في كونها ساجدة مسبحة إلا كونها آية دالة وشاهدة للخالق تعالى بصفاته لكونها مفعولة له ، وهذا معنى ثابت في المخلوقات كلها لازم لها ، وهي آيات للرب بهذا الاعتبار ، وهي شواهد ودلائل وآيات بهذا الاعتبار ، لكن ذاك معنى آخر كما يفرق بين كون الإنسان مخلوقاً وبين كونه عابداً لله ، فهذا غير هذا ، هذا يتعلق بربوبية الرب له ، وهذا يتعلق بتأله وعبادته للرب .

والبيت الذي استشهدوا به وهو قوله :

* ترى الأكم فيها سجداً للحوافر *

فإنما ذكر سجود الأكم للحوافر ، وذلك خضوعها وانخفاضها لها ، فهذا خضوع جهاد لجماذ ، ولا يلزم أن يكون سائر أنواع الخضوع مثل هذا ، وإنما يشترك في نوع الخضوع ، وليس خضوعُ المخلوقات للخالق مثل هذا ، وإن قيل : هو انفعالها لمشيئته وقدرته ، بل ذاك نوع أبلغ من هذا ، فلا يجب أن يكون سجودها بغير خضوع منها وطاعة ، ولكن هذا البيت يقتضى أنه لا يجب أن يكون سجودُ كلِّ شيء وضع رأسه بالأرض ، وهذا حق ، بل هو خضوع للرب يناسب حاله ، وقد قيل لسهل بن عبد الله : أيسجد القلب ؟ قال : نعم ، سجدة لا يرفع رأسه منها أبداً . وأهل الجنة في الجنة قد ألهموا التسبيح كما ألهموا النفس في الدنيا ، وكما يلهم أهل الدنيا النفس وهم خاضعون للرب مطيعون له ، وليس هناك سجود بوضع رأس في الأرض ، فهذا أمر به في الدنيا لحاجة النفس إليه في خضوعها لله تعالى ، فلا تكون خاضعة إلا به ، بخلاف حالها في الجنة فإنها قد زكت وصلحت .

آخره ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً^(١) .

(١) كتب أسفل هذا الكلام : « بلغ مقابلة » .

رِسَالَةٌ فِي لَفْظِ السُّنَّةِ فِي الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين ، وعليه التكلان

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وسلم تسليما .
ما بعد ، فهذا :

﴿ فصل ﴾

لفظ السنن
في مواضع
من القرآن

اعلم أنه قد ذكر الله تعالى لفظ سننه في مواضع من كتابه فقال تعالى :
﴿ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾
[سورة الإسراء : ٧٧] ، وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا
فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾
[سورة الأحزاب : ٣٨] ، وقال تعالى في آخر السورة : ﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا
أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا * سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ
تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٦١ ، ٦٢] .

وقال : ﴿ قَهْلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا
وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [سورة طه : ٤٣] .

وقال : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾
[سورة غافر : ٨٥] .

وقال : ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا الْأَذْكَارُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ
تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الفتح : ٢٢ ، ٢٣] .

وقال تعالى ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ [سورة آل عمران : ١٣٧] ^(١) .
 وقال تعالى : ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الكهف : ٥٥] .

فهذه كلها تتعلق بأوليائه : كطيعيه وعصاته ، كالمؤمنين والكافرين ؛
 فسنته في هؤلاء ، إكرامهم ، وسنته في هؤلاء إهانتهم وعقوبتهم .

سنته نصره
 أوليائه وإيمانه
 أعدائه

فأما الأولى ^(٢) فإنها تتعلق بالرسول لأنه لا حرج عليهم فيما فرض الله تعالى
 لهم ، وهذا كقوله تعالى : ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾
 [سورة التحريم : ٢] ، والمفروض هنا مباح مقدر محدود مثل إباحة زوجة المتبني
 بعد أن قضى منها وطراً وطلقها ، لا بأن تؤخذ ^(٣) منه بغير اختياره ، وقد قال
 تعالى : ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾
 [سورة الأحزاب : ٥٠] ، أي أوحينا وحررنا قبل .

الآية الأولى

وهنا المراد به سنته في رسوله : أنه أباح لهم الأزواج وغيرها ، كما قال :
 ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [سورة الرعد : ٣٨] ،
 وأنه لا حرج عليهم في ذلك ، فلم يكن محمد صلى الله عليه وسلم يدعاً من الرسل ،
 ولم يقل هنا : ولن تجد لسنننا تبديلاً ، فإنه لا نبي بعد محمد .

والأربعة البواقي تتضمن عقوبة الكفار والمنافقين ، فالأولى ^(٤) : قوله :

الأربعة البواقي :

(١) الآية بتمامها : ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَاسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ .

(٢) في الأصل : الأول . والكلام هنا عن الآية ٣٨ سورة الأحزاب .

(٣) في الأصل : يؤخذ .

(٤) في الأصل : فالأول . والإشارة فيما يلي من الكلام إلى الآية ٧٦ من سورة

الأنعام وهي قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ
 مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهي التي تسبق آية ٧٧ من سورة
 الأنعام التي ذكرها أولاً .

الاولى إنهم لو استفزوه فأخرجوه لم يلبثوا خلفه إلا قليلا كسنة من أرسل قبله من الرسل ؛ فإما أن يُقال : وقع هذا الإخراج بالمجرة ولم يلبثوا خلفه إلا قليلا ، وهو ما أصابهم يوم بدر ، وإما أن يقال : لم يقع .

الثانية : قوله : ﴿ لَنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ الآية [سورة الأحزاب : ٦٠] ^(١) ، كما أصاب من قبلهم من أهل الكتاب ، فإن الله أخرجهم ، فإن لم ينته غي^(٢) هؤلاء ، بل أظهروا الكفر كما أظهره أولئك - أخرجناهم كما أخرجناهم / بخلاف ما إذا كتموه .

س ٦٥

وهذه السنة تتضمن أن كل من جاور الرسول صلى الله عليه وسلم متى أظهر مخالفته مكن الله الرسول من إخراجة . وهذه في أهل العهد والمنافقين ، وقد يقال : هي لم مع المؤمنين أبداً .

الثالثة : في أهل المكر السيئ ، وأن سنة الله أن ينصر رسله والذين آمنوا على أعدائهم وينتقم منهم . وقال هنا : ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ ^(٣) .

الرابعة : في حال الكفار مع المؤمنين ^(٤) .

الرابعة

(١) الآية بتمامها : ﴿ لَنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُفَرِّقَنَّ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

(٢) الكلمة في الأصل مطموسة وكذا استظهرتها .

(٣) الكلام يتضح هنا إذا أوردنا الآيتين ٤٢ ، ٤٣ من سورة فاطر بتمامها . يقول

تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيْسَ كَوْنُ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُممِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نفورا * استكباراً في الأرض ومكر السيئ ولا يحيطُ المكرُ للسيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾ .

(٤) السنة الرابعة هي التي ذكر أمثلة لها الآيات : ٨٥ من سورة غافر ؛ ٢٢ ، ٢٣

من سورة الفتح ؛ ١٣٧ من سورة آل عمران ؛ ٥٥ من سورة الكهف .

السنن المتعلقة
بالأمور الطبيعية
ينقضها الله
إذا شاء

وهذه السنن كلها سنن تتعلق بدينه وأمره ونهيه ووعدته ووعيده ، وليست هي السنن المتعلقة بالأمور الطبيعية كسنته في الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من العادات ، فإن هذه السنة ينقضها إذا شاء بما شاء من الحكم : كما حبس الشمس على يوشع ، وكما شق القمر لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وكما ملأ السماء بالشهب ، وكما أحيا الموتى غير مرة ، وكما جعل العصا حيّةً ، وكما أنبع الماء من الصخرة بعضاً ، وكما أنبع الماء من بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر بعض هذه الآيات السهروردى في المنقول في « الألواح العبادية » وفي « المبدأ والمعاد »^(١) محتجاً بها على ما يقوله هو وأمثاله من المتفلسفة : أن العالم لم يزل ولا يزال هكذا ، بناء على أن هذه سنة الرب عز وجل وعادته وهي لا تبدل [لها]^(٢) ، إذ كان عندهم ليس فاعلاً بمشيئته واختياره ، بل موجب بذاته .

فيقال لهم : احتجاجكم على هذا بالقرآن في غاية الفساد ، فإن القرآن يصرح بنقيض مذهبكم في جميع المواضع ، وقد علم بالاضطرار أن ما يقولونه مخالف لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاحتجاجكم بهذا أفسد من احتجاج النصارى على أن محمداً شهد بأن دينهم بعد النسخ والتبديل حق بآيات من القرآن حرّفوها عن مواضعها ، قد تكلمنا عليها في « الجواب الصحيح لمن بدّل

(١) في الأصل : « في الألواح العبادية في المبدأ والمعاد » . وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته ، فإن للسهروردى كتاباً بعنوانه « الألواح العبادية » في العلوم الحكيمة ومصطلحاتها (وقد ألفه إجابة لطلب الملك عماد الدين قره أرسلان بن داود) ، وآخر بعنوان « المبدأ والمعاد » .

انظر ما ذكره الأستاذ الدكتور محمد مصطفى حلمي في مقالة : آثار السهروردى المقتول ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول (القاهرة) ، مايو سنة ١٩٥١ م . وانظر له أيضاً : التعليق على مقالة « السهروردى » في دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) لها : زيادة ينقضها السياق .

دين المسيح»^(١) فإن النصارى وإن كانوا كفاراً بتبديل الكتاب الأول وتكذيب الثانى ، فهم خير منكم من وجوه كثيرة ، فإنهم يقولون بالأصول الكلية التى اتفقت عليها الرسل ، وإن كانوا حَرَفُوا بعض ذلك ، كالإيمان بأن الله خالق كل شىء ، وأنه بكل شىء عليم وعلى كل شىء قدير ، والإيمان بملائكته ورسله واليوم الآخر والجنة والنار وغير ذلك مما تكذبون أنتم به .

الأدلة على ذلك

وأما بيان الدلالة فمن وجوه :

أحدها : أن يُقال : العادات الطبيعية ليس للرب فيها سنة لازمة ، فإنه الأول قد عُرف بالدلائل اليقينية أن الشمس والقمر والكواكب مخلوقة بعد أن لم تكن ، فهذا تبديل وقع . وقد قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٨] .

والثانى أيضاً ، فقد عُرف انتقاض عامة العادات ، فالعادة فى بنى آدم ألاَّ يخلقوا إلا من أبوين ، وقد خلق المسيح من أم ، وحوّاء من أب ، وآدم من غير أم ولا أب ، / وإحياء الموتى متواتر مرات مُتعدّدة^(٢) ، وكذلك تكثير الطعام والشراب لغير واحد من الأنبياء والصالحين عليهم السلام .

والثالث أيضاً ، فعندكم تفسّيرات وقعت فى العالم كالطوفانات الكبار فيها تغيير العادة .

وهذا خلاف عادته التى وعد بها وأخبر أنها لا تتغير لنصرة أوليائه وإهانة أعدائه ، فإن هذا علم بخبره وحكمته .

أما خبره فإنه أخبر بذلك ووعد به ، وهو الصادق الذى لا يخلف الميعاد ،

(١) كتاب « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » ، ويسمى أحياناً « الرد على النصارى » يقع فى ٤ أجزاء ، وقد طبع بمطبعة النيل سنة ١٣٢٣ / ١٩٠٥ ، وطبع مرة ثانية بمطبعة المدنى سنة ١٣٧٩ / ١٩٥٩ .
(٢) فى الأصل : معددة .

وهذا يوافق طرق جميع طوائف أهل الملل ، ويقولون : مقتضى حكمته أن يكون العاقبة والنصر لأوليائه دون أعدائه ، كما قد بسط ذلك في مواضع .

وأما الأمور الطبيعية فإما أن تقع بمحض المشيئة على قول ، وإما أن تقع بحسب الحكمة والمصلحة على قول . وعلى كلا التقديرين فتبديلها وتحويلها ليس ممتنعاً كما في نسخ الشرائع وتبديل آية بآية ، فإنه إن علق الآية بمحض المشيئة فهو يفعل ما يشاء ، وإن علقها بالحكمة مع المشيئة ، فالحكمة تقتضى (١) تبديل بعض ما في العالم ، كما وقع كثير من ذلك في الماضي وسيقع في المستقبل ؛ فعلم أن هذه السنن دينيات لا طبيعيات .

ولكن في قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ حجة للجمهور القائلين بالحكمة ، فإن أصحاب المشيئة المجردة يجوزون نقض كل عادة ، ولكن يقولون : إنما نعلم ما يكون بالخبر .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ دليل على أن هذا من مقتضى حكمته ، وأنه يقضى في الأمور المتماثلة بقضاء متماثل لا بقضاء مخالف (٢) ، فإذا كان قد نصر المؤمنين لأنهم مؤمنون كان هذا موجباً لنصرهم حيث وجد هذا الوصف ، بخلاف ما إذا عصوا ونقضوا إيمانهم كيوم أحد فإن الذنب كان لهم ، ولهذا قال : ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ فعم كل سنة له ، وهو يعم سنته في خلقه وأمره ، في الطبيعيات والدينيات .

لكن الشأن أن تُعرف (٣) سنته ، وحقيقة هذا أنه إذا نقض العادة فإنما ينقضها لاختصاص تلك (٤) الحال بوصف امتازت به عن غيره ، فلم تكن سنته

سنته تعالى مطردة
في الدينيات
والطبيعيات

نقض العادة
لاختصاص معين

(١) في الأصل : يقتضى .

(٢) في الأصل : وأنه يقضى في الأمور المتماثلة مقضى متماثل لا يقضى مخالف .

(٣) في الأصل : يعرف ، وهو جائز .

(٤) في الأصل : ذلك .

مع ذلك ، والاختصاص بسنته مع عدمه ، كما نقول إذا خُصَّت العلة لفوات شرط أو وجود مانع ، وكما نقول^(١) في الاستحسان الصحيح ، وهو تخصيص بعض أفراد العام بحكم يختص به لامتيازاه عن نظائره بوصف يختص به .

والسُّنَّة هي العادة في الأشياء المتماثلة ، و « سُنَّة » هنا تجرى على « سَنَة » ، السنة هي العادة هذا في الاشتقاق الأكبر ، و « السَّنَّة » من هذا الباب ، سواء كان أصله « سَنَوَة » أو « سَنَهَة » وهما لغتان في السَّنَة^(٢) .

و « السنن » و « أسنان المشط » ونحو ذلك بلفظ « السُّنَّة » يدل على التماثل ، فإنه سبحانه إذا حكم في الأمور المتماثلة بحكم / فإن ذلك لا ينتقض ولا يتبدل ولا يتحول ، بل هو سبحانه لا يُفَوِّت بين التماثلين ، وإذا وقع تغيير فذلك لعدم التماثل ؛ وهذا القول أشبه بأصول الجمهور القائلين بالحكمة في الخلق والأمر ، وأنه سبحانه يسوّى بين التماثلين ويفرّق بين المختلفين ، كما دلّ القرآن على هذا في مواضع كقوله تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ [سورة القلم : ٣٥] .

ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا ، ولولا القياس واطراد فعله وسنته لم يصح الاعتبار بها . والاعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره ، كالأمثال المضروبة في القرآن ، وهي كثيرة .

وذكر لفظ التبديل والتحويل كقوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [سورة الإسراء : ٥٦] ، فالتبديل أن تُبدّل بخلافه ، والتحويل أن تحوّل من محلّ إلى محلّ^(٣) ،

(١) في الأصل : وكما يقول .

(٢) في الأصل : « وسنة هذا تجرى على سنة هذا في الاشتقاق الأكبر والسنة من هذا الباب سواء كان أصله سنوه أو سنهه وهي لغتان في السنة » . وأرجو أن يكون ما أثبتته مبيناً للمقصود .

(٣) في الأصل : عمل .

مثل استفزازه من الأرض ليخرجوه فإنهم لا يلبثون خلفه إلا قليلا ، ولا تتحول هذه السنة بأن يكون هو المخرج وهم اللابثون ، بل متى أخرجوه خرجوا خلفه ، ولو مكث لكان هذا استصحاب حال ، بخلاف ظهور الكفار فإنه كان تبديلا لظهور المؤمنين وظهور الكفار إذ كان لابد من أحدهما .

وأما أهل المكر السيئ والكفار فهي سنة تبديل ، لابد لهم من العقوبة لا يبدلون بها غيرها ولا تتحول^(١) عنهم إلى المؤمنين ، وهو وعيد لأهل المكر السيئ أنه لا يحيق إلا بأهله ولن يتبدلوا به خيرا : يتضمن نفيا وإثباتا ، فلهذا نفى عنه التبديل والتحويل .

﴿ فصل ﴾

والقرآن قد دلَّ على هذا الأصل في مواضع كقوله : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٤٧] ، وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنْ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [سورة هود : ١٠٢] ، وقوله : ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّتِكُمْ ﴾ [سورة القمر : ٤٣] . ومنه قوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة يوسف : ١١١] ، وقوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئْتَيْنِ الثَّقَاتِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٣] إلى قوله : ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٣] .

﴿ فصل ﴾

وقد أخبر سبحانه أنه تارة يعاقبهم عقاب السراء وتارة يعاقبهم عقاب

(١) في الأصل : ولا يتحول .

الضراء إذا لم يتضرعوا، فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ مُبْسِلُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٧٦ - ٧٧] فهذا أخبر أنهم بالعذاب الأدنى ما استكانوا وما تضرعوا حتى أخذهم بالإهلاك كما قال : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة السجدة : ٢١] ، وقال : ﴿ أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [سورة التوبة : ١٢٦] ، والضمير يكون عائداً على الذين لا يؤمنون بالآخرة .

وقال في سورة الأنعام : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٤٢ - ٤٥] . هذه نظيرها في الأعراف في قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ الآيات [سورة الأعراف : ٩٤ - ٩٥] ، فقد ذمهم أنهم لم يتضرعوا لما أخذهم بالبأساء والضراء / فإنه بعد هذا بدّل الحالة السيئة بالحالة الحسنة فلم يطيعوا فأخذهم بالعذاب بفتة ، فهذا أخذهم أولاً بالضراء ليضرّعوا فلم يتضرعوا ، فابتلاه الله بالسراء ليطيعوا فلم يطيعوا ، فأخذهم بالعذاب . وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحُسْنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٨] ، فهؤلاء ابتلوا بالضراء أولاً ثم بالسراء ثانياً^(١) . وقد أخبر أنه ما أرسل في قرية من نبي إلا كانوا هكذا .

(١) فكرة ابن تيمية هنا لا تتضح تماماً إلا إذا ذكرنا الآيات بتامها ، ففي سورة الأنعام : (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون * فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يسمعون * فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بفتة فإذا هم مبسلون * فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) . وفي سورة الأعراف : (وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون * ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بفتة وهم لا يشعرون) .

وهذا كما ذكره سبحانه في حال قوم فرعون وغيرهم ، وهذا ذم لمن لم يستقم لافي الضراء ولا في السراء ، لاذعاً بالضراء ولا بالسراء ، ولا تضرع في الضراء ، ولا شكر ولا آمن في السراء ؛ ابتلاهم بالحسنات : وهي النعم ، والسيئات : وهي المصائب ، فما أطاعوا لافي هذا ولا في هذا .

وأما آية المؤمنين فأمرائهم^(١) لم يستكينوا ولم يتضرعوا حتى فتَح عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون . وهؤلاء قد يكون تقدم لهم ابتلاء بالحسنات أولاً ، فإنه قال في أول الكلام : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [سورة المؤمنون : ٥١] إلى قوله : ﴿ أَلَيْسَ بَيْنَهُمْ نَارٌ أَلَيْسَ بَيْنَهُمْ نَارٌ ﴾ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجَارُونَ ﴾ [الآية : ٦٤] إلى قوله : ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّنْ ضُرٍّ لَّلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ * وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ ﴾ [الآيتان : ٧٥ ، ٧٦] .

فهؤلاء كانوا في حالة حسنة فلما^(٢) لم يتقوه أخذ مترفيهم بالعذاب ، ثم أخذهم بالعذاب ليتضرعوا ، فلما لم يتضرعوا^(٣) ابتلاهم بالحسنات أولاً ، فلما لم يتقوه استحقوا العذاب ؛ فيعتبر الفرق بين هؤلاء وهؤلاء .

آخره ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وسلم تسليمًا .

(١) في الأصل : فأمرائهم .

(٢) في الأصل : فما .

(٣) في الأصل : فلم يتضرعوا .

رسالة في قصة شعيب عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

س ١

أما بعد ، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى قصة شعيب النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضع من كتابه وإرساله إلى أهل مدين ، وقال في موضع آخر : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ١٧٦] ، فأكثر الناس يقولون : إنهم أهل مدين ، ومن الناس من يجعلها قصتين .

شيخ مدين
لم يكن شعيباً

وذكر في قصة موسى أنه : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ الآية [سورة القصص : ٢٣] إلى آخر القصة . فموسى عليه السلام قضى أكل الأجلين ، ولم يذكر عن هذا الشيخ أنه كان شعيباً ولا أنه كان نبياً ، ولا عند أهل الكتابين أنه كان نبياً ، ولا نقل^(١) عن أحد من الصحابة أن هذا الشيخ الذي صاهر موسى كان شعيباً النبي : لا عن ابن عباس ولا غيره ، بل المنقول عن الصحابة أنه لم يكن هو شعيب .

قال سُنَيْدُ بن داود البخاري في تفسيره^(٢) بإسناده عن ابن عباس

(١) في الأصل : ولا يقل ، وهو تحريف .

(٢) أبو علي سنيد (الحسين) بن داود المصيصي الحنسي الحافظ . قال الذهبي في تذكرة الحفاظ : « اسمه الحسين كان أحد أوعية العلم ... مات سنيد سنة ست وعشرين ومائتين . وفتت على تفسيره » . وانظر ترجمة سنيد في : تذكرة الحفاظ ٢/٤٥٩-٤٦٠ ؛ ميزان الاعتدال ٢/٢٣٦ ؛ تقريب التهذيب ١/٣٣٥ .

قال : اسمه يثرى . قال حجاج^(١) وقال غيره : يثرون . وعن شعيب الجبائي^(٢) أنه قال : اسم الجاريتين لثا وصُفُورَه^(٣) . وامرأة موسى صُفُورَه ابنة يثرون كاهن مدين ، والكاهن الخبر . وفي رواية عن ابن عباس أن اسمه يثرون أو يثرى .

وقال ابن جرير^(٤) : اسم إحدى^(٥) الجاريتين لثا ، ويقال : شرفا ، والأخرى صفورة . وقال أيضاً : وأما أبوها فختلف في اسمه ، فقال بعضهم : اسمه يثرون . وقال ابن مسعود : الذي استأجر موسى ابن أخى شعيب يثرون . وقال أبو عبيدة : هو يثرون ابن أخى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : اسمه يثرى . وهو منقول عن ابن عباس .

وقال الحسن : يقولون : هو شعيب النبي ، لا ، ولكنه سيد أهل الماء يومئذ .

قال ابن جرير : « وهذا لا يدرك علمه إلا بنحبر عن معصوم ، ولا خبر في ذلك »^(٦) .

(١) هو أبو محمد حجاج بن محمد الأعور المتوفى سنة ٢٠٦ . قال ابن سعد : « وكان ثقة صدوقاً إن شاء الله ، وكان قد تغير في آخر عمره حين رجع إلى بغداد » . انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٣٣٣/٧ ، ٤٨٩ ؛ الجرح والتعديل ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٦٦ .

(٢) رسم الاسم في الأصل : « شعيب الجبائي » . وهو شعيب الجبائي ، وكذا ورد اسمه في : تفسير الطبري (ط . بولاق) ٢٠ / ٢٩ ؛ تفسير ابن كثير ٣ / ٣٨٥ ؛ اللؤلؤ ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل ١ / ٦٩ - ٧٢ . وقال عنه ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل ج ٢ ، ق ١ ، ص ٣٥٣) : « يمانى يروى عن الكتب . روى عنه سلمة بن وهرام ، سمعت أبي يقول ذلك . قال أبو محمد : هو شعيب بن الأسود » .

(٣) صفوره : كذا في الأصل ، والذي في تفسير الطبري ٢٠ / ٣٩ ، ٤٠ ؛ وفي تفسير ابن كثير ٣ / ٣٨٥ ؛ وفي الدر المنثور ٥ / ١٢٥ : « صفورا » . وأورد السيوطي في الدر المنثور ٥ / ١٢٦ رواية أخرى جاء فيها : صفيرا .

(٤) انظر تفسير الطبري (ط . بولاق) ٢٠ / ٣٩ ، ٤٠ .

(٥) في الأصل : أحد .

(٦) الذي في تفسير الطبري ٢٠ / ٤٠ : « وهذا مما لا يدرك علمه إلا بنحبر ، ولا خبر بذلك تجب حجته » .

وقيل : اسمه أثرون^(١) .

فهذه كتب التفسير التي تروى بالأسانيد للعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لم يذكر فيها عن أحد أنه شعيب النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن نقلوا بالأسانيد الثابتة عن الحسن البصري أنه قال : « يقولون إنه شعيب وليس بشعيب ، ولكنه سيد الماء يومئذ »^(٢) .

فالحسن يذكر أنه شعيب عن لا يعرف ، ويرد عليهم ذلك ، ويقول : ليس هو شعيب .

وإن كان الثعلبي قد ذكر أنه شعيب فلا يلتفت إلى قوله ، فإنه ينقل الفث والسمين . فمن جزم بأنه شعيب النبي فقد قال ما ليس له به علم وما لم ينقل / عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا عن يمتج بقوله من علماء المسلمين ، وخالف في ذلك ماثبت عن ابن عباس والحسن البصري ، مع مخالفته أيضا لأهل الكتابين فإنهم متفقون على أنه ليس هو شعيب النبي ، فإن مافي التوراة التي عند اليهود والإنجيل الذي عند النصارى أن اسمه يثرون ، وليس لشعيب النبي عندهم ذكر في التوراة .

وقد ذكر غير واحد من العلماء أن شعيباً كان عربياً ، بل قدرؤى عن أبي ذر مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم - رواه أبو حاتم وغيره - أن شعيباً كان عربياً ، وكذلك هود وصالح ، وموسى كان عبرانياً ، فلم يكن يعرف لسانه^(٣) ،

(١) في الدر المنثور ١٢٦/٥ : « وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال : كان صاحب موسى عليه السلام أثرون ابن أخى شعيب عليه السلام » .

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور ١٢٦/٥ : « وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن رضى الله عنه قال : يقول ناس إنه شعيب وليس بشعيب ولكنه سيد الماء يومئذ » . وأخرجه الطبري في تفسيره ٤٠/٢٠ .

(٣) في الأصل : بلسانه .

وظاهر القرآن يدل على مخاطبة موسى للمرأتين وأبيهما بغير ترجمان .

وإنما شبهة من ظن ذلك أنه وجد في القرآن قصة شعيب وإرساله إلى أهل مدين ، ووجد في القرآن مجيء موسى إلى مدين ومصاهرته لهذا ، فظن أنه هو .
والقرآن يدل أن الله أهلك قوم شعيب بالظَّلَّة ، فحينئذ لم يبق في مدين من قوم شعيب أحد ، وشعيب لا يقيم بقرية ليس بها أحد . وقد ذكروا أن الأنبياء كانوا إذا هلكت أممهم ذهبوا إلى مكة فأقاموا بها إلى الموت ، كما ذكر أن قبر شعيب بمكة ، وقبر هود بمكة ، وكذلك غيرها .

وموسى لما جاء إلى مدين كانت معمورة بهذا الشيخ الذى صاهره ، ولم يكن هؤلاء قوم شعيب المذكورين^(١) في القرآن ، بل ومن قال : إنه كان ابن أخى شعيب أو ابن عمه لم ينقل ذلك عن ثبت ، والنقل الثابت عن ابن عباس لا يعارض بمثل قول هؤلاء .

وما يذكرونه في عصا موسى ، وأن شعيباً أعطاه إياها ، وقيل : أعطاه إياها هذا الشيخ ، وقيل : جبريل . وكل ذلك لا يثبت .

وعن أبي بكر - أظنه الهذلى - قال : سألت عكرمة عن عصا موسى ، قال : هى عصا خرج بها آدم من الجنة ، ثم قبضها بعد ذلك جبريل فلقى بها موسى ليلاً فدفعها إليه .

وقال الشدى في تفسيره المعروف : أمر أبو المرأتين ابنته أن يأتى موسى بعصا ، وكانت تلك العصا استودعها مَلَكٌ في صورة رجل ، إلى آخر القصة ، استودعها إياها مَلَكٌ في صورة رجل ، وأن حماه^(٢) خاصمه ، وحكماً بينهما رجلاً ،

(١) في الأصل : المذكورون ، وهو خطأ .

(٢) في الأصل : حموه ، وهو خطأ .

وأن موسى أطلق حملها دون حميه^(١) ، وذكر عن موسى أنه أحق بالوفاء من حميه^(١) .

ولو كان هذا هو شعيبا النبي لم ينازع موسى ، ولم يندم على إعطائه إياها ، ولم يحاكمه . ولم يكن موسى قبل أن يُنبأ أحق بالوفاء منه ، فإن شعيباً كان نبياً / وموسى لم يكن نبياً ؛ فلم يكن موسى قبل أن يُنبأ أكمل من نبي ، وما ذكره
زيد من أنه كان يعرف أن موسى نبي : إن كان ثابتاً ، فالأخبار والرهبان كانت عندهم علامات الأنبياء ، وكانوا يخبرون بأخبارهم قبل أن يبعثوا ، والله سبحانه أعلم .

﴿ فصل ﴾

وأما شياع^(٢) كون حمى^(٣) موسى شعيباً النبي عند كثير من الناس الذين لا خبرة لهم بمقائق العلم ودلائله وطرقه السمعية والعقلية ، فهذا مما لا يغتر به عاقل ، فإن غاية مثل ذلك أن يكون منقولاً عن بعض المنتسبين إلى العلم ، وقد خالفه غيره من أهل العلم . وقول العالم الذى يخالفه نظيره ليس حجة ، بل يجب رد ما تنازعا فيه إلى الأدلة .

ومثال ذلك ما ذكره بعضهم ، أو كثير منهم ، من أن الرسل المذكورين فى سورة يس هم من حوارى المسيح عليه السلام ، وأن حبيب النجار آمن بهم . وهذا أمر باطل عند أجلاء علماء المسلمين وعند أهل الكتاب ، فإن الله قد أخبر عن هذه القرية التى جاءها المرسلون أنه قد أهلك أهلها فقال تعالى : ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيَّحَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ [الآية : ٢٩] .

(١) فى الأصل فى الموضعين : حموه ، وهو خطأ .

(٢) فى اللسان : « شاع الشيب شيما وشياعا (بكسر الشين) وشيعانا وشيعوا وشيعوعة ومشيعا : ظهر وتفرق » .

(٣) فى الأصل : حمو ، وهو خطأ .

وأنطاكية لما جاءها اثنان من الحواريين بعد رفع المسيح آمنوا بهما ، وهى أول مدينة اتبعت المسيح ، ولم يهلكهم الله بصد المسيح باتفاق المسلمين وأهل الكتاب ، فكيف يجوز أن يُقال : هؤلاء هم رسل المسيح ؟ !

وأيضاً ، فإن الذين أتوهم كانوا اثنين من الحواريين ، وأهل الكتاب معترفون بذلك ، ولم يكن حبيب النجار موجوداً حينئذ ، بل هؤلاء رسل أرسلهم الله قبل المسيح ، وأهلك أهل تلك القرية - وقد قيل : إنها أنطاكية - وآمن حبيب بأولئك الرسل . ثم بعد هذا عمرت أنطاكية وجاءتهم رسل المسيح بعد ذلك .

والحواريون ليسوا رسل الله عند المسلمين ، بل هم رسل المسيح ، كالصحابة الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يرسلهم إلى الملوك . ومن زعم أن هؤلاء حواريون^(١) فقد جعل للنصارى حجة لا يُحسَن أن يجيب عنها ، وقد بسطنا ذلك فى « الرد على النصارى » وبَيَّنَّا أن الحواريين لم يكونوا رسلاً ، فإن النصارى يزعمون أن الحواريين رسل الله مثل إبراهيم وموسى ، وقد يفضّلونهم على إبراهيم وموسى ، وهذا كفر عند المسلمين ، وقد بينا ضلال النصارى فى ذلك .

آخره ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

(١) فى الأصل : حواريين ، وهو خطأ .

رِسَالَةٌ فِي الْمَعَانِي الْمُسْتَنْبِطَةِ مِنْ سُورَةِ الْإِنْسَانِ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

﴿فصل﴾

اعلم أن سورة «هل أتى على الإنسان» سورة عجيبة الشأن من سور تفسير السورة
القرآن على اختصارها، فإن الله سبحانه ابتدأها بذكر كيفية خلق الإنسان من الآيات: ١، ٢
النطفة ذات الأمشاج والأخلاط التي لم يزل بقدرته ولطفه وحكمته يصرفه عليها
أطواراً، وينقله من حال إلى حال، إلى أن تمت خلقته وكملت صورته،
فأخرجه إنساناً سوياً، سمياً بصيراً^(١)، ثم لما تكامل تمييزه وإدراكه هداة
طريقي الخير والشر، والهدى والضلال، وأنه بعد هذه الهداية إما أن يشكر
ربه وإما أن يكفره^(٢). ثم ذكر مآل أهل الشكر والكفر، وما أعد
لهؤلاء وهؤلاء، وبدأ أولاً بذكر عاقبة أهل الكفر، ثم عاقبة أهل الشكر^(٣)،
وفي آخر السورة ذكر أولاً أهل الرحمة ثم أهل العذاب^(٤)، فبدأ السورة
بأول أحوال الإنسان - وهي النطفة - وختمها بآخر أحواله - وهي كونه من

(١) وهذا متضمن في الآية الأولى والثانية وهو قوله تعالى: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) * إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سمياً بصيراً) .

(٢) في الآية الثالثة: (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) .
(٣) في قوله تعالى: (إنا اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً) * إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً * عينا يقرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً [الآيات: ٤ - ٦] .

(٤) في قوله تعالى: (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً) [الآية ٣١] .

الآية الرابعة أهل الرحمة أو العذاب - ووسطها بأعمال الفريقين ، فذكر أعمال أهل العذاب مجملة في قوله : ﴿ إِنَّا آَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ ﴾ [سورة الإنسان : ٤] ، وأعمال أهل الرحمة مفصلةً وجزاءهم مفصلاً .

فتضمنت السورة خلق الإنسان وهدايته ، ومبدأه وتوسطه ونهايته ، وتضمنت المبدأ والمعاد ، والخلق والأمر : وهما القدرة والشرع ، وتضمنت إثبات السبب وكون العبد فاعلاً مريداً حقيقةً ، وأن فاعليته ومشيتته إنما هي بمشيئة الله ، ففيها الرد على طائفتين : القدرية والجبرية ، وفيها ذكر أقسام بنى آدم كلهم ، فإنهم إما أهل شمالٍ وهم الكفار - أو أهل يمين : وهم ^(١) نوعان : أبرار ومقرَّبون ، وذكر سبحانه أن شراب الأبرار يُمزج من شراب عباده المقربين لأنهم مزجوا أعمالهم ، ويشربه المقرَّبون صِرفاً خالصاً كما أخلصوا أعمالهم ، وجعل سبحانه شراب المقربين من الكافور الذى فيه من التبريد والقوة ما يناسب برد اليقين وقوته لما حصل لقلوبهم ووصل إليها في الدنيا ، مع ما في ذلك من مقابلته للسعير .

الآية الخامسة

وأخبر سبحانه أن لهم شراباً آخر ممزوجاً من الزنجبيل ^(٢) لما فيه من طيب الرائحة ولذة الطعم ، والحرارة التي توجب تفسير برد الكافور وإذابة الفضلات وتطهير الأجواف ، ولهذا وصفه سبحانه بكونه شراباً طهوراً - أى أى مطهراً لبطونهم ^(٣) .

فوصفهم سبحانه بجمال الظاهر والباطن ، كما قال : ﴿ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً ﴾ [الآية ١١] ، فالنضرة جمال وجوههم ، والسرور / جمال قلوبهم ، كما قال : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِِهِمْ نَضْرَةً النَّعِيمِ ﴾ [سورة المطففين : ٢٤] .

ص ١١١

(١) في الأصل : وهما .

(٢) في قوله تعالى : (ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً) [الآية ١٧] .

(٣) في الآية ٢١ : (وسقاهم ربهم شراباً طهوراً) .

وقريب من هذا قول امرأة العزيز في يوسف : ﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ [سورة يوسف : ٣٢] ، فأخبرت بجمال ظاهره حين أشارت إليه بالخروج عليهن ثم ضمت إلى ذلك إخبارها بأن باطنه أجمل من ظاهره : بأنى روادته فأبى إلا العفة والحياء والاستعصام .

ثم ذكر سبحانه من أعمال الأبرار ما ينبئه سامعه على جمعهم لأعمال البر كلها ، فذكر سبحانه وفاءهم بالنذر ، وخوفهم من ربهم ، وإطعامهم الطعام على محبتهم له ، وإخلاصهم لربهم في طاعتهم ^(١) .

وذكر سبحانه الوفاء بالنذر وهو أضعف الواجبات ، فإن العبد هو الذى أوجبه على نفسه بالتزامه ، فهو دون ما أوجبه الله سبحانه عليه ، فإذا [وفى] ^(٢) لله بأضعف الواجبين الذى التزمه هو ، فهو بأن يوفى بالواجب الأعظم الذى أوجبه الله عليه أولى وأخرى .

ومن ههنا قال من قال من المفسرين : المقرَّبون يوفون بطاعة الله ويقومون بحقه عليهم ^(٣) ؛ وذلك أن العبد إذا نذر لله طاعةً فوق بها فإنما يفعل ذلك لكونها صارت حقاً لله يجب الوفاء بها ، وهذا موجود فى حقوقه كلها ، فهي فى ذلك سواء .

ثم أخبر عنهم بأنهم يخافون اليوم العسير القمطير ^(٤) ، وهو يوم القيامة .

(١) فى قوله تعالى : (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً * ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً) [الآيات : ٧-٩] .

(٢) وفى : ساقطة من الأصل .

(٣) فى الدر المنثور للسيوطى ٢٩٨/٦ . وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة : يوفون بالنذر ، قال : كانوا يوفون بطاعة الله من الصلاة والزكاة والحج والعمرة وما افترض عليهم فسماهم الله الأبرار لذلك .

(٤) وهو قوله تعالى : (إنما نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطيراً) [الآية ١٠] .

ففى ضمن هذا الخوف إيمانهم باليوم الآخر ، وكفهم عن المعاصى التى تضرهم فى ذلك اليوم ، وقيامهم بالطاعات التى ينفعهم فعلها ويضرهم تركها فى ذلك اليوم .

الآية الثامنة

ثم أخبر عنهم بإطعام الطعام على محبتهم له ، وذلك يدل على نفاسته عندهم وحاجتهم إليه ، وما كان كذلك فالنفوس به أشح ، والقلوب به أعلق ، واليد له أمسك ، فإذا بذلوه فى هذه الحال ، فهم لما سواه من حقوق العباد أبذل .

فذكر من حقوق العباد بذل قوت النفس على نفاسته وشدة الحاجة منها على الوفاء بما دونه ، كما ذكر من حقوقه الوفاء بالنذر منها على الوفاء بما هو فوقه وأوجب منه ، وثبته بقوله : ﴿ عَلَى حُبِّهِ ﴾ [الآيه : ٨] أنه لولا أن الله سبحانه أحب إليهم منه لما آثروه على ما يحبونه ، فأثروا المحبوب الأعلى على الأدنى .

الآية التاسعة

ثم ذكر أن مصرف طعامهم إلى المسكين واليتيم والأسير الذين لا قوة لهم ينصرونهم بها ، ولا مال لهم يكافئونهم به ، ولا أهل ولا عشيرة يتوقعون^(١) منهم مكافأتهم كما يقصده أهل الدنيا والمعاوضون بإنفاقهم وإطعامهم .

ثم أخبر عنهم أنهم إنما فعلوا ذلك لوجه الله ، وأنهم لا يريدون ممن أطعموه عوضاً من أموالهم ولا ثناء عليهم بألستهم ، كما يريد من لا إخلاص له بإحسانه إلى / الناس من معاوضتهم أو الشكور منهم ؛ فتضمن ذلك المحبة والإخلاص والإحسان .

ظ ١١١

الآية العاشرة

ثم أخبر سبحانه عنهم بما صدقهم عليه قبل أن يقولوه حيث قالوا : ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا غَاسِقًا قَمَطِرًا ﴾ [الآيه : ١٠] فصدقهم قبل قولهم ،

إذ يقول تعالى : ﴿ يُؤْفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الآية : ٧] ، ثم أخبر سبحانه بأنه وقام شر ما يخافونه ولقاهم فوق ما كانوا يأملونه .
 وذكر سبحانه أصناف النعيم الذي حَيَّاهُمْ به ^(١) من المساكن والملابس والمجالس والثمار والشراب والخدم والنعيم والملك الكبير ^(٢) .

ولما كان في الصبر من حبس النفس والخشونة التي تلحق الظاهر والباطن من التعب والنصب والحرارة ما فيه كان الجزاء عليه بالجنة التي فيها السعة ، والحرير الذي فيه اللين والنعومة ، والاتكاء الذي يتضمن الراحة ، والظلال المنافية للحر .

ثم ذكر سبحانه لون ملابس [الأبرار] ^(٣) وأنها ثياب سندس خضر وإستبرق ، وحليتهم وأنها أساور من فضة ، فهذه زينة ظواهرهم . ثم ذكر زينة بواطنهم ، وهو الشراب الطهور ، وهو بمعنى التطهير ^(٤) .

فإن قيل : فلم اقتصر من آيتهم وحليتهم على الفضة دون الذهب ؟ ومعلوم أن الجنان جنتان من فضة آيتهما وحليتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آيتهما وحليتهما وما فيهما .

قيل : سياق هذه الآيات إنما هو في وصف الأبرار ونعيمهم مفصلاً دون تفصيل جزاء المقربين ، فإنه سبحانه إنما أشار إليه إشارة تنبيه على ما سكت عنه ، وهو أن شراب الأبرار يمزج من شرابهم .

فالسورة مسوقة بصفة الأبرار وجزائهم على التفصيل . وذلك - والله أعلم -

(١) حياه به : كذا بالأصل ولهاوجه ، وأخشى أن تكون : حياه به .

(٢) في الآيات : ١٢ - ٢٠ .

(٣) الأبرار : زيتها ليستقيم الكلام .

(٤) في قوله تعالى : (عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهوراً) [الآية ٢١] .

لأنهم أعم من المقرّبين وأكثر منهم . ولهذا يخبر سبحانه عنهم بأنهم ثلّة من الأولين وثلة من الآخرين^(١) ، وعن المقرّبين السابقين بأنهم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين^(٢) .

وأيضاً فإن في ذكر جزاء الأبرار تنبيهاً على أن جزاء المقرّبين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وأيضاً ، فإنه سبحانه ذكر أهل الكفر وأهل الشكر . وأهل الشكر نوعان : أبرار أهل يمين ، ومقرّبون سابقون ، وكل مقرّب سابق فهو من الأبرار ، ولا ينعكس . فاسم الأبرار والمقرّبين كاسم الإسلام والإيمان أحدهما أعم من الآخر .

وأيضاً ، فإنه سبحانه أخبر أن هذا جزاء سعيهم المشكور^(٣) ، وكل من الأبرار والمقرّبين سعيهم مشكور ، فذكر سبحانه السعي المشكور والسعي المسخوط

ثم ذكر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بما أنعم / عليه من تنزيل القرآن عليه ، وأمره بأن يصبر لحكمه^(٤) ، وهو^(٥) يعمّ الحكم الديني الذي أمره به في نفسه وأمره بتبليغه ، والحكم الكوني الذي يجري عليه من ربه ، فإنه سبحانه امتحن عباده وابتلاهم بأمره ونهيه ، وهو حكمه الديني ، وابتلاهم بقضائه وقدره ، وهو حكمه الكوني ، وفرض عليهم الصبر على كل واحدٍ من الحكّمين ، وإن

(١) هذه إشارة إلى الآيات ١١ - ١٤ من سورة الواقعة .

(٢) وهي إشارة إلى الآيات ٣٨ - ٤٠ من سورة الواقعة .

(٣) وذلك في قوله تعالى : (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً) [الآية ٢٢] .

(٤) وذلك في الآيتين ٢٣ ، ٢٤ : (إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً * فاصبر لحكم ربك) .

(٥) في الأصل : وهم .

كان الحكم الديني في هذه الآية أظهر إرادة، وأنه أمرٌ بالصبر على تبليغه والقيام بحقوقه .

ولما كان صبره عليه لا يتم إلا بمخالفته لمن دعاه إلى خلافه من كل آثم أو كفور، نهى عن طاعة هذا وهذا، وأتى بحرف «أو» دون «الواو» ليدل على أنه منهي عن طاعة أيهما كان : إما هذا وإما هذا^(١)، فكأنه قيل له : لاتطع أحدهما، وهو أعم في النهي من كونه منهيًا^(٢) عن طاعتهما، فإنه لو قيل له : لاتطعهما، أو لاتطع آثما وكفوراً لم يكن صريحاً في النهي عن طاعة كل منهما بمفرده .

الآيتان :
٢٦ ، ٢٥

ولما كان لاسبيل إلى الصبر إلا بتعويض القلب بشيء هو أحب إليه من فوات ما يصبر على فوته أمره بأن يذكر ربه سبحانه بكرة وأصيلاً - فإن ذكره أعظم العون على تحمل مشاق الصبر - وأن يصبر لربه بالليل فيكون قيامه بالليل عوناً على ما هو بصده بالنهار^(٣)، ومادة لقوته ظاهراً وباطناً، ولنعيمه عاجلاً وآجلاً .

ثم أخبر سبحانه عما يمنع العبد من إيثار ما فيه سعادته في الدنيا والآخرة ، وهو حب العاجلة وإيثارها على الآخرة تقديماً لداعى الحس على داعى العقل^(٤) .

ثم ذكر سبحانه خلقهم وإحكامه وإتقانه بما شدد من أسرهم^(٥)، وهو ائتلاف الأعضاء والمفاصل والأوصال وما بينها^(٦) من الرباطات وشد بعضها

(١) وذلك في بقية آية ٢٤ : (ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً) .

(٢) في الأصل : منهي .

(٣) في قوله تعالى : (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً * ومن الليل فاسجد له وسبحه

ليلاً طويلاً) [الآيتان : ٢٥ ، ٢٦] .

(٤) قال تعالى : (إن هؤلاء يحبون العاجلة وينذرون وراءهم يوماً ثقیلاً) [الآية ٢٧] .

(٥) وذلك في أول آية ٢٨ : (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) .

(٦) في الأصل : وما بينها .

ببعض ، وحقيقته ^(١) القوة ، ومنه قول الشاعر :

من كل مُجْتَنِبٍ شَدِيدٍ أَسْرُهُ سَلَسِ الْقِيَادِ تَخَالُهُ مُخْتَالًا ^(٢)

ولا يكون ذلك إلا فيما له شد ورباط ، ومنه الإِسَارُ ، وهو الحبل الذي يُشَدُّ به الأسير .

ثم أخبر سبحانه أنه قادر على أن يبدل أمثالهم بعد موتهم ، وأنه إذا شاء ذلك فعله ^(٣) . و « إذا » للمُحَقِّق ، فهذا التبديل واقع لاحتمال ، فهو الإعادة التي هي مثل البداءة .

هذا هو معنى الآية ، ومن قال غير ذلك لم يصب معناها ، ولا توحشك لفظة « المثل » ، فإن المعاد مِثْلٌ للبَدْوِ وإن كان هو بعينه ، فهو مُعَادٌ ، أو هو مثله من جهة المغايرة بين كونه مبدئاً ومعاداً . وهذا كالدار إذا تهدمت وأعيدت بعينها فهي الأولى ، وكذلك الصلاة المعادة هي الأولى وهي مثلها .

(١) في الأصل : وحقيقة - بتشديد الياء الثانية - والوجه ما أثبت لأن الضمير في قوله « حقيقته » عائذ على الأسر .

(٢) البيت للأخطل في ديوانه ، ص ٤٦ (ط . بيروت ، ١٨٩١) ؛ وتفسير الطبري ٢٩ / ١٣٩ . وهو من قصيدته التي مطلعها :

كذبتك عيْنُكَ أم رأيتَ بَوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرَّبَابِ خِيَالًا

وقبل بيت الشاهد :

أَبْنِي كُليْبٍ إِنْ عَمِيَ اللِّدَا قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَكَ الْأَغْلَالَا

وَأَخُوهُمَا السَّفَاحَ ظَنًّا خِيَلَهُ حَتَّى وَرَدْنَ جَبِي الْكُلَابِ نِهَالَا

يَخْرُجْنَ مِنْ ثَغْرِ الْكُلَابِ عَلَيْهِمْ خَبَبَ السَّبَاعِ تَبَادَرِ الْأَوْشَالَا

من كل مجتنب

قال شارح الديوان : « مجتنب : مقتول من الجنيبة ، وكانوا يركبون الإبل ويمجنون الحبل ، فإذا صاروا إلى الحرب ركبوا الخيل . وأسره : خلقه ، ومنه قوله جل وعز : (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) ومختال : كان فيه اختيالاً من فرحه ونشاطه » .

(٣) وذلك في باقى آية ٢٨ : (وَإِذَا شَقْنَا بِدَكَ أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا)

وقد نطق القرآن بأنه سبحانه / يعيدهم ويعيد أمثالهم إذ شاء ، وكلاهما واحد
 فقال : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٩] ، وقال تعالى :
 ﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٥] ، وقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ
 الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ [سورة الروم : ٢٧] ، وقال : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾
 [سورة يس : ٨١] ، وقال إنا لقادرون : ﴿ عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ
 فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾
 [سورة الواقعة : ٦١ ، ٦٢]

فهذا كله معاد الأبدان ، وقد صرح سبحانه بأنه خلق جديد في موضعين
 من كتابه^(١) . وهذا الخلق الجديد هو « المثل » .

ثم ختم سبحانه السورة بالشرع والقدر كما افتتحها بالخلق والهداية ، فقال : الآية : ٢٩
 ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ [الآية ٢٩] ، فهذا شرعه ومحل أمره ونهيهِ ؛
 ثم قال : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الآية ٣٠] ، فهذا قضاؤه وقدره ؛
 ثم ذكر الاسمين الموجبتين للتخصيص وهما اسم : العليم الحكيم^(٢) .

وقوله : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ ، فأخبر أن مشيئتهم موقوفة
 على مشيئته ، ومع هذا فلا يوجب ذلك حصول الفعل منهم ، إذ أكثر ما فيه أنه
 جعلهم شائين ، ولا يقع الفعل إلا حين يشاؤه منهم ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَنْ شَاءَ
 ذَكَرْهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [سورة الدثر : ٥٥ ، ٥٦] وقال :
 ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [سورة التكويد :
 ٢٨ ، ٢٩] ، ومع هذا فلا يقع الفعل منهم حتى يريد من نفسه إعانتهم وتوفيقهم .
 فهنا أربع إرادات : إرادة البيان ، وإرادة المشيئة ، وإرادة الفعل ، وإرادة
 الإعانة ، والله أعلم .

آخره ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما .

(١) لعله يقصد الآية ١٩ من سورة إبراهيم والآية ١٦ من سورة فاطر ونس كل
 منهما : (لِمَنْ يَشَاءُ يَهْدِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) .

(٢) وهو في باقي الآية ٣٠ : (إِنْ أَرَادَ اللَّهُ كَانَ عَلَيْهَا حَكِيمًا) .

رِسَالَةٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ

﴿ فصل ﴾

قال الله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [سورة البقرة : ٧٥] .
 قال علي بن أبي طالب : « الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ،
 فإذا انقطع الرأس بَارَ الجسد ، ألا لا إيمان لمن لا صبر له » .^(١)
 فالصبر على أداء الواجبات واجب ، ولهذا قرنه بالصلاة في أكثر من
 خمسين موضعاً ، فمن كان لا يصل من جميع الناس - رجالهم ونسائهم - فإنه
 يؤمر ، فإن امتنع عوقب^(٢) بإجماع المسلمين . ثم أكثرهم يوجبون قتل تارك
 الصلاة ، وهل يقتل كافراً مرتدّاً أو فاسقاً ؟ على قولين في مذهب أحمد وغيره .
 والمنقول عن أكثر السلف يقتضي كفره ، وهذا مع الإقرار بالوجوب ، فأما
 [مع] جحود الوجوب^(٣) فهو كافر بالاتفاق .
 ومن ذلك تعاهد مساجد المسلمين وأئمتهم ، وأمرهم بأن يصلوا بهم صلاة
 النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال : « صَلُّوا كما رأيتموني أصلي » رواه
 البخاري^(٤) . وصلى مرة بأصحابه على طرف المنبر وقال : إنما فعلت هذا
 لتأتموا بي وتعلموا صلاتي .
 فعلى إمام الصلاة أن يصل بالناس صلاةً كاملة ، لا يقتصر على ما يجوز للمنفرد

(١) جاء في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد (ط . المعارف) ١/٣٢٤ : « من
 كلام أمير المؤمنين عليه السلام : ... وعليكم بالصبر ، فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس
 من الجسد فكما لا خير في جسد لا رأس له ، لا خير في إيمان لا صبر معه » .
 (٢) في الأصل : عوقبوا . (٣) في الأصل : فأما جحود الوجوب .
 (٤) هذا جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه ١/١٢٤ (كتاب الصلاة ، باب
 الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة .. الخ) وأوله : « حدثنا مالك : أتينا إلى النبي
 صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون .. الخ » ، ورواه مرة أخرى ٩/٨٦ - ٨٧ (كتاب
 خبر الواحد ، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد .. الخ) وروى الحديث عن مالك بن الحويرث
 أحمد في مسنده (ط . الحلبي) ٥/٥٣ .

الاقتصار عليه إلا لعذر ، وكذلك على إمامهم في الحج وأميرهم في الحرب .
ألا ترى الوكيل والولى في البيع والشراء عليه أن يتصرف لموكله ولموكله على
الوجه الأصح له في ماله ، وهو في مال نفسه يفوت [على] نفسه^(١) ماشاء ، فأمر الدين
أهم ، ومتى اهتمت^(٢) الولاية بإصلاح دين الناس صلح الدين للطائفتين والدنيا ، وإلا
اضطربت الأمور عليهم جميعاً .

وملاك ذلك حسن النية للرعية ، وإخلاص الدين كله لله عز وجل ،
والتوكل عليه ، فإن الإخلاص والتوكل جماع صلاح الخاصة والعامة ،
كما أمرنا أن نقول في صلاتنا : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، فهاتان
الكلمتان^(٣) قد قيل إنهما تجمعان معاني الكتب المنزلة من السماء .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان مرة في غزاة فقال : « يا مالك يوم الدين ،
إياك نعبد وإياك نستعين » فجعلت الرءوس تندرج عن كواهلها^(٤) .

وقد ذكر ذلك في غير موضع من كتابه كقوله عز وجل : ﴿فَاعْبُدْهُ
وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [سورة هود : ١٢٣] ، وقوله : ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ
أُنِيبُ﴾ [سورة هود : ٨٨] ، [سورة الشورى : ١٠] . وكان صلى الله عليه وسلم
إذا ذبح أضحيته قال : « منك وإليك »^(٥) .

(١) في الأصل : يفوت نفسه .

(٢) في الأصل : اهت .

(٣) في الأصل : فهاتان الكلمتين .

(٤) ندر الشيء يندر ندوراً سقط . وفي الدر المنثور ١/ ١٤ : « وأخرج أبو القاسم البغوي
والمأوردى معاً في معرفة الصحابة ، والطبراني في الأوسط ، وأبو نعيم في الدلائل عن أنس
بن مالك عن أبي طلحة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فلقى العدو ، فسمته
يقول : يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين . قال : فلقد رأيت الرجال تصدع ، تضربها
الملائكة من بين يديها ومن خلفها » .

(٥) أخرج أبو داود في سننه ٣ / ١٢٦ عن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله
عليه وسلم ذبح يوم الذبح كبشين أقرنين وأن مما قاله عند ذلك : « اللهم منك ولك » عن محمد
وأمنه . وانظر جامع الأصول ٤ / ١٤٨ - ١٤٩ .

وأصل ذلك المحافظة على الصلوات بالقلب والبدن ، والإحسان إلى الناس بالنفع والمال الذي هو الزكاة ، والصبر / على أذى الخلق وغيره من النوائب . ط ٢٠٥
فبالقيام بالصلاة والزكاة والصبر يصلح حال الراعي والرعية ، وإذا عرف الإنسان ما يدخل في هذه الأسماء الجامعة عرف [ما] يدخل في الصلاة^(١) من ذكر الله تعالى ودعائه وتلاوة كتابه وإخلاص الدين له والتوكل عليه ، وفي الزكاة [من]^(٢) الإحسان إلى الخلق بالمال والنفع : من نصر المظلوم وإغاثة الملهوف وقضاء حاجة المحتاج . وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل معروف صدقة »^(٣) ، فيدخل فيه كل إحسان ولو يبسط الوجه والكلمة الطيبة .

ففي الصحيح عن عدى بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حاجب ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا شيئاً قدّمه ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئاً قدّمه ، وينظر أمامه فيستقبل النار ، فمن استطاع منكم أن يتقى النار ولو بشق تمرة فليفعل ، فإن لم يجد فبكلمة طيبة »^(٤) .

وفي السنن « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه

(١) في الأصل : إذا عرف الإنسان ... عرف يدخل في الصلاة .. الخ .

(٢) من : ليست في الأصل .

(٣) الحديث عن جابر في البخاري ١١/٨ (كتاب الأدب ، باب كل معروف صدقة) ؛ وعن حذيفة في : مسلم ٨٢/٣ (كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف) .

(٤) الحديث في البخاري ١١٢/٨ (كتاب الرقاق ، باب من نوقش الحساب عذب) ؛ مسلم ٨٦/٣ (كتاب الزكاة ، باب المثل على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار) ؛ سنن ابن ماجه ١/٦٦ (المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية) ، ص ٥٩٠ (كتاب الزكاة ، باب فضل الصدقة) .

طلق»^(١). وفي رواية : « ووجهك إليه منبسط ، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقى » .

وفي الصبر احتمال الأذى وكظم الغيظ والعفوع عن الناس ومخالفة الهوى وترك الأشر والبطر ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَيْتُوسٌ كَفُورٌ ﴾ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ * إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ الآية [سورة هود : ٩ - ١١] .

وقال الحسن البصري : « إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش^(٢) : أَلَا لَيْقَمَ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ؛ فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ » .
وليس من حسن النية للرعية والإحسان إليهم أن يفعل ما يهونه ويترك ما يكرهونه^(٣) . قال تعالى : ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ [سورة المؤمنون : ٧١] . وقال لأصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ ﴾ [سورة المجرات : ٧] .

(١) الحديث عن أبي ذر رضى الله عنه في : مسلم ٣٧/٨ (كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء) ؛ وهو من جابر رضى الله عنه في سنن الترمذى (بشرح ابن العربي) ١٤٦/٨ - ١٤٧ (كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في طلاقة الوجه وحسن البشر) وفيه : « وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك » . وقال الترمذى : « وفي الباب عن أبي ذر » وقال : « هذا حديث حسن » .

(٢) في لسان العرب (بطن) . « وفي الحديث : ينادى مناد من بطنان العرش ، أى من وسطه ، وقيل : من أصله ، وقيل : البطنان جمع بطن وهو الغامض من الأرض ، يريد : من دواخل العرش » .

(٣) في الأصل : أنه تفعل ما يهونه ويتكون ما يكرهونه .

رسالة في تحقيق النول

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم
تسلماً . أما بعد ، فهذا :

﴿ فصل في التوكل ﴾

قد ظن طائفة ممن تكلم في أعمال القلوب أن التوكل لا يحصل به جلب
منفعة ولا دفع مضرة ، بل ما كان مقدراً بدون التوكل فهو مقدّر مع التوكل ،
ولكن التوكل عبادة يُثاب عليها من جنس الرضا بالقضاء ، وذكر ذلك
أبو عبد الله بن بطة فيما صنفه في هذا الباب ^(١) . وقول هؤلاء يشبه قول من قال :
إن الدعاء لا يحصل به جلب منفعة ولا دفع مضرة ، بل هو عبادة يُثاب عليها
كرمي الجمار ، وآخرون يقولون : بل الدعاء علامة وأمانة ، ويقولون ذلك في
جميع العبادات ، وهذا قول من ينفي الأسباب في الخلق والأمر ويقول : إن الله
يفعل عندها لا بها ، وهو قول طائفة من متكلى أهل الإثبات للقدر كالأشعري
وغيره ، وهو قول طائفة من الفقهاء والصوفية .

(١) هو أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري المعروف بابن بطة ،
ولد سنة ٣٠٤ وتوفي سنة ٣٨٧ ، من كبار فقهاء الحنابلة والمحدثين ومن أهم مصنفاته :
الإبانة الكبرى والإبانة الصغرى . انظر ترجمته في : طبقات الحنابلة ٢ / ١٤٤ - ١٥٣ ؛
شذرات الذهب ٣ / ١٢٢ - ١٢٤ ؛ الأعلام ٤ / ٣٥٤ .

ولعل الإشارة هنا إلى كتاب « الإبانة الكبرى » إذ أن المجلد الثاني منه يحتوي على
أربعة أجزاء في القدر . انظر تعليق الأستاذ فؤاد سيد على ترجمة ابن بطة في العبر للذهبي ٣ /
٣٥ ؛ وانظر فهرس الحزانة التيمورية ٣ / ٤ (مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٦٩ / ١٩٥٠) .

وأصل هذه البدعة من قول جهم ، فإنه كان غالباً^(١) في نفى الصفات وفي الجبر ، فجعل من تمام توحيد الذات نفى الصفات ، ومن تمام توحيد الأفعال نفى الأسباب ، حتى أنكر تأثير قدرة العبد ، بل نفى كونه قادراً ، وأنكر الحكمة والرحمة ، وكان يخرج إلى الجذمي فيقول : أرحم الراحمين يفعل كل هذا !؟ يعني أنه يفعل بمحض المشيئة بلا رحمة ، وقوله في القدر قد يقرب إليه الأشعري ومن وافقه من الطوائف .

والذي عليه السلف والأئمة والفقهاء والجمهور وكثير من أهل الكلام إثبات الأسباب ، كما دلّ على ذلك الكتاب والسنة مع دلالة الحس والعقل ، والكلام على هؤلاء مبسوط في مواضع آخر .

والمقصود هنا الكلام على التوكل ، فإن الذي عليه الجمهور أن التوكل يحصل له بتوكله من جلب المنفعة ودفع المضرة ما لا يحصل لغيره ، وكذلك الداعي ؛ والقرآن يدل على ذلك في مواضع كثيرة . ثم هو سبب عند أكثرين ، وعلامة عند من ينفي الأسباب ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾

التوكل عند الجمهور مجلب المنفعة ويدفع المضرة وهو سبب عند الأكثرين

ط ٧٤

[سورة الطلاق : ٢ ، ٣] ، والحسب الكافي فبين أنه كافٍ مَنْ توكل عليه ، وفي الدعاء : يا حَسْبَ المتوكل ، فلا يُقال : هو حسب غير المتوكل كما هو حسب المتوكل ، لأنه علق هذه الجملة على الأولى تعليق الجزاء على الشرط ، فيمتنع في مثل ذلك أن يكون وجود الشرط كعدمه ، ولأنه رتب الحكم على الوصف المناسب له ، فَعلم أن توكله هو سبب كونه حسباً له ، ولأنه ذكر ذلك في سياق الترغيب في التوكل كما رغب في التقوى ، فلو لم يحصل للمتوكل من الكفاية

توكل المؤمن على الله هو سبب كونه حسباً له

ما لا يحصل لغيره لم يكن ذلك مرغبا في التوكل ، كما جعل التقوى سببا للخروج من الشدة وحصول الرزق من حيث لا يحتسب . وقد قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٣] ، فدحوه سبحانه بأنه نعم الوكيل لما توكلوا عليه بقولهم : حسبنا الله ، أى كافينا الله : لا يستحق المدح إن لم يجلب لمن توكل عليه منفعة ويدفع عنه مضرة ، والله خير من توكل العباد عليه ، فهو نعم الوكيل : يجلب لهم كل خير ويدفع عنهم ^(١) كل شر .

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا * رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [سورة المزمل : ٨ ، ٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴾ [سورة الإسراء : ٢] فأمر أن يتخذ وكيلًا ، ونهى أن يتخذ من دونه وكيلًا ، لأن الخلق لا يستقل بجميع حاجات العبد ، والوكالة الجائزة أن يؤكل الإنسان في فعل يقدر عليه ، فيحصل للموكل بذلك بعض مطلوبه ، فأما مطالبه كلها فلا يقدر عليها إلا الله ، وذلك الذى يؤكله لا يفعل شيئاً إلا بمشيئة الله عز وجل وقدرته ، فليس له أن يتوكل عليه وإن وكره ، بل يعتمد على الله في تيسير ما وكره فيه ، فلو كان الذى يحصل للموكل على الله يحصل وإن توكل على غيره ، أو يحصل بلا توكل ، لكان اتخاذ بعض الخلقين وكيلاً أنفع من اتخاذ الخالق وكيلاً ، وهذا من أفتح لوازم هذا القول الفاسد . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأنفال : ٦٤] ، أى الله كافيك وكافى من اتبعك من

(١) فى الأصل : لهم .

المؤمنين ، فلو كانت كفايته / للمؤمنين المتبعين للرسول - سواء اتبعوه أو لم يتبعوه - لم يكن للإيمان واتباع الرسول ثم [أثر]^(١) في هذه الكفاية، ولا كان لتخصصهم بذلك معنى ، وكان هذا نظيراً أن يقال : هو خالقك وخالق من أتبعك من المؤمنين ، ومعلوم أن المراد خلاف ذلك .

وإذا كان الحسب معنى^(٢) يختص به بعض الناس ، علم أن قول المتوكل : حسبي الله ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [سورة الطلاق : ٣] أمر مختص لا مشترك ، وأن التوكل سبب ذلك الاختصاص ، والله تعالى إذا وعد على العمل بوعده أو خص أهله بكرامة ، فلا بد أن يكون بين وجود ذلك العمل وعدمه فرق في حصول تلك الكرامة ، وإن كان قد يحصل نظيرها بسبب آخر ، فقد يكفى الله بعض من لم يتوكل عليه كالأطفال ، لكن لا بد أن يكون للمتوكل أثر في حصول الكفاية الحاصلة للمتوكلين ، فلا يكون ما يحصل من الكفاية بالتوكل حاصلًا مطلقاً وإن عدم التوكل ، وقد قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ * فَأَنقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤] ، فعقب هذا الجزاء والحكم لذلك الوصف والعمل بحرف الفاء وهي تفيد السبب ، فدل ذلك على أن ذلك التوكل هو سبب هذا الانقلاب بنعمة من الله وفضل ، وأن هذا الجزاء جزاء على ذلك العمل .

التوكل سبب
بنعمة الله وفضله

وفي الأثر : من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، فلو كان التوكل لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة لم يكن التوكل أقوى من غيره .

(١) كلمة (أثر) ليست في الأصل ، وزدتها ليستقيم الكلام .

(٢) كلمة « معنى » لم يظهر منها غير الحروف الثلاثة الأخيرة ، ورجعت أن تكون

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَاتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [سورة الأحزاب : ١ - ٣] .
وقال في أثناء السورة : ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية ٤٨] .

فأمره سبحانه بتقواه واتباع ما يوحي إليه وأمره بالتوكل ، كما جمع بين هذين الأصلين في غير موضع كقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [سورة هود : ١٢٣] وقوله : ﴿وَتَبْتَغِلْ إِلَيْهِ تَتَبْتِلًا * رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [سورة الزمل : ٨ ، ٩] ، وقوله تعالى : ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود : ٨٨] ، وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَّا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة المتحنة : ٤] ، وقوله تعالى : ﴿ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [سورة الرعد : ٣٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق : ٢ ، ٣] .

ظ ٧٥

وقوله تعالى في الفاتحة : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، وعلم القرآن جمع في الفاتحة ، وعلم الفاتحة في هذين الأصلين : عبادة الله والتوكل عليه .

وإذا أفرد لفظ العبادة دخل فيه التوكل ، فإنه من عبادة الله تعالى كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [سورة البقرة : ٢١] ، وقوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الفاربات : ٥٦] ، وإذا قُرِنَ به التوكل كان مأموراً به بخصوصه .

وهذا كلفظ الإسلام والإيمان والعمل ، ولفظ الصلاة مع العبادة ومع اتباع

الكتاب ، ولفظ الفحشاء والبغى مع المنكر ، ونظائر ذلك متعددة

فكون اللفظ عند تجرده وإفراده يتناول أنواعاً ، وقد يعطف بعض تلك الأنواع عليه فيكون مأموراً به بخصوصه ، ثم قد يُقال : إذا عُطف لم يدخل في المعطوف عليه ، وقد يُقال : بل أمر به خاصاً وعمماً ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَلَأْنِيكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ [سورة البقرة : ٩٨] ، وإذا كان الله أمره بالتوكل على الله ، ثم قال : ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٣] عُلِمَ أن الله وكيل كاف لمن توكل عليه ، كما يقال في الخطبة والدعاء : الحمد لله كافي من توكل عليه .

وإذا كان كفى به وكيلاً فهذا مختص به سبحانه ، ليس غيره من الموجودات كفى به وكيلاً ، فإن من يتخذ وكيلاً من المخلوقين غايته أن يفعل بعض الأمور ، وهو لا يفعلها إلا بإعانة الله له ، وهو عاجز عن أكثر المطالب . فإذا كان سبحانه وصف نفسه بأنه كفى به وكيلاً ، عُلِمَ أنه يفعل بالتوكل عليه ما لا يحتاج معه إلى غيره في جلب المنافع ودفع المضار ، إذ لو تبقى شر لم يكن كفى به وكيلاً . وهذا يقتضى بطلان ظن من ظن ^(١) أن المتوكل عليه لا يحصل له بتوكله عليه جلب منفعة ولا دفع مضرة ، بل يجرى عليه من القضايا ما كان يجرى لو لم يتوكل عليه .

والذين ظنوا هذا أصل شبهتهم أنهم لما أنبتوا أن الله إذا قضى شيئاً فلا بد أن يكون ، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن ما سبق به علمه فهو كائن لا محالة ، صاروا يظنون ما يوجد بسبب وجود بدونه ، وما يوجد مع عدم المانع يوجد مع المانع .

(١) في الأصل : وهذا يقتضى قول ظن لمن ظن ، وهي بيينة التحريف .

وهذا غلط عظيم ضل فيه طوائف . طائفة قالت : لا حاجة إلى الأعمال المأمور بها ، فإن من خلق للجنة فهو يدخلها وإن لم يؤمن ، ومن خلق للنار فهو يدخلها وإن آمن .

وهذه الشبهة سئل عنها النبي صلى الله عليه وسلم لما قال : « ما منكم من أحد إلا وقد عليم مقعده من الجنة والنار . قالوا : أولاً / ندع العمل ونتكل على الكتاب ؟ فقال : لا ، اعملوا فكل ميسر لما خلق له ؛ أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء فسييسر إلى عمل أهل الشقاء »^(١) .

وهذا المعنى قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح في مواضع تبين أن ما سبق به الكتاب سبق بالأسباب التي تفضي إليه ، فالسعادة سُبقت بأن صاحبها يُستعمل فيما يصير به سعيداً ، والشقاوة سُبقت بأن صاحبها يُستعمل فيما يصير به شقياً ، فالقدر يتضمن الغاية وسببها ، لم يتضمن غاية بلا سبب ، كما تضمن أن هذا يُولد له بأن يتزوج ويطلق المرأة ، وهذا ينبت أرضه بأن يزرع ويسقى الزرع وأمثال ذلك .

وكذلك في السنن أنه قيل له : « يا رسول الله ، أرأيت أدوية تداوى بها ورقي نسترقها وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ »^(٢) فقال : هي من قدر الله »^(٣) ،

(١) هذا الحديث مروي مع اختلاف في اللفظ عن علي رضي الله عنه في أكثر كتب السنة وفي عدة مواضع . انظر مثلاً : البخاري ١٢٣/٨ - ١٢٤ (كتاب القدر ، باب وكان أمر الله قدراً مقدوراً) ؛ مسلم ٤٦/٨ (كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه . . الخ) ؛ سنن أبي داود ٤ / ٣٠٧ - ٣٠٨ (كتاب السنة ، باب القدر) ؛ المسند (ط . المعارف) الأرقام : ٦٢١ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١١١٠ ، ١١٨١ ، ١٣٤٨ ، وانظر مفتاح كنوز السنة : القدر .

(٢) في الأصل : هل ترد من قدر الله شيئاً ، وأكثر الروايات التي رأيتها فيها : . . من قدر الله شيئاً .

(٣) الحديث مروي عن أبي خزيمة رضي الله عنه في سنن الترمذي (بشرح ابن العربي) ٢٢٤/٨ (كتاب الطب ، باب ما جاء في الرقي والأدوية) وقال الترمذي : هذا حديث =

بَيِّنَ أَنَّ الأسبابَ التي تُدْفَعُ بها المكارِه هي من قِدرِ الله ، ليس القدر مجرد دفع المكروه بلا سبب .

وكذلك قول من قال : إن الدعاء لا يؤثر شيئاً والتوكل لا يؤثر شيئاً هو من هذا الجنس ، لكن إنكار ما أمر به من الأعمال كفر ظاهر ، بخلاف تأثير التوكل^(١) ، لكن الأصل واحد ، وهو النظر إلى المقدور مجرداً عن أسبابه ولوازمه . ومن هذا الباب أن المقتول يموت بأجله عند عامة المسلمين ، إلا فرقة من القدرية قالوا إن القاتل قطع أجله ، ثم تكلم الجمهور : لو لم يقتل ؟ فقال : بعضهم : كان يموت لأن الأجل قد فرغ ، وقال بعضهم : لا يموت لانتفاء السبب .

وكلا القولين قد قاله من ينتسب إلى السنة ، وكلاهما خطأ ، فإن القدر سبق بأنه يموت فهذا السبب لا بغيره ، فإذا قُدر انتفاء هذا السبب كان فرض خلاف ما في المقدور ، ولو كان المقدور أنه لا يموت بهذا السبب أمكن أن يكون المقدّر أنه يموت بغيره ، وأمكن أن يكون المقدّر أنه لا يموت ، فالجزم بأحدهما جهل ، فما تعددت أسبابه لم يُجزم بعدمه عند عدم بعضها ، ولو لم يُجزم بثبوته إن لم يعرف له سبب آخر ، بخلاف ما ليس له إلا سبب واحد ، مثل دخول النار فإنه لا يدخلها إلا من عصى ، فإذا قُدر أنه لم يعص لم يدخلها .

قال تعالى : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ * **إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** [سورة آل عمران : ١٥٩ ، ١٦٠] ، فأمره إذا عزم أن

نصر الله مع
التوكل عليه

ظ ٧٦

== حسن صحيح ، ٣١٥/٨ (كتاب القدر ، باب ما جاء لاترد الرقي ولا الدواء من قِدرِ الله شيئاً) ؛ سنن ابن ماجه ١١٣٧ / ٢ (كتاب الطب ، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٤٢١ / ٣ .
(١) في الأصل : التوكل .

يتوكل على الله ، فلو كان المتوكل لا يعينه على مثل ما عزم عليه لم يكن به عند العزم فائدة ، يبين سبحانه أنه هو الناصر دون غيره فقال : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ فنهى عن التوكل على غيره ، وأمر بالتوكل عليه ليحصل للمتوكل عليه النصر الذى لا يقدر عليه غيره ، وإلا فالتوكل على غيره يطلب منه النصر ، فإن كان ذلك المطلوب لا يحصل منه لم يكن لذكر انفراده بالنصر معنى ، فإنه على هذا القول نصره لمن توكل عليه كنفه لمن لم يتوكل عليه ، وهذا يناقض مقصود الآية ، بل عند هؤلاء قد ينصر من يتوكل على غيره ولا ينصر من توكل عليه ! فكيف يأمر بالتوكل عليه دون غيره مقرونا بقوله : ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ؟ .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [سورة الزمر : ٣٦] ، إلى قوله : ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٣٨] ، فبين أن الله يكفى عبده : الذى يعبد ، الذى هو من عباده الذين ليس للشيطان عليهم سلطان ، الذين هم من عباده المخلصين ، الذين هم من عباد الرحمن ، الذين يمشون على الأرض هوناً ، الذين هم من عباد الله الذين يشربون من عين يفجرؤها تفجيراً .

ومثل هذا قوله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ [سورة الإسراء : ١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [سورة الجن : ١٩] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٣] ونظائر ذلك متعددة ، ثم أمره بقوله : ﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِن كَانَ كِبَرُ
عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ
وَشُرَّكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾
[سورة يونس : ٧١] .

توكل المرسلين
يدفع عنهم شر
أعدائهم

وكذلك قال عن هود لما قال لقومه : ﴿ إِن تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ
آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ
دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ
مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِن رَّبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾
[سورة هود : ٥٤ - ٥٦] ، فهذا من كلام المرسلين مما يبين أنه بتوكله على
الله يدفع شرهم عنه .

فنوح يقول : ﴿ إِن كَانَ كِبَرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بآيَاتِ اللَّهِ
فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَّكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ
عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ ، فدعاهم إذا استعظموا ما يفعله
كارهين له أن يجتمعوا ثم يفعلوا به ما يريدونه من الإهلاك ، وقال تعالى :
﴿ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ فلولا أن^(١) تحقيقه هذه الكلمة ، وهو توكله على الله ،
يدفع ما تحداهم به ودعاهم إليه تعجيزاً لهم من مناجزته ، لكان قد طلب منهم
أن يهلكوه ، وهذا لا يجوز ، وهذا طلب تعجيز لهم ، فدل على أنه بتوكله على
الله يمجزهم عما تحداهم به .

وكذلك هود يُشهد الله وإياهم أنه بريء مما يشركونه بالله ، ثم يتحداهم
ويعجزهم بقوله : ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى

(١) في الأصل : أنه .

اللَّهِ رَبِّي وَرَبُّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴿١﴾ ، يَبَيِّنُ أَنَّهُ تَوَكَّلَ عَلَى
 مِنْ أَخَذَ بِنَوَاصِي الْأَنْفُسِ وَبَسَائِرِ الدُّوَابِّ ، فَهُوَ يَدْفَعُكُمْ عَنِ الْأَمْرِ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ ،
 وَلَوْ كَانَ وَجُودُ التَّوَكُّلِ كَمُدِّهِ فِي هَذَا لَكَانَ قَدْ أَغْرَاهُمُ بِالْإِيقَاعِ بِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ
 لَذِكْرِ تَوَكُّلِهِ فَائِدَةٌ ، إِذْ كَانَ حَقِيقَةُ الْأَمْرِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ مَنْ تَوَكَّلَ
 وَمَنْ لَمْ يَتَوَكَّلْ فِي وَصُولِ الْعَذَابِ عَلَيْهِ ، وَهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ وَأَقْوَى مِنْهُ ، فَكَانُوا
 يَهْلِكُونَ لَوْلَا قُوَّتُهُ بِتَوَكُّلِهِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ التَّوَكُّلَ إِنْ لَمْ يَعْطِهِ قُوَّةَ فَهْمٍ أَقْوَى مِنْهُ ،
 وَهُوَ لَوْ قَالَ بَأَنَّ اللَّهَ مُوَلَايَ وَنَاصِرِي وَنَحْوَ ذَلِكَ لَعَلَّمْنَا أَنَّهُ [قَالَهُ] خَيْرٌ ^(١) ، فَاللَّهُ
 يَدْفَعُهُمْ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا يَدْفَعُهُمْ لِإِيْمَانِهِ وَتَقْوَاهُ ، وَلِأَنَّهُ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

وَاللَّهُ تَعَالَى مَعَ رُسُلِهِ وَأَوْلِيَائِهِ ، فَإِذَا كَانَ بِسَبَبِ الْإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى يَدْفَعُ اللَّهُ
 عَنِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾
 [سورة الحج : ٣٨] ، عَلَّمَ أَنَّ الْعَبْدَ يَقُومُ بِهِ أَعْمَالُ بَاطِنَةٍ وَظَاهِرَةٍ يَجْلِبُ بِهَا الْمَنْفَعَةُ
 وَيُدْفَعُ بِهَا الْمَضَرَّةُ ، فَالتَّوَكُّلُ مِنْ أَعْظَمِ ذَلِكَ ، وَعَلَّمَ أَنَّ مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْمُقَدَّرَ مِنَ
 الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ لَيْسَ مَعْلُوقًا بِالْأَسْبَابِ بَلْ يَحْصُلُ بِدُونِهَا فَهُوَ غَلَطٌ .

غلط من أنكر
 الأسباب أو
 جعلها مجرد
 أماراة وعلامة

وَكَذَلِكَ قَوْلُ مَنْ جَعَلَ ذَلِكَ مَجْرَدَ أَمَارَةٍ وَعَلَامَةٍ ، لِاقْتِرَانِ هَذَا بِهَذَا فِي غَيْرِ
 مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَأَنْزَلْنَاهُ فِي الْمَاءِ فَأَخْرَجْنَا
 بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ [سورة الأعراف : ٥٧] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ كُلُوا
 وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [سورة الحاقة : ٢٤] ، وَقَوْلِهِ
 تَعَالَى : ﴿ جَزَاءُ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة السجدة : ١٧] ^(٣) .

(١) فِي الْأَصْلِ : لَعَلَّمْنَا أَنَّهُ خَيْرٌ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : سَبَبٌ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : (جَزَاءُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) وَهُوَ سَهْوٌ مِنَ النَّاسِخِ أَوْ الْمَوْلُفِ .
 (٧ جَامِعُ الرِّسَالَةِ - ١)

/ وأنكر تعالى على من ظن وجود الأسباب كعدمها في قوله تعالى :
﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ [سورة القلم : ٣٥] ، وقوله تعالى :
﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ
أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [سورة س : ٢٨] ، وأمثال ذلك .

وهؤلاء الذين يقولون بالجبر قالوا بالأمر والنهي : حقيقة أنه إعلام
بوقوع العذاب بالمعاصي بمحض الشيئ لا لسبب ولا لحكمة ، فقلبوا حقيقة
الأمر^(١) والنهي إلى الجبر ، كما أبطلوا الأسباب والحكم وأبطلوا قُدر العباد ،
وهم وإن كانوا يردون على القدرية ، ويذكرون من تناقضهم ما يبين به فساد
قول القدرية ، فردوا باطلا بباطل ، وقابلوا بدعة ببدعة ، كرد اليهود على
النصارى ، والنصارى على اليهود مقاتلهم في المسيح ، وكلا المقاتلين باطلة ،
وكذلك تقابل الخوارج والشيعة في عليّ ، كلاهما باطل على باطل ،
ونظائره متعددة .

﴿ فصل ﴾

فرض الله الدعاء
على العباد
لافتقارهم إلى
هدايته

وإن ما^(٢) فرض عليه من الدعاء الراتب الذي يتكرر [في] الصلوات^(٣) ،
بل الركعات ، فرضها ونفلها ، هو الدعاء الذي تضمنته أم القرآن ، وهو قوله تعالى :
﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ، لأن كل عبد فهو مضطر دائماً إلى مقصود هذا الدعاء ،
وهو هداية الصراط المستقيم ، فإنه لانتجاة من العذاب إلا بهذه الهداية ، ولا وصول

(١) في الأصل : الآية ، وهو تحريف .

(٢) رسمت في الأصل : وإنما ، موصولة .

(٣) في الأصل : من الدعاء الراتب التي يتكرر الصلوات .

إلى السعادة إلا به ، فمن فاته هذا الهدى فهو إما من المفضول عليهم وإما من الضالين .

وهذا الاهتداء لا يحصل إلا بهدى الله ، فمن يهده ^(١) الله فهو المهتدى ﴿وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ تُجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [سورة الكهف : ١٧] . وهذه الآية مما يتبين بها فساد مذهب القدرية الذين يزعمون أن العبد لا يفتقر في حصول هذا الاهتداء إلى الله ، بل كل عبد عندهم معه ما يحصل به الاهتداء ، والكلام عليهم مبسوط في موضع آخر .

والمقصود هنا أن كل عبد فهو مفتقر دائماً إلى حصول هذه الهداية . وأما سؤال من يقول : فقد هدام إلى الإيمان فلا حاجة إلى الهدى ، وجواب من يجب أن المطلوب دوام الهدى ، فكلام من لم يعرف حقيقة حال الأسباب وما أمر به ، فإن الصراط المستقيم أن تفعل في كل وقت ما أمرت به في ذلك الوقت من علم وعمل ولا تفعل ما نهيت عنه ، وهذا يحتاج إليه في كل وقت/ إلى أن يعلم ما أمر به في ذلك الوقت وما نهى عنه ، وإلى أن يحصل له إرادة جازمة لفعل للأمور ، وكراهة جازمة لترك المحظور . وهذا ^(٢) العلم المفصل والإرادة المفصلة لا يتصور أن تحصل للعبد في وقت واحد ، بل في كل وقت يحتاج أن يجعل الله في قلبه من العلوم والإرادات ما يهدي به في ذلك الوقت . نعم حصل له هدى مجمل ، فإن القرآن حق ، ودين الإسلام حق ، والرسول ونحو ذلك ، ولكن هذا الهدى المجمل لا يعينه إن لم يحصل له هدى مفصل في كل ما يأتيه ويدبره من الجزئيات التي يحار في كثير منها أكثر عقول الخلق ، ويغلب الهوى أكثر الخلق لقلبة الشبهات والشهوات على النفوس .

ص ٧٨

(١) في الأصل : فمن يهديه .

(٢) في الأصل : وهذه .

والإنسان خلق ظلوماً جهولاً ، فالأصل فيه عدم العلم وميله إلى ما يهواه من الشر ، فيحتاج دائماً إلى علم مفصل يزول به جهله ، وعدل في محبته وبفضه ، ورضاه وغضبه ، وفعله وتركه ، وإعطائه ومنعه ، وكل ما يقوله ويعمله يحتاج فيه إلى عدل ينافي ظلمه ، فإن لم يمن الله عليه بالعلم المفصل والعدل المفصل ، وإلا كان فيه من الجهل والظلم ما يخرج به عن الصراط المستقيم ، وقد قال تعالى لنبيه بعد صلح الحديبية وبيعة الرضوان : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ [سورة الفتح : ١-٣] ، فأخبر أنه فعل هذا ليهديه صراطاً مستقيماً ، فإذا كان هذا حاله فكيف حال غيره ؟ .

والصراط المستقيم قد فُسر بالقرآن ، والإسلام ، وطريق العبودية ، وكل هذا حق ، فهو موصوف بهذا وبغيره ، فحاجته إلى هذه الهداية ضرورية في سعادته ونجاته ، بخلاف الحاجة إلى الرزق والنصر ، فإن الله يرزقه ، وإذا اقطع رزقه مات ، والموت لا بد منه ، فإن كان من أهل الهداية كان سعيداً ، وإن كان بعد الموت ، وكان الموت موصله إلى السعادة الدائمة الأبدية ، فيكون رحمة في حقه . وكذلك النصر إذا قُدِّرَ أنه قُهر وغلب حتى قتل ، فإذا كان من أهل الهداية إلى الاستقامة مات شهيداً ، وكان القتل من تمام نعمة الله عليه . فتبين أن حاجة العباد إلى الهدى أعظم من حاجتهم إلى الرزق ، بل لانسبة بينهما ، فلهذا كان هذا الدعاء هو المفروض عليهم .

وأيضاً ، فإن الدعاء يتضمن الرزق والنصر ، لأنه إذا هُدِيَ الصراط المستقيم كان من المتقين ، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ ، وكان ممن ينصر الله ورسوله ، ومن نصر الله نصره وكان من جند الله ، وجند الله هم الغالبون ، فالهدى التام يتضمن حصول أعظم ما يحصل به الرزق والنصر .

رسالة في تحقيق الشكر

﴿فصل﴾

يتعلق بالشكر^(١)

المجبرة والقدرية
واللاحدة
الله ولا يشكرونها كما أنهم لا يعبدونه ، وأما أهل الإلحاد من المتفلسفة والباطنية لا يحمدون الله ولا يشكرونها فهم أبعد عن حمده وشكره .

مقالة المجبرة
وذلك أن المجبرة حقيقة قولهم أنه ليس برحيم ولا مُنعم ، بل ولا إله يستحق أن يُعبد ويُحِب ، بل صدور الإحسان عنه كصدور الإساءة ، وإنما هو يفعل بمحض مشيئة ترجح الشيء على مثله لا المرجح ، وكل المسكنات عندهم متماثلة ، فلا فرق بين أن يريد رحمة الخلق ونفعهم والإحسان إليهم ، أو يريد فسادهم وهلاكهم وإضرارهم ؛ يقولون : هذا كله عنده سواء .

ومعلوم أن الإنعام إنما يكون إنعاماً إذا قصد به المنعم نفع المنعم عليه دون إضراره ، وأما إذا قصد الأمرين ، فهذا ليس جملة منعماً مصلحاً بأولى من جملة معتدياً مفسداً ، كمن بيده سيف يضرب به صديق الإنسان تارة وعدوه أخرى ، أو معه دراهم يقوى بها تارة ويقوّيه بها تارة^(٢) ، فهذا ليس كونه محسناً إليه بأولى من كونه ضاراً له ومحسناً إلى عدوه .

مقالة القدرية
النافية
وأما النافية فعندهم أن هذا كله واجب عليه : البيان ، وخلق القدرة ، وإزاحة العلل ، والجزاء . ومن فعل الواجب الذي يستحقه غيره عليه لم يستحق الشكر المطلق .

(١) يتعلق بالشكر : زيادة في (ع) .

(٢) الكلام فيه اختصار والقصود : يقوى بها صديقه تارة ويقوى بها عدوه تارة .

وأيضاً ، إنعامه بالهدى على المؤمنين^(١) والكفار سواء ، فشكر المؤمنين له على الهدى كشكر الكفار عليه ، إذ لم ينعم على المؤمنين^(٢) بنفس الهدى بل هم اهتموا بقدرتهم ومشيتهم ، وإذن كان إنعامه على النوعين سواء ، ولكن هؤلاء هم الذين فعلوا ما يسعدون به .

مقالة الفيلسفة

والمفلسفة : أرسطو وأتباعه - عندهم أنه لا يفعل شيئاً ولا يريد شيئاً ولا يعلم شيئاً ولا يخلق شيئاً ، فعلى أى شيء يُشكر ، أم على أى^(٣) شيء يُحمد ويُعبد ؟

مقالة باطنية
لشيعة والتصوفة

والباطنية : باطنية الشيعة والتصوفة كابن سبعين^(٤) وابن عربي^(٥) - هم في الباطن كذلك ، بل يقولون : الوجود واحد : وجود المخلوق هو وجود الخالق ، فيجب أن يكون كل موجود عابداً لنفسه شاكراً لنفسه حامداً لنفسه .

مقالة ابن عربي

وابن عربي يجعل الأعيان ثابتة في العدم ، وقد صرح بأن الله لم يُعط أحداً شيئاً ، وأن جميع ما للعباد فهو منهم لا منه ، وهو مفتقر إليهم لظهور وجوده في أعيانهم ، وهم مفتقرون إليه لكون أعيانهم ظهرت في وجوده ؛ فإرب إن ظهر

(١ - ١) : سافط من (ك) .

(٢) : أى : سافطة من (ع) .

(٣) : أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر المعروف بابن سبعين ، ولد سنة ٦١٣ وتوفى سنة ٦٦٩ . انظر ترجمته في : شذرات الذهب ٥ / ٣٢٩ - ٣٣٠ ؛ الطبقات الكبرى للشعراني ١ / ١٧٧ ؛ لسان الميزان ٣ / ٣٩٢ ؛ فوات الوفيات ١ / ٥١٦ - ٥١٨ ؛ فتح الطيب ٢ / ٣٩٥ - ٤٠٦ ؛ الأعلام ٤ / ٥١ .

(٤) : أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بابن عربي أو ابن العربي . ولد بمرسية بالأندلس سنة ٥٦٠ وتوفى بدمشق سنة ٦٣٨ . انظر ترجمته ومصنفاته في : فتح الطيب ٢ / ٣٦١ - ٣٨٤ ؛ شذرات الذهب ٥ / ١٩٠ - ٢٠٢ ؛ الطبقات الكبرى للشعراني ١ / ١٦٣ ؛ ميزان الاعتدال ٣ / ٦٥٩ - ٦٦٠ ؛ لسان الميزان ٥ / ٣١١ - ٣١٥ ؛ فوات الوفيات ٣ / ٤٧٨ - ٤٨٢ ؛ إبراهيم بن عداة القاري : مناقب ابن عربي ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، بيروت ، ١٩٥٩ ؛ الأعلام ٧ / ١٧٠ - ١٧١ .

فهو العبد ، والعبد إن بطن فهو الرب^(١) . ولهذا قال : لا تحمد ولا تشكر
إلا نفسك ، فما في أحد من الله شيء ، ولا في أحد من نفسه شيء^(٢) . ولهذا
قال : إنه يستحيل من العبد أن يدعو لأنه يشهد أحدية العين ، / فالداعي هو
المدعو ، فكيف يدعو نفسه ؟^(٣) وزعم أن هذا هو خلاصة غاية الغاية ، فما بعد
هذا شيء . وقال : فلا تطمع أن ترقى في أعلى من هذه الدرج ، فائتم^(٤)
شيء أصلاً ، وإن هذا إنما يعرفه خلاصة خلاصة الخاصة من
أهل الله .

فصرّح بأنه ليس بعد وجود المخلوقات وجود يخلق ويرزق ويُعبّد . ولهذا
كان صاحبه القاضي يقول :

ما الأمر إلا نسقٌ واحدٌ ما فيه من حدٍ ولازمٍ
وإنما العادة قد خصّصت والطبع والشارع بالحكم^(٥)
وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نَّفْعَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ

(١) انظر مثلاً ما يذكره في « فصوص الحكم » ١ / ٧٧ : « فهو الأول والآخر ،
والظاهر والباطن ، فهو عين مظهر ، وهو عين مابطن في حال ظهوره ، وما ثم من براه غيره ،
وما ثم من يبطن عنه ، فهو ظاهر لنفسه باطن عنه ، وهو المسمى أبا سعيد الخراز وغير ذلك
من أسماء المحدثات . . الخ » .

(٢) انظر مثلاً ما يذكره في المرجع السابق ١ / ٨٣ : « فلا تصد إلا نفسك ولا تذب
إلا نفسك ، وما يبقى للحق إلا حمد إفاضة الوجود لأن ذلك له لا لك ، فأنت غذاؤه بالأحكام
وهو غذاؤك بالوجود . . الخ » . وانظر كذلك ١ / ٩٦ : « فأعطاه الخير سواء ، ولا أعطاه
ضد الخير غيره ، بل هو منعم ذاته ومعذبا ، فلا يذم إلا نفسه ولا يحمى إلا نفسه . .
وليس وجود إلا وجود الحق بصور أحوال ماضية عليه الممكنات في أنفسها وأعيانها » .

(٣) انظر مثلاً المرجع السابق ١ / ١٨٣ : « قال تعالى (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب
أجيب دعوه الداع إذا دعان) إذ لا يكون مجيباً إلا إذا كان من يدعو ، وإن كان عين الداعي
عين الجيب ، فلا خلاف في اختلاف الصور ... الخ » .

(٤) أورد ابن تيمية هذين البيتين في مواضع من رسائله ولم أتبين من كلامه من هو قائلها .
انظر : مجموعة الرسائل والمسائل ١ / ١٧٨ - ١٧٩ (وفيها : والشارع في الحكم) . وقارن
ذلك بما في نفس المجموعة ٤ / ٢٣ : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ط . الرياض) ٢ / ٩٩ .

كفر باطنية
المتصوفة أعظم
من كفر
الفلاسفة

فَالَيْدِ تَجَارُونَ * ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ ﴿ الآية [سورة النحل: ٥٣، ٥٤] إلى قوله سبحانه : ﴿ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [الآية : ٥٧] . وهذه الآيات كما تناولت ذم الذين جعلوا له شريكا وولداً ، فتناولها لدم هؤلاء الملاحدة أعظم . فإن القائلين بقدوم العالم وأنه معلول جموده كله والدلالة^(١) قديماً أزلياً معه ، وهذا أعظم من قول أولئك . والذين لم يجعلوه معلولاً له قالوا : إنه قديم معه واجب الوجود^(٢) مماثل له ، بل وجعلوا الفلك هو الذي^(٣) تحدث عنه الحوادث ، لكن حركته للشبه به^(٤) . وهذا أعظم من كل شرك في العالم ، ومن شرك الجحوس والخرنانيين ، فإن أولئك وإن جعلوا معه قديماً : إما الظلمة - وهي إبليس - عند الجحوس ، وإما النفس والهيولى عند الخرنانيين ، فهم يقولون : إنه أحدث العالم ، وأنه ركب من النفس والهيولى القديمتين ، وركبه من أجزاء النور والظلمة^(٥) .

ولهذا ذكر محمد بن كعب^(٦) وغيره عن الجحوس والصابئة أنهم قالوا عن الله : لولا أولياؤه لذل . فأنزله الله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّلِّ ﴾ [سورة الإسراء : ١١١] ^(٧) ، فإنهم يجعلونه محتاجاً إلى من يعاونه إذ كان

(١) والدلالة : كذا في النسختين .

(٢) الوجود : ساقطة من (ك) .

(٣) عبارته « هو الذي » : ساقطة من (ك) .

(٤) ع : كتشبه به ؛ ك : لتشبيه به .

(٥) انظر مقالة الجحوس والخرنانيين في : الفصل في الملل والنحل لابن حزم ١ / ٣٤

وما بعدها ؛ الملل والنحل للشهرستاني ١ / ٢١٠ وما بعدها ٢ / ٥٢ - ٦١ .

(٦) قال ابن حجر في « تقريب التهذيب » ٢ / ٢٠٣ : « محمد بن كعب بن سليم بن أسد ، أبو حمزة القرطبي المدني ، وكان قد نزل الكوفة مدة ، ثقة عالم ، من الثالثة ، ولد سنة أربعين على الصحيح . . مات محمد سنة عشرين (ومائة) وقيل قبل ذلك » .

(٧) أخرج الطبري في تفسيره (ط . بولاق) ١٥ / ١٢٦ : « .. عن القرطبي أنه كان يقول في هذه الآية : (الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) الآية . قال : إن اليهود والنصارى قالوا : اتخذ الله ولداً . وقالت العرب ليك ليك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك . وقال الصابئون والجحوس : لولا أولياء الله لذل الله . فأنزله الله : (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن) وكبره أنت يا محمد على ما يقولون تكبيراً » .

مفلوباً من وجهٍ مع القدماء معه ، كما هو غالبٌ من وجهٍ .
وكفر أولئك أعظم ، فإنهم لم يجعلوا له تأثيراً في الفلك ولا تصرفاً بوجه من الوجوه ، فهؤلاء تنقصوه وسلبوه الربوبية والإلهية أعظم من أولئك ، وجعلوه مع الفلك مفلوباً من كل وجهٍ لا يقدر أن يفعل فيه شيئاً ، وكقول عبدة الأوثان : هو أجلٌ من أن نعبد بل نعبد الوسائط ، وهو أجلٌ من أن يبعث بشراً رسولاً ؛ فجددوا توحيدهم ورسالتهم على وجه التعظيم له . وكذلك الجوس النورية أثبتوا الظلمة تنزيهاً له عن فعل الشر ، والحزبانِيُّون أثبتوا معه النفس والمبولى قديمين تنزيهاً له عن إحداث العالم بلا سبب ؛ فالأمر كلهم يعظمونه ، لكن تعظيماً يستلزم شبهةً وسبباً .

كل ما بالخلق
من نعمة فمن الله

والمقصود هنا قوله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [سورة النحل : ٥٣] ، وقوله عز وجل : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ ﴾ [سورة المجاثية : ١٣] ^(١) ، فالأمر ضد ما قاله هؤلاء للملاحدة : ابن عربي ونحوه - حيث قالوا : ما في أحد من الله شيء . فيقال لهم : بل كل ما بالخلق من نعمة فمن الله وحده .

ط ١٣٧

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من قال إذا أصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر ، فقد أدى شكر ذلك [اليوم] ، ومن قال إذا أمسى : اللهم ما أمسى بي من نعمة أو بأحد من خلقك ، فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر ، فقد أدى شكر تلك الليلة » رواه أبو داود وغيره ^(٢) .

(١) في (ع) كتبت كلمة « السموات » في الآية ثم شطبت ولم تكتب عبارة « وما في » بعدما ، و (ك) لم يكتب الناسخ عبارة « السموات وما في » كلها ، مما يرجع أن نسخة (ك) نقلت عن (ع) أو أنهما نقلتا عن نسخة نائلة .

(٢) اليوم : ساقطة من النسختين . والحديث مع اختلاف في اللفظ عن عبد الله بن غنام البياضي رضي الله عنه في سنن أبي داود ٤/٤٣٥ (كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح) وهو في الأذكار للنووي ، ص ٧٤ (ط . مصطفى الحلبي ، ١٣٧١/١٩٥٢) وقال إن إسناده جيد .

فكل ما باخلق من النعم فنه وحده لا شريك له ، ولهذا هو سبحانه يجمع بين الشكر والتوحيد ، ففي الصلاة أول الفاتحة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وأوسطها : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . وألخبط وكل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجزم^(١) . وعن ابن عباس : إذا قلت : لا إله إلا الله ، فقل : الحمد لله ، فإن الله يقول : ﴿ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة غافر : ٦٥] ^(٢) .

وفي حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يصبح : الحمد لله ربّي لا أشرك به شيئاً ، أشهد أن لا إله إلا الله ، ظلّ تُغفر له ذنوبه حتى يمسي ، ومن قالها حين يمسي غُفرت له^(٣) ذنوبه حتى يصبح » . رواه أبان الحاربي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، كما ذكره ابن عبد البر وغيره^(٤) . فالحمد أول الأمر : كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجزم ، والتوحيد نهايته . ولهذا كان النصف من الفاتحة الذي هو لله أوله^(٥) حمد وآخره توحيد : إياك نعبد .

والحمد رأس الشكر ، فالحامد يشكره أولاً على نعمه^(٦) ، ثم يعبده وحده ، فإن العبد أول ما يعرف ما يحصل له من النعمة ، مثل خلقه حيّاً ، وخلق طرق العلم : السمع والبصر والعقل .

(١) في النسختين : والخطب كل أمر .. الخ . وكأن ابن تيمية قد جمع بين معنى أحاديث في الباب رواها أبو داود وابن ماجه والترمذي . انظر الأذكار للنووي ، ص ٢٤٩ .
(٢) ذكر هذا الأثر بمقتضى السيوطي في الدر المنثور ٣٥٧/٥ وقال أخرجه ابن جرير وابن المنذر والحاكم - وصححه - وابن مردويه والبيهقي في « الأسماء والصفات » .
(٣) له : ساقطة من (ع) .

(٤) ذكر ابن عبد البر الحديث في ترجمة أبان الحاربي رضى عنه الله في « الاستيعاب » ٤٨ / ١ (بذيل الإصابة ، ط . التجارية ، ١٣٥٨ / ١٩٣٩) . وذكره ابن السني في « عمل اليوم والليلة » ، ص ٢١ (ط . حيدرآباد) وفيها : ما من مسلم يقول إذا أصبح .. الخ .

(٥) في النسختين : أول ، وهو تحريف . (٦) ع : على نعمة .

وقد تنازع الناس في أول ما أنعم الله على العبد ، فقيل : هو خلقه حياً أو خلق الحياة ؛ كما قال ذلك من قاله من المعزلة . وقيل : بل إدراك الذات ونيل الشهوات ، كما يقوله الأشعري ومن وافقه من الفقهاء من أصحاب أحمد وغيره ، كالقاضي أبي يعلى في أحد قوليهِ . ومن أصحاب أحمد وغيرهم من قال : بل أولها هو الإيمان ، ولم يجعل ما قبل الإيمان نعمة بناءً على أن ^(١) تلك لا تصير نعماً إلا بالإيمان ، وأن الكافر ليس عليه نعمة . وهذا أحد قولي الأشعري وأحد القولين لمتأخري أصحاب أحمد وغيرهم كأبي الفرج .

نعمة الله على
الكفار وغيرهم
ولكن نعمته
المطلقة على
المؤمنين

والصحيح أن نعمة الله على كل أحد : على الكفار وغيرهم ، لكن النعمة المطلقة التامة هي على الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين الذين أمرنا أن نقول في صلاتنا : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، فإن جُمِلت « غير » صفة لا استثناء فيها لم يدخل المغضوب عليهم ولا الضالون في المنعم عليهم ، وإن جُمِلت استثناء فقد دخلوا في المنعم عليهم ، لكن رجّحوا الأول فقالوا - واللفظ للبقوى - « : غير ههنا بمعنى ^(٢) لا ، ولا ^(٣) بمعنى غير ، ولذلك ^(٤) جاز المطف [عليها] ^(٥) ، كما يُقال : فلان غير محسن ولا مجمل ، فإذا كان « غير » بمعنى « سوى » فلا يجوز المطف عليها بلا . لا يجوز في الكلام : عندي سوى عبد الله ولا زيد ^(٦) . وقد روى عن عمر أنه قرأ ^(٧) : صراط من أنعمت عليهم غير

(١) أن : ساقطة من (ع) .

(٢) بمعنى : ساقطة من (ك) .

(٣) في النسختين « لا » والتصويب من تفسير البغوى ١ / ٥٤ .

(٤) ك : وكذلك .

(٥) عليها : ساقطة من النسختين وزدتها من تفسير البغوى .

(٦) المنقول عن البغوى إلى هذا الموضع هو نص كلام الكوفيين . انظر معاني القرآن

للفراء ١ / ٨ ، ط . دار الكتب ، ١٣٧٤ / ١٩٥٥ .

(٧) في تفسير البغوى : وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

المنسوب عليهم وغير الضالين » .

وهذا قد ذكره غير واحد من أهل العربية ومثّلوه بقول القائل : إني لأقر بالصادق غير الكاذب . قالوا : و « غير » هنا صفة ليست للاستثناء ، وأصل « غير » أن تكون صفة ، وهي في الآية صفة ، ولهذا خُفِضَتْ كأنه قيل : صراط المنعم عليهم المغايرين لهؤلاء وهؤلاء .

فهذه هي النعمة المطلقة التامة ، والقرآن مملوء من ذكر نعمه على الكفار . وقد قال تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَانًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨] ، فالحياة نعمة ، وإدراك الذات نعمة . وأما الإيمان فهو أعظم النعم ، وبه تتم النعم .

فالإنسان بِحَبِيلَتِهِ يطلب ما يوافقه ويتنعم به - من الغذاء وغيره - على هذا فُطِرَ ، فيعرف النعمة ، فيعرف ^(١) النعم ، فيشكره . فلهذا كان الحمد هو الابتداء ، فإن شعوره بنفسه وبما يحتاج إليه ويتنعم به قبل شعوره بكل شيء ، وهو ^(٢) من حين خرج من بطن أمه شعر باللبن الذي يحتاج إليه ويتنعم به وبما يخرج منه وهو الثدي ، فلهذا تعرّف الله إليه ^(٣) بالنعم ليشكره ، وشكره ابتداء معرفته بالله ، فإذا عرف الله أحبه فعبدته وتنعم بعبادته وحده لا شريك له ، وعرف ما في التأله له من اللذة العظيمة التي لا يعدلها لذة ؛ فلهذا كان التوحيد نهايته ؛ أوله الحمد ، وآخره إياك نعبد .

وكذلك في الجنة ، كما في صحيح مسلم عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ك : فيعرف النعم ويعرف .. الخ .

(٢) ك : كل شيء هو .. الخ .

(٣) إليه : ساقطة من (ك) .

أنه قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد : يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه . فيقولون : ما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويُخبرنا من النار ؟ قال : فيُكشف الحجاب فينظرون إليه ، فأعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ، وهى الزيادة » ^(١) . فالنظر إليه أكمل اللذات وآخرها ، كما قال : « فأعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه » . ولهذا قيل : أطيب مافى الدنيا معرفته ، وأطيب مافى الآخرة مشاهدته .

وعبادته وحده بمحبته وقصد رؤيته هو لأهل السنة الذين يقرّون بإلاهيته وحكمته ، وأنه يستحق المحبة ، وأن يكون هو أحب إلى العبد من كل شيء .

وأما الجهمية والمعتزلة فينكرون محبته وحقيقة إلهيته ، وعلى قولهم تمتنع عبادته . لكن المعتزلة تقر بالنعمة ووجوب الشكر ^(٢) وعلى هذا بنوا دينهم ؛ وغاية الواجبات هى الشكر ؛ ولهذا قالوا : الشكر يجب عقلاً . وأما العبادة والمحبة فلم يعرفوها ولم يصلوا إليها بل أنكروها .

وأما الجهمية المجبرة : لا هذا ولا هذا ، لكن يعترفون بقدرته وأنه يفعل ما يشاء . ولهذا كانوا فى الواجبات وترك المحرمات / أبعد من المعتزلة ، فإنهم مرجئة مجبرة فلا يجزمون بالوعيد - وهذا نصف الحرف الباعث على العمل ، ويقولون بالجبر - وهذا نصف الاعتراف بحق الله على العبد ووجوب شكره ، فتتصف دواعيهم من جهة الخوف ومن جهة الشكر ، لا يشكرون نعمه الماضية ،

ظ ١٣٨

(١) الحديث فى مسلم ١١٢/١ (كتاب الإيمان ، باب إنبات رؤية المؤمنين فى الآخرة وبهم سبحانه وتعالى) مع اختلاف فى لفظه عما ذكره ابن تيمية . وهو أيضاً فى : سنن ابن ماجه ١/ ٦٧ (المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية) ؛ جامع الترمذى (بشرح ابن العربي) ١٠/ ١٨ - ١٩ (أبواب صفة الجنة ، باب ما جاء فى رؤية الرب تبارك وتعالى) .
(٢) فى الأصل فى النسختين : تقر بالنعمة ووجوب الشكر .

الجهمية المجرة
يضعف شكرهم
وخوفهم ويقوى
رجاؤهم

ولا يخافون عقوبته المستقبلية . ولكن لما آمن من آمن منهم بالرسول صار
عندهم خوفٌ ما ورجاء وصاروا يُوجِبون الشكر شرعاً ، وعندهم داعى الرجاء ،
فالرجاء عندهم أغلب من الخوف ، وهو أحد المعنيين فى تسميتهم مرجئة . قيل :
إنه من الرجاء ، أى يجعلون الناس راجين ، فهم مُرجِية لا مُخَيِّفة . لكن
الصحيح أنهم مرجئة بالهمز من الإرجاء ، لكن يشارك الرجاء فى الاشتقاق
الأكبر^(١) .

المؤمن يخاف الله
ويرجوه ويحبه

ولهذا قيل : « من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ » ، ومن عبده بالخوف
وحده فهو حرورى^(٢) ، ومن عبده بالحب فهو زنديق ، ومن عبده بالخوف
والرجاء والحب فهو مؤمن موحد »

وذلك أن الحب الذى ليس معه رجاء ولا خوف يبعث النفس على اتباع
هواها ؛ وصاحبه إنما يحب فى الحقيقة نفسه ؛ وقد اتخذ لإلهه هواه ، فلهذا كان
زنديقاً . ومن هنا دخلت الملاحدة الباطنية كالتائلين بوحدة الوجود ، فإن هؤلاء
سلوكهم عن هوى ومحبة فقط ، ليس معه رجاء ولا خوف ، ولهذا يتنوعون^(٣)
القاتلون بوحدة
الوجود يحبون
بدون خوف
أو رجاء

(١) قال الشهرستانى فى « الملل والنحل » ١ / ١٢٥ : « الإرجاء على معنيين : أحدهما
بمعنى التأخير ، كما فى قوله تعالى : قالوا أرجه وأخاه ، أى : أمهله وأخره . والثانى : إعطاء
الرجاء . أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح لأنهم كانوا يؤخرون العمل
عن النية والعقد . وأما بالمعنى الثانى فظاهر ، فإنهم كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية
كألا تنفع مع الكفر طاعة » .

(٢) فى « اللباب فى تهذيب الأنساب » لابن الأثير ١ / ٢٩٤ : « الحرورى بفتح الحاء
وضم الراء وسكون الواو وفى آخرها راء ثانية ، هذه النسبة إلى حروراء ، وهو موضع
على ميلين من الكوفة كان أول اجتماع الخوارج به فنسبوا إليه » . وانظر « معجم البلدان »
لياقوت : مادة « حروراء » .

(٣) يتنوعون : كذا فى النسختين ، ولعل الصواب : يتدهون .

فهم من الذين قال الله فيهم : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ [سورة الجاثية : ٢٣] . ولهذا يجوزون الشرك ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ الآية وما بعدها إلى قوله : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [سورة الروم : ٣٠-٣٢] .

وهم في الحقيقة ينكرون محبة الله ، ولكن يقولون : الحكمة هي التشبه به . ولهذا كان ابن عربي يجعل الولي هو المتشبه به في التخلق بأسمائه ، وينكر اللذة بالمشاهدة والخطاب ، ويقول : ما التذ عارف قط بالمشاهدة ؛ لأنها على أصله مشاهدة وجود مطلق ولا لذه فيها .

ووقع بينه وبين شهاب الدين السهروردي ^(١) منازعة : هل حين يتجلى ^(٢) لهم يخاطبهم ؟ فأثبت شهاب الدين ذلك ، كما جاءت به الآثار . وأنكر ذلك ابن عربي وقال : مسكين هذا السهروردي ، نحن نقول له عن تجلي الذات ، وهو يقول عن تجلي الصفات ^(٣) .

(١) كلام ابن تيمية هنا عن : شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن عمرو ، وهو غير شهاب الدين السهروردي المقتول . من شيوخ الصوفية ومن فقهاء الشافعية ومن أشهر كتبه « عوارف المعارف » ولد سنة ٥٣٩ وتوفي سنة ٦٣٢ . انظر ترجمته في : طبقات الشافعية ١٤٣/٥ - ١٤٤ ؛ وفيات الأعيان ١١٩/٣ - ١٢٠ ؛ شذرات الذهب ١٥٣/٥ - ١٥٥ ؛ مرآة الجنان لليافعي ٤ / ٧٩ - ٨٢ ؛ تاريخ ابن الوردي ٢ / ١٦١ ؛ البداية والنهاية ١٣/١٤٣ ، ١٨٣ ؛ النجوم الزاهرة ٦ / ٢٨٣ - ٢٨٤ ؛ معجم البلدان : سهروردي الأعلام ٥ / ٢٢٣ .

(٢) في الأصل : يتلى ، ورجعت أن يكون الصواب ما أثبتته ، وانظر قوله بعد قليل : فيستحيل عند تجليها خطاب .

(٣) لم أجد هذه القصة فيما بين يدي من مراجع ، ولكن ذكر المقرئ في فجع الطبيب ٣٨٢ / ٢ ما يلي : « وذكر الإمام سيدي عبد الله بن سعد اليافعي الميكي في « الإرشاد » أنه اجتمع مع الشهاب السهروردي فأطرق كل واحد منهما ساعة ، ثم اقترعا من غير كلام ، فقيل للشيخ ابن عربي : ما تقول في السهروردي ؟ فقال : مملوء سنة من قرنة إلى قدمه . وقيل للسهروردي : ما تقول في الشيخ محي الدين ؟ فقال : بحر الحقائق . وذكر الشيخ إبراهيم ابن عبد الله القاري في كتابه « مناقب ابن عربي » (ص ٢٩) قصة مماثلة . وانظر مرآة الجنان لليافعي ٤ / ١٠٠ .

وهذا بناء على أصله الفاسد ، وهو أن الذات وجود مطلق لا تقوم به صفات : لا كلام ولا غيره فيستحيل عند تجليها خطاب .

وشهاب الدين كان أتبع للسنة والشرع منه ، ولهذا كان صاحبهما ابن حويه^(١) يقول : « ابن عربي بحر لا تكدره الدلاء ، ولكن نور المتابعة الحميدة على وجه الشيخ شهاب الدين شيء آخر »^(٢) . لكنه كان ضعيف الإثبات للصفات والعلو لما فيه من التجهم الأشعري^(٣) . وكان يقول عن الرب : لا إشارة ولا تعيين .

وهؤلاء مخانيث / الجهمية ، وابن عربي من ذكورهم . فهم يستطيعون على من دخل معهم في التجهم . وإنما يقهرهم^(٤) أهل السنة المثبتون المعارفون بما جاء به الرسول وبمخالفتهم له و ببطلان ما يناقض السنة من المعقولات الفاسدة . ولم يكن السهروردي من هؤلاء ؛ وكذلك الحريري^(٥) قال : « كفت أثبت الحجة أولاً ، ثم رأيت أن الحجة ما تكون إلا من غير لغير^(٦) » ، وما ثم غير .

ص ١٣٩

(١) سعد الدين محمد بن عبد الله بن حويه الحوى ، زاهد متصوف ، توفي سنة ٦٥٢ . انظر ترجمته في : النجوم الزاهرة ٧ / ٣١ .
(٢) في « مناقب ابن عربي » ص ٢٩ - ٣٠ أن ابن حويه « لما رجع من الشام إلى بلاده سأله أشراف أترابه وخوأس أصحابه : من تركت بالشام من العلماء ؟ قال رضى الله عنه : تركت بها بحراً زخاراً لا قعر له ولا ساحل . يعنى الشيخ عبي الدين رضى الله عنه » .
(٣) ك : لما فيه من التجهم وكان الأشعري يقول عن الرب .. الخ ، وهو خطأ .
وفى (ع) : لما فيه من التجهم ، وتحت كلمة التجهم ، كتبت كلمة « الأشعري » وعليها علامة الصحة . والمعنى : أن فى السهروردي تجهما مثل تجهم بعض الأشاعرة الذين تأثروا بالجهمية فى مسائل منها ملهم إلى الجبر ونفى بعض الصفات . ولا يجوز أن تكون العبارة التالية من قول الأشعري بل هى من قول السهروردي .
(٤) ك : يقهرهم ، وهو تحريف ظاهر .

(٥) أبو الحسن على بن الحسين بن المنصور الحريري ، صوفى من القائلين بوحدة الوجود ومن يظهر الزندقة ويستزىء بأوامر الشرع ونواهيہ وينتهك الحرمات ، توفي سنة ٦٤٥ . انظر ترجمته فى : فوات الوفيات ٢ / ٨٨ - ٩٤ ؛ النجوم الزاهرة ٦ / ٣٥٩ ، ٣٦٠ ؛ الأعلام ٥ / ٩٠ .
(٦) ع : لعين .

فهؤلاء منتهم إنكار المحبة التي يستحقها الرب ، ولهذا لا يتابعون رسوله ، ولا يجاهدون في سبيله ، والله وصف [المؤمنين]^(١) بهذا وبهذا ؛ فحبة هؤلاء تجر إلى الزندقة .

وأيضاً ، فقد يقولون : إن الحب لا تضره الذنوب ، وصنف ابن حمويه في ذلك مصنفاً بناء على ما يُقال : إذا أحب الله عبداً لا تضره الذنوب . وهذا إذا قاله الحق فقصده أنه لا يتركه مصرّاً عليها بل يتوب عليه منها فلا تضره ، فأخذه هؤلاء وقالوا : إن الذنوب لا تضر المحبوبين ، وأحدهم يقول عن نفسه : إنه محجوب فلا تضره الذنوب . فصاروا مثل اليهود والنصارى الذين قالوا : ﴿ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِاللَّهِ مِنْكُمْ وَأَحِبَّاءُهُ ﴾ [سورة المائدة : ١٨] ، فصار فيهم زندقة من هذا الوجه ومن غيره .

وقد قال تعالى عن يوسف : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ بيان مقالة أهل السنة
 إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿ [سورة يوسف : ٢٤] ، وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ [سورة النساء : ١٢٣] . وسيد المحبِّين المحبوبين خاتم الرسل وقد قال : « إني أعلمكم بالله وأشدكم خشية له »^(٢) .

وهو سبعانه لا يجب إلا الحسنات ولا يجب السيئات ، وهو يجب المتقين والحسنين والصابرين والتواابين والمتطهرين ، ولا يجب كل مختال نفور ولا يجب

(١) المؤمنین : زدتها ليتضح بها الكلام .

(٢) أخرج البخاري في صحيحه ٨ / ٢٦ (كتاب الأدب ، باب من لم يواجه الناس بالعتاب) ؛ وسلم في صحيحه ٧ / ٩٠ (كتاب الفضائل ، باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله تعالى وشدة خشيته) عن عائشة رضي الله عنها قالت (واللفظ للبخاري) : « صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال : ما بال أقوام يتزهون عن الشيء أصنعهم فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية » .

الفساد ولا يرضى لعباده الكفر؛ فإذا أحب عبداً وأذنب كان من التوابين المتطهرين .

وبعض الناس يقول : الشاب الثائب حبيب الله ، والشيخ الثائب عتيقه . وليس ذلك ، بل كل من تاب فهو حبيب الله ، سواء كان شيخاً أو شاباً ، وقد روى : أهل ذكرى أهل مجالستي ، وأهل شكرى أهل زيادتي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي ، وأهل مصيقتي لا أؤيسهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبتهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طيبيتهم ، ابتليهم بالمصائب لأطهرهم من المايب . وهذا فعله مع عباده : إذا أذنبوا إما أن يتوب عليهم ، وإما أن يتليهم بما يطهرهم إذا لم يحمل السيئات تخفض درجاتهم ، وإن لم يكن هذا ولا هذا انخفضت درجاتهم بحسب سيئاتهم عن درجات من ساوأم في الحسنات وسلم من تلك السيئات ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ [سورة الأنعام : ١٣٢] : لأهل الجنة ولأهل النار درجات من أعمالهم بحسبها ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

والعبد هو فقير دائماً إلى الله من كل وجه : من جهة أنه مبدؤه وأنه مستعانه ، فلا يأتي بالنعم إلا هو ، ولا يصلح حال العبد إلا بعبادته . وهو مذنب أيضاً ، لا بد له من الذنوب ، فهو دائماً فقير مذنّب ، فيحتاج دائماً إلى الغفور الرحيم / : الغفور الذي يغفر ذنوبه ، والرحيم الذي يرحمه فينعم عليه ويحسن إليه ، فهو دائماً بين إنعام الرب وذنوب نفسه ، كما قال أبو إسماعيل الأنصاري^(١) إنه يسير بين مطالعة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل . وكما قال ذلك العارف للحسن البصري : إني أصبح بين نعمة وذنوب ، فأريد أن أحدث للنعمة شكراً وللذنوب استغفاراً .

ط ١٣٩

(١) أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي المروزي الأنصاري ، كان يدعى شيخ الإسلام وكان إمام أهل السنة بهراه ، توفى سنة ٤٨١ . انظر ترجمته في : طبقات الحنابلة ٢/٢٤٧ - ٢٤٨ ؛ الذيل لابن رجب ١/٥٠ - ٦٨ ؛ الأعلام ٤/٢٦٧ .

وفي سيد الاستغفار: «أبوء لك بنعمتك علىّ وأبوء بذنبي»^(١). وفي الحديث الإلهي^(٢): «فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» . وكان يقول في خطبته : «الحمد لله نستعينه ونستغفره»^(٣). وفي القنوت : «اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك» إلى آخره^(٤) . وكان صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع يحمد الله ثم يستغفره فيقول: «ربنا ولك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد - وكلنا لك عبد - : لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منمت ولا ينفع ذا الجدم منك الجد . اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد . اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس»^(٥) .

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه ٨ / ٧١ (كتاب المذعوات ، باب ما يقول إذا أصبح) وفي كتاب «الأدب المفرد» ص ١٦١ (ط . السلفية) (باب سيد الاستغفار) . عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سيد الاستغفار : اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أبوء لك بنعمتك علىّ وأبوء بذنبي » الحديث ، ورواه النووي في «الأذكار» ص ٧١ .

(٢) وهو الحديث القدسي المروي عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا .. الحديث ، ورواه مسلم في صحيحه ٨ / ١٦ - ١٨ (كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم) .

(٣) روى أحمد في مسنده (ط . المعارف) ٥ / ٢٧١ (رقم ٣٧٢٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : علنا خطبة الحاجة : الحمد لله نستعينه ونستغفره .. الحديث . وانظر أرقام : ٣٢٧٥ ، ٣٧٢١ ، ٤١١٥ ، ٤١١٦ . قال المحقق رحمه الله إن الحديث قد رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم . وانظر الأذكار للنووي ، ص ٢٥٠ ؛ سنن ابن ماجه ١ / ٦٠٩ ، ٦١٠ .

(٤) قال النووي في «الأذكار» ، ص ٥٨ : «قال أصحابنا : وإن كنت بما جاء عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان حسناً ، وهو أنه قنت في الصبح بعد الركوع فقال : اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ولا نكفرُكَ .. الحديث » . وقد أورد الشيخ علي التقي في كتابه «كتر العمال» الروايات المختلفة عن هذا القنوت . انظر ج ٨ ص ٤٧ - ٥١ ، ط . حيدرآباد ، ١٣٨٠ / ١٩٦٠ .

(٥) ما رواه ابن تيمية فيه جمع بين بعض أحاديث مروية فيما يقال عند رفع الرأس من الركوع . انظر : مسلم ٢ / ٤٦ - ٤٨ (كتاب الصلاة ، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع) ؛ الأذكار للنووي ، ص ٥٢ - ٥٣ (باب ما يقوله في رفع رأسه من الركوع وفي اعتداله) .

والاستغفار مقرون بالحمد كما قرن بالتوحيد ، وكما قرن الحمد بالتحميد .
وقد جمعت الثلاثة في مثل كفارة المجلس : « سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد
أن لا إله إلا أنت ، استغفرك وأتوب إليك »^(١) .

وكان المقصود أن الجهمية المجبرة لما آمن منهم من آمن بالرسول صار عندهم
خوفٌ ما ورجاء ما ، وصاروا يوجبون الشكر شرعاً ، فالداعي عندهم جزء من
الشرع . وأما داعي المعتزلة فهو أقوى من داعيهم ، فهم أحسن أعمالاً وأعبداً
وأطوع وأورع ، كأهل السنة والمعرفة : فهم يعبّدونه مع الخوف والرجاء
والشكر بداعي المحبة ومعرفة الحكمة والإلهية ، وهذه ملة إبراهيم الخليل ؛
فهم فوق هؤلاء كلهم . والله تعالى أعلم .

^(٢) آخره ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد وآله وسلم^(٣) .

(١) الحديث مروي في سنن أبي داود ٤ / ٣٦٥ - ٣٦٦ (كتاب الأدب ، باب في
كفارة المسجد) . وانظر الأذكار ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .
(٢ - ٢) : زيادة في (ع) .

رِسَالَةٍ فِي مَعْنَى كَوْنِ الرَّبِّ عَادِلًا وَفِي تَنْزِيهِهِ عَنِ الظُّلْمِ

﴿ قاعـدة ﴾

في معنى كون الرب عادلا ، وفي تنزُّهه عن الظلم
وفي إثبات عدله وإحسانه

تأليف شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية ، مما ألفه في محبسه الأخير بالقلعة
بدمشق ، قدّس الله روحه .

/ بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين .
الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وسلم تسليما .

(١) ﴿ فصل ﴾

اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله تعالى عدل قائم بالقسط لا يظلم
شيئاً ، بل هو منزّه عن الظلم .

تنازع طوائف
المسلمين في
معنى الظلم الذي
ينزه الله عنه

ثم لما خاضوا في القدر تنازعوا في معنى كونه عدلا في الظلم الذي هو
منزّه عنه .

مقالة الجهمية
والأشاعرة

فقال طائفة : الظلم ليس بممكن الوجود ، بل كل ممكن إذا قُدِّر وجوده
منه فإنه عدل ، والظلم هو الممتنع : مثل الجمع بين الضدين وكون الشيء موجوداً
معدوماً ؛ فإن الظلم : إما التصرف في ملك الغير - وكل ماسواه ملكه ، وإما مخالفة
الأمر^(٢) الذي نجب طاعته - وليس فوق الله تعالى أمر نجب عليه طاعته .

وهؤلاء يقولون : مهما نُصوِّر وجوده وقُدِّر وجوده فهو عدل . وإذا قالوا :
كل نعمة منه فضل ، وكل نقمة منه عدل ، فهذا أمر أوهم .

(١) فصل : زيادة في (ع) .
(٢) ع : الأمراء ، وهو تحريف .

وهذا قول المجبرة ، مثل جهنم ومن اتبعه ، وهو قول الأشعري وأمثاله من أهل الكلام ، وقول من وافقهم من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية .

وقد روى عن بعض المتقدمين كلمات مطلقة تشبه هذا المذهب ، مثل قول إياس بن معاوية^(١) : « ما ناظرت بعقلي كله إلا القدريّة ، قلت لهم : ما الظلم ؟ قالوا : أن تأخذ ما ليس لك . قلت : فله كل شيء » . ومثل قول أبي الأسود لعمران ابن حصين لما سأله فقال عمران : « أرايت ما يكده الناس اليوم ويعملون فيه ، شيء قضى عليهم ومضى من قدر قد سبق ، أو فيما يستقبلون فيما أتاهم به نبيهم فانخذت به عليهم الحجة ؟ قال : قلت : بل شيء قد قضى عليهم ومضى عليهم . قال : فهل يكون ذلك ظلماً ؟ قال : ففزعنت من ذلك فزعاً شديداً ، وقلت له : إنه ليس شيء إلا وهو خلق الله وملك يده ، ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون . فقال : سدّدك الله ، إني والله ما سألتك إلا لأحرز عقلك »^(٢) .

وهذا قول كثير من أصحاب مالك والشافعي وأحمد ، كالقاضي أبي يعلى^(٣)

(١) إياس بن معاوية بن قرة المزني ، أبو وائلة ، يضرب به المثل في الذكاء . قال ابن سعد : « كان ثقة ، وكان قاضياً على البصرة ، وله أحاديث ، وكان عاقلاً من الرجال فطنا » . وقد توفي لإياس سنة ١٢٢ . انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧ / ٢٣٤ - ٢٣٥ ؛ وفيات الأعيان ١ / ٢٢٣ - ٢٢٦ ؛ تهذيب التهذيب ١ / ٣٩ ؛ الأعلام للزركلي ١ / ٣٧٦ - ٣٧٧ .

(٢) هذه المحاورة بين عمران بن حصين رضي الله عنه وبين أبي الأسود الدثلي رواها مسلم في صحيحه ٨ / ٤٨ - ٤٩ (كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي . . الخ) ، ويذكر عمران بعد هذا الكلام حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم . وبعض ألفاظ الخبر كما رواه ابن تيمية مخالف لما في مسلم .

(٣) أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء من كبار المناطقة وعالم عصره في الأصول والفروع . ولد سنة ٣٨٠ وتوفي سنة ٤٥٨ . انظر ترجمته في : طبقات المناطقة (لابنه أبي الحسين محمد بن محمد) ٢ / ١٩٣ - ٢٣٠ ؛ تاريخ بغداد ٢ / ٢٥٦ ؛ شذرات الذهب ٤ / ٣٠٦ - ٣٠٧ ؛ الوافي بالوفيات ٣ / ٧ ؛ الأعلام ٦ / ٣٣١ .

وأتباعه ، وأبي المعالي الجويني ^(١) وأتباعه ، وأبي الوليد الباجي ^(٢) وأتباعه ، وغيرهم .

مقالة المعتزلة

والقول الثاني : أنه عدل لا يظلم لأنه لم يُرد وجود شيء من الذنوب : لا الكفر ولا الفسوق ولا العصيان ، بل العباد فعلوا ذلك بغير مشيئته كما فعلوه عاصين لأمره ، وهو لم يخلق شيئاً من أفعال العباد : لا خيراً ولا شراً ، بل هم أحدثوا أفعالهم ، فلما أحدثوا معاصيهم استحقوا العقوبة عليها ، فعاقبهم بأفعالهم ، لم يظلمهم .

/ هذا قول القدرية من المعتزلة وغيرهم . وهؤلاء عندهم لا يتم تنزيهه عن الظلم إن لم يجعل غير خالقٍ لشيء من أفعال العباد ، بل ولا قادر على ذلك ، وإن لم يجعل غير شاء لجميع الكائنات ، بل يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء ، إذ المشيئة عندهم بمعنى الأمر .

وهؤلاء والذين قبلهم يقناقضون تناقضاً عظيماً ، ولكل من الطائفتين مباحث ومصنفات في الرد على الأخرى ، وكل من الطائفتين تسمى الأخرى القدرية ، وقد رُوي عن طائفة من التابعين موافقة هؤلاء .

مقالة أهل السنة

والقول الثالث : أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، والعدل وضع كل شيء في موضعه ، وهو سبحانه حَكَمَ عَدْلٌ يضع الأشياء مواضعها ، ولا

(١) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ويلقب بإمام الحرمين . ولد بنيسابور سنة ٤١٩ وتوفي بها سنة ٤٧٨ . وهو من أعظم أئمة الأشاعرة وقد تلمذ عليه الفزالي . انظر ترجمته في : تبیین کذب المفتری لابن عساکر ، ص ٢٧٨ - ٢٨٥ ؛ طبقات الشافعية ٤ / ٢٤٩ - ٢٨٢ ؛ شذرات الذهب ٣ / ٣٥٨ - ٣٦٢ ؛ وفيات الأعيان ٢ / ٣٤١ - ٣٤٣ ؛ الأعلام ٤ / ٣٠٦ .

(٢) أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي ، من كبار علماء المالكية ، ولد بالأندلس سنة ٤٠٣ وتوفي سنة ٤٧٤ . انظر ترجمته في : الديباج المذهب لابن فرحون ، ص ١٢٠ - ١٢٢ ؛ وفيات الأعيان ٢ / ١٤٢ - ١٤٣ ؛ تاريخ ابن الوردي ١ / ٣٦١ ؛ الأعلام ٣ / ١٨٦ .

بضع شيئاً إلا في موضعه الذى يناسبه وتقتضيه الحكمة والعدل ، ولا يفرّق بين متماثلين ، ولا يسوّى بين مختلفين ، ولا يعاقب إلا من يستحق العقوبة فيضعها موضعها لما في ذلك من الحكمة والعدل .

وأما أهل البر والتقوى فلا يعاقبهم ألبتة . قال تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [سورة القلم : ٣٥ ، ٣٦] ، وقال تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [سورة م : ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُم كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ الآية [سورة المجاثبة : ٢١] .

قال أبو بكر بن الأنبارى : الظلم وضع الشيء فى غير موضعه . يقال ^(١) : ظلم الرجل سقاهُ ، إذا سقا منه قبل أن يخرج زُبده . قال الشاعر :

وصاحبِ صدقٍ لم تنلني شكائهُ ظلمتُ ، وفى ظلمي له عامداً أجر ^(٢)

أراد بالصاحب وطبّ اللبن ^(٣) ، وظلمه إياه أن يسقيه قبل أن يخرج زُبده . والعرب تقول : هو أظلم من حية لأنها تأتى الحفرة الذى لم تحفوه فتسكنه . ويقال : قد ظلم الماء الوادى إذا وصل منه إلى مكان لم يكن يصل إليه فيما مضى ، ذكر ذلك أبو الفرج . وكذلك قال البغوى : أصل الظلم وضع

(١) يقال : رسمت فى الأصل فى النسخين « مقال » .

(٢) البيت فى اللسان مادة : (ظلم) : « لم تربى شكاته » . وفى مجالس ثعلب ، ص ١٠٦ ؛ والأساس : (ظلم) : « لم تنلني أذاته » ، وجاء البيت غير منسوب فى هذه المراجع . وفى اللسان (ظلم) : « والظليمة والظلم : اللبن يعقرب منه قبل أن يروب ويخرج زبده .. قال (فى شرح البيت) : هذا سقاء سقى منه قبل أن يخرج زبده ، وظلم وطبه ظلماً (بفتح الظاء) إذا سقى منه قبل أن يروب ويخرج زبده » .

(٣) الوطب : سقاء اللبن .

الشيء في غير موضعه ، وكذلك ذكر غير واحد . قالوا : والعرب تقول : من أشبه أباه فما ظلم ، أى ما وضع الشبه في غير موضعه .

وهذا الأصل ، وهو عدل الرب ، يتعلق بجميع أنواع العلم والدين ، فإن جميع أفعال الرب ومخلوقاته داخلة في ذلك ، وكذلك أقواله وشرائعه وكتبه المنزلة ، وما يدخل في ذلك من مسائل المبدأ والمعاد ، ومسائل النبوات وآياتهم ، والنواب والعقاب ، ومسائل التعديل والتجوير وغير ذلك ، وهذه الأمور مما خاض فيه جميع الأمم ، كما قد بسط في مواضع .

وأهل الملل كلهم يقرون بعدله ، لأن الكتب الإلهية نطقت بعدله ، وأنه قائم بالقسط ، وأنه لا يظلم الناس مثقال ذرة . / لكن كثير من الناس في نفسه ضغن من ^(١) ذلك ، وقد يقوله بلسانه ويرض به في نظمه ونثره ، وهؤلاء أكثر ما يكونون في الحجيرة الذين لا يجعلون العدل قسيماً لظلم ممكن لا يفعله ، بل يقولون : الظلم ممتنع ، ويجوزون تعذيب الأطفال وغير الأطفال بلا ذنب أصلاً ، وأن يخلق خلقاً يعذبهم بالنار أبداً لا لحكمة أصلاً ، ويرى أحدم أنه خلق فيه الذنوب وعذب بالنار لا لحكمة ولا لرعاية عدل ، ففقيض نفوسهم إذا وقعت منهم الذنوب وأصيبوا بمقوباتها بأقوال يكونون فيها خصماء الله تعالى ، وقد وقع من هذا قطعة في كلام طائفة من الشيوخ وأهل الكلام ، ليس هذا موضع حكاية أعيانهم .

وما ذكرناه من الأقوال الثلاثة مضبط أصول الناس فيه ، ونبين أن القول الثالث هو الصواب ، وبه يتبين أن كل ما يفعله الرب فهو عدل ، وأنه لا يضع

(١) في الأصل في النسخين رسمت العبارة « ظعن من » وكتب في الهامش « ظعن في » وفوقها « خ » إشارة إلى نسخة أخرى .

الأشياء في غير موضعها : فلا يظلم مثقال ذرة ، ولا يجزى أحداً إلا بذنبه ، ولا يخاف أحد ظمناً ولا هضمًا : لا يهضم من حسناته ، ولا يظلم فيزاد عليه في سيئاته ، لا من سيئات غيره ولا من غيرها ، بل من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى^(١) ، أى لا يملك ذلك ولا يستحقه ، وإن كان قد يحصل له نفع بفضل الله ورحمته وبدعاء غيره وعمله ، فذاك قد عرف أن الله يرحم كثيراً من الناس من غير جهة عمله ، لكنه ليس له إلا ما سعى . قال الله تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ ﴾ [سورة النجم : ٣٦ - ٤١] . وقوله : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾ يقتضى أن المنبأ بذلك يجب عليه تصديق ذلك والإيمان به ، فكان هذا مما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم مُصَدِّقاً لإبراهيم وموسى ، كما قال فى آخر «سَبَّحَ» : ﴿ إِنَّ هَذَا لَنِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [سورة الأعلى : ١٨ ، ١٩] .

﴿فصل﴾

ومما يبين عدل الرب وإحسانه وأن الخير بيديه والشر ليس إليه ، كما كان عليه السلام يثنى على ربه بذلك فى مناجاته له فى دعاء الاستفتاح^(٢) ،

(١) فى هامش (ع) فقط كلمات ظهر منها : على قوله تعالى (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) .. .

(٢) روى مسلم فى صحيحه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ١٨٥/٢ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامه) : « عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال : « وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض » =

وأنه سبحانه لا يظلم مثقال ذرة ، بل مع غاية عدله فهو أرحم الراحمين ، وهو أرحم من الوالدة بولدها ، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح^(١) ، وهو سبحانه أحكم الحاكمين ، كما قال نوح في مناجاته : ﴿ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [سورة هود : ٤٥] ^(٢) ، وأن الظلم قد ذكرنا في غير موضع أن للناس في تفسيره ثلاثة أقوال : قيل : هو التصرف في ملك الغير بغير إذنه ، أو مخالفة الأمر الذي تجب طاعته ؛ وكلاهما منتفٍ في حق الله تعالى . وهذا تفسير المجبرة القدرية من الجهمية وغيرهم / وكثير ممن ينتسب إلى السنة ، وهو تفسير الأشعري وأصحابه ومن وافقهم ، كالقاضي أبي يعلى وأتباعه ، وأبي الفرج ابن الجوزي ، وغيرهم .

س ٤١

والثاني : أنه إضرار غير مستحق ؛ وهذا أيضاً منتفٍ عن الله تعالى . وهذا تفسير المعتزلة وغيرهم .

وهؤلاء يقولون : لو قَدَّرَ الذنوب وعَذَّبَ عليها لكان إضراراً غير مستحق ، والله منزّه عنه ؛ وأولئك يقولون : الظلم متمنع لذاته غير ممكن ولا مقدور ، بل كل ما يمكن فهو عدل غير ظلم ، وإذا عَذَّبَ جميع الخلق بلا

= الحديث وفيه : « لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك » . وروى أحمد الحديث في مسنده (ط . المعارف) ٢ / ١٣٤ - ١٣٥ (الأرقام ٨٠٣ - ٨٠٥) . وانظر مشكاة المصابيح للتبريزي ١ / ٢٥٥ - ٢٥٧ (ط . دمشق) ؛ الأذكار للنووي ، ص ٤٣ ، (١) روى البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صحيحه ٨ / ٨ (كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعارفته) : « قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي فإذا امرأة من السبي قد تحلب نديها تقى ، وإذا وجدت سبياً في السبي أخذته فألصقته بطنها وأرضعته . فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم : أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ قلنا : لا ، وهي تقدر على أن لا تطرحه . فقال : لله أرحم بعباده من هذه بولدها » . وانظر حديثاً آخر بهذا المعنى في سنن ابن ماجة ٢ / ١٤٣٦ .

(٢) تمام الآية : (ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) .

ذنب أصلاً لم يكن ظالماً عند هؤلاء ، وإذا فعل ما يشاء بمقتضى حكمته وقدرته كان ظالماً عند أولئك ، فإنهم يحملون ظلمه من جنس ظلم العباد ، وعدله من جنس عدلهم ، وهم مشبهة الأفعال .

والسيد إذا ترك مماليكه يظلمون ويفسدون مع قدرته على منعهم كان ظالماً ، ^(١) وإذا كان قد أمرهم ونهاهم وهو يعلم أنهم يصونه وهو قادر على منعهم كان ظالماً ^(٢) ، وإذا قال : مقصودى أن أعرضهم لثواب الطاعة ولذلك اقتنيتهم — وقد علم أنهم لا يطيعونه — كان سفيهاً ظالماً ^(٣) . وهم يقولون : إن الرب خلق الخلق وليس مراده إلا أن ينفعهم ، وأمرهم وليس مراده إلا نفعهم بالثواب ، مع علمه أنهم يصونه ولا ينتفعون .

ولهذا طائفة منهم نفت علمه ، وآخرون قالوا : ما يمكنه أن يجعلهم مطيعين ، وهو قول جمهورهم ، فنضوا قدرته . وإن أثبتوه عالماً قادراً ولم يفعل ما أَرَادَهُ من الخير جملوه : غير حكيم ، ولا رحيم ، بل ولا عادل .

وأما الطائفة الأخرى فهم معطلة فى الأفعال ، كما أن أولئك مشبهة الأفعال ، فإنهم يعطلون فعل العبد ويقولون : ليس بفاعل ولا قادر على الفعل ولا له قدرة مؤثرة فى المقدور . وأما الرب فيقولون : خلق ما خلق لا لحكمة أصلاً ، فمطلوا حكمته ، وقال : إنه يجوز أن يعذب جميع الخلق بلا ذنب ، فمطلوا عدله . والعادل هو فعله ، وهو سبحانه قائم بالقسط ، فمن نفى عدله وحكمته فإما أن ينفى فعله وإما أن يصفه بضد ذلك من الظلم والسفه ؛ كما أن الكلام على الطائفتين فى غير هذا الموضع .

(١-١) : ساقط من (ع) .

(٢) هذه الفكرة التى يعرضها ابن تيمية هنا تشبه إلى حد كبير فكرة الأشعرى فى كتابه « الإبانة » ص ٤٨ ، باب الكلام فى الإرادة ، المطبعة المنيرية ، بدون تاريخ .

والصواب القول الثالث : وهو أن الظلم وضع الأشياء في غير مواضعها ، وكذلك ذكره أبو بكر بن الأنباري وغيره من أهل اللغة ، وذكروا على ذلك عدة شواهد ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

وحينئذ فليس في الوجود ظلم من الله سبحانه ، بل قد رضع كل شيء موضعه مع قدرته على أن يفعل خلاف ذلك ، فهو سبحانه يفعل باختياره ومشئته ، ويستحق الحمد والثناء على أن يعدل ولا يظلم ، خلاف قول المجبرة الذين يقولون : لا يقدر على الظلم ، وقد وافقهم بعض المعتزلة كالنظام ، لكن الظلم عنده غير الظلم عندهم ، فأولئك يقولون : الظلم هو الممتنع لذاته ، وهذا يقول : هو ممكن لكن لا يقدر عليه . والقدرية النفاة يقولون : ليس في الوجود ظلم من الله لأنه عندهم / لم يخلق شيئاً من أفعال العباد ولا يقدر على ذلك ، فما نزهوه عن الظلم إلا بسلبه القدرة وخلق كل شيء ، كما أن أولئك ما أثبتوا قدرته وخلق كل شيء حتى قالوا إنه لا ينزه أن يفعل ما يمكن كتعذيب البراء بلا ذنب ، فأولئك أثبتوا له حمداً بلا ملك ، وهؤلاء أثبتوا له ملكاً بلا حمد ، وأهل السنة أثبتوا ما أثبتته لنفسه : له الملك والحمد ، فهو على كل شيء قدير ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو خالق كل شيء ، وهو عادل في كل ما خلقه ، واضح للأشياء مواضعها ، وهو قادر على أن يظلم ، لكنه سبحانه منزّه عن ذلك لا يفعله لأنه السلام القدوس المستحق للتنزية عن السوء ، وهو سبحانه شوبح قدّوس يسبح له ما في السموات والأرض ، وسبحان الله كلمة - كما قال ميمون بن مهران ^(١) : هي كلمة يُعَظَّم بها الربُّ ويُحَاشَى بها من السوء .

(١) أبو عمرو ميمون بن مهران من ثقات التابعين ولد سنة ٤٠ وتوفي سنة ١١٧ .
انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧ / ٤٧٧ - ٤٧٩ ؛ الجرح والتعديل ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٩ جامع الرسائل - ١)

وكذلك قال ابن عباس وغير واحد من السلف : إنها تنزيه الله من سوء .
وقال قتادة في اسمه « المتكبر » : إنه الذي تكبر عن سوء ؛ وعنه أيضاً :
إنه الذي تكبر عن السيئات .

فهو سبحانه منزّه عن فعل القبائح ، لا يفعل سوء ولا السيئات ، مع أنه
سبحانه خالق كل شيء : أفعال العباد وغيرها . والعبد إذا فعل القبيح المنهى
عنه كان قد فعل سوءاً وظلماً وقبيحاً وشرّاً ، والرب قد جعله فاعلاً لذلك ،
وذلك منه سبحانه عدل وحكمة وصواب ووضع للأشياء مواضعها ، فخلق سبحانه
لما فيه نقص أو عيب للحكمة التي خلقه لها هو محمودٌ عليه ، وهو منه عدل وحكمةٌ
وصوابٌ وإن كان في المخلوق عيباً ، ومثل هذا مفعول في الفاعلين المخلوقين ،
فإن الصانع إذا أخذ الخشبة الموجهة والحجر الرديّ واللينة الناقصة فوضعها في
موضع يليق بها ويناسبها كان ذلك منه عدلاً واستقامة وصواباً وهو محمود ،
وإن كان في تلك عوجٌ وعيب هي به مذمومة ، ومن أخذ الخبائث فجعلها
في المحل الذي يليق بها كان ذلك حكمةً وعدلاً ، وإِنَّمَا السَّعْيُ وَالظُّلْمُ أَنْ يَضْعُمَا
في غير موضعها ، ومن وضع العامة على الرأس والتعطين في الرجلين فقد وضع
كل شيء موضعه ، ولم يظلم التعطين إذ هذا محلها المناسب لها ، فهو سبحانه
لا يضع شيئاً إلا موضعه ، فلا يكون إلا عدلاً ، ولا يفعل إلا خيراً ، فلا يكون
إلا محسناً جواداً رحماً ، وهو سبحانه له الخلق والأمر ، فكما أنه في أمره
لا يأمر إلا بأرجح الأمور ، ويأمر بتحصيل المصالح وتكميلها ، وبتمطيل
المفاسد وتقليلها ، وإذا تعارض أمران رجّح أحسنهما ، وليس في الشريعة أمرٌ
بفعل إلا ووجوده للأمر خير من عدمه ، ولا نهى عن فعل إلا وعدمه خير
من وجوده ، وهو فيما يأمر به قد أَرَادَ إِرَادَةً دِينِيَّةً شَرْعِيَّةً وَأَحْبَبَ ^(١) / وَرَضِيَهُ ،
فلا يحب ويرضى شيئاً إلا ووجوده خير من عدمه ، ولهذا أمر عباده أن يأخذوا

ص ٤٢

(١) في النسختين : واجبه ، والصواب ما أثبتته وهو الذي يدل عليه السياق .

بأحسن ما أنزل إليهم من ربهم ، فإن الأحسن هو المأمور [به] ^(١) ، وهو خير من المنهى عنه .

كذلك هو سبحانه في خلقه وفعله ، فما أراد أن يخلقه ويفعله كان أن يخلقه ويفعله خيراً من أن لا يخلقه ويفعله ، وما لم يرد أن يخلقه ويفعله كان أن لا يخلقه ويفعله خيراً من أن يخلقه ويفعله ، فهو لا يفعل إلا الخير ، وهو ما وجوده خير من عدمه ، فكل ما كان عدمه خيراً من وجوده ، فوجوده شر ، فهو لا يفعله ، بل هو منزّه عنه ، والشر ليس إليه ، فالشر - وهو ما كان وجوده شراً من عدمه - ليس إليه ، إذ كان هذا مستحقاً ^(٢) للمدم لا يشاؤه ولا يخلقه ، والمعدم لا يضاف إلى فاعل فليس إليه ، ولكن الخير بيديه - وهو ما كان وجوده خيراً من عدمه .

ومن الناس من يقول : الخير كله في الوجود ، والشر كله في المدم ، والوجود خير ، والشر المحض لا يكون إلا معدوماً . وهذا لفظ مجمل ، فإذا أريد بذلك أن كل ما خلقه الله وأوجده ففيه الخير ووجوده خير من عدمه فهذا صحيح ، وكذلك ما لم يخلقه ولم يشأه ، وهو المعدم الباقي على عدمه ، لا خير فيه ، إذ لو كان فيه خير لفعله سبحانه ، فإنه سبحانه بيده الخير ، فالشر العدمي هو عدم الخير ، لا أن في المدم شراً وجودياً ^(٣) . وأما إذا أريد أن كل ما يُقدّر وجوده فوجوده خير ، وكل ما يُقدّر عدمه فعدمه شر فليس بصحيح ، بل من الأشياء ما وجوده شر ^(٤) من عدمه ، ولكن هذا لا يخلقه الرب فيبقى معدوماً ، وعدمه خير ، فهذا خير من هذا المدم ، بمعنى أن عدمه خير من وجوده ، إذ كان وجوده فيه ضرر راجح ، وعدم الضرر راجح خير ، فهو خير عديم في المدم ،

(١) به : ساقطة من النسختين .

(٢) في النسختين : مستحق ، وهو خطأ .

(٣) في النسختين : شر وجودي ، وهو خطأ .

(٤) في النسختين : شراً ، وهو خطأ .

إذ العدم لا يكون فيه وجود ، فالشر ليس إليه ، وهو ما كان وجوده شرًّا من عدمه ، فإنه لا يخلق هذا ، وما لم يخلقه فإنه ليس إليه ، وكل ما خلقه فوجوده خير من عدمه ، وهو سبحانه بيده الخير ، وذلك الذي وجوده شر من عدمه فإنه سبحانه يدفعه وينمعه أن يكون مع القيام المقتضى له ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [سورة الحج : ٣٨] ^(١) ، ﴿ وَاللَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [سورة المائدة : ٦٧] ، ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة الرعد : ١١] ، ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ [سورة المؤمنون : ٨٨] .

فدفعه الشر الذي تريده النفوس الشريرة هو من الخير وهو بيديه ، ولو مكن تلك النفوس لفعلته ، فهو سبحانه لا يمكنها بل ينمعه إذا أرادته ، مع أنها لو خلّيت لفعلته ، فهو تارة بمنع الشر بإزالة سببه ومقتضيه ، وتارة يخلق ما يضاذه وينافيه : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِّعَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ [سورة النحل : ٥٣] .

وقول القائل : خير وشر ، أى هذا خير من هذا ، وهذا شر من هذا ، ولهذا غالب استعمال هذين الاسمين كذلك ، كقوله : / ﴿ آتَى اللَّهُ خَيْرَ آتٍ بِشَرِّكُمْ ﴾ [سورة النمل : ٥٩] ، ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [سورة الفرقان : ٢٤] ، ﴿ وَذَرُّوا النَّبِيعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [سورة الجمعة : ٩] .

ظ ٤٢

(١) في (ك) : (إن الله يدفع عن الذين آمنوا) و « يدفع » قراءه ابن كثير ونافع وأبى عمر - انظر « البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة » لعبد الفتاح القاضى ، ط. مصطفى الحلبي ، ١٣٧٥/١٩٥٥ .

وقالت السحرة : ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [سورة طه : ٧٣] . وقال :
 ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ
 عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا
 وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة : ٦٠] ، وقال يوسف : ﴿ أَنتُمْ
 شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ [سورة يوسف : ٧٧] .

وقال حسان :

فشر كما لخير كما الفداء (١)

فالخير ما كان خيراً من غيره ، والشر ما كان شراً من غيره ، والخير
 والشر درجات . ولهذا قال تعالى لما ذكر أهل الجنة وأهل النار ، قال :
 ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ [سورة الأنعام : ١٣٢] ، وقال تعالى :
 ﴿ أَفَمَن اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَتْسَى
 الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٦٢ ، ١٦٣]
 وكذلك ذكر تعالى في الأنعام والأحقاف بعد ذكر الطائفتين (٢) .

ولهذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : درجات الجنة تذهب علوا ،
 ودرجات النار تذهب سفولا ، فدرجات الجنة كلها فيها النعيم ، وبعضها
 خير من بعض ، ودرجات النار كلها فيها العذاب ، وبعضها شر من بعض .

(١) صدره كما في الديوان ، س ٨ (ط . التجارية ، ١٣٤٧ / ١٩٢٩) :

* أتتهجوه ولست له بكفء *

والبيت من قصيدة يرد فيها على أبي سفيان الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، وكان قد
 هجا الرسول صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه . وانظر تفسير الطبري ١ / ٣٦٨ .

(٢) انظر : سورة الأنعام : ١٦٥ ؛ سورة الأحقاف : ١٩ .

وإذا قيل : إن الله سبحانه هو خالق الخير والشر ، فالمراد ما هو شر من غيره وفيه أذى لبعض الناس ، ولكن خلقه لحكمة ، وما خلق لحكمة مطلوبة محبوبة فوجوده خير من عدمه ، فلم يخلق شيئاً يكون شرّاً ، أى يكون وجوده شرّاً من عدمه ، لكن يخلق ما هو ^(١) شر من غيره وغيره خير منه للحكمة المطلوبة ، وما فيه أذى لبعض الناس للحكمة المطلوبة .

لا يعذب الله
أحداً إلا بذنبه
وهو سبحانه لا يعذب أحداً إلا بذنبه ، بمقتضى الحكمة والعدل ، وفي تعذيبه أنواع الحكمة والرحمة . وهذا ظاهر فيما يبطل به المؤمنين في الدنيا من المصائب التي هي جزاء سيئاتهم ، فإن [في] ^(٢) ذلك من الحكمة والرحمة والعدل ما هو بين لمن تأمله ، ولا يُعاقب أحداً ^(٣) إلا بذنبه .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [سورة الشورى : ٣٠] ، و ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ [سورة النساء : ٧٩] ، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [سورة الأنفال : ٥٣] ، فلا يسلبهم إلا إذا غيروا ما في أنفسهم بالمعاصي والذنوب ، فلا يجزى بالسيئات إلا من فعل السيئات ، ولا يُوقع النقم ويسلب النعم إلا من أتى ^(٤) بالسيئات المقتضية لذلك ، كما فعل بمن خالف رسله من جميع الأمم ، كما قال في العذاب : ﴿ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ

(١) هو : ساقطة من (ع) .

(٢) في : ليست في النسخين وزدتها ليستقيم الكلام .

(٣) في (ع) : ولا يعاقب (بالبناء للجهول) أحد ...

(٤) ع : إلا لمن أتى .

بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ [سورة الأنفال : ٥٢] ثم قال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغْتَبِئًا نِعْمَةً أُنْعِمَهَا عَلَى قَوْمٍ ﴾ الآية وما بعدها إلى قوله : ﴿ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [سورة الأنفال : ٥٣ - ٥٤] فذكر تمثيلاً لزوال النعم عليهم لما كذبوا بآياته .

ولهذا قال : ﴿ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ [سورة الأنفال : ٥٤] ، / ، وذكر الأول تمثيلاً لعذابهم بعد الموت كما قال : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْءِبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ * كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ [سورة الأنفال : ٥٠ - ٥٢] ، فقال هنا : ﴿ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ فإن أخذه يتضمن أخذهم ليصلوا بعد الموت إلى العذاب . ولفظ « الهلاك » يقتضى هلاكهم في الدنيا وزوال النعمة عنهم ، فذكر هلاكهم بزوال النعم وذكر أخذهم بالنعم كما قال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْىَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [سورة مود : ١٠٢] .

ولفظ « المؤاخذه » من الأخذ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تَوَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦] . وقوله : ﴿ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ كقوله : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [سورة البروج : ١٢] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ الآية [سورة الأنعام : ٤٢] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٧٦] فهذا تعذيب لهم في الدنيا ليتضرعوا إليه وليتوبوا . وذكر هنا أنه أخذهم

بالعذاب ولم يقل بالذنوب ، كأنه - والله أعلم - ضمن ذلك معنى جذبناهم إلينا لِيُنِيبُوا وليتوبوا . وإذا قال : فأخذهم الله بذنوبهم ، يكون قد أهلكتهم فأخذهم إليه بالهلاك ، وبسط هذا له موضع آخر .

الله يفعل الخير
والأحسن

والمقصود هنا أن كل ما يفعله الرب ويخلقه فوجوده خير من عدمه ، وهو أيضاً خير من غيره ، أى من موجود غيره يُقَدَّرُ موجوداً بدله ، فكما أن وجوده خير من عدمه فهو أيضاً خير من موجود آخر يُقَدَّرُ مخلوقاً بدله ، كما ذكرنا فيما يأمر به أن فعله خير من تركه وأنه خير من أفعال غيره يشتغل بها عنه كما في قوله تعالى : ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الجمعة : ٩] .

وقولنا : فعله خير من تركه ، سواء جعل الترك وجودياً أو عدمياً ، والرب تعالى له المثل الأعلى ، وهو أعلى من غيره ، وأحق بالمدح والثناء من كل ما سواه ، وأولى بصفات الكمال ، وأبعد عن صفات النقص ، فمن الممتنع أن يكون المخلوق متصفاً بكمال لا نقص فيه ، والرب لا يتصف إلا بالكمال الذى لا نقص فيه ، وإذا كان يأمر عبده أن يفعل الأحسن والخير فيمتنع أن لا يفعل هو إلا ما هو الأحسن والخير ، فإن فعل الأحسن والخير مدح وكال لا نقص فيه ، فهو أحق بالمدح والكمال الذى لا نقص فيه من غيره .

قال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٥] . وقال : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ [سورة الزمر : ١٨] ، ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ

مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴿ [سورة الزمر : ٥٥] ، وقال : ﴿ وَافْتَلُوا
الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الحج : ٧٧] .

ط ٤٣

وقد قال تعالى في مدح نفسه : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ ﴾ إلى قوله :
﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة آل عمران : ٢٦] .
وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْخَبِيرِ ﴾ [سورة الزمر : ٢٣] فكلامه
أحسن الكلام . وقال تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ الآية
[سورة السجدة : ٧] فقد أحسن كلَّ شيء خلقه ، وقال : ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي
أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [سورة النمل : ٨٨] .

وهو سبحانه الرحمن الرحيم ، الغفور الودود ، الجواد الساجد ، وهو سبحانه
الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، وهو أرحم الراحمين وخير
الراحمين ، كما قال أيوب : ﴿ مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾
[سورة الأنبياء : ٨٣] ، وقال لنبيه : ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ
الرَّاحِمِينَ ﴾ [سورة المؤمنون : ١١٨] ، فهو أحق بالرحمة والجود والإحسان
من كل أحد .

وقد قال سبحانه : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ ثم قال :
﴿ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ [سورة القصص : ٦٨] فأخبر أنه يخلق ما يشاء ويختار .

والاختيار في لغة القرآن^(١) يراد به التفضيل والانتقاء والاصطفاء ، كما
قال : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ
فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ [سورة طه : ١١-١٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا

(١) ك : والاختيار في اللغة القرآن .

بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿ [سورة الدخان : ٣٠] إِلَى قَوْلِهِ :
 ﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ
 مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة الدخان : ٣٢، ٣٣] . وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى :
 ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ الْآيَةِ
 [سورة الجاثية : ١٦] . وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ
 رَّجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٥] . وَمِنْهُ فِي الْحَدِيثِ : « إِنْ أَلَّهِ
 اخْتَارَ مِنَ الْأَيَّامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَمِنَ الشُّهُورِ شَهْرَ رَمَضَانَ ، وَاخْتَارَ اللَّيَالِيَ فَاخْتَارَ
 لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، وَاخْتَارَ السَّاعَاتِ فَاخْتَارَ سَاعَاتِ الصَّلَوَاتِ » رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي
 كِتَابِ « تَشْرِيفِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَتَعْظِيمِهِ » ^(١) عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ .

﴿ فَصْلٌ مُّخْتَصَرٌ ﴾ ^(٢)

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي آخِرِ هَذَا الْفَصْلِ مِنْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ :

فَإِذَا أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَخْلُقَ كَانَ الْخَلْقُ عَقِبَ الْإِرَادَةِ ، وَالْخَلْقُ عَقِبَ
 التَّكْوِينِ وَالْخَلْقُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ
 لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة يس : ٨٢] .

بيان حقيقة
إرادة الله

وَالْجَهْمِيَّةُ وَالْمَعْتَزَلَةُ لَا يَقُولُونَ بِذَلِكَ فِي الْفِعْلِ ، بَلْ يَقُولُونَ : يَفْعَلُ مَعَ جَوَازِ
 أَنْ لَا يَفْعَلُ . إِلَى أَنْ قَالَ :

(١) أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ عَسَاكَرٍ ، الْحَدِيثُ الْفَقِيهِ الْمُؤَرِّخُ ، وَلَدَ
 سَنَةَ ٤٩٩ هـ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٥٧١ هـ . انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي : وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ٢ / ٤٧١ - ٤٧٣ ؛
 تَذَكُّرَةُ الْحِفَافِ ٤ / ١٣٢٨ - ١٣٣٤ (وَذَكَرَ مِنْ كَتَبِهِ : فَضْلُ الْجُمُعَةِ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ) ؛
 مُقَدِّمَةُ تَبْيِينِ كَذِبِ الْفَتْرَى ؛ الْأَعْلَامُ ٥ / ٨٢ - ٨٣ .

(٢) فِي هَامِشِ (ج) : « هَذَا الْفَصْلُ مُخْتَصَرٌ مِنْ فَصْلِ الْإِخْتِبَارِ مِنْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ اخْتَصَرْتَهُ
 لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ مَعَ الْمَعْتَزَلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ » .

وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفوا [ذلك] ^(١) - ويُنَوِّه للناس - وعرفوا أن حدوث الحوادث اليومية المشهودة تدل على أن العالم مخلوق، وأن له رباً خلقه ويُحدث فيه الحوادث . وقد ذكر ذلك الحسن البصري، كما رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب «المطر» ^(٢)، ورواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب «العظمة» ^(٣)، وذكره أبو الفرج بن الجوزي في «تفسيره» .

قال أبو بكر بن أبي الدنيا : «حدثني هارون، حدثني عَفَّان، عن مبارك ابن فضالة قال : سمعت الحسن يقول : كانوا يقولون - يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - : الحمد لله الرفيق الذي لو جعل هذا الخلق خلقاً دائماً لا يتصرف لقال الشاك في الله : لو كان لهذا الخلق ربٌ لحادثه، وإن الله قد حادثه بما ترون من الآيات : إنه جاء بضوء طبق ما بين الخافقين، وجعل فيها معاشاً وسراجاً وهاجاً، ثم إذا شاء ذهب بذلك الخلق وجاء بظلمة طبقت ما بين الخافقين / وجعل فيها ^(٤) سكباً ونجوماً وقمرأ منيراً، وإذا شاء بنى بناء جعل فيه

س ٤٤

(١) ذلك : ليست في النسخين، وبها يستقيم الكلام .

(٢) أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا، الحافظ صاحب التصانيف . ولد سنة ٢٠٨ وتوفي سنة ٢٨١ . وذكر بروكلمان (٣ / ١٣١) من كتبه : « كتاب الطر والرعد والبرق والريح » وقال إن منه نسخة خطية في كوبريلي رقم ٣٨٨ . انظر : تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٧٧ - ٦٧٩ ؛ تاريخ بغداد ١٠ / ٨٩ - ٩١ ؛ طبقات الحابلة ١ / ١٩٢ - ١٩٥ ؛ فوات الوفيات ١ / ٤٩٤ - ٤٩٥ ؛ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣ / ١٢٩ - ١٣٣ ؛ الأعلام ٤ / ٢٦٠ .

(٣) أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري، ويعرف بأبي الشيخ الأصبهاني . قال عنه الذهبي : « حافظ أصبهان ومُسند زمانه » . ولد سنة ٢٧٤ وتوفي سنة ٣٦٩ . ومن كتبه كتاب « العظمة » وقد أشار الزركلي إلى وجود نسخة خطية منه . انظر : تذكرة الحفاظ ٣ / ٩٤٥ - ٩٤٧ ؛ شذرات الذهب ٣ / ٦٩ ؛ الباب لابن الأنبر ١ / ٥٥ ؛ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (ط . المعارف) ٣ / ٢٢٦ - ٢٢٧ ؛ الأعلام ٤ / ٢٦٤ .

(٤) في هامش النسخين « فيه » وعليها « خ » إشارة إلى نسخة أخرى .

من المطر والبرق والرعد والصواعق ما شاء ، وإذا شاء صرف ذلك ، وإذا شاء جاء ببرد يقرقف^(١) الناس ، وإذا شاء ذهب بذلك وجاء بحر يأخذ بأنفاس الناس ، ليعلم الناس أن لهذا الخلق رباً يحادثه بما يرون من الآيات ، كذلك إذا شاء ذهب بالدنيا وجاء بالآخرة .

فقد ذكر الحسن عن الصحابة الاستدلال بهذه الحوادث المشهودة على وجود الرب سبحانه المحدث الفاعل بمشيئته وقدرته ، وبطلان أن يكون موجِباً يقارنه موجِبُه ، فإن ذلك يمتنع محادثته ، أى إحداث الحوادث فيه .

وقولهم : « لو كان هذا الخلق خلقاً دائماً لا يتصرف لقال الشاك في الله : لو كان لهذا الخلق رب لحادثه » يقتضى أن هذه الحوادث آيات الله ، وأنه رب هذا الخلق ، وأن هذا الخلق محدث لكون غيره يحادثه ، أى يحدث فيه الحوادث ، وما صرفه غيره وأحدث فيه الحوادث كان مقهوراً مدبراً ، لم يكن واجباً بنفسه متمتعاً عن غيره .

وقوله : « لو كان له رب لحادثه » ؛ قد يقال : إنهم أنكروا هذا القول لقولهم : « لقال الشاك في الله » . وقد يقال : بل هم مصدقون بهذه القضية الشرطية ؛ ولكن لو لم تكن الحوادث لكان الله يُعرف دون هذه الحوادث ، فإن معرفته حاصلة بالفطرة والضرورة ، ونفس وجود الإنسان مستلزم^(٢) لوجود الرب ، فكان الصانع يُلم من غير هذه الطريق ، فلهذا يعاب الشاك . ويمكن أنهم لم يقصدوا عيبه على هذا التقدير ، بل على هذا التقدير كان الشك موجوداً في الناس إذ لا دليل على وجوده ، فكانت هذه الآيات مزيلة للشك وموجبة لليقين .

(١) في اللسان : القرقة : الرعدة ، وقد فرقته البرد . ويقال : إنى لأقرقف من البرد أى أرعد .

(٢) في النسختين : مستلزمة .

والأول أشبه بمرادهم وأولى بالحق ، فإنهم قالوا : « لقال الشاك في الله » ،
فدل على أن هناك من ليس بشاك في الله ، ولم يقولوا : لشك الناس في الله .
وبسط هذا القول في إثبات الصانع له موضع غير هذا .

والمقصود أنه سبحانه وتعالى يخلق بمشيئته واختياره ، وأنه يختار الأحسن ،
وأن إرادته ترجح الراجح الأحسن ؛ وهذا حقيقة الإرادة ، ولا تعقل إرادة
ترجح مثلاً على مثل ، ولو قُدِّر وجود مثل هذه الإرادة فتلك أكل وأفضل ،
والخلق متصفون بها ، ويمتنع أن يكون الخلق^(١) أكل من الخالق ،
والحدث الممكن أكل من الواجب القديم ، فوجب أن يكون ما توصف به
إرادته أكل مما توصف به لإرادة غيره ، فيجب أن يُريد بها ما هو الأولى
والأحسن والأفضل . وهو سبحانه يفعل بمشيئته وقدرته ، فالمتنع لا تتعلق به
قدرة فلا يُراد ، والممكن لذي يمكن أن يفعل ويكون مقدوراً ترجح الإرادة
الأفضل الأرجح منه .

وما يحكى عن الغزالي أنه قال : « ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم ، فإنه لو كان
كذلك ولم يخلقه / لكان بخلاً يناقض الجود ، أو عجزاً يناقض القدرة »^(٢) .

ط ٤٤

(١) في (ع) : أن يكون الخلق ، وقبالتها في الهامش كتبت كلمة « الخلق » . وأخطأ
ناسخ (ك) فكتب العبارة : « ويمتنع الخلق أن يكون الخلق أكل من الخالق » .
(٢) أنكر البعض أن تكون هذه العبارة من كلام الغزالي ، مع أن الغزالي نفسه
أقر بها وحاول أن يبرر سبب قوله بها فقال في « الإملاء في إشكالات الإحياء » (المطبوع
مع الإحياء ، ط . لجنة نشر الثقافة الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٥٧) : « ومعنى بأن ليس في
الإمكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيباً ولا أكل صنفاً ، ولو كان ادخره مع
القدرة كان ذلك بخلاً يناقض السكرم الإلهي وإن لم يكن قادراً عليه كان ذلك عجزاً ... الخ »
(انظر ص ٤٩ - ٥١) . وانظر مثلاً ما يذكره في الإحياء ١٣ / ١٨١ حيث يقول :
« ... بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي ، وكما ينبغي ، وبالقدر الذي ينبغي ،
وليس في الإمكان أصلاً أحسن منه ولا آم ولا أكل ، ولو كان ، وادخره مع القدرة ، ولم
يتفضل بفعله ، لكان بخلاً يناقض الجود ، وظلماً يناقض العدل ... الخ » . وانظر « الغزالي »
للدكتور أحمد فريد رفاعي ٢ / ٧٧ - ٨٤ (ط . عيسى الحلبي ، ١٣٥٦ / ١٩٣٧) ؛
الأخلاق عند الغزالي للدكتور زكي مبارك ، ص ٧٩ (ط . التجارية ، بدون تاريخ) .

وقد أنكر عليه طائفة هذا الكلام ، وتفصيله : أن الممكن يُراد به القدور . ولا ريب أن الله سبحانه يقدر على غير هذا العالم ، وعلى إبداع غيره إلى ما لا يتناهى كثرة ، ويقدر على غير ما فعله ، كما قد بينّا ذلك في غير هذا الموضع ، وبيّن ذلك في غير موضع من القرآن .

وقد يُراد به : إنه ما يمكن أحسن منه ولا أكمل منه ؛ فهذا ليس قدحاً في القدرة ، بل قد أثبت قدرته على غير ما فعله ، لكن قال : ما فعله أحسن وأكمل مما لم يفعله . وهذا وصف له سبحانه بالكرم والجود والإحسان ، وهو سبحانه الأكرم فلا يتصور أكرم منه ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

آخره ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً .

رِسَالَةٌ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ

هَلْ يَدْخُلُ أَحَدُ الْجَنَّةِ بِعَمَلِهِ
أَمْ يَنْقِضُهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وسلم .

سئل شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية عن قوله تعالى : ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ٤٣] ، هل يدخل أحد الجنة بعمله ، أم ينقضه قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل أحد الجنة بعمله ، قيل : ولا أنت ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته » .

﴿ الجواب ﴾

الحمد لله .

المثبت في القرآن
ليس هو المنفى
في السنة

لا مناقضة بين ما جاء به القرآن وما جاءت به السنة ، إذ المثبت في القرآن ليس هو المنفى في السنة . والتناقض إنما يكون إذا كان المثبت هو المنفى ؛ وذلك أن الله تعالى قال : ﴿ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ، وقال : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [سورة الحاقة : ٢٤] ، وقال : ﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة السجدة : ١٩] ، وقال : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الواقعة : ٢٢-٢٤] . فبين بهذه النصوص أن العمل سببٌ للثواب . والباء للسبب ، كما في مثل قوله تعالى : ﴿ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ [سورة الأعراف : ٥٧] ، وقوله : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [سورة البقرة : ١٦٤] ، ونحو ذلك مما يبين به الأسباب .

العمل سبب
للثواب

ولا ريب أن العمل الصالح سبب لدخول الجنة ، والله قدّر لعبده المؤمن وجوب الجنة بما ييسره له من العمل الصالح ، كما قدّر دخول النار لمن يدخلها بعمله السيئ ، كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحدٍ إلا وقد كُتِبَ مقعده من الجنة ومقعده من النار . قالوا : يا رسول الله أفلا نتَّكِلُ على الكتاب ونذع العمل ؟ قال : لا ، اعملوا فكلٌ ميسَّرٌ لما خُلِقَ له ؛ أما من كان من أهل السعادة فسييسر له عمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر له عمل أهل الشقاوة » ^(١) ، وقال : « إن الله خلق للجنة أهلاً وخلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم ويعمل أهل الجنة يعملون ، وخلق للنار أهلاً وخلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم ويعمل أهل النار يعملون » ^(٢) .

السبب لا يستقل
بالحكم

وإذا عُرِفَ أن « الباء » هنا للسبب فعلم أن السبب لا يستقل بالحكم . فجرد نزول المطر ليس موجباً للنبات ، بل لا بد من أن يخلق الله أموراً أخرى ويدفع عنه الآفات المانعة ، فيربّي به بالتراب والشمس والريح ، ويدفع عنه ما يفسده ، فالنبات محتاج - مع هذا السبب - إلى فضل من الله أكبر منه .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ ! قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل »

(١) سبق ورود هذا الحديث من قبل ، وتكلّمت عنه هناك (ص ٩٣ ت ١) . وهو أيضاً في : البخارى ٩٦ / ٢ (كتاب الجنائز ، باب موعظة المحدث عند القبر) ، ١٧٠ / ٦ - ١٧١ (كتاب التفسير ، باب سورة الليل إذا يفتى) ؛ الترمذى (بشرح ابن العربي) ٣٠٠ / ٨ (كتاب القدر ، باب ما جاء في الشقاء والسعادة) ؛ سنن ابن ماجه ٣٠ / ١ - ٣١ (المقدمة ، باب في القدر) .

(٢) الحديث في : مسلم ٥٥ / ٨ (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة . . . إلخ) ونصه : « عن عائشة أم المؤمنين : قالت : دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت : يا رسول الله طوي لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه . قال : أو غير ذلك : يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلاً ، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلاً ، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم » .

فإنه ذكره في سياق أمره لهم بالإقتصاد . قال : « سدّدوا وقاربوا ، واعلموا أن أحدا منكم لن يدخل الجنة بعمله »^(١) .

وقال : « إن هذا الدين متين » ، وإنه لن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه ، فسدّدوا وقاربوا ، واستعينوا بالمدّوة والروحة وشئ من الدلبة والقصد / تبلفوا »^(٢) .

ط ١٨٨

فنفى بهذا الحديث ما قد تنوّهه النفوس من أن الجزاء من الله عز وجل ليس جزاء الله على سبيل المعاوضة والمقابلة ، كالمعاوضات التي تكون بين الناس في الدنيا ؛ سبيل المعاوضة

(١) جاء هذا الحديث عن طرق متعددة وبألفاظ مختلفة في كتب السنة ، والرواية التي أوردها ابن تيمية هنا تقرب من حديث عائشة رضى الله عنها المتفق عليه ، وهو مروي في البخارى مرتين : ٨ / ٩٨ ، ٩٨ - ٩٩ (كتاب الرقاق ، باب القصد والمداومة على العمل) ؛ مسلم ٨ / ١٤١ (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى) ونصه - واللفظ لمسلم - « عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سدّدوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يدخل الجنة أحداً عمله . قالوا ، ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة ، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل » .

والحديث متفق عليه أيضاً عن أبي هريرة رضى الله عنه في : البخارى ٨ / ٩٨ (نفس الكتاب والباب) ؛ مسلم ٨ / ١٣٩ (نفس الكتاب والباب) وأوله : « لن ينجي أحداً منكم عمله » . إلخ . وجاء الحديث عن أبي هريرة من طرق متعددة وبألفاظ مختلفة في : البخارى ٧ / ١٢١ (كتاب الطب ، باب تيمى المريض) ؛ مسلم ٨ / ١٣٩ - ١٤١ (نفس الكتاب والباب) ؛ سنن ابن ماجه ٢ / ١٤٠٥ (كتاب الزهد ، باب التوقى على العمل) ؛ مسند أحمد (ط . المعارف) الأرقام : ٧٢٠٢ ، ٧٤٧٣ ، ٧٥٧٧ . وروى الداريمى الحديث في سننه ٢ / ٣٠٥ - ٣٠٦ (كتاب الرقائق ، باب لا ينجي أحدكم عمله) عن جابر رضى الله عنه . والحديث في المسند (ط . الحلبي) في أكثر من عشرين موضعاً . وانظر مفتاح كنوز السنة «الأعمال» .

(٢) في صحيح البخارى ١ / ١٢ (كتاب الإيمان ، باب الدين يسر) عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ، « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسدّدوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالمدّوة والروحة وشئ من الدلبة » . وروى السيوطى في الجامع الصغير حديثاً عن أنس رضى الله عنه : « إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق » . قال السيوطى إن هذا الحديث في المسند وصححه . وروى حديثاً آخر عن جابر : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن الثبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى » . قال السيوطى أنه في مسند البزار وضعفه .

فإن الأجير يعمل لمن استأجره فيعطيه أجره بقدر عمله على طريق المعاوضة ، إن زاد زاد أجرته ، وإن نقص نقص أجرته ، وله عليه أجرة يستحقها كما يستحق البائع الثمن . فنفي صلى الله عليه وسلم أن يكون جزاء الله وثوابه على سبيل المعاوضة والمقابلة والمعادلة .

والباء هنا كالباء الداخلة في المعاوضات ، كما يقال : استأجرت هذا بكذا ، وأخذت أجرني بعمل .

غلط من توهم
ذلك من وجوه
الأول

وكثير من الناس قد يتوهم ما يشبه هذا ، وهذا غلط من وجوه :
أحدها : أن الله تعالى ليس محتاجاً إلى عمل العباد كما يحتاج الخلق إلى عمل من يستأجره ، بل هو سبحانه كما قال في الحديث الصحيح : « إنكم لن تبلفوا نفعى فتنفعوني ، ولن تبلفوا ضررى فتضررونى »^(١)

والعباد إنما يعملون لأنفسهم ، كما قال تعالى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦] ، وقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [سورة فصلت : ٤٦] ، وقال : ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [سورة الزمر : ٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [سورة النمل : ٤٠] ،

(١) هذا جزء من الحديث القدسي في تحريم الظلم ، وأوله : « يا عبادي إن حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » . وفيه « يا عبادي إنكم لن تبلفوا ضررى فتضررونى ولن تبلفوا نفعى فتنفعوني » . وقد روى الحديث عن أبي ذر رضى الله عنه : مسلم ١٨-١٦/٨ (كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم) ؛ سنن ابن ماجه ٢ / ١٤٢٢ (كتاب الزهد ، باب ذكر التوبة) .

ولابن تيمية رسالة في شرح هذا الحديث نشرت في مجموعة الرسائل المنيرة ٣/٢٠٥-٢٤٦ ط . المطبعة المنيرة ، ١٣٤٦ .

وقال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٩٧] .

وأما العباد فإنهم محتاجون إلى من يستعملون لجلب منفعة أو دفع مضرة ، ويمطونه أجرة نفعه لهم .

الثاني

الثاني : أن الله هو الذي مَنَّ على العامل : بأن خلقه أولاً وأحياه ورزقه ، ثم بأن أرسل إليه الرسل وأنزل إليه الكتب ، ثم بأن يسَّر له العمل وحبَّب إليه الإيمان وزينه في قلبه ، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان .

والخلق إذا عمل لغيره لم يكن المستعمل هو الخالق لعمل أجيره ، فكيف يُتصوَّر أن يكون للعبد على الله عوض وهو خلقه وأحدثه وأنعم على العبد به ١٩ وهل تكون إحدى نعمتيه عوضاً ^(١) عن نعمته الأخرى وهو ينعم بكلتيهما ١٩ ^(٢) .

الثالث

الوجه الثالث : أن عمل العبد لو بلغ ما بلغ ليس هو مما يكون ثواب الله مقابلاً له ومعادلاً حتى يكون عوضاً ، بل أقل أجزاء الثواب يستوجب أضعاف ذلك العمل .

الرابع

الرابع : أن العبد قد يُنعم ويُمتَّع في الدنيا بما أنعم الله به عليه ، مما يستحق بإزارته ^(٣) أضعاف ذلك العمل إذا طلبت المعادلة والمقابلة . وإذا كان كذلك لم يبالغوا في الاجتهاد بمبالغة من يضره الاجتهاد ، كالمُنْبِت الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ، وزال عنهم العجب ، وشهدوا إحسان الله بالعمل .

(١) في الأصل : عوض .

(٢) في الأصل : بكلتيهما .

(٣) في الأصل : بإزارتها .

الخامس : أن العباد لا بدّ لهم من سيئات ، ولا بد في حياتهم من تقصير .
فلولا عفو الله لهم عن السيئات ، وتقبله أحسن ما عملوا - لما استحقوا ثواباً .
/ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « من نُوقِسَ الحسابَ عُدَّب . قالت عائشة :
يا رسول الله ، أليس الله يقول : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ فَسَوْفَ
يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [سورة الانشقاق : ٧ ، ٨] ؟ قال : ذلك المرص ،
ومن نُوقِسَ الحسابَ عُدَّب » (١) .

ص ١٨٩

ولهذا جاء في حديث الشفاعة الصحيح إذا طُلبت الشفاعة من أفضل الخلق :
آدم ونوح وإبراهيم وموسى ، واعتذر كل منهم بما فعل - قال لم عيسى :
« اذهبوا إلى محمد ، عبدِ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » (٢) .

ولهذا قال في الحديث لما قيل له : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا
أنا إلا أن يتغمدني الله بعفوه » . فتبين بهذا الحديث أنه لا بد من عفو الله
وتجاوزه عن العبد ، وإلا فلوناقشه على عمله لما استحق به الجزاء . قال الله
تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ
سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ﴾ [سورة الأحقاف : ١٦] ، وقال تعالى :
﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ إلى قوله :
﴿ لِيَكْفُرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٣٣-٣٥] .

(١) الحديث مع اختلاف في الألفاظ في : البخارى ١ / ٢٨ (كتاب العلم ، باب من
سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه) ؛ مسلم ٨ / ١٦٤ (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب
إثبات الحساب) .

(٢) حديث الشفاعة مروى من وجوه عدة عن عدد من الصحابة بألفاظ متقاربة . انظر
البخارى ٦ / ٨٤ - ٨٥ (كتاب التفسير ، سورة بني إسرائيل : باب ذرية من جلتهم نوح) ؟
مسلم ١ / ١٢٣ - ١٣٠ (كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة) ؛ المسند (ط . المعارف)
١ / ١٦١ - ١٦٣ (رقم ١٥) . وانظر أيضا : الترغيب والترهيب ٥ / ٣٩٨ - ٤٠٦
تيسير الوصول ٤ / ١٠٣ - ١٠٥ .

وإذا تبين ذلك أفاد هذا الحديث ألا يُعَجَّب العبد بعمله، بل يشهد نعم الله عليه، وإحسانه إليه في العمل، وأنه لا يستكثر العمل، فإن عمله لو بلغ ما بلغ، إن لم يرحمه الله ويعف عنه ويتفضل عليه، لم يستحق به شيئاً، وأنه لا يكلف من العمل ما لا يطيق ظاناً أنه يزداد بذلك أجره، كما يزداد أجر الأجير الذي يعمل فوق طاقته فإن ذلك يضره، إذ المُنْبَت لا أرضاً^(١) قطع ولا ظهراً أبقى.

وأحب العمل ما داوم عليه صاحبه، فإن الأعمال بالخواتيم، بخلاف عمل الأجراء في الدنيا، فإن الأجرة تنقسط على المنفعة، فإذا عمل بعض العمل استحق من الأجرة بقدر ما عمل ولو لم يعمل إلا قليلاً. فمن خُتم له بخير استحق الثواب، وكفر الله بتوبته سيئاته، ومن خُتم له بكفر أحبطت رِدَّتُهُ حسناته. فلهذا كان العمل الذي [داوم]^(٢) عليه صاحبه إلى الموت خيراً ممن أعطى قليلاً ثم أكْدَى، وكَلَّف نفسه ما لا يطيق، كما يفعله كثير من العمال.

فقوله صلى الله عليه وسلم: «سَدُّوا وقاربوا، واعلموا أن أحداً منكم لن يدخل الجنة بعمله» ينفي المعاوضة والمقابلة التي يولّد اعتقادها هذه المفاصد. وقوله: ﴿يَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يثبت السبب الموجب لأن يفعله العبد. ولهذا قال بعضهم: «اعمل، وقَدَّر أنك لم تعمل». وقال آخر: «لا بد منك، وبك وحدك لا يجيء شيء».

فلا بد من العمل بالمأمور به، ولا بد من رجاء رحمة الله وعفوه وفضله، لا بد من العمل ومن رجاء رحمة الله وشهود العبد لتقصيره، ولفقره إلى فضل ربه، وإحسان ربه إليه. وقد قال سفيان بن عيينة: «كانوا يقولون: يتنجون من النار بالعفو، ويدخلون الجنة بالرحمة، ويتقاسمون المنازل بالأعمال».

(١) في الأصل: لا أرض.

(٢) داوم: ليست في الأصل، وزدتها ليتضح المعنى.

فنبّه على أن مقادير الدرجات في الجنة تكون بالأعمال ، وأن نفس الدخول هو بالرحمة . فإن الله قد يدخل الجنة من يُنْشِئُهَا في الدار الآخرة بخلاف النار ، فإنه أقسم أن يملأها من إبليس وأتباعه .

ط ١٨٩
الله يدخل الجنة
بالعمل وبغيره
من الأسباب

/ لكن مع هذا فالعمل الصالح في الدنيا سبب للدخول والدرجة ، وإن كان الله يدخل الجنة بدون هذا السبب ، كما يدخل الأبناء تبعاً لأبائهم . وليس كل ما يحصل بسبب لا يحصل بدون ، كالموت الذي يكون بالقتل ويكون بدون القتل ، ومن فهم أن السبب لا يوجب السبب ، بل لا بد أن يضمّ الله إليه أموراً أخرى ، وأن يدفع عنه آفات كثيرة ، وأنه قد يخلق المسبب بدون السبب - انفتح له حقيقة الأمر من هذا وغيره . والله تعالى أعلم .

آخره ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليم كثيراً .

رِسَالَةٌ فِي الْجَوَابِ عَمَّنْ يَقُولُ إِنَّ صِفَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى نَسَبٌ وَإِضَافَاتٌ وَغَيْرُ ذَلِكَ

س ٤٥ "سؤال عمن يقول : إن صفات الرب نسب وإضافات وغير ذلك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً .
أما بعد ، فهذا^(١) فصل مختصر من سؤال سُئل عنه شيخ الإسلام أبو العباس
أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى .

ما يقول السادة العلماء أئمة الدين - رضى الله عنهم أجمعين - فيمن قال : نس السؤال
إن صفات الرب لا تتعدد ولا يفصل بعضها عن بعض إلا في مراتب العبارات
وموارد الإشارات ، فإذا أضيف علمه إلى الاطلاع على ضمير الصغير والكبير
يُقال : بصير ، وإذا ابتدر منه الرزق يُقال : رزاق ، وإذا أفاض من مكنونات
علمه على قلب أحدٍ من الناس بأسرار إلهيته ودقائق جبروت ربوبيته يقال :
متكلم ، وليس بعضه آلة السمع وبعضه آلة البصر وبعضه آلة الكلام ، بل
كله بكلية ذاته ، لا يشغله شيء عن شيء .
فهل هذا القول صواب أم لا ؟ أفتونا مأجورين .

﴿ الجواب ﴾

هذه مقالة
المتفلسفة
والقراطة
والإتحادية

الحمد لله رب العالمين . ليس هذا القول صواباً ، وإن كان بعضه صواباً ،
بل هذا القول قرع باب الإلحاد ، وتوطئة سبيل الاتحاد ، فإن هذا القول هو
قول غلاة نفاة الصفات الجهمية من متفلسفٍ وقرمطي واتحادى ونحوهم ، وليس

هو قول المعتزلة والنجارية^(١) والضرارية^(٢) والشيعة ونحوهم ممن يقول : القرآن مخلوق ، بل هو شر من قول هؤلاء ، فإن هؤلاء متفقون على أنه خلق في غيره كلاماً ، وأنه متكلم بذلك الذى خلقه في غيره ، وأن موسى والملائكة يسمعون ذلك الكلام المخلوق الذى هو كلام الله عند هؤلاء المبتدعة .

قالوا : إنه لا يكون متكلماً إلا بكلام يقوم به ، وإن الكلام إذا قام بمحل كان صفة لذلك المحل لاغيره ، كسائر الصفات من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر ونحوه ، فيقال : عالم وقادر وسميع وبصير ونحو ذلك .

ولهذا قال من قال من السلف : من قال : ﴿ إِنِّى أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ [سورة طه : ١٤] مخلوق ، فهو بمنزلة من صدق فرعون في قوله : رد السلف عليهم

(١) النجارية هم أتباع أبي عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار ، ولنا نعرف تاريخ مولده ووفاته ، ولكن ابن النديم يذكر في الفهرست (ص ٢٥٤) أنه مات بسبب العلة التي أصابته عندما ألغمه النظام في جدال جرى بينهما ، فيكون بذلك معاصراً للنظام الذى توفى حوالى سنة ٢٣١ على الأرجح . وعلى الرغم من أن الشهرستانى يعده من الحجرة إلا أنه يقول إنه يوافق الصفاقية في خلق الأعمال ، بل يذكر أنه قال بالكسب على حسب مايشتهر الأشعرى من بعده . والنجارية يوافقون المعتزلة في نفي الصفات وفي القول بأن المعرفة واجبة بالعقل قبل ورود السمع ، ويعدم الأشعرى من المرجئة ، وينقل الشهرستانى عن الكعبى قوله إن النجار كان يقول إن البارئ تعالى بكل مكان وجوداً لا على معنى العلم والقدرة . انظر : مقالات الإسلاميين ١/ ١٩٩ - ٢٠٠ ، ٣١٥ - ٣١٦ ؛ الملل والنحل ١/ ٨١ - ٨٢ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٢٦ - ١٢٧ ؛ الحور العين للحميرى ، ص ٢٥٧ ، ٢٦٤ ؛ أصول الدين لابن طاهر ، ص ٣٣٤ ؛ التبصير في الدين ، ص ٦١ - ٦٢ ؛ الفهرست لابن النديم ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ ؛ الباب لابن الأثير ٣ / ٢١٥ ؛ الأعلام للزركلى ٧ / ٢٧٦ .

(٢) الضرارية هم أتباع ضرار بن عمرو (انظر لسان الميزان ٣ / ٢٠٣) وحفص الفرد (انظر لسان الميزان ٢ / ٣٣٠ - ٣٣١ ؛ الفهرست لابن النديم ، ص ٢٥٥) وهم يشبهون النجارية في الكثير من أقوالهم ، فهم ينفون الصفات ، ويقولون بخلق الله لأنفال العباد ، ويطلقون القول بالتولد ، ولكنهم ينكرون القول بوجود المعرفة قبل ورود السمع . انظر : الملل والنحل ١/ ٨٢ - ٨٣ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٢٩ - ١٣٠ ؛ أصول الدين لابن طاهر ، ص ٣٣٩ - ٣٤٠ ؛ التبصير في الدين ، ص ٦٢ - ٦٣ ؛ مقالات الإسلاميين ١ / ٣١٣ - ٣١٤ ؛ التنبيه والرد للملطى ، ص ٤٣ ؛ الحور العين للحميرى ، ص ١٤٨ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ؛ البدء والتاريخ ٥ / ١٤٦ - ١٤٧ ؛ الفصل لابن حزم ٣ / ١٧٣ - ١٧٤ .

﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ [سورة النازعات : ٢٤] ، لأنه لو كان قوله : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ مخلوقاً لكان كلاماً للمخلوق الذي خلق فيه : إما الشجرة وإما الهواء ، فيكون الشجرة أو الهواء هو القائل : « إِنِّي أَنَا اللَّهُ » . ومن جعل هذا ربّاً فهو بمنزلة من جعل فرعون ربّاً ، وإن كان الله خالق ذلك الكلام في الشجرة والهواء ، فقد ثبت بالحجة أنه خالق أفعال العباد ، وأنه أنطق كل شيء ، فكل ناطق في الوجود هو أنطقه وخلق نطقه ، فيجب أن يكون كل نطق في الوجود كلامه ، حتى قول فرعون : « أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى » .
وحينئذٍ فلا فرق بين قوله : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ ﴾ وبين خلقه على لسان فرعون : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ .

وهذا اللازم تفر منه المعتزلة وغيرهم ، إذ هم لا يقولون بأن الله خالق أفعال العباد ، لكن يلزمهم بالحجة ما يخلق الله من الكلام ، مثل : إنطاق الجلود ، وتسبيح الحصى ، وتسليم الحجر عليه عليه السلام ، وشهادة الألسنة / والأيدي ط ٤٥ والأرجل ، فإن هذا ليس من أفعال العباد ، بل ذلك خلق الله . فيلزمهم أن يقولوا : ذلك كله كلام الله ، وهو باطل ، وهم لا يلتزمونونه .

وإنما التزم مثل هذا الاتحادية والحلولية الذين يقولون : إنه وجود المخلوقات ، أو : هو سائر في جميع المخلوقات . كما قال قائلهم :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه^(١)

(١) البيت لابن عربي وقد ذكره في الفتوحات المكية ٤ / ١٤١ ونصه هناك :
ألا كل قول في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه
والبيت الذي يتلوه :
بسم به أسمع كل مكون فنه إليه بدؤه وختامه

ومن هؤلاء من يفرّق بين قول الحلاج وأمثاله : « أنا الحق »^(١) ، وبين قول فرعون : « أنا ربكم الأعلى » بأن الحلاج وأمثاله قالوا ذلك وهم فانون ، فالحق نطق على السفتهم لغيبهم عن شهود أنفسهم ، وأما فرعون وأمثاله ممن هم في شهود أنفسهم فقالوه مع رؤيتهم أنفسهم ، وحاصله أن الله تعالى هو الذى نطق على لسان الحلاج وأمثاله .

وهذا شر من قول من يقول : القرآن مخلوق خلقه الله فى الهواء ونحوه ، لأن الجمد ليس له نطق يُضاف ، فوجود الكلام فيه شبهه توجب جعله كلاماً لغيره ، أما الإنسان الحى إذا وجد منه مثل هذا الكلام مضافاً إلى نفسه ، وجعل المتكلم به هو الله ، فهذا صريح بحلول الحق فيه واتحاده به كما تقوله^(٢) النصارى فى المسيح .

ومعلوم أن النصارى أكفر من المعتزلة ، ومعلوم بالاضطرار من العقل والدين أن الله لم يتكلم على لسان بشر ، كما يتكلم^(٣) الجنى على لسان المصروع ، ولكن يبعث الرسل فيبلغون كلامه ، والمرسل يقول لرسوله : قل على لسانى كذا ، ويقول : كلامى على لسان رسولى فلان ، أى كلامى الذى بلغه عنى .

ومن هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم : إن الله قال على لسان نبيه : سمع الله لمن حمده ، أى هذا من الكلام الذى بلغه الرسول عن الله ، كما قال تعالى :

(١) فى كتاب « أخبار الحلاج » ، ص ١٠٨ (تحقيق ماسينيون وكراوس ، باريس ، ١٩٣٦) : « وقال أحمد بن فائق : سمعت الحلاج يقول :

أنا الحق والحق للحق
لا بس ذاته فاثم فرق

(٢) ك : فهذا صريح بحلول الحق فيه وإيجاده كما تقوله .. الخ ؛ ع : .. وإيجاده به .. الخ .

(٣) ك : تكلم .

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾ [سورة الدخان : ٥٧] ، كما يقول المرسل : قد قلت لكم على لسان رسولي فلان كذا وكذا .

وهذا كما أن القول يضاف إلى الرسول لأنه بلغه وأدّاه ، فيضاف إلى جبريل تارة وإلى محمد صلى الله عليهما وسلم^(١) أخرى ، كما قال في آية : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة الحاقة : ٤٠ - ٤٢] ، فهذا محمد . وقال في الآية الأخرى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [سورة التكويد : ١٩ - ٢١] ، فهذا جبريل .

وأما جمهور العلماء من أهل الفقه والحديث والتصوف والكلام فطردوا الدليل وأثبتوا لله صفات فعلية تقوم بذاته ، وهذا هو المعلوم الذي دلّ عليه العقل واللغة والشرع .

فالناس ثلاث مراتب : منهم من نفى قيام الصفات والأفعال به كالمعتزلة ؛ والناس في مسألة الصفات ثلاث مراتب ومنهم من أثبت قيام الصفات به دون الأفعال كالكلابية^(٢) ؛ ومنهم من أقرّ بقيام الصفات والأفعال وهم جمهور الأمة ، كما ذكرته الحنفية في كتبهم ، وكما ذكره

(١) ك : صلى الله عليه وسلم .

(٢) أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن محمد بن كلاب (بضم الكاف وتشديد اللام) القطان المتوفى بعد سنة ٢٤٠ بقليل . قال عنه ابن حزم إنه شيخ قديم للأشعرية . انظر عنه وعن مذهبه : لسان الميزان ٣ / ٢٩٠ - ٢٩١ ؛ طبقات الشافعية ٢ / ٥١ ؛ الفهرست لابن النديم ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ ؛ مقالات الإسلاميين ١ / ٣٢٥ ، ٢ / ٥٢ ، ٥٤ ، ١١٨ ، ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٤٥ ؛ المخطوطات المرقية ٢ / ٣٥٨ ، ٣٥٩ ؛ نهاية الإقدام ١٨١ ، ٣٠٣ ؛ اللؤلؤ والنحل ١ / ٨٥ ؛ أصول الدين ، ص ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ٢٢٢ ، ٢٥٤ ؛ الفصل لابن حزم ٢ / ١٢٣ ، ٤ / ٢٠٨ ؛ البدء والتاريخ ٥ / ١٥٠ .

البغوي^(١) وغيره من أصحاب الشافعي عن أهل السنة ، وكما ذكره أبو إسحاق
س ٤٦ ابن شاقلا^(٢) ، وأبو عبد الله بن حامد^(٣) ، والقاضي أبو يعلى في آخره قوليه / وابنه
أبو الحسين^(٤) ، وغيرهم^(٥) من أصحاب أحمد ، وذكره أبو بكر محمد بن إسحاق
الكلاباذي عن الصوفية في كتاب « التعرف في مذاهب التصوف »^(٦) ، وذكره
من ذكره من أئمة المالكية ، وذهب إليه طوائف من أهل الكلام من المرجئة^(٧) ،

(١) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي المعروف بالفراء ، الفقيه الشافعي المحدث
المفسر توفي سنة ٥١٠ . انظر ترجمته في : طبقات الشافعية ٤ / ٢١٤ - ٢١٧ ؛ وفيات
الأعيان ١ / ٤٠٢ ؛ تذكرة الحفاظ ٤ / ١٢٥٧ ؛ الأعلام للزركلي ٢ / ٢٨٤ .
(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلا البزار من فقهاء الحنابلة
ومن المحدثين ، توفي سنة ٣٦٩ عن أربع وخمسين سنة . انظر ترجمته في : طبقات الحنابلة
٢ / ١٢٨ - ١٣٩ ؛ المعبر للذهبي ٢ / ٣٥١ .
(٣) أبو عبد الله الحسن بن حامد بن طي بن مروان البغدادي ، إمام الحنابلة في زمانه ،
من مصنفاته « الجامع » في مذهب الحنابلة ، و « شرح الحرقي » ، توفي سنة ٤٠٣ . انظر ترجمته
في : طبقات الحنابلة ٢ / ١٧١ - ١٧٧ ؛ المنتظم لابن الجوزي ٧ / ٢٦٣ - ٢٦٤ ؛ مناقب الإمام
أحمد لابن الجوزي ، ص ٥١٩ ؛ النجوم الزاهرة ٤ / ٢٣٢ ؛ الأعلام ٢ / ٢٠١ .
(٤) أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين بن محمد المعروف بابن أبي يعلى وبابن الفراء ،
صاحب كتاب « طبقات الحنابلة » ومن فقهاء الحنابلة وعلمائهم . ولد سنة ٤٥١ وتوفي سنة
٥٢٦ . انظر ترجمته في : الذيل لابن رجب ١ / ١٧٦ - ١٧٨ ؛ الوافي بالوفيات ١ / ١٥٩ ؛
مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ، ص ٥٢٩ ؛ شذرات الذهب ٤ / ٧٩ ؛ الأعلام
٧ / ٢٤٩ .
(٥) ك ، ع : وغيرهما .

(٦) انظر ما ذكره أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي (المتوفى سنة ٣٨٠) في
« التعرف لمذهب أهل التصوف » ، ص ٣٥ - ٣٧ ط . عيسى الحلي ، ١٣٨٠ / ١٩٦٠ .
(٧) المرجئة هم الذين كانوا يؤخرون العمل عن الإيمان ، بمعنى أنهم كانوا يجعلون مدار
الإيمان على المعرفة بالله والمحبة له والإقرار بوحديته ، ولا يجعلون هذا الإيمان مرتبطاً بالعمل .
وأكثر المرجئة يرون أن الإيمان لا يتبع ولا يزيد ولا ينقص ، وبعضهم يقول إن أهل
القبلة لن يدخلوا النار مهما ارتكبوا من المعاصي . انظر ما سبق أن ذكرته في شرح معنى
« الإرجاء » ص ١١٢ ؛ وانظر : مقالات الإسلاميين ١ / ١٩٧ - ٢١٥ ؛ الليل والنحل
١ / ١٢٥ - ١٣٠ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٢٢ - ١٢٥ ؛ الفصل لابن حزم ٤ /
٢٠٤ - ٢٠٥ ؛ التبصير في الدين ، ص ٥٩ - ٦١ ؛ الحور العين ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ؛
البدء والتاريخ ٥ / ١٤٤ - ١٤٦ ؛ الخطط للمقرئ ٢ / ٣٤٩ - ٣٥٠ .

والشيعة والكرامية، ^(١) وذهب إليه جمهور أهل الحديث .

والقصد هنا أن الجهمية من المعتزلة ونحوهم الذين قالوا : القرآن مخلوق - مقالة أهل السنة في كلام الله
وقد عُرف مقالات السلف في تكفيرهم وتضليلهم - هم خيرٌ قولاً من أصحاب
هذا القول المذكور في السؤال القائلين : « إذا فاض من مكنونات علمه على قلب
أحد من الناس بأسرار إلهيته ، ودقائق جبروت ربوبيته يُقال : متكلم » ، فإن
هذا قول من لا يجعل لله كلاماً قائماً به ^(٢) ، كما يقوله الذين يقولون : إنه خلق
كلاماً بائناً منه ، وقد قال الإمام أحمد : « كلام الله من الله ، ليس بائناً منه » ^(٣)
والقرآن الذي أنزله هو كلامه لا كلام غيره ، إذ الكلام كلام من قاله ^(٤) مبتدئاً
لا كلام من قاله ^(٥) مبلّغاً مؤدياً .

(١) الكرامية هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام بن عراق بن حنبل السجستاني المتوفى
سنة ٢٥٥ ، وهم يوافقون السلف في إثبات الصفات ، ولكنهم يبالغون في ذلك إلى حد التشبيه
والتجسيم ، وكذلك هم يوافقون السلف في إثبات القدر والقول بالحكمة ، ولكنهم يوافقون
المعتزلة في وجوب معرفة الله تعالى بالعقل وفي الحسن والقبح العقليين ، وهم يعدون من المرجئة
لقولهم بأن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب . انظر عن ابن كرام والكرامية :
لسان الميزان ٥ / ٣٥٣ - ٣٥٦ ؛ ميزان الاعتدال ٤ / ٢١ - ٢٢ ؛ شذرات الذهب
٢ / ١٢١ ؛ تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٥٣٦ تاريخ بغداد ٤ / ١١٨ ؛ الباب لابن الأثير
٣ / ٣٢ ؛ الأعلام ٧ / ٢٣٦ ؛ مقالات الإسلاميين ١ / ٢٥٥ ؛ الفصل لابن حزم ٤ / ٤٥ ،
٢٠٤ ، ٢٠٥ ؛ الملل والنحل ١ / ٩٩ - ١٠٤ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٣٠ - ١٣٧ ؛
التبصير في الدين ، ص ٦٥ - ٧٠ ؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ، ص ٦٧ ؛
البدء والتاريخ ٥ / ١٤١ ؛ الخطط للمقرئ ٢ / ٣٤٩ ، ٣٥٧ ؛ Tritton (A. S.)
Muslim Theology, pp. 108-112, London, 1947.

(٢) في النسختين : كلاماً لا قائماً به . . . ، ورجحت أن يكون الصواب ما أثبتته ، أو
تكون العبارة : فإن هذا قول من يجعل لله كلاماً لا قائماً به .

(٣) في ترجمة الإمام أحمد في « تاريخ الإسلام للذهبي » (مقدمة المسند ، ط . المعارف ،
ص ٧٩) : « وقال الخلال : أخبرني محمد بن سليمان الجوهري حدثنا عبدوس بن مالك
الطمار سمعت أحمد بن حنبل يقول : ... والقرآن كلام الله غير مخلوق ، ولأنه من الله ليس
ببائن منه ... » .

(٤ - ٥) : ساقط من (ك) .

ولهذا قال السلف والأئمة : « القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود » . فقولهم : « منه بدأ » نهبوا به على مخالفة الجهمية الذين قالوا : إنه خلقه في غيره منفصلاً عنه ، فقال أهل السنة : « منه بدأ » : لم يبتدئ من غيره من الموجودات ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [سورة النمل : ٦] ، وقال : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ [سورة السجدة : ١٣] ، وقال : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [سورة هود : ١] ، ولا نجعل لله كلاماً مخلوقاً في غيره منفصلاً عنه ، كما قالت (١) المعتزلة ونحوهم من الجهمية .

فإن هؤلاء وإن كان قولهم من أعظم القول فريةً وضلالاً ، فهو أقل كفرًا وضلالاً من قول أهل القول المستول عنه القائلين : « إذا فاض من مكنون علمه على قلب أحد من الناس » ، فإن هؤلاء لم يجعلوه متكلماً إلا بما جعله في القلوب من العلم .

وهذا في الأصل قول المتفلسفة والصابئة ونحوهم ، الذين لا يجعلون لله كلاماً إلا ما أفاضه على قلوب العباد من العلوم والمعارف ، ويجعلون تكليمه للعباد نوع تعريف يعرفهم به الأمور ، ويقولون : إنه تتشكل في نفس الشيء أشكال نورانية - هي ملائكة الله عندهم - وأصوات قائمة بنفسه ، هي كلام الله عندهم ، ويزعمون أن تكليم الله لموسى هو من هذا الباب ، إنما هو فيض فاض عليه من العقل الفعّال أو من غيره ، وقد يجعلون العقل الفعّال هو جبريل ، وليس التكليم عندهم مختصاً (٢) بأحد ، ولكنه يفيض بحسب استعداد النفوس (٣) .

مقالة الفلاسفة
في كلام الله

(١) ك : كما قالت .

(٢) في النسختين : مختص ، وهو خطأ .

(٣) انظر مصداق كلام ابن تيمية عن الفلاسفة في مؤلفات ابن سينا : رسالة في القوى الإنسانية ، ص ٦٦ - ٧٠ ؛ الإشارات والتنبيهات ٤ / ٨٦١ - ٨٩٠ ؛ الشفاء (النفس) ١ / ١٦٣ - ١٧٧ ؛ الرسالة العرشية ، ص ١٥ - ١٦ ؛ النجاة ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

وعلى قولهم : فجميع الخلق يكلمهم تكليماً كما كلم موسى ، وكل كلام صادق تكلم به ذو نفس صافية فهو كلام الله كما أن القرآن كلام الله ، فيلزمهم أن كل ما تكلم به الأنبياء قمنٌ دونهم من الخبر الصادق والأمر بالخير هو كلام الله ، وأن ذلك كله من نوع القرآن ، وأن يكون القرآن كلام البشر ، ولا فرق عندهم بين قول البشر وقول الله ، بل يلزمهم أن جميع ما يتكلم به البشر كلام الله ، من أجل أن ذلك يفيض على قلوب البشر ، حتى الكذب والكفر ، فإن جهة الإفاضة واحدة في الجميع ، / وكل ما يلزم القائلين بأن القرآن مخلوق يلزم هؤلاء وزيادة ، فإن أولئك يجعلونه مخلوقاً خارجاً عن نفس النبي ، وهؤلاء لا ^(١) يجعلون له محلاً إلا نفس النبي .

ط ٤٦

متابعة الغزالي
للفلاسفة

وهذا القول هو قول المتفلسفة ، ووقع فيه طوائف من المنتسبين إلى الملل من اليهود والنصارى ، ومن المنتسبين إلى المسلمين ممن خلط الفلسفة بالتصوف ، مثل أهل الكلام المستول عنه وأمثاله ، ومثل ما وقع لأبي حامد في كتاب «المضنون به على غير أهله» الأول والثاني ، ونحو ذلك من المصنّفات مثل «مشكاة الأنوار» و «مسائل النفخ والتسوية» و «كيمياء السعادة» و «جواهر القرآن» ^(٢) ،

(١) لا : ساقطة من (ع) .

(٢) يشير ابن تيمية هنا إلى رسائل عدة للغزالي منها «المضنون به على غير أهله» والمضنون الثاني ويسمى «المضنون الصغير» أو «الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية» وطبعاً ضمن مجموعة بالمطبعة الميمنية بالقاهرة سنة ١٣٠٩ . وطبعاً أيضاً ضمن مجموعة «القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي» ، مكتبة الجندي ، القاهرة ، بدون تاريخ . وأما مشكاة الأنوار فطبع مراراً وآخر الطباعات هي طبعة الدار القومية ، ١٣٨٣ / ١٩٦٤ بتحقيق الدكتور أبي العلا عفيفي . وطبع «كيمياء السعادة» أيضاً ضمن مجموعة ، ط . مكتبة الجندي ، بدون تاريخ . وأما «جواهر القرآن» فطبع بالمكتبة التجارية أكثر من مرة ، منها ط . سنة ١٩٣٣ / ١٣٥٢ . وأما «مسائل النفخ والتسوية» فهي نفس رسالة «المضنون الصغير» (انظر : مؤلفات الغزالي للدكتور عبد الرحمن بدوي ، ص ٣١٨-٣١٩ ، ط . المجلس الأعلى للفنون والآداب ، ١٩٦٠) .

وانظر ما سيذكره ابن تيمية بعد صفحات ، ص ١٦٨ - ١٧٠ . وانظر مثلاً : رسالة المضنون به على غير أهله ، ص ٣٢٠ ، وانظر أيضاً رسالة «السيفينية» لابن تيمية ، ضمن المجلد الخامس من مجموعة فتاوى ابن تيمية ، ط . الكردى ، القاهرة ، ١٣٢٩ .

وما يشير إليه أحياناً في « الإحياء » وغيره ، فإنه كثيراً ما يقع في كلامه ما هو مأخوذ من كلام الفلاسفة ويخلطه بكلام الصوفية أو عباراتهم ، فيقع فيه كثير من المتصوفة الذين لا يميزون بين حقيقة دين الإسلام وبين ما يخالفه من الفلسفة الفاسدة وغيرها ، لا سيما إذا بُني على ذلك وأتبعَت لوازمه ، فإنه يفضي إلى قول ابن سبعين وابن عربي صاحب « الفصوص » وأمثالها من يقول بمثل هذا الكلام ، وحقيقة مذهبهم يؤول إلى التعطيل الحض ، وأنه ليس للعالم رب مباين له ، بل الخالق هو المخلوق ، والمخلوق هو الخالق .

كما قال صاحب « الفصوص » ^(١) : « ومن أسمائه الحسنی : العليّ ؛ صَلَّى مَنْ وَمَا تَمْ إِلَّا هُوَ ؟ ^(٢) أَوْ عَنْ مَاذَا وَمَا هُوَ إِلَّا هُوَ ؟ ! فَعَلَوْهُ لِنَفْسِهِ ، وَهُوَ مِنْ حَيْثُ الْوُجُودِ عَيْنُ الْمَوْجُودَاتِ ، فَالْمُسْتَمَيَّ مُحَدَّثَاتُ هِيَ الْعَلِيَّةُ لِدَاتِهَا وَلَيْسَتْ إِلَّا هُوَ » .

مقالة ابن عربي
في الفصوص

إلى أن قال ^(٣) : « فهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، فهو عين ما ظهر ، وهو عين ما بطن في حال ظهوره ، وما تَمْ من يراه غيره ، وما تَمْ يَبْطُنُ عَنْهُ سِوَاهُ ^(٤) ، فهو ظاهر لنفسه باطن عنه ، وهو المسمَّى أبو سعيد الخراز ^(٥) وغير ذلك من أسماء المحدثات » .

إلى أن قال ^(٦) : « ومن عرف ما قررناه في الأعداد ، وأن نفيا عين

(١) في فصوص الحكم ٧٦/١ ، وسنقابل ما ذكره ابن تيمية هنا عليه .

(٢) في الفصوص بعد هذا الكلام توجد عبارة ليست في النسختين وهي : « فهو الملقى

لداته » .

(٣) في الفصوص ٧٧/١ . وسبق أن نقلت نص الفصوص فيما تقدم (ص ١٠٥ ت ١) .

(٤) كلمة « سواه » ليست في الفصوص .

(٥) في الفصوص : أبا سعيد الخراز . وأشار الدكتور أبو الملا عفيف إلى أنها في نسخة

أخرى : « أبو سعيد الخراز » .

(٦) في الفصوص ٧٨/١ .

إثباتها^(١)، علم أن الأمر الخالق المخلوق، وأن الأمر المخلوق الخالق، كل ذلك من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة، وهو العيون الكثيرة: ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ أَفَئِلَ مَا تُؤْمَرُ﴾ [سورة الصافات: ١٠٢] فالولد^(٢) عين أبيه، فما رأى يذبح سوى نفسه، وفداه بذبح عظيم^(٣)، فظهر بصورة كبش من ظهر بصورة إنسان، وظهر بصورة ولد^(٤) من هو عين الوالد، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [سورة النساء: ١]، فما نكح سوى نفسه.

إلى أن قال^(٥): «فالملئ لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية والنسب المدمية^(٦) سواء كانت محمودة عُرفاً وعقلاً وشرعاً، أو مذمومة عُرفاً وعقلاً وشرعاً، وليس ذلك لأحد إلا لسمى الله خاصة^(٧)».

وقال^(٨): «ألا ترى الحق^(٩) يظهر بصفات المحدثات، وأخبر بذلك عن نفسه، وبصفات النقص والذم^(١٠)؟ ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها/ إلى آخرها، فكلها^(١١) حق له، كما هي صفات المحدثات حق للحق».

(١) في الفصوص بعد ذلك: «علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه، وإن كان قد تميز الخلق من الخالق. فالأمر الخالق المخلوق... الخ».

(٢) في الفصوص: والولد.

(٣) الإشارة هنا إلى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ يَنْبَأُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الصافات: ١٠٧]

(٤) في الفصوص هذه الزيادة: «بل بحكم ولد».

(٥) في الفصوص ١ / ٧٩.

(٦) في الفصوص بعد ذلك: «بحيث لا يمكن أن يفوته نعت منها، وسواء كانت الخ».

(٧) في الفصوص: «وليس ذلك إلا لسمى الله تعالى خاصة».

(٨) في الفصوص ١ / ٨٠ - ٨١.

(٩) في (ك)، (ع): لا يرى الحق، والمثبت عن «الفصوص» ١ / ٨٠.

(١٠) والذم: كذا في النسختين، وفي الفصوص: وبصفات الذم.

(١١) في الفصوص: وكلها.

وقال أيضاً^(١) : ﴿ وَمَكْرُوهًا مَّكْرًا كُبَرًا ﴾ ، [سورة نوح : ٢٢]
لأن الدعوة إلى الله مكر بالمدعو ، لأنه ما عَدِمَ إلى^(٢) البداية فيُدعى إلى الغاية ،
ادعوا إلى الله^(٣) ، فهذا عين المكر .

إلى أن قال^(٤) : « فقالوا في مكرهم : ﴿ لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ
وَدًّا ﴾ [سورة نوح : ٢٣] ، فإنهم لو تركوهم تركوا من الحق على قدر
ما تركوا من صفات هؤلاء^(٥) ، فإن للحق في كل معبود وجهاً يعرفه من عرفه
ويجهله من جهله^(٦) ، كما قال في الحمدين^(٧) : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا
إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [سورة الإسراء : ٢٣] ، أى حَكَمَ ، فالعالم يعلم من عُبِدَ ، وفى أى
صورة ظهر حتى عبد ، وأن التفريق والكثرة كالأعضاء فى الصورة المحسوسة ،
وكالقولى المنوية فى الصورة الروحانية ، فما عُبِدَ غير الله فى كل معبود .

وقال أيضاً^(٨) : « فكان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنه علم ماعبده
أحباب المجل ، لعلمه بأن الله قد قضى أَلَّا يُعْبَدَ^(٩) إلا إياه ، وما حكم الله
بشيء إلا وقع . فكان عيب^(١٠) موسى أخاه هارون لِمَا وقع من إنكاره^(١١) »

(١) فى الفصوص ١ / ٧١ - ٧٢ .

(٢) إلى : كذا فى النسختين ، وفى الفصوص : من

(٣) فى الفصوص : ادعوا الله .

(٤) فى الفصوص : ١ / ٧٢ .

(٥) فى الفصوص : ذكرت الآية إلى آخرها .

(٦) فى الفصوص : « فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء » .

(٧) فى الفصوص : « يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله » .

(٨) فى الفصوص : « المحمدين » .

(٩) فى الفصوص ١ / ١٩٣ .

(١٠) ك : أَلَّا تَعْبُدُوا . والثبت فى (ع) وفى الفصوص .

(١١) الفصوص : عتب .

(١٢) الفصوص : لما وقع الأمر فى إنكاره .

وعدم اتساعه ، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء . »

وقال أيضاً ^(١) : « ولما كان فرعون في مرتبة التحكم ^(٢) ، وأنه الخليفة بالسيف - وإن جار في العرف الناموسي - لذلك ^(٣) قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ [سورة النازعات : ٢٤] ، أى وإن كان الكل أرباباً بنسبة ما ، فأنا الأعلى منهم بما أُعْطِيَتْهُ في الظاهر من الحكم ^(٤) فيكم . ولما علمت السحرة صدقه فيما قال ^(٥) لم ينكروه وأقروا له بذلك ، وقالوا له ^(٦) : إنما تقضى هذه الحياة الدنيا فاقض ما أنت قاض ^(٧) ، فالدولة لك . فصاح قومه : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ . »

إلى أمثال ذلك من هذا الكلام الذى يسميه أصحابه مذهب الوحدة ويقولون : إن الوجود واحد ، كما يقوله ابن عربى صاحب « الفتوحات » وابن سبعين وابن الفارض والتلمسانى وأمثالهم - عليهم من الله ما يستحقونه - فإنهم لا يحملون للخالق سبحانه وجوداً مباحيناً لوجود المخلوق ، وهو جامع كل شرفى العالم . ومبدأ ضلالهم من حيث لم يثبتوا للخالق وجوداً مباحيناً لوجود المخلوق ، وهم يأخذون من كلام الفلاسفة شيئاً ، ومن الكلام الفاسد من كلام المتصوفة والمتكلمين شيئاً ، ومن كلام القرامطة والباطنية شيئاً ، فيطوفون على أبواب المذاهب ، ويفوزون بأخس المطالب ، ويثنون على ما يذكرون من

(١) فى الفصوص ٢١٠/١ - ٢١١ .

(٢) الفصوص : « فى منصب التحكم صاحب الوقت » .

(٣) ع (فقط) : كذلك .

(٤) الفصوص : التحكم .

(٥) الفصوص : فى مقاله .

(٦) الفصوص : فقالوا له .

(٧) لإشارة إلى آية ٧٢ من سورة طه .

تأثر النزالي
بإخوان الصفا
وأمثالهم

التصوف المخلوط بالفلسفة ، كما يوجد في كلام أبي حامد ونحوه مما هو مأخوذ من رسائل إخوان الصفا وأمثالهم ، ممن يريد أن يجمع بين ما جاءت به الكتب الإلهية والرسائل المبلّغون عن الله عز وجل وما تقوله الصابئة المتفلسفون في العلم الإلهي ، فيذكرون أحاديث موضوعية ، وربما حَرَّفوا لفظها ، كما يذكرون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل ، فأقبل ، فقال له : أدبر ، فأدبر ، فقال : وعزّني وجلالي ما خلقت خلقاً / أكرم علىّ منك ، فبك آخذ وبك أعطى ، وبك الثواب وبك العقاب » .

ط ٤٧

وهذا الحديث موضوع على النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، ولنظرة : أول ما خلق الله العقل قال له : أقبل ، فأقبل . وروى : لما خلق الله العقل قال له : أقبل ، فأقبل^(١) . فمعناه أنه خاطبه في أول أوقات خلقه ، ففبروا لفظه وقالوا : أول ما خلق الله العقل ، ليوافق ذلك^(٢) مذهب المشائين من المتفلسفة أتباع أرسطو القائلين : أول الصادرات عنه العقل .

(١) ذكر السيوطي في « الآلئ المصنوعة » ١ / ١٢٩ - ١٣٠ عدة روايات لهذا الحديث وبين اتفاق العلماء على أنها موضوعية . وكذلك اتفق أكثر العلماء على أن الأحاديث الواردة في فضل العقل كلها موضوعية أو ضعيفة وأن داود بن الحبر أخرجها في كتاب العقل ونقلها عنه غيره ، وداود هذا كذاب . انظر المقاصد الحسنة للسخاوي ، ص ١١٨ ، ١٣٤ ؛ الموضوعات لعلي القاري ، ص ٢٧ ، ٣٠ ؛ تذكرة الموضوعات للفتحي ، ص ٢٩ - ٣٠ ؛ تنزيه الشريعة لابن عراق ١ / ٢١٣ ؛ كشف الحفاء للعجلوني ١ / ٢٣٦ - ٢٣٧ ، ٢٦٣ ؛ الفوائد المجموعة للشوكاني ، ص ٤٤٧٦ ؛ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ١ / ١١ (ط . دمشق ، ١٣٧٩ / ١٩٥٩) .

وتكلم الذهبي في ميزان الاعتدال ٢ / ٢٠ عن داود بن الحبر فقال : « داود بن الحبر ابن قحزم ، أبو سليمان البصري ، صاحب « العقل » ولبته لم يصنفه .. قال أحمد : لا يدرى ما الحديث ؛ وقال ابن المديني : ذهب حديثه ، وقال أبو زرعة وغيره : ضعيف ، وقال أبو حاتم : ذهب الحديث غير ثقة ، وقال الدارقطني : متروك » .
(٢) ذلك : ساقطة من (ك) .

وقد بسطنا الكلام في بيان فساد ذلك شرعاً وعقلاً ، وبيننا أن بين هؤلاء وبين الرسل من المباينة أعظم مما بين اليهود والنصارى وبين المسلمين ، وأن اليهود والنصارى إذا لم يتفلسفوا كانوا أقرب إلى الحق من هؤلاء ، فإن تفلسف اليهودى والنصرانى كان كفره من جهتين .

وهذه الكتب المضافة إلى أبى حامد ، مثل الكتابين المضمون بهما على غير أهلها وأمثالهما ، مازال أئمة الدين ينكرون مافيهما من الباطل المخالف للكتاب والسنة . ثم من الناس من يكذب نسبة هذه الكتب إليه ، ومنهم من يقول — وهو أشبه — رجع عن ذلك ، كما ذكر في كتب أخرى ذم الفلاسفة وتكفيرهم . وذكر عبد الغافر الفارسى في « تاريخ نيسابور »^(١) أنه استقر أمره على مطالعة البخارى ومسلم ، فكان آخر أمره الرجوع إلى الحديث والسنة^(٢) ، والله أعلم .

فهذا الكلام المذكور في السؤال يوجد نحوه في مثل هذه الكتب التى يجعلها أهلها من كتب الحقائق والأسرار ، كما قال صاحب كتاب « المضمون »^(٣) : « (فصل) : يتخيل بعض الناس كثرة في ذات الله تعالى من طريق تعدد الصفات ، وقد صح قول من قال في الصفات : لاهى هو ولا غيره^(٤) »

(١) أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسى ، فارسى الأصل من أهل نيسابور ، ولد سنة ٤٥١ وتوفى سنة ٥٢٩ . قال الذهبي : صاحب « تاريخ نيسابور » ... وكان إماماً في الحديث واللغة والأدب والبلاغة ، عاش ثمانية وسبعين سنة وأكثر الأسفار . انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٢ / ٣٩١ - ٣٩٢ ؛ المبر للذهبي ٤ / ٧٩ ؛ الأعلام ١٥٧ / ٤ .

(٢) يقول عبد الغافر « وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ومجالسة أهله ، ومطالعة الصحيحين البخارى ومسلم » . ونقل كلامه السبكي في طبقاته ٤ / ١٠٩ . (٣) في كتاب « المضمون به على غير أهله » ، ص ٣١١ ، ط . الجنيدى (مجموعة القصور العوالى) .

(٤) في « المضمون » : لا هو ولا غيره .

وهذا التخيل يقع من توهم التغير، ولا تغاير في الصفات . مثال ذلك : أن إنساناً تعلم صورة الكتابة ، وله علم بصورة « بسم الله » التي تظهر تلك الصورة على القرطاس ، وهذه صفة واحدة ، وكما لها أن يكون المعلوم تبعاً لها ، فإنه إذا حصل العلم بتلك الكتابة ظهرت الصورة على القرطاس بلا حركة يد وواسطة قلم ومداد .

فهذه الصفة من حيث إن المعلوم انكشف بها يقال له : علم ، ومن حيث إن الألفاظ تدل عليها يقال لها : كلام^(١) ، فإن الكلام عبارة عن مدلول العبارات ، ومن حيث إن وجود المعلوم تبع لها يقال لها : القدرة ، ولا تغاير ههنا بين العلم والقدرة والكلام ، فإن هذه صفة واحدة في نفسها ، ولا تكون هذه الاعتبارات الثلاث واحدة .

وكل من كان أعور لا ينظر إلا بالعين العوراء ولا يرى إلا مطلق الصفة فيقول : هو هو ، وإذا التفت إلى الاعتبارات الثلاث يقال^(٢) : هي غيره ، ومن اعتبر مطلق الصفة مع الاعتبارات فقد نظر بعينين صحيحتين : / اعتقد أنها لاهو ولا غيره .

٤٨٠

والكلام في صفات الله تعالى ، وإن كان مناسباً لهذا المثال ، فإنه مبين له بوجه آخر . وتفهم هذه المعاني بالكتابة غير يسير^(٣) .

فهذا الكلام من جنس الكلام المذكور في السؤال ، وكلاهما يرجع إلى ما تزعمه المتفلسفة من أن الصفات ترجع إلى العلم إذا أثبتوه .

مقالة ابن حزم وقد يقرب من هؤلاء ابن حزم حيث رد الكلام والسمع والبصر وغير

(١) ك : يقال لها الكلام ؛ المضمون : يقال لها القدرة كلام ؛ والثبت عن (ع) .

(٢) المضمون : فقال .

(٣) المضمون : عسير غير يسير .

ذلك إلى العلم^(١) مع أنه لا يثبت صفة لله هي العلم ، ويجعل أسماء الحسنى إنما هي أعلام محضة ، فالحي والعالم والقادر والسميع والبصير ونحوه كلها أسماء أعلام لا تدل على الحياة والعلم والقدرة^(٢) .

وهذا يؤول إلى قول القرامطة الباطنية ونحوهم نفاة أسماء الله تعالى الذين الرد على النفاة يقولون : لا يقال : حي ولا عالم ولا قادر ؛ وهذا كله من الإلحاد في أسماء الله وآياته . قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ [سورة الأعراف : ١٨٠] .

وإذا كان من الإلحاد إنكار اسمه « الرحمن » كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾ [سورة الفرقان : ٦٠] ، وقال : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [سورة الإسراء : ١١٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [سورة الرعد : ٣٠] إلى غير ذلك .

(١) يقول ابن حزم في « الفصل » ٢ / ١٢٤ : « ونحن نقول أنه تعالى لم يزل سميّاً للمسموعات بصيراً بالبصرات يرى المراتب ويسمع المسموعات ، ومعنى هذا كله أنه عالم بكل ذلك ، كما قال تعالى : (لئنني منكم سميع وأرى) ، وهذا كله معنى العلم الذى لا يقتضى وجوداً لمعلومات لم يزل ... إلخ » .

(٢) يقول ابن حزم في « الفصل » ٢ / ١٢٨ : « إنما لانفهم من قولنا : قدير وعالم إذا أردنا بذلك الله تعالى ، إلا ما نفهم من قولنا الله فقط ، لأن كل ذلك أسماء أعلام لامشقة من صفة أصلاً . لكن إذا قلنا : الله تعالى بكل شيء عليم ويعلم الغيب ، فإنما نفهم من كل ذلك أن هاهنا له تعالى معلومات ، وأنه لا يخفى عليه شيء ، ولا يفهم منه ألينة أن له علماً هو غيره . وهكذا نقول في : يقدر ، وفي ذلك كله » .

واظفر : منهاج السنة ٢ / ٤٦٨ (ط . دار العروبة) .

فإذا كان اسمه « الرحمن » قد أنزل فيه ما أنزل فكيف إنكار سائر الأسماء ، ومعلوم أن اللفظ إذا كان علماً محضاً لم ينكره أحد ، ولو كانت أعلاماً لم يفرق بين الرحمن والعليم والتقدير .

الرد على الغزالي وما ذكره صاحب كتاب « المصنوع » مع المتفلسفة من أن العلم بالممكنات هو المقتضى لوجودها معلوم البطلان بأدنى تأمل . فإن العلم نوعان : علم نظري وعلم عملي ، فأما النظري - وهو العلم بما لا يفعله العالم ، كعلم الله بنفسه ، وكعلمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر - فهذا ليس مقتضياً لوجود المعلوم بالضرورة واتفاق العقلاء ، وإن كان قد يكون سبباً لبعض الأعمال .

وأما العلم العملي كعلم الله بمخلوقاته ، وكعلمنا بمفعولاتنا ، فهذا العلم وحده ليس موجباً لوجود المعلوم بلا قدرة ولا إرادة وعمل ، فإننا إذا تصورنا ما نريد فعله لم يكن مجرد تصورنا ما نريده ولم نقدر عليه لم يكن ، وإذا كنا قادرين على ما نتصوره ولا نريده لم يكن ، بل لا بد : علمنا به ، وإرادتنا له ، وقد رتبنا عليه .

فلو قال قائل : علم الله ليس كعلمنا .

قيل له : وذات الله ليست كذاتنا ، ولا قدرته وإرادته كقدرتنا وإرادتنا .

وهذا السؤال قد بسط الشيخ الكلام عليه وقد اختصر منه . وقال في وسط الكلام على هذا السؤال :

اثبات ابن تيمية وأهل السنة والماهية لله تعالى بل لكل موجود حقيقة تخصه يتميز بها عما سواه ويبين بها غيره . وهذه الحقيقة هي حقيقة الربوبية ، وبنفها^(١) ضل الجهمية من المعتزلة والفلاسفة

(١) في النسختين : وبنفسها ، والصواب ما أثبتته . وانظر قوله : وهي الماهية التي أثبتها .. الخ ، وقوله بعد قليل : وعلى إنباتها أئمة السنة والجماعة .. الخ .

والقراطة والاتحادية وأمنالم ، وهى الماهية التى أئبتها ضرار وأبوحنيفة وغيرهما من الكوفيين^(١) ، وخالفهم فى ذلك معتزلة البصرة^(٢) ، وعلى إثباتها أئمة السنة^(٣) والجماعة من السلف والخلف ، ولهذا ينفون العلم بماهية الله وكيفيته فيقولون : لا تجرى ماهيته فى مقال ، ولا تخطر كيفيته ببال ؛ ومن نفاها من المنتسبين إلى السنة وغيرهم قال : ليس له ماهية فتجرى فى مقال ، ولاله كيفيه فتخطر ببال .

والأول هو المأثور عن السلف والأئمة ، كما قد بسط الكلام عليه فى غير هذا الموضع ، ويدل عليه صريح العقول وصحيح المنقول ، والله سبحانه أعلم .

(١) يقول ابن طاهر فى أصول الدين (ص ٣٣٩) عن ضرار بن عمرو : « واقرد بأشياء منها قوله : إن الله يرى بحاسة زائدة يرى بها المؤمنون ماهية الإله ، ووصف الله بالماهية كما قال أبو حنيفة وحضم الفرد » . وانظر أيضاً : الملل والنحل ١/ ٨٢ ؛ مقالات الإسلاميين ١/ ٣١٤ ؛ التبصير فى الدين ، ص ٦٣ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٣٠ ؛ الحور العين ، ص ١٤٨ . وانظر الفصل لابن حزم ١٧٣/ ٢ - ١٧٥ حيث عقد فصلاً بعنوان : الكلام فى المائىة ، قال فى أوله : « ذهب طوائف من المعتزلة إلى أن الله تعالى لا مائىة له ، وذهب أهل السنة وضرار بن عمرو إلى أن الله تعالى مائىة . قال ضرار : لا يعاصها غيره . قال أبو محمد : والذى نقول به - وبالله تعالى التوفيق - أن له مائىة هى لائىته نفسها . الخ » .

(٢) فى « البدء والتاريخ » لمطهر بن طاهر المقدسى ١٤٣/ ٥ : « وأما البصريون فإنهم الذين أصولوا هذا المذهب مثل واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وأبى الهذيل بن العلاف وأبى إسحاق النظام » . وانظر « فلسفة المعتزلة » للدكتور أليير نصرى نادر ١/ ٧-١٢ ، ط . الأسكندرية ، ١٩٥٠ .

(٣) فى (ك) : أئمة السلف ؛ وفى (ع) لم يظهر من الكلمة ما بعد حرف السين ، ورجحت أن يكون الصواب ما أثبتته .

رِسَالَةٌ فِي تَحْقِيقِ مَسْأَلَةِ عِلْمِ اللَّهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله

﴿ فصل في مسألة العلم ﴾

الناس المنتسبون إلى الإسلام في علم الله باعتبار تعلقه بالمستقبل على ثلاثة أقوال : في هذه المسألة ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه يعلم المستقبلات بعلم قديم لازم لذاته، ولا يتجدد له عند وجود المعلومات نعت ولا صفة ، وإنما يتجدد مجرد التعلق بين العلم والمعلوم . وهذا قول طائفة من الصفاتية من الكلّائيين والأشعرية ومن وافقهم من الفقهاء والصوفية وأهل الحديث من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وأبي حنيفة ، وهو قول طوائف من المعتزلة وغيرهم من نفاة الصفات ، لكن هؤلاء يقولون : يعلم المستقبلات ، ويتجدد التعلق بين العالم والمعلوم ، لا بين العلم والمعلوم .

وقد تنازع الأولون : هل له علم واحد أو علوم متعددة ؟ على قولين .
والأول قول الأشعري وأكثر أصحابه ، والقاضي أبي يعلى وأتباعه ، ونحو هؤلاء .
والثاني قول أبي [سهل] الصّغولكي ^(١) .

والقول الثاني : أنه لا يعلم الحوادث إلا بعد حدوثها . وهذا أصل قول القدرية الذين يقولون : لم يعلم أفعال العباد إلا بعد وجودها ، وأن الأمر أنف :

(١) في الأصل : أبي الصغولكي . واشتهر من الأشاعرة أبو سهل محمد بن سليمان الصغولكي وابنه أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصغولكي ، ورجحت أن يكون المقصود هو الأول . ولد سنة ٢٩٦ وتوفي سنة ٣٦٩ ، وكان من فقهاء الشافعية ، عالماً أدبياً مفسراً . انظر ترجمته في : طبقات الشافعية ٢ / ١٦١ - ١٦٤ ؛ وفيات الأعيان ٣ / ٣٤٢ - ٣٤٣ ؛ تبين كذب المفتري ، ص ١٨٣ - ١٨٨ ؛ الوافي بالوفيات ٣ / ١٢٤ ؛ الأعلام ٧ / ٢٠ .

لم يسبق القدر بشقاوة ولا سعادة ، وهم غلاة القدرية الذين حدثوا في زمان ابن عمرو وتبرأ منهم ^(١) . وقد نص الأئمة كمالك والشافعي وأحمد على تكفير قائل هذه المقالة .

لكن القدرية صرّحوا بنفي العلم السابق والقدر الماضي في أفعال العباد الأمور بها والنهي عنها ، وما يتعلق بذلك من الشقاوة والسعادة . ثم منهم من اقتصر على نفي العلم بذلك خاصة ، وقال : إنه قدّر الحوادث وعلمها إلا هذا ، لأن الأمر والنهي مع هذا العلم يتناقض عنده ، بخلاف مالا أمر فيه ولا نهى .

ومنهم من قال ذلك في عموم المقدّرات ، وقد حُكي نحو هذا القول عن عمرو بن عبّيد ^(٢) وأمثاله . وقد قيل : إنه رجع عن ذلك قبل إنكاره لأن تكون ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [سورة المسد : ١] ، و ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ

(١) يشير ابن تيمية إلى مقدمة حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي رواه مسلم في أول كتاب الإيمان من صحيحه ١ / ٢٨ ولفظه : « عن يحيى بن عمار قال : كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني ، فانطلقت أنا وحيد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتبرين فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتفته أنا وصاحبي ، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله ؛ فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلى ، فقلت : أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتفقرون العلم - وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف . قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برءاء مني ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر » .

قال ابن الأثير في « جامع الأصول » ١ / ١٢٨ أن الحديث رواه مسلم والنسائي والترمذي وأبو داود وذكر رواياته المختلفة ١ / ١٢٨ - ١٣٦ .

(٢) أبو عثمان عمرو بن عبّيد بن باب مولى آل عرادة بن يربوع بن مالك ، وكان من سبي كابل . ولد سنة ٨٠ وعاش في البصرة وصاحب واصل بن عطاء وتزوج أخته وصار من أئمة المعتزلة ، وكانت وفاته سنة ١٤٤ . انظر ترجمته ومقاتله في : وفيات الأعيان ٣ / ١٣٠ - ١٣٣ ؛ النية والأمل لابن المرتضى ، ص ٢٢ - ٢٤ ؛ شذرات الذهب ١ / ٢١٠ - ٢١١ ؛ تاريخ بغداد ١٢ / ١٦٦ - ١٨٨ ؛ مروج الذهب للمسعودي ٣ / ٣١٤ ؛ المحور العين ، ص ١١١ - ١١٢ ؛ ميزان الاعتدال ٣ / ٢٧٣ - ٢٨٠ ؛ الأعلام ٥ / ٢٥٢ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ٧٢ - ٧٣ ؛ التبصير في الدين ، ص ٤٢ .

وَحِيداً﴾ [سورة المدثر: ١١] ، ونحو ذلك في اللوح المحفوظ ، وأمثال ذلك .

والقول الثالث : أنه يعلمها قبل حدوثها ، ويعلمها بعلم آخر حين وجودها .
وهذا قد حكاه المتكلمون كابى المالئ عن جهه ، فقالوا : إنه ذهب إلى إثبات علوم حادثة لله تعالى ، وقال : البارئ عالم لنفسه ، وقد كان في الأزل عالماً بنفسه وبما سيكون ، فإذا خلق العالم ، وتجددت المعلومات - أحدث لنفسه علوماً بها يعلم المعلومات الحادثة ، ثم العلوم تتعاقب حسب تعاقب المعلومات في وقوعها متقدمة عليها ، أى العلوم متقدمة على الحوادث . وذكروا أنه قال : إنها في غير محل ، نظير ما قالت المعتزلة / البصرية في الإرادة^(١) .

ص ٢٤٣

وهذا القول ، وإن كان قد احتجَّ عليه بما في القرآن من قوله : ﴿لَيَعْلَمَ﴾ فتلك النصوص لا تدل على هذا القول .

فإن هذا القول مضمونه تجديد علم قبل الحدوث ، والذي في القرآن إنما ذكروا دلالاته على ما بعد الوجود ، وهذان قولان متضاران . وإنما يحتج عليه بمثل قوله في حديث : أبرص وأقرع وأعمى : « بدا لله أن يتليهم »^(٢) . وليس

(١) قال أبو المالئ الجويني في كتابه « الإرشاد » ص ٩٦ (ط . الخانجي ١٣٦٩ / ١٩٥٠) : « ذهب جهه إلى إثبات علوم حادثة للرب ، تعالى عن قول البطليين ، وزعم أن المعلومات إذا تجددت أحدث البارئ سبحانه وتعالى علوماً متجددة بها يعلم المعلومات الحادثة ، ثم العلوم تتعاقب حسب تعاقب المعلومات في وقوعها متقدمة عليها . . . وسبيل الرد عليه في مدارك العقل يدانى سبيل الرد على البصريين في اعتقادهم الإرادات الحادثة الثابتة - على زعمهم - لله تعالى في غير محال » .

وانظر : نهاية الإقدام للشهرستاني ، ص ٢١٥ .

(٢) الحديث متفق عليه عن أبي هريرة رضى عنه ، وهو في البخارى ٤ / ١٧١ - ١٧٢ (كتاب الأنبياء ، حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني اسرائيل) وأوله : « . . . أخبرني عبد الرحمن بن أبي عمرة أن أبا هريرة رضى الله عنه حدثه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن ثلاثة في بني اسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله أن يتليهم فبعث إليهم ملكا . . . الحديث » . وهو في مسلم ٨ / ٢١٣ - ٢١٤ (أول كتاب الزهد والرفائق) وفيه : « . . . فأراد أن يتليهم . . . » .

هذا بدءاً^(١) يخالف العلم القديم ، كما قاله بعض غلاة الرافضة^(٢) . وكذلك أبو الحسين البصري^(٣) قال بإثبات علوم متجددة في ذات الله بحسب تجديد المعلومات^(٤) ، وكذلك أبو البركات صاحب «المعتبر» ، الإمام في الفلسفة^(٥) ،

(١) في الأصل : بدا (وعلى الباء فتحة وعلى الدال سكون) ، ولعله خطأ من الناسخ .
(٢) قال الشهرستاني في الملل والنحل ١ / ١٣٢ - ١٣٣ عن مذهب المختار الشيعية الكيسانية وهم أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي : « فن مذهب المختار أنه يجوز البدء على الله تعالى . والبدء له معان : البدء في العلم ، وهو أن يظهر له خلاف ما علم ، ولا أظن عاقلاً يعتقد هذا الاعتقاد ؛ والبدء في الإرادة ، وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ؛ والبدء في الأمر ، وهو أن يأمر بشيء آخر بعده بخلاف ذلك . ومن لم يجوز النسخ ظن أن الأوامر المختلفة في الأوقات المختلفة متناسخة . وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبدء لأنه كان يدعى علم ما يحدث له من الأحوال : إما يوحى إليه ، وإما برسالة من قبل الإمام ، فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدث حادثة ، فإن وافق كونه قوله جعله دليلاً على صدق دعواه ، وإن لم يوافق قال : قد بدا الربكم . وكان لا يفرق بين النسخ والبدء ؛ قال : إذا جاز النسخ في الأحكام جاز البدء في الأخبار » (انظر أيضاً عن قول المختار بالبدء : الفرق بين الفرق ، ص ٢٦) .

وتابع المختار في هذا القول كل الكيسانية وكثير من الإمامية الاثني عشرية ، وقد عقد الكليني في كتابه « أصول الكافي » ١ / ١٤٦ - ١٤٩ (ط . طهران ، ١٣٨١) فصلاً عن « البدء » ، وأورد فيه آثار الشيعة وأدلتهم على هذا الاعتقاد .

وانظر عن البدء عند الشيعة أيضاً : فرق الشيعة للتبليغي ، ص ٨٥ - ٨٦ : التبصير في الدين ، ص ١٨ ، ٢٠ ؛ دائرة المعارف الإسلامية مقالة « البدء » لجولدتسيهر .

(٣) أبو الحسين محمد بن علي الطيب البصري ، من متأخري المعتزلة ومن أئمتهم ، توفي سنة ٤٣٦ . انظر ترجمته ومذهبه في : وفيات الأعيان ٣ / ٤٠١ - ٤٠٢ ؛ شذرات الذهب ٣ / ٢٥٩ ؛ تاريخ بغداد ٣ / ١٠٠ ؛ لسان الميزان ٥ / ٥٩٨ ؛ الملل والنحل ١ / ٧٨ ؛ نهاية الإقدام ، ص ١٥١ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ٢٢١ ، ٢٥٧ ؛ منهاج السنة (ط دارالمروبة) ١ / ٢٧٩ - ٢٨٠ ، ٩١ / ٢١٣ .

(٤) قال الشهرستاني في نهاية الإقدام ، ص ٢٣١ : « وقد مال أبو الحسين البصري إلى مذهب هشام بعض الميل حتى قضى بتجدد أحوال الباري تعالى عند تجديد الكائنات مع أنه من نفاة الأحوال غير أنه جعل وجوه التعلقات أحوالاً إضافية للذات العالمية » .
(٥) أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا ، طبيب وفيلسوف ، كان يهودياً وأسلم ، يعرف بأوحد الزمان وفيلسوف المراقين ، من أهم كتبه «المعتبر في الحكمة» طبع بمحدرآباد سنة ١٣٥٧ ، وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته ، فقيل سنة ٤٥٧ وقيل غير ذلك . انظر ترجمته في : أخبار الحكماء لابن الففطى ٣٤٣ - ٣٤٦ ؛ طبقات الأطباء =

قال بتجدد علوم وإرادات له ، وذكر أن إلهيته لهذا العالم لاتصح إلا مع هذا القول^(١) . وكذلك أبو عبد الله الرازي يميل إلى هذا القول في « الطالب العالي »^(٢) وغيرها .

وأما السمع والبصر والكلام فقد ذكر الحارث المحاسبي^(٣) عن أهل السنة في تجديد ذلك عند وجود السموع المرئي قولين .

والقول بسمع وبصر قديم يتعلق بهاعند وجودها قول ابن كلاب وأتباعه والأشعري ، والقول بتجدد الإدراك مع قدم الصفة قول طوائف كثيرة كالكرامية وطوائف سوام ، والقول بنبوت الإدراك قبل حدوثها وبعد وجودها قول السالمة كأبي الحسن بن سالم وأبي طالب المكي^(٤) .

== لابن أبي أسيمة ٣ / ٢٩٦ - ٣٠٠ ؛ تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي ، ص ١٥٢ - ١٥٤ ؛ نكت الهميان للصفدي ، ص ٤٣٠٤ الأعلام ٩ / ٦٣ . وانظر مقالة السيد سليمان الندوي عنه وعن كتاب المتبر في آخر الجزء الثالث من المتبر ، ص ٢٣٠ - ٢٥٢ .

(١) تكلم ابن ملكا عن الآراء المختلفة في مسألة علم الله وناقشها بالتفصيل في المتبر ٦٩/٣ - ٩٩ وذكر رأيه في أثناء ذلك . وانظر مثلاً قوله ٧٦/٣ : « فأما القول بإيجاب التغيرية فيه يادراك الأغيار والكثرة بكثرة المدركات فجوابه الحق أنه لا يتكرر بذلك تكرار في إضافته ومنسبته وتلك مما لا تميم الكثرة على هويته وذاته » .

(٢) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ، فخر الدين الرازي ، ويعرف بأبن خطيب الري ، ولد سنة ٥٤٤ وتوفي سنة ٦٠٦ . من أئمة الأشاعرة الذين مزجوا المذهب الأشعري بالفلسفة والاعتزال ، ومن كتبه « الطالب العالي » وهو ما زال مخطوطا . انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٣ / ٣٨١ - ٣٨٥ ؛ شذرات الذهب ٥ / ٢١١ ؛ طبقات الشافعية ٥ / ٢٣ - ٤٠ ؛ لسان الميزان ٤ / ٤٢٦ - ٤٢٩ ؛ الأعلام ٧ / ٢٠٣ .

(٣) أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ، من شيوخ الصوفية ، توفي ببغداد سنة ٢٤٣ . انظر ترجمته في : طبقات الصوفية للسلي ، ص ٥٦ - ٦٠ ؛ الطبقات الكبرى للأشعري ١ / ٦٤ ؛ طبقات الشافعية ٢ / ٣٧ - ٤٢ ؛ شذرات الذهب ٢ / ١٠٣ - ١٠٤ ؛ ميزان الاعتدال ١ / ٤٣٠ - ٤٣١ ؛ الخلاصة للخزرجي ، ص ٥٧ ؛ الأعلام ٢ / ١٥٣ - ١٥٤ .

(٤) السالمة هم أتباع أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سالم (التوفي سنة ٢٩٧) وابنه الحسن أحمد بن محمد بن سالم (التوفي سنة ٣٥٠) . وقد تتلمذ سالم بن محمد على سهل بن عبد الله ==

والطوائف الثلاثة تنتسب إلى أئمة السنة كالإمام أحمد ، وفي أصحابه من قال بالأول ، ومنهم من قال بالثاني ، والسالية تنتسب إليه .

وكذلك الإرادة والمشيئة فيها للصفاتية ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها ليست إلا قديمة^(١) ، وهو قول ابن كلاب والأشعري وأتباعهما .

الثاني : أنها ليست إلا حادثة ؛ والفرق بين هذا وبين قول المعتزلة البصرية أن المعتزلة يقولون بحدوثها لافي محل ، لامتناع كونه^(٢) محلاً للحوادث عندهم ، وهؤلاء يقولون تقوم بذاته كما يقوم الكلام بذاته .

والثالث : أنها قديمة وحادثة ، وهو قول طوائف من الكرامية وأهل الحديث والصوفية وغيرهم ، وكذلك يقول هؤلاء إنه بوصف بأنه متكلم في الأزل ، وأنه يتكلم إذا شاء ، كما صرح بذلك الأئمة كالإمام أحمد وغيره .

لكن في تحقيق ذلك نزاع بين المتأخرين . فقليل : القديم هو القدرة على الكلام كما قالت الكرامية . وقيل : بل القولان متضادان ، كما ذكر أبو بكر عبد العزيز^(٣) وعبد الله بن حامد عن أصحاب أحمد .

= التسترى . ومن أشهر رجال السالية أبو طالب المكي صاحب كتاب « قوت القلوب » المتوفى سنة ٣٨٦ . ويجمع السالية في مذهبهم بين كلام أهل السنة وكلام المعتزلة مع ميل إلى التشبيه ونزعة صوفية اتحادية . انظر : شذرات الذهب ٣/٣٦ ؛ اللع السراج ، ص ٤٧٢ - ٤٧٦ ، القاهرة ١٩٦٠ ؛ طبقات الصوفية ، ص ٤١٤ - ٤١٦ ؛ الطبقات الكبرى للشعراني ، ص ٩٩ - ١٠٠ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٥٨ ، ٢٠٢ ؛ مقالة « السالية » في دائرة المعارف الإسلامية لاسينيون .

(١) في الأصل : أنها ليست الإرادة إلا قديمة .

(٢) في الأصل : لامتناع قوله ، وهو تحريف .

(٣) أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزداد ، المعروف بعلام الحلال ، من أئمة الحنابلة ، توفي سنة ٣٥٣ من أهم مصنفاته « الشافى » و « المفتح » انظر ترجمته في : طبقات الحنابلة ٢ / ١١٩ - ١٢٢ .

فأما إثبات علمه وتقديره للحوادث قبل كونها ، ففي القرآن والحديث والآثار مالا يكاد يُحصَر ، بل كل ما أخبر الله به قبل كونه فقد علمه قبل كونه ، وهو سبحانه يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وقد أخبر بذلك ، والنزاع في هذا مع غلاة القدرية ونحوهم .

وأما الاستيقيل فمثل قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٢] ، وقوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ ﴾ الآية [سورة البقرة : ٢١٤] ، آل عمران : ١٤٢ ، وقوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾ الآية [سورة التوبة : ١٦] ، وقوله : ﴿ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [سورة النكبات : ٣] ، وقوله : ﴿ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ [سورة النكبات : ١١] ، وقوله : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [سورة محمد : ٣١] .

آخره ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

رِسَالَتِي فِي الْجَوَابِ عَنْ سُؤَالِ عَنِ الْحَلَّاجِ هَلْ كَانَ صَدِيقًا أَوْ زَنْدِيقًا

مايقول السادة العلماء رضى الله عنهم في الخلاج الحسين بن منصور : هل
كان صديقاً أو زنديقاً ؟ وهل كان ولياً لله متقياً له ، أم كان له حال رحمانى ،
أو من أهل السحر والخزعبلات ؟ وهل قتل على الزندقة بمحض من علماء
المسلمين ، أو قتل مظلوماً ؟ أفتونا مأجورين .

الجواب فأجاب شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام
ابن تيمية ، قدس الله روحه .
الحمد لله رب العالمين .

الخلاج كان
زنديقاً ،
الخلاج قتل على الزندقة^(١) التى ثبتت عليه بإقراره وبغير إقراره ،
والأمر الذى ثبت عليه مما يوجب القتل باتفاق المسلمين ، ومن قال : إنه قُتل بغير
حق فهو إما منافق ملحد ، وإما جاهل ضال .

والذى قُتل به ما استفاض عنه من أنواع الكفر ، وبعضه يوجب قتله ،
فضلا عن جميعه ، ولم يكن من أولياء الله المتقين ، بل كان له عبادات ورياضات
ومجاهدات بعضها شيطانى ، وبعضها نفسانى ، وبعضها موافق^(٢) للشريرة من
وجه دون وجه ، فلبس الحق بالباطل .

وكان قد ذهب إلى بلاد الهند وتعلم أنواعاً من السحر^(٣) ، وصنّف كتاباً بعض أخبار الخلاج

(١) وكان قتله سنة ٣٠٩ .

(٢) في الأصل : موافقاً ، وهو خطأ .

(٣) قال ابن الجوزى في ترجمة الخلاج في كتابه « المنتظم » ٦ / ١٦٠ - ١٦١ :
« وطف البلاد وقصد الهند وخراسان وما وراء النهر وتركستان » . ثم قال (١٦١/٦) : « ...
سمعت على بن أحمد الحاسب يقول : سمعت والدى يقول : وجهنى المتضد إلى الهند ، وكان معى
في السفينة رجل يعرف بالحسين بن منصور ، فلما خرجنا من المركب قلت له : في أى شئ جئت
إلى هاهنا ؟ قال : جئت لأتلم السحر وأدعو الخلق إلى الله » . وانظر : روضات الجنات ،
ص ٢٢٥ .

في السحر معروفا ، وهو موجود إلى اليوم ، وكانت له أقوال شيطانية
ومخاريق بهتانية .

وقد جمع العلماء أخباره في كتب كثيرة أرّخوها الذين كانوا في زمنه ،
والذين نقلوا عنهم مثل ابن علي الخطّبي^(١) ذكره في تاريخ بغداد ، والحافظ
أبو بكر الخطيب ذكر له ترجمة كبيرة في « تاريخ بغداد »^(٢) ، وأبو يوسف
القزويني صنّف مجلداً في أخباره^(٣) ، وأبو الفرج بن الجوزي له فيه مصنف
سمّاه « رفع اللجاج في أخبار الحلاج »^(٤) ، وبسط ذكره في تاريخه^(٥) .

وذكر أبو عبد الرحمن السلمي في « طبقات الصوفية » أن كثيراً من المشايخ
ذموه وأنكروا عليه ولم يعدّوه من مشايخ الطريق وأكثرهم حط عليه^(٦) ،

(١) في الأصل : أبي علي الخطّبي . وجاء في مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ط . الرياض)
٣ / ٤٨٣ : « وكما ذكر إسماعيل بن علي الخطّبي في « تاريخ بغداد » وقد شهد قتله » .
وهو أبو محمد إسماعيل بن علي بن إسماعيل الخطّبي (نسبة إلى الخطب وإنشأها) مؤرخ أديب
صنف تاريخاً كبيراً ، ولد سنة ٢٦٩ وتوفي سنة ٣٥٠ . انظر ترجمته في : طبقات الخنابلة
٢ / ١١٨ - ١١٩ ؛ العبر ٢ / ٢٨٦ ؛ الباب ١ / ٣٧٩ ؛ الأعلام ١ / ٣١٦ .

(٢) في الجزء الثامن ، ص ١١٢ - ١٤١ .

(٣) أبو يوسف عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار القزويني ، شيخ المعتزلة في
عصره وكان زدياً ، ولد سنة ٣٩٣ وتوفي ٨٨ : له تفسير يبلغ ثلاثمائة مجلد ، ولم أجد فيها
بين يدي من المراجع ذكر الكتاب عن الحلاج . انظر ترجمته في : النجوم الزاهرة ٥ / ١٦٥ ؛
دول الإسلام للذهبي ٢ / ١٣ ؛ لسان الميزان ٤ / ١١ - ١٢ ؛ طبقات المفسرين للسيوطي ،
ص ١٩ ؛ العبر للذهبي ٣ / ٣٢١ ؛ الأعلام ٤ / ١٣١ .

(٤) ذكر ابن الجوزي في « المنتظم » ٦ / ١٦٢ : « وقد جمعت أخباره في كتاب
سميته القاطع لمحال اللجاج القاطع بمحال اللجاج » . وقال ابن رجب في « الذيل على طبقات
الخنابلة » ١ / ٤١٨ أن من مصنفات ابن الجوزي : « القاطع لمحال اللجاج بمحال
اللجاج ، جزء » .

(٥) في « المنتظم » ٦ / ١٦٠ - ١٦٤ .

(٦) ترجم السلمي للحلاج في كتابه « طبقات الصوفية » ، ص ٣٠٧ - ٣١١ ، وقال
عنه : « والمشايخ في أمره مختلفون . رده أكثر المشايخ وقوه وأبوا أن يكون له قدم في
التصوف ، وقبله من جلتهم إلخ » . وانظر روّضات الجنّات . ص ٢٣٦ .

ومن ذكّه وحطّ عليه أبو القاسم الجنيد^(١) ، ولم يقتل في حياة الجنيد ، بل قتل بعد موت الجنيد ، فإن الجنيد توفي سنة ثمان وتسعين ومائتين^(٢) / والحلاج قتل سنة بضع وثلاثمائة .

١٢٤ ط

وقدموا به إلى بغداد راكباً على جمل يُنادى عليه : هذا داعي القرامطة ، وأقام في الحبس مدة حتى وُجد من كلامه الكفر والزندقة واعترف به ، مثل أنه ذكر في كتاب له : من فاته الحج فإنه يبني في داره بيتاً ويطوف به كما يُتطوف بالبيت ، ويتصدق على ثلاثين بيتاً بصدقة ذكرها ، وقد أجزأه ذلك عن الحج . فقالوا له : أنت قلت هذا ؟ قال : نعم . فقالوا له : ومن أين لك هذا ؟ قال : ذكره الحسن البصري في كتاب « الصلاة » . فقال له القاضي أبو عمر : تكذب يا زنديق ، أنا قرأت هذا الكتاب وليس هذا فيه . فطلب منهم الوزير أن يشهدوا بما سمعوه ، ويفتوا بما يجب عليه ، فاتفقوا على وجوب قتله^(٣) .

(١) في كتاب « أخبار الحلاج » لعل بن أنجب السامعي (ط . باريس ، ١٩٣٦) ص ٣٨ : « عن أبي محمد الجسري قال : رأيت الجنيد ينكر على الحلاج ، وكذلك عمرو ابن عثمان المكي وأبو يعقوب التهرجوري وعلي بن سهل الأصهباني ومحمد بن داود الأصهباني .. الخ » . وفي نفس الكتاب ، ص ٩٢ : « وقال أحمد بن يونس : كنا في ضيافة بغداد فأطال الجنيد اللسان في الحلاج ونسبه إلى السحر والشعوذة والتبرج ... الخ » . وفي روضات الجنات ، ص ٢٢٥ أن الحلاج صحب في شبابه الجنيد في بغداد ثم سافر مدة من الزمن ولما رجع إلى بغداد قصد إلى الجنيد وسأله عن مسألة فلم يجبه ، وقال له : أنت مدع في سؤالك ، فتكدر منه الحلاج . وانظر أيضاً ، ص ٢٣٤ . وذكر الياقعي كلاماً مشابهاً في « مرآة الجنان » ٢/ ٢٥٩ . وانظر أيضاً : الفرق بين الفرق ، ص ١٥٨ .

(٢) أبو القاسم الجنيد بن محمد الحزار ، ويقال له أحياناً القواريري ، من شيوخ الصوفية ، توفي سنة ٢٩٧ وقبل سنة ٢٩٨ . انظر ترجمته في : طبقات الصوفية للسلمي ، ص ١٥٥ - ١٦٣ ؛ الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٧٢ - ٧٤ ؛ المنتظم لابن الجوزي ٦/ ١٠٥ - ١٠٦ ؛ تاريخ بغداد ٧/ ٢٤١ - ٢٤٩ ؛ الأعلام ٢/ ١٣٧ - ١٣٨ . وانظر ما ذكره الخوانساري في « روضات الجنات » حيث يقول : « وعن بعض كتب التواريخ أن شيخه الجنيد أيضاً كتب في الاستشهاد عليه أن الرجل في ظاهر حاله يستحق القتل . وعن بعضها التنظر في ذلك لكون وفاة الجنيد قبل وقت قتله بكثير ، وفيه نظر لاحتمال كون صدور ذلك منه أيام تغيره عليه كما عرفته من قبل » .

(٣) انظر خبر مقتله هذا في : المنتظم ٦/ ١٦٢ ؛ الكامل لابن الأثير ٨/ ٤٠ ؛ تاريخ بغداد ٨/ ١٣٨ - ١٣٩ ؛ البداية والنهاية ١١/ ١٤١ ؛ روضات الجنات ، ص ٢٣٥ ؛ الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٤ - ١٥ .

لكن العلماء لم قولان في الزنديق إذا أظهر التوبة ، هل تُقبل توبته فلا يُقتل ، أم يُقتل لأنه لا يُعلم صدقه ، فإنه مازال يظهر ذلك ؟ فأفتى طائفة بأنه يُستتاب فلا يُقتل ، وأفتى الأَكثَرُونَ بأنه يُقتل وإن أظهر التوبة ، فإنه إن كان صادقاً في توبته نفعه ذلك عند الله وقُتل في الدنيا ، وكان الحد تطهيراً له ، كما لو تاب الزاني والسارق ونحوهما بعد أن يُرفعوا إلى الأمام ، فإنه لا بد من إقامة الحد عليهم ، فإنهم إن كانوا صادقين كان قتلهم كفارة لهم ، ومن كان كاذباً في التوبة كان قتله عقوبة له .

فإن كان الحلاج وقت قتله تاب في الباطن فإن الله ينفعه بتلك التوبة ، وإن كان كاذباً فإنه قُتل كافراً ، ولما قُتل لم يظهر له وقت القتل شيء من الكرامات ، وكل من ذكر أن دمه كتب على الأرض اسم الله (١) ، أو أن دجلة انقطع ماؤها ، أو غير ذلك (٢) فإنه كاذب ، وهذه الأمور لا يحكيها إلا جاهل أو منافق ، وإنما وضعها الزنادقة وأعداء الإسلام ، حتى يقول قائلهم : إن شرع محمد بن عبد الله يقتل أولياء الله حين يسمعون (٣) أمثال هذه الهذيان ، وإلا فقد قُتل أنبياء كثيرون وقُتل من أصحابهم وأصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم والتابعين وغيرهم من الصالحين من لا يحصى عددهم إلا الله ، قُتلوا بسيف الفجّار والكفّار والظلمة وغيرهم ولم يكتب دم أحدهم اسم الله ، والدم أيضاً نجس فلا يجوز أن يكتب اسم الله تعالى ؛ فهل الحلاج خير من هؤلاء ، ودمه أطهر من دمائهم ؟ . . .

(١) ذكر هذا الخبر : المتاوى في « الكواكب الدراري » ٢ / ٢٥ ؛ الخوانساري في روضات الجنات ، ص ٢٣٥ . وانظر : الحلاج شهيد التصوف الإسلامى لطفه عبد الباقي سرور ، ص ١٩٠ ، القاهرة ، ١٩٦١ .

(٢) الذى في « وفيات الأعيان » ١ / ٤٠٧ : « واتفق أن دجلة زادت في تلك السنة زيادة وافرة ، فادعى أصحابه أن ذلك بسبب إلقاء رماده فيها » . وانظر : البداية والنهاية ١١ / ١٤٣ ؛ روضات الجنات ، ص ٢٣٥ .

(٣) في الأصل : يسمعون ، وهو خطأ .

وقد جزع وقت القتل وأظهر التوبة والسنة فلم يُقبل ذلك منه (١) ، ولو عاش افتتن به كثير من الجهال ، لأنه كان صاحب خزعبلات بُهتانية وأحوال شيطانية ، ولهذا إنما يعظمه من يعظم الأحوال الشيطانية والفسانية والبهتانية .

وأما أولياء الله العالمون بحال الحلاج فليس منهم واحد يعظمه ، ولهذا لم يذكره القشيري في مشايخ رسالته ، وإن كان قد ذكر من كلامه كلمات استحسناها (٢) .

وكان الشيخ أبو يعقوب النهرجوري قد زوّجه بابنته فلما اطلع على زندقته رُعِيها منه (٣) . وكان عمرو بن عثمان يذكر أنه كافر ، ويقول : كنت معه فسمع قارئاً يقرأ القرآن يقال : أقدر أن أصنّف مثل هذا القرآن ، أو نحو هذا الكلام (٤) .

(١) في : وفيات الأعيان ٤٠٧/١ ؛ تاريخ بغداد ٤١٣٩/٨ ؛ مرآة الجنان للبافمي ٢٥٩/٢ ؛ روضات الجنات ، ص ٢٣٥ : أن الحلاج قال للعلماء الذين أفتوا بقتله : « ظهري حي ، ودي حرام ، وما يجعل لكم أن تنقلوا علي بما يبيحه ، وأنا اعتقادي الإسلام ، ومذهبي السنة ... » ولي كتب في السنة موجودة في الوراقين ، فآله الله في دمي .. الخ .
(٢) قال الشعراني في ترجمة الحلاج (الطبقات الكبرى ١ / ٩٢) : « وقد أشار القشيري إلى تركبته حيث ذكر عقائده مع عقائد أهل السنة أول الكتاب فتجالباب حسن الظن به ، ثم ذكره في أواخر الرجال لأجل ما قيل فيه » . ويذكر القشيري في رسالته ، ص ٦ : « وقال الحسين بن منصور : من عرف الحقيقة في التوحيد سقط عنه لم وكيف » .

(٣) في : المنتظم ١٦٢/٦ ؛ تاريخ بغداد ١٢١/٨ ؛ البداية والنهاية ١٣٥/١١ ؛ العبر للذهبي ١٤٠/٢ : « قال أبو زرعة : وسمعت أبا يعقوب الأقطع يقول : زوجت ابنتي من الحسين بن منصور الحلاج لما رأيت من حسن طريقته ، فبان لي بعد مدة يسيرة أنه ساحر محتال خبيث كافر » . ولم أجد من يسمي بأبي يعقوب الأقطع ولكنني وجدت أبا يعقوب النهرجوري وأبا الخير الأقطع . وانظر طبقات الصوفية ص ٣٧٠ ، ٣٧٨ .

(٤) يذكر ابن حجر في « لسان الميزان » ٣١٤/٢ : « قال محمد بن يحيى الرازي ، سمعت عمرو بن يحيى المكي يلعن الحلاج ويقول : لو قدرت عليه أقتله بيدي . قلت : لا يش الذي وجد الشيخ عليه ؟ قال : قرأت آية من كتاب الله فقال : يمكن أن أولف مثله أو أتكلّم به . حكاهما القشيري في الرسالة » . وذكرت القصة منسوبة إلى عمرو بن عثمان المكي في : المنتظم ١٦٢/٦ ؛ تاريخ بغداد ١٢١/٨ ؛ البداية والنهاية ١٣٥/١١ ؛ الفرق بين الفرق . ص ١٥٨ ؛ العبر للذهبي ١٤٠/٢ .

وكان يظهر عند كل قوم ما يستجلبهم به إلى تعظيمه ، فيظهر عند أهل السنة أنه سنيّ ، وعند أهل الشيعة أنه شيعيّ ، ويلبس لباس الزهاد تارة ، ولباس الأجناد تارة (١) .

وكان من مخاريقه أنه يبعث بعض أصحابه إلى مكان في البرية يحجى فيه شيئاً من الفاكهة والحلوى ، ثم يحجى بمجموعة من أهل الدنيا إلى قريب من ذلك المكان فيقول لهم : ما تشتهون أن آتيكم به من هذه البرية ؟ فيشتهى أحدهم فاكهة أو حلوة فيقول : / امكثوا . ثم يذهب إلى ذلك المكان ويأتي بما حُجّي أو ببعضه ، فيظن الحاضرون أن هذه كرامة له (٢) .

وكان صاحب سيمياء وشياطين تخدمه أحياناً ، كانوا معه على جبل أبي قبيس فطلبوا منه حلوة ، فذهب إلى مكان قريب منهم وجاء بصحن حلوى ، فكشفوا الأمر فوجدوا ذلك قد سرق من دكان حلاوى باليمن ، حمله شيطان من تلك البقعة (٣) .

ومثل هذا يحدث كثيراً لغير الحلاج ممن له حال شيطاني ، ونحن نعرف كثيراً من هؤلاء في زماننا وغير زماننا ، مثل شخص هو الآن بدمشق كان الشيطان يحمله من جبل الصالحية إلى قرية حول دمشق ، فيجىء من الهواء إلى طاقة البيت الذي فيه الناس فيدخل وهم يرونه ، ويحجى بالليل إلى باب الصغير (٤) فيعبر منه هو ورفيقه وهو من أجرة الناس .

أخبار أخرى
من بعض
أصحاب الأحوال
الشيطانية

(١) انظر : المنتظم ١٦١/٦ ؛ البداية والنهاية ١١/١٣٧ .

(٢) انظر : المنتظم ١٦١/٦ وانظر قصة مماثلة في البداية والنهاية ١١/١٣٧ . وانظر من مخاريقه أيضاً مارواه الباقلاني في كتابه « البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والتاريجات » (ط . بيروت ، ١٩٥٨) ص ٧٦ .

(٣) روى هذه القصة الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٨/١٢٥ - ١٢٦ . ورواها ابن أنجب الساعي في « أخبار الحلاج » ص ٤٠ - ٤١ عن أبي يعقوب النهرجوري ولكنه زاد بأن الحلاج أرسل إلى الحلواني ثم الحلوى بعد أن فقدت من دكانه .

(٤) « لمدينة دمشق ستة أبواب : باب الجابية وباب الصغير ... الخ » (مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ، ص ١٠٦ ، ط . لندن ، ١٣٠٢)

وآخر كان بالشَّوْبَك^(١) من قرية يقال لها الشاهدة يطير في الهواء إلى رأس الجبل والناس يرونه ، وكان شيطانه يحمله ، وكان يقطع الطريق ؛ وأكثرهم شيوخ الشر ، يُقال لأحدهم البَوْشَى^(٢) أبي الحبيب^(٣) ينصبون له خركاه في ليلة مظلمة ويصنعون خبزا على سبيل القربات ، فلا يذكر الله ولا يكون عندهم من يذكر الله ولا كتاب فيه ذكر الله ، ثم يصعد ذلك البَوْشَى في الهواء وهم يرونه ويسمعون خطابه للشيطان وخطاب الشيطان له ، ومن ضحك أو سرق من الخبز ضرب به الدف ولا يرون من يضرب به . ثم إن الشيطان يخبرهم ببعض ما يسألونه عنه ، ويأمرهم بأن يقرَّبوا له بقرأ وخيلا وغير ذلك^(٤) ، وأن يخفقوها خنقا ولا يذكر اسم الله عليها ، فإذا فعلوا قضى حاجتهم . وشيخ آخر أخبرني نفسه أنه كان يزني بالنساء ويتلوط بالصبيان الذين يُقال لهم « الحوارات » ، وكان يقول : يأتيني كلب أسود بين عينيه نكتتان بيضاوان فيقول لى : فلان ابن فلان نذر لك نذرا وغدا نأتيك به ، وأنا قضيت حاجته لأجلك ، فيصبح ذلك الشخص يأتيه بذلك النذر ، ويكاشفه هذا الشيخ الكافر .

قال : وكنت إذا طُلب منى تغيير مثل اللادَن^(٥) أقول حتى أغيب عن عقلي وإذا باللاذن في يدى أو فى فى ، وأنا لا أدري من وضعه . قال : وكنت أمشى وبين يدى عمود أسود عليه نور .

(١) في معجم البلدان : « الشوبك قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلازم قرب الكرك » .

(٢) في « القاموس » مادة « بوش » : « البوشى (بفتح فسكون) الفقير المليل وهو من خان الناس ودهمائمهم ، وضم » .

(٣) في الأصل : أبى المحب ، غير منقوطة .

(٤) في الأصل : وخيلا وغيرهم وغير ذلك .

(٥) في المعجم الوسيط : « اللادَن جنس جنية من الفصيلة اللادنية يستخرج منه صمغ راتينجى يملك ويستعمل عطرا ودواء » . وانظر : القاموس المحيط .

فلما تاب هذا الشيخ وصار يصليّ ويصوم ويحْتَنِبُ الحارِمَ ذهب الكلب الأسود وذهب التغير فلا يأتي بلاذن ولا غيره .

وشيوخ آخر كان له شياطين يرسلهم يصرعون بعض الناس ، فيأتي أهل ذلك المصروع إلى الشيخ يطلبون منه إبراءه ، فيرسل إلى أتباعه فيفارقون ذلك المصروع ، ويعطون ذلك الشيخ دراهم كثيرة . وكان أحياناً تأتيه الجن بدرام وطعام تسرقه من الناس ، حتى أن بعض الناس كان له تين في كؤارة فيطلب الشيخ من شياطينه تيناً فيحضرونه له ، فيطلب أصحاب الكؤارة التين فوجدوه قد ذهب .

وآخر كان مشتغلاً بالعلم والقراءة فجاءته الشياطين أغوته وقالوا له : نحن نُسْقِطُ عنك الصلاة ونحضر لك ما تريد . فكانوا يأتونه بالحلوى أو الفاكهة ، حتى حضر عند بعض الشيوخ العارفين بالسنة فاستتابه ، وأعطى أهل الخلاوة ثمن حلاوتهم التي أكلها ذلك المفتون بالشیطان .

فكل من خرج عن الكتاب والسنة وكان له حال من مكاشفة أو تأثير فإنه صاحب حال نفساني أو شيطاني ، وإن لم يكن له حال بل هو يتشبه بأصحاب الأحوال فهو صاحب حال^(١) بهتاني . وعامة أصحاب الأحوال الشيطانية يجمعون بين الحال الشيطاني والحال البهتاني ، كما قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَبَّكُمْ عَلَى مَنْ نَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * نَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [سورة الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢] . والحلاج كان من أئمة هؤلاء ، أهل الحال الشيطاني والحال البهتاني ، وهؤلاء طوائف كثيرة . فأئمة هؤلاء هم شيوخ المشركين الذين يعبدون الأصنام ، مثل الكهان والسحرة الذين كانوا للعرب المشركين ، ومثل الكهان والسحرة الذين هم بأرض الهند والترك وغيرهم . ومن هؤلاء من إذا مات لهم ميت يعتقدون أنه يحيى بعد الموت يكلمهم ويقضى ديونه ويرد ودائعه ويوصيهم بوصايا ، فإنهم

ظ ١٢٥

(١) في الأصل : محال ، ولها وجه . وما أثبتته موافق للسياق .

تأتيهم تلك الصورة التي كانت في الحياة ، وهو شيطان تمثل في صورته فيظنون إياه .

وكثير ممن يستغيث بالمشايخ فيقول : يا سيدى فلان ، أو : يا شيخ فلان اقض حاجتى ، فيرى صورة ذلك الشيخ يخاطبه ويقول : أنا أقضى حاجتك ، أو طيب قلبك ، فيقضى حاجته أو يدفع عنه عدوه ، ويكون ذلك شيطاناً قد تمثل في صورته لما أشرك بالله فدعا غيره .

وأنا أعرف من هذا وقائع متعددة ، حتى أن طائفة من أصحابى ذكروا أنهم استفنوا بى فى شذائد أصابتهم ، أحدهم كان خائفاً من الأرمن ، والآخرون كان خائفاً من التتر ، فذكر كل منهم أنه لما استفن بى رآنى فى الهواء وقد دفعت عنه عدوه ، فأخبرتهم أنى لم أشعر بهذا ، ولا دفعت عنكم شيئاً ، وإنما هذا شيطان تمثل لأحدهم فأغواه لما أشرك بالله تعالى .

وهكذا جرى لغير واحد من أصحابنا المشايخ مع أصحابهم ، يستغيث أحدهم بالشيخ فيرى الشيخ قد جاء وقضى حاجته ، ويقول ذلك الشيخ : إنى لم أعلم بهذا ، فيتبين أن ذلك كان شيطاناً .

وقد قلت لبعض أصحابنا لما ذكر لى أنه استفن باثنين كان يعقدهما وأنهما أتياه فى الهواء وقالاه : طيب قلبك نحن ندفع عنك هؤلاء ونفعل ونصنع . قلت له : فهل كان من ذلك شيء (١) ؟ فقال : لا . فكان هذا مما دلّه على أنهما شيطانان ، فإن الشياطين وإن كانوا يخبرون الإنسان بقضية أو قصة فيها صدق فإنهم يكذبون أضعاف ذلك ، كما كانت الجن يخبرون الكهان .

ولهذا من اعتمد على مكاشفته التى هى من أخبار الجن كان كذبه أكثر من صدقه . كشيخ كان يُقال له الشياح توبّناه وجدّدنا إسلامه ، كان له قرين

(١) فى الأصل : شيئاً ، وهو خطأ .

من الجن يقال له « عنتر » يخبره بأشياء فيصدق تارة ويكذب تارة ، فلما ذكرت له : إنك تمبد شيطاناً من دون الله ، اعترف بأنه يقول له : يا عنتر لا سبجانك إنك إله قدر ، وتاب من ذلك في قصة مشهورة .

وقد قتل سيف الشرع من قتل من هؤلاء ، مثل الشخص الذي قتلناه سنة خمس عشرة ، وكان له قرين يأتيه ويكاشفه فيصدق تارة ويكذب تارة ، وكان قد انقاد له طائفة من النسوة إلى أهل العلم والرئاسة فيكاشفهم حتى كشف الله أمره ، وذلك أن القرين كان تارة يقول : أنا رسول الله ، ويذكر أشياء تنافي حال الرسول ، فشهد عليه أنه قال : إن الرسول يأتيني ويقول لي كذا وكذا ، من الأمور التي يكفر من أضافها إلى الرسول . فذكرت لولاة الأمور أن هذا من جنس الكهّان ، وأن الذي يراه شيطان^(١) ، ولهذا لا يأتيه في الصورة المعروفة للنبي صلى الله عليه وسلم بل يأتيه في صورة منكورة ، ويذكر عنه أنه يخضع له ويبسح له أن يتناول المنكر وأموراً أخرى ، وكان كثير من الناس يظنون أنه كاذب فيما يخبر به من الرؤية ، ولم يكن كاذباً في أنه رأى تلك الصورة ، لكن كان كافراً في اعتقاده أن ذلك رسول الله ، ومثل هذا كثير .

ولهذا تحصل لهم تنزلات شيطانية بحسب ما فعلوه من مراد الشيطان ، فكلما / بعدوا عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وطريق المؤمنين قربوا من الشيطان ، فيطرون في الهواء والشيطان طار بهم ، ومنهم من يصرع الحاضرين وشياطينه صرعتهم ، ومنهم من يحضر طعاماً وإداماً ويملاً^(٢) الإبريق ماءً من الهواء ، والشياطين فعلت ذلك ، فيحسب الجاهلون أن هذه كرامات أولياء الله المتقين ، وإنما هي من جنس أحوال السحرة والكهنة وأمثالهم .

س ١٢٦

(١) في الأصل : شيطاناً ، وهو خطأ .

(٢) في الأصل : وملاً .

ومن لم يميز بين الأحوال الرحانية والنفسانية اشتبه عليه الحق بالباطل ،
ومن لم ينور الله قلبه بحقائق الإيمان وأتباع القرآن لم يعرف طريق الحق من
المبطل ، والتبس عليه الأمر والحال ، كما التبس على الناس حال مسيلمة صاحب
اليمامة وغيره من الكذابين في زعمهم أنهم أنبياء وإنما هم كذّابون .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى يكون فيكم ثلاثون إخبار النبي صلى
الله عليه وسلم
عن الدجالين
والدجال الكبير

دجالون كذّابون كلهم يزعم أنه رسول الله » ^(١) .
وأعظم الدجاجة فتنة الدجال الكبير الذي يقتله عيسى بن مريم ^(٢) ،
فإنه ما خلق الله من لدن آدم إلى قيام الساعة أعظم من فتنته ، وأمر المسلمين
أن يستميزوا من فتنته في صلاتهم ^(٣) . وقد ثبت أنه يقول للسماء : أمطري ،

(١) روى مسلم في صحيحه ١٨٩/٨ (كتاب الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل
بقبر الرجل . الخ) عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذّابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله » .
رواه أحمد في مسنده (ط . المعارف) ٢١٨/١٢ (رقم ٧٢٢٧) . وهو جزء من حديث
رواه البخاري في صحيحه ٢٠٠/٤ (كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام) ، ومن
حديث آخر طويل ٥٩/٩ (كتاب الفتن ، باب حدثنا مسدد .. الخ) (وقال النبهاني في الفتح
الكبير ٣/٣٣٥ أنه في سنن أبي داود وسنن الترمذي . وروى ابن عمر رضى الله عنه
حديثاً بنفس المعنى في المسند (ط . المعارف) الأرقام : ٥٦٩٤ ، ٥٦٩٥ ، ٥٨٠٨ ،
٥٩٨٥ .

وذكر النبهاني (في نفس الصفحة السابقة) حديثاً آخر عن ثوبان بنفس المعنى قال إنه في
سنن الترمذي وفي مستدرک الحاكم .

(٢) خبر قتل المسيح صلى الله عليه وسلم للدجال رواه مسلم في صحيحه في ثلاثة مواضع
من كتاب الفتن ١٧٤/٨ - ١٧٥ (باب في فتح القسطنطينية .. الخ) ، ١٩٨/٨ (باب
ذكر الدجال وصفته وما معه) ، ٢٠١/٨ (باب في خروج الدجال) . والخبر في سنن
أبي داود والترمذي وابن ماجة والمسند .

(٣) التعوذ من شر فتنة المسيح الدجال بعد التشهد الأخير ثابت عن النبي صلى الله عليه
وسلم ، جاء في أحاديث عن عدد من الصحابة في صحيح البخاري ومسلم وأبي داود
والنسائي . انظر الأذكار لقرطوبى ، ص ٦٤ ؛ المسند (ط . المعارف) ٢٥٤/١٤ - ٢٥٥
(رقم ٧٨٥٧) ١١٣/١٥ - ١١٤ (رقم ٧٩٥١) .

فتمطر ، وللأرض : أنبتى فتنبت^(١) ، وأنه يقتل رجلاً مؤمناً يقول : قم ، فيقوم ، فيقول : أنا ربك ، فيقول له : كذبت بل أنت الأعور الكذاب الذى أخبرنا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ما ازددت فيك إلا بصيرة . فيقتله مرتين ويريد أن يقتله فى الثالثة فلا يُسلط عليه ، وهو يدعى الإلهية^(٢) .

وقد بينَّ له النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث علامات تنافى ما يدعيه، أحدها : أنه أعور وإن ربكم ليس بأعور . والثانية : أنه مكتوب بين عينيه « كافر » يقرأه كل مؤمن قارئ وغير قارئ^(٣) . والثالثة : قوله : « واعلموا أن أحكم لا يرى ربه حتى يموت »^(٤) .

فهذا هو الدجال الكبير ، ودونه دجاجة : منهم من يدعى النبوة ، ومنهم من يكذب بغير ادعاء النبوة ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « يكون فى آخر الزمان

(١) فى حديث النواس بن سمان رضى الله عنه الذى رواه مسلم فى صحيحه ١٩٧/٨ (كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن الدجال : « . . . فإمر السماء فتمطر والأرض فتنبت . . الخ » .

(٢) هذا الخبر جزء من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وهو فى : البخارى ٢٢/٣ (كتاب فضائل المدينة ، باب لا يدخل الدجال المدينة) ؛ مسلم ١٩٩/٨ (كتاب الفتن ، باب فى صفة الدجال وتحريم المدينة عليه . . الخ) .

(٣) وردت أحاديث كثيرة فى صفة الدجال وفى أنه أعور وأنه مكتوب بين عينيه كافر . انظر مثلاً حديث أنس رضى الله عنه فى : البخارى ٦٠/٩ (كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال) ؛ مسلم ١٩٥/٨ (كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه) .

(٤) هذه العبارة جزء من حديث رواه مسلم فى صحيحه ١٩٣/٨ (كتاب الفتن ، باب ذكر ابن صياد) ورواه الداريمى فى كتاب « الرد على الجهمية » ص ٥١ . ووردت هذه العبارة فى حديث آخر طويل عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه فى سنن ابن ماجه ٣٦/٢ (كتاب الفتن ، باب فتنة الدجال) . وهى جزء من حديث رواه أحمد عن عباد بن الصامت فى المسند (ط . الحلبي) ٣٢٤/٥ وفى كتاب « السنة » ، ص ١٣٨ (ط . السلفية ، مكة ، ١٣٤٩) . وأورد فى نفس الكتاب (ص ١٣٨ - ١٣٩) حديث أبى أمامة ، كما أورده ابن خزيمة فى كتاب التوحيد ، ص ١٢١ - ١٢٢ .

دجالون كذابون يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم ، فإياكم وإياهم» ^(١) .

كان الحلاج دجالا
ووجب قتله

فالحلاج كان من الدجاجلة بلا ريب ، ولكن إذا قيل : هل تاب قبل الموت أم لا ؟ قال ^(٢) : الله أعلم ، فلا يقول ما ليس له به علم ؛ ولكن ظهر عنه من الأقوال والأعمال ما أوجب كفره وقتله باتفاق المسلمين ، والله أعلم .

(١) الحديث مع اختلاف في اللفظ عن أبي هريرة رضى الله عنه في : مسلم ٩/١ (المقدمة باب في الضعفاء والكذابين) .

(٢) قال : كذا بالأصل ، وسياق الكلام يدل على أن المقصود : قال الحبيب .

رِسَالَةُ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ عَرَبٍ فِي دَعْوَى إِيمَانِ فِرْعَوْنَ

هذا سؤال أجاب عنه الشيخ الإمام العلامة الأوحى ، شيخ الإسلام ، تقي
الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم
ابن محمد بن تيمية الحراني .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ظ ١٣٧

وبه التوفيق

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

نص السؤال ما تقول السادة العلماء رضى الله عنهم في قول فرعون عند الفرق : ﴿ آمَنْتُ
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾
[سورة يونس : ٩٠] هل فيه دليل على إيمانه وإسلامه ؟ وما يجب على من يقول :
إنه مات مؤمناً والحالة هذه ؟

الجواب

﴿ الجواب ﴾

الحمد لله .

كفر فرعون ، وموته كافراً ، وكونه من أهل النار هو مما علم بالاضطرار
من دين المسلمين ، بل ومن دين اليهود والنصارى ، فإن أهل الملل الثلاثة متفقون
على أنه من أعظم الخلق كفراً ، ولهذا لم يذكر الله تعالى في القرآن قصة كافر
كما ذكر قصته في بسطها وتنزيهاها ، ولا ذكر عن كافر من الكفر أعظم مما
ذكر من كفره واجترائه وكونه^(١) أشد الناس عذاباً يوم القيامة .
ولهذا كان المسلمون متفقين^(٢) على أن من توقف في كفره ، وكونه من

(١) في الأصل : وقومه ، وهو تحريف .

(٢) في الأصل : متفقون . وهو خطأ .

أهل النار فإنه يجب أن يُستتاب ، فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتدّاً ، فضلاً عن
يقول إنه مات مؤمناً .

والشك في كفره أو نفيّه أعظم منه في كفر أبي لهب ونحوه ، وأعظم
من ذلك في أبي جهل وعقبة بن أبي مُعَيْط والنضر بن الحارث ونحوهم ممن
تواتر كفرهم ولم يذكر باسمه في القرآن ، وإنما ذكر ما ذكر من أعمالهم ، ولهذا
لم يظهر عن أحد بالتصريح بأنه مات مؤمناً إلا عمن فيه من النفاق والزندقة
أو التقليد للزندقة والمناقين ما هو أعظم من ذلك ، كالاتحادية الذين يقولون :
إن وجود الخالق [هو] وجود الخلق^(١) ، حتى يصرّحون بأن يَفُوتَ وَيَعُوقَ
ونَسراً وغيرها من الأصنام هي وجودها وجود الله ، وأنها عُبِدَت بِحَقِّ^(٢) ،
وكذلك العجل عُبد بِحَقِّ ، وأن موسى أنكر على هارون من نهيه عن عبادة
العجل^(٣) ، وأن فرعون كان صادقاً في قوله : أنا ربكم الأعلى ، وأنه عين الحق^(٤)
وأن العبد إذا دعا الله تعالى فعين الداعي عين الجيب ، وأن العالم هويته ، ليس
وراء العالم وجود أصلاً^(٥) .

لا يصرح بعونه
مؤمناً إلا من فيه
نفاق وزندقة
كالأحادية

ومعلوم أن هذا بعينه هو / حقيقة قول فرعون الذي قال : ﴿ يَا هَامَانَ

س ١٣٨

(١) في الأصل : إن وجود الخالق ووجود المخلوق . وانظر مقدمة فصوص الحكم
للدكتور أبي الملا عفيفي ، س ٢٤ - ٢٨ . وانظر قول ابن عربي في الفصوص ١ / ٢٩ :
فخلق خلق بهنذا الوجه فاعتبروا وليس خلقا بذاك الوجه فاذكروا
من يدر ما قلت لم تختل بصيرته وليس يدره إلا من له بصير
جمع وفرق فإن الصين واحدة وهي الكثيرة لا تبقى ولا تنفر
(٢) في الأصل : وأنها عبد بحق . وانظر ما سبق س ١٦٦ حيث ذكر ابن تيمية نص
الفصوص ١ / ٧٢ .

(٣) انظر ما سبق ، س ١٦٦ - ١٦٧ ، وانظر الفصوص ١ / ١٩٢ .

(٤) انظر ما سبق ، س ١٦٧ ، والفصوص ١ / ٢١٠ - ٢١١ .

(٥) انظر ما سبق س ١٠٤ - ١٠٥ ، ١٦٤ - ١٦٦ .

ابْنِي لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ
مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴿ [سورة غافر : ٣٦، ٣٥] .

ولقد خاطبت بعض الفضلاء مرة بحقيقة مذهبهم ، وأنه حقيقة قول فرعون
فذكري رئيس من رؤسائهم أنه لما دعاه إلى هذا القول وبينه قال : قلت له :
هذا قول فرعون . فقال له : ونحن على قول فرعون ؛ وما كنت أظن أنهم
يُقرُّون أو يعترفون بأنهم على قول فرعون . قال : إنما قلت ذلك استدلالاً ،
فلما قال ذلك ، قلت له : مع إقرار الخصم لا يحتاج إلى بيّنة .

وهم مع هذا الكفر والتعطيل الذي هو شرٌّ من قول اليهود والنصارى ، تفضيل الاتحادية
الولي على النبي والرسول
يدَّعون أن هذا العلم ليس إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء الذي يدَّعونه ، وأن
خاتم الأنبياء إنما يرى هذا العلم من مشكاة خاتم الأولياء ، وأن خاتم الأولياء
يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى خاتم الأنبياء ، وهو
في الشرع مع موافقته له في الظاهر مشكاة [له] في الباطن ^(١) ، ولا يحتاج أن
يكون متبعاً للرسول لا في الظاهر ولا في الباطن ^(٢) .

وهذا - مع أنه من أقبح الكفر وأخبثه - فهو من أفسد الأشياء في
العقل ، كما يُقال لمن قال : « نخرّ عليهم السقف من تحتهم » : لاعقل ولا قرآن ؛

(١) في الأصل : مرآة في الباطن ، ورجحت أن يكون الصواب ما أنبته .

(٢) انظر الفصوص ١/ ٦١ - ٦٤ ، وانظر قول ابن عربي ١/ ٦٢ : « . . وهذا هو أعلى عالم بالله ، وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء ، وما يراه أحد من الأنبياء والرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم ، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم ، حتى أن الرسل لا يرونه - متى رأوه - إلا من مشكاة خاتم الأولياء » . ثم انظر ما ذكره بعد ذلك ١/ ٦٣ : « . . . فيكون خاتم الأولياء تينك اللبتين فيكمل الحائط . والسبب الموجب لكونه رآها لبتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر - وهو موضع اللبنة الذهبية ، وهو ظاهره وما يتبعه فيه من الأحكام . . . وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن ، فإنه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول » .

لأن الخُرور لا يكون من أسفل ، وكذلك الاستفادة ، إنما يستفيد المتأخر من المتقدم .

ثم خاتم الأولياء الذين يدعونهم ، ضلالهم فيه من وجوه ، حيث ظنوا أن للأولياء خاتماً ، وأن يكون أفضلهم قياساً على خاتم الأنبياء ، ولم يعلموا أن أفضل الأولياء من هذه الأمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وهم السائقون من الأولياء لا الآخرون ، إذ فضل الأولياء على قدر أتباعهم للأنبياء واستفادتهم منهم علماً وعملاً .

وهؤلاء الملاحدة يدعون أن الولي يأخذ من الله بلا واسطة ، والنبى يأخذ بواسطة ، وهذا جهل منهم ، فإن الولي عليه أن يتبع النبى ، ويعرض كلِّ ما له من محادثة وإلهام على ما جاء به النبى ، فإن واقفه وإلارده ، إذ ليس هو بمعصوم فيما يقضى له .

وقد يلبسون على بعض الناس بدعواهم أن ولاية النبى أفضل من نبوته^(١) ، وهذا مع أنه ضلال فليس هو مقصودهم ، فهم مع ضلالهم فيما ظنوه من خاتم الأولياء ومرتبته يختلفون فى عينه بحسب الظن وماتهبوى الأنفس^(٢) ،

(١) انظر فصوص الحكم ١ / ١٣٤ - ١٣٧ وانظر قول ابن عربى ١ / ١٣٥ : « فإذا رأيت النبى يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو ولى وعارف ، ولهذا مقامه من حيث هو عالم أتم وأكمل من حيث هو رسول أو ذو تشريع وشرع . فإذا سمعت أحداً من أهل الله يقول أو ينقل إليك عنه أنه قال : الولاية أعلى من النبوة فليس يريد ذلك القائل إلا ما ذكرناه . أو يقول : إن الولي فوق النبى والرسول فإنه يعنى بذلك فى شخص واحد : وهو أن الرسول عليه السلام - من حيث هو ولى - أتم من حيث هو نبى ورسول ، لا أن الولي التابع له أعلى منه . . . » .

(٢) يزعم ابن عربى أنه هو خاتم الأولياء - وخاتم الأولياء عنده أفضل من خاتم الرسل - فيقول :

أنا ختم الولاية دون شك لورث الهاشمى مع المسيح وانظر « التصوف الثيرة الروحية فى الإسلام » للدكتور أبى العلا غنقى (ط . المعارف ١٩٦٣) ص ٣١٢ - ٣١٤ . وانظر الفتوحات ٢ / ٤٩ (ط . الحلبي) .

لتنازعهم في تعيين القطب الفرد الفوث الجامع^(١)، ونحو ذلك من المراتب التي يدعونها، وهي / معلومة البطلان بالشرع والعقل . ثم يتنازعون في عين الموصوف بها، وهذا باب واسع .

والمقصود هنا أن هؤلاء الاتحادية من أتباع صاحب « فصوص الحكم » وصاحب « الفتوحات المكية » ونحوهم، هم الذين يعظمون فرعون، ويدعون أنه مات مؤمناً، وأن تفريقه كان بمنزلة غسل الكافر إذا أسلم، ويقولون: ليس في القرآن ما يدل على كفره، ويحتجون على إيمانه بقوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة يونس: ٩٠] .

وتمام القصة تبين ضلالهم، فإنه قال سبحانه: ﴿ آلَآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة يونس: ٩١]، وهذا استفهام إنكار وذم، ولو كان إيمانه صحيحاً مقبولاً لما قيل له ذلك .

وقد قال موسى عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [سورة يونس: ٨٨] .

(١) في رسالة اصطلاحات الصوفية لابن عربي (طبعت مع التعريفات للجرجاني ، ط . مصطفى الحلبي ، ومع رسائل ابن عربي ، ط . حيدرآباد ، وهي واردة في الفتوحات) : « القطب - وهو الفوث - عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان ، وهو على قلب إسرائيل عليه السلام » . وزاد الجرجاني في التعريفات : « أعطاه (الله) الطلسم » . وأما الفوث فعرفه ابن عربي : « هو واحد في كل الزمان بعينه إلا أنه إذا كان الوقت يعطى الالتجاء إلى عنايته » . وقال الجرجاني : « هو القطب حينما يلتجأ إليه ولا يسمى في غير ذلك الوقت غوثاً » .

قال الله تعالى : ﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴾ [سورة يونس : ٨٩] ،
فاستجاب الله دعوة موسى وهارون ، فإن موسى كان يدعو ، وهارون يؤمن أن
فرعون وملاؤه لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم .

وقد قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا
أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا
عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا
قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكُفِّرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ
إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَاكَ
الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة غافر : ٨٢ - ٨٥] ، فأخبر سبحانه وتعالى أن الكفار
لم يك ينفعهم إيمانهم حين رأوا البأس ، وأخبر أن هذه سنته التي قد خلت في
عباده ، ليبين أن هذه عادته سبحانه في المستقدمين والمستأخرين ، كما قال
سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ
أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾
[سورة النساء : ١٨] .

ثم إنه سبحانه وتعالى قال بعد قوله : ﴿ آ لَآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَأَلَيْتُمْ نَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ﴾
[سورة يونس : ٩١ - ٩٢] ، فجعله الله تعالى عبرة وعلامة لمن يكون بعده من
الأمم لينظروا عاقبة من كفر بالله تعالى ، ولهذا ذكر الله تعالى الاعتبار بقصة
فرعون وقومه في غير موضع .

وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ
وَنُوحٌ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ

تُبْعِ كُلِّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿ [سورة ق: ١٢ - ١٤] ، فأخبر سبحانه أن كل واحد من هؤلاء المذكورين ، فرعون وغيره ، كَذَّبَ الرسل كلهم ، إذ لم يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض كاليهود والنصارى ، بل كذبوا الجميع ، وهذا أعظم أنواع الكفر ، فكل من كذب رسولا فقد كفر ، ومن لم يصدقه ولم يكذبه فقد كفر ؛ فكل مكذب للرسول كافر به ، وليس كل كافر مكذبا به ، إذ قد يكون شاكاً في رسالته ، أو عالماً بصدقه لكنه يحمله الحسد أو الكبر على ألا يصدق ، وقد يكون مشتغلاً بهواه عن استماع رسالته والإصغاء إليه ؛ فمن وصف بالكفر الخاص الأشد ، كيف لا يدخل في الكفر ١٩

ولكن ضلالهم في هذا نظير ضلالهم في قوله :

مقام النبوة في برزخ قُوتِ الرسول ودون الولى^(١)

وقد علم أن كل رسول نبي ، وكل نبي ولى ، ولا ينمكس .

وقال سبحانه تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ * إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ﴾ [سورة م: ١٢ - ١٤] . وقال تعالى : ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ * فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴾ [سورة الحاقة : ٩ ، ١٠] .

(١) لم أعر على هذا البيت ولكن وجدت بيتا بمعناه في كتاب « لطائف الأسرار » لابن عربى (تحقيق أحمد زكى عطية وطه عبد الباقي سرور ، دار الفكر العربى ، ١٣٨٠ / ١٩٦) م ٤٩ ونصه :

سما النبوة في برزخ
وفى الفتوحات المكية ٢ / ٢٥٢ يقول :
بين الولاية والرسالة برزخ
فيه النبوة حكمها لا يبجل
وانظر الفتوحات ٢ / ٥٢ - ٥٣ .

ثم إن الله تعالى أخبر عن فرعون بأعظم أنواع الكفر : من جحود الخالق ، ودعواه الإلهية ، وتكذيب من بقر بالخالق سبحانه ، ومن تكذيب الرسول ووصفه بالجنون والسحر وغير ذلك . ومن المعلوم بالاضطرار أن الكفار العرب الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم - مثل أبي جهل وذريته - لم يكونوا يمجدون الصانع ، ولا يدعون لأنفسهم الإلهية ، بل كانوا بشر كون بالله ويكذبون رسوله .

وفرعون كان أعظم كفرا من هؤلاء ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبين * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ * وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ * وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [سورة غافر : ٢٣ - ٢٨] ، إلى قوله : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [سورة غافر : ٣٦ ، ٣٧] .

ظ ١٣٩

أخبر الله سبحانه وتعالى أن فرعون ومن ذكر معه قال إن موسى ساحر كذاب ، وهذا من أعظم أنواع الكفر .

ثم أخبر الله [أنه] ^(١) أمر بقتل أولاد الذين آمنوا معه لينفروا عن

(١) أنه : زيادة يستقيم بها السياق .

الإيمان معه كيداً لموسى . قال تعالى : ﴿ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [سورة غافر : ٢٧] ، فدلّ على أنهم من الكافرين الذين كيدهم في تباب ، فوصفهم بالتكذيب والكفر جميعاً ، وإن كان التكذيب مشتملاً مستلزماً للكفر ، كما أن الرسالة مستلزمة للنبوة ، والنبوة مستلزمة للولاية .

ثم أخبر عن فرعون أنه طلب قتل موسى وقال : ﴿ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ﴾ ، وهذا تنبيه على أنه لم يكن مقرّاً بربه ، ولهذا قال في تمام الكلام : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي ﴾ [سورة القصص : ٣٨] ، وهذا جعد صريح لإله العالمين ، وهى الكلمة الأولى .

ثم قال بعد ذلك لما ذكره ^(١) الله تعالى بقوله : ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [سورة النازعات : ٢١ - ٢٤] ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾ [سورة النازعات : ٢٥ - ٢٦] . قال كثير من العلماء : أى نكال الكلمة الآخرة ، ونكال الكلمة الأولى ، فنكّل الله تعالى [به] ^(٢) على الكلمتين باعترافه ، وجعل ذلك عبرة لمن يخشى . ولو كان هذا ممن لم يعاقب على ما تقدم من كفره ، ولم يكن عقابه عبرة ، بل من آمن غفر الله له ماسلف ، ولم يذكره بكفر ولا بذم أصلاً ، بل يمدحه على إيمانه ، ويثني عليه كما أثني على من آمن بالرسول ، وأخبر أنه نَجَّاهم .

وفرعون هو أكثر الكفار ذكراً في القرآن ، وهو لا يذكره سبحانه إلا

(١) الكلمة في الأصل مطموسة وكذا استظهرتها .

(٢) في الأصل : فنكلمه الله تعالى ، وهو تحريف .

بالدم والتقييح واللبن ، ولم يذكره بخير قط .

وهؤلاء الملاحدة النافقون يزعمون أنه مات طاهراً مطهراً ليس فيه شيء من الخبث ، بل يزعمون أن السحرة صدقوه في قوله : ما علمت لكم من إله غيري ، وأنه صح قوله : أنا ربكم الأعلى ، وأنه كان عين الحق .

وقد أخبر سبحانه وتعالى عن جحوده رب العالمين . قال لما قال له موسى عليه السلام : ﴿ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٠٤ ، ١٠٥] ، ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ * قَالَ لِمَن حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ اتَّخَذَتِ الْهَلَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ٢٣-٢٩] ^(١) ، فتوعد موسى بالسجن إن اتخذ إلهاً غيره .

وهؤلاء مع تنظيمهم لفرعون بشاركون في حقيقة كفره ، وإن كانوا مفارقين له من جهة أخرى ، فإن عندهم : ما ثمَّ موجود غير الله أصلاً ، ولا يمكن أحد ^(٢) أن يتخذ إلهاً غيره ، لأنه أي شيء عبد العابد من الأوثان والأصنام والشياطين ، فليست عندهم غير الله أصلاً . وهل يُقال هي الله ؟ لم في ذلك قولان .

(١) في الأصل لم تذكر الآيات كاملة .

(٢) في الأصل : أحداً .

وإخباره سبحانه وتعالى عن تكذيب فرعون وغير ذلك من أنواع كفره
كثير في القرآن ، وكذلك إخباره عن عذابه في الآخرة . فإن هؤلاء الملاحدة
يزعمون أنه ليس في القرآن آية تدل على عذابه ، ويقولون إنما قال سبحانه :
﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾
[سورة هود : ٩٨] ، قالوا : فأخبر أنه يوردهم ، ولم يذكر أنه دخل معهم .
قالوا : وقد قال : ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [سورة غافر :
٤٦] ، فإنما يدخل النار آل فرعون لا فرعون .

وهذا من أعظم جهلهم وضلالهم ، فإنه حيث ذكر في الكتاب والسنة
آل فلان كان فلان داخلاً فيهم ، كقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ
وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران :
٣٣] ، وقوله : ﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ [سورة القمر :
٣٤] ، وقوله : ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ [سورة الصافات : ١٣٠] .
وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم صل على آل أبي أوفى » ^(١) ، وقوله :
« لقد أوتى هذا مزماراً من مزامير آل داود » ^(٢) .

(١) الحديث متفق عليه عن عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنه في : البخارى ١٢٩/٢
(كتاب الزكاة ، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة) ونصه فيه : « عن عبد الله بن
أبي أوفى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقهم قال : اللهم صل على آل
فلان ، فأناه أبى بصدقة ، فقال : اللهم صل على آل أبي أوفى . » والحديث في : مسلم ١٢١/٣
(كتاب الزكاة ، باب الدعاء لمن أتى بصدقة) ؛ التاريخ الكبير للبخارى ٣ / ٢٤ ؛ الإصابة
لابن حجر ٢ / ٤٩٥ (ط . التجارية ، ١٣٥٨ / ١٩٣٩) .

(٢) الحديث متفق عليه . رواه البخارى ١٩٥/٦ (كتاب فضائل القرآن ، باب حسن
الصوت بالقراءة) ونصه : « عن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
له : يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود . » وهو في : مسلم ١٩٢/٢ - ١٩٣
(كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن) ؛ الإصابة ٢ / ٣٥٢ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ [سورة البقرة : ٤٩] ، ﴿ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ [سورة آل عمران : ١١] ، ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ التَّنْذِرُ * كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [سورة القمر : ٤١ - ٤٢] .
وقوله : ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [سورة غافر : ٤٦] متناول له ولم باتفاق المسلمين ، وبالعالم الضروري من دين المسلمين .

وهذا بعد قوله تعالى حكاية عن مؤمن [من] آل فرعون ^(١) يكتم إيمانه : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ [سورة غافر : ٢٨] ، والذي طلب قتله هو فرعون ، فقال المؤمن بعد ذلك : ﴿ مَالِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَقَدْ عَوْني إِلَى النَّارِ * تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ ﴾ [سورة غافر : ٤١ - ٤٢] ، والداعي إلى الكفر هو كافر كفراً مغلظاً ، فهذا فيه .

ووصفهم أيضاً بالكفر إلى قوله : ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [سورة غافر : ٤٥ - ٤٦] ، فأخبر أنه حاق بآل فرعون سوء العذاب ، ويوم تقوم الساعة أَدْخِلُوا آلَ فرعون أَشَدَّ العذاب . ثم قال : ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا قَهْلُ أَنْتُمْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلُ * قَالِ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا

ظ ١٤٠

(١) في الأصل : عن مؤمن آل فرعون .

كُلِّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿ [سورة غافر : ٤٧ - ٤٨]
ومعلوم أن فرعون هو أعظم الذين استكبروا ، ثم هامان وقارون ، وأن قومهم
كانوا لهم تبعاً ، وفرعون هو متبوعهم الأعظم الذى قال : ما علمت لكم من
إله غيرى ، وقال : أنا ربكم الأعلى .

وقد قال : ﴿ وَأَسْتَكَبرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَوَظَّنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ
فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ * وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ [سورة القصص : ٣٩ - ٤٢] .

وهذا تصريح بأنه نبذه وقومه في اليم عقوبة الذى هو الكفر ، وأنه أتبعه
وقومه في الدنيا لعنة ، ويوم القيامة هم من المقبوحين هو وقومه جميعاً ، وهذا
موافق لقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبينٍ * إِلَى
فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ *
يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ *
وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾
[سورة هود : ٩٦ - ٩٩] .

فأخبر سبحانه أنهم اتبعوا أمره ، وأنه يقدمهم لأنه إمامهم ، فيكون
قادماً لهم لا سائقاً لهم ، وأنه يوردهم النار . فإذا كان التابع قد ورد النار فمعلوم
أن القادم الذى يقدمه وهو متبوعه ورد قبله ، ولهذا قال بعد ذلك : ﴿ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ [سورة القصص : ٤٢] .

والتابع والمتبع كما قال الله تعالى في تلك السورة عن فرعون وقومه :
﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَأْتِسُ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ [سورة
مود : ٩٩] .

والكلام في هذا مبسوط ، لم تحتل هذه الورقة إلا هذا ، والله أعلم .
والحمد لله وحده ، وصلوات الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ،
وحسبنا الله ونعم الوكيل .
تم وكل .

رِسَالَةُ نِيَّةِ التَّوْبَةِ

﴿ فصل ﴾ ^(١)

س ٧٠

قال الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم
ابن تيمية رحمه الله :

الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من بعض آيات التوبة
شُرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضِلِّ فلا هادي [له] ^(٢) . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله
شهيداً . صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً .

قال الله تعالى : ﴿ الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ
لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَقْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ *
وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ
مَّسْئِيٍّ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ [سورة هود : ١ - ٣] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا
مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ *
وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ

(١) في أول الصفحة كتب العنوان الآتي : سبب البقاء في الجنة وهو الصلاة .

(٢) له : ساقطة من الأصل .

يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ [سورة الزمر :

٥٣ - ٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا
عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرَى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ
يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ الآية [سورة التحريم : ٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾
[سورة النور : ٣١] .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ
مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَ عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ
خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ
أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا
إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة التوبة : ١١٧، ١١٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ
وَكَلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا
اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ
إِلَىٰ حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة : ٣٥ - ٣٧] .

وقال تعالى في السورة الأخرى : ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٢ ، ٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ [سورة طه : ١٢١ ، ١٢٢] .

وقال تعالى عن نوح أنه قال لقومه : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ الآية [سورة نوح : ١٠ ، ١١] .

وقال عن نوح : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة هود : ٤٧] ، وعن هود : ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَبَرِّذْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [سورة هود : ٥٢] ، وعن صالح : ﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [سورة هود : ٦١] ، وكذلك قال شعيب : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [سورة هود : ٩٠] . وقال إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤١] ، وقال : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [سورة الشعراء : ٨٢] ، وقال : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ

التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿ [سورة البقرة : ١٢٨] ، وقال عن موسى عليه السلام : ﴿ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة القصص : ١٥ ، ١٦] ، وقال موسى : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٥١] ، وقال موسى : ﴿ سُبْحَانَكَ ثَبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٣] .

وقال تعالى لموسى : ﴿ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة النمل : ١٠ ، ١١] ، وقال موسى : ﴿ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَإِخْوَانُكَ فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ * وَاسْكُتْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هَذَاكَ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ الآية [سورة الأعراف : ١٥٥ - ١٥٧] .

وقال لخاتم الرسل : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [سورة محمد : ١٩] ، وقال : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [سورة الفتح : ١ ، ٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾
[سورة البقرة : ٢٢٢] .

وقال : ﴿ حَمَّ * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ *
غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ [سورة غافر : ١ - ٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو
عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [سورة الشورى : ٢٥ ، ٢٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا
صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ
صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ
يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ * وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ
وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *
وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٢ - ١٠٦] .

وفي صحيح مسلم عن أبي بريدة عن الأغر عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يا أيها الناسُ توبوا إلى الله ، فإنى أتوب إليه فى اليوم
فى التوبة

مائة مرة»^(١). وعن أبي بردة عن الأغر المزني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه لَيُغَانُ على قلبي ، وإنى لأستغفر الله في اليوم مائة مرة »^(٢). وقال : « إنى لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة »^(٣). وقال : « إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوبَ مُسيءُ النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوبَ مُسيءُ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »^(٤). وقال : « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه »^(٥). وقال : « لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده ،

(١) الحديث في مسلم ٧٢/٨ - ٧٣ (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه) ونصه : « .. عن أبي بردة قال سمعت الأغر - وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - يحدث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب في اليوم إليه مائة مرة » . وفي نسخة : « .. في اليوم مائة مرة » .

(٢) الحديث في مسلم ٧٢/٨ (نفس الكتاب والباب) ؛ سنن أبي داود ١١٣/٢ (كتاب الوتر ، باب في الاستغفار) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٢١١/٤ .

(٣) الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه في : البخارى ٦٧/٨ (كتاب الدعوات ، باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم واليلة) ؛ سنن الترمذى (بشرح ابن العربي) ١٢ / ١٤٤ ، (كتاب التفسير ، سورة محمد) ؛ المسند . (ط . الحلبي) ٢ / ٢٨٢ ، ٣٤١ .

(٤) الحديث عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه في : مسلم ٩٩/٨ - ١٠٠ (كتاب التوبة ، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٤ / ٣٩٥ ؛ الترغيب والترهيب للمنذرى ٤٩/٥ وقال : رواه مسلم والنسائي .

(٥) الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه في : مسلم ٧٣/٨ (كتاب الذكر والدعاء ، باب استحباب الاستغفار) ؛ المسند (ط . المعارف) ١٤ / ١٢٩ (رقم ٧٦٩٧) ، (ط . الحلبي) ٢ / ٣٩٥ ، ٤٢٧ ، ٤٩٥ .

فأخذ بخطأِها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح»^(١) .

وهذا الحديث متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، رواه ابن مسعود ، والبراء بن عازب ، والنُّعمان بن بشير ، وأبو هريرة ، وأنس بن مالك^(٢) .
ففي الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لله أفرحُ بتوبة أحدكم من رجل خرج بأرضٍ دَوِيَّةٍ مَهْلَكَةٍ^(٣) ، معه راحلته عليها طعامه وشرابه وزاده وما يُصلحه ، فأضلَّها ، ففرج في طلبها ، حتى إذا أدركه الموت ولم يجدْها قال : أرجع إلى مكاني الذي أضلَّتها فيه فأموت فيه . فأتى مكانه فغلبته عينه ، فاستيقظ فإذا راحلته عند رأسه عليها طعامه وشرابه وزاده وما يُصلحه»^(٤) . وفي السنن أنه صلى الله عليه وسلم قال : « كلَّ بنى آدمَ خطاءٌ ، وخير الخطائين التواؤبون »^(٥) . وقال : « إن العبد إذا أذنب

(١) الحديث بهذا اللفظ مروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه في مسلم ٩٣/٨ (كتاب التوبة ، باب في الحض على التوبة والفرح بها) . وانظر : جامع الأصول لابن الأثير ٦٦/٣ .
(٢) انظر : جامع الأصول ٦٣/٣ - ٦٧ .

(٣) قال الشيخ أحد شاكر في شرحه للحديث : المسند (ط . المعارف) ٢٢٥/٥ : « دوية : بفتح الدال وتشديد الواو المكسورة وتشديد الياء المفتوحة ، قال ابن الأثير : الدو : الصحراء ، والدوية منسوبة إليها ، وقد تبدل من إحدى الواوین ألف فيقال : داوية على غير قياس ، نحو طائى في النسب إلى طى . مهلكة : بفتح الميم واللام : أى موضع الهلاك ، أو الهلاك نفسه ، وفتح لامها وتكسر ، وحا أيضا المفازة ، قاله ابن الأثير . ونقل الحافظ في الفتح أن في بعض نسخ البخارى : بضم الميم وكسر اللام من الرباعى ، أى تهلك هى من يحصل فيها » . وانظر : النهاية في غريب الحديث : مادة « دوا » ومادة « هلك » .

(٤) الحديث في : البخارى ٦٧/٨ - ٦٨ (كتاب الدعوات ، باب التوبة) ؛ مسلم ٩٢/٨ (كتاب التوبة ، باب في الحض على التوبة والفرح بها) ؛ المسند (ط . المعارف) ٢٢٥/٥ - ٢٢٦ (رقم ٣٦٢٧) .

(٥) الحديث مروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه في : الترمذى (يشرح ابن العربى) = (١٥ جامع الرسائل - ١)

نُكُتْ في قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، وإن زاد زيد فيها حتى تعلق قلبه ، فذلكم الرّانُ الذي ذكر الله : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة المطففين : ١٤] ، ^(١) .

وعن ابن عباس في قوله : ﴿ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ [سورة النجم : ٣٢] ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن تغفرِ اللهم تغفرِ جَمًّا وأى عَبْدٍ لك لا إلّا » ^(٢)

وعن ابن عمر قال : إن كنا لنعد / لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد يقول : « رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور » مائة مرة . رواه أحمد والترمذي وقال : حديث صحيح ^(٣) .

ظ ٧١

= ٣٠٨/٩ (أبواب صفة القيامة ، باب المؤمن يستثقل ذنوبه والتوبة) ؛ سنن ابن ماجه ١٤٢٠/٢ (رقم ٤٢٥١) ؛ سنن الدارمي ٢ / ٣٠٣ ؛ المستدرک للحاكم ٢٤٤/٤ . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وانظر : جامع الأصول ٧٠/٣ ؛ الترغيب والترهيب ٥ / ٥٢ .

(١) رواه المنذرى بالفاظ مقاربة في الترغيب والترهيب ٣/١٢٩ ، ٥٣/٥ ، وقال : « رواه الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم - واللفظ له - من طريقين قال في أحدهما : صحيح على شرط مسلم . ولفظ ابن حبان وغيره : إن العبد إذا أخطأ خطيئة ينكت في قلبه نكتة ، فإن هو نزع واستغفر وتاب صقلت ، فإن عاد زيد فيها حتى تعلق قلبه ، الحديث » . والحديث في سنن ابن ماجه ١٤١٨/٢ (كتاب الزهد ، باب ذكر الذنوب) .

(٢) الحديث في سنن الترمذي (بشرح ابن العربي) ١٢ / ١٧٢ - ١٧٣ (كتاب التفسير ، سورة النجم) ونصه : « حدثنا أحمد بن عثمان البصري حدثنا أبو عاصم عن زكريا ابن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس : (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللهم) قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

إن تغفرِ اللهم تغفرِ جَمًّا وأى عَبْدٍ لك ما إلّا

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق » . وانظر : الدر المنثور للسيوطي ١٢٧/٦ .

(٣) الحديث في : سنن أبي داود ١١٣/٢ (كتاب الوتر ، باب في الاستغفار) ؛ المسند (ط . المعارف) ٣٢٨/٦ (رقم ٤٧٢٦) وانظر أرقام : ٥٣٥٤ ، ٥٥٦٤ ؛ سنن ابن ماجه ١٢٥٣/٢ (كتاب الأدب ، باب الاستغفار) .

﴿فصل﴾

التوبة نوعان : واجبة ومستحبة .

التوبة نوعان
واجبة ومستحبة

فالواجبة هي التوبة من ترك مأمور أو فعل محظور . وهذه واجبة على الواجبة من ترك مأمور أو فعل محظور جميع المكلفين ، كما أمرهم الله بذلك في كتابه وعلى السنة رسوله .

والمستحبة هي التوبة من ترك المستحبات وفعل المكروهات . فمن اقتصر على التوبة الأولى كان من الأبرار المقتصدين ، ومن تاب التوبتين كان من السابقين المقربين . ومن لم يأت بالأولى كان من الظالمين : إما الكافرين وإما الفاسقين . قال الله تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [سورة الواقعة : ٧ - ١٢] ، وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَرِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ ﴾ [سورة الواقعة : ٨٨ - ٩٤] ، وقال تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ﴾ [سورة فاطر : ٣٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا * إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا * إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [سورة الإنسان : ٣ - ٦] ، وقال : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لِنِي سَجِّينٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ كَلَّا إِنَّ

كِتَابِ الْأَبْرَارِ لِنِي عِلِّيَّيْنَ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿٦٨﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَمَزَاجُهُ
مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [سورة المطففين : ٧ - ٢٨] ،
قال ابن عباس : تمزج لأصحاب اليمين مزجاً ، ويشرب بها المقربون صِرْفًا .

والتوبة رجوع عما تاب منه إلى ما تاب إليه . فالتوبة المشروعة هي
الرجوع إلى الله ، وإلى فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه . وليست التوبة من
فعل السيئات فقط كما يظن كثير من الجاهل ، لا يتصورون التوبة إلا عملاً يفعله
العبد من القبائح كالنفوحش والمظالم ، بل التوبة من ترك الحسنات المأمور بها
أهم من التوبة من فعل السيئات المنهى عنها ، فأكثر الخلق يتركون كثيراً مما
أمرهم الله به من أقوال القلوب وأعمالها وأقوال البدن وأعماله ، وقد لا يعلمون
أن ذلك مما أمروا به ، أو يعلمون الحق ولا يتبعونه ، فيكونون إما ضالين
بعدم العلم النافع ، وإما مضطرباً عليهم بمعاندة الحق بعد معرفته .

التوبة من ترك
الحسنات أهم من
التوبة من فعل
السيئات

وقد أمر / الله عباده المؤمنين أن يدعوه في كل صلاة بقوله : ﴿ اهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ . ولهذا نزه الله نبيه عن هذين ، فقال تعالى :
﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ
عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [سورة النجم : ١ - ٤] ،
فالضال الذي لا يعلم الحق ، بل يظن أنه على الحق وهو جاهل به ، كما عليه
النصارى . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ
وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة : ٧٧] .

ص ٧٢

والغاوى الذى يتبع هواه وشهواته مع علمه بأن ذلك خلاف الحق ، كما

عليه اليهود . قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتَرَّكَهُ يَلْهَثْ ﴾ الآية [سورة الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦] .

الغنى والضلal
يجمعان جميع
السيئات

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغنى في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن »^(١) . فإن الغنى والضلal يجمع جميع سيئات بني آدم ، فإن الإنسان كما قال تعالى : ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [سورة الأعراف : ٧٢] ، فبظلمه يكون غاوياً ، وبجهوله يكون ضالاً ، وكثيراً ما يجمع بين الأمرين فيكون ضالاً في شيء غاوياً في شيء آخر ، إذ هو ظالم جهول ، ويعاقب على كل من الذنوبين بالآخر ، كما قال : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [سورة البقرة : ١٠] ، وكما قال : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [سورة الصف : ٥] .

كما يثاب المؤمن على الحسنة بحسنة أخرى ، فإذا عمل بعلمه ورثه الله علم ما لم يعلم ، وإذا عمل بحسنة دعتة إلى حسنة أخرى . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ

(١) الحديث عن أبي برزة الأسلمي رضى الله عنه في المسند (ط . الحلبي) ٤ / ٤٢٠ من طريقين ، ولفظ الأولى : « حدثنا عبداقة ، حدثني أبي ، ثنا يونس ، ثنا أبو الأشهب ، عن علي بن الحكم ، عن أبي برزة الأسلمي - قال أبو الأشهب : لا أعلمه إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال : إن مما أخشى عليكم شهوات الغنى في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن » . وفي الطريق الثانية (نفس الصفحة) : « .. عن أبي برزة عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن مما أخشى ... ومضلات الهوى » . ورواه الهيثمي في الزوائد ٧ / ٣٠٥ - ٣٠٦ وقال : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح » .

اهْتَدُوا زَادُكُمْ هُدًى وَآثَامُكُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿ [سورة محمد : ١٧] ، وقال تعالى :
 ﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [سورة مريم : ٧٦] ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ
 جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [سورة النكبت : ٦٩] ، وقال :
 ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَفَلُوا مَا يُوعِظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنِييَةً *
 وَإِذَا لَا تَنِيَانَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾
 [سورة النساء : ٦٦-٦٨] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
 وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا
 تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * ثَلَاثًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ
 إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن
 يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [سورة الحديد : ٢٨ ، ٢٩] .

ظ ٧٣

وهو صلى الله عليه وسلم ذكر شهوات النى فى / البطون والفروج ، كما
 فى الصحيح أنه قال : « من تكفل لى بما بين لحييه وما بين رجله تكفلت له
 بالجنة » ^(١) . فإن هذا يعلم عامة الناس أنه من الذنوب ، لكن يفعلونه اتباعاً
 لشهواتهم .

(١) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ولكن روى البخارى الحديث بألفاظ أخرى فى موضعين
 من صحيحه الأول ٨ / ١٠٠ (كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان) عن سهل بن سعد رضى
 الله عنه ونصه : « من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجله أضمن له الجنة » ، والثانى
 ٨ / ١٦٤ (كتاب المحاربين ، باب فضل من ترك الفواحش) عن سهل أيضاً وأوله :
 « من توكل لى . . الخ » . وذكر المنذرى فى الترغيب والترهيب ٤ / ٦١ - ٦٢ عدة
 روايات للحديث عن سهل بن سعد وعن أبى هريرة وعن أبى رافع وأبى موسى رضى الله عنهم
 وذكر أنه قد رواه البخارى والترمذى والطبرانى وأبو يعلى . وشرح المنذرى الحديث فقال :
 « المراد بما بين لحييه : اللسان ، وبما بين رجله : الفرج ، واللحيان : ما عظم الحنك » .
 والحديث عن سهل رضى الله عنه فى المسند (ط . الحلبي) ٥ / ٣٣٣ وأوله : « من توكل
 لى . . الخ » . وذكر النبهانى فى « الفتح الكبير » ٣ / ٢٤٦ أن الحديث رواه ابن حبان
 والحاكم أيضاً . وهو فى سنن الترمذى (بشرح ابن العربى) ٩ / ٢٤٨ (كتاب الزهد ،
 باب ما جاء فى حفظ اللسان) بلفظ : « من يتكفل لى . . . انكفل . . الخ » .

وأما مضلات الفتن ، فَأَنْ يُفْتَنَ الْعَبْدُ فَيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مَهْتَدٍ ، كَمَا قَالَ : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [سورة الزخرف : ٣٦ ، ٣٧] ، وقال : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [سورة فاطر : ٨] ، وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [سورة غافر : ٣٧] ، وقال : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [سورة الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤] .

ولهذا تأوَّل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية فيمن يتعبد بغير شريعة الله التي بعث بها رسوله ، من المشركين وأهل الكتاب كالرهبان ، وفي أهل الأهواء من هذه الأمة كالخوارج الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم ، وقال فيهم : « يَخْفِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ ، وَقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ . أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ، فَإِنْ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرٌ عِنْدَ اللَّهِ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ^(١) . وذلك لأن هؤلاء خرجوا عن سنة رسول

(١) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ولكن جاء الحديث في البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرتين تتضمنان أكثر الألفاظ الواردة هنا ، الأولى ٢٠٠/٤ (كتاب المناقب ، باب علامات النبوة) ولفظها : « بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسَمًا أَنَاهُ ذُو الْخَوْبِصَةِ - وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمٍ - فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَعْدِلْ . فَقَالَ : وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ، قَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلْ . فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اثْنِ لِي فِيهِ فَأَضْرِبْ عُنُقَهُ . فَقَالَ : دَعِهِ ، فَإِنْ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ . . . الخ الحديث » . والرواية الثانية ٢٠٠ / ٤ - ٢٠١ ونصها : « يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حَدَّثُوا الْأَسْنَانَ سَفَهَاءَ الْأَحْلَامِ ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ =

الله صلى الله عليه وسلم وجماعة المسلمين حتى كفروا من خالفهم مثل عثمان وعلى وسائر من تولاهما من المؤمنين ، واستحلوا دماء المسلمين وأموالهم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم : « يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان »^(١) .

وإذا اجتمع شهوات النوى ومضلات الفتن قوى البلاء ، وصار صاحبه مفضوباً عليه ضالاً . وهذا يكون كثيراً ، بسبب حب الرئاسة ، والعلو في الأرض ، كحال فرعون . قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّجُ أُنْبَاءَهُمْ وَيَسْتَحْجِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة القصص : ٤] ، فوصفه بالعلو في الأرض والفساد . وقال في آخر السورة : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة القصص : ٨٣] ، ولهذا قال في حق فرعون : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ فِرْعَوْنَ سُوهُ عَمَلِهِ ﴾ [سورة غافر : ٣٧] .

وذلك أن حب الرئاسة شهوة خفية ، كما قال شذاد بن أوس رضي الله

== كما يمرق السهم من الرمية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، فأبينا لقيتموهم فاقتلهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة » .

وجاء الحديث عن الخوارج في البخارى في مواضع أخرى ، وأفرد لهم مسلم أبواباً في صحيحة ٣ / ١٠٩ - ١١٧ (كتاب الزكاة : باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، وباب التحريض على قتل الخوارج ، وباب الخوارج شر الخلق والخلقة) . كما وردت الأحاديث عنهم في سنن أبي داود والترمذى والنسائى وابن ماجة والدارى وفى المسند فى مواضع . وانظر مسند أبى سعيد الخدرى (ط . الحلبي) ٣ / ٣٣ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٣ . وانظر جامع الأصول لابن الأثير ١٠ / ٤٣٢ - ٤٤٢ ؛ مفتاح كنوز السنة : الخوارج .

(١) هذا جزء من حديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه رواه البخارى ٤ / ١٣٧ (كتاب الأنبياء ، باب قول الله عز وجل : وأما عاد فأهلكوا .. الآية) ؛ ومسلم ٣ / ١١٠ (كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم) ؛ أبو داود ٤ / ٣٣٥ (كتاب السنة ، باب فى قتال الخوارج) .

عنه : « يا بفايا العرب ! يا بفايا العرب ! إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية » . قيل / لأبي داود السجستاني : ما الشهوة الخفية ؟ قال : حب الرئاسة ^(١) . وحبك الشيء يُعْمَى وَيُصَمِّمُ ، فيبقى حب ذلك يزني له ما يهواه ، مما فيه علو نفسه ، ويبغض إليه ضد ذلك ، حتى يجتمع فيه الاستكبار ، والاختيال ، والحسد الذي فيه بغض نعمة الله على عباده ، لا سيما من مناظره .

والكبر والحسد هما داءان أهل الكاالأولين والآخرين ، وهما أعظم الذنوب التي بها عُصِيَ الله أولاً . فإن إبليس استكبر وحسد آدم ، وكذلك ابن آدم الذي قتل أخاه حسد أخاه . ولهذا كان الكبر ينافي الإسلام ، كما أن الشرك ينافي الإسلام . فإن الإسلام هو الاستسلام لله وحده ، فمن استسلم له ولغيره فهو مشرك به ، ومن لم يستسلم له فهو مستكبر ، كحال فرعون وملاؤه . ولذلك

(١) لم أجد هذا الأثر بهذا اللفظ ، ولكن أورد أحمد في مسنده (ط . الحلبي) ١٢٣ / ٤ - ١٢٤ حديثاً عن شداد بن أوس رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم جاء فيه : « . . . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أتخوف على أمتي الشرك والشهوة الخفية . قال : قلت : يا رسول الله ، أتشرك أمتك من بعدك ؟ قال : نعم ، أما أنهم لا يعبدون شمساً ولا قرأ ، ولا حجراً ولا وثناً ، ولكن يراءون بأعمالهم . والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائماً فنعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه » . وجاء الحديث عن شداد مرة أخرى يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألفاظ مختلفة ٤ / ١٢٥ - ١٢٦ . وروى الحديث بألفاظ مختلفة عن شداد رضي الله عنه ابن ماجه في سننه ٢ / ١٤٠٦ (كتاب الزهد ، باب الرياء والسعة) . وذكر المنذرى في الترغيب والترهيب ١ / ٣٣ - ٣٥ عدة روايات للحديث وقال إن الحديث رواه أحمد والبيهقي والحاكم وابن ماجه وتسكلم على رواياته المختلفة كما ذكر بعد ذلك ٤ / ٥٠ حديثاً عن عبداه زيد لفظه : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا بفايا العرب يا بفايا العرب إن أخوف ما أخاف عليكم الزنا والشهوة الخفية » ثم قال : « رواه الطبراني بإسنادين أحدهما صحيح ، وقد قيده بعض الحفاظ : الرياء ، بالراء والياء » .

قال لهم موسى : ﴿ وَأَنْ لَا تَفْلُحُوا عَلَى اللَّهِ إِنَّي أَنَا نَسِيتُكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾
 [سورة الدخان : ١٩] ، وقال تعالى عن فرعون : ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ
 فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾
 [سورة القصص : ٣٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ
 ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة النمل : ١٤] .

ومن أسلم وجهه لله حنيفاً فهو المسلم الذي على ملة إبراهيم الذي قال له ربه :
 أسلم ، قال : أسلمتُ لربِّ العالمين .

وهذا الإسلام هو دين الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم ، كما وصف
 الله به في كتابه نوحاً وإبراهيم وموسى ويوسف وسليمان وغيرهم من النبيين ،
 مثل قول موسى لقومه : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَقَلِّبُوهُ تَوَكَّلُوا إِنْ
 كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ [سورة يونس : ٨٤] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ
 فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَخْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ﴾
 [سورة المائدة : ٤٤] ، وقال نوح عليه السلام : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ
 مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾
 [سورة يونس : ٧٢] .

وقال يوسف : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [سورة يوسف : ١٠١]
 وقالت بلقيس : ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
 [سورة النمل : ٤٤] .

والتي في شهوات
 الرئاسة والكبر
 والعلو
 وليس الفنى مختصا بشهوات البطون والفروج فقط ، بل هو في شهوات
 البطون والفروج وشهوات الرئاسة والكبر والعلو وغير ذلك . فهو اتباع

المهوى وإن لم يعتقد أنه هوى ، بخلاف الضال ، فإنه يحسب أنه يحسن صنعا ، ولهذا كان إبليس أول الغاوين ، كما قال : ﴿ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرُهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٦ ، ١٧] ، وقال : ﴿ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٣٩ ، ٤٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ [سورة القصص : ٦٢ ، ٦٣] .

وقد قال تعالى : ﴿ فَكُفُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إبْلِيسَ أَتَجْمَعُونَ ﴾ [سورة الشعراء : ٩٤ ، ٩٥] .

وإنما في الحديث ما يخاف على هذه الأمة من النى ، وهو شهوات النى في البطون والفروج . فأما النى الذى هو / الاستكبار عن اتباع الحق ، فذاك أصل الكفر ، فصاحبه ليس من هذه الأمة ، كإبليس وفرعون وغيرها . وأما غى شهوات البطون والفروج ، فذاك يكون لأهل الإيمان ثم يتوبون ، كما قال : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ [سورة طه : ١٢١ ، ١٢٢] .

وفي السنن والمسند من حديث ليث بن سعد ، عن يزيد بن الهاد ، عن عمرو ، عن أبي سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إن إبليس قال لربه عز وجل : بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم . فقال له ربه عز وجل : فبعزتي وجلالى لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني » (١) .

﴿ فصل ﴾

وجميع ما يتوب العبد منه ، سواء كان فعلاً أو تركاً ، قد لا يكون كان عالماً بأنه ينبغي التوبة منه ، وقد يكون كان عالماً بذلك . فإن الإنسان كثيراً ما يكون غير عالم بوجوب الشيء أو قبحه ، ثم يتبين له فيما بعد وجوبه أو قبحه . وقد يكون عالماً بوجوبه أو قبحه ، ويتركه أو يفعله لضعف المقتضى لفعل الواجب ، أو قوة المقتضى لفعل القبيح . لكن هذا لا يكاد يقع إلا مع ضعف العلم بوجوبه وقبحه ، وإلا فإذا كمل العلم استلزم الإرادة الجازمة في الطرفين ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشَّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [سورة النساء : ١٧] . قال أبو العالية : قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : كل من عصى الله فهو جاهل ، وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب (٢) .

المصيان يقع مع ضعف العلم

(١) الحديث بهذا اللفظ عن أبي سعيد رضى الله عنه في المسند (ط . الحلبي) ٢٩ / ٣ .

(٢) روى ابن جرير في تفسيره ٨ / ٨٩ (ط . المعارف) عن أبي العالية : أنه كان يحدث : أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون : كل ذنب أصابه العبد فهو بجهالة . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢ / ١٣٠ ، وقال : أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .

وأما بقية الأثر فرواها بمعناها ابن جرير في تفسيره ٨ / ٩٤ - ٩٥ عن الضحاك وعكرمة وابن زيد وغيرهم . وانظر : الدر المنثور ، نفس الصفحة .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة الأنعام : ٥٤] .

والمؤمن لا يزال يخرج من الظلمات إلى النور ، ويزداد هدى ، فيتجدد له من العلم والإيمان ما لم يكن قبل ذلك ، فيتوب مما تركه وفعله . والتوبة تصقل القلب وتجليه مما عرض له من رين الذنوب ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن العبد إذا أذنب نُكِتَتْ في قلبه نُكْة سوداء ، فإن تاب ونزع واستغفر صُقل قلبه ، وإن زاد زيد فيها حتى تملو قلبه ، فذلك الرّان الذي قال الله : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة المطففين : ١٤] » ^(١) .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « إنه ليغان على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » ^(٢) .

والتوبة من الاعتقادات أعظم من التوبة من الإرادات ، فإن من ترك واجباً أو فعل قبيحاً يعتقد وجوبه وقبحه ، كان ذلك الاعتقاد داعياً له إلى فعل الواجب ومانعاً من فعل القبيح ، فلا يكون في فعله وتركه ثابت الدواعي والصوارف ، بل تكون دواعيه / وصوارفه متعارضة . ولهذا يكون الغالب على هذا التلوم ، وتكون نفسهم لوامة ، تارة يؤديون الواجب وتارة يتركونه ؛ وتارة يتركون القبيح ، وتارة يفعلونه ، كما تجده في كثير من فساق القبلة الذين يؤديون الحقوق تارة ويمنعونها أخرى ، يفعلون السيئات تارة ويتركونها

(١) انظر ما سبق ، ص ٢٢٦ ت ١ .

(٢) انظر ما سبق ، ص ٢٢٤ ت ٢ .

أخرى ، لتعارض الإرادات في قلوبهم ، إذ معهم أصل الإيمان الذي يأمر بفعل الواجب وينهى عن فعل القبيح ، ومعهم من الشبهات والشهوات ما يدعومهم إلى خلاف ذلك .

وأما ما فعله الإنسان مع اعتقاد وجوبه ، وترّكه مع اعتقاد تحريمه ، فهذا يكون ثابت الدواعي والصوارف ، أعظم من الأول بكثير . وهذا يحتاج توبته^(١) إلى صلاح اعتقاده أولاً وبيان الحق . وهذا قد يكون أصعب من الأول ، إذ ليس معه داع إلى أن يترك اعتقاده ، كما كان مع الأول داع إلى أن يترك مراده . وقد يكون أسهل إذا كان له غرض فيما يخالف موجب الاعتقاد ، مثل الآصار والأغلال التي على أهل الكتاب ، وإذلال المسلمين لهم ، وأخذ الجزية منهم ، مع مخالفة المسلمين له ؛ فهذا قد يكون داعياً إلى أن ينظر في اعتقاده : هل هو حق أو باطل حتى يتبين له الحق ، وقد يكون أيضاً سرغباً له في اعتقاد يخرج به من هذا البلاء .

والاعتقاد والارادة يتعاونان وكذلك قهر المسلمين لعدوهم بالأسر يدعومهم إلى الفطر في محاسن الإسلام . فللرغبة والرهبة تأثير عظيم في معاونة الاعتقاد ، كما للاعتقاد تأثير عظيم في الفعل والترك . فكل واحد من العلم والعمل ، من الاعتقاد والإرادة ، يتعاونان . فالعلم والاعتقاد يدعوان إلى العمل بموجبه ، والإرادة رغبة ورهبة ، والعمل بموجبها يؤيد النظر والعلم الموافق لتلك الإرادة والعمل ، كما يقال : من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم .

وفي القرآن شواهد هذا متعددة ، في مثل قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنِييَةً ﴾ وَإِذَا لَا تَيْنَاهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿ [سورة النساء : ٦٦-٦٨] .

(١) في الأصل تحتاج إليه توبته .. الخ .

وفي قوله : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة الحديد : ٢٨] ، وغير ذلك .

فإذا كان الإنسان معاقباً على الاعتقاد كما يعاقب الكفار على كفرهم ، كانت التوبة منه ظاهرة ، كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة المائدة : ٧٣ ، ٧٤] ، وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٥] .

ط ٧٤

فأما الاعتقاد المغفور : كالخطأ والنسيان الذي لا يؤاخذ الله به هذه الأمة ، كما في قوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦] . وقد ثبت في الصحيح أن الله قد فعل ذلك^(١) . وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر »^(٢) . فهذا

(١) انظر الكلام عن هذا الحديث برواياته المتعددة في تفسير الطبري (ط . المعارف ٦ / ١٠٣ - ١٠٥ ، ١٤٢ - ١٤٦ . وانظر الحديث بمعناه في : مسلم ١ / ٨٠ - ٨١ (كتاب الإيمان ، باب بيان قوله تعالى : وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه) ؛ المسند (ط . المعارف) ٣ / ٣٤١ - ٣٤٢ (رقم ٢٠٧٠) ٥ / ٣٠ - ٣١ (رقم ٣٠٧١) ؛ سنن الترمذي ١١٢ / ١١٣ (كتاب التفسير ، سورة البقرة) .

(٢) الحديث عن عمرو بن العاص رضي الله عنه في : البخاري ٩ / ١٠٨ (كتاب الاعتصام ، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ) ؛ مسلم ٥ / ١٣١ - ١٣٢ (كتاب الأقضية ، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ) . ولفظ الحديث فيها : « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » . وجاء الحديث بلفظ آخر عن عبد الله بن عمرو عن أبيه رضي الله عنهما في المسند (ط . المعارف) ١١ / ٣٩ - ٤٠ (رقم ٦٧٥٥) وفي مسند عمرو (ط . الحلبي) ٤ / ٢٠٥ . وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه ١١ / ٤١ : ورواه الدارقطني (ص ٥١٠) والحاكم (٤ : ٨٨) .

قد يقال في مثله : إن قيل إنه يُتاب منه فكيف يتاب ثمّ لاذم فيه ولا عقاب ؟
وإن قيل : لا يتاب منه فكيف لا يرجع الإنسان إلى الحق إذا تبين له ؟

وجواب ذلك أنه يتاب منه كما يتاب من غيره ، لأن صاحبه قد ترك ما هو مأمور به في نفس الأمر من العلم وما يتبعه من أعمال القلوب والجوارح ، إما لعجزه عن بلوغه وإما لتقصيره في طلبه .

وأيضاً ، فإنه قد فعل من الاعتقاد وما يتبعه من أعمال القلوب والجوارح ما هو منهي عنه في نفس الأمر ، لكن سقط عنه النهى لعدم قدرته على معرفة قبحه . والتكليف مشروط بالتمكن من العلم والقدرة ، فلا يُكَلَّفُ العاجز عن العلم ما هو عاجز عنه ، والناسي والمخطئ كذلك . لكن إذا تجدد له قدرة على العلم صار مأموراً بطلبه ، وإذا تجدد له العلم صار مأموراً حينئذ باتباعه . وصار في هذه الحال مذموماً على ترك ما يقدر عليه من طلب العلم الواجب ، وعلى ترك اتباع ما تبين له من العلم .

وأيضاً ، فإدام غير مستيقن للحق فهو مأمور بطلب العلم الذي يبين له الحق . والمعتقد المخطئ لا يكون مستيقناً قط ، فإن العلم واليقين يجده الإنسان من نفسه كما يجد سائر إدراكاته وحركاته ، مثلاً يجد سمعه وبصره وشمه وذوقه ، فهو إذا رأى الشيء يقيناً يعلم أنه رآه ، وإذا علمه يقيناً يعلم أنه علمه . وأما إذا لم يكن مستيقناً فإنه لا يجد ما يجده العالم ، كما إذا لم يستيقن رؤيته لم يجد ما يجده الرائي ، وإنما يكون عنده ^(١) ظن ونوع إرادة توجب اعتقاده .

(١) في الأصل : عند .

هذا هو الذى يحده بنو آدم فى نفوسهم كما قال سبحانه : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ [سورة النجم : ٢٣] . وإذا كان الإنسان مأمورا بطلب العلم الذى يحتاج إليه بحسب إمكانه ، وهو إذا لم يجد العلم اليقينى يعلم أنه لم يجد العلم فهو مأمور بالطلب والاجتهاد ، فإن تَرَكَ ما أمر به كان مستحقاً للذم والعقاب على ذلك . فإذا تبين له الحق وعَلِمَهُ ، وعلم أنه كان جاهلاً به معتقداً غير الحق كان تائباً ، بمعنى أنه رجع من الباطل إلى الحق ، وإن كان الله قد عفى عنه ما رجع عنه لعجزه إذ ذاك ، وكان أيضاً تائباً مما حصل فيه أولاً من تفريط فى طلب الحق ، فكثير من خطأ بنى آدم من تفريطهم فى طلب الحق لا من العجز التام . وكان أيضاً تائباً من اتباع هواه أولاً بغير هدى من الله ، فإن أكثر ما يحمل الإنسان على اتباع الظن الخطيئ هو هواه ، كما قال تعالى : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾ . وليس توبة هذا وحاله كحال من كان عاجزاً عن الفعل ثم قدر عليه كالمريض الذى لا يطبق الفياض إذا قدر عليه بعد ذلك ، وكالخائف إذا أمن ، وكالمصلى بقيثم ، ونحو هؤلاء .

وذلك أن هؤلاء إذا كانت إرادتهم للفعل للأمور به على وجه الكمال ثابتة فى قلوبهم ، وقد عملوا ما يقدرون عليه من المراد ، وإنما تركوا تمامه لعجزهم - كان لهم مثل ثواب الفاعل ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث للثقف عليه عن أبى موسى : « إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم »^(١) . وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم

(١) الحديث عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه فى : البخارى ٤ / ٥٧ (كتاب الجهاد ، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل فى الإقامة) ولفظه : « إذا مرض العبد أو = (١٦ جامع الرسائل - ١)

قال : « إن بالمدينة لرجالاً ما سرتهم مسيراً ولا قطعهم وادياً إلا كانوا معكم ، حبسهم العذر » (١) .

وقد قال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ [سورة النساء : ٩٥] ، فهؤلاء لهم علم بالمأمور به الكامل ، واعتقاد الأمر به ، وإرادة فعله بحسب الإمكان ، وهذا كله من أدائهم للأمر به ، فإذا تجددت لهم قدرة لم يتجدد رغبة في الفعل الكامل ، وإنما يتجدد العمل بتلك الرغبة المتقدمة ، وإن كان لابد لهذا الفعل من إرادة تخصه ، ولم يكن هؤلاء مأمورين بذلك إلا في هذه الحال فقط ، كما تؤمر المرأة بالصلاة عند انقضاء الحيض ، وكما يؤمر الصبي بما يجب عليه عند بلوغه ، وكما يؤمر الزنكي بالزكاة بعد ملك النصاب والحول ، والمصلّي بالصلاة بعد دخول الوقت .

وأما الناسى والخطيء فإنه لم يكن قد أتى بالعلم والاعتقاد والإرادة ، فلا يثاب على هذه الأمور التي لم تكن له ، بل يكون الذي حصل له ذلك أفضل منه بها ، كما قال تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٩] ، فنفى المساواة بين الذي يعلم والذي لا يعلم مطلقاً ، لم يستثن المعذور كما استثنى في تفضيل المجاهد على القاعد المعذور . وكذلك سائر ما في القرآن من نحو هذا ، كقوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي

== سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقبياً صحيحاً . وهو في مسند أبي موسى (ط . الحلبي) ٤ / ٤١٨ مع اختلاف يسير في اللفظ .

(١) الحديث مع اختلاف في اللفظ عن أنس رضي الله عنه في : البخاري ٤ / ٢٦ (كتاب الجهاد ، باب من حبسه العذر عن الفزو) ؛ وعن جابر رضي الله عنه في : مسلم ٦ / ٤٩ (كتاب الإمامة ، باب ثواب من حبسه عن الفزو مرض أو عذر آخر) ولفظ مسلم كلفظ الحديث هنا إلا أن فيه : حبسهم المرض .

الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظَّلُّ وَلَا الْخُرُورُ *
وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿ [سورة فاطر : ١٩ - ٢٢] ، وقوله :
﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ
مَثَلًا ﴾ [سورة هود : ٢٤] ، وقوله : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَحَصَلْنَا
لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾
[سورة الأنعام : ١٢٢] .

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه : « إذا اجتهد
الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » ، لم يجعل أجر العاجز
على إصابة الصواب مع اجتهداده كأجر القادر عليه ، كما جعل للمريض والمسافر
مثل ثواب الصحيح المقيم ، كما جعل للمعذور من القاعدين عن الجهاد الذي
تمت رغبته/ بمنزلة المجاهد ، فإن الأصل هو القلب ، والبدن تابع . فالمستويان في
عمل القلب إذا فعل كل منهما بقدر بدنه متماثلان ، بخلاف المتفاضلين في عمل
القلب : علمه وإرادته وما يتبع ذلك ، فإنهما لا يتماثلان . ولهذا يُعاقب العبد
على ما تركه من الإيمان بقلبه .

وإن قيل : إن ذلك تكليف ما لا يطاق ، ولا يعاقب على ما عجز عنه
بدنه باتفاق المسلمين ، فهو يعاقب على ترك ما أمر بإرادته وفعله وإن كانت
نفسه لا تريده ولا تحبه ، وليس هو معاقباً على ترك ما عجز عنه بدنه ،
كجهاد المقعد والأعمى ونحوهما . ونفسه إنما لا تعلم الحق الذي بعث الله به
رسله و [لا] تريده لتفريطه وتعديه ، إذ آيات ذلك الحق ظاهرة^(١)
وهو محبوب ، وقد خلق الله كل مولود على الفطرة التي تتضمن القوة على معرفة

(١) العبارة في الأصل مضطربة كما يلي : « ونفسه إنما لا تعلم الحق الذي بعث الله به رسله
وتريده لتفريطه وتعديه إذا تاب ذلك الحق ظاهرة . . إلخ . » وأرجو أن يكون الصواب
ما أثبتته .

هذا الحق وعلى محبته ، ولكن غيّر فطرته بما يقلّده عن غيره ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبوه يهودانه وينصرّانه ويمجّسانه ، كما تُنتجُ البهيمة بهيمة جماء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » ^(١) . وإذا كان قد خُلِقَ على الصحة والسلامة ، فهو يستحق العقوبة على ما غيّر من خلق الله بتفريطه وعدوانه ، لا تبّاعه الظنّ وما تهوى الأنفس .

وقد بعث الله الرسل مبشّرين ومنذّرين ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [سورة الإسراء : ١٥] ، وهذا ممّا يظهر به الفرق بين المجتهد المخطئ والناسي من هذه الأمة في المسائل الخبرية والعملية ، وبين المخطئ من الكفّار والمشرّكين وأهل الكتاب الذي بلغته الرسالة ، إذا قيل إنه غير معاند للحق ، فإنّ ذاك لا يكون خطؤه إلا لتفريطه وعدوانه ، لا يُتصور أن يجتهد فيكون مخطئاً في الإيمان بالرسول ، بل متى اجتهد — والاجتهاد است فراغ الوُسع في طلب العلم بذلك — كان مصيباً للعلم به بلا ريب .

فإن دلائل ما جاء به الرسول ودواعيه في نهاية الكمال والتمام الذي يشمل كل من بلغته ، ولا يترك أحد قط اتّباع الرسول إلا لتفريط وعدوان فيستحق العقاب ، بخلاف كثير من تفصيل ما جاء به ، فإنه قد يعزب علمه عن كثير

(١) ذكرت من قبل (ص ١١ ت ٣) أن هذا الحديث جاء بتمامه في منهاج السنة ٢ / ٢٣٤ - ٢٣٥ حيث تكلمت عن طريقه وموضعه في الصحاح ، وحيث نقلت عن النووي شرحه للحديث (شرح مسلم ١٦ / ٢٠٩) وفيه : « (جماء) بالمد ، أى مجتمعة الأعضاء ، سليمة من نقص ، لا يوجد فيها (جدعاء) بالمد ، وهى مقطوعة الأذن أو غيرهما من الأعضاء . ومعناه أن البهيمة تلد البهيمة كاملة الأعضاء لا نقص فيها ، وإنما يحدث فيها المجدع والنقص بعد ولادتها » .

من خواص الأمة وعوامها ، بحيث لا يكونون في ترك معرفته لا مقصّرين ولا مفرّطين فلا يعاقبون بتركه ، مع أنهم قد آمنوا به إيماناً محملاً في إيمانهم بما جاء به الرسل ، فهم آمنوا به مجملاً ومعهم أصول الإيمان به ، كما أن الفاسق معه ^(١) الدواعي لفعل المأمور وترك المحذور .

فلماذا كان الخطيء بالتأويل من هذه الأمة ، والفاسق بالفعل مع صحة الاعتقاد ، كل منهما محسناً من وجه مسيئاً من وجه ، وليس واحد منهما كالكفار من المشركين وأهل الكتاب ، وإن كانوا في ذلك على درجات متفاوتة ، بل كل منهما ليس تاركاً لما أمر به من الاعتقاد والعمل مطلقاً / ولا فاعلاً لضده مطلقاً ، بل التأويل قد آمن إيماناً عاماً بكل ما جاء به الرسول ، واستسلم لكل ما أمره به . وهذا الإيمان والإسلام يتناول ما جهله ، ويدعوه إلى الإيمان والإسلام المفصل إذا علمه ، لكن عارض ذلك من جهله وظلمه لنفسه ما قد يكون مغفوراً له وقد يكون معدّياً به .

ولذلك الفاجر بالعمل معه من الإيمان بقبح الفعل وبفضه ما هو [داع له إلى] ^(٢) فعل الأصل المأمور به وداع له إلى تركه ، لكن عارض ذلك من هواه ما منع كمال طاعته ، بخلاف المكذب للرسول صلى الله عليه وسلم والكافر به ، فإنه لم يصدّق بالحق ولم يستسلم له لا جملةً ولا تفصيلاً ، لكن قد يكون ما اتبعه من ظنه وهواه موجباً لبعض ما جاء به الرسول وما نأى له من النظر فيه بحيث لا يستطيع مع ذلك أن يسمع به ، فهذا واقع ، كما قال سبحانه : ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿ [سورة الكهف : ١٠٠-١٠١] ،

(١) و الأصل : مع .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُفْجِرِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة هود : ١٨ - ٢٠] .

لكن عدم هذه الاستطاعة كان بتفريطه وعدوانه ، ومن كان تركه للأمر بذنب منه ، أو ضروره إلى المحذور بذنب منه - لم يكن ذلك مانعاً من ذمه وعقابه ، ومن هذا قوله سبحانه : ﴿ وَتَقَلَّبُ أَفْتِدَتُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [سورة الأنعام : ١١٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٨٨] ، وقال : ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة النساء : ١٥٥] .

وبهذا يظهر ضعف قول طائفة من المتكلمين الذين يقولون : الخطأ والإثم يتلازمان . ثم منهم من يقول : كل مجتهد في المسائل العملية مصيب ؛ كما يقوله كثير من المعتزلة والأشعرية . ومنهم من يقول : بل فيها خطيء ، والخطيء آثم ، كما يقوله الميرسي وغيره ^(١) ؛ وذلك أنهم اعتقدوا أنه حيث يكون مخطئاً يكون تاركاً لما وجب عليه .

(١) يقول الآمدي - من أئمة متأخري الأشاعرة - في كتابه « الإحكام في أصول الأحكام » (ط . المعارف / ١٣٣٢ / ١٩١٤) ٤ / ٢٤٤ : « وافق أهل الحق من المسلمين على أن الإثم محطوط عن المجتهدين في الأحكام الشرعية ، وذهب بشر الميرسي وابن عليه وأبو بكر الأعمى ونفاة القياس - كالظاهرية والإمامية - إلى أنه ما من مسألة إلا والحق فيها متعين ، وعليه دليل قاطع ، فن أخطأه فهو آثم غير كافر ولا فاسق » .

ثم قال الأولون : فإذا لم يكن تاركاً للمأمور به ، فلا يكون قد في
للمسألة حكم معين ، أو لا يكون الحكم المنصوص حكماً في حقه إذا لم يتمكن
من معرفته .

وقال الآخرون : بل إذا كان مخطئاً يكون تاركاً للمأمور به
فيكون آثماً .

والتحقيق أنه مأمور به أمراً مطلقاً ، لكن شرط الإثم بمنزلة التمكن
من معرفته ، فإذا لم يتمكن من معرفته لا يكون شرط الإثم موجوداً فيه .
ولكن ذلك لا ينفى أن يكون هو المأمور به ، وهو الذي يحبّه الله ويرضاه ،
ويُثيب فاعله إذا فعله . وإنما سقط عن بعض العباد لفوات الشرط في حقه
خاصة ، وحينئذ فيكون النزاع في بعض المواضع نزاعاً لفظياً .

ولهذا اختلف العلماء : هل هو مصيب في اجتهاده وإن كان مخطئاً في
نفس الأمر ؟ أو هو مخطئ في اجتهاده وفي نفس الأمر ؟ على قولين ذكرهما
القاضي روايتين عن أحمد . وذلك أن الخطأ في الاجتهاد قد يعنى به القصور
والتقصير ، وقد لا يعنى به إلا التقصير ، إذ العاجز عن معرفة الحكم الذي لله
عاجز قاصر ، ليس بمقصر ولا مفترط فيما بعده عليه . فإذا قال : أخطأ في اجتهاده ،
أراد أخطأ في استدلاله ، بمعنى أنه لم يستدلّ بالدليل الذي يوصله إلى نفس
الحق ، ولا ريب أنه أخطأ هذا الاستدلال الموصل له إلى الحق ، إذ لو أصابه
لأصاب الحق ، لكنه لم يكن قادراً على هذا الاستدلال فلا يعاقب
على تركه .

ومن قال : لم يخطئ في اجتهاده ، أراد أنه لم يخطئ فيما قدر عليه من
الاجتهاد ، بل فعله على وجهه ، لكن لم يكن مقدوره من الاجتهاد كافياً
في إدراك المطلوب في نفس الأمر .

ومثل هذا النزاع أن يُقال : هل فعل ما أمر به أو لم يفعل ما أمر به ؟
فالمأمور به في نفس الأمر لم يفعله ، وأما المأمور به في حقه من العمل الممكن
فقد فعله . ولذلك إذا اشتبهت أخته بأجنبية ، هل يقال : الحرام - في نفس
الأمر - واحدة ، أم الاثنان محرمتان ؟ على القولين بهذا الاعتبار .

﴿فصل﴾

فأما التوبة من الحسنات فلا تجوز عند أحد من المسلمين ، بل من تاب
من الحسنات ، مع علمه بأنه تاب من الحسنات ، فهو إما كافر وإما فاسق .
وإن لم يعلم أنه تاب من الحسنات فهو جاهل ضال . وذلك أن الحسنات هي
الإيمان والعمل الصالح ، فالتوبة من الإيمان هي الرجوع عنه ، والرجوع عنه
ردّة ؛ وذلك كفر . والتوبة من الأعمال الصالحة رجوع عما أمر الله به ،
وذلك فسوق أو معصية .

التوبة من
الحسنات لا تجوز
عند أحد من
المسلمين

والله تعالى حَبَّبَ إلى المؤمنين الإيمان ، وكرهَ إليهم الكفرَ والفسوقَ
والعصيان . فكل حسنة يفعلها العبد إما واجبة وإما مستحبة . والتوبة تتضمن
الندم على ماضى ، والعزم على أن لا يعود إلى مثله في المستقبل . والندم يتضمن
ثلاثة أشياء : اعتقاد قبح ما ندم عليه ، وبغضه وكرهه ، وألمّ يلحقه عليه .
فن اعتقد قبح ما أمر الله به أمرًا يحاب أو استحباب ، أو أبغض ذلك وكرهه
بحيث يتألم على فعله ، ويتأذى بوجوده ، ففيه من النفاق بحسب ذلك . وهو
إما نفاق أكبر يخرج من أصل الإيمان ، وإما نفاق أصغر يخرج من كماله
الواجب عليه . قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا
رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [سورة محمد : ٢٨] . وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا

مَا أَنْزَلَتْ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَئِكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ
آمَنُوا فَرَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ
فَرَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿ [سورة التوبة :
١٢٤ ، ١٢٥] . وقال تعالى : ﴿ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [سورة الإسراء : ٨٢] .

بل إذا علم العبد أن هذا الفعل قد أمره الله به وأحبه ، فاعتقد هو أن ذلك
ليس ممّا أمر الله به وأبغضه وكرهه ، فهو كافر بلا ريب . فمثل هذه التوبة
عن الحسنات هي ردة محضة عن الإيمان وكفر بالإيمان : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ
فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٥] .

فإطلاق القول بأن الحسنات يُتاب منها هو كفر يجب أن يُستتاب
صاحبه ، إذ معناه أنه يؤمر بالرجوع عن الحسنات ، واعتقاد أن الرجوع عن
الحسنات يقرب إلى الله ، وهذا كفر بلا ريب . ثم إن هذه التوبة متناقضة
ممنوعة في نفسها ، فإن الثائب من الحسنات إن اعتقد أن هذه التوبة / حسنة ،
فعلية أن يتوب منها ، فتكون باطلة ، فلا يكون قد تاب من الحسنات . وإن
اعتقد أنها سيئة كان مقراً بأن هذه التوبة محرمة ، فقد التزم أحد أمرين : إما
أنه لم يتب من الحسنات ، أو تاب توبة محرمة . وهذا اشتهى عليه حال السابقين
المقربين الذين يتوبون من ترك المستحبات ، أو فعل المكروهات غير المحرمات ،
فظن أنهم تابوا مما فعلوه من الحسنات وتركوه من المحرمات ، فإنهم لو تابوا
من ذلك لكانوا مرتدين [إما]^(١) عن أصل الإيمان وإما عن كماله . وإنما هي
توبة عما تركوه من مستحب وفعلوه من مكروه ، مثل أن يكون العبد يصلي
صلاة مجزئة غير كاملة ، فتبلغه صلاة النبي صلى الله عليه وسلم المستحبة ، فيصل
كصلاته ، ويندم على ما كان يفعله من الصلاة الناقصة .

(١) إما : زيادة يفتضيها السياق .

فهو لا يتوب مما فعله من الحسن ، وإنما يتوب مما تركه من الحسن ، ولهذا ينسب نفسه إلى التفريط بما أضاعه من الحسنات . وكذلك إذا سمع فضائل الأعمال المستحبة وما وعد الله لأصحابها من علو الدرجات ، فيندم على ما فرط من ذلك ، ويمزم على فعلها ، فهو توبة مما تركه من الحسنات .

وكذلك لو كان يصبر على المكاره ، مثل الفقر والمرض وخوف العدو ، من غير رضى بذلك ، فبلغه مقام أهل الرضا ، وأنه أعلى من الصبر الذى لارضا معه ، وأن هؤلاء يستحقون رضوان الله عليهم ، وأن أول من يدعى إلى الجنة الحمادون الذين يحمدون الله على السراء والضراء ، وما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن عباس : « إن استطعت أن تعمل لله بالرضا مع اليقين فافعل ، وإن لم تستطع فإن في الصبر على ما يبكره خيراً كثيراً »^(١) .

فهذا يتوب من ترك الرضا ، لا من نفس ما أمر به من الصبر ، فإن الصبر يبقى مع الرضا ، لا بد من الصبر في الحالين ، لكن تذهب مرارة الكراهة بالرضا ، وتلك المرارة ليست من الحسنات المأمور بها ، ولا هي داخلة أيضاً في حد الصبر المأمور به ، بل الصبر قد تكون معه مرارة ، وقد لا تكون .

ومن اعتقد أن الصبر لا يكون إلا مع مرارة ، وأنه ضد الرضا - فقد تكلم بعرف بعض المتأخرين ، وليس ذاك عرف الكتاب والسنة ، فإن الله تعالى أمرنا بالصبر وأثنى على أصحابه في أكثر من تسعين موضعاً من كتابه .

(١) قال المراقى من هذا الحديث في تعليقه على الإحياء ١٢ / ٣٤ : « الترمذى من حديث ابن عباس » ولم أستطع معرفة مكان الحديث .

والله تعالى لا يأمر بما هو مكروه أو ترك الأفضل ، ولا يكون ذلك إلا بفعل الحسن ، لا بترك الأحسن .

وبهذا يعرف قول من قال : « حسنات الأبرار سيئات المقربين » . مع أن هذا اللفظ ليس محفوظا عن قوله حجة ، لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أحد من سلف الأمة وأئمتها . وإنما هو كلام^(١) وله معنى صحيح ، وقد يحمل على معنى فاسد .

أما معناه الصحيح فوجهان :

المعنى الصحيح
لمباراة حسنات
الأبرار سيئات
المقربين

أحدهما : أن الأبرار يقتصرون على أداء الواجبات وترك المحرمات ، وهذا الاقتصار سيئة في طريق المقربين . ومعنى كونه سيئة أن يخرج صاحبه عن مقام المقربين ، فيحرم درجاتهم ، وذلك مما يسوء من يريد أن يكون من المقربين . فكل من أحب شيئا وطلبه إذا فاته محبوبه ومطلوبه ساءه ذلك . فالتقربون يتوبون من الاقتصار على الواجبات ، لا يتوبون من نفس الحسنات التي يعمل مثلها الأبرار ، بل يتوبون من الاقتصار عليها . وفرق بين التوبة من فعل الحسن وبين التوبة من ترك الأحسن والاقتصار على الحسن .

الثاني : أن العبد قد يؤمر بفعل يكون حسنا منه ، إما واجبا ، وإما مستحبا ، لأن ذلك مبلغ / علمه وقدرته . ومن يكون أعلم منه وأقدر لا يؤمر بذلك ، بل يؤمر بما هو أعلى منه ، فلو فعل هذا ما فعله الأول كان ذلك سيئة . مثال ذلك أن العامى يؤمر بمسألة العلماء المأمونين على الإسلام والرجوع إليهم بحسب قوة إدراكه ، وإن كان في ذلك تقليد لهم ، إذا لا يؤمر العبد إلا بما يقدر عليه . وأما العلماء القادرون على معرفة الكتاب والسنة والاستدلال

(١) بعد كلمة « كلام » يياض في الأصل موضع كلمة واحدة .

بهما فلو تركوا ذلك وأتوا بما يؤمر به العامى لكانوا مسيئين بذلك .

وهذا كما يؤمر المريض أن يصلى قائماً ، فإن لم يستطع فقاعداً ، فإن لم يستطع فعلى جنب . وكما يؤمر المسافر أن يصلى الظهر والعصر والعشاء ركعتين في السفر ، وهذا لو فعله المقيم لكان مسيئاً تاركاً للفرض ، بل فرضه أربع ركعات . فإن المرض والسفر لا ينقص العبد عن كونه مقرباً إذا كان ذلك حاله في الإقامة ، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم » (١) .

بخلاف العلم والجهاد في سبيل الله بالنفس والمال والمسابقة إلى الخيرات ، فإن الله يقول : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [سورة المجادلة : ١١] ، ويقول : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ [سورة النساء : ٩٥] ، ويقول في كتابه : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ [سورة الحديد : ١٠] ، ويقول : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ *

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ» [سورة التوبة : ١٩ - ٢٢] .

وكذلك في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم سِتْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ » ^(١) وقال : « خير القرون القرن الذين بمثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ^(٢) .

فالعلم والجهد كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما يدخل في ذلك هو واجب على الكفاية من المؤمنين . فمن قام به كان أفضل ممن لم يقم به ، وإذا ترك ذلك مَنْ تَعَيَّنَ عليه كان مذنباً مسيئاً ، فيكون ذلك سيئة له إذا تركه ، وحسنة مفضلة له على غيره إذا فعله . وإن كان القيام بالواجبات بدون ذلك من حسنات من لم يكن قادراً على ذلك . فحسنات هؤلاء الأبرار - وهي الاقتصار على ذلك - سيئات أولئك المقربين .

(١) الحديث في : البخارى ٥ / ٨ (كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لو كنت متخذاً خليلاً) ؛ مسلم ٧ / ١٨٨ (كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة) . وهو في : سنن أبي داود ٤ / ٢٩٧ - ٢٩٨ (كتاب السنة ، باب في التهنئة عن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٣ / ١١ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٦٤ . والحديث مروي بمعناه عن أبي هريرة رضى الله عنه في : مسلم (نفس الموضع) ؛ سنن ابن ماجه ١ / ٥٧ (المقدمة ، باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

وفي اللسان : المد ضرب من المكايل وهو ربع صاع ، وهو قدر مد النبي صلى الله عليه وسلم ، والصاع خمسة أوطال . وقال النووي (شرح مسلم ١٦ / ٩٣) : « وقال أهل اللغة النصف : النصف . . . ومعناه لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ ثوابه في ذلك ثواب نفقة أحد أصحابي مداً ولا نصف مد » .

(٢) انظر : البخارى ٥ / ٢ - ٣ (كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) ؛ مسلم ٧ / ١٨٤ - ١٨٦ (كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) . وقد تكلمت عن هذا الحديث وعن رواته وطرقه ومواضعه في الصحاح بالتفصيل في « منهاج السنة » ٢ / ٢٤ (ت ١) .

وكذلك السابقون الأولون من هذه الأمة فيما فعلوه من الجهاد والهجرة لو تركوا ذلك واقتصروا على ما دونه كان ذلك من أعظم سيئاتهم . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » ^(١) كان الاقتصار على مجرد ذلك من حسنات الأبرار الذين ليسوا من أولئك السابقين .

وكذلك المرسلون لهم مأمورات لو تركوها كان ذلك سيئات ، وإن كان فعل ما دونهما حسنات لغيرهم ممن لم يؤمر بذلك ، إلى نظائر ذلك مما يؤمر فيه العبد بفعله لم يؤمر به من هو دونه ، فيكون ترك ذلك سيئة في حقه ، وهو من المقربين إذا فعله ، ويكون فعل ما دون ذلك حسنات لمن دونه .

وذلك أن الإنسان يفضل على غيره إما بفعل مستحب في حقهما ، وإما بما يؤمر به أحدهما دون الآخر فيفعله ، وتخصيصه / بفعله قد يكون لقدرته وقد يكون لامتناعه بسببه ، كمن له والدان فإنه يؤمر ببرّهما ويكون بذلك أفضل ممن لم يعمل مثل عمله ، كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حق المتصدقين بفضول أموالهم المشاركين لغيرهم في الأعمال البدنية : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » فهؤلاء الفضّلون الاقتصار على ما دون هذه الأمور سيئات في حقهم وحسنات لمن ليس مثلهم في ذلك .

ص ٧٨

(١) جاء هذا الحديث (مع اختلاف في اللفظ أحياناً) في : البخارى في عدة مواضع ، فهو في ثلاثة مواضع من كتاب الجهاد والسير (ج ٤) : ص ١٥ (باب فضل الجهاد والسير) ، ص ٢٣ (باب وجوب النفير) ، ص ٧٥ (باب لا هجرة بعد الفتح) . وهو أيضاً في : ٤ / ١٠٤ (كتاب الجزية ، باب لثم الغادر للبر والفاجر) ، ٥ / ٥٧ (كتاب مناب الأنصار ، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة) ، ٥ / ١٥٢ (كتاب المغازي ، باب وقال اللث) . والحديث في مسلم ٦ / ٢٧ - ٢٨ (كتاب الإمارة ، باب الميابة بعد فتح مكة) ؛ المسند (ط . المعارف) ٣ / ٣٠٧ - ٣٠٨ (رقم ١٩٩١ - وانظر التعليقات) ، ٤ / ١٢٧ (رقم ٢٣٩٦) ، ٣٢١ (رقم ٢٨٩٨) - وانظر التعليقات وهو في سنن النسائي (بشرح السيوطي) ٧ / ١٤٦ (كتاب البيع ، باب ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة) .

فهذان الوجهان كلاهما معنى صحيح لقول القائل : « حسنات الأبرار سيئات
المقربين » .

المعنى الفاسد
للعبارة

وأما المعنى الفاسد فإن يظنَّ الظَّانُّ أنَّ الحسنات التي أمر الله بها
أمراً عاماً يدخل فيه الأبرار ويكون سيئاتٍ للمقربين ، مثل من يظن أن
الصلوات الخمس ومحبة الله ورسوله والتوكل على الله وإخلاص الدين لله ونحو
ذلك هي سيئات في حق المقربين . فهذا قول فاسد غلا فيه قوم من الزنادقة
المنافقين المنتسبين إلى العلماء والعُبَّاد ، فرغموا أنهم يصلون إلى مقام المقربين
الذي لا يؤمرون فيه بما يؤمر به عموم المؤمنين من الواجبات ، ولا يحرم عليهم
ما يحرم على عموم المؤمنين من المحرمات ، كالزنا والخمر والميسر .

وكذلك زعم قوم في أحوال القلوب التي يؤمر بها جميع المؤمنين أن المقربين
لا تكون هذه حسنات في حقهم .

وكلا هذين من أخبث الأقوال وأفسدها .

وإنما قلنا : إن التائب من الحسنات - إن علم أنها حسنات - وتاب منها
فقد أذنب إما بكفر أو فسوق أو معصية ، وإن لم يعلم أنها حسنات فهو ضالٌّ
جاهل ، لأنه إذا تاب بما يسمى حسنة ، وكان حسنة في الشريعة حقيقة قد أمر
الله بها ، فهو راجع عن طاعة الله التي هي طاعته وهي حسنة . والرجوع عن
طاعة الله ودينه لا يخرج عن أن يكون ردةً عن أصل الدين فيكون كفراً
مغلطاً ، وإما عن كماله . هذا لو كان الرجوع بنفس الترك ، فإن ترك الإيمان
ككفر ، وترك الواجبات إما فسق وإما معصية ، وترك المستحبات المتطوعة
يؤخر درجته . هذا إذا كان تركاً محضاً ، فأما إذا اعتقد مع ذلك أن الحسنات
التي يحبها الله ورسوله مما يُتاب منها بحيث يندم العبد عليها ، فيعتقد أن تركها
خيرٌ من فعلها ، أو أنها ليست مأموراً بها ، أو أنها لا تقرب إلى الله أو لا تنفع

عنده ، أو أبغضها وكرهها ، ورجع عنها وتألم من فعلها مندبناً بذلك - فهذا كافر مرتدّ تجب استتابته بلا نزاع بين العلماء . وهذا هو معنى التوبة . فلم أن القول بأن الحسنات يتاب منها كفر محض .

وأما إن لم يعلم أنها حسنات ، بل تاب مما كان يسميه - أو غيره - حسنات ، أو كان حسنةً في الشريعة ولم يعلم العبد أنه حسنة بل ظن أنه سيئة ، أو كان سيئةً منهاً عنها ، واعتقد المرء أنه حسنة مأمور بها - فهو ضالّ جاهل ، وهذا عليه أن يتوب من هذا الاعتقاد والعمل الذي كان يعتقد أنه حسنة ، كما يتوب كل ضالّ من الكفار وأهل الأهواء المشركين وأهل الكتاب ، والمبتدعة كالخوارج والروافض والقدرية والجهمية وغيرهم . فإن هؤلاء يتوبون مما كانوا يظنونهم حسنات ، لا يتوبون مما هو في الشريعة حسنات ، ولا يطلقون القول إنا نتوب من الحسنات ، ولا أن التوبة من الحسنات فعل المقربين ، ولا أن التوبة من الحسنات مشروع للسابقين ، ولا أن الذي تبنا منه كان حسنات . ولكن يقولون : نتوب مما كنا نظن أنه حسنات وليس بحسنات ؛ كما قيل :

إِذَا تَحَاسِبْنِي أَلَّا قِيَّ أَدِلُّ بِهَا
كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ اعْتَذِرُ^(١)

وكذلك يتوب المرء مما يمدّه حسنات له وهو مقصر في فعله ، أو خائف من قصيره في فعله ، كما قال تعالى : « وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ

(١) البيت للبحرئ من قصيدة يمدح بها علي بن مر الأرمي أولها :

في الشيب زجر له لو كان ينزجر وبالغ منه لولا أنه حجر

(الديوان ٤٣/٢)

وَجِلَّةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿ [سورة المؤمنون : ٦٠] . وقد روى عن عائشة أنها قالت : يا رسول الله : أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر ويخاف ؟ فقال : « لا يا بنت الصديق . ولكنه الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف ألا يُقبلَ منه » ^(١) .

وهذا لأن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٢٧] ، أى من الذين يتقونه في العمل .

والتقوى في العمل بشيئين : أحدهما إخلاصه لله ، وهو أن يريد به وجه الله لا يشرك بعبادة ربه أحداً . والثاني : أن يكون مما أمره الله به وأحبه ، فيكون موافقاً للشرعة ، لامن الدين الذي شرعه من لم يأذن الله له ، وهذا كما قال الفضيل بن عياض في قوله : ﴿ لَتَبْلُوَكُمْ أَتْيَكُمْ أُمُحْسِنُ عَمَلًا ﴾ (سورة هود : ٧) قال : أخلصه وأصوبه . وذلك أن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل حتى يكون خالصاً صواباً . والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة .

فالسعيد يخاف في أعماله أن لا يكون صادقاً في إخلاصه الدين لله ، أو أن لا تكون موافقه لما أمر الله به على لسان رسوله . ولهذا كان السلف يخافون النفاق على أنفسهم ، فذكر البخارى عن أبي العالية قال : « أدركت ثلاثين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، كلهم يخاف النفاق على نفسه » ^(٢) . ولهذا كانوا يستتنون فيقول أحدهم : أنا مؤمن إن شاء الله ، ومثل هؤلاء يستغفرون الله مما علموه أو لم يعلموه من التقصير والتمددى ويتوبون من ذلك .

(١) الحديث في سنن ابن ماجه ٢ / ١٤٠٤ ؛ الدر المنثور ٥ / ١١ .

(٢) في صحيح البخارى ١ / ١٤ (كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر) : « وقال ابن أبي مليكة : أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل » .
(١٧ جامع الرسائل - ١)

وهذا مشروع للأنبياء والمؤمنين . كان النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر بعد الصلاة ثلاثاً^(١) . وقال تعالى : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٧] . قالوا : كانوا يُحْيُونَ الليلَ صلاةً ، ثم يقعدون في السَّحَرِ يستغفرون ، فيختمون قيام الليل بالاستغفار . وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا كَمَا هَذَا كُنْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : ١٩٨ ، ١٩٩] ، وقال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ .

فإن قيل : قد قال تعالى : ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة النور : ٣١] ، وفي المؤمنين من لا ذنب له ، فيكون أمره بالتوبة أمراً بالتوبة من الحسنات ، وكذلك توبة الأنبياء وهم معصومون ؟ قيل : هذا من أعظم الفرية ، لم تأت الشريعة بالتوبة من الحسنات ، وهي ما أمر به من طاعته واطاعة أنبيائه . وليس في المؤمنين إلا من له ذنبٌ من ترك مأمورٍ أو قتلٍ محظورٍ ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « كل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون »^(٢) .

لم تأت الشريعة
بالتوبة من
الحسنات

وقد قال تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ

(١) في صحيح مسلم ٩٤/٢ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته) : ... عن ثوبان قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً ، وقال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام » - قال الوليد : فقلت للأوزاعي : كيف الاستغفار ؟ قال : تقول : استغفر الله استغفر الله

(٢) انظر ما سبق ، ص ٢٢٥ ت .

الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ [سورة الزمر : ٣٣ - ٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ [سورة الأحقاف : ١٦] .

وأصل هذه المقالة ، وهو دعوى العصمة في المؤمنين وما يشبه ذلك ، هو أصل هذه المقالة هو دعوى العصمة في المؤمنين من أنوال الغالية من النصارى وغالية هذه الأمة ، وابتدعها في اللئيين منافقوها . في المؤمنين

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [سورة النساء : ١٧١] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة : ٧٧] ، وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْبَشَرِ أَنْ يُبْذِرَ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّائِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْمَلُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا التَّلَاقِثَ وَالنِّدَائِينَ أَرْبَابًا أَيْأَمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ٧٩ ، ٨٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيْرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ بْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَاتْلُهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ

أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا
إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ [سورة التوبة :
٣٠ ، ٣١] .

وقد روى في حديث عدى بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
قلت يا رسول الله : ما عبدوهم . قال : « أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم ، وحرّموا
عليهم الحلال فأطاعوهم ، فتلك عبادتهم إياهم » ^(١) .

وهذا الغلو الذي في النصارى حتى اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله
واتخذوا أحيارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله - قد ذكروا أن أول من ابتدعه
لهم بولص الذي كان يهودياً فأسلم واتبع المسيح نفاقاً ليلبس على النصارى دينهم ،
فأحدث لهم مقالات غالية ، وكثرت البدع في النصارى : في اعتقاداتهم
وعباداتهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ
إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [سورة الحديد : ٢٧] .

وكذلك أول ما ابتدعت مقالة الغالية في الإسلام من جهة بعض من كان
قد دخل في الإسلام وانتحل التشيع . وقيل : أول من أظهر ذلك عبد الله بن سبأ
الذي كان يهودياً فأسلم ، وكان ممن أقام الفتنة على عثمان ، ثم أظهر موالاة
علي . وهو من ابتدع الغلو في علي ^(٢) ، حتى ظهر في زمانه من ادّعى فيه الإلهية

غلو الشيعة في
دعوى المصّة

(١) الحديث في سنن الترمذى ١١ / ٢٣٨ - ٢٣٩ (كتاب التفسير ، سورة التوبة)
ولفظه : « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنق صليب من ذهب ، فقال : يا عدى اطرَحْ
عَنكَ هَذَا الْوَتْنَ . وسمّته يقرأ في سورة براءة : (اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أرباباً من دون
الله) قال : أما أنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه ، وإذا
حرّموا عليهم شيئاً حرّموه » .

(٢) انظر ما ذكرته عن عبد الله بن سبأ والسبئية في « منهاج السنة » ١٤/١ - ١٥
(ت ٦) ، ٢٢٠ (ت ١) . وانظر : فرق الشيعة للنوبختي (ط . النجف ، ١٣٧٩ / =

وسجدوا له لما خرج من باب مسجد كندة ، فأمر على رضي الله عنه بتحريقهم بالنار بعد أن أجّلهم ثلاثه أيام^(١) . وفي الصحيح أن ابن عباس بلغه أن علياً حرق زنادقة فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم لنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يُعَذَّبَ بمذاب الله ، ولضربت رقابهم بالسيف ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه »^(٢) . قالوا : وهم هؤلاء ، وقد رووا قصتهم مستوفاة . ورووا أنه أظهر أيضاً سب أبي بكر وعمر حتى طلب على أن يقتله فهرب منه^(٣) . ولما بلغ علياً أن أفواماً يفضلونه على أبي بكر وعمر قال : « لأوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلده حدّ المفترى » تحقيقاً لما رواه البخارى في صحيحه عن محمد بن الحنفية أنه سأل أباه : من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم ؟ فقال : أبو بكر . قال : ثم من ؟ قال : ثم عمر . وقد روى ذلك عن علي من نحو ثمانين طريقاً ، وهو متواتر عنه^(٤) . وروى هذا المعنى عنه من

(١٩٥٩) ، ص ٤٣ - ٤٤ ؛ مقالات الإسلاميين ١ / ٨٥ - ٨٦ ؛ التبصير في الدين ، ص ٧١ - ٧٢ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٤٣ - ١٤٥ ؛ الملل والنحل ١ / ١٥٥ - ١٥٦ ؛ الخطط للمقريزي ٢ / ٣٥٦ - ٣٥٧ ؛ الفصل لابن حزم ٤ / ١٨٦ ؛ البدء والتاريخ ٥ / ١٢٥ ، ١٢٦ ؛ الحور العين للحيمري ، ص ١٥٤ ؛ لسان الميزان ٣ / ٢٨٩ - ٢٩٠ ؛ رجال الطوسي (ط . النجف ١٣٨١ / ١٩٦١) ص ٥١ ؛ الأعلام ٤ / ٢٢٠ ؛ مرتضى العسكري : عبد الله بن سبأ ، ط . ثانية ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٨١ .

(١) انظر خبر هذه الواقعة في أكثر المراجع المذكورة في التعليق السابق ، وانظر منهاج السنة ١ / ٢١٩ .

(٢) الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه في : البخارى ٩ / ١٥ (كتاب استنابة المرتدين ، باب حكم المرتد والمرتدة) ؛ سنن أبي داود ٤ / ١٨٠ (كتاب الحدود ، باب الحكم فيمن ارتد) ؛ سنن الترمذى (بشرح ابن العربى) ٦ / ٢٤٢ - ٢٤٣ (كتاب الحدود ، باب ما جاء في المرتد) ؛ سنن النسائى (بشرح السيوطى) ٧ / ١٠٤ (كتاب تحريم الدم ، باب الحكم في المرتد) ؛ سنن ابن ماجه ٢ / ٨٤٨ (كتاب الحدود ، باب المرتد عن دينه) ؛ المسند (ط . المعارف) الأرقام : ١٨٧١ ، ١٩٠١ ، ٢٥٥١ ، ٢٥٥٢ .

(٣) المقصود هنا عبد الله بن سبأ وفرقه ، وانظر لسان الميزان ٣ / ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٤) تكلمت عن هذا الخبر موقوفاً ومرفوعاً في منهاج السنة ١ / ٧ ، ٢٢٠ ، ٢ / ٢ =

وجوه مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، كما رواه الترمذى ^(١) ، ورواه الدارقطنى فى كتاب «نناء الصحابة على القرابة ونناء القرابة على الصحابة» ^(٢) .

وحينئذ ابتدَعَ القول بأن عليًا إمام منصوح على إمامته ، وابتدع أيضا القول بأنه معصوم أعظم مما يعتقده المؤمنون فى عصمة الأنبياء ، بل ابتدع القول بنبوته ، وحدث بإزاء هؤلاء من اعتقد كفره وردّته واستحلّ قتله على ذلك من الخوارج ، ومن اعتقد فسقه أو ظلمه من الأموية وبعض أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم ^(٣) ، ومن لم يعتقد إمامته ولا إمامة غيره فى زمانه ، أو جعل إمامته وإمامة غيره سواء مع اعتقاده فضله وسابقته ^(٤) . فهؤلاء الثلاثة حدثت بإزاء تلك الثلاثة : فالغالية والرافضة والمفضّلة ، بإزاء المكفّرة والمفسّقة والمتوقّفة عن اختصاصه بالإمامة إذ ذاك .

- = ٥١ وذكرت فى الموضوع الأخير مكانه فى صحيح البخارى وفى سنن أبى داود وسنن ابن ماجه وبينت أنه ورد فى مسند أحمد (ط . المعارف) ٢٤ مرة وذكر أرقامه فيه .
- (١) فى سنن الترمذى (بشرح ابن العربى) ١٣٢/١٣ (كتاب المناقب ، باب مناقب أبى بكر وعمر رضى الله عنهما كليهما) : « عن على عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين ، لا تخبرهما ياعلى » . وذكر السيوطى فى الجامع الصغير ١٠/٢ (ط . مصطفى الحلبي ، ١٣٥٨/١٣٥٩) حديثا آخر رواه ابن عساكر عن على والزيبر معا عن النبي صلى الله عليه وسلم ونصه : « خير أمتى بعدى أبو بكر وعمر » وحسن السيوطى الحديث . وانظر سنن ابن ماجه ١/٣٨ - ٣٩ (المقدمة ، باب فى فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) .
- (٢) الدارقطنى هو أبو الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدى ، البغدادى ، الحافظ الشهير صاحب السنن ، ولد بدار القطن (من أحياء بغداد) سنة ٣٠٦ وتوفى سنة ٣٨٥ . انظر ترجمته فى : تذكرة الحفاظ ٣ / ٩٩١ - ٩٩٥ ؛ وفيات الأعيان ٢ / ٤٥٩ - ٤٦٠ ؛ تاريخ بغداد ١٢ / ٣٤ - ٤٠ ؛ طبقات الشافعية ٢ / ٣١٠ - ٣١٢ ؛ المنتظم لابن الجوزى ٧ / ١٨٣ - ١٨٤ ؛ تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٣ / ٢١٠ - ٢١١ (وذكر من كتبه المخطوطة فى الظاهرية : فضائل الصحابة) ؛ الأعلام ٥ / ١٣٠ .
- (٣) انظر ما ذكره ابن طاهر فى أصول الدين ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ فى إمامة على رضى الله عنه ، ص ٢٨٩ - ٢٩٢ ؛ مقالات الإسلاميين ٢ / ١٢٦ - ١٣٠ .
- (٤) انظر مقالات الإسلاميين ٢ / ١٢٢ - ١٣٤ ؛ أصول الدين ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ -

ثم القائلون بأنه إمام منصوص عليه معصوم تفرقوا في الإمامة بعده تفرقا كثيرا مشهورا في كتب المقالات ، منهم الاثنا عشرية الذين يقولون بأن الإمامة انتقلت بالنص من واحد إلى واحد إلى المنتظر محمد بن الحسن ، الذي يزعمون أنه دخل سرداب سامراء سنة ستين ومائتين وهو / طفل له سنتان أو ثلاث ، وأكثر ما قيل خمس . ويزعمون مع ذلك أنه إمام معصوم ، يعلم كل شيء من أمر الدين ، ويجب الإيمان به على كل أحد ، ولا يصح إيمان أحد إلا بالإيمان به . ومع هذا فله اليوم أكثر من أربعمئة وأربعين سنة لم يعرف له عين ولا أثر ، ولا سمع له أحد بما يعتمد عليه من الخبر .

ط ٧٩

وأهل المعرفة بالنسب يقولون : إن الحسن بن علي العسكري والده لم يكن له نسل ولا عقب ، واتفق العقلاء على أنه لم يدخل السرداب أحد ، وأجمع أهل العلم بالشريعة على ما دل عليه الكتاب والسنة أن هذا لو كان موجودا لكان من أطفال المسلمين الذين يحب الحجر عليهم في أنفسهم وأموالهم حتى يبلغ ويؤنس منه الرشد ، كما قال تعالى : ﴿ وَابْتَئُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ﴾ [سورة النساء : ٦] .

وقد بسطنا القول في بيان فساد هذا في ذكر ما خاطبنا به الشيعة قبل هذا ، ثم في كتابنا الكبير المسمى بمنهاج أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية^(١) .

ومن الرافضة من يزعم أن الإمام بعد علي أو بعد الحسين هو ابن علي محمد

(١) انظر مثلاً في خبر محمد بن الحسن المهدي المنتظر عند الشيعة منهاج السنة (ط . دار المروبة) ١ / ٢٨ - ٢٩ (وانظر التعليقات) ، ٥٧ - ٦٠ ، (ط . بولاق) ٢ / ١٣١ - ١٣٤ .

ابن الحنفية^(١) وهم الكيسانية^(٢) ، ومنهم طوائف كثيرة ليس هذا موضعها ، إذ ليس في نحل الأمة أكثر تفرقاً واختلافاً منهم ، فإن أول من ابتدع مقالاتهم كان منافقاً زنديقاً ، لم يك مؤمناً ، ثم انتشرت في أقوام لم يعرفوا أخبار [المسلمين الأوائل]^(٣) ولم يقصدوا الزندقة .

والقصود هنا أن هؤلاء هم أول من أظهر القول بأن في المؤمنين من لا ذنب له كما قال هذا السائل ، وادَّعوا عصمة الأئمة الاثني عشر حتى عن الخطأ في الاجتهاد ، وعن نسيان العلم ، وعن عدم معرفة شيء من العلم ، فقالوا إنهم يعلمون كل شيء ، وادَّعوا عصمتهم من صغير الذنوب وكبيرها وغير ذلك ، وادَّعوا ذلك في الأنبياء أيضاً لأنهم أفضل من الأئمة .

غلو الصوفية ولم يقل هذا في الأمة غيرهم على هذا الوجه . لكن ظهر في صنفين من الأمة بعضُ بدعتهم : طائفة من التُّسَاك والْعَبَاد يزعمون في بعض المشايخ أو فيمن يقولون إنه ولي الله أنه لا يذنب ، وربما عَيَّنوا بعض المشايخ وزعموا أنه لم يكن لأحدهم ذنب . وربما قال بعضهم : النبي معصوم ، والوليّ محفوظ .

ومن غالبية هؤلاء من يعتقد في بعض المشايخ من الإلهية والنبوة ما اعتقدته

(١) أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب ويعرف بابن الحنفية نسبة إلى أمه وقد توفي سنة ٨١ على الأرجح . انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٥ / ٩١ - ١١٦ ؛ الجرح والتعديل ج ٤ ، ق ١ ، ص ٢٦ ؛ تهذيب الأسماء واللغات ، ق ١ ، ج ١ ، ص ٨٨ - ٨٩ ؛ وفيات الأعيان ٣ / ٣١٠ - ٣١٣ ؛ شذرات الذهب ١ / ٨٨ - ٩٠ .

(٢) قال الأشعري (الفتاوى ١ / ٨٩ - ٩٠) عن الكيسانية : «وهي إحدى عشرة فرقة ، وإنما سماها كيسانية لأن المختار الذي خرج وطلب بدم الحسين بن علي ودعا إلى محمد بن الحنفية كان يقال له كيسان . ويقال إنه مولى لعل بن أبي طالب رضوان الله عليه . » وانظر عن الكيسانية وفرقها : الفتاوى ١ / ٨٩ - ٩٥ ؛ الملل والنحل ١ / ١٣١ - ١٣٧ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ٢٦ - ٣٤ ؛ التبصير في الدين ، ص ١٨ - ٢٠ ؛ المحور العين ، ص ١٥٧ - ١٥٩ ؛ الحطط للمقرئ ٢ / ٣٥١ - ٣٥٢ .

(٣) في الأصل بعد كلمة « أخبار » بياض ، ولعل ما زدته يوفى بالمعنى المقصود .

الغالية في عليّ ، ويزعم أن الشيخ يخلق ويرزق ويدخل من بشاء الجنة ومن يشاء النار ، ويعبده ويدعوه كما يعبد الله ، ويقول : كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان فإني لا أريده ، ويدبح الذبائح باسمه ، ويصلي ويسجد إلى جهة قبره ، ويستغيث به في الحاجات كما يُستغاث بالله تعالى .

فأما ضلال هذه الغالية فشرك واضح قد بيناه في غير هذا الموضع ، فإنه لا تجوز عبادة أحد دون الله ، ولا التوكل عليه والاستعانة به ، ودعاؤه ومسالته كما يدعى الله ويسأل الله .

قال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [سورة الإسراء : ٥٦ ، ٥٧] ، وقال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْفَالِ ذِرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سورة سبأ : ٢٢ ، ٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٥] ، وقال تعالى : ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَقُولُونَ * قُلِ اللَّهُ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة الزمر : ٤٣ ، ٤٤] ، وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ٢١٣] ، وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [سورة المائدة : ٧٢] .

لا عصمة لأحد
بعد الرسول

والمقصود هنا ذكر العصمة ، فقد أجمع جميع سلف المسلمين وأئمة الدين من جميع الطوائف أنه ليس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد معصوم ولا محفوظ لا من الذنوب ولا من الخطايا ، بل من الناس من إذا أذنب استغفر وتاب ، وإذا أخطأ تبين له الحق فرجع إليه ، وليس هذا واجباً لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل يجوز أن يموت أفضل الناس بعد الأنبياء وله ذنبٌ يغفره الله ، وقد خفي عليه من دقيق العلم ما لم يعرفه . ولهذا انفقوا على أنه ما من الناس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذهب بعض الناس إلى أن قول أبي بكر وحده حجة وإن خالفه عمر ، ثم قول عمر حجة وإن خالفه عثمان وعلى . وأما أئمة الإسلام فلا يقولون بهذا ، بل تنازعوا فيما إذا اتفق أبو بكر وعمر على قول ، هل يكون حجة ؟ على قولين هما روايتان عن أحمد . والأظهر في الموضعين أن ذلك حجة^(١) لقوله صلى الله عليه وسلم : « اقتدوا بالذين من بعدي : أبي بكر وعمر »^(٢) ، وقوله : « إن يطع

(١) قال ابن بدران في « المدخل إلى مذهب الإمام أحمد » (ط . المنيرة) ص ١٣٢ : « . . . وإذا لم يكن اتفاق الأربعة إجماعاً فقول اثنين منهم أولى بأن لا يكون إجماعاً . ونقل عن الإمام أحمد أن اتفاق الخلفاء الأربعة حجة وكذا اتفاق أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لحديث : عليهما سنتي وسنة الخلفاء الراشدين . . . وحديث : اقتدوا بالذين من بعدي . . . ولو لم تهم الحجة بقولهم لا أمرنا باتباعهم ؟ وهذا القول هو الحق » . وانظر : أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية (ط . المنيرة) ٢ / ١٧٦ ، ٤ / ١٠٢ - ١٢٩ ؛ ابن حنبل لمحمد أبي زهرة (القاهرة ، ١٣٦٧ / ١٩٤٧) ص ٢٤٤ - ٢٥٨ .

(٢) أورد النبهاني في « الفتح الكبير » ١ / ٢١٥ عدة أحاديث تتضمن هذه العبارة عن حذيفة وأبي الدرداء وابن مسعود رضي الله عنهم وقال إن هذه الأحاديث جاءت في سنن الترمذي وابن ماجه وفي مسند أحمد وأبي يعلى والطبراني . وانظر : سنن الترمذي ١٣ / ١٢٩ - ١٣٠ (كتاب المناقب ، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما) ؛ سنن ابن ماجه ١ / ٣٧ (المقدمة ، باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) ؛ المستدرک ٧٠ / ٣ - ٧٦ .

القومُ أبا بكرٍ [وعمر] يرشُدوا»^(١)، وقوله: «لو اتفقنا على شيء لم أخالفكما»^(٢) ولقوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى، تمسكوا بها وعَصُوا عليها بالنواجز، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»^(٣)، وقد قال: «الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً»^(٤). وقد كانت خلافة على تمام الثلاثين مع الأشهر التي تولاهما الحسن رضى الله عنه.

واتفقوا على أنه ليس من شرط ولى الله أن لا يكون له ذنب أصلاً، بل أولياء الله تعالى هم الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس ٦٢، ٦٣].

(١) وعمر: ليست في الاصل. وهذه العبارة جزء من حديث طويل عرف بمحدث الميضة رواه مسلم في صحيحة ١٣٨/٢ - ١٤٠ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة فيها، باب قضاء الصلاة الفائتة) عن أبي قتادة رضى الله عنه وأوله: «عن أبي قتادة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تسرون عشيتكم وليتكم وتأتون الماء إن شاء الله غدا. الحديث» وفيه: «ثم قال: أصبح الناس فقدوا نبيهم، فقال أبو بكر وعمر: رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم، لم يكن ليخلفكم. وقال الناس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أيديكم. فان يطعموا أبا بكر وعمر يرشدوا». والعبارة الأخيرة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وانظر شرح النووي ١٨٨ / ٥.

(٢) قال ابن القيم (إعلام الموقعين ٤ / ١٢٢): «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر في شأن تأمير القعقاع بن حكيم والأقرع بن حابس: «لو اتفقنا على شيء لم أخالفكما». ورجعت إلى حديث الاختلاف بين عمر وأبي بكر رضى الله عنهما وهو الذي نزلت فيه الآية الأولى من سورة الحجرات في عدة مواضع من البخارى وفي سنن الترمذى والنسائى وسكنى لم أجده هذه العبارة فيه.

(٣) الحديث عن العرابض بن سارية رضى الله عنه في: سنن أبي داود ٤ / ٢٨٠ - ٢٨١ (كتاب السنة، باب في لزوم السنة)؛ سنن الترمذى ١٠ / ١٤٣ - ١٤٦ (كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة)؛ سنن ابن ماجه ١ / ١٥ - ١٦ (المقدمة، باب في اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين).

(٤) الحديث بمعناه عن سفينة رضى الله عنه في: سنن أبي داود ٤ / ٢٩٣ (كتاب السنة، باب في الخلفاء)؛ سنن الترمذى ٩ / ٧٠ - ٧٢ (كتاب الفتن، باب ما جاء في الخلافة)؛ المستدرک للحاكم ٣ / ٧١.

ولا يخرجون عن التقوى بإنيان ذنب صغير لم يصروا عليه ، ولا بإتيان
ذنب كبير أو صغير إذا تابوا منه .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ *
لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللَّهُ
عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿
[سورة الزمر : ٣٣ - ٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [سورة النساء : ٣١]

وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ
أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ * الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ
كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّعَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ
بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا
تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿ [سورة النجم : ٣١ ، ٣٢]

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ
تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ رءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا
ضَاقتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ
لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴿ [سورة التوبة : ١١٧ ، ١١٨] .

والفريق الثانى قوم من أهل الكلام من المعتزلة ومن اتبعهم ، زعموا أن

الأنبياء عليهم السلام معصومون مما يتاب منه ، وأن أحداً منهم لم يتب عن ذنب ،
وحرفوا نصوص الكتاب والسنة ، كعادة أهل الأهواء في تحريف الكلم
عن مواضعه ، والإلحاد في أسماء الله وآياته .

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها ومن اتبعهم على ما أخبر الله به في كتابه ،
وما ثبت عن رسوله ، من توبة الأنبياء عليهم السلام من الذنوب التي تابوا
منها ، وهذه التوبة رفع الله بها درجاتهم ، فإن الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين . وعصمتهم هي من أن يُقرؤوا على الذنوب والخطأ ، فإن من سوى
الأنبياء يجوز عليهم الذنب الخطأ من غير توبة ، والأنبياء عليهم السلام يستدركهم
الله فيتوب عليهم ويبين لهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ
وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
ثُمَّ يُصْحِكُمْ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً
لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾
[سورة الحج : ٥٢ ، ٥٣] .

وقد ذكر الله تعالى قصة آدم ونوح وداود وسليمان وموسى وغيرهم ،
كما تلونا بعض ذلك فيما ذكرناه من توبة الأنبياء واستغفارهم ، كقوله :
﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [سورة البقرة : ٣٧] .

وقول نوح : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ
وَالَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة هود : ٤٧] .

وقول إبراهيم : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
الْحِسَابُ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤١]

مذهب السلف
وأهل السنة
هو القول بتوبة
الأنبياء

ظ ٨٠

وقوله : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾
[سورة الشعراء : ٨٢] .

وقوله سبحانه : ﴿ فاعلم أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [سورة محمد : ١٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَذَا الثَّنُونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ
عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ
مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا
سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ إلى قوله : ﴿ ظَنَّ
دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ
وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ
وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي
مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ الآية
[سورة م : ١٧ - ٣٥] .

ولما كان اليهود ضد النصارى حيث قتلوا الأنبياء وكذبوهم جحدوا نبوة
داود ، وهم لنبوة سليمان أجحد ، وزعموا أنهما كانا حكيمين ، وأن داود كان
مسيحاً . وقد نزه الله سليمان مما تلت الشياطين على ملكه مما اتبعه السحرة من
الصابئة والمشركين ومن اتبعهم من أهل الكتاب والمنسبين إلى هذه الملة .
والسامرة أعظم جحوداً ، لا يقرون إلا بنبوه موسى خاصة ، وبوشع بعده .

اليهود فرطوا
في حق الأنبياء

والله سبحانه قد هدى الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدى الإسلام هو الصراط المستقيم
 من يشاء إلى صراط مستقيم ، كما اختلفت الأمتان في المسح ، فقال تعالى :
 ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ * مَا كَانَ لِلَّهِ
 أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿
 [سورة مريم : ٣٤ ، ٣٥] .

وكذلك المنحرفون من هذه الأمة قد اختلفوا في علي وغيره كما تقدم ، فتجد
 أحدهم يغلو في الرجل العالم والعابد ، حتى يعتقد عصمته ، أو يجعله كالأنبياء
 أو فوقهم ، أو يجعل لهم حظا في الإلهية . وتجد الآخر يقدح في ذلك ، وربما
 كفره أو فتنه أو أخرجه عن أن يكون من أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون .
 فالأول يحمل ما صدر منه من اجتهاد وعمل صوابا وإن كان خطأ وذنبا ،
 والآخر يحمل صدور الذنب والخطأ منه مانعا من ولايته ووجوب موالاته .

وكلا القولين خطأ موروث عن أهل الكتابين . كما قال صلى الله عليه
 وسلم في الحديث المتفق عليه : « لتركبن سنن من كان قبلكم حذوا القذة بالقذة
 حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه . قالوا : اليهود والنصارى وقال : فن ؟! »^(١)

(١) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ، ولكن روى البخارى ٩ / ١٠٣ (كتاب الاعتصام
 بالكتاب والسنة ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لتبعن سنن من كان قبلكم) ؛ وسلم
 ٥٧ / ٨ - ٥٨ (كتاب العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى) عن أبي سعيد الخدري رضى
 الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا
 بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموه . قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟
 قال : فن » . وجاء الحديث بمعناه عن أبي سعيد وأبي هريرة وغيرهما من الصحابة رضوان
 الله عليهم في المسند (ط . الحلبي) . وانظر مثلا : ٢ / ٣٢٧ ، ٣٦٧ ، ٤٥٠ ، ٥١١ ،
 ٥٢٧ ، ٣ / ٨٤ ، ٩٤ . وهو في سنن ابن ماجه ٢ / ١٣٢٢ (كتاب الفتن ، باب
 افتراق الأمم) ؛ سنن الترمذى ٩ / ٢٦ - ٢٨ (كتاب الفتن ، باب ما جاء لتركبن سنن
 من كان قبلكم) .

وقد ثبت في صحيح البخارى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في أم القرآن أنها أفضل سورة في القرآن وأنه لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها ، وأنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذى أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [سورة الحجر : ٨٧] (١) .

وثبت في صحيح مسلم أن الله تعالى يقول : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين ، فنصفها لى ونصفها لعبدى ، ولعبدى / ما سأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله : حمدنى عبدى . فإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال : أثنى على عبدى . فإذا قال : مالك يوم الدين ، قال : مجّدتنى عبدى . فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال : هذه الآية بيني وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل . فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، قال : فهو لاء لعبدى ، ولعبدى ما سأل » (٢) .

س ٨١

وهذه البدع هى وغيرها من البدع لا بد أن تنافى كمال الإيمان ، وتقبح في بعض حقائقه ، فإن رأس الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده

== وقال ابن الأثير (النهاية في غريب الحديث مادة : قذذ) : « القذذ ريش السهم واحدها قذذ ، ومنه الحديث : لتركبن . . . أى كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبها وتقطع » .

(١) انظر البخارى ٨١ / ٦ (كتاب التفسير ، سورة الحجر) ، ٦ / ١٨٧ (كتاب فضائل القرآن ، باب فاتحة الكتاب) ؛ الترغيب والترهيب ٣ / ٢٥ - ٢٨ .

(٢) جاء هذا الحديث مع اختلاف في اللفظ عن أبي هريرة رضى الله عنه في صحيح مسلم ١٠ / ٩ - ١٠ (كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة . الخ) وأوله : عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ومن صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فى خداج - ثلاثا - غير تمام » فقيل لأبي هريرة : إنا نكون وراء الإمام ؟ فقال : اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى : قسمت الصلاة . . . الحديث » . ورواه بمعناه الترمذى في سنة ١١ / ٦٩ - ٧١ (كتاب التفسير ، سورة الفاتحة) .

ورسوله . فلا بد من إخلاص الدين لله ، حتى لا يكون في القلب تآله لغير الله ، فمتى كان في القلب تآله لغير الله فذاك شرك يقدح في تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله . ولا بد من الشهادة بأن محمداً رسول الله ، وذلك يتضمن تصديقه في كل ما أخبر ، وطاعته فيما أمر به ، ومن ذلك الإيمان بأنه خاتم النبيين ، وأنه لا نبي بعده ، فمتى جعل لغيره نصيباً من خصائص الرسالة والنبوة كان في ذلك نصيب من الإيمان بنبي بعده ورسول بعده ، كالمؤمنين بنبوة مسيلمة والعنسي وغيرهما من المتنبئين الكذابين ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « إن بين يدي الساعة ثلاثين دجالين كذا بين كلهم يزعم أنه رسول الله » (١) .

عصمة الأئمة
تعني مضاهاتهم
لرسول

فمن أوجب طاعة أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما يأمر به ، وأوجب تصديقه في كل ما ينهى به ، وأثبت عصمته أو حفظه في كل ما يأمر به وينهى من الدين - فقد جعل فيه من المكافأة لرسول الله والمضاهاة له في خصائص الرسالة بحسب ذلك ، سواء جعل ذلك المضاهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة أو بعض القرابة أو بعض الأئمة والمشايخ أو الأمراء من الملوك وغيرهم .

وقد قال الله في كتابه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [سورة النساء : ٥٩] .

فغاية الطاع ياذن الله أن يكون من أولى الأمر الذين أمر الله بطاعتهم من العلماء والأمراء ومن يدخل في ذلك من المشايخ والملوك وكل متبوع ؛ فإن الله تعالى أمر بطاعتهم مع طاعة رسوله ، كما قال : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ، فلم يقل : وأطيعوا أولى الأمر ، ليبين أن طاعتهم فيما

(١) انظر ما سبق ، ص ١٩٢ ت ١ .

كان طاعة للرسول أيضاً ، إذ اندراج طاعة الرسول في طاعة الله أمر معلوم ؛ فلم يكن تكرير لفظ الطاعة فيه مؤذناً بالفرق ، بخلاف ما لو قيل : أطيعوا الرسول وأطيعوا أولى الأمر منكم ، فإنه قد يوم طاعة كل منهما على حياله .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال : « إنما الطاعة في المعروف » ^(١) ، وقال : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ^(٢) ، وقال : « على المرء المسلم الطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » ^(٣) .

ولهذا قال سبحانه بعد ذلك : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ فلم يأمر عند التنازع إلا بالرد إلى الله والرسول دون الرد

(١) هذه العبارة جزء من حديث متفق عليه عن علي رضي الله عنه . انظر : البخاري ٦٣ / ٩ (كتاب الأحكام ، باب السمع والطاعة للامام ما لم تكن معصية) ؛ مسلم ١٥ / ٦ (كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية) . ولفظ الحديث : « عن علي رضي الله عنه قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية وأمر عليهم رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه ، فغضب عليهم وقال : أليس قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى . قال : عزمت عليكم لما جمعتم خطباً وأوقدتم ناراً ثم دخلتم فيها . فجمعوا خطباً فأوقدوا ناراً ، فلما هموا بالدخول ، فقام ينظر بعضهم إلى بعض . قال بعضهم : إنما تبعنا النبي صلى الله عليه وسلم فراراً من النار أفندخلها ؟ فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه . فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً ، إنما الطاعة في المعروف » .

(٢) أورده التبريزي في مشكاة المصابيح ٣٢٣ / ٢ عن النواس بن سميان . وقال : « رواه في شرح السنة » وذكر الشيخ ناصر الدين الألباني في تعليقه أنه حديث صحيح وجاء في المسند في (ط . الحلبي) ٦٦ / ٥ بلفظ : « لا طاعة للمخلوق في معصية الله تبارك وتعالى » . وجاء بمعناه المسند (ط . الحلبي) ٤ / ٤٣٢ ، ٥ / ٦٦ - ٦٧ ؛ المستدرک للحاكم ٣ / ٤٤٣ . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » .

(٣) الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما في : البخاري ٦٣ / ٩ (نفس الكتاب والباب) . وهو بمعناه مع اختلاف في اللفظ في : البخاري ٤ / ٤٩ - ٥٠ ؛ سنن الترمذي ٢٠٢ / ٧ (كتاب الجهاد ، باب ما جاء لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق) .

إلى أولى الأمر، ولهذا كان أولو الأمر إذا اجتمعوا لا يجمعون على ضلالة، فإذا تنازعوا فالرد إلى كتاب الله وسنة رسوله لا إلى غير ذلك من عالم أو أمير ومن يدخل في ذلك من المشايخ والملوك وغيرهم، ولو كان غير الرسول معصوماً أو محفوظاً فيما يأمر به ويحبر به لكان ممن ^(١) يردّ إليه مواقع النزاع، كما يردّه القائلون بإمام معصوم إليه، وكما جرت عادة كثير من الأتباع أن يردّوا ما تنازعوا فيه إلى الإمام والقادة الذي يقلّدونه.

ومعلوم أن علماء الطوائف ومقتصديهم لا يرون هذا الرد واجباً على الإطلاق، لكن قد يفعلون ذلك لأنه لا طريق لهم إلى معرفة الحق واتباعه إلا ذلك لعجزهم عما سوى ذلك، فيكونون معذورين. وقد يفعلون ذلك اتباعاً لهوهم في محبتهم لذلك الشخص وبغضهم لنظرائه ^(٢) فيكونون غير معذورين، ولكن من اعتقد من هؤلاء في متبوعه أنه معصوم، أو أنه محفوظ عن الذنوب والخطأ في الاجتهاد، فذلك مردود عليه بلا نزاع بين أهل العلم والإيمان.

القلوب البشرية
يؤدي إلى الشرك

ولهذا إنما يقول ذلك غلاة الطوائف الذين يغلب عليهم اتباع الظن وما تهوى الأنفس، وقد غلب على أحدهم جهله وظلمه. وكما أن القلوب في غير الرسول صلى الله عليه وسلم فيه قدح في منصب الرسول وما خصّه الله به، وهو أحد أصول الإسلام، فكذلك القلوب في غير الله فيه قدح فيما يجب لله من الألوهية وفيما يستحقه من صفاته. فن غلا في البشر أو غيرهم فجعلهم شركاء في الألوهية أو الربوبية فقد عدل بربه وأشرك به وجعل له نداً، ومن زعم أن الله ذم أحداً من البشر أو عاقبه على ما فعله، ولم يكن ذلك ذنباً، فقد قدح فيما أخبر الله به وما وجب له من حكمته وعدله: فالجاهل يريد تنزيه الصحابة

(١) في الأصل: من.

(٢) في الأصل: وبغضهم له على نظرائه.

أو العلماء أو المشايخ من شيء لا يضرهم ولا يضرهم ثبوته فيقدح في الرسول أو في الله تعالى ، ويريد تنزيه الأنبياء عما لا يضرهم ثبوته ، بل هو رفع درجة لهم ، فيقدح في الربوبية . فتدبر هذا فإنه نافع .

بطلان القول
بعضة الأنبياء من
التوبة من الذنوب

والقائلون بعضة الأنبياء من التوبة من الذنوب ليس لهم حجة من كتاب الله وسنة رسوله ، ولا لهم إمام من سلف الأمة وأئمتها ، وإنما مبدأ قولهم من أهل الأهواء كالروافض والمعتزلة ، وحجتهم آراء ضعيفة من جنس قول الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم الذين قال الله فيهم : ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [سورة الحج : ٥٣] .

وعدة من وافقهم من الفقهاء أن الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أفعاله مشروع ، ولولا ذلك ما جاز الاقتداء به . وهذا ضعيف ، فإنه قد تقدم أنهم لا يُقرُّون ، بل لا بد من التوبة والبيان . والاقتداء إنما يكون بما استقر عليه الأمر ، فأما المنسوخ والمنهى عنه والمتوب منه فلا قدوة فيه بالاتفاق . فإذا كانت الأقوال المنسوخة لا قدوة فيها ، فالأفعال التي لم يقر عليها أولى بذلك .

تفصيل مذهب
هل السنة في ذلك

وأما مذهب السلف والأئمة وأهل السنة والجماعة القائلين بما دل عليه الكتاب والسنة من توبة الأنبياء من الذنوب ، فقد ذكرنا من آيات القرآن ما فيه دلالات على ذلك .

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو : « اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي ، وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني . اللهم اغفر لي جدتي وهزلي ، وخطئي وعمدي ، وكل ذلك عندي . اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ،

وأما أنت أعلم به مني . أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير» (١) .

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في استفتاح الصلاة : « اللهم أنت الملك لا شريك لك ، أنت ربى وأنا عبدك ، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي ، فاغفرلى ذنوبى جميعا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، واهدنى لأحسن الأخلاق فإنه لا يهذى لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنى سيئها فإنه لا يصرف عنى سيئها إلا أنت » قال : ثم يكون من آخر ما يقول (٢) بين التشهد والنسلم : « اللهم اغفرلى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت » (٣) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير والقراءة إسكاته ، فقلت : بأبى وأمى يا رسول الله ، إسكاتك بين التكبير والقراءة ماتقول ؟ قال : « أقول : اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقى من الخطايا كما

(١) الحديث فى : البخارى ٨ / ٨٤ - ٨٥ (كتاب الدعوات ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفرلى ما قدمت وما أخرت) ؛ مسلم ٨ / ٨١ (كتاب الذكر والدعاء ، باب التعوذ من شر ما عمل) .

(٢) فى الأصل : يكون ، والتصويب من صحيح مسلم .

(٣) هذا جزء من حديث رواه مسلم فى صحيحه ٢ / ١٨٥ - ١٨٦ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامه) وأوله : .. عن على بن أبى طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال : « وجهت وجهى للذى فطر السماوات . . . اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، أنت ربى وأنا عبدك ... الحديث » . وهو فى المسند (ط . المعارف) ٢ / ١٠٠ - ١٠١ (رقم ٧٢٩) ومع اختلاف فى القبط ٢ / ١٣٤ - ١٣٥ (الأرقام : ٨٠٣ - ٨٠٥) .

يُنْتَقَى التَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ . اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالتَّلَجِ وَالْبَرْدِ^(١) .
وفي الصحيحين عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكثُرُ أن يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبمحمدك اللهم
اغفر لي » يتأول القرآن^(٢) .

وفي الصحيح أيضاً عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول في سجوده : « اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دقه وجله ، وأوله وآخره ،
وعلايته وسره ، وقليله وكثيره »^(٣) .

وقد تقدم قوله في الحديث الصحيح : « إني لأستغفر الله وأتوب إليه في
اليوم أكثر من سبعين مرة »^(٤) ، وقوله : « يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإنني
أتوب إليه في اليوم مائة مرة »^(٥) ، وقوله : « إنه ليُبَغِّضَ علي قلبي وإني لأستغفر
الله في اليوم مائة مرة »^(٦) . وتقدم أيضاً أنهم كانوا يعدون لرسول الله صلى الله
عليه وسلم في المجلس الواحد يقول : « رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب
الغفور » مائة مرة^(٧) .

وفي الصحيحين عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبّر على كل شرف من الأرض ثلاث

(١) الحديث في : البخاري ١ / ١٤٥ (كتاب الأذان ، باب ما يقول بعد التكبير) ؛
مسلم ٢ / ٩٨ - ٩٩ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب ما يقال بين تكبيرة
الإحرام والقراءة) .

(٢) الحديث في : البخاري ١ / ١٥٩ (كتاب الأذان ، باب التسيب والدعاء في السجود) ؛
مسلم ٢ / ٥٠ (كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود) .

(٣) الحديث في مسلم ٢ / ٥٠ (نفس الكتاب والباب) .

(٤) انظر ما تقدم ، ص ٢٢٤ ، ت ٣ .

(٥) انظر ما تقدم ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ت ١ .

(٦) انظر ما تقدم ، ص ٢٢٤ ، ت ٢ .

(٧) انظر ما تقدم ، ص ٢٢٦ ، ت ٣ .

تكبيرات ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . آيئون تائبون عابدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » ^(١) .

وفي السنن عن عليّ أنه أتى بدابة ليركبها ، فلما وضع رجله في الركاب قال : « بسم الله » ، فلما استوى على ظهرها قال : « الحمد لله ، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرّنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون » ثم قال : « الحمد لله - ثلاثا - سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » ثم ضحك ، فقيل : من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين ؟ قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت ثم ضحك ، فقلت : من أي شيء ضحكت يا رسول الله ؟ فقال : « إن ربك ليعجب من عبده إذا قال رب اغفر لي ذنوبي ، يقول : يعلم أن الذنوب لا يغفرها أحد غيري » ^(٢) .

(١) الحديث في : البخارى ٨ / ٨٢ (كتاب الدعوات ، باب الدعاء إذا أراد سفرأ أو رجع) ؛ مسام ٤ / ١٠٥ (كتاب الحج ، باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره) . وهو في المسند (ط . المعارف) الأرقام : ٤٤٩٦ ، ٤٥٦٩ ، ٤٦٣٦ ، ٤٧٩٧ ، ٤٩٦٠ ، ٥٢٩٥ .

(٢) الحديث في سنن الترمذى ١٣ / ٦ - ٧ (كتاب الدعاء ، باب ما يقول إذا ركب الناقة) وقال الترمذى : « وفي الباب عن ابن عمر رضى الله عنهما . قال : هذا حديث حسن صحيح » .

فَصِّلْ فِي أَنَّ دِينَ الْأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ

﴿فصل﴾

قوله صلى الله عليه وسلم : « إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد »^(١)

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [سورة المؤمنون : ٥١ ، ٥٢] :
 أى ملتكم ملة واحدة ، كقوله : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾ [سورة الزخرف : ٢٢ ، ٢٣] : أى على ملة وقال : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ الآية [سورة الشورى : ١٣] .

فدين الأنبياء واحد ، وهو دين الإسلام ، لأن بعض الشرائع تتنوع ، فقد يشرع في وقت أمراً لحكمة ثم يشرع في وقت آخر أمراً آخر لحكمة ، كما شرع في أول الإسلام الصلاة إلى بيت المقدس ، ثم نسخ ذلك وأمر بالصلاة إلى الكعبة ، فتنوعت الشريعة والدين واحد ، وكان استقبال الشام / من ذلك

ص ٢٠٦

(١) ذكر ابن تيمية الحديث بتمامه في الجواب الصحيح ١/ ٥ (ط . المدني) فقال : « ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد ، وأنا أولى الناس بأبي مريم لأنه ليس بيني وبينه نبى » . ولم أجد الحديث بهذا اللفظ ولكن روى البخارى في صحيحه ٤ / ١٦٧ (كتاب الأنبياء ، باب واذكر في الكتاب مريم) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد » . وروى حديثاً آخر يقاربه في اللفظ في نفس الصفحة وروى مسلم ٧ / ٩٦ (كتاب الفضائل ، باب فضائل عيسى عليه السلام) الحديث عن أبي هريرة بالفاظ مقاربة من ثلاثة طرق . والحديث بمعناه في سنن أبي داود ٤ / ٣٠٢ (كتاب السنة ، باب في التخيير بين الأنبياء) ؟ المسند (ط . الحلبي) ٢ / ٣١٩ ، ٤٠٦ ، ٤٣٧ ، ٤٦٣ ، ٤٨٢ ، ٥٤١ ؟ ترتيب مسند الطيالسي ٢ / ٨٤ .

الوقت من دين الإسلام ، وكذلك السبت لموسى من دين الإسلام ، ثم لما صار دين الإسلام هو الناسخ وهو الصلاة إلى الكعبة ، فمن تمسك بالنسوخ فليس على دين الإسلام ، ولا هو من الأنبياء .

ومن ترك شرع الأنبياء وابتدع شرعاً فشرعه باطل لا يجوز اتباعه ، كما قال : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ ﴾ [سورة الثورى : ٢١] ؛ ولهذا كفرت اليهود والنصارى لأنهم تمسكوا بشرع منسوخ .

والله أوجب على جميع الخلق أن يؤمنوا بجميع كتبه ورسله ، ومحمد خاتم الرسل ، فعلى جميع الخلق اتباعه واتباع ماشرعه من الدين ، هو ما أتى به من الكتاب والسنة^(١) .

(١) تكلم ابن تيمية عن هذا الموضوع : أن دين الأنبياء واحد هو دين الإسلام ، في عدة مواضع من كتبه . انظر مثلاً : الجواب الصحيح (ط . المدني) ١ / ٢ - ١٣ : الرد على المنطقيين (ط . بومباي ١٣٦٨ / ١٩٤٩) ، ص ٢٩١ - ٢٩٣ ؛ اقتضاء الصراط المستقيم (ط . السنة المحمدية ١٣٦٩ / ١٩٥٠) ، ص ٤٥٠ - ٤٥٦ .

فَصِيلُ فِي الدَّلِيلِ عَلَى فَصِيلِ الْعَرَبِ

﴿ فصل ﴾

الدليل على فضل العرب مارواه الترمذى عن العباس بن عبد المطلب قال :
« قلت : يا رسول الله إن قريشاً جلسوا يتذاكرون أحسابهم بينهم ، فجعلوا
مثلك كمثل نخلة في كُبوة من الأرض . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله
خلق الخلق فجعلني في خير فرقتهم ، ثم خير القبائل فجعلني في خير قبيلة ، ثم
خير البيوت فجعلني في خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً » . قال
الترمذى : هذا حديث حسن ^(١) .

والكُبا بالكسر والقصر ، والكُبة الكناسة ^(٢) . والمعنى أن النخلة
طيبة في نفسها ، وإن كان أصلها ليس بذاك .

وعن سلمان قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا سلمان لا تبغضني
فتفارق دينك . قلت : يا رسول الله وكيف أبغضك وبك هداني الله ؟ قال :
تبغض العرب فتبغضني » . قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب ^(٣) .
وروى أبو جعفر الحافظ الكوفي عن ابن عباس قال : قال رسول الله

(١) الحديث في سنن الترمذى ١٣ / ٩٥ - ٩٦ (كتاب المناقب ، باب في فضل النبي
صلى الله عليه وسلم) إلا أن فيه : « . . . من خير فرقتهم وخير الفريقين ، ثم تخير القبائل
فجعلني من خير قبيلة ، ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم . . . الحديث » .
(٢) قال ابن العربي في شرح الحديث ١٣ / ٩٨ : « الكُبة بضم الكاف وفتحها
يقال على المذلة ويقال على الرُوبة والمراد ههنا الرُوبة . وقال شمر : لم نسمع الكُبة ولكننا
سمعنا الكُبا بكسر الكاف - والكُبة - بضمها وتخفيف الباء - وهي الكناسة والتراب
الذى يكس من البيت » .

(٣) الحديث في سنن الترمذى ١٣ / ٢٨١ (كتاب المناقب ، باب في فضل العرب)
إلا أن فيه : وبك هدانا الله . والحديث في المسند (ط. المعارف) ٣ / ٢٢٣ - ٢٢٤ (رقم
١٧٨٨) ، وأورده العراقي في القرب في محبة العرب (ط. الإسكندرية ١٣٨١/١٩٦١) ص
١٠٠ وانظر تعليق المحقق ؛ والطبائسى ؛ في مسنده ، انظر ترتيب مسند الطيالسى ٢ / ٢٠٠ ؛
والحاكم في المستدرک ٤ / ٨٦ .

صلى الله عليه وسلم : « أَحِبُّوا العرب لثلاث : لأني عربي ، والقرآن عربي ،
ولسان أهل الجنة عربي » . قال الحافظ السلفي : هذا حديث حسن ؛ فما أدرى
أراد حسن إسناده على طريقة المحدثين ، أو حسن مقننه على الاصطلاح العام ،
وأبو الفرج بن الجوزي ذكره في « الموضوعات » ؟ !^(١) .

وقال سلمان : « يا معشر العرب لتفضيل رسول الله إياكم لا ننكح
نساءكم ولا تؤمكم في الصلاة » ، وإسناده جيد^(٢) ، رواه محمد بن أبي عمر
العدني^(٣) ، وسعيد في « سننه »^(٤) .

(١) الحديث في المستدرک للحاکم ٨٧/٤ . والحديث رواه الطبرانی في المعجم الكبير
والبيهقي في شعب الإیمان والعقبی في الضعفاء . وله شاهد من حديث أبي هريرة : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي » .
وقد اختلف في حديث ابن عباس وأكثر العلماء على أنه ضعيف أو موضوع . وانظر
ما ذكر عنه وعن حديث أبي هريرة في : اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ، ص ١٥٨ ؛
كشف الحفاء للمجلوني ١ / ٥٤ ؛ اللآلئ المصنوعة للسيوطي ١ / ٤٤٢ ؛ الفوائد المجموعة
لشوكاني ، ص ٤١٣ ؛ تنزيه الشريعة لابن عراق ٢ / ٣٠-٣١ ؛ سلسلة الأحاديث الضعيفة
والموضوعة لناصر الدين الألباني ، المجلد الأول ج ٢ ، ص ٥٦ - ٦٠ (ط دمشق ، ١٣٨٢)
القرب في حجة العرب للعراق ، ص ٩٦ - ٩٧ ؛ مشكاة المصابيح ٣ / ٢١٦ ؛ المقاصد الحسنة
للسخاوي ، ص ٢٢ - ٢٣ ، تميز الطيب من الخبيث لابن الديبع ، ص ٧ .

(٢) ذكره ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ١٥٨ - ١٥٩ وقال إن أبا بكر
البراز ممن رواه أيضا .

(٣) قال ابن حجر في تقريب التهذيب ، ص ٢١٨ : « محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني
نزحل مكة ، ويقال إن أبا عمر كنيته يحيى ، صنف المسند ، وكان لازم ابن عينية ، لكن قال
أبو حاتم : كانت فيه غفلة ، من العاشرة ، مات قبل سنة ثلاث وأربعين » . والعدني نسبة
إلى عدن ، وقد توفي سنة ٢٤٣ . وانظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٠١ ؛ الجرح
والتعديل ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٢٤ ؛ اللباب لابن الأثير ٢ / ١٢٦ .

(٤) أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة المروزي ويقال الطالقاني ثم البليخي صاحب
السنن . توفي بمكة سنة ٢٢٧ . انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ ٢ / ٤١٦ ، الجرح والتعديل
ج ٢ ، ق ١ ، ص ٦٨ ؛ طبقات ابن سعد ٥ / ٥٠٢ .

ولما وضع عمر الديوان للعطاء كتب الناس على قدر أنسابهم فبدأ بالأقرب فالأقرب إلى رسول الله ، فلما انقضت العرب ذكر العجم . هكذا كان الديوان على [عهد] ^(١) الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس ، إلى أن تغير الأمر بعد ذلك ؛ والأحاديث والآثار في ذلك كثيرة أصحها ما ذكرناه .

سبب ما اختص
به العرب من
الفضل

وسبب ما اختصاصا به من الفضل - والله أعلم - ما جعل الله لهم من العقول والألسنة والأخلاق والأعمال ، وذلك أن الفضل إما بالعلم النافع أو العمل الصالح ، والعلم له مبدأ : وهو قوة العقل الذي هو الفهم والحفظ ، وتمام : وهو قوة المنطق الذي هو البيان والعبارة . فالعرب هم أفهم وأحفظ وأقدر على البيان والعبارة ، ولسانهم أتم الألسنة بيانا وتميزا للمعاني .

وأما العمل فإن مبناه على الأخلاق ، وهي الفرائض المخلوقة في النفس . ففرائضهم أطوع من غرائض غيرهم ، فهم أقرب إلى السخاء والحلم والشجاعة والوفاء من غيرهم ، ولكن حازوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير معطلة عن فعله ، ليس عندهم علم منزل ولا شريعة ماثورة ولا اشتغلوا ببعض العلوم ، بخلاف غيرهم فإنهم كانت بين أظهرهم الكتب المنزلة وأقوال الأنبياء فضلاً للضعف عقولهم وخبث غرائضهم .

وإنما كان علم العرب ماسمحت به قرائحهم من الشعر والخطب ، أو ما حفظوه من أنسابهم وأيامهم ، أو ما احتاجوا إليه في دنياهم من الأنواء والنجوم والحروب . فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى تلقفوه عنه بعد مجاهدة شديدة ، ونقلهم الله عن تلك العادات الجاهلية التي كانت قد أحالت قلوبهم عن فطرتها ، فلما تلقوا عنه ذلك الهدى زالت تلك الربوب عن قلوبهم ، فقبلوا هذا الهدى العظيم ، وأخذوه بتلك الفطرة الجيدة ، فاجتمع لهم الكمال بالقوة

(١) عهد : ساقطة من الأصل .

المخلوقة فيهم ، والكمال الذى أنزله الله إليهم ، بمنزله أرض طيبة فى نفسها لكن هى معطلة عن الحرث ، أوقد نبت فيها شجر العضاء والعوسج ، وصارت مأوى الخنازير والسباع ، فإذا طهرت عن ذلك المؤذى من الشجر وغيره من الدواب ، وازدرع فيها أفضل الحبوب أو الثمار جاء فيها من الحب والتمر مالا يوصف مثله .

فصار السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل خلق الله سوى الأنبياء ، وصار أفضل الناس بعدهم من اتبعهم بإحسان - رضى الله عنهم - إلى يوم القيامة من العرب والعجم ^(١) .
والله سبحانه أعلم . والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وسلم تسليما ^(٢) .

(١) تكلم ابن تيمية عن فضل العرب بمزيد من التفصيل فى « اقتضاء الصراط المستقيم » ص ١٤٨ - ١٦٢ .

(٢) بعد هذا السطر فى آخر الرسالة كتب ما يلى :

إذا المرء لم يرض ما أمكنه	ولم يأت من أمره أحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره	سيضحك يوما ويكى سنه

لشيخ الإسلام .

صح تصح لك الأمور جميع	لايك عن طرق الهداة تضيق
وامح واثبت ما تحقق باقى	لايك عن طرق الهدى تضيق
لا تصحب الأردلين فإنهم	يوم التفان جيلهم مقطوع

الفهارس

- ١ - فهرس الآيات القرآنية .
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية .
- ٣ - فهرس الشعر واللغة .
- ٤ - فهرس الأعلام .
- ٥ - فهرس القبائل والفرق والطوائف .
- ٦ - فهرس الأماكن والبلدان .
- ٧ - فهرس المصطلحات والبحوث الفرعية .
- ٨ - فهرس الكتب .
- ٩ - فهرس مراجع التحقيق .
- ١٠ - فهرس التصويبات والاستدراكات .
- ١١ - فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآية	ص	س
الفاتحة	٢	١٠٨	٢
	٥	٨٢	٨
		٩١	١٥
		١٠٨	٣
	٧٤٦	٩٨	١٧-١٦
البقرة		١٠٩	١١-١٠
		٢٢٨	١٤-١٢
	١٠	٢٢٩	١٥
	٢١	٩١	١٨
	٢٣	٩٥	٢٠
	٢٨	١١٠	٧
	٣٧-٣٥	٢٢٠	٢٠-١٥
	٣٧	٢٦٩	١٧
	٥٨	٢٨	١
			٢٠-١٨
		٢٩	٥-٤
			٧
			١٣
	٥٩	٢٩	٩-٧
		٣١	٤-٣
	٧٤	٤٠	١٢

س	ص	الآية	السورة
٨-٧	٤٢		
٢	٨١	٧٥	
١١-١٠	٢٤٦	٨٨	
٥	٩٢	٩٨	
١٥	٤	١١٦	
٥-٤	٩		
٨			
١٣			
٤	١٧		
٦			
٨			
٢٤			
١٢	١٨		
١٥-١٤	٢٢		
١٧-١٦			
٦-٤	٢٣		
١٨	٢٦		
٨-٦	٣	١١٧-١١٦	
١-٢٠	٢٢٢-٢٢١	١٢٨	
١٨	١٤٥	١٦٤	
٧-٤	٢٥٨	١٩٩، ١٩٨	
٧	١٨٣	٢١٤	
١	٢٢٣	٢٢٢	
١٠-٩	٦	٢٣٨	

السورة	الآية	ص	س
	٢٣٩	٣٥	٦
	٢٤٢	١٨٣	٦-٥
	٢٥٥	٢٦٥	١٦-١٥
	٢٨٤	٢٣٩	١٨
	٢٨٦	١٣٥	١٦-١٥
		١٤٨	١٢-١١
		٢٣٩	١٣
	١١	٢١٤	٢
آل عمران	١٣	٥٦	١٧-١٥
	١٧	٢٥٨	٢
	٢٦	١٣٧	٤-٣
	٣٣	٢١٣	١٠-٩
	٤٣	٨	٩
			١٢
		١٧	٢٦-٢٥
			٢٨
	٨٠، ٦٧٩	٢٥٩	١٨-١٤
	٨٣	٣	١٣-١٢
		٢٣	٢٠
		٢٤	٤
	٨٥، ١٨٤	٢٤	٩-٥
	٩٧	١٤٩	٢-١
	١٣٧	٥٠	١
			١٨-١٧

السورة	الآية	ص	س
	١٤٠	١٧٩	٩
	١٤٢	١٨٣	٧
	١٦٠، ١٥٩	٩٤	٢٠-١٧
	١٦٠	٩٥	٣-٢
			١٠-٩
	١٦٣، ١٦٢	١٣٣	١٠
	١٧٣	٨٩	٤-٣
	١٧٤، ١٨٣	٩٠	١٤-١٣
النساء	١	١٦٥	٦
	٦	٢٦٣	١٥-١٣
	١٧	٢٣٦	١٢-١١
	٣١	٢٦٨	٨-٧
	٣٤	٥	١٣-١٢
		٨	١
	٥٩	٢٧٣	١٨-١٥
			٢٢-٢١
		٢٧٤	١٠-٨
	٦٨-٦٦	٢٣٠	٥-٤
		٢٣٧	٢١-١٩
	٧٩	٢٧	٨-٧
		١٣٤	١٢-١١
	٩٥	٢٤٢	٤-٣
		٢٥٢	١٣-١٠
	١٢٣	١١٥	١٣-١٢

السورة	الآية	ص	س
	١٥٥	٢٤٦	١٣-١٢
	١٧١	٢٥٩	١١-٩
	١٧٢	٢٢	١٣-١٢
	١٨٠	٢٠٨	١٤-١٣
المائدة	٥	٢٤٩	٩-٨
	١٨	١١٥	٩
	٢٧	٢٥٧	٥
	٤٤	٢٣٤	١٢-١١
	٦٠	١٣٣	٤-٢
	٦٧	١٣٢	٦-٥
	٧٢	٢٦٥	٢٣-٢٠
	٧٤، ٧٣	٢٣٩	٨-٥
	٧٧	٢٢٨	١٩-١٨
		٢٥٩	١٣-١٢
الأنعام	٤٢	١٣٥	١٩-١٨
	٤٥-٤٢	٥٧	٩-٨
			٢٣-٢٠
	٤٧	٥٦	١١-١٠
	٥٤	٢٣٧	٣-١
	١١٠	٢٤٦	١٠-٩
	١٢٢	٢٤٣	٥-٤
	١٣٢	١١٦	٩
		١٣٣	١٠
الأعراف	١٧، ١٦	٢٣٥	٤-٢

السورة	الآية	ص	س
	٢٣، ٢٢	٢٢١	٣-١
	٢٩	٧٧	٢
	٤٣	١٤٥	٤-٣
			١١
	٥٧	٩٧	١٦-١٥
		١٤٥	١٧
	٩٥، ٩٤	٥٧	١١-١٠
	١٠٥، ١٠٤	٢١٢	٨-٦
	١٤٣	٢٢٢	٧-٦
	١٤٥	١٣٦	٢٠-١٨
	١٤٦	٢٢٩	٤-١
	١٥١	٢٢٢	٦-٥
	١٥٥	١٣٨	٦-٥
	١٥٧-١٥٥	٢٢٢	١٦-١٠
	١٦١	٢٩-٢٨	٢١-٢٩ (ص ٢٩)
		٢٩	٣
			٥-٤
	١٦٨	٥٧	١٦
	١٧٢	١١	١١-١٠
	١٧٦، ١٧٥	٢٢٩	٩-٥
	١٨٠	١٧١	٧-٦
	٥٢-٥٠	١٣٥	١٠-٦
الأَنْفَال	٥٢	١٣٥-١٣٤	١٧-١ (ص ١٣٥)
		١٣٥	١١-١٠

السورة	الآية	ص	س
	٥٣	١٣٤	١٣-١٢
	٥٤، ٥٣	١٣٥	٣-٢
	٥٤	١٣٥	٥
	٦٤	٨٩	٢١-٢٠
العنبرية	٥	٢٣٩	١١-٩
	١٦	١٨٣	٩-٨
	٢٢-١٩	٢٥٣-٢٥٢	١٦-١ (ص ٢٥٣)
	٣١، ٣٠	٢٦٠-٢٥٩	١٩-٢ (ص ٢٦٠)
	٣١	٢٦٠	٢١-٢٠
	١٠٦-١٠٢	٢٢٣	١٧-٩
	١١٨، ١١٧	٢٢٠	١٤-٩
		٢٦٨	١٩-١٤
	١٢٥، ١٢٤	٢٤٩-٢٤٨	٢٠-٣ (ص ٢٤٩)
	١٢٦	٥٧	٦-٥
يونس	١٢	٢٦-٢٥	٢٢-١ (ص ٢٦)
	٦٣، ٦٢	٢٦٧	٨-٧
	٦٨	٤	٢٢-٢٠
	٧١	٩٦	٣-١
			١٣-١١
			١٥
	٧٢	٢٣٤	١٤-١٣
	٨٤	٢٣٤	١٠
	٨٨	٢٠٧	١٥-١٣
	٨٩	٢٠٨	١

سورة	الآية	ص	س
	٩٠	٢٠٣	٨-٧
		٢٠٧	٩-٧
	٩١	٢٠٧	١١-١٠
	٩٢-٩١	٢٠٨	١٧-١٦
هود	١	١٦٢	٧-٦
	٣-١	٢١٩	١٢-٨
	٧	٢٥٧	١٠
	١١-٩	٨٤	٧-٤
	٢٠-١٨	٢٤٦	٦-١
	٢٤	٢٤٣	٤-٣
	٤٥	١٢٧	٤-٣
			٢٥-٢٤
	٤٧	٢٢١	١١-١٠
		٢٦٦	١٩-١٨
	٥٢	٢٢١	١٤-١٢
	٥٦-٥٤	٩٦	٨-٥
	٥٦-٥٥	٩٧-٩٦	١-٢٠ (ص ٩٧)
	٥٦	٢٥	١٧-١٦
	٦١	٢٢١	١٥-١٤
	٨٨	٨٢	١٤-١٣
		٩١	١٠-٩
	٩٠	٢٢١	١٧-١٦
	٩٩-٩٦	٢١٥	١٣-١٢
	٩٨	٢١٣	٤

سورة	الآية	ص	س
	٩٩	٢١٦	٢
	١٠٢	٥٦	١٣-١٢
		١٣٥	١٤-١٣
			١٧-١٦
	١٢٣	٨٢	١٣-١٢
		٩١	٧
يوسف	٢٤	١١٥	١٢-١١
	٣٢	٧١	٢-١
	٧٧	١٣٣	٥-٤
	١٠١	٢٣٤	١٦
	١١١	٥٦	١٥-١٤
الرعد	١١	١٣٢	٧-٦
	١٥	٣	١٦-١٥
		١٩-١٨	١-٢١ (ص ١٩)
		٢٧	١٥-١٤
		٣٩	١٠-٩
		٤١	١٥
	٣٠	٩١	١٢-١١
		١٧١	١٢-١١
	٣٨	٥٠	١٣
إبراهيم	١١-٩	١٥	١٥-١٢
	١٩	٧٧	٢٥
	٤١	٢٢١	١٨-١٧
		٢٦٩	٢١-٢٠

السورة	الآية	ص	س
الحجر	٤٨	٥٣	١٠-٩
	٤٠ ، ٣٩	٢٣٥	٦-٥
	٨٥	١٩	٢٢-٢١
	٨٧	٢٧٢	٥-٤
	٩٣ ، ٩٢	٢٤	١١
النحل	٤٨	٢٨	١٤-١٢
		٣٩	٣
	٤٩ ، ٤٨	٤-٣	١٧-٢ (ص ٤)
	٥٠-٤٨	٤١	٨-٥
	٥٣	١٠٧	١٠
الإسراء	٥٤ ، ٥٣	١٣٢	١٣-١٢
	٥٧	١٠٦	٢
	١٢٠	٥	١١
	١	٩٥	١٨
	٢	٨٩	١٢-١١
	١٥	٢٤٤	٨-٧
	٢٣	١٦٦	٨-٧
	٤٢	٢٣-٢٢	٢٢-٢١ (ص ٢٣)
	٤٤	٤	٨-٦
		٤٠	١٣-١٢
		٤٢	١١
	٥٦	٥٥	١٨-١٨
	٥٧ ، ٥٦	٢٢	٢١-١٨

السورة	الآية	ص	س
		٢٦٥	١١-٨
	٦٧	٢٦	٤-٢
	٧٦	٥٠	٢٣-٢٢
	٧٧	٤٩	٧
	٨٢	٢٤٩	٥-٤
	١٠٢	١٥	٤-٣
	١١٠	١٧١	١٠
	١١١	١٠٦	١٣
		٢٥	
		٢٨-٢٧	
الكهف	١٧	٩٩	٤
	٥٥	٥٠	٣-٢
	١٠١، ١٠٠	٢٤٥	٢٠-١٩
	١٠٤، ١٠٣	٢٣١	٩-٧
مريم	٣٥، ٣٤	٢٧١	٤-٣
	٧٦	٢٣٠	٢
	٩٥-٨٨	٤	٢٠-١٦
طه	١٣-١١	١٣٧	١٩-١٨
	١٤	١٥٦	٩-٨
		١٥٧	٢-١
			٨
	٤٦	١٧١	١٦
	٧٣	١٣٣	١
	١١١	١٩	٢

السورة	الآية	ص	س
	١٢٢، ١٢١	٢٢١	٦-٥
		٢٣٥	١٧
الأنبياء	١٦	١٩	١٦
			٢٤
	٢٦-١٦	١٩	٩-٧
	١٧	١٩	١٧
		٢١	١٦-١٥
	١٨	٢١	١٣
		٢٢	٢-١
	٢٠، ١٩	٢٢	٤-٣
	٢٨-٢٦	١٩	٩-٧
	٢٩-٢٦	٥	٢-١
		٢٢	٩-٦
	٣٣	٢٧	٥-٤
	٣٥	٧٧	٣
	٥٦-٥٢	٢٠	٦-٣
	٥٥	٢٠	٧
	٨٣	١٣٧	١١
	٨٨، ٨٧	٢٧٠	٨-٥
الحج	١٨	٤	٥-٣
		٣٨	٤-٣
		٣٩	١٣-١١
		٤٠	
			٦-٥

السورة	الآية	ص	س
		٤١	٣
		٤٢	١٤-١٣
		٤٤	٣-٢
	٣٨	٩٧	١٠
		١٣٢	٥
			١٩
	٥٣، ٥٢	٢٦٩	١٣-١٠
	٥٣	٢٧٦	٩-٨
	٧٧	١٣٧	٢-١
المؤمنون	٥٢، ٥١	٢٨٣	٤-٣
	٧٦-٥١	٥٨	١٣-٧
	٦٠	٢٥٧-٢٥٦	١٨-١ (ص ٢٥٧)
	٧١	٨٤	١٢-١١
	٧٦	١٣٥	٢٠-١٩
	٧٧-٧٦	٥٧	٢-١
	٨٨	١٣٢	٨-٧
	١١٥	١٩	٢٣
	١١٨	١٣٧	١٣-١٢
	٣١	٢٢٠	٧
النور		٢٥٨	١١-١٠
	٤١	٤	٤١-١٣
		١١	٣-٢
		٢٨	١٠-٨
		٤٢	١٢

السورة	الآية	ص	س
		٤٣	١٣
الفرقان	٢٤	١٣٢	١٧-١٦
	٦٠	٧١	٩-٨
الشعراء	٢٩-٢٣	٢١٢	١٤-٨
	٨٣	٢٢١	١٩
	٩٥، ٩٤	٢٣٥	١٢-١١
	١٧٦	٦١	٥
	٢١٣	٢٦٥	٢٠-١٩
	٢٢٢، ٢٢١	١٩٤	١٧-١٦
النمل	٦	١٦٢	٥-٤
	١١، ١٠	٢٢٢	٩-٨
	١٤	١٥	٢
		٢٣٤	٥-٤
	٤٠	١٤٨	١٦-١٥
	٤٤	٢٣٤	١٧
	٥٩	١٣٢	١٦-١٥
	٨٨	١٣٧	٨-٧
القصص	٤	١٣٢	٩-٧
	١٦-١٥	٢٢٢	٤-٢
	٢٣	٦١	٨-٧
	٣٨	٢١١	٧
	٣٩	٢٣٤	٣-٢
	٤٢-٣٩	٢١٥	٩-٥
	٤٢	٢١٥	٢٠-١٩

السورة	الآية	ص	س
المنكيات	٦٣، ٦٢	٢٣٥	٩-٧
	٦٨	١٢٧	١٦-١٥
	٨٣	٢٣٢	١١-١٠
	٣	١٨٣	١٠
الروم	١١	١٨٣	١١
	٦٩	٢٣٠	٣-٢
	٢٥	٢٣	١١-١٠
	٢٧-٢٦	٣	١١-٩
السجدة	٢٧	٢٣	١٤-١٢
	٢٧	٧٧	٤-٣
	٣٢-٣٠	١١٣	٤-٢
	٧	١٣٧	٦
الأحزاب	١٣	١٦٢	٥
	١٧	٩٧	١٨
	١٩	١٤٥	١٤-١٣
	٢١	٥٧	٥-٤
	٣-١	٩١	٣-١
	٣	٩٢	٦
	٣٥	٥	١٦-١٥
	٣٨	٨	٦
	٤٨	٤٩	٩-٨
	٤٨	٩١	٥-٤
	٥٠	٥٠	١١-١٠
	٦٠	٥١	٤

سورة	الآية	ص	س
			١٦-١٥
	٦٢، ٦١	٤٩	١٢-١٠
	٦٢	٥٤	٩
			١٦
	٧٢	٢٢٩	١٢-١١
سبأ	٢٣، ٢٢	٢٦٥	١٥-١٢
فاطر	٨	٢٣١	٥-٤
	١٦	٧٧	٢٥
	٢٢-١٩	٢٤٣-٢٤٢	١٧-٢ (ص ٢٤٣)
	٢٨، ٢٧	٣٨	٩-٧
	٣٢	٢٢٧	١٦-١٥
	٤٣، ٤٢	٥١	٢٢-١٩
	٤٣	٤٩	١٤-١٣
		٥١	١٢-١١
		٥٤	١٢
يس	٢٩	٦٥	١٩
	٣٨	٣٦	١٦
	٨١	٧٧	٥-٤
	٨٢	٩	١٧-١٦
		١٣٨	١٤-١٣
	٨٣	٢٥	١٨-١٧
الصافات	١٠٢	١٦٥	٣-٢
	١٠٧	١٦٥	١٨
	١٣٠	٢١٣	١٢

السورة	الآية	ص	س
ص	١٤-١٢	٢٠٩	١٤-١٢
	٣٥-١٧	٢٧٠	١٤-٩
	١٨	٤٣	١١
	١٩	٤٣	١٢
	٢٣	٣٢	٢٠-١٩
	٢٤	٣٣	١٣-١٢
		٣٥	١٨
		٣٦	١
	٢٧	١٩	٢٠-١٩
	٢٨	٩٨	٤-٣
		١٢٤	٧-٦
	٧	١٤٨	١٥-١٣
	٩	٥	٥-٤
		٦	١٢
		٨	١٥
		٢٤٢	١٥-١٤
الزمر	١٨	١٣٦	٢١-٢٠
	٢٣	١٣٧	٥
	٣٥-٣٣	١٥٠	١٧-١٦
		٢٦٠-٢٥٩	(٢٦٠ ص) ٢-١٧
		٢٦٨	٥٣
	٣٦	٩٥	١٢-١١
	٣٨	٩٥	١٣
			٢١

السورة	الآية	ص	س
غافر	٤٤، ٤٣	٢٦٥	١٨-١٦
	٥٥-٥٣	٢٢٠-٢١٩	١-١٣ (ص ٢٢٠)
	٥٥	١٣٧-١٣٦	١-٢١ (ص ١٣٧)
	٣-١	٢٢٣	٥-٣
	٢٨-٢٣	٢١٠	١٥-٧
	٢٦	٢١١	٥
	٢٨	٢١٤	٨
	٣٦، ٣٥	٢٠٥-٢٠٤	٢-١٤ (ص ٢٠٥)
	٣٧، ٣٦	٢١٠	١٨-١٥
	٣٧	٢١١	١
		٢٣١	٧-٦
		٢٣٢	١٣-١٢
	٤٢، ٤١	٢١٤	١٠-٩
	٤٦، ٤٥	٢١٤	١٥-١٣
فصلت	٤٦	٢١٣	٦
		٢١٤	٥
	٤٨، ٤٧	٢١٥-٢١٤	١-١٧ (ص ٢١٥)
	٦٥	١٠٨	٦-٥
	٨٥-٨٢	٢٠٨	١٠-٤
	٨٥	٤٩	١٥
	١١	٤٠	١١
	٤٦	١٤٨	١٣-١٢
	١٠	٨٢	١٤-١٣
	١٣	٢٨٣	٧-٦
الشورى			

السورة	الآية	ص	س
	٢١	٢٨٤	٥
	٢٦، ٢٥	٢٢٣	٨-٦
	٣٠	٢٧	٦
		١٣٤	١١-١٠
الزخرف	٢٣، ٢٢	٢٨٣	٥
	٣٧، ٣٦	٢٣١	٣-٢
	٥٩	٢٢	١١
الدخان	١٩	٢٣٤	١
	٢٩	٣٧	٩
	٣٠	١٣٧-١٣٨	١٩-١ (ص ١٣٨)
	٣٣، ٣٢	١٣٨	٣-٢
	٣٩، ٣٨	١٩	١٨
	٥٧	١٥٩	١
	١٣	١٠٧	١١
الجاثية	١٦	١٣٨	٤
	٢١	١٢٤	٩-٨
	٢٣	١١٣	١
الأحقاف	١٦	١٥٠	١٤-١٣
		٢٥٩	٥-٤
محمد	١٧	٢٢٩-٢٣٠	١٩-١ (ص ٢٣٠)
	١٩	٢٢٢	١٩-١٨
		٢٧٠	٤-٣
	٢٨	٢٤٨	٢٠-١٩
	٣١	١٨٣	١٣-١٢

سورة	الآية	ص	س
الفتح	٢٤١	٢٢٢	٢١-٢٠
	٣-١	١٠٠	٨-٦
	٢٣٤، ٢٢	٤٩	١٩-١٧
الحجرات	٧	٨٤	١٤-١٣
	٨	١٦	٦
	١٤-١٢	٢٠٩-٢٠٨	٢١-١ (ص ٢٠٩)
الذاريات	٥٦	٩١	١٩
	٤-١	٢٢٨	١٦-١٥
	٢٣	٢٤١	٢-١
	٣٢، ٣١	٢٦٨	١٢-١١
	٣٢	٢٢٦	١٣-٩
	٣٦	١٢٦	٤
القمر	٤١-٣٦	١٢٦	٢٣-٢٢
	٣٤	٢١٣	١١
	٤٢، ٤١	٢١٤	١٠-٨
الواقعة	٤٣	٥٦	١١
	١٢-٧	٢٢٧	٤-٣
	٢٤-٢٢	١٤٥	١٤-١٣
الحديد	٦٢، ٦١	٧٧	١٠-٨
	٩٤-٨٨	٢٢٧	٧-٦
	١	٤	١٤-١١
	١٠	٢٥٢	١٠-٩
			١٥-١٣

س	ص	الآية	السورة
١٣-١١	٢٦٠	٢٧	
٢-١	٢٣٩	٢٨	
١٠-٦	٢٣٠	٢٩، ٢٨	
١٠-٩	٢٥٢	١١	المجادلة
٩-٨	٤	١	الحشر
٦-٥	٤٣	٢١	
١١-١٠	٩١	٤	المتنعة
٩-٨	٤	١	الصف
١٦	٢٢٩	٥	
٩-٨	٤	١	الجمعة
١٨-١٧	١٣٢	٩	
٩-٨	١٣٦		
١١-١٠	٤	١	التغابن
١٥-١٣	٨٨	٣٤٢	الطلاق
١٤-١٣	٩١		
٢١-٢٠	١٠٠		
٦	٩٠	٣	
٧	٥٠	٢	التحریم
١٤-١٣	٥	٥	
٦-٣	٢٢٠	٨	
١٣-١٢	٥٥	٣٥	القلم
٢	٩٨		
٥-٤	١٢٤	٣٦، ٣٥	
٢٤	٢٣٢	٦	الحاقة

السورة	الآية	ص	س
	١٠،٩	٢٠٩	١٦-١٥
	٢٤	٩٧	١٧-١٦
		١٤٥	١٢
	٤٢-٤٠	١٥٩	٦-٤
نوح	١١،١٠	٢٢١	٨-٧
	٢٢	١٦٦	١
	٢٣	١٦٦	٥-٤
الجن	١٩	٩٥	١٩
المزمل	٩،٨	٨٩	١٠-٩
		٩١	٩-٨
المدثر	١١	١٧٩-١٧٨	١-١٠ (ص ١٧٩)
	٥٦،٥٥	٧٧	١٨-١٧
الإنسان	٢،١	٦٩	١٦-١٤
	٣	٦٩	١٧
	٦-٣	٢٢٧	١٩-١٦
	٤	٧٠	٢٠
	٦-٤	٦٩	١٩-١٨
	٧	٧٣	١
	٩-٧	٧١	٢٠-١٨
	٨	٧٢	٩
	١٠	٧١	٢٥
		٧٢	٢٠-١٩
	١١	٧٠	١٩-١٨
	١٧	٧٠	٢٢

السورة	الآية	ص	س
	٢١	٧٠	٢٣
		٧٣	٢٣-٢٢
	٢٢	٧٤	١٩
	٢٤، ٢٣	٧٤	٢٢-٢١
	٢٤	٧٥	١٧
	٢٦، ٢٥	٧٥	٢٠-١٩
	٢٧	٧٥	٢١
	٢٨	٧٥	٢٢
		٧٦	٢٥
	٢٩	٧٧	١٢
	٣٠	٧٧	١٣
			١٥
			١٦
	٣١	٦٩	٢١
النازمات	٢٤-٢١	٢١١	١٠-٩
	٢٤	١٥٧	١
			٩
		١٦٧	٥-٤
			٩
	٢٦، ٢٥	٢١١	١٢-١١
التكوير	٢١-١٩	١٥٩	٨-٧
	٢٩، ٢٨	٧٧	١٩
المطففين	٢٨-٧	٢٢٨-٢٢٧	٢٠-٢ (ص ٢٢٨)
	١٤	٢٢٦	٣-٢

السورة	الآية	ص	س
		٢٣٧	٩
	٢٤	٧٠	٢
الانشقاق	٨٤٧	١٥٠	٥-٤
البروج	١٢	٢٣٥	١٧-١٦
الأعلى	١٩، ١٨	٢٢٦	١٤-١٣
النصر	٣-١	٢٥٨	٩-٨
المسد	١	١٨٨	١٠

فهرس الأحاديث النبوية *

الحديث	المصنعي الراوي	ص	س	ت**
(١)	عهد الله بن عمر	١٧٨-١٧٧	٢-١٤	(١)
١- «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله...» - حديث الإسلام والإيمان والإحسان وفيه الكلام عن غلاة القدرية .	عن عمر ابن الخطاب			
٢- «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة... لا تخبرهما بأعلى» .	على بن أبي طالب	٢٦٢-٢٦١	٢-١١	(١) ، (٢)
٣- «أبوؤلك بنعمتك على وأبوؤ بذنبي...» - انظر: «سيد الاستقفار...» الحديث رقم ٧٠.	شداد بن أوس	١١٧	١	(١)
٤- «أحبوا العرب لثلاث...» .	ابن عباس	٢٨٨-٢٨٧	٢-١٣	(١)
٥- «أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم.... فتلك عبادتهم إياهم» - وأوله : «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب . فقال : يا عدى أطرح عنك...»	عدى بن حاتم	٢٦٠	٦-٤	(١)
٦- «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان...» - الحديث عن إنطاق الله لبني آدم وإشهادهم على أنفسهم .	ابن عباس	١٢	٦-٥	(٤)
٧- «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران...» .	عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر	٢٣٩ ٢٤٣	١٥-١٤ ٨-٧	(٢)

* الكلام على هذه الأحاديث في التعليقات المشار إلى أرقامها .
** ت = تعليق .

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
٨ - « إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد ... » - الحديث عن « الزيادة » وهي النظر إليه تعالى في الجنة .	صهيب	١١١-١١٠	٤-١٨	(١)
٩ - إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل ... » .	أبو موسى الأشعري	٢٤١ ٢٥٢	١٩-١٧ ٧-٦	(١)
١٠ - « اعلّموا أن أحدكم لا يرى ربه حتى يموت » - عبارة وردت في أحاديث فيها الكلام عن صفة الدجال .	عبد الله بن عمر وغیره	١٩٨	٨-٧	(٤)
١١ - « أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر » - أوله: أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عفريتاً من الجن ... وفيه : « فقال جبريل : قل : أعوذ بوجه الله الكريم ، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ... » وانظر الحديث رقم ٥١ .	مرسل عن يحيى ابن سعيد	١٠	٢-١	(١)
١٢ - « اقتدوا بالذين من بعدي : أبي بكر وعمر » .	حذيفة وأبو الدرداء وابن مسعود	٢٦٦	١٣-١٢	(٢)
١٣ - « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » .	أبو هريرة	٣٣	٣-٢	(٢)
١٤ - « أقول : اللهم باعديني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب » وأوله: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير والقراءة إسكاته ... » .	أبو هريرة	٢٧٨-٢٧٧	١-١١	(١)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
١٥ - « اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي ... » .	أبو موسى الأشعري	٢٧٧-٢٧٦	١٩-٢	(١)
١٦ - « اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دقه وجله ... » - دعاء في السجود .	أبو هريرة	٣٢	١٣-١٤	(٣)
١٧ - « اللهم اكتب لي بها عندك أجرا ، وضع عني بها وزرا ... » - دعاء في السجود .	ابن عباس	٣٤	١-٧	(٢)
١٨ - « اللهم أنت الملك لا شريك لك ... » - وأوله : « وجهت وجهي للذي فطر ... » وانظر رقم ١١٨ ، ٥٩	علي بن أبي طالب	٢٧٧	٣-١٠	(٣)
١٩ - « اللهم إنا نستعينك ونستهديك » - في القنوت .	عمر بن الخطاب	١١٧	٣-٤	(٤)
٢٠ - « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك .. » دعاء في السجود .	عائشة	٣٢	١٤-١٦	(٤)
٢١ - « اللهم صلى على آل أبي أوفى .. » .	عبد الله بن أبي أوفى	٢١٣	١٣-١٤	(١)
٢٢ - « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ... » .	جماعة من الصحابة	١٥	٥-٧	(١)
٢٣ - « أنا عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي » .	أبو هريرة	٢٨٨	٩-١٠	(١)
٢٤ - « إن إبليس قال لربه عز وجل : بمنزتك وجلالك ... » .	أبو سعيد الخدري	٢٣٦-٢٣٥	٢٠-٣	(١)
٢٥ - « إن أخوف ما أخاف عليكم شهوات النوى ... » .	أبو هريرة الأسلمي	٢٢٩	٩-١٠	(١)
٢٦ - « إن استطعت أن تعمل لله بالرضا ... » .	ابن عباس	٢٥٠	٨-١٠	(١)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
٢٧ - « إن بين يدي الساعة ثلاثين دجالين ... » - وانظر رقم ٩٤	أبو هريرة	٢٧٣	٨-٧	(١)
٢٨ - « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه » .	أبو هريرة	١٤٧	٢٧-٢٥	(٢)
٢٩ - « إن العبد إذا أذنب نسكت في قلبه نسكة سوداء .. » .	أبو هريرة	٢٢٦-٢٢٥	٣-١١	(١)
٣٠ - « إن الله اختار من الأيام يوم الجمعة ... » .	مرسل عن كعب الأحبار	١٣٨	٩-٦	(١)
٣١ - « إن الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقم ... » .	العباس بن عبد المطلب	٢٨٧	٧-١	(١)، (٢)
٣٢ - « إن الله خلق الجنة أهلاً وخلقه لهم .. » - وفي مسلم : « .. وخلقهم لها ... » .	عائشة	١٤٦	٩-٧	(٢)
٣٣ - « إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ... » .	أبو موسى الأشعري	٢٢٤	٥-٤	(٤)
٣٤ - « إن الله عز وجل خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه ... » .	أبو هريرة وعمر ابن الخطاب	١٢	٤-١	(١)، (٢)
٣٥ - « إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ... » - وانظر رقم ٨٨ .	عقبة بن عامر	٢٠	١٣-١٢	(١)
٣٦ - « إن بالديلة رجالاً ما سرتهم مسيراً ... »	أنس وجابر	٢٤٢-٢٤١	٢-١٩	(١)
٣٧ - « إن تغفر اللهم تغفر جماعاً ... » .	ابن عباس	٢٢٦	٦-٤	(٢)
٣٨ - « إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى ... » .	أبو هريرة	١٧٩	١٣-١٢	(٢)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
٣٩ - « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ... » .	جابر	١٤٧	٣١-٢٩	(٢)
٤٠ - « إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ... » .	أنس	١٤٧	٢٩، ٢٨	(٢)
٤١ - « .. إن يطع القوم أبا بكر وعمر يرشدوا » .	أبو قتادة	٢٦٦-٢٦٧	١٣-١	(١)
٤٢ - « .. إنك تأتي قومًا أهل كتاب ... » .	ابن عباس	١٥	١١-٧	(٢)
٤٣ - « إنكم لن تبلفوا نفى ... » - حديث قدسي أوله : « يا عبادي إني حرمت الظلم .. » ولفظ الحديث هنا : « يا عبادي إنكم لن تبلفوا ضري فتضروني ولن تبلفوا نفى ... الخ » . وانظر الحديث رقم ٧٨ .	أبو ذر	١٤٨	١٠-٩	(١)
٤٤ - « إنما الطاعة في المعروف » وأوله : « لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا ، إنما الطاعة ... » .	علي	٢٧٤	٧-٤	(٣)
٤٥ - « إنما معاشر الأنبياء ديننا واحد » . ولفظ الحديث في البخاري : « أنا أولى الناس بعيسى .. الخ » .	أبو هريرة	٢٨٣	٢	(١)
٤٦ - « .. إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله ... » .	الأغر المزني	٢٢٤	٢-١	(٢)
٤٧ - « إني أعلمكم بالله وأشدكم خشية له .. » وأوله : واللفظ للبخاري - « ما بال	عائشة	١١٥	١٥-١٤	(٢)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
أقوام يتزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم ... » .				
٤٨ - « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ ... » .	جابر بن سمرة	٤٢	١٧-١٥	(٢)
٤٩ - « أول ما خلق الله العقل ... » - حديث موضوع .		١٦٨	١١-٤	(١)
(ب)				
٥٠ - « بسم الله » - وأوله عن علي أنه أتى بدابة ليركبها ... قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت ... » .	علي	٢٧٩	١١-٤	(٢)
٥١ - « بلى » أول الحديث رقم ١١ ... أعوذ بكلمات الله ...	مرسل عن يحيى ابن سعيد	١٠	٢-١	(١)
(ت)				
٥٢ - التعوذ من شرفة تنه المنيح الدجال بعد التشهد الأخير .	جماعة من الصحابة	١٩٧	٩-٨	(٣)
(ح)				
٥٣ - « الحمد لله نستعينه ونستغفره ... » - من خطبة الحاجة .	ابن مسعود	١١٧	٣	(٣)
٥٤ - حديث حنين الجذع : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأناه فمسح يده عليه » .	ابن عمر	٤٢	١٧	(٣)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
(خ)				
٥٥ - « خصلتان يسأل عنهما كل أحد ... أوله : قال أبو العالية : « قوله : (فوربك لنسألنهم أجمعين ...) .. الخ » - أثر بمعنى حديث مروي عن أنس .	أثر عن أبي العالية	٢٤	١٢-٩	(١)
٥٦ - « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكا .	سفينة	٢٦٧	٤	(٤)
٥٧ - « خير أمتي بعدى أبو بكر وعمر » .	علي والزبير	٢٦٢	١٩-١٦	(١)
٥٨ - « خير القرون القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ... » .	جماعة من الصحابة	٢٥٣	٥-٤	(٢)
٥٩ - « والخير كله في يديك والشر ليس إليك » من حديث دعاء الاستفتاح وأوله : « وجهت وجهي للذي فطر السماوات ... » . وانظر رقم ١١٨ ، ١١٨ .	علي	١٢٦	١٧-١٦	(٢)
(د)				
٦٠ - الدجال الكبير - بعض أخباره . وانظر رقم : ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .	جماعة من الصحابة	١٩٨-١٩٧	١٧ (ص ١٩٧) (٢٤١) ٨ (ص ١٩٨)	(٢٤١)
(ر)				
٦١ - « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها » انظر الحديث رقم ٧٢ .	ابن عباس	٣٤-٣٣	١-١٦	(١)
٦٢ - « رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور » .	ابن عمر	٢٢٦	٩-٧	(٢)
		٢٧٨	١٣-١١	(٧)

ت	س	ص	الصحابي الراوي	الحديث
(١)	١٤-١٣	٢٣٩	أبو هريرة وابن عباس	٦٣ - قوله تعالى : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) قال تعالى : قد فعلت »
(٥)	٩-٤	١١٧	جماعة من الصحابة	٦٤ - « ربنا ولك الحمد ملء السماوات » - الحديث فيما يقال بعد رفع الرأس من الركوع .
(ز)				
(١)	٢-٧	١٣-١٢	نسب إلى ابن عمر	٦٥ - حديث زريب بن برثمة وهامة ابن الهيم - حديث موضوع .
(س)				
(١)	١-١٦	٣٣-٣٢	عائشة	٦٦ - « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي » - كان صلى الله عليه وسلم يقولها في ركوعه وسجوده يتأول القرآن .
(٢)	٤-٢	٢٧٨		٦٧ - سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت . . . » - الحديث في كفارة المجلس .
(١)	٣-٢	١١٨	جماعة من الصحابة	٦٨ - « سجدها داود توبة ونحن نسجدها شكراً » - السجود في آية ٢٤ من صورة ص ، وانظر الحديث رقم ١١٥ .
(٤)	١٥-١٣	٣٣	ابن عباس	٦٩ - سجود الآيات - وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا رأيتم آية فاسجدوا . . . » الخ .
(١)	١٠	٣٦	ابن عباس	

الحديث	الصحابي الراوي	ص	ص	ت
٧٠ - « سيد الاستغفار : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ... أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي » - وانظر الحديث رقم ٣.	شذاد بن أوس	١١٧	١	(١)
(ش)				
٧١ - حديث الشفاعة .	جماعة من الصحابة	١٥٠	٧-٩	(٢)
(ص)				
٧٢ - « ص ليس من عزائم السجود وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها » - وانظر الحديث رقم ٦١ .	ابن عباس	٣٣-٣٤	١٦-١	(١)
٧٣ - أحاديث صفة الدجال الكبير : أنه أعور ، وأنه مكتوب بين عينيه كافر ... الخ - وانظر الحديث رقم ٦٠ .	أنس	١٩٨	٥-٧	(٣)
٧٤ - صلوا كما رأيتموني أصلي . وأوله : حدثنا مالك : أتينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شعبة متقاربون ... الخ .	مالك بن الحويرث	٨١	١١-١٣	(٤)
(ط)				
٧٥ - « طول القنوت » - وأوله : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الصلاة أفضل ؟ فقال : طول القنوت .	جابر	٥	٧-٨	(١)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
(ع)				
٧٦ - « على المرء المسلم السمع والطاعة... »	ابن عمر	٢٧٤	٧-٥	(٣)
٧٧ - « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي... »	العرباض بن سارية	٢٦٧	٣-٢	(٣)
(ف)				
٧٨ - «... فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك...» - جزء من الحديث القدسي في تحريم الظلم، وأوله: «يا عبادي إني حرمت...» وانظر الحديث رقم ٤٣.	أبو ذر	١١٧	٣-١	(٢)
(ق)				
٨٩ - « قال الله لهم: ادخلوا الباب سجداً... »	أبو هريرة	٣٠	٥-٣	(١)
٨٠ - « قالوا: هطلى سمعنا... » - أثر موافق لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.	ابن مسعود	٣١-٣٠	٣-١٢	(١)
٨١ - « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين... »	أبو هريرة	٢٧٢	١٢-٦	(٢)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
(ك)				
٨٢- كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته قبل أى وجه توجّهت به ويوتر عليها ، غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة.	جماعة من الصحابة	٣٥	٣-١	(١)
٨٣- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال : اللهم أنت السلام .. الخ .	ثوبان	٢٥٨	٢-١	(١)
٨٤- كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى نواحيها ... فلم يمر بشجرة ولا جبل إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .	على بن أبى طالب	٤٢-٤٣	١٧-٣	(٢)
٨٥- « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم » (وبفس المعنى استحباب ابتداء كل خطبة بحمد الله) .	أبو هريرة	١٠٨	٣-٤	(١)
٨٦- « كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » .	أنس	٢٢٥	١٠-١١	(٥)
٨٧- « كل حرف فى القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة »	أبو سعيد الخدرى	٧	١٢-١٣	(١)
٨٨- « كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل ... » وانظر الحديث رقم ٣٥ .	عقبة بن عامر	٢٠	١٢-١٣	(١)
٨٩- « كل معروف صدقة » .	جابر	٨٣	٧-٨	(٣)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
٩٠ - « كل مولود يولد على الفطرة ... »	جماعة من الصحابة	١١	١٣	(٣)
(ل)		٢٤٤	٤-١	(١)
٩١ - « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... » - وأوله : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قتل من غزو أو حج أو عمرة ... الخ . »	ابن عمر	٢٧٨-٢٧٩	١٤-٣	(١)
٩٢ - « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق . »	أبو ذر	٨٣-٨٤	١٥-١	(١)
٩٣ - « لا تسبوا أصحابي ... »	أبو سعيد الخدري وأبو هريرة	٢٥٣	٢-٤	(١)
٩٤ - « لا تقوم الساعة حتى يكون فيكم ثلاثون دجالون ... » - وانظر الحديث وقم ٢٧ .	أبو هريرة وابن عمر وثوبان	١٩٧	٥-٦	(١)
٩٥ - « لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق »	النواس بن سمعان	٢٧٤	٥	(٢)
٩٦ - « لا هجرة بعد الفتح ... »	ابن عباس وعائشة	٢٥٤	٢-٤	(١)
٩٧ - « لا يابنت الصديق ، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ... » وهو إجابة عن معنى الآية رقم ٦٠ من سورة « المؤمنون » .	عائشة	٢٥٧	٤-١	(١)
٩٨ - « لتركبن سنن من كان قبلكم ... » . لفظ البخاري ومسلم : « لتقبن سنن من كان قبلكم ... » .	جماعة من الصحابة	٢٧١	١٢-١٤	(١)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
٩٩ - « لقد أوتى هذا مزماراً من مزامير آل داود » - ولفظ البخاري : « يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً ... »	أبو موسى الأشعري	٢١٣	١٣ - ١٤	(٢)
١٠٠ - « لله أرحم بعباده من هذه بولدها » - وأوله : « قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي . . وفيه : « أترون هذه طارحة ولدها في النار ... الخ »	عمر بن الخطاب	١٢٧	١ - ٣	(١)
١٠١ - « لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه . . »	جماعة من الصحابة	٢٢٤ - ٢٢٥	٥ - ٩	(١)
١٠٢ - « لله أفرح بتوبة أحدكم من رجل خرج . . . » - متواتر روى بمعناه هو والحديث السابق عن عدد من الصحابة	جماعة من الصحابة	٢٢٥	٣ - ١٠	(٢)
١٠٣ - « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله .. » - أوله : سددوا وقاربوا وأبشروا ...	عائشة وأبو هريرة	١٤٥	٥ - ٦	(٢)
١٠٤ - « لو اتفقنا على شيء لم أخالفكما » .	وجابر	١٤٦ - ١٤٧	١٤ - ٢	(٢٤١)
(م)		٢٦٧	١	(٢)
١٠٥ - « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ... » .	عدي بن حاتم	٨٣	١٠ - ١٤	(٤)
١٠٦ - « ما منكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة والنار . . وفي رواية : « ... إلا وقد كتب ... » .	علي بن أبي طالب	٩٣	٤ - ٩	(١)
		١٤٦	٣ - ٧	(١)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
١٠٧ - « من بدل دينه فاقتلوه » .	ابن عباس	٢٦١	٥ - ٢	(٢)
١٠٨ - « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » .	أبو هريرة	٢٢٤	٦ - ٥	(٥)
١٠٩ - « من تكفل لي بما بين لحييه وما بين رجليه . . . » - وفي رواية : « من يضمن لي . . . » وفي أخرى : « من توكل لي . . . » .	جماعة من الصحابة	٢٣٠	١١ - ١٣	(١)
١١٠ - « من خير الناس بعد رسول الله . . . » - خبر روى موقوفا ومرفوعا .	علي بن أبي طالب	٢٦١	١١ - ٧	(٤)
١١١ - « من قال إذا أصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة . . . » .	عبد الله بن غنم	١٠٧	١٩ - ١٥	(٢)
١١٢ - « من قال حين يصبح : الحمد لله ربى لا أشرك به شيئا . . . » .	أبان الحاربي	١٠٨	١٠ - ٧	(٤)
١١٣ - « من نقش الحساب عذب . . . »	عائشة	١٥٠	٦ - ٣	(١)
١١٤ - « منك وإليك » - أوله : كان صلى الله عليه وسلم إذا ذبح أضحيته قال : ... « الخ - وفي رواية : اللهم منك ولك عن محمد وأمه » .	جابر	٨٢	١٥ - ١٤	(٥)
(ن)				
١١٥ - « نبيكم ممن أمر أن يقتدى به ، سجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم » - وانظر الحديث رقم ٦٨ .	ابن عباس	٣٣	١٦ - ١٥	(٥)

الحديث	الصحابى الراوى	ص	س	ت
(هـ)				
١١٦ - « هذا رجل لا يحب الباطل » - وأوله : « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ... » .	الأسود بن سريع	٢٠	١٦ - ١٨	(٢)
١١٧ - « هي من قدر الله » - وفيه : « يا رسول الله ، أ رأيت أدوية تتدواى بها ... هل ترد من قدر الله شيئاً ... » .	أبو خزيمة	٩٣	١٥ - ١٦	(٣)
(و)				
١١٨ - « وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض ... » - الحديث فى دعاء الاستفتاح - وانظر الحديث رقم ١٨ والحديث رقم ٥٩ .	على بن أبى طالب	١٢٦	١٦ - ١٧	(٢)
١١٩ - « يا أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة ... » وأوله : كشف النبي صلى الله عليه وسلم الستارة ... الخ .	ابن عباس	٣٣	٣ - ٨	(٣)
١٢٠ - « يا أبا ذر تدرى أين تذهب الشمس ؟ ... » .	أبو ذر	٣٦	١٢ - ١٦	(٢)
١٢١ - « يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب إليه فى اليوم مائة مرة » . وفى رواية « ... إلى ربكم ... » .	ابن عمر	٢٢٣ - ٢٢٤	١٨ - ١	(١)
		٢٧٨	٩ - ١٠	(١)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
١٢٢ - « يا بغياء العرب ، يا بغياء العرب ، إن أخوف ما أخاف عليكم الزنا والشهوة الخفية » وفي لفظ : الرياء .	عبد الله بن زيد	٢٣٢ -	١٤ - ٣	(١)
١٢٣ - « يا سلمان لا تبغضني فتقارق دينك ... » .	سلمان	٢٨٧	١٠ - ١٢	(٣)
١٢٤ - « يا مالك يوم الدين إياك نمجد وإياك نستعين » وأوله : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ... » .	أبو طلحة	٨٢	١٠ - ١١	(٤)
١٢٥ - « يا معشر العرب لتفضيل رسول الله إياكم ... » .	سلمان	٢٨٨	٥ - ٧	(٢)
١٢٦ - يأمر (الرجال) السماء فتطر والأرض فتنبث - الحديث في صفة الرجال وأوله : « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال ذات غداة » وانظر الحديث رقم ٥٩ .	النواس بن سمعان	١٩٧ - ١٩٨	٩ - ١	(١)
١٢٧ - « ... يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ... » حديث الخوارج وأوله : « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما ... » .	أبو سعيد الخدري	٢٣١	١٢ - ١٦	(١)
١٢٨ - يقتل الرجال رجلا مؤمنا ثم يقول : قم - الحديث في صفة الرجال وأوله : « حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ... » وانظر الحديث رقم ٥٩ .	أبو سعيد الخدري	١٩٨	١ - ٤	(٢)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
١٢٩ - يقتل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام الدجال - خبر مروي في أكثر من حديث ، وانظر الحديث رقم ٥٩ .	جماعة من الصحابة	١٩٧	٧	(٢)
١٣٠ - « يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان » - جزء من حديث الخوارج السابق ، وانظر رقم ١٢٧ .	أبو سعيد الخدري	٢٣٣	٢ - ٤	(١)
١٣١ - « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يحدثونكم ... »	أبو هريرة	١٩٨ - ١٩٩	١ - ١٠	(١)

فهرس الشعر واللغة

(١) الشعر

صدر البيت	عجزه	بحره	عدد الأبيات	قائله	ص	س	ت
أنه جوه	الفداء	وافر	١	حسن بن ثابت	١٣٣	٧	(١)
وصاحب	أجر	طويل	١	—	١٢٤	١٢	(٢)
إذا	اعتذر	بسيط	١	البحترى	٢٥٦	١٦٠١٥	(١)
بجيش	للحوافر	طويل	١	زيد الخليل	٣٨	١٣	(٢)
					٤١	١٩	
					٤٤	٢٢	
وكلتاها	تحتف	طويل	١	أبو الأخرز الحمانى	٣٩	٧	(٤)
من	مختالا	بسيط	١	الأخطل	٧٦	٢	(٢)
مقام	الولى	متقارب	١	ابن عربى	٢٠٩	١٠	(١)
ما	ذم	منسرح	٢		١٠٥	١١٠١٠	(٤)
إن	ألك	رجز	٢		٢٢٦	٦	(٢)
وكل	ونظامه	طويل	١	ابن عربى	١٥٧	١٧	(١)

(ب) اللغة

اللفظ	ص
الحجرات	٣٩
السجود	٣٩-٣٨٠ ٢٨-٢٧
السنة	٥٥
الصلاة	٢٨
الظلم	١٢٥-١٢٤
القنوت	١٨٠٧-٥
الكبا والكبة	٢٨٧
اللهو	٢١
المواخذة	١٣٥

فهرس الأعلام*

(١)

آدم (عليه السلام): ١١-١٣، ٢٢٠، ٢٢١.

الآجرى ر أبو بكر محمد بن الحسين: ١٢:
أبان المحاربى (رضى الله عنه): ١٠٨:
إبراهيم (عليه السلام): ٥٠، ٢٠،
٢٤، ٢٧، ٦٦، ١١٨، ١٢٦،
١٥٠، ٢٢١، ٢٣٤، ٢٦٩.

إبراهيم بن الحسن القسمى: ٣٤
إبراهيم بن عبد الله القارىء: ١٠٤، ١١٣
إبليس = الشيطان: ١٢، ١٦، ٥٧،
٩٥، ١٠٦، ١٥٢، ١٩٢،
١٩٦، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٩،
٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٦،
٢٦٩، ٢٧٦.

ابن آدم: ٢٣٣
ابن أبي جعفر (فى سند): ١٧
ابن أبي حاتم: ٧-١٠، ١٧، ١٨،
٢٩-٣١، ٣٧، ٦٣، ٧١
ابن أبي الدنيا (أبو بكر عبد الله بن محمد):
(١٣٩)

ابن أبي شبة: ٦٣
ابن أبي طلحة (على): (٨)

ابن أبى عمر: ٣٤

ابن أبى مليكة: ٢٥٧

ابن أبى نجيج: ٩

ابن أبى يعلى (أبو الحسين محمد بن
محمد): (١٦٠)

ابن الأنبارى (أبو بكر): (١٠)، ١٨،
١٢٤، ١٢٩

ابن تيمية (تقى الدين أحمد بن عبد الحليم):
٩٠٧، ١٣، ١٩، ٢٣، ٥٧، ١٠٥،

١١١، ١١٧، ١٢١، ١٢٨،

١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٥،

١٦٢-١٦٤، ١٨٧، ٢٠٣،

٢٠٤، ٢١٩، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٠،

ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن

ابن على): (٦)، ١٠، ١٨، ٣١،

٤٠، ٤١، ٤٤، ١٠٩، ١٢٤،

١٢٧، ١٣٩، ١٨٨، ٢٨٨،

ابن حامد (أبو عبد الله الحسن):

(١٦٠)

ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد):

١٥٩، ١٧٠، ١٧١،

ابن حميد (محمد الرازى): ١١

ابن حمويه (محمد بن عبد الله): (١١٤)،

١١٥

ابن زيد: ٣٨، ٢٣٦

(*) الأرقام التى بين الأقواس تشير إلى الصفحات التى ترجمت فيها للأعلام .

(٢٢ جامع الرسائل - ١)

ابن كيسان : ١٨
 ابن لهيعة : ٧ ، ١٤
 ابن مسعود (عبد الله رضى الله عنه) :
 ٣٠ - ٣٢ ، ٣٥ ، ٦٢ ، ١١٧ ،
 ٢٢٥ ، ٢٢٦
 ابن ملكا (أبو البركات هبة الله) :
 (١٨٠ - ١٨١)
 ابن المنذر : ٦٣ ، ٢٣٦
 ابن وهب : ٧ ، ٣٧

* * *

أبو الأخرز الجاني (الشاعر) : ٣٩
 أبو إسماعيل الأنصاري (عبد الله بن
 محمد المروى) : (١١٦)
 أبو الأسود الدئلي (ظالم بن عمرو
 الدؤلي) : ١٢٢
 أبو الأشهب : ٢١٩
 أبو أمامة الباهلي (رضى الله عنه) :
 ١٩٨
 أبو بردة : ٢٢٣ ، ٢٢٤
 أبو برزة الأسلمي (رضى الله عنه) :
 ٢٢٩
 أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) :
 ٣٣ ، ٢٠٦ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،
 ٢٦٦ ، ٢٦٧
 أبو بكر الأعمى (المعتزلي) : ٢٤٦
 أبو بكر الخطيب : ١٤ ، ١٨٨
 أبو بكر بن خلاد : ٣٤

ابن سبعين : (١٠٤) ، ١٦٤ ، ١٦٧
 ابن سينا : ١٦٢
 ابن شافلا : (١٦٠)
 ابن عباس (عبد الله رضى الله عنه) :
 ١٠٤ ، ١٠٨ - ١٣ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٣١ -
 ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٣ ، ٦١ - ٦٤ ،
 ١٠٨ ، ١٣٠ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ،
 ٢٥٠ ، ٢٦١ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨
 ابن عبد البر : ١٠٨

ابن عربي (محي الدين) : (١٠٤) ،
 ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٥٧ ،
 ١٦٤ ، ١٦٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ -
 ٢٠٧
 ابن عساكر (علي بن الحسن) :
 (١٣٨)
 ابن عطية : ٣٩
 ابن علي الخطبي (أبو محمد إسماعيل) :
 (١٨٨)
 ابن عليه (إبراهيم بن إسماعيل المعتزلي) :
 ٢٤٦
 ابن الفارض : ١٦٧
 ابن قتيبة : ٦ ، ٢١ ، ٣٩
 ابن كثير (إسماعيل بن أبي كثير القرشي) :
 ١٣٢
 ابن كرام (أبو عبد الله محمد) : (١٦١)
 ابن كلاب (أبو محمد عبد الله بن سعيد) :
 (١٥٩) ، ١٨١ ، ١٨٢

أبو بكر عبد العزيز (بن جعفر): (١٨٢)
 أبو بكر الهذلي : ٦٤
 أبو جعفر (في سند و لعله عيسى بن عبد الله
 الرازي) : ١٧
 أبو جعفر الحافظ الكوفي : ٢٨٧
 أبو جهل : ٢٠٤ ، ٢١٠
 أبو الحسين البصري (محمد بن علي الطيب
 المعتزلي) : (١٨٠)
 أبو حنيفة (الإمام) : ١٧٧ ، ١٧٣ ، ٣٥
 أبو خزيمة (رضي الله عنه) : ٩٣
 أبو الخير الأقطع : ١٩١
 أبو داود (سليمان بن الأشعث صاحب
 السنن) : ١٠٧ ، ٢٣٣
 أبو الدرداء (رضي الله عنه) : ٢٦٦
 أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه) : ٣٦ ،
 ٤٢ ، ٦٣ ، ٨٤ ، ١١٧ ، ١٤٨
 أبو رافع (رضي الله عنه) : ٢٣٠
 أبو زرعة : ١٩١
 أبو سعد الأزدي : ٣٠ ، ٣١
 أبو سعيد الأشج : ١٠
 أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه) : ٧ ،
 ١٩٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥
 ٢٣٦ ، ٢٥٢ ، ٢٧١
 أبو سعيد الخراز : ١٠٥ ، ١٦٤
 أبو سلة (محمد بن عبد الله بن زياد
 الأنصاري) : ١٤
 أبو سهل الصموكي (١٧٧)

أبو الشيخ الأسبهاني (أبو محمد عبد الله
 ابن محمد بن حيان) : (١٣٩)
 أبو صالح (في سند) : ٣١
 أبو طالب المكي : (١٨١ - ١٨٢)
 أبو طلحة (رضي الله عنه) : ٨٢
 أبو الطيب الصموكي (سهل بن محمد) :
 ١٧٧
 أبو عاصم (في سند) : ٢٢٦
 أبو العالية : ٨ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٤٠ ،
 ٤٢ ، ٢٣٦ ، ٢٥٧
 أبو عباد بن أبي يزيد : (٤٣)
 أبو عبد الرحمن السلمي : ١٨٨
 أبو عبد الله بن بطة : (٨٧)
 أبو عبد الله بن طاهر : ٣٥ ، ٣٦
 أبو عبيدة : ٦٢ ، ٦٣
 أبو العلا عفيفي (الدكتور) : ١٦٣ ،
 ١٦٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦
 أبو عمرو (المقرئ) : ٣ ، ١٣٢
 أبو القاسم البغوي : ٨٢
 أبو قتادة : ٢٦٧
 أبو الكنود : ٣٠ ، ٣١
 أبو لهب : ١٧٨ ، ٢٠٤
 أبو مالك (في سند) : ٨ ، ١١ ، ١٧
 أبو محمد الجسري : ١٨٩
 أبو مكنف : ٢٨
 أبو موسى الأشعري (رضي الله عنه) :
 ٢١٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٤١ ،
 ٢٤٢ ، ٢٧٦

أحمد بن محمد بن سالم (أبو الحسن)
(١٨١ - ١٨٢)

أحمد بن يونس : ١٨٩

الأخطل (الشاعر) : ٧٦

أرسطو : ١٠٤ ، ١٦٨

أسباط (في سند) : ١٠

إسحاق (عليه السلام) : ٢٤

إسحاق بن بشر الكاهلي : ١٤

إسحاق (لعله ابن راهويه) : ١٧

إسرايل (عليه السلام) : ٢٠٧

إسماعيل (عليه السلام) : ٢٤

إسماعيل السدي : ٤٣

الأسود بن سريع (رضى الله عنه) :

٢١ ، ٢٠

الأسود العنسي : ٢٧٣

الأشعري (أبو الحسن علي بن إسماعيل) :

٨٧ ، ٨٨ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، ١٢٢ ،

١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٥٦ ، ١٧٧ ،

١٨١ ، ١٨٢

الأعمش : ٢٩

الأغر المزني : ٢٢٣ ، ٢٢٤

الأقرع بن حابس (رضى الله عنه) :

٢٦٧

ألبير نصرى نادر (الدكتور) :

١٧٣

امراة العزيز : ٧١

أبو نعيم (الأصبهاني) : ٨٢

أبو الهذيل اللعاف : ١٧٣

أبو هريرة (رضى الله عنه) : ١٢ ،

١٥ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ١٤٧ ، ١٧٩ ،

١٩٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ،

٢٥٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ ،

٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٨٨

أبو الهيثم : ٧

أبو يعقوب التهرجورى : ١٨٩ ، ١٩١

أبو يعلى (القاضي) : ١٠٩ ، (١٢٢) ،

١٢٧ ، ١٦٠ ، ١٧٧

أبو يوسف القزويني (عبد السلام بن

محمد) : (١٨٨)

أبى بن كعب (رضى الله عنه) :

١٢ ، ٤٣

* * *

أحمد بن حنبل (الإمام) : ٧ ، ١٢ ،

١٧ ، ٣٥ ، ٨١ ، ١٠٩ ، ١٢٢ ،

١٦١ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ،

٢٤٧ ، ٢٦٦

أحمد بن سنان : ٨

أحمد زكي عطية (الأستاذ) : ٢٠٩

أحمد شاكر (الأستاذ الشيخ) : ٧ ،

٨ ، ١٣ ، ٣٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣٩

أحمد بن عثمان البصرى : ٢٢٦

أحمد بن فاتك : ١٥٨

أحمد فريد رفاعي (الدكتور) : ١٤١

(ج)

جابر بن سمرة (رضى الله عنه) :

٤٣، ٤٢

جابر بن عبد الله (رضى الله عنه) :

٨٢، ٥ - ٨٤، ١٤٧، ٢٤٢، ٤٤٢

جبريل (عليه السلام) : ١٠، ٦٤، ٢٥٧، ١٦٢، ١٥٩، ٩٢

جرير بن حازم : ١٢

الجمد بن درهم : ١٧

الجندب (بن محمد أبو القاسم) : (١٨٩)

جهم بن صفوان (أبو محرز السمرقندي) :

(١٦-١٧)، ٨٨، ١٢٣، ١٧٩

الجويني (أبو المعالي عبد الملك بن

يوسف) : (٢٣)، ١٧٩

(ح)

الحارث بن أسد المحاسبي (أبو عبد الله)

(١٨١)

الحارث بن سريج : ١٧

الحارث بن عبد المطلب بن هاشم

(أبو سفيان) : ١٣٣

الحافظ السلفي : ٢٨٨

الحاكم (صاحب المستدرک) : ١٢، ١٤٠

حبيب التجار : ٦٥، ٦٦

حجاج (بن محمد الأعور) : (٦٢)

حذيفة (رضى الله عنه) : ٨٣، ٢٦٦

أنس بن مالك (رضى الله عنه) :

٢٤، ٤٣، ٨٢، ١٤٧، ١٩٨، ٢٤٢، ٢٢٥

الأوزاعي : ٨، ٢٥٨

إياس بن معاوية (بن قرّة المزني) :

(١٢٢)

أيوب (عليه السلام) : ١٣٧

(ب)

الباجي (أبو الوليد) : (١٢٣)

البحترى (الشاعر) : ٢٥٦

البخاري (الإمام) : ٦١، ٨١، ١٦٩، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٧٢

البراء بن عازب (رضى الله عنه) :

٢٢٥

بشر المريسي : ٢٤٦

البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود

الفراء) : ١٨، ٤٠، ٤٢، ٤٤، ١٠٩، ١٢٤، (١٦٠) - وانظر

الفراء

بولس : ٢٦٠

(ت)

الترمذي : ٧، ١٢، ٢٦٢، ٢٨٧

التلمساني : ١٦٧

(ث)

الثعلبي : ١٨، ٦٣

ثوبان (رضى الله عنه) : ١٩٧، ٢٥٨

الحريري (أبو الحسن علي بن الحسين

ابن منصور) : (١١٤)

حسان بن ثابت (رضي الله عنه) :

١٢٣

الحسن (البصري) : (٣١، ١٨، ٨، ٣١،

١٣٩، ١١٦، ٨٤، ٦٣، ٦٢

١٥٩، ١٤٠

الحسن بن علي (رضي الله عنهما) :

٢٦٧

الحسن بن علي العسكري : ٢٦٣

حسن بن موسى الأشيب : ٧

الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله

عنهما) : (٢٦٣، ٢٦٤)

الحسين بن الفضل : ٣٥

حسين بن محمد : ١٢

الحسين بن واقد : ١١

حفص الفرد : (١٥٦)، ١٧٣

الحلاج (الحسين بن منصور) : (١٥٨،

١٨٥، ١٨٧، ١٩٤، ١٩٩

الحجاني : ١٧

حميد بن عبد الرحمن الحميري : ١٧٨

حواء = زوج آدم : ٥٣، ٢٢٠

(خ)

خفيف : ٩، ٣٠

الخطيب البغدادي = أبو بكر الخطيب

الخلال : ١٦١

(د)

الدارقطني : (٢٦٢)

داود (عليه السلام) : ٣٢ - ٣٦ ،

٢٦٩، ٢٧٠

داود بن الحبر : ١٦٨

الدجال : ١٩٧ - ١٩٨

درّاج (أبو السمح) : ٧

(ذ)

ذو الحويصرة : ٢٣١

ذو النون = يونس (عليه السلام) :

٢٧٠

(ر)

الرازي (فخر الدين أبو عبد الله محمد

ابن عمر) : (١٨١)

الراسبي : ١٤

الربيع بن أنس : ١٧، ١٨، ٢٩، ٣١

(ز)

الزبير بن العوام (رضي الله عنه) :

٢٦٢ .

الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري

ابن سهل) : (٦)

زريب بن برملي : ١٣

زكريا بن إسحاق : ٢٢٦

زكي مبارك (الدكتور) : ١٤١

زيد الخيل (الشاعر) : ٣٨

(ش)

الشافعي (الإمام) : ١٢٢ ، ١٧٧ ،

١٧٨

شداد بن أوس (رضي الله عنه) : ١١٧ ،

٢٣٣ ، ٢٣٢

شريك : ١٧ ، ٩

الشعبي : ٨

شعيب (عليه السلام) : ٥٩ ، ٦١ -

٢٢١ ، ٦٥

شعيب الجبائي : (٦٢)

(ص)

صالح (عليه السلام) : ٦٣ ، ٢٢١

صفوره (امراة موسى عليه السلام)

= صفورا = ٦٢

صلاح المنجد (الدكتور) : ١٠٤

صهيب (رضي الله عنه) : ١١٠

(ض)

الضحّاك : ٣١ ، ٢٣٦

ضرار بن عمرو : (١٥٦) ، ١٧٣

(ط)

طاووس : ٣٧ ، ٣٩

الطبري (ابن جرير) : ٢٩ ، ٦٢ ،

٢٣٦ ، ٧١

طه عبد الباقي سرور (الأستاذ) : ٢٠٩

(س)

سالم (في سند) : ١٧

السدي : ٨ ، ١٨ ، ١٩ ، ٣٠ ، ٣١ ،

٤٢ ، ٦٤

سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) :

١٣

سعيد بن جبير : ٨ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ،

٢٩

سعيد بن منصور : ٦٣ ، (٢٨٨)

سفيان الثوري : ٨ ، ٢٩

سفيان بن عيينة : ١٥١

سفينة (رضي الله عنه) : ٢٦٧

سلمان (الفارسي رضي الله عنه) :

٢٨٨ ، ٢٨٧

سلمة بن وهرام : ٦٢

سليمان (عليه السلام) : ٣٣ ، ٤٣ ،

٢٣٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠

سليمان بن أحمد : ١٤

سليمان الندوي (الأستاذ) : ١٨١

سنيد بن داود : (٦١)

السهروردي (عمر بن محمد) : (١١٣) ،

١١٤

السهروردي (المقتول) : ٥٢ ، ١١٣

سهل بن سعد (رضي الله عنه) : ٢٣٠

سهل بن عبد الله (التستري) : ٤٥

السيد أحمد صقر (الأستاذ) : ٦ ، ٣٩

(ع)

عائشة (رضى الله عنها) : ١١٥ ، ٣٢ ،

١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ٢٥٧ ،

٢٧٨

عبادة بن الصامت (رضى الله عنه) :

١٩٨

عباد بن يعقوب الكوفي : ٤٣

العباس بن عبد المطلب (رضى الله عنه) :

٢٨٧

عبد بن حيد : ٢٣٦ ، ٧١

عبد الرحمن بن أبي عمرة : ١٧٩

عبد الرحمن بدوي (الدكتور) : ١٦٣

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ٨ ،

١٣٣ ، ٣٧

عبد الرحمن بن مهدي : ٨

عبد الرزاق : ٧١

عبد الغافر (بن إسماعيل) الفارسي :

(١٦٩)

عبد الله بن أحمد بن حنبل : ١٢ ، ٧

عبد الله بن أوفى : ٢١٣

عبد الله بن زيد : ٢٣٣

عبد الله بن سبأ : (٢٦٠ - ٢٦١)

عبد الله بن سعد الياضي البجلي : ١١٣

عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) :

١٣ ، ١٤ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ١٧٨ ،

١٩٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ،

٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩

عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) :

١٣ ، ٢٣٩ ،

عبد الله بن غنم (رضى الله عنه) :

١٠٧

عبد الله بن المبارك : ١٧

عبدوس بن مالك المطار : ١٦١

عثمان بن عفان (رضى الله عنه) : ٢٠٦ ،

٢٣٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ ،

عدى بن حاتم (رضى الله عنه) :

٨٣ ، ٢٦٠ ،

المرباح بن سارية (رضى الله عنه) :

٢٦٧

عزير : ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٥٩ ،

العزير (عزير مصر) : ٧١

عطاء : ٨ ، ١٨ ، ٣١ ، ٢٢٦ ،

عطية : ١٠

عقبة بن أبي معيط : ٢٠٤

عقبة بن عامر (رضى الله عنه) : ٢٠

العقيلي : ١٤

عكرمة : ٨ ، ١١ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣٠ ،

٣١ ، ٦٤ ، ٩٨ ، ٢٣٦ ،

علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) :

٤٣ ، ٨١ ، ٩٣ ، ١٢٦ ، ٢٠٦ ،

٢٣٢ ، ٢٦٠ - ٢٦٧ ، ٢٧٤ ،

٢٧٧ - ٢٧٩

طى بن أحمد الحاسب : ١٨٧

طى بن سهل الأصهباني : ١٨٩

(ف)

الفراء (لعله البغوى) : ٣٩ ، ٤٠

فراس : ٨

فرعون : ١٥ ، ١٦ ، ٢٧ ، ٥٨ ، ١٥٦ ،

١٥٨ ، ١٦٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ،

٢٠٧ - ٢١٦ ، ٢٣١ - ٢٣٥

الفضيل بن عياض : ٢٥٧

فؤاد سيد (الأستاذ) : ٨٧

(ق)

قارون : ٢١٠ ، ٢١٥

قنادة : ٨ ، ١٨ ، ٣١ ، ٧١ ، ١٣٠

قتيبة : ٣٤

القشيري : ١٩١

القعقاع بن حكيم (رضى الله عنه) : ٢٦٧

(ك)

كعب الأحبار : ١٠ ، ١٣٨

الكعبى : ١٥٦

الكلاباذى (أبو بكر محمد بن إسحاق) :

١٦٠

كلثوم بن جبر : ١٢

كيسان : ٢٦٤

(ل)

ليا (امرأة موسى عليه السلام) = ويقال

شرفا : ٦٢

ليث بن سعد : ٨ ، ٢٣٥

على بن عبد الحكم : ٢٢٩

على بن مر الأرمي : ٢٥٦

عماد الدين قره أرسلان بن داود

(الملك) : ٥٢

عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) :

١٢ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، ١٠٩ ،

١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٧٨ ،

٢٠٦ ، ٢٣١ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،

٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٨٩

عمران بن حصين (رضى الله عنه) :

١٢٢

عمرو (فى سند) : ٢٣٥

عمرو بن الحارث : ٧

عمرو بن دينار : ٣٧ ، ٢٢٦

عمرو بن العاص (رضى الله عنه) :

٢٢٩

عمرو بن عبيد (أبو عثمان) : ١٧٣ ، ١٧٨

عمرو بن عثمان الكلى : ١٨٩

عمرو بن يحيى الكلى : ١٩١

عيسى بن مريم = المسيح : ١٣ ، ١٨ ،

١٩ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٥٣ ، ٦٥ ،

٦٦ ، ٩٨ ، ١٥٠ ، ١٥٨ ، ١٩٧ ،

٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٧١ ،

٢٨٣

(غ)

الغزالى = أبو حامد : ١٢٣ ، ١٤١ ،

١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢

(م)

مالك بن أنس (الإمام) : ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢

١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٢٢

مالك بن الحويرث (رضى الله عنه) :

٨١

المالودي : ٨٢

مبارك بن فضالة : ١٣٩

المنفي : ١٧

مجاهد : ٨ ، ٩ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤٠ ، ٤٣

محمد = رسول الله = النبي (صلى الله

عليه وسلم) : ٣ ، ٥ ، ٧ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩

٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ -

٢٦٢ ، ٢٦٦ - ٢٦٨ ، ٢٧١ -

٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ -

٢٨٩ ، ٢٩٠

محمد بن أحمد بن سالم (أبو عبد الله) :

(١٨١ - ١٨٢)

محمد بن الحسن (المهدي المنتظر عند

الإمامية الاثني عشرية) : ٢٦٣

محمد بن الحنفية : ٢٦١ ، (٢٦٤)

محمد بن داود الأصبهاني : ١٨٩

محمد بن سليمان الجوهري : ١٦١

محمد بن كعب القرظي : (١٠٦)

محمد مصطفى حلمي (الدكتور) : ٥٢

محمد ناصر الدين الألباني (الأستاذ

الشيخ) : ١٦٨ ، ٢٧٤ ، ٢٨٨

محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني :

(٢٨٨)

محمد بن يحيى الرازي : ١٩١

محمد بن يزيد بن خنيس : ٣٤

محمود محمد شأكر (الأستاذ) : ١٢ ، ١٣ ، ٣٨ ، ٢٩

المختار بن أبي عبيد الثقفي : ١٨٠ ، ٣٦٤

مروة (في مسند) : ٣١

مريم (البتول) : ٨ ، ١٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٨٣

مسروق : ٨

مسلم : ٣٣ ، ٣٤ ، ١٦٩ ، ٢٧٢

النضر بن الحارث : ٢٠٤

نضلة بن جمونة : ١٣

النظام : ١٢٩ ، ١٥٦ ، ٢٧٣

النعمان بن بشير (رضى الله عنه) :

٢٢٥

النواس بن سمعان (رضى الله عنه) :

٢٧٤ ، ١٩٨

نوح (عليه السلام) : ١٥ ، ٩٦ ، ١٢٧ ،

١٥٠ ، ٢١٣ ، ٢٢١ ، ٢٣٤ ،

٢٨٣ ، ٢٦٩

(هـ)

هارون (عليه السلام) : ١٦٦ ، ٢٠٤ ،

٢١٠ ، ٢٠٨

هامان : ٢٠٤ ، ٢١٥

هامة بن الهيم (بن لاقيس بن إبليس) :

١٣ ، ١٤

هشام بن الحكم : ١٨٠

هود (عليه السلام) : ٦٣ ، ٦٤ ،

٢٢١ ، ٩٦

الهيشمي : ١٢

(و)

واصل بن عطاء : ١٧٣ ، ١٧٨

واقد : ١١

وكيع بن الجراح : ١٧

الوليد (في سند) : ٢٥٨

مسلم بن يسار : ١٢

مسيلة (الكذاب) : ١٩٧ ، ٢٧٣

مطرف : ١٠

معاذ بن جبل (رضى الله عنه) : ١٥

معاوية بن صالح : ٨

معبد الجهني : ١٧٨

مقاتل (في سند) : ١٨ ، ٣٠ ، ٤٠

مقاتل بن حيان : ٨

مقاتل بن سليمان : ١٧

النهال : ٢٩

موسى (عليه السلام) : ١٥ ، ٢٤ ، ٦١ -

٦٦ ، ٨٩ ، ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،

١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،

١٦٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،

٢١٠ - ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٢٢ ،

٢٣٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٨٤

موسى بن إسماعيل : ٣٤

ميكال = ميكايل (الملك عليه السلام) :

٩٢ ، ٢٥٧

ميمون بن مهران (أبو عمرو) :

(١٢٩)

(ن)

نافع (المقرئ) : ١٣٢

النجار (أبو عبد الله الحسين بن محمد) :

(١٥٦)

نصر بن سيار : ١٧

وهب بن منبه : ٢٩

(ى)

يثرى = يثرون = أرون : ٦٢

يحيى بن رافع : ٣١

يحيى بن سعيد : ١٠

يحيى بن واضح : ١١

يحيى بن يعمر : ١٧٨

يزيد النحوى : ٢١

يزيد بن الهاد : ٢٣٥

يعقوب (عليه السلام) : ٢٤

يوسف (عليه السلام) : ١١٥ ، ٧١ ، ١١٥ ، ١١٥

٢٣٤ ، ١٣٣

يوشع (عليه السلام) : ٥٢

يونس = ذو النون : ٢٧٠

فهرس القبائل والفرق والطوائف

أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم): ٣٦
الأسباط (أولاد يعقوب عليه السلام) :

٢٤

الأشاعرة = الأشعرية = أصحاب

الأشعري : ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٣ ،

١٢٧ ، ١٥٩ ، ١٧٧ ، ١٨١ ،

٢٤٦

أصحاب الأيكة : ٦١ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩

أصحاب الرس : ٢٠٨

إل ياسين : ١١٣

الإمامية الإثنا عشرية : ١٨٠ ، ٢٤٦ ،

٢٦٣

الأمراء : ٥٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤

الأموية : ٢٦٢

الأنبياء = النبيون : ١٩ ، ٢٤ ، ٣٤ ،

٥٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٠٩ ، ١٦٣ ،

١٩٠ ، ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،

٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ،

٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ -

٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ ،

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠

الأنس : ٩ ، ٣٧ ، ٩١

الأنصار : ١٤٦ ، ٢٢٠ ، ٢٦٨ ،

٢٧٤ ، ٢٩٠

(١)

آل أبي أوفى : ٢١٣

آل إبراهيم : ٢١٣

آل داود : ٢١٣

آل عمران : ٢١٣

آل فرعون = قوم فرعون : ٢٧ ،

٥٨ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ،

٢١٠ ، ٢١٢ - ٢١٦

آل محمد (صلى الله عليه وسلم) : ٣ ،

٤٥ ، ٤٩ ، ٥٨ ، ٦٦ ، ٨٧ ،

١١٨ ، ١٢١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ،

١٥٥ ، ١٨٣ ، ٢١٦ ، ٢٩٠

الأنمة : ٨١ ، ٨٨ ، ١٥٥ ، ١٦٢ ،

١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٨٢ ، ٢٥١ ،

٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ،

٢٧٦

الأنمة الإثنا عشر : ٢٦٤

الاتحادية : ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٧٣ ،

٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧

الأخبار : ٦٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠

إخوان الصفا : ١٦٨

إخوان لوط = قوم لوط = آل لوط :

٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٣

الأرمن : ١٩٥

أهل النار: ١٢، ١١٦، ١٣٣، ١٤٦،

٢٠٤، ٢٣

أولو الأمر: ٢٧٣ - ٢٧٥

الأولياء = أولياء الله: ٥٣، ٥٠،

١٩١، ١٩٠، ١٨٧، ٩٧، ٥٤

٢٦٧، ٢٠٦، ٢٠٥، ١٩٦

(ب)

الباطنية: ١٠٣، ١٠٤، ١١٢،

١٧١، ١٦٧

البصريون: ١٧٣

بنو آدم = الآدميون: ١١ - ١٣،

٢٢، ٢٣، ٢٨، ٣٥، ٣٨،

٤١، ٥٣، ٧٠، ٢٢٥، ٢٢٩

٢٣٦، ٢٤١، ٢٥٨

بنو إسرائيل: ٨٩، ١٣٨، ١٥٠،

١٦٥، ٢١٢، ٢٠٧، ٢٠٣، ١٧٩

بنو تميم: ٢٣١

بنو راسب: ١٧

بنو عامر: ٣٨

(ت)

التابعون: ٩، ٣٠، ٦٣، ١٢٣،

١٢٩، ١٩٠

التر: ١٩٥

(ث)

الثنوية: ١٠٧

أهل الإنبات = النبتون: ٨٧، ١١٤

أهل الإلحاد: ١٠٣

أهل الجنة: ١٢، ١٧، ١١١، ١١٦،

١٣٢، ١٣٣، ١٤٦، ١٥٠،

٢٨٨

أهل الحديث = المحدثون: ٨٢، ١٢٢،

١٥٩، ١٦١، ١٧٧، ١٨٢،

أهل السنة: ٢٥، ٤٠، ٤٢، ١١١،

١١٤، ١١٥، ١١٨، ١٢٣،

١٢٩، ١٦٠ - ١٦٢، ١٧٢،

١٧٣، ١٨١، ١٨٢، ١٩١،

١٩٢، ٢٦٣، ٢٧٦،

أهل الطاعة: ١٠، ١٨

أهل الكتاب: ١٥، ١٩، ٢٨، ٣١،

٣٢، ٥١، ٦١، ٦٣، ٦٥،

٦٦، ١١٥، ٢٣٠، ٢٣١،

٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٦، ٢٥٩،

٢٦٩، ٢٧١

أهل الكلام = المتكلمون: ١٤،

٨٨، ١٢٢، ١٢٥، ١٦٠،

١٦٣، ١٦٧، ٢٤٦، ٢٦٢،

٢٦٨

أهل اللغة = أهل العربية: ١١٠،

١٢٩

أهل مدين: ٦٢

أهل الملل: ٥٤، ١٢١، ١٢٥، ٢٠٣،

(د)

الدجالون : ١٩٧ - ١٩٩ ، ٢٧٣

(ر)

الرافضة = الروافض : ١٨٠ ، ٢٥٦

٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٧٦

الرسل = المرسلون : ٩ ، ١٤ - ١٦ ،

٢٤ ، ٢٦ ، ٤٩ - ٥١ ، ٥٣ ،

٥٨ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٩٢ ، ٩٦ ،

٩٧ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٤٩ ،

١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ،

٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ،

٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٤٣ - ٢٤٥ ،

٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٨٤

الرهبان : ٦٥ ، ٢٣١ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠

(ز)

الزنادقة : ١١٢ ، ١٩٠ ، ٢٠٤ ، ٢٥٥ ،

٢٦١

الزهاد : ١٩٢٠

(س)

السالية : (١٨١ - ١٨٢)

السامرة : ٢٧٠

(ج)

جماعة السلمين : ٢٣٢

الجبرية = المجبرة

الجمهور : ٨٨ ، ٩٤

الجن : ١٠ ، ١٣ ، ١٤ ، ٣٧ ، ٩١ ،

١٩٥ ، ١٩٦

الجهمية : (١٦ - ١٧) ، ٨٣ ، ١٠٣ ،

١١١ - ١١٤ ، ١١٨ ، ١٢١ ،

١٢٧ ، ١٣٨ ، ٥٥ ، ١٦١ ،

١٦٢ ، ١٧٢ ، ٢٥٦

(ح)

الحرثانيون : (١٠٦) ، ١٠٧

الحلولية : ١٥٧

الحنابلة = أصحاب أحمد : ١٠٩ ، ٨٧ ،

١٢٢ ، ١٦٠ ، ١٧٧ ، ١٨٢

الحنفية : ١٥٩ ، ١٧٧

الحواريون : ٦٥ ، ٦٦

(خ)

خلفاء بني أمية : ٢٨٩

خلفاء بني العباس : ٢٨٩

الخلفاء الراشدون : ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،

٢٨٩

الحوارج = الخوارج : ٩٨ ، ١١٢ ،

٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢

٢٥٣ ، ٢٥٠ ، ٢٣٦ ، ٢٣١

٢٦٦ ، ٢٦٢ ، ٢٥٧ ، ٢٥٤

٢٧٥ ، ٢٧٣

الصفانية : ١٥٦ ، ١٧٧

الصوفية = المتصوفة : ٨٧ ، ١٠٤

١٦٠ ، ١٢٢ ، ١١٣ ، ١١٢

١٨٢ ، ١٨١ ، ١٦٧ ، ١٦٤

١٨٩ ، ١٨٨

(ض)

الضرارية : (١٥٦) ، ١٧٣

(ظ)

الظاهرية : ٢٤٦

(ع)

العباد = المابدون : ٢٢ ، ٢٤٧ ، ٢٣

٢٦٤ ، ٢٥٥

عبدة الأوثان : ١٠٧

العرب : ١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٩٤

٢١٠ ، ٢٢٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ -

٢٩٠

العجم : ٢٨٩ ، ٢٩٠

العلماء : ١١ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٢٨ ، ٤١

١٨٧ ، ١٥٩ ، ١٥٦ ، ٦٣

١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ، ٢٤٧

٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦

٢٦٣ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦

السبئية : (٢٦٠ - ٢٦١)

السحرة : ١٣٣ ، ١٦٧ ، ١٨٧

١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢١٢ ، ٢٧٠

السلف : ٩ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣٤

٨١ ، ٨٨ ، ٣٠ ، ١٥٦ ، ١٦١

١٦٢ ، ١٧٣ ، ٢٥١ ، ٢٥٧

٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٦

(ش)

الشافعية = أصحاب الشافعي : ١١٣

١٢٢ ، ١٦٠ ، ١٧٧

الشياطين : ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩١

١٩٢ ، ١٩٤ - ١٩٦ ، ٢١٢

٢٧٠

الشيعة : ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٥٦ ، ١٦١

١٨٠ ، ١٩٢ ، ٢٦٣

الشيوخ = المشايخ : ١٢٥ ، ١٨٨

١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٦٤ ، ٢٧٣

٢٧٥ ، ٢٧٦

(ص)

الصائبة = الصابئون : ١٠٦ ، ١٦٢

١٦٨ ، ٢٧٠

الصحابية = أصحاب رسول الله :

٩ ، ١٥ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٦

٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ١٣٩

١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٧٨ ، ١٩٠

٤٥٣، ٥٠، ٤٩، ٤٠، ١٨، ١٦

٤١٠٤، ٩١، ٧٠، ٦٩، ٥٦

٤٢١٠، ٢٠٨، ١١٠، ١٠٩

٤٢٤٥، ٢٤٤، ٢٢٧، ٢١١

٢٥٩، ٢٥٦

الكراءية: (١٦١)، ١٨٢، ١٨١،

الكلاءية: (١٥٩)، ١٧٧،

الكوفيون: ١٧٣، ١٠٩،

الكهان = الكهنة: ١٩٤ - ١٩٦

الكيسانية: ١٨٠، (٢٦٤)

(م)

المالكية: ١٢٣، ١٦٠، ١٧٧

المتبعة: ١٥٦، ٢٥٦

المجرة = الجبرية: ٧٠، ٩٨، ١٠٣،

١٢٥، ١٢٢، ١١٨، ١١١

١٥٦، ١٢٩، ١٢٧

المجتهدون: ٢٤٦

المجوس: ١٠٦، ١٠٧

المختارية: (١٨٠)

مذحج (قبيلة): ٢٧

المرتدون: ١٥

المرجئة: ١٦، ١٧، ١١١، ١١٢،

١٥٦، (١٦٠)، ١٦١

المسلمون: ٥، ٢٨، ٣٥، ٥٥، ٨١،

٩٤، ٩٨، ١٢١، ١٦٩، ١٨٧،

١٩٧، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢١٤،

(٢٣ جامع الرسائل - ١)

(غ)

الغلاة = الغالية: ٢٥٩، ٢٦٠،

٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٥

(ف)

الفقهاء: ٧، ٨٨، ٨٧، ١٠٩، ١٢٢،

١٧٧، ٢٧٦،

الفلاسفة = المتفلسفة: ٥٢، ١٠٣،

١٠٤، ١٥٥، ١٦٢ - ١٦٤،

١٦٧ - ١٧٠، ١٧٢،

(ق)

القائلون بوحدة الوجود: ١١٢، ١١٤،

١٦٧

القدرية: ٢٥، ٧٠، ٩٤، ٩٨، ٩٩،

١٠٣، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٧،

١٢٩، ١٧٧، ١٧٨، ٢٥٦،

٢٦٣

القرامطة: ١٥٥، ١٦٧، ١٧١،

١٨٩، ١٧٣

قريش: ٢٨٧

قوم تبع: ٢٠٨ - ٢٠٩

(قوم) قوم: ١٥، ٢٧، ٢٠٨،

٢٠٩

(قوم) عاد: ١٥، ٢٧، ٢٠٨، ٢٠٩،

قوم نوح: ١٥، ٢٧، ٢٠٨، ٢٠٩،

(ك)

الكافرون = الكفار: ١٠، ١١،

المؤمنون: ١١، ١٦، ١٨، ٢٣،

٢٤، ٢٦، ٥٠، ٥١، ٥٤،

٥٦، ٥٨، ٨٩، ٩٠، ٩٤، ٩٥،

٩٧، ١٠٤، ١١١، ١١٢، ١٤٥،

١٧٣، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٨،

٢٣٢، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٤٩،

٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٥٩،

٢٦٤، ٢٦٩، ٢٧١ -

(ت)

النجارية: (١٥٦)

النسك: ٢٦٤

النصارى: ٥٢، ٥٣، ٦٣، ٦٦، ٩٨،

١٠٦، ١١٥، ١٦٣، ١٦٩،

٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢٢٨،

٢٥٩، ٢٦٠، ٢٧٠، ٢٧١،

٢٨٤

النفاء = النافية: ١٠٣، ١٢٩، ١٥٥،

١٥٩، ١٧١، ١٧٧،

نفاة القياس: ٢٤٦

(ي)

اليهود: ٢٨، ٦٣، ٩٨، ١٠٦، ١١٥،

١٦٣، ١٦٩، ٢٣، ٢٠٥،

٢٠٩، ٢٢٩، ٢٥٩، ٢٦٠،

٢٧٠، ٢٧١، ٢٨٤،

٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٣،

٢٤٦، ٢٤٨، ٢٦٣، ٢٦٤،

٢٦٦

المشاهون: ١٦٨

المشركون: ١٩، ٢١، ٢٢، ١٩٤،

٢٠٨، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤٤،

٢٤٥، ٢٥٦، ٢٧٠،

المعزلة: ١٠٩، ١١١، ١١٨، ١٢٣،

١٢٩، ١٣٨، ١٥٦ - ١٥٩،

١٦١، ١٦٢، ١٧٢، ١٧٧،

١٧٨، ١٨٠، ١٨٨، ٢٤٦،

٢٦٢، ٢٦٨، ٢٧٦،

المعزلة البصرية: ١٧٣، ١٧٩، ١٨٢،

المفسرون: ١٨، ٤١، ٧١،

الملائكة: ٤، ١٣، ١٨، ١٩، ٢٢،

٢٣، ٤١، ٥٣، ٩٢، ١٣٥،

١٥٦، ١٦٢، ١٧٢، ٢٥٩،

الملاحظة: ١٠٦، ١٠٧، ١١٢، ٣٠٦،

٢١٢، ٢١٣،

الملوك: ٦٦، ٧٦، ٢٧٣، ٢٧٥،

المنافقون: ٢٦، ٥٠، ٥١، ٩١،

١٤٧، ١٨٣، ٢٠٤، ٢١٢،

٢٥٩

المهاجرون: ٢٢٠، ٢٦٨، ٢٩٠،

المؤتسكات: ٢٠٩،

فهرس الاماكن والبلدان

حلوان : ١٣

(خ)

خراسان : ١٧ ، ١٨٧

(د)

دار القطن (من احياء بغداد) : ٢٦٢

دمشق : ١٠٤ ، ١٢١ ، ١٩٢

(ر)

الري : ١٨١

(س)

سامراء : ٢٦٣

سهرورد : ١١٣

(ش)

الشام : ١١٤ ، ١٩٣ ، ٢٨٣

الشاهنة (قرية) : ١٩٣

الشوبك (قلعة بالشام) : ١٩٣

(ص)

الصالحية (جبل) : ١٩٢

(ع)

عرفات = عرفة : ١٢ ، ٢٥٨

عمان : ١٩٣

(١)

أبو قيس (جبل) : ٣٧ ، ١٩٢

أحد (جبل) : ٥٤ ، ١٧٨

الأخشان (جبلان بمكة) : ٣٧

الأندلس : ١٠٣ ، ١٢٣

أصبهان : ١٣٩

أنطاكية : ٦٦

أيلة : ١٩٣

(ب)

باب الصغير (بدمشق) : ١٩٢

بدر : ٥١

البصرة : ١٢٢ ، ١٧٣ ، ١٧٨

بغداد : ٦٢ ، ١٨١ ، ١٨٨ ، ١٨٩

بيت المقدس : ٢٨٣

(ت)

الترك (أرض) : ١٩٤

تركستان : ١٨٧

تهامة : ١٤

(ح)

الحديبية : ١٠٠

حروراء : ١١٢

مرسية (بالآندلس) ١٠٤

مرو : ١٧

مكة : ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٦٤ ، ٢٨٨

(ن)

نعمان = جبل عرفة : ١٢

نيسابور : ١٢٣ ، ١٢٩

(هـ)

الهند : ١٨٧ ، ١٩٤

(و)

واسط : ٧٦

(ى)

اليمامة : ١٩٧

العين : ١٩٢

(ق)

القادسية : ١٣

القلزم : ١٩٣

قلعة دمشق : ١٢

القسطنطينية : ١٩٧

(ك)

كابل : ١٧٨

الكرك : ١٩٣

الكعبة : ٣٧ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤

كندة : ٢٦١

الكوفة : ١٠٦ ، ١١٢

(م)

ما وراء النهر : ١٨٧

مدین : ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤

المدينة (المنورة) : ١٩٨

فهرس المصطلحات والبحوث الفرعية(*)

صفحة

(١)

حكام فقهية شرعية :

١٩٠	حكم الزنديق إذا أظهر التوبة — للعلماء فيه قولان
٢٤٨ — ٢٤٦	حكم المجتهد الخطيء عند طائفة من المتكلمين والفقهاء
٢٧٥ — ٢٧٣	طاعة أولى الأمر — منهاها وحدودها

(ت)

التفسير :

٦٣	تفسير الثعلبي لا يعتد به
٧٠ — ٦٩	المعاني الإجمالية لسورة الإنسان : خلق الإنسان وهدايته —
	المبدأ والمعاد — الخلق والأمر — إثبات الأسباب والفعل والإرادة
	للعبد — مشيئة العبد إنما هي بمشيئة الله

التصوف :

١٨٩ — ١٨٨	الحلاج — ذم الأئمة والجناد له
٢٠٦	خاتم الأولياء : ابن عربي يدعى أنه خاتم الأولياء
٢٠٩ ، ٢٠٦ — ٢٠٥	خاتم الأولياء أفضل عند ابن عربي من خاتم الرسل
١٧٠ — ١٦٩	الغزالي : مدى صحة ما ينسب إليه من كتب وأقوال مبتدعة
١٤٢ — ١٤١	قوله : ليس في الإمكان أبدع مما كان
٢٠٧	القطب والغوث
١٠٥ — ١٠٤	وحدة لوجود : قول باطنية الشيعة والتصوفة بها
١٦٧ — ١٦٤	شواهد من كلام ابن عربي على قوله بها
١١٢	الولي (معنى اللفظ)

* هذا الفهرس يتضمن بعض المصطلحات والبحوث التي لم ينشر إليها في فهرس الموضوعات .

(ح)

- الحاروري (هو من عبد الله بالخوف وحده) — وانظرت ٢ ١١٢
الحوادث اليومية المشهودة دليل على حدوث العالم ١٣٩ — ١٤١

(ص)

صفات الله :

- ابن حزم وتأويله لصفات الله تعالى ١٣٦ — ١٣٧
أقوال بعض المبتدعة في مسألة كلام الله ١٥٥ — ١٥٨
البداء ١٧٩ — ١٨٠
السمع والبصر والكلام — مقالات أهل السنة فيها ١٨١ — ١٨٢
للصفات أقول ثلاثة في المشيئة والإرادة ١٨٢
الله تعالى له للمثل الأعلى وهو أولى بصفات الكمال ١٣٦ — ١٣٧

(ع)

- عصمة الأنبياء عند بعض التكلمين وعند أهل السنة ٢٦٨ — ٢٧٠
العقل : بيان أن حديث « أول ما خلق الله العقل » موضوع والتعليق على ذلك ١٦٨ — ١٦٩

(ق)

القضاء والقدر :

- الأسباب بين النفي والإثبات ٨٣ — ٨٤
الأمور الطبيعية إما أن تقع بمحض المشيئة على قول وإما أن تقع بحسب الحكمة على قول ٥٤ {
أهل السنة يقولون : لا يكون في ملكه إلا ما يشاء بخلاف القدريّة ٢٥
أول ما أنعم الله على العبد (تنازع الناس في ذلك) ١٠٩
البداء ١٧٩ — ١٨٠
تعذيب الأطفال ١٢٥
حكم الله — أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصبر لحكم ربه ، وهو يعم الحكم الديني : وهو الأمر والنهي ، والحكم الكوني : وهو القضاء والقدر ٧٤ {

صفحة

٧٧

مشيئة الله ومشية العباد

(م)

١١٢	المرجئة (معنى اللفظ) وانظر التطبيق
٧٧-٧٦	المعاد مثل للمبدوء وإن كان هو بعينه
١٤٠	معرفة الله الفطرية - الكلام عليها
١٧-١٤	إنكار كثير من أهل الكلام لها وقولهم بوجوب النظر
١٣-١١	معنى قوله تعالى « وإذ أخذ ربك من بنى آدم . . . الآية »
	ومعنى إنطاق بنى آدم وإشهادهم على أنفسهم
٢٦٣	المهدي المنتظر عند الإمامية الاثنى عشرية

فهرس الكتب

صفحة	اسم الكتاب
٨٧	« الإبانة الكبرى » لابن بطة (الإشارة إليه على الأرجح)
١٦٤	« إحياء علوم الدين » للغزالي
١٨٨	« أخبار الحلاج » مجلد لأبي يوسف القزويني
١٠٨	« الاستيعاب » لابن عبد البر (الإشارة إليه على الأرجح)
٥٢	« الألواح العمادية » للسهروردي المقتول
٢٧٢، ٢٢٢، ١٦٣	« الإنجيل »
١٨٨	« تاريخ ابن الجوزي » (وهو المنتظم)
١٨٨	« تاريخ بغداد » لابن علي الخطيبي
١٨٨	« تاريخ بغداد » للحافظ أبي بكر الخطيب
١٦٩	« تاريخ نيسابور » لعبد الغافر الفارسي
١٣٨	كتاب « تشریف يوم الجمعة وتعظيمه » لابن عساكر
١٦٠	« التعرف في مذاهب التصوف » للكلاباذي
٦٢	« تفسير ابن جرير » (وهو تفسير الطبري)
١٣٩	« تفسير ابن الجوزي » (وهو زاد المسير في علم التفسير)
٦٤	« تفسير السدي »
٦١	« تفسير سنيد بن داود »
٢٧٢، ٢٣٤، ٢٢٢، ٦٣	« التوراة »
٢٦٢	كتاب « ثناء الصحابة على القرابة وثناء القرابة على الصحابة » للدارقطني
٦٦، ٥٣، ٥٢	« الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » = « الرد على النصارى » لابن تيمية
١٦٣	« جواهر القرآن » للغزالي
١٩١	« الرسالة » للقشيري
١٦٨	« رسائل إخوان الصفاء »
١٨٨	« رفع اللجاج في أخبار الحلاج » لابن الجوزي

صفحة	اسم الكتاب
٢٧٢	« الزبور »
٢٢٥	في « السنن »
٢٨٨	« سنن » سعيد (بن منصور)
١٢٦	« صحف إبراهيم وموسى »
٢٧٢ ، ٢٦١ ، ١٦٩	« صحيح البخارى »
٢٧٢ ، ٢٢٣ ، ١٦٩ ، ١١٠ ، ٣٣	« صحيح مسلم »
٢٧٨ - ٢٧٦ ، ٢٥٣ ، ٢٢٥	« الصحيحان »
١٨٩	كتاب « الصلاة » للحسن البصرى
١٨٨	« طبقات الصوفية » لأبى عبد الرحمن السلمى
١٣٩	كتاب « العظمة » لأبى الشيخ الأصبهاني
٢٠٧ ، ١٦٧	« الفتوحات المكية » لابن عربى
٢٠٧ ، ٢٠٤ ، ١٦٦ - ١٦٤	« فصوص الحكم » لابن عربى
٢١٣ ، ٢٠٤ ، ١٩١ ، ١٨٣ ، ١٦٣ - ١٦١ ، ١٥٨ ، ٦٤	« القرآن »
٢٨٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٢ ، ٢٤٩ ، ٢٣٨	
١٦٣	« كيمياء السعادة » للغزالي
٥٢	كتاب « المبدأ والميعاد » للشهروردي المقتول
١٦٣	« مسائل النفخ والتسوية » للغزالي
١٦٣	« مشكاة الأنوار » للغزالي
١٦٩ ، ١٦٣	« المضمون به على غير أهله » الأول والثاني = « المضمون بهما »
١٧٢	على غير أهلهما = « المضمون » للغزالي
١٨١	« المطالب العالية » للرازي
١٣٩	كتاب « الطر » لابن أبى الدنيا
١٨٠	« الاعتبار فى الحكمة » لابن ملكا
٢٦٣	فى الكتاب الكبير « منهاج أهل السنة النبوية فى نقض كلام الشيع »
	القدرية « لابن تيمية
٢٨٨	كتاب « الموضوعات » لابن الجوزى

فهرس مراجع التحقيق

(١)

الإبانة عن أصول الديانة ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، ط . المنيرية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

ابن حنبل ، للشيخ محمد أبي زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٣٦٧/١٩٤٧ .
الإحكام في أصول الأحكام ، لسيف الدين علي بن أبي علي بن محمد الآمدي ، ط .
المعارف ، القاهرة ، ١٣٣٢/١٩١٤ .

إحياء علوم الدين ، لأبي حامد الغزالي ، ط . لجنة نشر الثقافة الإسلامية ، القاهرة ،
١٣٥٦ - ١٣٥٧ .

أخبار الحكماء = تاريخ الحكماء .

أخبار الحلاج ، لعلي بن أنجب الساعى ، تحقيق ماسينيون وكراوس ، باريس ،
١٩٣٦ .

الأخلاق عند الغزالي ، د . زكي مبارك ، ط . دار الكتاب العربي ، القاهرة ،
بدون تاريخ .

الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، لمحي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ،
ط . مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٧١/١٩٥٢ .

الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله
الجويني ، تحقيق د . محمد يوسف موسى والأستاذ علي عبد المنعم عبد الحميد ، ط .
الخانجي ، القاهرة ، ١٣٦٩/١٩٥٠ .

الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النخعي
القرطبي ، بذييل الإصابة لابن حجر ، ط . المكتبة التجارية ، القاهرة ،
١٣٥٨/١٩٣٩ .

الإشارات والتنبيهات ، لأبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا ، تحقيق د . سليمان دنيا ،
ط . المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٧ - ١٩٦٠ .

الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ، ط . التجارية ، القاهرة ،
١٩٣٩/١٣٥٨ .

أصول الدين ، لعبد القاهر بن طاهر البغدادى ، استانبول ، ١٩٢٨/١٣٤٦ .
اعتقادات فرق المسلمين والمشرىكين ، لفخر الدين الرازى ، تحقيق د. على سامى النشار ،
ط . النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٨/١٣٥٦ .

الأعلام ، لخير الدين الزركلى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٢٧٢ - ١٩٥٤/١٣٧٨
- ١٩٥٩ .

إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم
الجوزية ، ط . المنيرية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، لابن تيمية ، تحقيق الشيخ محمد
حامد الفقى ، ط . السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٥٠/١٣٦٩ .

أقسام العلوم العقلية ، لابن سينا ، ضمن تسع رسائل فى الحكمة والطبيعات ، ط .
أمين هندية ، القاهرة ، ١٩٠٨/١٣٦٦ .

إنباء الرواة على أنباء النحاة ، لأبى الحسن طى بن يوسف القفطى ، تحقيق الأستاذ
محمد أبى الفضل إبراهيم ، ط . دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٥٠/١٣٦٩ .

(ب)

البدء والتاريخ ، لمطهر بن طاهر المقدسى ، ط . باريس ، ١٨٩٩ - ١٩١٩ .
البداءة والنهاية فى التاريخ ، لإسماعيل بن عمر بن كثير ، ط . السعادة ، القاهرة ،
١٩٣٢/١٣٥١ .

البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة ، لعبد الفتاح القاضى ، ط . مصطفى
الحلبى ، ١٩٥٥/١٣٧٥ .

البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانات والسحر والتارنجات ،
للباقلانى ، ط . بيروت ، ١٩٥٨ .

(ت)

- تاريخ ابن الوردي ، لعمر بن الوردي ، القاهرة ، ١٢٨٥ .
- تاريخ الأدب العربي ، لكارل بروكلمان ، ترجمة د . عبد الحليم النجار ، ط . المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
- تاريخ بغداد ، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، القاهرة ، ١٣٤٩ / ١٩٣١ .
- تاريخ الحكماء (مختصر الزوزني من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء لعل ابن يوسف القفطى) ، ط . ليزج ، ألمانيا ، ١٩٠٣ .
- تاريخ حكماء الإسلام ، لظهير الدين علي بن زيد البيهقي ، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي . ط . المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ١٩٤٦ / ١٣٦٥ .
- التاريخ الكبير ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ط . حيدر آباد ، ١٣٦١ .
- تأويل مشكل القرآن ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر ، ط . عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٤ / ١٣٧٣ .
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة ، لأبي المظفر الإسفراييني ، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري ، القاهرة ، ١٩٤٠ / ١٣٥٩ .
- تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، لعل بن الحسن ابن عساكر ، ط . القدس ، دمشق ، ١٣٤٧ .
- تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النري القرطبي ، ط . القدس ، القاهرة ، ١٣٥٠ .
- تذكرة الحفاظ ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، الطبعة الثالثة ، حيدر آباد ، ١٩٥٥ / ١٣٧٥ .
- تذكرة الموضوعات ، لمحمد طاهر بن علي الفتى ، ط . النيرة ، القاهرة ، ١٣٤٣ .
- ترتيب مسند الطيالسي (منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود) ، للأستاذ أحمد عبد الرحمن البنا ، القاهرة ، ١٣٧٢ .

الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، لعبد العظيم بن عبد القوى المنذرى ،
تحقيق مصطفى محمد عمارة ، ط . مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٢/١٩٣٣ .
التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، للدكتور أبي الملا عفيفي ، ط . المعارف ،
الاسكندرية ، ١٩٦٣ .

التعرف لمذهب أهل التصوف ، لأبي بكر محمد الكلاباذي ، تحقيق د . عبد الحلیم
محمود ، ط . عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٠/١٩٦٠ .
التعريفات ، لعلي بن محمد الجرجاني (مع رسالة اصطلاحات الصوفية لابن عربي) ،
ط . مصطفى الحلبي ، ١٣٥٧/١٩٣٨ .

تفسير البغوى (معالم التنزيل) بذييل تفسير ابن كثير ، ط . المنار ، القاهرة .
تفسير الطبرى (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير
الطبرى ، تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ، ط . المعارف ، القاهرة .
تفسير الطبرى ، ط . بولاق ، القاهرة ، ١٣٢٣ .

تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ، تحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر ، ط . عيسى
الحلبي ، ١٣٧٨/١٩٥٨ .

تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ، ط . مصطفى الحلبي ،
القاهرة ، ١٣٦٧/١٩٤٨ .

تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى
القرطبي ، ط . دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٧٢/١٩٥٢ .

تقريب التهذيب ، لأحمد بن على بن حجر العسقلاني ، تحقيق الشيخ عبد الوهاب
عبد اللطيف ، ط . دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ١٣٨٠/١٩٦٠ .

تميز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث ، لابن الديع
الشياني ، ط . محمد صبيح ، القاهرة ، ١٣٤٧ .

التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع ، لأبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن
الملطى ، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى ، ط . عزت العطار ، القاهرة ،
١٣٦٨/١٩٤٩ .

تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ، لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكنانى ، تحقيق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف ، مكتبة القاهرة ، القاهرة ، ١٣٧٨ .

تهذيب الأسماء واللغات ، لأبي زكريا محي الدين بن شرف النووي ، ط . المنيرية ، بدون تاريخ .

تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلانى ، ط . حيدر آباد ، ١٣٢٥-١٣٢٧ .

التوحيد وإثبات صفات الرب ، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، ط . المنيرية ، القاهرة ، ١٣٥٣ .

تيسير الوصول إلى جامع الأصول ، لعبد الرحمن بن علي بن الديع الشيبانى ، ط . مصطفى الحلبي ، ١٩٣٤/١٣٥٣ .

(ج)

جامع الأصول من أحاديث الرسول ، لأبي السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزرى ، تصحيح الشيخ محمد حامد الفقى ، ط . السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٦٨/١٩٤٩ .

الجامع الصحيح ، لمسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، استانبول ، ١٣٢٩-١٣٣٣ .

الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ط . مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٩/١٣٥٨ .

الجبال والأمكنة والمياه ، للزغشري ، ط . النجف ، ١٩٦٢/١٣٨١ .

الجرح والتعديل ، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازى ، الطبعة الأولى ، حيدر آباد ، ١٩٥٢/١٣٧١ .

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لابن تيمية ، ط . المدني ، القاهرة ، ١٩٥٩/١٣٧٩ .

(ح)

الحلاج شهيد التصوف الإسلامى ، للأستاذ طه عبد الباقي سرور ، ط . المكتبة العلمية ، القاهرة ، ١٩٦١ .

الحوار المين ، لأبي سعيد نشوان الحميرى ، تحقيق الأستاذ كمال مصطفى ، ط . الخانجي والثنى ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

(خ)

الخطوط (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) لثقي الدين أحمد بن علي
المقريزي ، ط . الأميرية بيولاقي ، القاهرة ، ١٢٧٠ .
خلاصة تهذيب السكّال في أسماء الرجال ، لأحمد بن عبدالله الخزرجي الأنصاري ،
ط . الخيرية ، القاهرة ، ١٣٢٢ .

(د)

دائرة المعارف الإسلامية .
الدر المنثور في التفسير بالماثور ، لجلال الدين السيوطي ، ط . طهران ، ١٣٧٧ .
دول الإسلام في التاريخ ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، الطبعة الثانية ،
حيدر آباد ، ١٣٦٤ .
الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، لإبراهيم بن علي بن محمد بن
فرحون المالكي ، ط . مطبعة الماعه ، القاهرة ، ١٣٥١ .

(ذ)

ذخائر الموارث في الدلالة على مواضع الحديث ، لعبد الفتي النابلسي ، ط . جمعية
النشر والتأليف الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٥٢/١٩٣٤ .
الذيل على طبقات الحنابلة ، لابن رجب الحنبلي ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط .
السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٧٢/١٩٥٢ .

(ر)

رجال الطوسي ، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق محمد صادق آل
بحر العلوم ، ط . الحيدرية ، النجف ، ١٣٨١/١٩٦١ .
الرد على الجهمية ، لأبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي ، تحقيق جوستا ويتستام ،
ط . ليدن ، هولندا ، ١٩٦٠ .

الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير
تأويله ، لأحمد بن حنبل ، تحقيق محمد حامد الفقي ، نشرت في مجموعة شذرات

البلاطين من طبقات كلمات سلفنا الصالحين ، ط . السنة المحمدية ، القاهرة ،
١٩٥٦/١٣٧٥ .

الرد على المنطقيين ، لابن تيمية ، تحقيق عبد الصمد شرف الدين ، ط . بومباي ،
الهند ، ١٩٤٩/١٣٦٨ .

الرسالة العرشية ، لابن سينا ، ضمن مجموعة رسائل الشيخ الرئيس ، حيدر
آباد ، ١٣٥٤ .

رسالة في القوى الإنسانية وإدراكاتها ، لابن سينا ، ضمن تسع رسائل في الحكمة
والطبيعات ، الطبعة الأولى ، مطبعة هندية ، القاهرة ، ١٩٠٨/١٣٢٦ .

الرسالة القشيرية في علم التصوف ، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ،
ط . محمد صبيح ، القاهرة ، ١٩٤٨/١٣٦٧ .

روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، لميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري ،
الطبعة الثانية (طبع حجر) ، طهران ، ١٣٦٧ .

الرياض النضرة في مناقب العشرة ، لأبي جعفر أحمد الحب الطبري ، الطبعة الثانية ،
نشر الخانجي ، ١٩٥٣/١٣٧٢ .

(س)

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط .
دمشق ، ١٩٥٩/١٣٧٩ .

سنن ابن ماجه ، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، ابن ماجه ، تحقيق
الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، ط . عيسى الحلبي ، ١٩٥٤/١٣٧٣ .

سنن أبي داود ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق محمد محي
الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٣٦٩ - ١٣٧٠ /
١٩٥٠ - ١٩٥١ .

سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (بشرح ابن
العربي) ، ط . المطبعة المصرية بالأزهر ، القاهرة ، ١٩٣١/١٣٥٠ .

سنن الدارمي ، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي ، ط .
دمشق ، ١٣٤٩ .

- سنن النسائي ، لأحمد بن شعيب بن علي النسائي (بشرح السيوطي) ، ط .
التجارية ، القاهرة ، ١٣٤٨/١٩٣٠ .
كتاب « السنة » ، لأحمد بن حنبل ، ط . السلفية ، مكة ، ١٣٤٩ .

(ش)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ، ط . القدسي ،
القاهرة ، ١٣٥٠ .
شرح نهج البلاغة ، لعبد الحميد بن أبي الحديد، تحقيق الأستاذ أبي الفضل إبراهيم،
ط . عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
شرح النووي على صحيح مسلم ، ليحيى بن شرف النووي ، ط . المطبعة المصرية
بالأزهر ، القاهرة ، ١٣٤٧/١٩٢٩ .
الشريعة ، لأبي محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري ، تحقيق الشيخ
محمد حامد الفقي ، ط . السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٦٩/١٩٥٠ .
الشفاء ، لابن سينا ، قسم النفس (من الطبيعيات) ، تحقيق يان با كوش ، ط .
مطبعة المجمع العلمي التشكوسلوفافي ، براغ ، ١٩٥٦ .

(ص)

- صحيح ابن حبان ، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التيمي ، الجزء
الأول ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، ط . المعارف ، القاهرة ، ١٣٧٢/١٩٥٢ .
صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل البخاري ، ط . للطبعة الأميرية ،
القاهرة ، ١٣١٤ .

(ط)

- طبقات الأطباء = عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ، لأحمد بن القاسم المعروف
بابن أبي أصيبعة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٧٦/١٩٥٦ .
طبقات الحنابلة ، لابن أبي يعلى ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط . السنة المحمدية ،
القاهرة ، بدون تاريخ .

طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ، ١٣٢٤ .

طبقات الصوفية ، لأبي عبد الرحمن السلمى ، تحقيق الأستاذ نور الدين شريعة ، القاهرة ، ١٩٥٢/١٣٧٢ .

الطبقات الكبرى ، لعبد الوهاب الشعراني ، طبع مصر ، بدون تاريخ .

الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد بن منيع البصرى الزهرى ، ط . بيروت ، ١٩٥٧/١٣٧٦ .

طبقات المفسرين ، لجلال الدين السيوطى ، ليدن ، هولندا ، ١٨٣٩ .

(ع)

عبد الله بن سبأ ، لمرتضى العسكري ، الطبعة الثانية ، ط . دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ١٣٨١ .

العبر فى خبر من غير ، للحافظ الذهبي ، ط . الكويت ، ١٩٦٠ .

العلل ومعرفة الرجال ، لأحمد بن حنبل ، ط . أنقرة ، تركيا ، ١٩٦٣ .

عمل اليوم والليلة ، لابن السنى ، ط . حيدرآباد ، ١٣١٥ .

(غ)

الغزالي ، للدكتور أحمد فريد رفاعى ، ط . عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٧/١٣٥٦ .

(ف)

فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، لابن حجر العسقلانى ، ط . المطبعة الأميرية بيولاك ، القاهرة ، ١٣٠٠ .

الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (وها لجلال الدين السيوطى) ، تأليف يوسف النبهانى ، ط . مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٢/١٣٥١ .

الفتوحات المكية ، لمحيى الدين محمد بن علي بن عربى ، ط . دار الكتب المصرية الكبرى ، القاهرة ، ١٣٢٩ .

- الفرق بين الفرق ، لابن طاهر البغدادي ، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري ،
القاهرة ، ١٣٦٧/١٩٤٨ .
- فرق الشيعة ، للحسن بن موسى النوبختي ، تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم ،
ط . المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٧٩/١٩٥٩ .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لأبي محمد علي بن حزم ، ط . المطبعة الأدبية ،
القاهرة ، ١٣١٧ - ١٣٢١ .
- فصوص الحكم ، لابن عربي ، تحقيق الدكتور أبي العلا عفيفي ، ط . عيسى الحلبي ،
القاهرة ، ١٩٤٦ .
- فلسفة المعتزلة ، للدكتور ألبير نصرى نادر ، ط . الاسكندرية ، ١٩٥٠ .
- الفهرست ، لابن النديم ، ط . التجارية ، القاهرة ، ١٣٤٨ .
- فهرس الخزانة التيمورية ، ط . دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٦٩/١٩٥٠ .
- فوات الوفيات ، لابن شاكر الكتبي ، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ،
ط . النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١ .
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، لمحمد بن علي الشوكاني ، تحقيق
الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، ط . السنة المحمدية ، القاهرة ،
١٣٨٠/١٩٦٠ .

(ق)

- القرب في حجة العرب ، لزين الدين العراقي ، ط . الاسكندرية ، ١٣٨١/١٩٦١ .
- القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي ، لأبي حامد الغزالي ، ط . مكتبة
الجندی ، القاهرة ، بدون تاريخ .

(ك)

- الكافي ، لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني ، تحقيق علي أكبر
الغفاري ، ط . مكتبة الصدوق ، طهران ، ١٣٧٧ - ١٣٨١ .
- الكامل (تاريخ) ، لعلي بن محمد بن الأثير الجزري ، ط . الحلبي ،
القاهرة ، ١٣٠٣ .

كشف الحفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ،
 لإسماعيل بن محمد العجلوني ، ط . القدسي ، القاهرة ، ١٣٥١ .
 كنز العمال ، لملى المتقى بن حسام الدين الهندى ، ط . حيدرآباد ، ١٣٨١ / ١٩٦٠ .
 الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية لعبد الرؤوف المناوى ، القاهرة .

(ل)

الآلئ للصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ، لجلال الدين السيوطى ، ط . المكتبة
 الحسينية المصرية بالأزهر ، ١٣٥٢ .
 اللباب فى تهذيب الأنساب ، لملى بن محمد بن الأثير ، ط . القدسي ، القاهرة ،
 ١٣٥٧ - ١٣٦٩ .

لسان العرب ، لابن منظور .
 لسان الميزان ، لابن حجر العسقلانى ، ط . حيدرآباد ، ١٣٢٩ .
 لطائف الأسرار ، لابن عربى ، تحقيق الأستاذين أحمد زكى عطيه وطه سرور ،
 ط . دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٣٨٠ / ١٩٦١ .
 اللمع فى التصوف ، لأبى نصر السراج الطوسى ، تحقيق الدكتور عبد الحليم
 محمود وطه عبد الباقي سرور ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

(م)

مجمع الزوائد ، لملى بن أبى بكر الهيثمى ، ط . القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٢ - ١٣٥٣ .
 مختصر كتاب البلدان ، لابن الفقيه ، ط . ليدن ، ١٣٠٢ .
 مجموعة الرسائل والمسائل ، لابن تيمية ، تحقيق الشيخ محمد رشيد رضا ، ط
 المنار ، القاهرة ، ١٣٤١ .

مجموعة الرسائل المنيرية ، ط . المنيرية ، القاهرة ، ١٣٤٣ - ١٣٤٦ .
 مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ، لابن تيمية ، ط . الرياض .
 مجموعة الفتاوى الكبرى ، لابن تيمية ، ط . الكردى ، ١٣٢٩ .
 للدخل إلى مذهب الإمام أحمد ، لابن بدران ، ط . المنيرية ، القاهرة .
 مرآة الجنان ، لليامنى ، ط . حيدرآباد ، ١٣٣٧ .

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، لعلى بن الحسين بن طلى السمودي ، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة ، ط. التجارية ، القاهرة ، ١٣٧٧ / ١٩٥٨ .
المستدرك ، لأبي عبد الله محمد عبد الله ، الحاكم النيسابوري ، ط. حيدرآباد ، ١٣٣٤ - ١٣٤٢ .

المسند ، لأحمد بن حنبل ، ط. الحلبي ، القاهرة ، ١٣١٣ .
المسند ، لأحمد بن حنبل ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، ط. المعارف ، القاهرة ، ١٣٦٥ - ١٣٧٤ / ١٩٤٦ - ١٩٥٥ .

مشكاة المصابيح ، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط. دمشق ، ١٣٨٠ / ١٩٦١ .

المضنون به على غير أهله ، للغزالي - انظر : القصور الموالي .

معاني القرآن ، للفراء ، ط. دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٧٤ / ١٩٥٥ .
المعتبر في الحكمة ، لأبي البركات هبة الله بن ملكا ، ط. حيدرآباد ، ١٣٥٧ .
معجم البلدان ، لياقوت .
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لعبد الله بن عبد العزيز البكري ، تحقيق الأستاذ مصطفى السقا ، القاهرة ، ١٣٦٤ / ١٩٥٩ .
لمعجم الوسيط ، ط. مجمع اللغة العربية .

مفتاح كنوز السنة ، وضع فنسك ، ترجمة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي .
المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي ، تحقيق عبد الله محمد الصديق ، نشر الخانجي ، القاهرة ، ١٣٧٥ / ١٩٥٦ .

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٣٦٩ / ١٩٥٠ .

الملل والنحل ، لمحمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني ، تحقيق الشيخ محمد ابن فتح الله بدران ، الطبعة الثانية ، نشر الأنجلو ، القاهرة ، ١٣٧٥ / ١٩٥٦ .

مناقب ابن عربي ، لابراهيم بن عبد الله القارىء ، تحقيق د. صلاح الدين المتجد ، ط . بيروت ، ١٩٥٩ .

مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، لابن الجوزى ، ط . الخانجي ، القاهرة ، ١٣٤٩ .
المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، لابن الجوزى ، ط . حيدرآباد ، ١٣٥٧ .
منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، لابن تيمية ، مكتبة دار العروبة ،
القاهرة ، ١٣٨٢ - ١٣٨٤ / ١٩٦٢ - ١٩٦٤ .

منهاج السنة ، لابن تيمية ، ط . بولاق ، القاهرة ، ١٣٢١ - ١٣٢٢ .
موافقة صريح العقول لصحيح المنقول ، لابن تيمية ، الجزء الرابع ، نسخة خطية
بالمكتبة التيمورية (رقم ١٨٢ عقائد) .

الموضوعات ، لعل القارى ، ط . استانبول ، بدون تاريخ .
الموطأ ، للمالك بن أنس ، تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، ط . عيسى الحلبي ،
القاهرة ، ١٣٧٠ / ١٩٥١ .
النية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل ، لابن المرتضى ، تحقيق توماس أرنولد ،
ط . حيدرآباد ، ١٣١٦ .

ميزان الاعتدال ، للذهبي ، ط . مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٥ .

(ن)

النجاة ، لابن سينا ، ط . محي الدين الكردى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ،
١٣٥٧ / ١٩٣٨ .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لابن تغرى بردى ، ط . دار الكتب
المصرية ، القاهرة .

فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، لأحمد بن محمد المقرئ ، تحقيق الشيخ
محمد محي الدين عبد الحميد ، ط . التجارية ، القاهرة ، ١٣٦٧ / ١٩٤٩ .

نكت الهميان في نكت العميان ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ، تحقيق
الأستاذ أحمد زكى ، مطبعة الجمالية ، القاهرة ، ١٣٢٩ / ١٩١١ .

نهاية الإقدام في علم الكلام ، للشهرستانى ، تحقيق ألفرد جيوم ، لندن ، ١٩٣٤ .

النهاية في غريب الحديث ، لمجد الدين المبارك بن محمد بن محمد ، ابن الأثير
الجزري ، ط . المطبعة العثمانية ، ١٣١١ .
نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، للشوكاني ، ط . المنيرية ، القاهرة ، ١٣٤٤ .

(و)

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، تحقيق الشيخ محمد محي الدين
عبد الحميد ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٧ / ١٩٤٨ .

* * *

Tritton (A. S.) : Muslim Theology, Luzac, London, 1947.

فهرس التصويبات والاستدراكات

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٣		السطر الأخير	فهو سبحانه
١٠٦	١٥	إضافة للهامش (١)	ولعل الصواب : الإله
١١٥	٨	محجوب	محجوب (٢)
١١٥	١٨		أضف بعد تعليق رقم ١ تعليق (٢)
			(٢) لعل الصواب : محجوب
١١٨	١	بالتحميد	بالتحميد (١)
١١٨	٣	وأتوب إليك « (١)	وأتوب إليك « (٢)
١١٨	١٠	وسلم (٢)	وسلم (٣)
١١٨	١١		أضف تعليق رقم (١) بالتحميد :
			كذا ولعل الصواب بالتنزيه
			أو بالتسبيح .
١١٨		تعليق (١)	تعليق (٢)
١١٨		تعليق (٢)	تعليق (٣)
١٥٨	٧	يضاف	يضاف إليه
١٧٨	٢٢	وأى داود	وأبو داود
١٨١	٢٨	وابنه الحسن	وابنه أبى الحسن
١٩٧	٢٢	الفتن ١٧٤/٨ - ١٧٥	الفتن ١٧٥/٨ - ١٧٦
٢٠٣	٩	وإسلامه ؟ وما يجب	وإسلامه ؟ أو هل يوجد فى القرآن
			أو السنة أو القياس دليل على إيمانه
			أو إسلامه ؟ وما يجب
٢٠٤	٢٠	(٢) فى الأصل : وأنها عبد بحق . وانظر	(٢) وانظر
٢٠٩	٧	ألا يصدقه	ألا يصدقه
٢١١	٢٠	إضافة للهامش رقم (١)	وقد يكون الصواب : ما ذكره .
٢٣٣	١	يا نغايا العرب ! يا نغايا العرب !	ذكر لى الشيخ ناصر الدين الألبانى
			أن صوابه : « يا نغايا العرب ! ... »
			وقد أشار إلى ذلك ابن الأثير فى
			« النهاية » ، والزخشرى فى
			« الفائق » وقال : والمعنى يا نغايا
			العرجن فهذا وقتكن وزمانكن ،
			يريد أن العرب قد هلكت .
٢٣٣	٢٢	عبد الله زيد	عبد الله بن زيد
٢٣٩	٢٥	٢٠٥/٤	٢٠٥ ، ١٩٨/٤
٣٥٨	٧	١٣٦ - ١٣٧	١٧١ - ١٧٠

فهرس الموضوعات

المقدمة (١) - (ك)

هذه المجموعة	(ب) - (ج)
١ - رسائل مجموعة عاشر أفندى (ع)	(ج) - (ز)
٢ - رسائل الكواكب الدرارى (ك)	(ز) - (ح)
٣ - رسالة المكتبة الأزهرية (حليم)	(ح) - (ط)
٤ - منهج التحقيق	(ط) - (ك)

الرسائل

١ - رسالة فى قنوت الأشياء كلها لله عز وجل ١ - ٤٥

(فصل) فى قنوت الأشياء لله عز وجل، وإسلامها،

٣ وسجودها له، وتسبيحها له

٥ - ٣ ذكر هذه الأربعة فى القرآن

٢ القنوت - الإسلام

٤ - ٤ السجود

٥ - ٤ التسبيح

٧ - ٥ القنوت فى اللغة

٩ - ٧ القنوت عند ابن تيمية هو الطاعة

٢٧ - ٩ (فصل)

رواية ابن أبي حاتم أوجه تفسير لفظ القنوت ١٩ — ٩

الوجه الأول : الطاعة ١٠ — ٩

الوجه الثاني : الصلاة ١١ — ١٠

الوجه الثالث : الإقرار بالعبودية ٧ — ١١

الوجه الرابع : القيام يوم القيامة ١٧

الوجه الخامس : قول الإخلاص ١٨ — ١٧

أقوال المفسرين ١٨

هل القنوت خاص أم عام ؟ ١٩ — ١٨

تعليق ابن تيمية ٢٧ — ١٩

القنوت عند ابن تيمية عام ٢٤ — ٢٣

أنواع القنوت الذى يعم المخلوقات ٢٧ — ٢٥

الأول ، الثاني ٢٥

الثالث ٢٦ — ٢٥

الرابع ٢٦

الخامس ٢٧ — ٢٦

(فصل) ٣٩ — ٢٧

الكلام عن السجود ٢٨ — ٢٧

تفسير قوله تعالى (وادخلوا الباب سجداً) الآية ٣٨ — ٢٨

السجود فى اللغة ٣٩ — ٣٨

(فصل) بقية الكلام عن السجود ٤١ — ٣٩

(فصل) بقية الكلام عن السجود ٤٥ — ٤١

٢ رسالة فى لفظ السنة فى القرآن ٥٨ — ٤٧ ...

(فصل)

٥٦ - ٤٩

٥٠ - ٤٩

لفظ السنة في مواضع من القرآن

٥٠

سنته نصره أوليائه وإهانة أعدائه

٥٠

الآية الأولى

٥١ - ٥٠

الأربعة البواقي :

الأولى ، الثانية ، الثالثة ، الرابعة ٥١

٥٣ - ٥٢

السنن المتعلقة بالأموال الطبيعية ينقضها الله إذا شاء

٥٤ - ٥٣

الأدلة على ذلك

٥٣

الأول ، الثاني

٥٤ - ٥٣

الثالث

٥٤

سنته تعالى مطردة في الدينيات والطبيعات

٥٥ - ٥٤

نقض العادة لاختصاص معين

٥٦ - ٥٥

السنة هي العادة

٥٦

(فصل) القرآن دل على هذا الأصل في مواضع

(فصل) أخبر سبحانه أنه تارة يعاقبهم عقب السراء وتارة

٥٨ - ٥٦

يعاقبهم عقب الضراء إذا لم يتضرعوا

٦٦ - ٥٩

٣ - رسالة في قصة شعيب عليه السلام . .

٦٣ - ٦١

شيخ مدين لم يكن شعيباً

٦٣ - ٦١

كان شعيب عربياً وموسى عبرانياً

٦٦ - ٦٥

(فصل) مجرد شيوع الأمر عند الناس ليس دليلاً

٧٧ - ٦٧

٤ - رسالة في المعاني المستنبطة من سورة الإنسان

٧٧ - ٦٩

(فصل)

٧٠ - ٦٩

تفسير السورة إجمالاً

٦٩	الآيتان ١ ، ٢
٦٩	الآية الثالثة
٧٠	الآية الرابعة
٧١ - ٧٠	الآية الخامسة
٧٢ - ٧١	الآية السابعة
٧٢	الآية الثامنة ، الآية التاسعة
٧٣ - ٧٢	الآية العاشرة
٧٣	الآية ١١ ، الآيات ١٢ - ٢٠
٧٤ - ٧٣	الآية ٢١
٧٤	الآية ٢٢
٧٥ - ٧٤	الآيتان ٢٣ ، ٢٤
٧٥	الآيتان ٢٥ ، ٢٦ ، الآية ٢٧
٧٧ - ٧٥	الآية ٢٨
٧٧	الآية ٢٩ ، الآية الثلاثون

٥ - رسالة في قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة ٧٩ - ٨٤

٦ - رسالة في تحقيق التوكل ٨٥ - ١٠٠

(فصل) ٨٧ - ٨٩

التوكل عند طائفة مجرد عبادة لا يحصل به جلب منفعة

ولا دفع مضرة ٨٧ - ٨٨

التوكل عند الجمهور يجلب المنفعة ويدفع المضرة وهو

سبب عند الأكثرين ٨٨

توكل المؤمن على الله هو سبب كونه حسباً له ٨٨ - ٩٠

التوكل سبب نعمة الله وفضله ٩٠ - ٩٣

- الأسباب - ومنها التوكل - من قدر الله ٩٣ - ٩٤
 نصر الله مع التوكل عليه ٩٤ - ٩٥
 توكل المرسلين يدفع عنهم شر أعدائهم ٩٦ - ٩٧
 غلط من أنكر الأسباب أو جعلها مجرد أمانة وعلامة ٩٧ - ٩٨
 (فصل) فرض الله الدعاء على العباد لا فتقارهم إلى هدايته ٩٨ - ١٠٠

٧- رسالة في تحقيق الشكر ١٠١ - ١١٨

- الحجيرة والتدريية والملاحدة لا يحمدون الله ولا يشكرونه ١٠٣
 مقالة الحجيرة ١٠٣
 مقالة التدريية النافية ١٠٣ - ١٠٤
 مقالة المتفلسفة - مقالة باطنية الشيعة والمتصوفة ١٠٤
 مقالة ابن عربي ١٠٤ - ١٠٦
 كفر باطنية المتصوفة أعظم من كفر الفلاسفة ١٠٦ - ١٠٧
 كل ما بالخلق من نعمة فمن الله ١٠٧ - ١٠٩
 نعمة الله على الكفار ولكن نعمته ١٠٩ - ١١١
 المطلقة على المؤمنين ١١١ - ١٠٩
 الجهمية والمعتزلة ينكرون محبته تعالى ١١١ - ١١٢
 ويقرون بوجوب الشكر ١١٢ - ١١١
 الجهمية الحجيرة يضاعف شكرهم وخوفهم ويقوى رجاؤهم ١١٢
 المؤمن يخاف الله ويرجوه ويحبه ١١٢
 القائلون بوحدة الوجود يحبون بدون ١١٢
 خوف أو رجاء ١١٢ - ١١٥
 بيان مقالة أهل السنة ١١٥ - ١١٨

٨ - رسالة في معنى كون الرب عادلاً وفي تنزيهه

عن الظلم ١١٩ - ١٤٢

(فصل) ١٢١ - ١٢٦

تنازع طوائف المسلمين في معنى الظلم الذي ينزه

الله عنه ١٢١

مقالة الجهمية والأشاعرة ١٢١ - ١٢٣

مقالة المعتزلة ١٢٣

مقالة أهل السنة ١٢٣ - ١٢٦

(فصل) ١٢٦ - ١٣٨

الخير بيديه سبحانه والشر ليس إليه ١٣١

التعليق على قول بعضهم : الخير كله في الوجود

والشر كله في العدم ١٣١ - ١٣٣

الخير والشر درجات ١٣٣ - ١٣٤

لا يعذب الله أحداً إلا بذنبه ١٣٤ - ١٣٦

الله يفعل الخير والأحسن ١٣٦ - ١٣٨

(فصل مختصر)

بيان حقيقة إرادة الله ١٣٨ - ١٤٢

٩ - رسالة في دخول الجنة هل يدخل أحد الجنة

بعمله أم ينقذه قوله صلى الله عليه وسلم :

لا يدخل أحد الجنة بعمله ١٤٣ - ١٥٢

- نص السؤال ١٤٥
 المثبت في القرآن ليس هو النفي في السنة ١٤٥
 العمل سبب للثواب ١٤٥ - ١٤٦
 السبب لا يستقل بالحكم ١٤٦ - ١٤٧
 ليس جزاء الله على سبيل المعاوضة ١٤٧ - ١٤٨
 غلط من توهم ذلك من وجوه : ١٤٨ - ١٥١

الأول ١٤٨ - ١٤٩
 الثاني - الثالث - الرابع ١٤٩
 الخامس ١٥٠ - ١٥١

- لا بد من العمل ومن رجاء رحمة الله ١٥١ - ٢٥٢
 الله يدخل الجنة بالعمل وبغيره من الأسباب ١٥٢

١٠ - رسالة في الجواب عمّن يقول إن صفات

الرب تعالى نسب إضافات وغير ذلك ١٥٣ - ١٧٣

- نص السؤال ١٥٥
 هذه مقالة المتفلسفة والقراطة والاتحادية ١٥٥ - ١٥٦
 رد السلف عليهم ١٥٦ - ١٥٩
 الناس في مسألة الصفات ثلاث مراتب ١٥٩ - ١٦١
 مقالة أهل السنة في كلام الله ١٦١ - ١٦٢
 مقالة الفلاسفة في كلام الله ١٦٢ - ١٦٣
 متابعة الغزالي للفلاسفة ١٦٤ - ١٦٤
 مقالة ابن عربي في الفصوص ١٦٤ - ١٦٧
 تأثر الغزالي بإخوان الصفا وأمثالهم ١٦٨ - ١٦٩
 كلام الغزالي في كتاب « المصنوعون » ١٦٩ - ١٧٠

١٧١ - ١٧٠	مقالة ابن حزم
١٧٢ - ١٧١	الرد على النفاة
١٧٢	الرد على الغزالي
١٧٣ - ١٧٢	إثبات ابن تيمية وأهل السنة الماهية لله تعالى

١١ - رسالة في تحقيق مسألة علم الله ... ١٧٥ - ١٨٣

١٧٧	في هذه المسألة ثلاثة أقوال - الأول
١٧٩ - ١٧٧	الثاني
١٨٣ - ١٧٩	الثالث

١٢ - رسالة في الجواب عن سؤال عن الحلّاج

هل كان صديقاً أو زنديقاً ... ١٨٥ - ١٩٩

١٨٧	نص السؤال
١٨٧	الحلّاج كان زنديقاً
١٩٢ - ١٨٧	بعض أخبار الحلّاج
١٩٧ - ١٩٢	أخبار أخرى عن بعض أصحاب الأحوال الشيطانية
	أخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن الدّجالين والدّجال
١٩٩ - ١٩٧	الكبير
١٩٩	كان الحلّاج دّجالاً ووجب قتله

١٣ - رسالة في الرد على ابن عربي في دعوى

إيمان فرعون ٢٠١ - ٢٠٦

٢٠٣	نص السؤال
٢٠٣	الجواب :
٢٠٤ - ٢٠٣	فرعون من أعظم الخلق كفراً
٢٠٥ - ٢٠٤	لا يصرح بموته مؤمناً إلا من فيه نفاق وزندقة كالاتحادية
٢٠٧ - ٢٠٥	تفضيل الاتحادية الولي على النبي والرسول
٢١٢ - ٢٠٧	بطلان حججهم على إيمان فرعون
٢١٦ - ٢١٣	إخبار الله عن عذاب فرعون في الآخرة

١٤ - رسالة في التوبة

(فصل)

٢٢٦ - ٢١٩

٢٢٣ - ٢١٩

بعض آيات التوبة في القرآن

٢٢٦ - ٢٢٣

بعض الأحاديث في التوبة

٢٣٦ - ٢٢٧

(فصل)

٢٢٧

التوبة نوعان : واجبة ومستحبة

٢٢٧

الواجبة من ترك مأمور أو فعل محظور

والمستحبة من ترك المستحبات وفعل

٢٢٨ - ٢٢٧

المكروهات

التوبة من ترك الحسنات أهم من التوبة من

٢٢٩ - ٢٢٨

فعل السيئات

٢٣٤ - ٢٢٩

الغنى والضلال يجمعان جميع السيئات

٢٣٦ - ٢٣٤

الغنى في شهوات الرئاسة والكبر والعلو

٢٤٨ - ٢٣٦

(فصل)

٢٣٧ - ٢٣٦

المصيان يقع مع ضعف العلم

التوبة من الاعتقادات أعظم من التوبة من

٢٣٨ - ٢٣٧

الإرادات

٢٤٨ - ٢٣٨

الاعتقاد والإرادة يتعاونان

٢٧٩ - ٢٤٨

(فصل)

التوبة من الحسنات لا تجوز عند أحد من

٢٥١ - ٢٤٨

المسلمين

المعنى الصحيح لعبارة: حسنات الأبرار

٢٥٥ - ٢٥١

سيئات المقرين

٢٥٨ - ٢٥٥

المعنى الفاسد للعبارة

٢٥٩ - ٢٥٨

لم تأت الشريعة بالتوبة من الحسنات

٢٥٩

أصل هذه المقالة هو دعوى العصمة في المؤمنين

٢٦٠ - ٢٥٩

غلو النصارى في هذه الدعوى

٢٦٤ - ٢٦٠

غلو الشيعة في دعوى العصمة

٢٦٥ - ٢٦٤

غلو الصوفية

٢٦٩ - ٢٦٧

لا عصمة لأحد بعد الرسول

مذهب السلف وأهل السنة هو القول بتوبة

٢٧٠ - ٢٦٩

الأنبياء

٢٧٠

اليهود فرطوا في حق الأنبياء

٢٧٣ - ٢٧١

الإسلام هو الصراط المستقيم

٢٧٥ - ٢٧٣

عصمة الأئمة تعنى مضاهاتهم للرسول

٢٧٦ - ٢٧٥

الغلو في البشر يؤدي إلى الشرك

بطلان القول بعصمة الأنبياء من التوبة من الذنوب ٢٧٦

تفصيل مذهب أهل السنة في ذلك ٢٧٦ - ٢٧٩

١٥ - فصل في أن دين الأنبياء واحد . ٢٨١ - ٢٨٤

١٦ - فصل في الدليل على فضل العرب ٢٨٥ - ٢٩٠

سبب ما اختص به العرب من الفضل ٢٨٩ - ٢٩٠

الفهارس ٢٩١ - ٣٨٨

١ - فهرس الآيات القرآنية ٢٩٣ - ٣١٦

٢ - فهرس الأحاديث النبوية ٣١٧ - ٣٣٣

٣ - فهرس الشعر واللغة ٣٣٤ - ٣٣٥

أ - الشعر ٣٣٤

ب - اللغة ٣٣٥

٤ - فهرس الأعلام ٣٣٧ - ٣٤٨

٥ - فهرس القبائل والفرق والطوائف ٣٤٨ - ٣٥٤

٦ - فهرس الأماكن والبلدان ٣٥٥ - ٣٥٦

٧ - فهرس المصطلحات والبحوث الفرعية ٣٥٧ - ٣٥٩

٨ - فهرس الكتب ٣٦٠ - ٣٦١

٩ - فهرس مراجع التحقيق ٣٦٢ - ٣٧٥

١٠ - فهرس التصويبات والاستدراكات ٣٧٦

١١ - فهرس الموضوعات ٣٧٧ - ٣٨٧

للدكتور محمد رشاد سالم

المؤلفات

- ١ - المدخل إلى الثقافة الإسلامية الطبعة السادسة دار القلم الكويت ١٩٨٤/١٤٠٤
- ٢ - مقارنة بين الغزالي وابن تيمية دار القلم الكويت ١٩٧٥/١٣٩٥

في مجال التحقيق

- ١ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية الجزء الأول ، ط . دار العروبة ، القاهرة ١٩٦٢/١٣٨٢
- ٢ - الجزء الثاني ، ط . دار العروبة ، القاهرة ، ١٩٦٤/١٣٨٤
- ٣ - جامع الرسائل لابن تيمية المجموعة الأولى ، ط . المدني ، ١٩٦٩/١٣٨٩
- ٤ - درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٠/١٣٩٠
- ٥ - كتاب الصفدية لابن تيمية ، الجزء الأول ، ط . حنيفة ، الرياض ، ١٩٧٦/١٩٣٦
- ٦ - درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١١ جزءاً ، ط . مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ، السعودية ، ١٩٧٩/١٣٩٩ - ١٩٨٣/١٤٠٣
- ٧ - مسألة فيما إذا كان في العبد محبة لابن تيمية ضمن كتاب « دراسات عربية وإسلامية » ط . المدني ، القاهرة ١٩٨٢/١٤٠٣
- ٨ - الاستقامة لابن تيمية جزءان ، ط . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٩٨٣/١٤٠٤
- ٩ - جامع الرسائل لابن تيمية المجموعة الثانية ، ط . المدني ، ١٩٨٤/١٤٠٥

تحت الطبع

- ١ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية ، ٩ أجزاء ، ط . مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، السعودية
- ٢ - كتاب الصفدية لابن تيمية ، الجزء الثاني ، ط . الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء والارشاد ، الرياض ، السعودية

حقوق الطبع محفوظة للمحقق

الطبعة الثانية

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

مَكْتَبَةُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ

القِسم الأول - المؤلفات

٦

جَامِعُ الرِّسَالِ

لِابْنِ تَيْمِيَّةٍ

أَبِي الْعَبَّاسِ شَيْخِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْحَلِيمِ

المجموعة الثانية

مُحَقِّقُ

الدكتور محمد رشاد سالم

النَّاشِرُ

دار المدنى

للنشر والتوزيع - جدة ت ٦٤٣٢٣٦٢

الرسالة الأولى
رسالة في الصفات الاخيارية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، نستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وآله وسلم تسليما [(١)] .

/ (٢) قال شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين بن تيمية ، قدّس الله روحه ، ونور ضريحه (٣) .

فصل

في الصفات الاختيارية : وهي الأمور التي يتصف بها الرب عز وجل (٣) ، فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته : مثل كلامه ، وسمعه ، وبصره ، وإرادته ، ومحبته ، ورضاه ، ورحمته ، وغضبه ، وسخطه . ومثل خلقه وإحسانه ، وعدله . ومثل استوائه ، ومحيطه ، وإتيانه ، ونزوله ، ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز (٤) ، والسنة .

فالجهمية (٥) ، ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم ، يقولون : لا يقوم بذاته شيء من هذه الصفات ، ولا غيرها .

مقالة الجهمية
والمعتزلة

(١) ما بين المعقوفين زيادة في (ز) = مخطوطة ليبزيج .

(٢ - ٣) : ساقطة من (ز) .

(٣) عز وجل : ليست في (ز) .

(٤) العزيز : ساقطة من (ز) .

(٥) سبق الكلام على جهنم بن صفوان وفرقة الجهمية فيما مضى ١٦/١ (ت ١) .

مقالة الكلامية
والسالمية

والكَلَّابِيَّة (١) ، ومن وافقهم من السَّالِمِيَّة (٢) وغيرهم ، يقولون : تقوم [به] (٣) صفات بغير مشيئته وقدرته ، فأما ما يكون بمشيئته وقدرته ، فلا يكون إلا مخلوقاً منفصلاً عنه [لا يقوم بذات الرب] (٤) .

مقالة السلف
وأهل السنة

وأما السلف وأئمة السنّة والحديث فيقولون (٥) : إنه متصف (٦) بذلك ، كما نطق به الكتاب والسنة ، وهو قول كثير من أهل الكلام والفلسفة - أو أكثرهم - كما [قد] (٧) ذكرنا أقوالهم بألفاظها في غير هذا الموضع .

صفة الكلام

ومثل هذا « الكلام » فإن السلف وأئمة السنّة والحديث يقولون : [إنه] (٨) يتكلم بمشيئته وقدرته ، وكلامه ليس بمخلوق ، بل كلامه صفة له قائمة بذاته .

ومن ذكر أن ذلك قول أئمة السنّة : أبو عبد الله بن منده ، وأبو عبد الله ابن حامد ، وأبو بكر عبد العزيز ، وأبو إسماعيل الأنصاري وغيرهم . وكذلك ذكر أبو عمر بن عبد البر نظير هذا في الاستواء .

وأئمة السنّة : كعبد الله بن المبارك ، وأحمد بن حنبل ، والبخاري ، وعثمان ابن سعيد الدارمي ، ومن لا يُحصى من الأئمة - وذكره حرب بن إسماعيل الكرماني ، عن سعيد بن منصور ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن إبراهيم ، وسائر

(١) سبق الكلام على الكَلَّابِيَّة وابن كَلَّاب فيما مضى ١٥٩/١ (ت ٢) .

(٢) سبق الكلام على السالمية أتباع محمد بن أحمد بن سالم وابنه أحمد بن محمد بن سالم فيما مضى

١٨١/١ (ت ٤) .

(٣) به : ساقطة من (ك) = مخطوطة الكواكب الدراري .

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ك) ، (ض) ، وأثبتته من (ز) .

(٥) ك : يقولون . والمثبت من (ز) ، (ض) = طبعة فتاوى الرياض ٢١٧/٦ - ٢٦٧

(٦) ز : يتصف .

(٧) قد : زيادة في (ز) .

(٨) إنه : زيادة في (ز) .

أهل السنة والحديث - متفقون على أنه يتكلم بمشيئته ، وأنه لم يزل متكلماً إذا شاء وكيف شاء .

وقد سمى الله القرآن حديثاً ، وقال ^(١) : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ [سورة الزمر : ٢٣] ، وقال : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً ﴾ [سورة النساء : ٨٧] ، وقال : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢] .

وقال النبي ﷺ : « إن الله يُحدث من أمره ما يشاء » ^(٢) . وهذا مما احتج به البخاري في صحيحه ، وفي غير صحيحه ^(٣) ، واحتج به [أيضاً] ^(٤) غير البخاري كنعيم بن حماد ، وحماد بن زيد .

ومن المشهور عن السلف : أن القرآن العزيز ^(٥) : كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود .

وأما الجهمية والمعتزلة فيقولون : ليس له كلام قائم بذاته ، بل كلامه مخلوق منفصل عنه ^(٦) . والمعتزلة يطلقون القول : بأنه يتكلم بمشيئته . ولكن ^(٧) مرادهم في صفة الكلام ومقالة الجهمية والمعتزلة

بذلك أنه يخلق كلاماً منفصلاً عنه .

(١) ض (فقط) : فقال .

(٢) ز : من شاء ، وهو تحريف .

(٣) الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ في : البخاري ١٥٢/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : كل يوم هو في شأن) ؛ سنن النسائي ١٦/٣ - ١٧ (كتاب السهو ، باب الكلام في الصلاة) ؛ المسند (ط . المعارف) ٢٠٠/٥ (رقم ٣٥٧٥) ، ٣٣٩/٥ - ٣٤٠ (رقم ٣٨٨٥) ، ٢١/٦ (رقم ٣٩٤٤) ، ٩١/٦ (رقم ٤١٤٥) . وتام الحديث : - وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة .

(٤) أيضاً : زيادة في (ز) .

(٥) العزيز : ساقطة من (ز) .

(٦) ك ، ض : كلامه منفصل عنه مخلوق عنه . والمثبت من (ز) .

(٧) ز : لكن .

مقالة الكلامية
والسالمية
فيها

والكَلَامِيَّة والسالمية يقولون : إنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته ، بل كلامه قائم بذاته بدون قدرته ومشئته ، مثل حياته . وهم يقولون : الكلام صفة ذات ، لا صفة فعل ^(١) يتعلق بمشيئته وقدرته . وأولئك ^(٢) يقولون : هو صفة فعل ، لكن الفعل عندهم هو المفعول المخلوق بمشيئته وقدرته .

وأما السلف وأئمة السنة ، وكثير من أهل الكلام : كالهشامية ^(٣) ، والكُرَّامية ^(٤) ، وأصحاب أبي معاذ التومني ^(٥) ، وزهير الأثرى ^(٦) ، وطوائف غير هؤلاء فيقولون ^(٧) : إنه صفة ذات وفعل : هو يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما

(١) ز : ليس صفة فعل .

(٢) ك (فقط) : أولئك .

(٣) الهشامية هم أتباع هشام بن الحكم الرافضي من الإمامية ، وتنسب إليه وإلى هشام بن سالم الجواليقي أحيانا من الإمامية المشبهة . انظر عن هذه الفرقة : المقالات ١٠٢/١ - ١٠٥ ، الملل والنحل ١٦٤/١ - ١٦٦ ، التبصير في الدين ، ص ٢٣ - ٢٤ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٩ ، ٣٤ ، ٤١ - ٤٣ ، ٦٧ ، ١٣٩ ؛ تكملة الفهرست لابن النديم ، ص ٧ ؛ الفهرست (ط . فلوجل) ، ص ١٧٥ - ١٧٧ ؛ فهرست الطوسي ، ص ١٧٤ - ١٧٦ ؛ أخبار الرجال للكنشي ، ص ١٦٥ - ١٨١ .

(٤) سبق الكلام عليهم وعلى ابن كرام فيما مضى ١٦١/١ (ت ١) .

(٥) أبو معاذ التومني من أئمة المرجئة ، ورأس فرقة التومنية منها . لم أتمكن من معرفة تاريخ وفاته . انظر في ترجمته ومذهبه : المقالات للأشعري ٢٠٤/١ ، ٣٢٦ ، ٣٣٢/٢ ؛ الملل والنحل ١٢٨/١ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ؛ الباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (ط . القدسي ، ١٣٥٧) ١٨٧/١ ؛ ياقوت : معجم البلدان ، مادة : تومن .

(٦) ك ، ض : وزهير الياشي ؛ ز : وزهير الباني . ورجحت أن يكون الصواب ما أثبتته ، وابن تيمية يقرن بينه وبين أبي معاذ التومني . انظر مثلا : درء تعارض العقل والنقل ١٩/٢ ، ١٧٤ ، ٢٥٧ ، ٣٣٣ - ٣٣٤ . ولم أعرف من هو زهير الأثرى ، ولكن الأشعري يتكلم على آرائه بالتفصيل في المقالات ٣٢٦/١ . ونقل ابن تيمية في درء ٣٣٢/٢ ، ٣٣٤ عن المقالات رأى كل من أبي معاذ التومني وزهير الأثرى في القرآن : « وذكر عن زهير الأثرى أنه كان يقول : إن الله ليس بجسم ولا محدود ... ويزعم أن القرآن كلام الله محدث غير مخلوق ... وكان أبو معاذ التومني يوافق زهيراً في أكثر قوله ويخالفه في القرآن ، ويزعم أن كلام الله : حدث غير محدث ولا مخلوق ، وهو قائم بالله لا في مكان » (انظر المقالات ٣٢٦/١ و انظر أيضا ٢٣٢/٢) .

(٧) ض (فقط) : يقولون .

قائما بذاته . وهذا هو المعقول من صفة الكلام لكل متكلم ، فكل حتى ^(١) وُصف بالكلام : كالملائكة ، والبشر ، والجن وغيرهم : فكلامهم لابد أن يقوم / بأنفسهم ، وهم يتكلمون بمشيئتهم وقدرتهم .

ص ٧٣

والكلام صفة كمال ، لا صفة نقص ، ومن تكلم بمشيئته أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته ، فكيف يتصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق ؟! ولكن الجهمية والمعتزلة بنوا على أصلهم من أن الرب لا يقوم به صفة ، لأن ذلك - بزعمهم - يستلزم التجسيم والتشبيه الممتنع ، إذ الصفة عرض ، والعرض لا يقوم إلا بجسم .

والكلالية يقولون : هو متصف بالصفات التي ليس له عليها قدره ، ولا تكون بمشيئته . فأما ما يكون بمشيئته فإنه حادث ، والرب تعالى ^(٢) لا تقوم به الحوادث . ويترجمون ^(٣) الصفات الاختيارية بمسألة حلول الحوادث ؛ فإنه إذا كَلَّمَ موسى بن عمران بمشيئته وقدرته ، وناداه حين أتاه بقدرته ومشيئته ، كان ذلك النداء والكلام حادثا .

قالوا : فلو اتصف الرب ^(٤) به لقامت به الحوادث . قالوا : ولو قامت به الحوادث لم يخل منها ، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث . قالوا : ولأن كونه قابلا لتلك الصفة إن كان ^(٥) من لوازم ذاته كان قابلا لها في الأزل ، فيلزم جواز وجودها في الأزل ، والحوادث لا تكون في الأزل ، فإن ذلك يقتضى وجود حوادث لا أول لها ، وذلك محال لوجوه قد ذكرت في غير هذا الموضع .

(١) ز : وكل حتى ؛ ض : فكل من . والمثبت من (ك) .

(٢) تعالى : ليست في (ز) .

(٣) ك : ويزحمون ؛ ز : ويترحمون ؛ ض : ويسمون . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) الرب : ساقطة من (ز) .

(٥) إن كان : كذا في (ك) ، (ز) . وفي (ض) : إن كانت .

قالوا : وبذلك استدللنا على حدوث الأجسام ، وبه عرفنا حدوث العالم ، وبذلك أثبتنا وجود الصانع وصدق رسله ، فلو قدحنا في ذلك ^(١) لزم القدح في أصول الإيمان والتوحيد .

وإن لم يكن من لوازم ذاته صار قابلا لها بعد أن لم يكن قابلا ، فيكون قابلا لتلك القابلية ^(٢) ، فيلزم التسلسل الممتنع ، وقد بسطنا القول على عامة ما ذكره في هذا الباب وبيننا فساده وتناقضه على وجه لا تبقى فيه شبهة لمن فهم هذا الباب .

وفضلاؤهم ^(٣) المتأخرون ، كالرازي والآمدى والطوسى ^(٤) والحلى ^(٥) وغيرهم ، معترفون بأنه ليس لهم حجة عقلية على نفى ذلك ، بل ذكر الرازي وأتباعه أن هذا القول يلزم جميع الطوائف ، ونصره في آخر كتبه « كالمطالب العالية » - وهو من أكبر كتبه الكلامية [وخالف بذلك قوله في أجل ما صنفه في

مقالة الرازي

(١) ك ، ض : تلك . والمثبت من (ز) .

(٢) ك ، ض : لتلك الصفة . والمثبت من (ز) .

(٣) ك : وفضلاهم وهم ؛ ض : وفضلاؤهم وهم . والمثبت من (ز) .

(٤) يقصد ابن تيمية بالطوسى هنا نصير الدين الطوسى . وهو أبو جعفر - أو أبو عبد الله - محمد ابن محمد الحسن نصير الدين الطوسى ، ويعرف بالحقق والخواجه . ولد بطوس سنة ٥٩٧ هـ وتوفى ببغداد سنة ٦٧٢ . انظر ترجمته في : روضات الجنات ، ص ٥٧٨ - ٥٨٣ ؛ فوات الوفيات ٢/٣٠٧ - ٣١٢ ؛ شذرات الذهب ٥/٣٣٩ - ٣٤٠ ؛ البداية والنهاية ١٣/٢٦٧ - ٢٦٨ ؛ تاريخ ابن الوردي ٢/٢٢٣ ؛ الأعلام للزركلى ٧/٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٥) يقصد ابن تيمية بالحلى ابن المطهر الحلى . وهو جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن على بن المطهر الحلى ، المشهور عند الشيعة بالعلامة . ولد سنة ٦٤٨ هـ وتوفى سنة ٧٢٦ هـ . انظر ترجمته في : روضات الجنات ، ص ١٧٢ ؛ تاريخ ابن الوردي ٢/٢٧٩ ؛ مرآة الجنان للياقنى ٤/٢٧٦ ؛ النجوم الزاهرة ٩/٢٦٧ ؛ البداية والنهاية ١٤/١٢٥ ؛ لسان الميزان ٢/٣١٧ - ٣١٨ ؛ الدرر الكامنة ٢/٧١ ؛ الأعلام للزركلى ٢/٢٤٤ . وانظر ما ذكرته عنه وعن نصير الدين الطوسى في مقدمة الجزء الأول من كتاب « منهاج السنة » .

الكلام وهو كتابه [^(١) الذى ^(٢) سماه « نهاية العقول فى دراية الأصول » ، ولما ^(٣) عرف فساد قول النفاة لم يعتمد على ذلك فى مسألة القرآن ، فإن عمدتهم فى مسألة القرآن إذا قالوا : لم يتكلم بمشيئته وقدرته ، قالوا : لأن ذلك يستلزم حلول الحوادث ، فلما عرف فساد هذا الأصل لم يعتمد على ذلك فى مسألة القرآن ، فإن عمدتهم عليه ، بل استدلل بإجماع مركّب ، وهو دليل ضعيف إلى الغاية ^(٤) ، لكن ^(٥) لم يكن عنده فى نصر قول الكلائية غيره ، وهذا مما يبين أنه وأمثاله تبين لهم ^(٦) فساد قول الكلائية .

وكذلك الآمدى ذكر فى « أبكار الأفكار » ما يبطل قولهم ، وذكر أنه مقالة الآمدى لا جواب عنه . وقد بسطت ^(٧) هذه الأمور فى مواضع ^(٨) ، وهذا معروف عند عامة العلماء ^(٩) ، حتى الحلّى بن المطهر ذكر فى كتبه أن القول بنفى حلول الحوادث لا دليل عليه ، فالمنازع جاهل بالعقل والشرع .

وكذلك من قبل هؤلاء ، كأبى المعالى وذويه ، إنما عمدتهم أن الكرامة ^(١٠) مقالة الجوينى قالوا ذلك وتناقضوا ، فيبينون تناقض الكرامة ، ويظنون أنهم إذا بينوا تناقض

(١) ما بين المعقوفين ليس فى كل النسخ وزدته ليستقيم الكلام ، لأن ابن تيمية تكلم أولاً على « المطالب العالية » وهو الذى يذكر دائماً أنه آخر ما ألفه الرازى وفيه رجوع عن آرائه التى ذكرها فى كتبه السابقة وأهمها « نهاية العقول » . وانظر : « درء تعارض العقل والنقل » ١/ ٣٢٥ - ٣٢٧ ، ٣٧٩ ، ٣٢٤/٢ - ٣٢٧ .

(٢) ك (فقط) : التى ، وهو تحريف .

(٣) فى النسخ الثلاث : لما . وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته .

(٤) ك : غاية .

(٥) ك ، ض : لأنه .

(٦) ك ، ض : له .

(٧) ك : كشفت .

(٨) انظر مثلاً : درء تعارض العقل والنقل ٣/ ٣١ - ٦٧ .

(٩) ز : الفضلاء .

(١٠) انظر ما ذكرته عنهم من قبل ١/ ١٦١ .

الكرامية - وهم منازعوهم^(١) - فقد فلعجوا^(٢) ، ولم يعلموا أن السلف وأئمة السنة / والحديث ، بل مَنْ قَبْلَ الكَرَامِيَّةِ من الطوائف ، لم يكن يلتفت^(٣) إلى الكَرَامِيَّةِ وأمثالهم ، بل تكلموا بذلك قبل أن يُخلق^(٤) الكرامية ، فإن ابن كَرَامٍ كان متأخراً بعد أحمد بن حنبل ، في زمن مسلم بن الحجاج وطبقته وأئمة السنة^(٥) ، والمتكلمون تكلموا بهذه قبل هؤلاء ، ومازال السلف يقولون بموجب ذلك .

ظ ٧٣

لكن لما ظهرت الجهمية النفاة في أوائل المائة الثانية^(٦) ، بين علماء المسلمين ضلالهم وخطأهم ، ثم ظهرت محنة^(٧) الجهمية في أوائل المائة الثالثة ، وامتنحن العلماء : الإمام أحمد وغيره ، فجردوا الرد على الجهمية وكشف^(٨) ضلالهم ، حتى جرد الإمام أحمد الآيات التي في القرآن ، تدل على بطلان قولهم ، وهي كثيرة جداً ، بل الآيات التي تدل على الصفات الاختيارية التي يسمونها حلول الحوادث كثيرة جداً .

وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾ [سورة الأعراف : ١١] فهذا بين في أنه إنما أمر الملائكة بالسجود بعد خلق آدم ، لم يأمرهم في الأزل .

الآيات
الدالة على
صفة الكلام

(١) ز : وهم ينازعونهم .

(٢) ك : فلعجوا .

(٣) ض : لم تكن تلتفت ؛ ز : (غير منقوطة) . والمثبت من (ك) .

(٤) ض : تخلق ؛ ك ، ز (غير منقوطة) .

(٥) انظر ما سبق ١٦١/١ .

(٦) ض : الثالثة ، وهو خطأ .

(٧) ك : ثم ظهرت عنه ، ض : ثم ظهر رعة . والمثبت من (ز) .

(٨) ك : وكيف ، وهو تحريف .

وكذلك قوله : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة آل عمران : ٥٩] فإنما قال له [« كن »] ^(١) بعد أن خلقه من تراب لا في الأزل .

وكذلك قوله في قصة موسى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [سورة النمل : ٨] وقال تعالى ^(٢) : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة القصص : ٣٠] فهذا يبين في أنه إنما ^(٣) ناداه حين جاء ، لم يكن النداء في الأزل كما يقول الكلالية ، يقولون : إن النداء قائم بذات الله ^(٤) في الأزل ، وهو لازم لذاته لم يزل ولا يزال منادياً له ، لكنه لما أتى خلق فيه إدراكاً لما كان موجوداً في الأزل .

ثم من قال منهم : إن الكلام معنى واحد ، منهم من قال : سمع ذلك المعنى بأذنه ، كما يقوله ^(٥) الأشعري . ومنهم من يقول : بل أفهم منه ما أفهم ، كما يقوله القاضي أبو بكر وغيره ^(٦) .

(١) كن : ساقطة من (ك) ، (ض) .

(٢) عبارة « وقال تعالى » : ساقطة من (ز) .

(٣) إنما : ساقطة من (ز) .

(٤) ز : الرب .

(٥) ك ، ض : يقول .

(٦) لم أجد للقاضي أبي بكر الباقلائي كلاماً بهذا المعنى ، ولكن الشيخ محمد زاهد الكوثري علق على كلامه في كتابه « الإنصاف » ص ٨٤ (ت ١) فقال : « وفي شرح المقاصد : (اختصاص موسى عليه السلام بأنه كليم الله تعالى فيه أوجه ... وثالثها : أنه سمع من جهة لكن بصوت غير مكتسب للعباد على ما هو شأن سماعنا ، وحاصله أنه أكرم موسى عليه السلام فأفهمه كلامه بصوت تولى بخلقه من غير كسب لأحد من خلقه . وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي وأبو إسحاق الإسفراييني » . وانظر : الإرشاد للجويني ، ص ١٣٣ - ١٣٤ حيث يقول : « كلام الله تعالى مسموع في إطلاق المسلمين ... ثم السماع لفظة محتملة لا يتحد معناها ، ولا ينفرد مقتضاها ، فقد يراد بها الإدراك ، وقد يراد بها الفهم =

فقليل لهم : عندكم هو معنى واحد لا يتبعّض ولا يتعدد ، فموسى فهم المعنى كله أو بعضه ؟ إن قلتم : كله ، فقد عَلِمَ عِلْمَ الله كله ^(١) ، وإن قلتم : بعضه ، فقد تبعّض ، وعندكم لا يتبعّض ^(٢) .

ومن قال من ^(٣) أتباع الكُلاّية بأن النداء وغيره من الكلام القديم حروف ، أو حروف ^(٤) وأصوات لازمة لذات الرب ، كما يقوله ^(٥) السالمية ومن وافقهم ، يقولون : إنه خلق له إدراكاً لتلك الحروف والأصوات . والقرآن والسنة وكلام السلف قاطبة يقتضى أنه إنما ناداه وناجاه حين أتى ، لم يكن النداء موجوداً قبل ذلك ، فضلاً عن أن يكون قديماً أزلياً .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٢] ^(٦) ، وهذا يدل على أنه لما أكلا منها ناداهما ، لم ينادهما قبل ذلك .

= والإحاطة فإذا سُمي كلام الله تعالى مسموعاً فالمعنى به كونه مفهوماً معلوماً عن أصوات مدرّكة ومسموعة ، والشاهد لذلك من القضايا الشرعية إجماع الأمة على أن الرب تعالى خصص موسى وغيره من المصطفين من الإنس والملائكة بأن أسمعهم كلامه العزيز من غير واسطة . فلو كان السامع لقراءة القارئ مدرّكاً لنفس كلام الله تعالى ، لما كان موسى صلوات الله عليه مخصصاً بالتكليم ، وإدراك كلام الله من غير تبليغ مبلغ وإنهاء (لعلها) وإنباء (مرسل) .

(١) كله : ساقطة من (ز) .

(٢) ز : وعندكم لا بعض له .

(٣) من : ساقطة من (ز) .

(٤) أو حروف : ساقطة من (ز) .

(٥) ض : تقوله .

(٦) حرفت الآية في (ك) ، (ض) إلى : فلما أكلا منها بدت لهما إلخ .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة القصص : ٦٥] ، ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [سورة القصص : ٦٢] ، فجعل النداء في يوم معين ، وذلك اليوم حادث كائن بعد أن لم يكن ، وهو حينئذ يناديهم ، لم ينادهم قبل ذلك .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [سورة المائدة : ١] فبين أنه يحكم فيحلل ما يريد ويحرم ما يريد / ويأمر بما يريد ، فجعل التحليل والتحریم والأمر والنهي متعلقا بإرادته . [وهذه أنواع الكلام ، فدل على أنه يأمر بإرادته ^(١) وينهى بإرادته ، ويحلل بإرادته ، ويحرم بإرادته .

والكَلَّاءِيَّة يقولون : ليس شيء من ذلك بإرادته ، بل هو قديم لازم لذاته ^(٢) ، غير مراد له ولا مقدور . والمعتزلة مع الجهمية يقولون : كل ذلك مخلوق منفصل عنه ، ليس له كلام قائم به ، لا بإرادته ولا بغير إرادته . ومثل هذا كثير في القرآن العزيز .

فصل

وكذلك في الإرادة والمحبة كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة يس : ٨٢] ، وقوله : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكْ غَدًا ۖ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [سورة الكهف : ٢٣ - ٢٤] ، وقوله : ﴿ تَتَذَخَّرُونَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ ﴾ [سورة الفتح : ٢٧] ، وقوله : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ﴾ [سورة الإسراء : ١٦] ، وقوله : ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ﴾ [سورة الرعد : ١١] ، وقوله :

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ك) ، (ض) ، وأثبتته من (ز) .

(٢) ك : بل قديمة لازمة لذاته ؛ ض : بل قديم لازم لذاته . والمثبت من (ز) .

﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الإنسان : ٢٨] ، وقوله : ﴿ وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ [سورة الإسراء : ١٦] ، وأمثال ذلك في القرآن العزيز ^(١) .

فإن جوازم الفعل المضارع ونواصبه تخلصه للاستقبال ، مثل « إن » و « أن » ، وكذلك « إذا » ظرف لما يستقبل من الزمان . فقوله : « إذا أَرَادَ » و « إن شاء » ^(٢) الله « ونحو ذلك يقتضى حصول إرادة مستقبلية ومشية ^(٣) مستقبلية .

وكذلك في المحبة والرضا . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [سورة آل عمران : ٣١] ، فإن هذا يدل على أنهم إذا اتبعوه أحبه الله ، فإنه جزم قوله ^(٤) « يحببكم الله » ^(٥) ، فجزمه جواباً للأمر ، وهو في معنى الشرط ، فتقديره ^(٦) : إن تتبعوني يحببكم الله .

صفتا المحبة
والرضا

ومعلوم أن جواب الشرط والأمر إنما يكون بعده لا قبله ، فمحبة الله لهم إنما تكون بعد اتباعهم للرسول . والمنازعون منهم من يقول : ما ثم محبة بل المراد ثوابا مخلوقا ، ومنهم من يقول : بل ثم محبة قديمة أزلية : إما الإرادة وإما غيرها . والقرآن يدل على قول السلف وأئمة ^(٧) السنة المخالف ^(٨) للقولين .

(١) العزيز : ساقطة من (ز) .

(٢) ز : وإن يشأ .

(٣) ك : أو مشية .

(٤) قوله : ساقطة من (ز) .

(٥) ك ، ض : يحببكم به . والمثبت من (ز) .

(٦) ز : تقديره .

(٧) ك ، ض : أئمة .

(٨) ك ، ض : المخالفين .

وكذلك قوله : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾ [سورة محمد : ٢٨] ، فإنه يدل على أن أعمالهم أسخطته ، فهي سبب لسخطه ، وسخطه عليهم بعد الأعمال لا قبلها .

وكذلك قوله : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [سورة الزخرف : ٥٥] ، وكذلك قوله : ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [سورة الزمر : ٧] علّق الرضا بشكرهم وجعله مجزوما جزاء له ، وجزاء الشرط لا يكون إلا بعده .

وكذلك قوله : ﴿ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٢] ، ﴿ وَيُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة التوبة : ٧] ، ﴿ وَيُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٤٢] ، ﴿ وَيُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ﴾ [سورة الصف : ٤] ونحو ذلك ، فإنه يدل على أن المحبة بسبب هذه الأعمال ، وهي جزاء لها ، والجزاء إنما يكون بعد العمل والسبب (١) .

فصل

وكذلك السمع والبصر والنظر . قال الله تعالى : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٥] ، هذا في حق المنافقين . وقال في حق التائبين : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٥] فبقوله (٢) : ﴿ فَسَيَرَىٰ اللَّهُ ﴾ دليل على أنه يراها بعد نزول هذه الآية

(١) ك ، ض : والمسبب .

(٢) ك ، ض : وقوله .

الكريمة ^(١) ، والمنازع إما أن ينفي الرؤية وإما أن يثبت رؤية قديمة أزلية [فقط] ^(٢) .

وكذلك قوله : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة يونس : ١٤] ولام « كى » تقتضى أن ما بعدها متأخر عن المعلول ، فنظره كيف يعملون هو بعد أن جعلهم خلائف .

وكذلك ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ [سورة المجادلة : ١] ، أخبر أنه يسمع تحاورهما حين كانت تجادل وتشتكى إلى الله .

ظ ٧٤

وقال النبي ﷺ : « إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده ، فقولوا : ربنا ولك الحمد ، يسمع الله لكم » ^(٣) فجعل سماعه لنا ^(٤) جزءاً وجواباً للحمد ، فيكون ذلك بعد الحمد ، والسمع يتضمن مع سمع القول قبوله وإجابته .

ومنه قول الخليل : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٩] ، وكذلك قوله : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [سورة آل عمران : ١٨١] ، وقوله لموسى [وهارون] ^(٥) : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [سورة طه : ٤٦] .

(١) الكريمة : ساقطة من (ز) .

(٢) فقط : ساقطة من (ك) ، (ض) .

(٣) هذا جزء من حديث طويل عن أنى موسى الأشعرى رضى الله عنه وأوله - وهذه رواية مسلم - : « إذا صليتم فأقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم أحدكم ... » الحديث . وهو في : مسلم ٣٠٣/١ - ٣٠٥ (كتاب الصلاة ، باب التشهد في الصلاة) ؛ سنن النسائي ٧٥/٢ - ٧٦ (كتاب الإمامة ، باب مبادرة الإمام) ، ١٩٢/٢ - ١٩٣ (كتاب التطبيق ، باب نوع آخر من التشهد) .

(٤) ز : فجعل يسمع لنا .

(٥) وهارون : زيادة في (ز) .

والعقل^(١) الصريح يدل على ذلك ، فإن المدعوم لا يُرى ولا يسمع بصريح العقل واتفاق العقلاء ، لكن قال من قال من السالمية : إنه يسمع ويرى موجوداً في علمه لا موجوداً بائناً عنه ، ولم يقل [أحد]^(٢) : إنه يسمع ويرى بائناً عن الرب . فإذا خلق العباد ، وعملوا وقالوا ، فإما أن نقول : إنه يرى أعمالهم ويسمع أقوالهم^(٣) ، وإما لا يرى ولا يسمع . فإن نفى ذلك تعطيل^(٤) لهاتين الصفتين ، وتكذيب للقرآن ، وهما صفتا كمال لا نقص فيه ، فمن يسمع ويبصر أكمل ممن لا يسمع ولا يبصر .

وال مخلوق يتصف بأنه يسمع ويبصر ، فيمتنع^(٥) اتصاف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق سبحانه وتعالى^(٦) ، وقد عاب الله تعالى^(٧) من يعبد من لا يسمع ولا يبصر في غير موضع ، ولأنه حيّ ، والحيّ إذا لم يتصف بالسمع والبصر ، اتصف بضد ذلك : وهو العمى والصمم ، وذلك ممتنع ، وبسط هذا له موضع آخر .

وإنما المقصود هنا أنه إذا كان يسمع ويبصر الأقوال والأعمال بعد أن وجدت ، فإما أن يقال : إنه تجدد [شيء] ، وإما أن يقال : لم يتجدد شيء ، فإن كان لم يتجدد [^(٨)] ، وكان لا يسمعها ولا يبصرها ، فهو بعد أن خلقها لا يسمعها

(١) ك ، ض : والمعقول .

(٢) أحد : ساقطة من (ك) ، (ض) وأثبتها من (ز) .

(٣) ك ، ض : إنه يسمع أقوالهم ويرى أعمالهم .

(٤) ك ، ض : فإن نفى ذلك فهو تعطيل .

(٥) ك : فيمتنع .

(٦) سبحانه وتعالى : ليست في (ز) .

(٧) تعالى : ليست في (ز) .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

ولا يبصرها . وإن تجدد شيء : فإما أن يكون وجوداً أو عدماً ، فإن كان عدماً فلم يتجدد شيء ، وإن كان وجوداً : فإما أن يكون قائماً بذات الله ، أو قائماً بذات غيره ^(١) . والثاني يستلزم أن يكون ذلك الغير هو الذي يسمع ويرى فتعين أن ذلك السمع والرؤية الموجودين قائم بذات الله ^(٢) ، وهذا لا حيلة فيه .

والكلابية يقولون في جميع هذا الباب : المتجدد هو تعلّق ^(٣) [تعلّق] ^(٤) بين الأمر والمأمور ، وبين الإرادة والمراد ، وبين السمع والبصر والمسموع والمرئى ^(٥) .

فيقال لهم : هذا التعلّق ^(٦) إما أن يكون وجوداً وإما أن يكون عدماً ، فإن كان عدماً فلم يتجدد شيء ، فإن العدم لا شيء وإن كان وجوداً بطل قولهم .

وأيضاً فحدوث تعلّق هو نسبة وإضافة ، من غير حدوث ما يوجب ذلك - ممتنع ، فلا تحدث ^(٧) نسبة وإضافة إلا بحدوث أمر وجودى يقتضى ذلك ، وطائفة - منهم ابن عقيل - يسمّون هذه النسب ^(٨) أحوالا .

والطوائف متفقون على حدوث نسب وإضافات وتعلقات ، لكن حدوث النسب بدون حدوث ما يُوجبها ممتنع ، فلا تكون ^(٩) نسبة وإضافة إلا تابعة لصفة ثبوتية ^(١٠) : كالأبوة والبنوة ، والفوقية والتحتية ، والتمام والتمام ، فإنها لا بد أن تستلزم أموراً ثبوتية ^(١١) .

(١) ز : وإما أن يقوم بذات غيره .

(٢) ز : الرب .

(٣) ك : معلق .

(٤) تعلّق : زيادة في (ز) .

(٥) ز : والمرأى ، وهو تحريف .

(٦) ك : التعلّق .

(٧) ض : يحدث .

(٨) ك ، ض : النسبة .

(٩) ك ، ض : يكون ؛ ز (غير منقوطة) .

(١٠ - ١١) : ساقط من (ز) .

أفعال الرب
الاجتبارية

ص ٧٥

وكذلك كونه خالقا ورازقا ومحسناً وعادلاً ، فإن هذه أفعال فعلها بمشيئته وقدرته ، إذ (١) كان يخلق بمشيئته ، ويرزق بمشيئته ، ويعدل بمشيئته ، ويحسن / بمشيئته . والذي عليه جماهير المسلمين من السلف والخلف : أن الخلق غير المخلوق ، فالخلق فعل الخالق ، والمخلوق مفعوله .

ولهذا كان النبي ﷺ يستعيز بأفعال الرب وصفاته ، كما في قوله ﷺ (٢) : « أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك » (٣) ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » (٣) ، فاستعاذ بمعافاته كما استعاذ برضاه .

وقد استدل أئمة السنن - كأحمد وغيره - على أن كلام الله غير مخلوق بأنه استعاذ به فقال : « من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل منه » (٤) فكذلك معافاته ورضاه غير مخلوق (٥) لأنه استعاذ به (٦) والعافية القائمة بيد العبد مخلوقة ، فإنها نتيجة معافاته .

(١) ك : إذا ، وهو تحريف .

(٢) ﷺ : ليست في (ز) .

(٣-٣) : ساقط من (ز) . والحديث عن عائشة رضي الله عنها في : مسلم ٣٥٢/١ (كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود) وأوله : فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفرائض فالتجست فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد ، وهما منصوبتان ، وهو يقول : اللهم أعوذ برضاك ... الحديث .

(٤) الحديث عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها - مع اختلاف يسير في الألفاظ - في : مسلم ٢٠٨٠/٤ - ٢٠٨١ (كتاب الذكر والدعاء .. ، باب في التعوذ من سوء القضاء) ؛ سنن الترمذي ١٥٩/٥ - ١٦٠ (كتاب الدعوات ، باب ما جاء ما يقول إذا نزل منزلاً) ؛ سنن ابن ماجه ١١٧٤/٢ (كتاب الطب ، باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه) ؛ سنن الدارمي ٢٨٩/٢ (كتاب الاستئذان ، باب ما يقول إذا نزل منزلاً) ؛ الموطأ ٩٧٨/٢ (كتاب الاستئذان ، باب ما يؤمر به من الكلام في السفر) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٣٧٧/٦ .

(٥) ك ، ض : مخلوقة . والمثبت من (ز) .

(٦) ض : لأنه استعاذ بهما ؛ ك : لا استعاذ به ، وهو تحريف . والمثبت من (ز) .

وإذا كان الخلق فعله والمخلوق مفعوله ، وقد خلق الخلق بمشيئته ، دل على أن الخلق فعل يحصل بمشيئته ويمتنع قيامه بغيره ، فدل على أن أفعاله قائمة بذاته ، مع كونها حاصلة بمشيئته وقدرته .

وقد حكى البخارى إجماع العلماء على الفرق بين الخلق والمخلوق ، وعلى هذا يدل صريح المعقول ، فإنه قد ثبت بالأدلة العقلية والسمعية ، أن كل ما سوى الله تعالى ^(١) مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن ، وأن الله انفرد بالقدم والأزلية .

وقد قال تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [سورة السجدة : ٤] ، فهو حين خلق السموات ابتداءً إما أن يحصل منه فعل يكون هو خلقاً للسموات والأرض ، وإما أن لا يحصل منه فعل ^(٢) ، بل وجدت المخلوقات بلا فعل . ومعلوم أنه إذا كان الخالق قبل خلقها ومع خلقها وبعده سواء ^(٣) ، لم يجز تخصيص خلقها ^(٤) بوقت دون وقت بلا سبب يوجب التخصيص .

وأيضاً فحدوث المخلوق بلا سبب ^(٥) حادث ممتنع في بدايه ^(٦) العقل . وإذا قيل : الإرادة والقدرة [القديمة] ^(٧) خصصت . قيل : نسبة الإرادة القديمة إلى جميع الأوقات سواء .

وأيضاً فلا تُعقل إرادة تخصص ^(٨) أحد المتماثلين إلا بسبب يوجب التخصيص .

(١) تعالى : ليست في (ز) .

(٢) في (ك) : كأنها : قول ، وهو تحريف .

(٣) ك ، ض : ومع خلقها سواء وبعده سواء . والمثبت من (ز) .

(٤) ك : لخلقها .

(٥) ز : بدون سبب .

(٦) ك ، ض : بداية .

(٧) القديمة : ساقطة من (ك) ، (ض) .

(٨) ك ، ض : تخصيص . والمثبت من (ز) .

وأيضاً فلا بد عند وجود المراد من سبب يقتضى حدوثه ، وإلا فلو كان مجرد ما تقدم من الإرادة والقدرة كافياً ، للزم وجوده قبل ذلك ، لأنه مع الإرادة التامة والقدرة التامة يجب وجود المقدور .

وقد احتج من قال : الخلق هو المخلوق ، كأبى الحسن ومن اتبعه مثل ابن عقيل ، بأن قالوا : لو كان غيره لكان : إما قديماً وإما حادثاً ، فإن كان قديماً لزم قدم المخلوق لأنهما متضايفان ^(١) ، وإن كان حادثاً ^(٢) لزم أن تقوم به الحوادث ، ثم ذلك الخلق يفتقر إلى خلق آخر ويلزم التسلسل .

فأجابهم الجمهور ، كل طائفة على أصلها ، فطائفة ^(٣) قالت : الخلق قديم وإن كان المخلوق حادثاً ^(٤) ، كما يقول ذلك كثير من أهل المذاهب الأربعة ، وعليه أكثر الحنفية . قال هؤلاء : أنتم تسلّمون لنا أن الإرادة قديمة أزلية والمراد محدث ، فنحن نقول في الخلق ما قلتم في الإرادة .

وقالت طائفة ^(٥) : بل الخلق حادث في ذاته ، ولا يفتقر إلى خلق آخر ، بل يحدث بقدرته . وأنتم تقولون : إن المخلوق يحصل بقدرته بعد أن لم يكن ^(٦) ، فإن ^(٧) كان المنفصل يحصل بمجرد القدرة ، فالمتصل به أولى . وهذا جواب كثير من الكرامية والهشامية وغيرهم .

(١) ز : متضايفان ، وهو تحريف .

(٢) ز : محدثاً .

(٣) ز : وطائفة .

(٤) ز : محدثاً .

(٥) ز : وطائفة قالت .

(٦) ك ، ض : تكن ؛ ز (غير منقوطة) . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٧) ز : فإذا .

وطائفة يقولون : هب / أنه يفتقر إلى فعل قبله ، فلم قلتم : إن ذلك ممتنع ؟
وقولكم ^(١) هذا تسلسل .

فيقال : هذا ليس تسلسلا ^(٢) في الفاعلين والعلل الفاعلة ؛ فإن هذا ممتنع
باتفاق العقلاء ، بل هو تسلسل في الآثار والأفعال ، وهو حصول شيء بعد شيء .

وهذا محل النزاع ، فالسلف يقولون : لم يزل متكلمًا إذا شاء [وكما
شاء] ^(٣) . وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ
قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [سورة الكهف : ١٠٩] فكللمات
الله لا نهاية لها ، وهذا تسلسل جائز كالتسلسل في المستقبل ؛ فإن نعيم الجنة دائم
لا نفاد له ، فما من شيء إلا وبعده شيء بلا نهاية ^(٤) .

فصل

والأفعال نوعان : متعدٍ ولازم . فالمتعدى مثل : الخلق والاعطاء ونحو ذلك .
واللازم مثل : الاستواء والنزول والمجيء والإيتان .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [سورة هود : ٧] فذكر الفعلين : المتعدى واللازم ، وكلاهما
حاصل بقدرته ومشيئته ^(٥) ، وهو متصف به ، وقد بسط هذا في غير هذا
الموضع .

(١) ك : وقولهم .

(٢) ك : ليس هذا تسلسل ؛ ض : ليس هذا تسلسلا .

(٣) وكما شاء : ساقطة من (ك) ، (ض) . وأثبتها من (ز) .

(٤) ك ، ض : شيء لا نهاية له .

(٥) ض : بمشيئته وقدرته .

الأدلة على هذا
الأصل من السنة

والمقصود هنا أن القرآن يدل على هذا الأصل في أكثر من مائة موضع .
وأما الأحاديث الصحيحة فلا يمكن ضبطها في هذا الباب ، كما في الصحيحين
عن زيد بن خالد الجهني ^(١) أن النبي ﷺ صلى بأصحابه صلاة الصبح
بالحديبية ^(٢) على إثر سماء كانت من الليل ^(٣) ، ثم قال : أتدرون ماذا قال ربكم
الليلة ؟ قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر [بى] ^(٤) ، فأما من قال : مُطِرْنَا
بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما من قال : مُطِرْنَا بنوء
كذا [ونوء كذا وكذا] ^(٥) ، فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب ^(٥) .

وفى الصحاح [فى] ^(٦) حديث الشفاعة : يقول ^(٧) كل من الرسل إذا
أتوا إليه ^(٨) « إن رى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده
مثله » ^(٩) فقال كل منهم : إن رى قد غضب اليوم ، وهو بيان أن الغضب حصل
فى ذلك اليوم لا قبله .

(١) الجهني : ساقطة من (ز) .

(٢ - ٢) : ساقط من (ز) .

(٣) بى : ساقطة من (ك) ، (ض) .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ز) .

(٥) بعد كلمة « الكوكب » تكررت عبارة « فقال أتدرون ماذا قال ربكم الليلة » فى (ك) ، (ز)
إلا أن العبارة عليها شطب فى (ز) . والحديث - مع اختلاف يسير فى الألفاظ - عن زيد بن خالد الجهني
رضى الله عنه فى : البخارى ١٦٥/١ (كتاب الأذان ، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم) ؛ مسلم
٨٣/١ - ٨٤ (كتاب الإيمان ، باب بيان كفر من قال : مطرنا بالنوء) ؛ سنن أبى داود ٢١/٤ (كتاب
الطب ، باب فى النجوم) ؛ الموطأ ١٩٢/١ (كتاب الاستسقاء ، باب الاستبصار بالنجوم) .

(٦) فى : زيادة من (ز) .

(٧) ك ، ض : فيقول .

(٨) عبارة : « إذا أتوا إليه » ساقطة من (ز) والمعنى أن الرسل إذا أتى الناس إليهم بعد كرب يوم
القيامة يطلبون من كل رسول أن يشفع إلى الله تعالى يقول كل منهم العبارة التالية .

(٩) حديث الشفاعة حديث طويل مروي عن عدد من الصحابة من وجوه عدة بألفاظ متقاربة .
انظر : البخارى ٨٤/٦ - ٨٥ (كتاب التفسير ، سورة بنى اسرائيل : باب ذرية من حملنا مع نوح) ؛ =

وفي الصحيح : « إذا تكلم الله بالوحي ، سمع أهل السموات كجر السلسلة على الصفوان » ^(١) فقله : « إذا تكلم الله بالوحي سمع » يدل على أنه يتكلم به حين يسمعون ، وذلك ينفي كونه أزلًا . وأيضا فما يكون ^(٢) كجر السلسلة على الصفا يكون ^(٣) شيئا بعد شيء ، والمسبوق بغيره لا يكون أزلًا .

وكذلك في الصحيح : « يقول الله : قَسَمْتُ الصلاة بيني وبين عبدي [نصفين :] ^(٤) نصفها لي ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : الحمد لله رب العالمين ، قال الله : حمدني عبدي . فإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال

= مسلم ١٨٠/١ - ١٨٧ (كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة) . وهو في مواضع كثيرة في الصحيحين وغيرهما . انظر : الترغيب والترهيب للمنذرى ٣٩٨/٥ - ٤٠٦ (ط . مصطفى الحلبي ، القاهرة ١٣٥٢ / ١٩٣٣) ؛ جامع الأصول لابن الأثير ١٢٣/١١ - ١٣٣ (ط . السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٧٣ / ١٩٥٤) ؛ حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية ص ٢٢٣ - ٢٢٧ (تحقيق الأستاذ محمود حسن ربيع ، ط . مكتبة الأزهر ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٥٧ / ١٩٣٨) .

(١) الحديث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في : سنن أبى داود ٣٢٥/٤ (كتاب السنة ، باب في القرآن) ونصه : « إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل ، حتى إذا أتاهم جبريل فُزع عن قلوبهم . قال : فيقولون : يا جبريل ماذا قال ربك ؟ فيقول : الحق . فيقولون : الحق ، الحق » . وذكر الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى الحديث في « صحيح الجامع الصغير » ١/١٧٨ وقال عنه إنه صحيح ، وأنه ورد في كتاب التوحيد لابن خزيمة وفي كتاب « الأسماء والصفات » للبيهقى . والحديث في كتاب التوحيد لابن خزيمة ، ص ١٤٥ (بتحقيق الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله ، ط . مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٨٧ / ١٩٦٨) وهو أيضا في « الأسماء والصفات » ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ (بتحقيق الكوثرى ، ط . السعادة ، القاهرة ، ١٣٥٨) ونبه البيهقى إلى أن الحديث رواه البخارى موقوفا وأبو داود مرفوعا . والحديث في : البخارى ١٤١/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ولا تنفع الشفاعة عنده) وقال : « وقال مسروق عن ابن مسعود : إذا تكلم الله بالوحي الحديث » . وجاء حديث آخر بألفاظ مقاربة عن أبى هريرة ذكره ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل ٤٣/٢ وتكلمت عليه هناك وذكرت أن البخارى أورده في ثلاثة مواضع وهو في سنن الترمذى وابن ماجه .

(٢) ز : ما يكون .

(٣) ز : فيكون .

(٤) نصفين : ساقطة من (ك) .

الله : أثنى على عبدى . فإذا قال : مالك يوم الدين ، قال الله ^(١) : مجّدى عبدى . فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال الله ^(١) : هذه الآية بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل . فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال الله ^(٢) : هؤلاء لعبدى ولعبدى ما سأل « ^(٣) ، فقد أخبر أن العبد إذا قال : الحمد لله ، قال الله : حمدنى [عبدى] ^(٤) فإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله ^(٥) : أثنى على عبدى الحديث .

وفى الصحاح حديث النزول [أنه : ^(٦)] « ينزل ربنا ^(٧) كل ليلة حين / يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ » ^(٨) فهذا قول وفعل فى وقت معين ، وقد

ص ٧٦

(١) الله : ليست فى (ز) .

(٢) الله : ليست فى (ز) .

(٣) سبق الكلام عن الحديث ٢٧٢/١ (ت ٢) وهو عن أبى هريرة رضى الله عنه فى : مسلم ٢٩٦/١ - ٢٩٧ (كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة) ؛ سنن الترمذى ٢٦٩/٤ - ٢٧٠ (كتاب التفسير ، سورة الفاتحة) .

(٤) عبدى : ساقطة من (ك) ، (ض) . وأثبتها من (ز) .

(٥) الله : ليست فى (ز) .

(٦) أنه : زيادة فى (ز) .

(٧) ربنا : ليست فى (ز) .

(٨) الحديث عن أبى هريرة وغيره من الصحابة رضى الله عنهم فى : البخارى ٥٢/٢ - ٥٣ (كتاب التهجد ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل) ، ٧١/٨ (كتاب الدعوات ، باب الدعاء نصف الليل) ١٤٣/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : يريدون أن يبدلوا كلام الله) ؛ مسلم ١٧٥/٣ - ١٧٦ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الترغيب فى الدعاء) ؛ سنن أبى داود ٤٧/٢ (كتاب الصلاة ، باب أى الليل أفضل) ، ٣١٤/٤ (كتاب السنة ، باب الرد على الجهمية) ؛ المسند ط . المعارف (الأرقام : ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٣٦٧٣ ، ٣٨٢١ ، ٧٥٠٠ ، ٧٥٨٢ ، ٧٦١١ ، ٧٧٧٩ . وهو أيضا فى مواضع أخرى كثيرة فى المسند ، وهو أيضا فى سنن : الترمذى وابن ماجه والدارمى ومسند الطيالسى (وانظر مفتاح كنوز السنة ، مادة : الدعاء) وأفرد ابن خزيمة فصلا لأحاديث النزول فى كتابه « التوحيد » ص ١٢٥ - ١٣٦ .

اتفق السلف على أن النزول فعل يفعله الرب ، كما قال ذلك الأوزاعي وحماد بن زيد والفضيل بن عياض ^(١) وأحمد بن حنبل وغيرهم .

وأيضاً فقد قال ﷺ : « لله أشدُّ أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن ، من صاحب القِيَّة إلى قِيَّتِه » ^(٢) . وفي الحديث الصحيح الآخر ^(٣) : « ما أذن الله لشيء كَأَذْنِهِ لِنَبِيٍّ حسن الصوت يتغنَّى ^(٤) بالقرآن يجهر به » ^(٥) .

أَذَنَ ^(٦) يَأْذُنُ أَذْناً : أى استمع ^(٧) يستمع استماعاً ، كقوله : ﴿ أَذِنْتُ لِرَبِّيَّ وَحَقَّقْتُ ﴾ [سورة الانشقاق : ٢] فأخبر أنه يسمع إلى هذا وهذا .

وفي الصحيح : « لا يزال عبدى يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا

(١) عبارة « والفضيل بن عياض » : ساقطة من (ز) .

(٢) الحديث عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه فى : سنن ابن ماجه ٤٢٥/١ (كتاب إقامة الصلاة ، باب فى حسن الصوت بالقرآن) . أورده الشيخ الألبانى فى « ضعيف الجامع الصغير » ٣/٥ ونقل عن السيوطى أنه فى سنن ابن ماجه وفى صحيح ابن حبان وفى المستدرک للحاكم وفى شعب الإيمان للبيهقى عن فضالة بن عبيد ، وضعفه الألبانى ، ولكن ذكر الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي فى تعليقه على سنن ابن ماجه « فى الروائد : إسناده حسن » وقال : « أذنا : بفتحين ، بمعنى : استماعاً » . والحديث عن فضالة أيضاً فى : المسند (ط . الحلبي) ١٩/١٦ ، ٢٠ .

(٣) ز : الآخر الصحيح .

(٤) ك : يتغن ؛ ز : يقرأ .

(٥) الحديث عن أنى هريرة رضى الله عنه فى : البخارى ١٩١/٦ (كتاب فضائل القرآن ، باب من لم يتغن بالقرآن) ، ١٥٧/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول النبى ﷺ : الماهر بالقرآن مع الكرام البررة ...) ؛ مسلم ٥٤٥/١ - ٥٤٦ (كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن) ؛ سنن أبى داود ١٠١/٢ (كتاب الوتر ، باب استحباب الترتيل فى القراءة) ؛ سنن النسائى ١٤١/٢ (كتاب الصلاة ، باب التغنى بالقرآن) ؛ المسند (ط . المعارف) ٨٦/١٤ - ٨٨ ، ٢٢٩ .

(٦) ز : قد أذن .

(٧) ك : استمتع ، وهو تحريف .

أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ^(١) ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها » ^(١) فأخبر أنه لا يزال يتقرب بالنوافل بعد الفرائض [حتى يحبه ، و « حتى » حرف غاية ، يدل على أنه يحبه بعد تقربه بالنوافل والفرائض] ^(٢) .

وفي الصحيحين عنه ﷺ فيما يروى عن ربه تعالى قال : « قال ^(٣) الله : أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، إن ^(٤) ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملائ خير منهم » ^(٥) وحرف « إن » حرف الشرط ، والجزاء يكون بعد الشرط ، فهذا يبين أنه يذكر العبد [بعد أن يذكره العبد] ^(٦) إن ذكره ^(٧) فى نفسه [ذكره فى نفسه] ^(٨) وإن ذكره فى ملائ ذكره

-
- (١ - ١) : ساقط من (ز) . والحديث عن أنى هريرة رضى الله عنه ، وأوله : إن الله قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلئى عبدى بشئ أحب إلئى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلئى بالنوافل الحديث ، وهذه رواية البخارى . انظر الحديث فى : البخارى ١٠٥/٨ (كتاب الرقاق ، باب التواضع) . وهو عن عائشة رضى الله عنها فى : المسند (ط . الحلبي) ٢٥٦/٦ .
- (٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ك) ، (ض) ، وأثبتته من (ز) .
- (٣) ز : عن ربه عز وجل قال يقول .
- (٤) ز : فإن .

- (٥) هذا جزء من حديث عن أنى هريرة وأنس فى : البخارى ١٢١/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ويحذركم الله نفسه) ، ١٥٦/٩ (كتاب التوحيد ، باب ذكر النبى ﷺ وروايته عن ربه) ؛ مسلم ٢٠٦٧/٤ - ٢٠٦٨ (كتاب الذكر ، باب فضل الذكر) ، ٢١٠٢/٤ (كتاب التوبة ، باب فى الحظ على التوبة) ؛ سنن الترمذى ٢٣٨/٥ - ٢٣٩ (كتاب الدعوات ، باب منه) ؛ سنن ابن ماجه ١٢٥٥/٢ - ١٢٥٦ (كتاب الأدب ، باب فضل العمل) ؛ المسند (ط . المعارف) ١٥٤/١٣ - ١٥٥ (ط . الحلبي) ٤١٣/٢ ، ٤٣٥ ، ٤٠/٣ ، ١٢٢ وفى مواضع أخرى فيه .

- (٦) ما بين المعقوفين فى (ز) فقط .

- (٧) ز : إن ذكر .

- (٨) ما بين المعقوفين فى (ز) فقط .

في ملاء خير منهم . والمنازع يقول : ما زال يذكره أزلا وأبداً . ثم يقول : ذكره وذكر غيره ، وسائر ما يتكلم الله به هو شيء واحد لا يتبعض ولا يتعدد ، فحقيقة قوله : إن الله لم يتكلم ولا يتكلم ولا يذكر أحداً .

وفي صحيح مسلم في حديث تعليم الصلاة : « وإذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهم ربنا ولك الحمد ، يسمع الله لكم » ^(١) فإن الله قال على لسان نبيه : سمع الله لمن حمده ، ^(٢) فقلوه : سمع الله لمن حمده ، لأن الجزاء بعد الشرط ، فقلوه : يسمع الله لكم ، مجزوم حرك [بالكسر] ^(٣) لالتقاء الساكنين ، وهذا يقتضي أنه يسمع بعد أن تحمدوا ^(٤) .

فصل

والمنازعون النفاة كذلك منهم من ينفي الصفات مطلقا ، فهذا يكون الكلام معه في الصفات ^(٤) مطلقا لا محض ^(٥) الصفات الاختيارية ، ومنهم من يثبت الصفات ويقول لا : يقوم بذاته شيء بمشيئته وقدرته ، فيقول : إنه لا يتكلم بمشيئته واختياره ، ويقول : لا يرضى ويسخط ، ويحب ويغض ، ويختار بمشيئته وقدرته ، ويقول : إنه لا يفعل فعلا هو الخلق يخلق به المخلوق ، ولا يقدر عنده على فعل يقوم بذاته ، بل مقدوره لا يكون إلا منفصلا منه ، وهذا موضع تنازع فيه النفاة .

مواقف النفاة
من مسألة الصفات
والرد عليهم

(١) سبق الحديث قبل صفحات قليلة .

(٢ - ٣) : في (ز) بدلا من هذه العبارات جاءت عبارات أخرى فيها تقديم وتأخير هكذا : « فقلوه : يسمع الله لكم مجزوم حرك بالكسر لالتقاء الساكنين ، وهذا يقتضي أنه يسمع بعد أن يقولوا : سمع الله لمن حمده ، لأن الجزاء بعد الشرط » .

(٣) بالكسر : ساقطة من (ك) ، (ض) وهي في (ز) فقط .

(٤) ك (فقط) : الصلاة ، وهو تحريف .

(٥) ز : لا ينحصر (بلون نقط) .

ف قيل : لا يكون مقدوره إلا ^(١) بائناً عنه ، كما يقوله ^(٢) الجهمية والكلائية والمعتزلة . وقيل : لا يكون مقدوره إلا ما يقوم بذاته ، كما يقوله السالمية ^(٣) والكرامية . والصحيح أن كليهما مقدور ^(٤) له .

أما الفعل ، فمثل قوله تعالى ^(٥) : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ [سورة الأنعام : ١٥] ^(٦) .

وقوله : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ [سورة القيامة : ٤٠] .

وقول الحواريين : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾

[سورة المائدة : ١١٢] .

وقوله : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ

مِثْلَهُمْ ﴾ [سورة يس : ٨١] .

وقوله ^(٧) : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيَّرْ

ظ ٧٦

بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ [سورة الأحقاف : ٣٣] إلى أمثال ذلك / مما

يبين أنه يقدر على الأفعال كالإحياء والبعث ونحو ذلك .

وأما القدرة على الأعيان ، ففي الصحيح عن أبي مسعود قال : « كنت

أضرب غلاماً فرأى النبي ﷺ ، فقال : « اعلم أبا مسعود [اعلم

(١) ز : لا ، وهو تحريف .

(٢) ز : تقوله .

(٣) ز : المشامية .

(٤) ك : كلاهما مقدوراً ؛ ز : كلاهما مقدور . والمثبت من (ض) .

(٥) تعالى : ليست في (ز) .

(٦) ز : هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم .

(٧) وقوله : ساقطة من (ز) .

أبا مسعود : [(١) لله أقدر عليك منك على هذا] (٢) [فقلوه : لله أقدر عليك منك على هذا] (٣) دليل على أن القدرة تتعلق بالأعيان المنفصلة : قدرة الرب وقدرة العبد .

ومن الناس من يقول : كلاهما يتعلق بالفعل ، كالكرامية . ومنهم من يقول : قدرة الرب تتعلق بالمنفصل ، وأما قدرة العبد فلا تتعلق إلا بفعل في محلها ، كالأشعرية .

والنصوص تدل على أن كلا القدرتين تتعلق بالمتصل والمنفصل ، فإن الله تعالى أخبر أن العبد يقدر على أفعاله كقوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [سورة التغابن : ١٦] ، وقوله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ قَتَايَتِكُمْ ﴾ [سورة النساء : ٢٥] ، فدل على (٤) أنه منا من يستطيع ذلك ، ومنا من لم يستطيع .

وقال النبي ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطيع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء » أخرجاه في الصحيحين (٥) .

(١) ما بين المعقوفين في (ز) فقط .

(٢) الحديث - مع اختلاف في الألفاظ - عن أبي مسعود البدرى الأنصارى رضى الله عنه في : مسلم ١٢٨٠/٣ - ١٢٨١ (كتاب الأيمان ، باب صحة الممالك) ؛ سنن أبى داود ٤٦٢/٤ (كتاب الأدب ، باب في حق المملوك) ؛ سنن الترمذى ٢٢٥/٣ - ٢٢٦ (كتاب البر والصلة ، باب النهى عن ضرب الخدم وشتيمهم) ؛ المسند (ط . الحلبي) ١٢٠/٤ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ك) فقط .

(٤) ز : أيمانكم ، يدل على أن ...

(٥) الحديث بهذا اللفظ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في : البخارى ٣/٧ (كتاب النكاح ، باب من استطاع الباءة فليتزوج) ، وبلغظ أطول وألفاظ مقاربة في : البخارى ٣/٧ (الكتاب نفسه ، باب من لم يستطيع الباءة فليصم) ، ٢٦/٣ (كتاب الصوم ، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة) ؛ مسلم ١٠١٨/٢ - ١٠١٩ (كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لم تأقت نفسه إليه ووجد مؤنة) ؛ سنن النسائى ١٤١/٤ (كتاب الصيام ، باب ذكر الاختلاف على محمد بن أبى =

وقوله : « إن استطعت أن تعمل بالرضا مع اليقين فافعل » ^(١) .

وقوله في الحديث الذى فى الصحيح ^(٢) : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » ^(٣) ، وقد أخبر أنه قادر على عبده ، وهؤلاء الذين يقولون : لا تقوم به الأمور الاختيارية عمدتهم أنه لو قامت به الحوادث لم يخل منها ، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث .

وقد نازعهم الناس فى كلا المقدمتين ، وأصحابهم المتأخرون - كالرازي والآمدى - قدحوا فى المقدمة الأولى فى نفس هذه المسألة ، وقدح الرازي فى المقدمة الثانية فى غير موضع من ^(٤) كتبه ، وقد بسط الكلام على ذلك فى غير هذا الموضع .

= يعقوب) ؛ سنن ابن ماجه ٥٩٢/١ (كتاب النكاح ، باب ما جاء فى فضل النكاح) ؛ سنن الدارمى ١٣٢/٢ (كتاب النكاح ، باب من كان عنده طول فليتزوج) ؛ المسند (ط . المعارف) ٤١٢ ، ٤١١/١ ، ٥٣ ، ٤٩/٦ ، ٢٠٨/٥ .

(١) قال العراقى عن هذا الحديث فى تعليقه على الإحياء ٣٤/١٢ : « الترمذى من حديث ابن عباس » ولم أستطع العثور على الحديث فى سنن الترمذى ولا فى غيره من المراجع ولكن ابن تيمية ذكر الحديث مطولا فى كتاب « الاستقامة » وبقيته « فافعل ، فإن لم تستطع فإن فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً » . وبينت فى تعليقى على الحديث فى كتاب « الاستقامة » أن الجزء الأخير منه وهو : « إن فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً » هو جزء من حديث ابن عباس رضى الله عنهما الذى أوله : « كنت رديف النبی ﷺ فقال : يا غلام - أو يا غليم - ألا أعلمك كلمات » الحديث وهو فى المسند (ط . المعارف) ٢٨٦/٤ - ٢٨٨ .

(٢) ز : فى الحديث الصحيح .

(٣) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى : البخارى ٩٤/٩ - ٩٥ (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ) ونصه : « دعوى ما تركتكم ، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » . والحديث مع اختلاف فى الألفاظ فى : مسلم ٩٧٥/٢ (كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة فى العمر) ؛ سنن النسائى ٨٣/٥ (كتاب المناسك ، باب وجوب الحج) ؛ سنن ابن ماجه ٣/١ (المقدمة ، اتباع سنة رسول الله ﷺ) .

(٤) من : ساقطة من (ز) .

وقولهم : إنما ^(١) عرفنا حدوث العالم بهذه الطريق ، وبه أثبتنا الصانع .
فيقال ^(٢) لهم : لا جرم ابتدعتم طريقا لا يوافق السمع ولا العقل ، فالعالَمون
بالشرع يعرفون أنكم مبتدعون محدثون في الإسلام ما ليس منه ، والذين يعقلون
ما يقولون يعلمون أن العقل يناقض ما قلتم ، وأن ما جعلتموه دليلا على إثبات
الصانع لا يدل على إثباته ، [بل] ^(٣) هو استدلال على نفى الصانع .

وإثبات الصانع حق ، وهذا الحق يلزم من ثبوته إبطال استدلالكم بأن ما لم
يخل من الحوادث فهو حادث .

وأما كون ^(٤) طريقكم مبتدعة ما سلكها الأنبياء ولا أتباعهم ولا سلف
الأمّة ، فلأن كل ^(٥) من يعرف ما جاء به الرسول ، وإن كانت معرفته متوسطة لم
يصل في ذلك إلى الغاية ، يعلم أن الرسول ﷺ ^(٥) لم يدع الناس في [معرفة] ^(٦)
الصانع وتوحيده وصدق رسله إلى الاستدلال بثبوت الأعراض وأنها حادثة ولازمة
للأجسام ، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث ، لامتناع حوادث لا أول لها ،
[بل] يعلم ^(٧) بالاضطرار أن هذه الطريق لم يتكلم بها الرسول ، ولا دعا إليها
أصحابه ، ولا [أصحابه] ^(٨) تكلموا بها ، ولا دعوا بها الناس .

وهذا يوجب العلم الضروري من دين الرسول بأنه عند الرسول ^(٩)

(١) ك ، ض : إنا .

(٢) ك ، ض : يقال .

(٣) بل : ساقطة من (ك) .

(٤ - ٤) : ساقط من (ز) .

(٥) ﷺ : ساقطة من (ز) .

(٦) معرفة : ساقطة من (ك) .

(٧) ك ، ض : لا أول لها فعلم .

(٨) أصحابه : زيادة في (ز) .

(٩) ك : بأنه عبد الرسول ، وهو تحريف . ض : فإن عند الرسول . والمثبت من (ز)

والمؤمنين به أن الله يُعرف ، ويُعرف / توحيده وصدق رسله ، بغير هذه الطريق ،
فدل الشرع دلالة ضرورية على أنه لا حاجة إلى هذه الطريق ، ودل ما فيها من
مخالفة نصوص الكتاب والسنة على أنها طريق باطلة ، فدل الشرع على أنه
لا حاجة إليها وأنها باطلة .

وأما العقل ^(١) فقد بسط القول في جميع ما قيل فيها في غير هذه المواضع ،
وبيّن أن أئمة أصحابها قد يعترفون بفسادها من جهة العقل ، [كما] ^(٢) يوجد في
كلام أئى حامد والرازى وغيرهما بيان فسادها .

ولما ظهر فسادها للعقل تسلّط الفلاسفة على سالكيها ، وظنت الفلاسفة
أنهم [إذا] ^(٣) قدحوا فيها فقد قدحوا في دلالة الشرع ، ظنا منهم أن الشرع جاء
بموجبها ، إذ كانوا أجهل بالشرع والعقل من سالكيها ، فسالكوها لا للإسلام
نصروا ، ولا لأعدائه كسروا ، بل سلّطوا الفلاسفة عليهم وعلى الإسلام ، وهذا كله
مبسوط في مواضع .

وإنما المقصود هنا أن يُعرف أن نفهم للصفات الاختيارية - التى يسمونها
حلول الحوادث - ليس لهم دليل عقلى عليه ، وحُذِّقْهم يعترفون ^(٤) بذلك .
وأما السمع فلا ريب أنه مملوء بما يناقضه ، والعقل أيضا يدل على نقيضه ^(٥) من
جوه تبهنا على بعضها .

ولما لم يكن مع أصحابها حجة لا عقلية ولا سمعية من الكتاب والسنة ،
احتال متأخروهم فسلّكوا طريقا سمعية ظنوا أنها تنفعهم ، فقالوا : ^(٦) هذه

(١) ك : وأما الفعل ، وهو تحريف .

(٢) كما : ساقطة من (ك) .

(٣) إذا : ساقطة من (ك) .

(٤) ز : معترفون .

(٥) ز : يدل نقيضها ، وهو تحريف .

(٦) ك : تنقضهم فقال ، وهو تحريف .

الصفات إن كانت صفات نقص وجب تنزيه الرب عنها ، وإن كانت صفات ^(١) كمال فقد كان فاقداً [لها] ^(٢) قبل حدوثها ، وعدم الكمال نقص ، فيلزم أن يكون كان ناقصاً ، وتنزيهه عن النقص واجب بالإجماع .

وهذه الحجة من أفسد الحجج ، وذلك من وجوه :

الرد على حجة للنفاة
من وجوه
الأول

أحدها : أن هؤلاء يقولون : نفى النقص عنه لم يُعلم بالعقل وإنما علم بالإجماع ، وعليه اعتمدوا في نفى النقص [هنا] ^(٣) ، فيعود [الأمر] إلى ^(٤) احتجاجهم بالإجماع . ومعلوم أن الإجماع لا يحتاج به في موارد النزاع ^(٥) ، فإن المنازع لهم يقول : أنا لم أوافقكم على نفى هذا المعنى ، وإن وافقتكم على إطلاق القول بأن الله منزّه عن النقص ، فهذا المعنى عندى ليس بنقص ، ولم يدخل فيما ^(٦) سلمته لكم ، فإن يثبت بالعقل أو بالسمع انتفاءه ^(٧) ، وإلاّ فاحتجاجكم بقولى - مع أنى لم أرد ذلك - كذب على ، فإنكم تحتجون بالإجماع ، والطائفة المثبتة من أهل الإجماع ، وهم لم يسلموا هذا .

الثانى

الثانى : [أن يُقال : لا نسلم] ^(٨) أن عدم هذه الأمور قبل وجودها نقص ، بل لو وجدت قبل وجودها لكان نقصاً . مثال ذلك : تكليم الله لموسى عليه السلام ^(٩) ونداؤه له ، فنداؤه ^(١٠) حين ناداه صفة كمال ، ولو ناداه قبل أن

(١) ز : صفة .

(٢) لها : ساقطة من (ك) فقط .

(٣) هنا : ساقطة من (ك) ، (ض) .

(٤) ك : فيعود إلى ؛ ض : فنعود إلى . والمثبت من (ز) .

(٥) ز : أن الإجماع في مورد النزاع .

(٦) ك : فيها ، وهو تحريف .

(٧) ز : انتفاؤه ، وهو خطأ .

(٨) ما بين المعرفتين ساقط من (ك) ، (ض) ، وأثبتته من (ز) .

(٩) عليه السلام : ليست في (ز) .

(١٠) ز : ومناداته له فنداء .

يجيء لكان ذلك نقصاً ، فكل منها كمال حين وجوده ، ليس بكمال قبل وجوده ، بل وجوده قبل الوقت الذى تقتضى الحكمة وجوده فيه نقص .

الثالث : أن يقال : لا نُسلم أن [عدم ذلك نقص ، فإن] ما كان (١)
حادثاً امتنع أن يكون قديماً ، وما كان ممتنعاً لم يكن عدمه نقصاً ، إنما النقص فوات (٢) ما يمكن من صفات الكمال .

الرابع : أن هذا يرد فى كل ما فعله الرب وخلقه ، فيقال : خلُق هذا : إن كان نقصاً فقد اتصف بالنقص ، وإن كان كمالاً فقد كان فاقداً له . فإن قلتم : صفات الأفعال عندنا ليست بنقص ولا كمال . قيل : إذا قلتم ذلك أمكن المنازع أن يقول : هذه الحوادث ليست بنقص ولا كمال .

الخامس : أن يقال : إذا عُرض على العقل الصريح ذات يمكنها أن تتكلم بقدرتها وتفعل ما تشاء بنفسها (٣) ، وذات لا يمكنها أن / تتكلم بمشيئتها ولا تتصرف بنفسها ألبتة ؛ بل هى بمنزلة الزمن الذى لا يمكنه فعل يقوم به باختياره ، قضى العقل الصريح بأن هذه الذات أكمل ، وحيثذ فأنتم الذين (٤) وصفتم الرب بصفة النقص ، والكمال فى اتصافه (٥) بهذه الصفات ، لا فى نفى اتصافه بها .

السادس : أن يُقال : الحوادث التى يمتنع كون (٦) كل منها أزلياً ، ولا يمكن وجودها إلا شيئاً فشيئاً ، إذا قيل : [أيّما] (٧) أكمل : أن يقدر على

(١) ك : لا نسلم أن كل ما كان والمثبت من (ز) ، (ض) .

(٢) ك : نوات ، وهو تحريف .

(٣) ز : بنفسه ، وهو خطأ .

(٤) ك : الذى ، وهو تحريف .

(٥) ك : اتصالة ، وهو تحريف .

(٦) ك : يمتنع يكون ؛ ض : يمتنع أن يكون . والمثبت من (ز) .

(٧) أيّما : ساقطة من (ك) .

فعلها شيئاً فشيئاً أو لا يقدر على ذلك ؟ كان معلوماً ، بصريح العقل ، أن القادر على فعلها شيئاً فشيئاً أكمل ممن لا يقدر على ذلك . وأنتم تقولون : إن الرب لا يقدر على شيء من هذه الأمور ، وتقولون : إنه يقدر على أمور مביينة له . ومعلوم أن قدرة القادر على فعله المتصل به قبل قدرته على أمور مביينة له ، فإذا قلتم : لا يقدر على فعل متصل به ، لزم أن لا يقدر على المنفصل . فلزم على قولكم أن لا يقدر على شيء ، ولا أن يفعل شيئاً ، فلزم أن لا يكون خالقاً لشيء . وهذا لازم للنفاة لا محيد لهم عنه .

ولهذا قيل : الطريق التي سلكوها في حدوث العالم وإثبات الصانع يناقض حدوث العالم وإثبات الصانع ، ولا يصح القول بحدوث العالم وإثبات الصانع إلا بإبطالها لا بإثباتها ، فكأن ^(١) ما اعتمدوا عليه وجعلوه أصولاً للدين ودليلاً عليه ، هو في نفسه باطل شرعاً وعقلاً ، وهو مناقض للدين ومنافٍ له ، [كما أنه مناقض للعقل ومنافٍ له] ^(٢) .

ولهذا كان السلف والأئمة يعيرون كلامهم هذا ويذمونهم ، ويقولون : « من طلب العلم بالكلام تزندق » ^(٣) ، كما قال أبو يوسف ، ويروى عن مالك . ويقول الشافعي : « حكمت في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال » ^(٤) ، ويُطاف بهم في العشائر ^(٥) ، ويُقال : هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام » ^(٥) ،

(١) ك ، ض ، ز : فكان . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ك) ، (ض) ، وأثبتته من (ز) .

(٣) ز : العلم من الكلام ، وهو تحريف . وهذا النص ذكره الهروي في كتاب « ذم الكلام » ونقله عنه السيوطي في كتابه « صون المنطق والكلام » (تحقيق د . علي النشار ، د . سعاد عبد الرازق ، ط . ثانية ، القاهرة ، ١٩٧٠) ١/١٠٠ .

(٤ - ٤) : ساقط من (ز) .

(٥) ذكر هذا النص السيوطي ، صون المنطق ١/١٠٦ .

وقال الإمام (١) أحمد بن حنبل : « علماء الكلام زنادقة ، وما ارتدى (٢) أحد بالكلام فأفلح » (٣) .

وقد صدق الأئمة في ذلك ، فإنهم يبنون أمرهم على كلام مجمل يُروج على من لم يعرف حقيقته ، فإذا اعتقد أنه حق تبين (٤) أنه مناقض للكتاب والسنة ، فيبقى (٥) في قلبه مرض ونفاق ، وريب وشك ، بل طعن فيما جاء به الرسول .

وهذه هي الزندقة ، وهو كلام باطل من جهة العقل ، كما قال بعض السلف (٦) العلم بالكلام هو الجهل ، فهم يظنون أن معهم عقليات وإنما معهم جهليات : ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [سورة النور : ٣٩] ، هذا هو الجهل المركب ، [لأنهم] (٧) كانوا في شك وحيرة فهم في : ﴿ ظَلَمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ ﴾ [سورة النور : ٤٠] .

أين هؤلاء من نور القرآن والإيمان ؟ قال الله تعالى (٨) : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ

(١) الإمام : ساقطة من (ز) .

(٢) ك : وما ابتدأ ، والمثبت من (ز) ، (ض) .

(٣) ذكر ابن الجوزي نصاً قريباً من هذا النص في « تلييس إبليس » ص ٨٣ . وانظر ص ٨٢ -

٨٣ ؛ وانظر أيضاً : درء تعارض العقل والنقل ١/٢٣٢ ، ١٥٨/٧ ، ٢٤٣ - ٢٤٦ .

(٤) ض : وتبين .

(٥) ك : يبقی ؛ ض : بقی . والمثبت من (ز) .

(٦) ز : بعض العلماء .

(٧) لأنهم : ساقطة من (ك) .

(٨) ز : قال تعالى .

الرَّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ تَنُورُ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ [سورة النور : ٣٥] .

فإن قيل : أما كون الكلام والفعل يدخل في الصفات الاختيارية فظاهر ؛ فإنه يكون بمشيئة الرب وقدرته . وأما الإرادة والمحبة والرضا والغضب ففيه نظر ، فإن ^(١) نفس الإرادة هي المشيئة ، وهو سبحانه إذا خلق من يحبه - كالخليل - فإنه يحبه ، ويحب المؤمنين ويحبونه .

/ وكذلك إذا عمل الناس أعمالا يراها ^(٢) وهذا لازم لابد من ذلك ، فكيف يدخل في الاختيار ؟

ص ٧٨

قيل : كل ما كان بعد عدمه فإنما يكون بمشيئة الله وقدرته ، وهو سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فما شاءه ^(٣) وجب كونه ، وهو يجب بمشيئة ^(٤) الرب وقدرته ، وما لم يشأه امتنع كونه مع قدرته عليه . كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ [سورة السجدة : ١٣] ، ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٣] ، ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [سورة الأنعام : ١١٢] ^(٥) .

(١) ك : كأن ، وهو تحريف .

(٢) ك : رآها .

(٣) ض : فما شاء .

(٤) ك ، ض : وهو تحت مشيئة .

(٥) في (ز) اختلف ترتيب الآيات وفي آية سورة البقرة زيادة : من بعدهم من بعد ما جاءهم

فكون الشيء واجب الوقوع لكونه قد سبق به القضاء ، وعلم ^(١) أنه لا بد من كونه [لا] ^(٢) يتمتع أن يكون واقعاً بمشيئته وقدرته ، وإرادته - وإن كانت من لوازم ذاته كحياته وعلمه - فإن إرادته للمستقبلات ^(٣) هي مسبقة بإرادته للماضي : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة يس : ٨٢] ، وهو إنما أراد هذا الثاني بعد أن أراد قبله ما يقتضى إرادته ، فكان حصول الإرادة اللاحقة بالإرادة السابقة .

والناس قد اضطربوا في مسألة إرادة الله سبحانه وتعالى ^(٤) على أقوال متعددة ، ومنهم من نفاه . ورجَّح الرازي هذا في « مطالبه العالية » ^(٥) ، لكن - والله الحمد - نحن قد قررناها [وبينها] ^(٦) وبيننا فساد الشبه المانعة منها ، وأن ما جاء به الكتاب والسنة هو الحق المحض الذى تدل عليه المعقولات الصريحة ، وأن صريح العقول موافق لصحيح المنقول .

وكنا قد ^(٧) بيننا أولاً أنه يتمتع تعارض الأدلة القطعية ، فلا يجوز أن يتعارض دليان قطعيان ، سواء كانا عقليين أو سمعيين ، أو كان أحدهما عقلياً والآخر سمعياً . ثم بيننا بعد ذلك أنها متوافقة متناصرة متعاضدة ، فالعقل يدل على صحة

(١) ك ، ض : على .

(٢) لا : ساقطة من (ك) .

(٣) ز : المستقبلات .

(٤) ز : الله تعالى .

(٥) « المطالب العالية » هو آخر ما ألفه فخر الدين الرازي (انظر ترجمته فيما سبق ١٨١/١) ومنه عدة نسخ خطية في القاهرة واسانبول ، وانظر ما ذكره عنه : محمد صالح الزركان رحمه الله في كتابه « فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية ، دار الفكر ، ١٣٨٣/١٩٨٣ » ص ٩٤ - ٩٦ .

(٦) وبينها : زيادة في (ز) .

(٧) قد : ساقطة من (ز) .

السمع ، والسمع يبين صحة العقل ، وأن من سلك أحدهما أفضى به إلى الآخر ، وأن الذين يستحقون العذاب هم الذين لا يسمعون ولا يعقلون .

كما قال الله تعالى (١) : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [سورة الفرقان : ٤٤] .

وقال تعالى : ﴿ كَلَّمَا الْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۚ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۚ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [سورة الملك : ٨ - ١٠] .

وقال [تعالى] (٢) : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [سورة الحج : ٤٦] .

وقال تعالى : ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [سورة ق : ٣٧] .

فقد بين القرآن أن من كان يعقل ، أو كان يسمع ، فإنه يكون ناجياً وسعيداً ، ويكون مؤمناً بما جاءت به الرسل . وقد بسطت هذه الأمور في غير موضع ، والله أعلم .

(١) ز : كما قال تعالى .

(٢) تعالى : زيادة في (ز) .

فصل

وفحول النظر : كأبى عبد الله الرازى ، وأبى الحسن الأمدى وغيرهما ذكروا
 حجج النفاة لحلول الحوادث ^(١) ، وبينوا فسادها [كلها] ^(٢) فذكروا لهم أربع
 حجج :

إحداها ^(٣) : [الحجة] ^(٤) المشهورة ، وهو أنها لو قامت به لم يخل منها
 ومن أضدادها ، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث ، ومنعوا المقدمة الأولى .
 والمقدمة الثانية ذكر الرازى وغيره فسادها ، وقد بسط في غير هذه المواضع .
 والثانية : أنه لو كان قابلا لها في الأزل لكان القبول من لوازم ذاته ،
 فكان ^(٥) القبول يستدعى إمكان المقبول ، ووجود الحوادث في الأزل محال ،
 وهذه أبطلوها هم بالمعارضة بالقدرة : بأنه قادر على إحداث الحوادث ، والقدرة
 تستدعى إمكان المقدور ، ووجود المقدور - وهو الحوادث - في الأزل محال .
 وهذه الحجة / باطلة من وجوه :

أحداها : أن يُقال : وجود الحوادث [دائما] ^(٦) إما أن يكون ممكنا وإما
 أن يكون ممتنعا ^(٧) ، فإن كان ممكنا أمكن قبولها والقدرة عليها دائما ، وحينئذ فلا
 يكون وجود جنسها في الأزل ممتنعا ، بل يمكن أن يكون جنسها ^(٨) مقدورا

(١) ك : لحلول الاتحاد ، وهو خطأ .

(٢) كلها : ساقطة من (ك) .

(٣) ك ، ز : أحدها . والمثبت من (ض) .

(٤) الحجة : زيادة في (ض) .

(٥) ك : وكان .

(٦) دائما : زيادة في (ز) .

(٧) ك ، ض : إما أن يكون ممتنعا وإما أن يكون ممكنا ، والمثبت من (ز) .

(٨) ز : جنسا .

مقبولاً ، وإن كان ممتنعاً فقد امتنع وجود حوادث لا تتناهى ، وحينئذ فلا تكون في الأزل ممكنة : لا مقدورة ولا مقبولة . وحينئذ فلا يلزم ^(١) من امتناعها [في الأزل امتناعها] بعد ذلك ^(٢) ، فإن الحوادث موجودة ؛ فلا يجوز أن يُقال بدوام امتناعها ، وهذا تقسيم حاصر ^(٣) يبين فساد هذه الحجة .

الوجه الثاني

الوجه الثاني : أن يُقال : لا ريب أن الرب تعالى قادر ، فإما أن يُقال : إنه لم يزل قادراً ^(٤) ، وإما أن يُقال : بل صار قادراً بعد أن لم يكن . فإن قيل : لم يزل قادراً ، وهو الصواب . فيقال : إذا كان لم يزل قادراً ، فإن كان المقدور لم يزل ممكناً ، أمكن دوام وجود الممكنات ، فأمكن دوام وجود الحوادث ، وحينئذ فلا يمتنع كونه قابلاً لها في الأزل .

وإن ^(٥) قيل : بل كان الفعل ممتنعاً ثم صار ممكناً . قيل : هذا جمع بين النقيضين ، فإن القادر لا يكون قادراً على ممتنع ، فكيف يكون قادراً مع ^(٦) كون المقدور ممتنعاً ؟ ثم يُقال : بتقدير إمكان هذا [كما] ^(٧) قيل : هو قادر في الأزل على ما يمكن فيما لا يزال ، [قيل :] ^(٨) وكذلك في القبول ^(٩) ، يُقال : هو قابل في الأزل لما يمكن فيما لا يزال .

(١) ك : فلا يلزم ، وهو تحريف .

(٢) ك : فلا يلزم من امتناعها بعد ذلك ؛ ض : فلا يلزم امتناعها بعد ذلك . والمثبت من (ز) .

(٣) ك : حاصر ، وهو تحريف .

(٤) ك ، ض : لم يزل قادراً وهو الصواب . وجاءت عبارة « وهو الصواب » في (ز) بعد سطر .

وهو الصواب الذي أثبتته .

(٥) ك ، ض : فإن .

(٦) ك ، ض : على ، وهو خطأ . والمثبت من (ز) .

(٧) كما : ساقطة من (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

(٨) قيل : ساقطة من (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

(٩) ك ، ض : المقبول . والمثبت من (ز) .

الوجه الثالث : [أنه سبحانه] ^(١) إذا قيل : هو قابل لما في الأزل ^(٢) فإنما هو قابل لما هو قادر عليه يمكن وجوده ، فإن ما يكون ^(٣) ممتنعاً لا يدخل تحت القدرة ، فهذا ليس بقابل له .

الرابع : أن يُقال : هو قادر على حدوث ما هو مبين له من المخلوقات . ومعلوم أن قدرة القادر على فعله القائم به ^(٤) من قدرته على المبين له ، وإذا كان الفعل لا مانع منه إلا ما يمتنع ^(٥) مثله لوجود المقدور المبين ، ثم ثبت أن المقدور المبين هو ممكن وهو قادر عليه ، فالفعل أن ^(٥) يكون ممكناً مقدوراً ^(٥) .

الحجة الثالثة لهم : أنهم قالوا : لو قامت به الحوادث للزم تغيره ، والتغير على الله محال . وأبطلوا هم هذه الحجة - الرازي وغيره - بأن قالوا : ما تريدون بقولكم : لو قامت به [للزم] تغيره ^(٦) ، أتريدون بالتغير نفس قيامها به أم شيء آخر ؟ فإن أردتم الأول كان المقدم هو الثاني ، والملزوم هو اللازم ، وهذا لا فائدة فيه ، فإنه يكون تقدير الكلام : لو قامت به الحوادث لقامت به ^(٧) الحوادث . وهذا كلام لا يفيد .

وإن أردتم بالتغير معنى غير ^(٨) ذلك فهي ممنوع ، فلا نسلم أنها لو قامت به لزم تغير غير حلول الحوادث ^(٩) ، فهذا جوابهم .

(١) أنه سبحانه : ساقطة من (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

(٢) عبارة « لما في الأزل » : ساقطة من (ز) ومكانها فيها : « لها » .

(٣) ك ، ض : فأما ما .

(٤) ك ، ض : إلا ما يمتنع .

(٥) ز : بأن .

(٦) ك : لو قامت به تغيره ؛ ض : لو قامت به تغير . والمثبت من (ز) .

(٧) به : ساقطة من (ز) .

(٨) غير : ساقطة من (ز) .

(٩) ز : فلا نسلم بها لو قامت لزم تغيره غير حلول الحوادث .

المعنى الصحيح
للتغير

وإيضاح ذلك : أن لفظ « التغير » لفظ مجمل ، فالتغير في اللغة المعروفة ^(١) لا يُراد به مجرد كون المحل قامت به الحوادث ، فإن الناس لا يقولون للشمس والقمر والكواكب إذا تحركت : إنها قد ^(٢) تغيرت ، ولا يقولون للإنسان إذا تكلم ومشى أنه تغير ، ولا يقولون إذا طاف وصلّى وأمر ونهى وركب : إنه تغير ، إذا كان ذلك عادته ، بل إنما يقولون : « تغير » ، لمن استحال من صفة إلى صفة ، كالشمس [ما] ^(٣) زال نورها ظاهراً ، لا يقال : إنها تغيرت ، فإذا اصفرت ، قيل [قد] ^(٤) تغيرت .

وكذلك الإنسان إذا مرض أو تغير ^(٥) جسمه بجوع أو تعب ^(٦) ، قيل : قد تغير . وكذلك إذا تغير خلقه ودينه ، / مثل أن يكون فاجراً فيتوب ^(٧) ويصير ^(٨) براً ، أو يكون براً فينقلب فاجراً ، فإنه يقال : قد تغير . ومنه الحديث ^(٩) : رأيت وجه رسول الله ﷺ متغيراً ، [وهو] لما رأى به ^(١٠) أثر الجوع ، ولم يزل يراه يركع ويسجد ^(١١) ، فلم يسم حركته تغيراً .

ص ٧٩

(١) ك : المعروف .

(٢) قد : ساقطة من (ز) .

(٣) ما : ساقطة من (ك) ، وفي (ض) : إذا .

(٤) قد : ساقطة من (ك) ، (ض) .

(٥) ز : وتغير .

(٦) ز : أو بعث ، وهو تحريف .

(٧) ض : فينقلب .

(٨) ز : فيصير .

(٩) ك ، ض : وفي الحديث .

(١٠) ك ، ض : متغيراً لما رأى منه .

(١١) لم أعرف الحديث المقصود ، ولكن ذكر المنذرى في « الترغيب والترهيب » ١٥٢/٥ -

١٥٣ ط . مصطفى الحلبي ١٣٥٢/١٩٣٣) عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ فرأيت متغيراً . فقلت : بأى أنت وأمى مالى أراك متغيراً ؟ قال : ما دخل جوفى ما يدخل جوف ذات كبد منذ ثلاث ... الحديث . وقال المنذرى : « رواه الطبراني ، ولا يحضرني الآن إسناده ، إلا أن شيخنا الحافظ أبا الحسن رحمه الله كان يقول : إسناده جيد » .

وكذلك يقال فلان قد تغير على فلان : إذا صار يبغضه بعد المحبة ^(١) ، فأما إذا كان ثابتاً ^(٢) على مودته لم يسم هشتته إليه وخطابه له تغيراً ^(٣) ، وإذا جرى ^(٤) على عادته في أقواله وأفعاله فلا يقال إنه قد تغير .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [سورة الرعد : ١١] . ومعلوم أنهم إذا كانوا على عادتهم المحمودة : يقولون ويفعلون ما هو خير ، لم يكونوا قد غيروا ما بأنفسهم . فإذا انتقلوا عن ذلك فاستبدلوا بقصد الخير قصد الشر ، وباعتقادهم الحق ^(٥) اعتقاد الباطل ، قيل : قد غيروا ما بأنفسهم ، مثل من كان يحب الله ورسوله والدار الآخرة ، فتغير قلبه ، وصار لا يحب الله ورسوله والدار الآخرة ، فهذا قد غير ما في نفسه .

وإذا كان هذا معنى التغير ، فالرب تعالى لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال ، منعوتاً بنعوت الجلال والإكرام ، وكاله من لوازم ذاته ، فيمتنع أن يزول عنه شيء من صفات كماله ، ويمتنع أن يصير ناقصاً بعد كماله .

وهذا الأصل عليه [يدل] ^(٦) قول السلف وأهل السنة : إنه لم يزل متكلماً إذا شاء ، ولم يزل قادراً ، ولم يزل موصوفاً بصفات الكمال ، ولا يزال كذلك ، فلا يكون متغيراً .

وهذا معنى قول من يقول : « يا مَنْ يُغَيِّرُ وَلَا يَتَغَيَّرُ » فإنه يحيل صفات المخلوقات ويسلبها ما كانت متصفة [به] ^(٧) إذا شاء ، ويعطيها ^(٨) من صفات الكمال ما لم يكن لها ، وكاله من لوازم ذاته : لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال .

(١ - ١) : ساقط من (ز) .

(٢) ض : فإذا كان ثابتاً .

(٣) ز : وإما إذا جرى ...

(٤) ك ، ض : وباعتقاد الحق . والمثبت من (ز) .

(٥) يدل : ساقطة من (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

(٦) به : ساقطة من (ك) .

(٧) ك : ويعطيها . والمثبت من (ز) ، (ض) .

قال تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [سورة القصص . ٨٨] . وقال
تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [سورة
الرحمن : ٢٦ ، ٢٧] .

ولكن هؤلاء النفاة هم الذين يلزمهم أن يكون قد تغيّر ، فإنهم يقولون :
كان في الأزل لا يمكنه أن يقول شيئا ، ولا يتكلم بمشيئته وقدرته ، وكان
ذلك ^(١) ممتنعا عليه لا يتمكن منه ، ثم صار الفعل ممكنا يمكنه أن يفعل .

ولهم في الكلام قولان . فمن أثبت ^(٢) الكلام المعروف ، وقال : إنه
يتكلم بمشيئته وقدرته ، قال أيضا ^(٣) : إنه صار الكلام ممكنا له بعد أن كان
ممتنعا عليه .

ومن لم يصفه بالكلام المعروف ، بل قال : إنه يتكلم بلا مشيئته
وقدرته ^(٤) ، كما تقوله الكلائية ، فهؤلاء ^(٥) أثبتوا كلاما لا يعقل ولم يسبقهم
إليه أحد من المسلمين .

بل كان المسلمون قبلهم على قولين : فالسلف وأهل السنة يقولون : إنه
يتكلم بمشيئته وقدرته ، وكلامه غير مخلوق . والجهمية يقولون : إنه مخلوق
بقدرته ومشيئته . فقال هؤلاء : بل يتكلم بلا مشيئته وقدرته ، وكلامه شيء
واحد لازم لذاته ، وهو حرف - أو حروف ^(٦) - وأصوات أزلية لازمة
لذاته ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

(١) ز : ولا يتكلم بمشيئته فكان ذلك ...

(٢) ك ، ض : من يثبت . والمثبت من (ز) .

(٣) أيضا : ساقطة من (ض) .

(٤) ض : بلا مشيئة ولا قدرة .

(٥) ز : فهو . وهو تحريف .

(٦) ز : وهو حروف .

والمقصود أن هؤلاء كلهم الذين يمنعون أن [يكون] ^(١) الرب لم يزل يمكنه أن يفعل ما يشاء ^(٢) ، ويقولون : ذلك يستلزم وجود حوادث لا تتناهى ، وذلك محال ؛ فهؤلاء يقولون : صار الفعل ممكناً له بعد أن كان ممتنعاً عليه .

وحقيقة قولهم : إنه صار قادراً بعد أن لم يكن قادراً . وهذا حقيقة التغير ، مع أنه لم يحدث سبب يوجب كونه قادراً .

وإذا قالوا : هو في الأزل قادر على ما لا يزال .

قيل : هذا جمع بين النفي والإثبات ، فهو في الأزل كان قادراً ، فكان الفعل ممكناً له ^(٣) أو ممتنعاً عليه ؟

إن قلتم : ممكن له ، فقد جُوزتم دوام كونه فاعلاً ، وأنه قادر / على حوادث لا نهاية لها .

وإن قلتم : بل كان ممتنعاً . قيل ^(٤) : القدرة على الممتنع [ممتنع] ^(٥) ، فمع كون ^(٦) الفعل ممتنعاً غير ممكن ، لا يكون مقدوراً للقادر ، إنما المقدور هو الممكن لا الممتنع .

فإذا قلتم : أمكنه بعد ذلك . فقد قلتم : إنه أمكنه أن يفعل بعد أن كان لا يمكنه أن يفعل . وهذا صريح في أنه صار قادراً بعد أن لم يكن ، وهو صريح في التغير .

(١) يكون : ساقطة من (ك) ، (ض) . وأثبتها من (ز) .

(٢) ك ، ض : ما شاء . والمثبت من (ز) .

(٣) ز : وكان الفعل ممكناً له ؛ ض : أفكان القول ممكناً له .

(٤) ك : قبل . وهو تحريف .

(٥) ممتنع : ساقطة من (ك) ، (ض) . وأثبتها من (ز) .

(٦) ض : مع كون .

فهؤلاء النفاة الذين قالوا : إن المثبتة يلزمهم القول بأنه تغير ، قد بان بطلان قولهم ، وأنهم هم الذين قالوا بما يوجب ^(١) تغيره .

وإذا قال المنازع ^(٢) : أنا أريد بكونه تغير ^(٣) : أنه يتكلم ^(٤) بمشيئته وقدرته ، وأنه يحب من أطاعه ^(٥) ، ويفرح بتوبة التائب ، ويأتى يوم القيامة .

قيل : فهب أنك سميت هذا تغيراً ، فلم قلت : إن هذا ممتنع ؟

فهذا محل النزاع ، كما قال الرازى : « فالمقدم هو التالى » ^(٦) .

وقد ^(٧) ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن الله يوصف بالغيرة ، وهى مشتقة من التغير . فقال ﷺ فى الحديث الصحيح : « لا أحد أغير من الله أن يزنى عبده أو تزنى أمته » ^(٨) .

(١) ض : إنما يوجب ، وهو تحريف . والمثبت من (ك) ، (ز) .

(٢) سبق العبارات التى تبدأ بجملة : « وإذا قال المنازع » كلام فى نسخة (ك) - ونقلته نسخة (ض) - هو فى غير موضعه ، وقد استغرق ثلاثة أسطر . والذى أثبتته هو الذى فى نسخة (ز) وهو الصواب ، وسأشير إلى الكلام الذى جاء فى غير موضعه عندما نصل إليه إن شاء الله .

(٣) ض : تغير ، وهو تحريف .

(٤) ك ، ض : تكلم . والمثبت من (ز) .

(٥) ض (فقط) : وأنه يحب منا الطاعة .

(٦) ض (فقط) : هو الثانى ، وهو خطأ .

(٧) ض (فقط) : فقد .

(٨) الحديث عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فى : البخارى ٣٥/٧ (كتاب النكاح ، باب الغيرة) ولفظه فيه : « يا أمة محمد ما أحد أغير من الله أن يرى عبده أو أمته يزنى . يا أمة محمد لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » . وجاء الحديث عنها - مطولاً ، وأوله : خسفت الشمس فى عهد رسول الله الحديث . ومنه : فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله » ثم قال : « يا أمة محمد ، والله ما من أحد أغير الحديث . وهو - مع اختلاف يسير فى الألفاظ - فى البخارى ٣٤/٢ (كتاب الكسوف ، باب الصدقة فى الكسوف) ؛ مسلم ٦١٨/٢ (كتاب الكسوف ، باب صلاة الكسوف) ؛ سنن النسائى ١٠٨/٣ (كتاب الكسوف ، باب نوع آخر منه) من صلاة الكسوف) ؛ المسند (ط . الحلبى) ١٦٤/٦ .

وقال أيضا : « لا أحد أحب إليه المدح من الله ، من أجل ذلك مدح نفسه ، ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، من أجل ذلك بعث الرسل وأنزل الكتب ^(١) ، ولا أحد أغير من الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » ^(٢) .

[وفي الحديث الصحيح أيضا لما قال سعد بن عباد : لو رأيت لكاع - يعنى امرأة سعد ^(٣) - قد تفخّذها رجل لضربته بالسيف ^(٤) فقال ^(٥) : أتعجبون من غيرة سعد ، لأنا أغير منه ، والله أغير منى ^(٦) .

(١) ز : من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين . وهى من ألفاظ الحديث .
(٢) الحديث - مع اختلاف فى الألفاظ - عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فى : البخارى ٥٧/٦ (كتاب التفسير ، تفسير سورة الأنعام ، باب ولا تقربوا الفواحش) ، ٣٥/٧ (كتاب النكاح ، باب الغيرة) ، ١٢٠/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ويحذركم الله نفسه) ؛ مسلم ٢١١٣/٤ - ٢١١٤ (كتاب التوبة ، باب غيرة الله تعالى) ؛ سنن الترمذى ٢٠٠/٥ - ٢٠١ (كتاب الدعوات ، باب حدثنا محمد بن بشار) ؛ المسند (ط . المعارف) ٢١٩/٥ - ٢٢٠ ، ٥٦/٦ - ٥٧ ، ٥٩ ؛ سنن الدارمى ١٤٩/٢ (كتاب النكاح ، باب فى الغيرة) .

(٣) فى الأصل (ز) يوجد بياض بعد كلمة امرأة ، ويبدو أنه مكان كلمة محامها الناسخ . وفى « لسان العرب » : « والمرأة لكاع مثل قطام وقالوا فى النداء للرجل : يا لكع ، والمرأة : يا لكاع وفى حديث سعد بن معاذ : أريت إن دخل رجل بيتك فرأى لكاعا قد تفخّذ امرأته ، أيزهد فيحضر أربعة شهداء ؟ » .

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ك) ، (ض) ، وأثبتته من (ز) .

(٥) ك ، ض : وقال . والمثبت من (ز) .

(٦) جاء الحديث مطولا ومختصرا مع اختلاف فى الألفاظ عن المغيرة بن شعبه رضى الله عنه فى : البخارى ١٧٣/٨ (كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة ، باب من رأى مع امرأته رجلا فقتله) ، ١٢٤ - ١٢٣/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول النبى ﷺ : لا شخص أغير من الله) ؛ مسلم ١١٣٥/٢ - ١١٣٦ (كتاب اللعان ، الأحاديث ١٤ - ١٧) ؛ سنن الدارمى ١٤٩/٢ (كتاب النكاح ، باب فى الغيرة) .

الحجة الرابعة

١) **الحجة الرابعة :** قالوا : حلول الحوادث به ^{أفول} ، والخليل قد قال : ﴿ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٦] . والآفل هو المتحرك الذى تقوم به الحوادث ، فلا يكون إلها ^(١) .

الرد عليها

والجواب : أن قصة الخليل حجة عليهم لا لهم ، وهم المخالفون لإبراهيم ، ولنبينا ، ولغيرهما من الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام . وذلك أن الله تعالى قال : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام :

٧٦ - ٧٩] .

فقد أخبر الله فى كتابه أنه من حين بزغ الكوكب والقمر والشمس ، وإلى حين أفولها ، لم يقل الخليل : لا أحب البازغين ، ولا المتحركين ، ولا المتحولين ، ولا أحب من تقوم به الحركات ولا الحوادث . ولا قال شيئا مما يقوله النفاة ، حتى ^(٢) أفل الكوكب والشمس والقمر .

والأفول باتفاق أهل اللغة والتفسير ، هو المغيب ^(٣) والاحتجاب ، بل هذا معلوم بالاضطرار من لغة العرب التى نزل بها القرآن ، وهو المراد باتفاق العلماء .

(١ - ١) : هذه العبارات جاءت فى (ك) ، (ض) فى غير موضعها حيث أشرت إليها من قبل .
والذى أثبتته هنا هو الذى فى (ز) ، وهو الصواب .

(٢) ض (فقط) : حين .

(٣) ك ، ض : الغيب .

فلم يقل إبراهيم : لا أحب الآفلين ، حتى ^(١) أفل وغاب عن الأبصار ، فلم يبق مرثيا ولا مشهودا ، فحينئذ قال : لا أحب الآفلين . وهذا يقتضى أن كونه متحركا منتقلا تقوم به الحوادث ، بل كونه جسما متحركا تقوم به الحوادث ، لم يكن دليلا عند إبراهيم على نفى محبته .

فإن كان إبراهيم إنما استدل بالأفول على أنه ليس هو رب العالمين كما زعموا ، لزم من ذلك أن يكون ما تقدم الأفول ^(٢) من كونه متحركا منتقلا تحله الحوادث ، بل ومن كونه جسما متميزا ، لم يكن دليلا / عند إبراهيم على أنه ليس رب العالمين ، وحينئذ فيلزم أن تكون قصة إبراهيم حجة على نقيض مطلوبهم ، لا على نفس مطلوبهم ^(٣) . وهكذا نجد ^(٤) أهل البدع لا يكادون يحتجون بحجة سمعية ولا عقلية ، إلا وهى عند التأمل ^(٥) حجة عليهم لا لهم .

ولكن إبراهيم لم يقصد بقوله : (هذا ربي) أنه رب العالمين ، ولا كان أحد من قومه يقول ^(٦) : إنه رب العالمين ، حتى يرد ذلك عليهم ^(٧) ، بل كانوا مشركين مقرّين بالصانع ، وكانوا يتخذون الكواكب والشمس والقمر أربابا ، يدعونها ^(٨) من دون الله ، ويبنون لها الهياكل . وقد صنّفت ^(٩) فى مثل مذهبهم كتب ، مثل كتاب

(١) ض : حين .

(٢) ك : ما يقوم الأفول ؛ ض : ما يقوم به الأفول . والمثبت من (ز) .

(٣) ك ، ض : لا على تعيين مطلوبهم . والمثبت من (ز) .

(٤) نجد : ساقطة من (ض) .

(٥) ك : عند التأويل .

(٦) ك ، ض : يقولون .

(٧) ض : من تجويز ذلك عليهم ، وهو تحريف .

(٨) ز : يدعونهم .

(٩) ز : صنف .

« السر المكتوم ، في السحر ومخاطبة النجوم » ^(١) وغيره من الكتب .

ولهذا قال الخليل : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الشعراء ٧٥ - ٧٧] .

وقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [سورة المتحنة : ٤] .

ولهذا قال الخليل في تمام الكلام : ﴿ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجْهٌ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٨ ، ٧٩] . [فقلوه : (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين)] ^(٢) يبين ^(٣) أنه إنما يعبد الله وحده ، فله يوجه وجهه ، فإنه [إذا] توجه ^(٤) قصده إليه تبع ^(٥) قصده وجهه ، فالوجه موجه ^(٦) حيث توجه القلب ، فصار قلبه وقصده ووجهه متوجها إلى الله تعالى .

ولهذا قال : (وما أنا من المشركين) لم يذكر أنه أقر بوجود الصانع ، فإن هذا كان معلوماً عند قومه ، لم يكونوا ينازعونه في وجود فاطر السماوات والأرض ،

(١) ز : في مخاطبة النجوم . وقد ذكر هذا الكتاب ابن خلكان (وفیات الأعيان ٣/٣٨١) وابن حجر (لسان الميزان ٤/٤٢٦) والزركلي (الأعلام ٧/٢٠٣) . ومنه نسخ خطية عديدة . انظر ما ذكره بروكلمان في GAL : GI, 507, SI, 735, 920-924, S.III, 1085 . والأستاذ محمد صالح الزركان في كتابه « فخر الدين الرازي » ص ١٠٩ - ١١١ ، ط . دار الفكر ، بيروت ، ١٣٨٣/١٩٦٣ .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ك) ، (ض) ، وأثبتته من (ز) .

(٣) ك ، ض : بين .

(٤) ك ، ض : وجهه إذا توجه ؛ ز : فإنه أراد توجه . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٥) ض (فقط) : يتبع .

(٦) ك ، ض : توجه .

وإنما كان النزاع في عبادة غير الله واتخاذها رباً ، وكانوا يعبدون الكواكب السماوية ويتخذون لها أصناماً أرضية .

وهذا النوع الثاني من الشرك ، فإن الشرك في قوم نوح كان أصله من عبادة الصالحين أهل القبور ، ثم صوّروا تماثيلهم ، فكان شركهم بأهل الأرض ، إذ كان الشيطان إنما يضل الناس بحسب الإمكان ، فكان تزيينه ^(١) أولاً الشرك بالصالحين أيسر عليه .

ثم قوم إبراهيم انتقلوا إلى الشرك بالسماويات ، فالكواكب ^(٢) وضعوا لها الأصنام بحسب ما رأوه من طبائعها ، يصنعون لكل كوكب [بيتاً] وطعاماً ^(٣) وخاتماً ونحوها وأقوالاً ^(٤) تناسبه .

وهذا كان قد اشتهر على عهد إبراهيم إمام الحنفاء . ولهذا قال الخليل : ﴿ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۚ أَفُنْكَآ آِلَٰهَةً دُونِ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۖ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الصافات : ٨٥ - ٨٧] ^(٥) . وقال لهم : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۗ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الصافات : ٩٥ ، ٩٦] .

وقصة إبراهيم قد ذكرت في غير موضع من القرآن مع قومه : إنما فيها نهيم عن الشرك ، بخلاف قصة موسى مع فرعون ، فإنها ظاهرة في أن فرعون كان مظهراً لإنكار الخالق وجحوده .

(١) ض : ترتيبه . والكلمة غير منقوطة في (ز) وغير واضحة في (ك) . ولعل ما أثبتته هو الصواب .

(٢) ك ، ض : بالكواكب .

(٣) ك ، ض : لكل كوكب طعاماً . والمثبت من (ز) .

(٤) ض : وأموالاً .

(٥) جاءت الآية ٨٥ من سورة الصافات محرفة في (ك) .

وقد ذكر الله عن إبراهيم أنه حاجّ الذي حاجّه في ربه في قوله : ﴿ أَلَمْ تَرْ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٨] فهذا قد يقال : إنه كان جاحداً للصانع ، ومع هذا فالقصة ليست صريحة في ذلك ، بل يدعو الإنسان إلى عبادة نفسه ، وإن كان لا يصرح بإنكار الخالق ، مثل إنكار فرعون .

وبكل حال فقصده إبراهيم إلى أن تكون حجة عليهم أقرب منها إلى أن تكون حجة لهم ، وهذا بين ، والله الحمد ، بل ما ذكره الله عن إبراهيم يدل على أنه كان يثبت ما ينفونه عن الله ، فإن إبراهيم قال : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٩] والمراد أنه ^(١) يستجيب الدعاء ، كما يقول المصلي : سمع الله لمن حمده ، وإنما يسمع ^(٢) الدعاء ويستجيبه بعد / وجوده لا قبل وجوده .

ظ ٨٠

كما قال تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ [سورة المجادلة : ١] ، فهي تجادل وتشتكى حال سمع الله تحاورهما ^(٣) ، وهذا يدل على أن سمعه كرؤيته المذكورة في قوله : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٥] وقال : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة يونس : ١٤] فهذه رؤيه مستقلة ونظر مستقل . وقد تقدم أن المعدوم لا يرى ولا يسمع منفصلاً عن الرأى السامع باتفاق العقلاء ، فإذا وجدت الأقوال والأعمال سمعها ورآها ^(٤) .

(١) ك ، ض : والمراد به أنه ...

(٢) ك : يستمع .

(٣) ك : تجاورها ، وهو تحريف .

(٤) ز : الأعمال والأقوال رآها وسمعها .

والرؤية والسمع أمر وجودى لا بد له من موصوف يتصف به ، فإذا كان هو الذى رآها وسمعها ، امتنع أن يكون غيره هو المتصف بهذا السمع وهذا الرؤية ، وأن تكون قائمة بغيره ، فتعين قيام ^(١) هذا السمع وهذه الرؤية به ، بعد أن خلقت الأعمال والأقوال ، وهذا قطعى ^(٢) لا حيلة فيه .

وقد بُسط الكلام على هذه المسألة ، وما قاله ^(٣) فيها عامة الطوائف ، فى غير هذا الموضع ، وحُكيت ألفاظ الناس [وحججهم] ^(٤) بحيث يتقن الإنسان أن النافى ليس معه حجة لا سمعية ولا عقلية ، وأن الأدلة العقلية الصريحة موافقة لمذهب السلف وأهل الحديث ^(٥) ، وعلى ذلك يدل الكتاب والسنة ، مع الكتب المتقدمة : التوراة والإنجيل والزبور ، فقد اتفق عليها نصوص الأنبياء وأقوال السلف وأئمة العلماء ، ودلت عليها ^(٦) صرائح المعقولات .

فالمخالف فيها كالمخالف فى أمثالها ممن ليس معه حجة لا سمعية ولا عقلية ، بل هو شبيه بالذين قالوا : ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [سورة الملك : ١٠] . قال الله تعالى ^(٧) : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [سورة الحج : ٤٦] ^(٨) .

(١) ك : مقام ، وهو تحريف .

(٢) ك ، ض : مطعن .

(٣) ك ، ض : وما قال .

(٤) وحججهم : ساقطة من (ك) ، (ض) .

(٥) ز : لمذهب أهل الحديث والسلف .

(٦) ز : عليه .

(٧) ز : وقال تعالى .

(٨) فى (ك) ، (ض) ، (ز) حرفت الآية إلى أو لم يسيروا

ولكن هذه المسألة ومسألة الزيارة وغيرهما حدث من المتأخرين فيها شبه .
وأنا وغيرى كنا على مذهب الآباء في ذلك : نقول في الأصولين بقول أهل البدع ،
فلما تبين لنا ما جاء به الرسول دار الأمر بين أن نتبع ما أنزل الله ، أو نتبع ما وجدنا
عليه آباءنا ، فكان الواجب هو اتباع الرسول ، وأن لا نكون ممن قيل فيه : ﴿ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا ﴾ [سورة لقمان : ٢١] .
وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ أُولَئِكَ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءُكُمْ ﴾
[سورة الزخرف : ٢٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ
تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ
سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [سورة لقمان : ١٥] .

فالواجب اتباع الكتاب المنزل والنبي المرسل ، وسبيل من أناب إلى الله
فاتبع الكتاب والسنة ، كالمهاجرين والأنصار ، دون ما خالف ذلك من دين الآباء
وغير الآباء ، والله يهدينا وسائر إخواننا إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم
عليهم ^(١) من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

والله سبحانه أنزل القرآن ، وهدى به الخلق ، وأخرجهم به من الظلمات
إلى النور . وأم القرآن هي فاتحة الكتاب ، قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح :
« يقول الله : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين : نصفها لي ، ونصفها
لعبدي ، ولعبدي ما سأل . فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله :
حمدني عبدي . فإذا قال : الرحمن / الرحيم ، قال الله ^(٢) : أثني على عبدي . فإذا

ص ٨١

(١) ض (فقط) : أنعم الله عليهم .

(٢) ز : قال يقول الله .

قال : مالك يوم الدين . قال الله ^(١) : مجَّدني عبدي [وقال مرة : فَوُضَّ إلى عبدي] ^(٢) . فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين . قال الله ^(٣) : هذه ^(٤) بيني وبين عبدي ، ولعبدى ما سأل . فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . قال : هؤلاء ^(٥) لعبدى ولعبدى ما سأل ^(٦) .

فهذه السورة فيها لله الحمد في الدنيا ^(٧) والآخرة ، وفيها للعبد ^(٨) السؤال ، وفيها لله العباداة له وحده ^(٩) ، وللعبد ^(١٠) الاستعانة ، فحق الرب حمده وعبادته وحده ، وهذان ^(١١) : حمد الرب وتوحيده ، يدور عليهما جميع الدين .
ومسألة الصفات الاختيارية هي من تمام حمده ، فمن لم يقر بها لم يمكنه الإقرار بأن الله محمود ألبتة ، ولا أنه رب العالمين ، فإن الحمد ضد الذم ، والحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له ، والذم هو الإخبار بمساوئ المذموم مع البغض له .

(١) كلمة « الله » ليست في (ز) .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة في (ز) .

(٣) كلمة « الله » ليست في (ز) .

(٤) ز : هذا .

(٥) ز : هذا .

(٦) سبق الحديث في هذا الجزء (ص ٢٤ - ٢٥) .

(٧) ك ، ض : فيها لله الحمد فله الحمد في الدنيا والمثبت من (ز) .

(٨) ز : للعبدى ، وهو تحريف .

(٩) ك ، ض : وفيها العباداة لله وحده . والمثبت من (ز) .

(١٠) ز : للعبد .

(١١) ز : وهو أن ، وهو تحريف .

وجماع المساويء فعل الشر ، كما أن جماع المحاسن فعل الخير ، فإذا كان يفعل الخير بمشيئته وقدرته استحق الحمد ، فمن لم يكن له فعل اختياري يقوم به ، بل ولا يقدر على ذلك ، لا يكون خالقا ولا رباً للعالمين .

[والله تعالى يحمد نفسه بأفعاله ، لقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الفاتحة : ٢] ^(١) ، وقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [سورة الأنعام : ١] ، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ [سورة الكهف : ١] ونحو ذلك ، فإذا لم يكن له فعل يقوم به باختياره امتنع ذلك كله ، فإنه من المعلوم بصرح العقل أنه إذا خلق السموات والأرض فلا بد من فعل يصير به ^(٢) خالقا [لها] ^(٣) ، وإلا فلو استمر الأمر على حال واحدة ولم ^(٤) يحدث فعلا ، لكان الأمر على ما كان [عليه] ^(٥) قبل أن يخلق ، وحينئذ فلم يكن المخلوق موجوداً ، فكذلك يجب أن لا يكون المخلوق موجوداً ، إن كان الحال في المستقبل مثلما كان في الماضي ، لم يحدث من الرب فعل هو خلق السموات والأرض .

وقد قال تعالى : ﴿ مَا أَشْهَدُتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [سورة الكهف : ٥١] . ومعلوم أنهم قد شهدوا نفس المخلوق ، فدل على أن الخلق [الذي] ^(٦) لم يشهدوه ، وهو تكوينه لهما ^(٧) وإحداثه لهما ^(٨) غير المخلوق التالي ^(٩) .

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ك) ، (ض) ، وأثبتته من (ز) .

(٢) به : ساقطة من (ز) .

(٣) لها : زيادة في (ز) .

(٤) ك ، ض : ... واحدة لم ...

(٥) عليه : ساقطة من (ك) ، (ض) .

(٦) الذي : ساقطة من (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

(٧) ك ، ض : لها .

(٨) ك ، ض ، ز : لها . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٩) ك ، ض : الباقي .

وأيضاً فإنه قال : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [سورة الأعراف : ٥٤] ، فالخلق لها كان في ستة أيام ، وهي موجودة بعد الستة ^(١) ، فالذى اختص بالستة ^(٢) غير الموجود بعد الستة ^(٣) .

وكذلك [قال] ^(٤) : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة الفاتحة : ٣] فإن الرحمن الرحيم هو الذى يرحم العباد ^(٥) بمشيئته وقدرته ، فإن لم يكن له رحمة إلا نفس الإرادة ^(٦) القديمة ، أو صفة أخرى قديمة ، لم يكن موصوفاً بأنه يرحم من يشاء ويعذب من يشاء .

قال الخليل ^(٧) : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ [سورة العنكبوت : ٢٠ ، ٢١] ، فالرحمة ضد التعذيب ، والتعذيب فعله ، وهو يكون بمشيئته ، وكذلك ^(٨) الرحمة تكون بمشيئته ، كما قال : ﴿ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ . العلة القديمة اللازمة لذاته ، أو صفة أخرى كذلك ^(٩) ، ليست بمشيئته ، فلا بمشيئته .

وإن قيل ليس بمشيئته إلا المخلوقات المبينة ، لزم أن لا تكون [الرحمة] ^(١٠)

(١) ك ، ض : بعد المشيئة .

(٢) ك ، ض : بالمشيئة .

(٣) ك ، ض : المشيئة .

(٤) قال : ساقطة من (ك) ، (ض) .

(٥) ز : العياد ، وهو تحريف .

(٦) ك ، ض : إرادة ، وهو تحريف .

(٧) عبارة « قال الخليل » : ساقطة من (ز) .

(٨) ك ، ض : كذلك .

(٩) ض : لذاته .

(١٠) الرحمة : ساقطة من (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

صفة للرب بل تكون مخلوقة له ، وهو إنما يتصف بما يقوم به ، لا يتصف بالمخلوقات ، فلا يكون هو الرحمن الرحيم .

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش : إن رحمتي تغلب غضبي » وفي رواية : « تسبق غضبي » ^(١) ، وما كان سابقا لما يكون بعده لم يكن / إلا بمشيئة الرب وقدرته . ومن قال ما ثم رحمة إلا إرادة قديمة ، أو ما يشبهها ، امتنع أن يكون له غضب مسبق بها ، فإن الغضب إن فُسر بالإرادة فالإرادة لم تسبق نفسها ، وكذلك [إن] ^(٢) فُسر بصفة قديمة العين ، فالقديم لا يسبق بعضه بعضا ، وإن فسر بالمخلوقات لم يتصف برحمة ولا غضب .

ظ ٨١

وهو قد فُرق بين غضبه وعقابه بقوله : ﴿ فَجَزَّأُوهُمُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء : ٩٣] ، وقوله : ﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ ذَاتُ السَّوْءِ وَاللَّهُ غَضِبَ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [سورة الفتح : ٦] .

^(*) وفي الحديث الذي رواه [عبد الله بن عمرو بن العاص] ^(٣) عن النبي

(١) الحديث عن أنى هريرة رضى الله عنه في : البخارى ١٠٦/٤ (كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في قوله تعالى : وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده) ، ١٥٩/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : بل هو قرآن مجيد) ؛ مسلم ٢١٠٧/٤ - ٢١٠٨ (كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه) ؛ سنن الترمذى ٢٠٩/٥ - ٢١٠ (كتاب الدعوات ، باب ١٠٩) ؛ سنن ابن ماجه ١٤٣٥/٢ (كتاب الزهد ، باب ما يرجي من رحمة الله يوم القيامة) ؛ المسند (ط . المعارف) ٢٣/١٣ ، ٢٤٣ ، ٢٦٥ ، (ط . الحلبي) ٣١٣/٢ ، ٣٥٨ ، ٣٨١ .

(٢) إن : ساقطة من (ك) ، وأثبتها من (ز) ، (ض) .

(* - *) ما بين النجمتين ساقط من (ز) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ك) ومكانه بياض فيها ، وفي (ض) : رواه الإمام أحمد عن

النبي .. إلخ . ولعل الصواب ما أثبتته .

ﷺ أنه كان يقول : « أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون » * (١) .

ويدل على ذلك قوله : ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأُ يَرْحَمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَأُ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ [سورة الإسراء : ٥٤] فعَلَّقَ الرحمة بالمشيئة ، كما علق التعذيب [بالمشيئة] (٢) ، وما تعلق بالمشيئة مما يتصف به الرب فهو من الصفات الاختيارية .

وكذلك كونه مالكا ليوم الدين ، يوم (٣) يدين العباد بأعمالهم : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ [سورة الانفطار : ١٧ - ١٩] (٤) ، فإن الملك هو الذى يتصرف [بالأمر] يأمر فيطاع (٥) ، ولهذا إنما يقال : « ملك » لحى مطاع الأمر (٦) ، لا يقال فى الجمادات لصاحبها : « ملك » ، إنما يقال له : « مالك » . ويقال ليعسوب النحل : « ملك النحل » لأنه يأمر فيطاع ، والمالك القادر على التصرف فى المملوك .

(١) الحديث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (وهو عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما) فى : سنن أبى داود ١٧/٤ (كتاب الطب ، باب كيف الرقى) ؛ سنن الترمذى ٢٠٠/٥ (كتاب الدعوات ، باب ٩٦) وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب . وأول الحديث عنده : « إذا فزع أحدكم فى النوم فليقل : أعوذ بكلمات ... الحديث . وهو عنه أيضا فى المسند (ط . المعارف) ٢٢٢/١٠ - ٢٢٣ . والحديث - مع اختلاف يسير فى الألفاظ - عن الوليد بن الوليد رضى الله عنه فى المسند (ط . الحلى) ٥٥٧/٤ ، ٦/٦ . وعن يحيى بن سعيد عن خالد بن الوليد رضى الله عنه فى : الموطأ ٩٥٠/٢ (كتاب الشعر ، باب ما يؤمر به من التعوذ) .

(٢) بالمشيئة : ساقطة من (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

(٣) يوم : ساقطة من (ز) .

(٤) فى (ك) ، (ض) ، (ز) : يوم الدين وما أدراك ما يوم الدين يوم ... إلخ .

(٥) ك ، ض : يتصرف بأمر فيطاع . والمثبت من (ز) .

(٦) ك ، ز : لحى مطيع الأمر . والمثبت من (ض) .

وإذا كان الملك هو الأمر الناهي المطاع ، فإن كان يأمر وينهى بمشيئته كان أمره ونهيه من الصفات الاختيارية ، وبهذا أخبر القرآن . قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [سورة المائدة : ١] .

وإن كان لا يأمر وينهى بمشيئته ، بل أمره لازم له حاصل بغير مشيئته ولا قدرته ، لم يكن هذا مالكا أيضا ، بل هذا إلى أن يكون مملوكا [أقرب ^(١)] ، فإن الله تعالى خلق الإنسان ، وجعل له صفات تلزمه ، كاللون ^(٢) والطول والعرض والحياة ^(٣) ، ونحو ذلك ، مما يحصل ^(٤) لذاته بغير اختياره ، فكان ^(٥) باعتبار ذلك ^(٦) مملوكا مخلوقا للرب فقط ، وإنما يكون ملكا إذا كان يأمر وينهى ^(٧) باختياره فيقطاع ^(٨) ، وإن كان الله خالقا لفعله ولكل شيء .

ولكن المقصود أنه لا يكون ملكا إلا من ^(٩) يأمر وينهى بمشيئته وقدرته ^(١٠) ، [فمن نفى الصفات الاختيارية وقال : ليس للرب أمر ونهى يقوم به بمشيئته] ^(١١) بل من قال : إنه لازم له بغير مشيئته ، أو قال : إنه مخلوق له ، فكلاهما يلزمه أنه لا يكون ملكا .

(١) أقرب : ساقطة من (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

(٢) ز : كالقوى .

(٣) ض : والحياة .

(٤) ك : يجعل ، وهو تحريف .

(٥) ك ، ز : كان . والمثبت من (ض) .

(٦) ذلك : غير ظاهرة في (ز) .

(٧) وينهى : ساقطة من (ز) .

(٨) فيقطاع : غير واضحة في مصورة (ز) .

(٩) إلا من : مطموسة في (ز) .

(١٠) وقدرته : ساقطة من (ز) .

(١١) ما بين المعقوفين ساقط من (ك) ، (ض) وأثبتها من (ز) . وكلمة « أمر » طمست بعض

حروفها في مصورة (ز) .

وإذا لم يمكنه أن يتصرف بمشيئته لم يكن ملكا ^(١) أيضا ؛ فمن قال : إنه لا يقوم به فعل اختياري لم يكن عنده في الحقيقة مالكا لشيء . وإذا اعتبرت سائر القرآن وجدت أنه من لم يقر بالصفات الاختيارية ، لم يقم ^(٢) بحقيقة الإيمان ولا القرآن .

فهذا يبين أن الفاتحة وغيرها تدل على الصفات الاختيارية . وقوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة : ٥] فيه إخلاص العبادة لله والاستعانة به ، وأن المؤمنين لا يعبدون إلا الله ولا يستعينون إلا بالله ، فمن دعا غير الله من المخلوقين / أو ^(٣) استعان بهم ، من أهل القبور أو غيرهم ^(٤) ، لم يحقق قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، ولا يحقق ذلك إلا من فرق ^(٥) بين الزيارة الشرعية والزيارة البدعية ، فإن الزيارة الشرعية عبادة لله ، وطاعة لرسوله ، وتوحيد لله ، وإحسان إلى عباده ، وعمل صالح من الزائر يثاب عليه . والزيارة البدعية شرك بالخالق ، وظلم للمخلوقات ^(٦) ، وظلم النفس .

فصاحب الزيارة الشرعية هو الذى يحقق قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، ألا ترى أن اثنين لو شهدا جنازة ، فقام أحدهما يدعو للميت ، ويقول : اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ووسع ^(٧) مدخله ، واغسله بماء وتلج وبرد ، ونقه من الذنوب والخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من

(١) ك ، ض : مالكا .

(٢) ز : لم يقر .

(٣) أو : ساقط من (ز) .

(٤) ك ، ض : وغيرهم .

(٥) ك : ولا يحقق ذلك الأمر وفرق ... إلخ ، وهو تحريف .

(٦) ك ، ض : للمخلوق .

(٧) ك : وأوسع .

الدنس ، وأبدله داراً خيراً من داره ، [وجيرانا خيراً من جيرانه] ^(١) ، وأهلاً خيراً من أهله ، ^(٢) وأعذه من عذاب النار وعذاب القبر ، وافسح له في قبره ، ونور له فيه ^(٣) ، ونحو ذلك من الدعاء له ، وقام الآخر فقال : يا سيدى أشكو إليك ديونى وأعدائى وذنوبى ، وأنا ^(٤) مستغيث بك ، مستجير بك ، [أجرنى] ^(٥) ، أغثنى ، ونحو ذلك ، لكان الأول عابداً لله ، ومحسناً ^(٦) إلى خلقه ، محسناً إلى نفسه بعبادة الله ونفع ^(٧) عباده ، وهذا الثانى مشركاً [بالله] ^(٨) مؤذياً ظالماً معتدياً على [هذا] ^(٩) الميت ظالماً لنفسه .

فهذا بعض ما بين البدعية والشرعية من الفروق . والمقصود أن صاحب الزيارة الشرعية إذا قال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ كان صادقاً ، لأنه لم يعبد إلا الله ، ولم يستعن إلا به ، وأما صاحب الزيارة البدعية فإنه عبد غير الله واستعان بغيره .

فهذا بعض ما يبين أن الفاتحة - أم القرآن - اشتملت على بيان المسألتين المتنازِعَ فيهما : مسألة الصفات الاختيارية ، ومسألة الفرق بين الزيارة الشرعية والزيارة البدعية . والله تعالى هو المسئول أن يهدينا وسائر إخواننا إلى صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ك) ، (ض) ، وأثبتته من (ز) .

(٢ - ٣) : ساقط من (ز) .

(٣) ك ، ض : أنا .

(٤) أجرنى : زيادة في (ز) .

(٥) ز : محسناً .

(٦) ك ، ض : ونفعه .

(٧) بالله : ليست في (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

(٨) هذا : زيادة في (ز) .

ومما يوضح ذلك أن النبي ﷺ قال : « إذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله : حمدني عبدي ، فإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال أثني عليّ ^(١) عبدي ، فإذا قال ^(٢) : مالك يوم الدين ، قال الله : مجدني ^(٣) عبدي » فذكر الحمد والثناء والمجد ، [ثم ^(٤) بعد ذلك يقول : إياك نعبد وإياك نستعين إلى آخرها .

هذا في أول القراءة : في قيام الصلاة ، ثم في آخر القيام بعد الركوع يقول : « ربنا ولك الحمد ، ^(٥) ملء السماء وملء الأرض ، إلى قوله ^(٥) : أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد - وكلنا لك عبد - : لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجند منك الجد » ^(٦) .

وقوله : « أحق ما قال العبد » خبر مبتدأ محذوف : أى هذا الكلام أحق ما قال العبد ، فتبين أن حمد الله والثناء عليه [وتمجيده] ^(٧) أحق ما قاله العبد ، وفي ضمنه توحيده ، لأنه قال ^(٨) : « ولك الحمد » أى لك لا لغيرك . وقال في

(١) عليّ : ساقطة من (ز) .

(٢) قال : ساقطة من (ز) .

(٣) ز : قال مجدني ...

(٤) ثم : ساقطة من (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

(٥-٥) : ساقط من (ز) .

(٦) الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في : مسلم ٣٤٧/١ (كتاب الصلاة ، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع) ؛ سنن النسائي (بشرح السيوطي) ١٥٦/٢ (كتاب التطبيق ، باب ما يقوله في قيامه ذلك) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٨٧/٣ . والحديث بألفاظ مقاربة عن ابن عباس رضي الله عنهما في مسلم (في نفس الكتاب والباب السابقين) وعن شعبة بن الحكم في : مسلم ٣٤٣/١ (كتاب الصلاة ، باب اعتدال أركان الصلاة) . وانظر : الأذكار للنووي ، ص ٥٢ - ٥٣ (باب ما يقوله في رفع رأسه من الركوع وفي اعتداله) ؛ جامع الأصول لابن الأثير ٣٥/٥ - ٣٦ .

(٧) في (ز) : والثناء عليه ومجد . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٨) ك : لا قال ، وهو تحريف . وفي (ض) : إذا قال . والمثبت من (ز) .

آخره : « لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت » وهذا يقتضى انفراداً بالعطاء والمنع ، فلا يستعان إلا به ، ولا يطلب إلا منه . ثم قال : « ولا ينفع ذا الجد منك الجد » فبيّن أن الإنسان وإن أُعطي الملك والغنى والرياسة ، فهذا لا ينجيه منك ، إنما ينجيه الإيمان والتقوى . وهذا تحقيق قوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ^(١) ، وكان هذا الذكر ^(٢) آخر القيام مناسباً للذكر ^(٣) أول القيام .

وقوله : « أحق ما قال العبد » يقتضى أن يكون حمد الله أحق / الأقوال بأن يقوله العبد ، وما كان أحق الأقوال كان أفضلها وأوجبها على الإنسان .

ظ ٨٨

ولهذا افترض ^(٤) الله ^(٥) على عباده في كل صلاة أن يفتتحوها بقولهم : (الحمد لله رب العالمين) . وأمرهم أيضاً أن يفتتحوا كل خطبة بالحمد لله ، فأمرهم أن يكون [الحمد لله] ^(٦) مقدماً على كل كلام : سواء كان خطاباً للخالق أو خطاباً للمخلوق .

ولهذا يقدم النبي ﷺ الحمد أمام الشفاعة يوم القيامة ^(٧) . ولهذا أمرنا

(١) عبارة « إياك نستعين » : ليست في (ز) .

(٢) ك : فكان في هذا الذكر ؛ ض : فكان هذا الذكر .

(٣) ك ، ض : ... القيام لأنه ذكر ... ، وهو تحريف . والمثبت من (ز) .

(٤) ك : افترض ، وهو تحريف .

(٥) لفظ الجلالة ليس في (ز) .

(٦) عبارة « الحمد لله » : ساقطة من (ك) ، (ض) وأثبتها من (ز) .

(٧) ز : أمام شاعته (كذا) يوم القيامة . وفي حديث الشفاعة الذى ذكره البخارى في صحيحه

٨٤/٦ - ٨٥ (كتاب التفسير ، سورة بنى إسرائيل : باب ذرية من حملنا مع نوح) « فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فانطلق فأتى تحت العرش ، فأقع ساجداً لربى عز وجل ، ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحته على أحد قبلى ... الحديث . وجاء حديث الشفاعة في مواضع كثيرة في الصحيحين وغيرهما . وانظر ما ذكرته من قبل في هذا الجزء (ص ٢٥) .

بتقديم الثناء على الله في التشهد قبل الدعاء^(١). وقال النبي ﷺ : « كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه بالحمد لله فهو أجزم »^(٢).

وأول من يُدعى إلى الجنة الحمّادون الذين يحمّدون الله على السراء والضراء .

(١) انظر الأحاديث المختلفة التي جاءت فيما يقال في التشهد في : جامع الأصول لابن الأثير

٢٦٤/٦ - ٢٦٩ .

(٢) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ ، ولكن ذكر السيوطي في « الجامع الصغير » حديثاً عن أنى هريرة رضى الله عنه هو : « كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع » وذكر السيوطي أن الحديث قد أخرجه ابن ماجه والبيهقي في السنن (هـ ، هـ) . وأورد الألباني الحديث في « ضعيف الجامع الصغير وزيادته » ١٤٧/٤ . وقال : « ضعيف » . كما أورد الألباني حديثاً آخر أخرجه السيوطي عن أنى هريرة وهو : « كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه بحمد الله ، والصلاة على فهو أقطع أتر محموق من كل بركة » وقال السيوطي : (الرهاوى عن أنى هريرة) . وقال الألباني (المرجع السابق ١٤٨/٤) : « ضعيف » . وذكر السيوطي هذا الحديث الأخير في « الجامع الكبير » ٦٢٣/١ وقال : « الدليمي والحافظ عبد القادر بن عبد الله الرهاوى في الأربعين عن أنى هريرة . وقال الرهاوى : غريب تفرد بذكر الصلاة فيه إسماعيل بن أنى زياد الشامي وهو ضعيف جدا لا يعتد بروايته ولا بزيادته » وذكر السيوطي في « الجامع الكبير » ٦٢٣/١ حديثاً ثالثاً هو : « كل كلام لا يُبدأ فيه بحمد الله فهو أجزم » وقال : « هـ (ابن ماجه) ن (النسائي) والعسكري في الأمثال عن أنى هريرة » . على أن السيوطي ذكر نفس الحديث في الجامع الصغير ٩٤/٢ (ط . مصطفى الحلبي ، ١٩٣٩/١٣٥٨) وقال عنه : « أبو داود » عن أنى هريرة صح (صحيح) . وذكر هذا الحديث الألباني في « ضعيف الجامع الصغير وزيادته » ١٥٣/٤ وقال : « ضعيف » . وجاءت كلمة « أجزم » في « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » في أحاديث أخرى ، ولم يذكر « المعجم » الحديث الذي أورده ابن تيمية ولكن أشار إلى حديث آخر صحيح عن أنى هريرة رضى الله عنه هو : « كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء » وأخرج الحديث أبو داود والترمذي والإمام أحمد في مسنده وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير ١٧٢/٤) . وقال النووي في « الأذكار » (ط . مصطفى الحلبي ، ١٩٥٢/١٣٧١) ص ٢٤٩ : « رويناه في سنن أبي داود وابن ماجه وغيرهما عن أنى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « كل كلام » وفي بعض الروايات « كل أمر لا يُبدأ فيه بالحمد لله فهو أجزم » وروى « أقطع » وهما بمعنى . هذا حديث حسن . وأجزم : بالجيم والذال المعجمة ، ومعناه : قليل البركة » .

وانظر ما سبق : جامع الرسائل ١٠٨/١ .

وقوله : ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ : جعله ثناءً . وقوله : ﴿مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ : جعله تمجيذا . وقوله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ^(١) حمدٌ مطلق ، فإن الحمد اسم جنس له كمية ^(٢) وكيفية ، فالثناء تثنيته ^(٣) وتكبيره تعظيم كميته [المنفصلة] ^(٤) ، والمجد هو السعة والعلو ، فهو تعظيم ^(٥) كيفيته ^(٦) وقدرة وكميته المتصلة .

وذلك أن هذا وصف له بالملك ، والملك يتضمن القدرة وفعل ما يشاء . والرحمن الرحيم : وصف بالرحمة المتضمنة لإحسانه إلى العباد بمشيئته وقدرته أيضا ، والخير يحصل بالقدرة والإرادة التي ^(٧) تتضمن الرحمة ، فإذا كان قديرا مريداً للإحسان حصل كل خير ، وإنما يقع النقص لعدم القدرة ، أو لعدم إرادة الخير ، فالرحمن الرحيم الملك قد اتصف بغاية إرادة الاحسان وغاية القدرة ، وذلك يحصل به [كل خير] ^(٨) خير الدنيا والآخرة .

وقوله : ﴿مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ مع أنه ملك الدنيا ، لأن يوم الدين لا يدعى أحدٌ فيه منازعة ، وهو اليوم الأعظم ، فما ^(٩) الدنيا في الآخرة إلا كما يضع أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ^(١٠) .

(١) كلمة « الله » ليست في (ز) .

(٢) ك ، ض : اسم جنس والجنس له كمية ...

(٣) ض : كميته . والكلمة في (ك) غير واضحة .

(٤) ك ، ض : وتكبيره وتعظيمه كيفيته . والمثبت من (ز) .

(٥) ك ، ض : تعظيم . والمثبت من (ز) .

(٦) ك : كيفيته .

(٧) ز : أى .

(٨) عبارة « كل خير » : ساقطة من (ك) ، (ض) ، وأثبتها من (ز) .

(٩) ك : كما ، وهو تحريف .

(١٠) ك : ترجع .

و « الدين » عاقبة أفعال العباد ، وقد يدل بطريق التنبيه - أو بطريق (١) العموم عند بعضهم - على ملك الدنيا ، فيكون له الملك وله الحمد ، كما قال تعالى : ﴿ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة التغابن : ١] ، وذلك يقتضى أنه قادر على أن يرحم ، ورحمته وإحسانه وصف له يحصل بمشيئته ، وهو من الصفات الاختيارية .

وفي الصحيح أن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها ، كما يعلمهم السورة من القرآن ، يقول : « إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إني استخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم (٢) ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب (٣) ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويسميه باسمه - خير لى فى دينى ودنياى (٤) ومعاشى وعاقبة أمرى ، فاقدره لى ويسره لى ، ثم بارك لى فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر (٤) شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ، فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان » (٥) .

فسأله بعلمه وقدرته ومن فضله ، وفضله يحصل برحمته . وهذه الصفات هى جماع صفات الكمال ، لكن العلم له عموم التعلق : يتعلق بالخالق والمخلوق ،

(١) ك ، ض : وبطريق .

(٢ - ٣) : ساقط من (ز) .

(٣) ودنياى : ليست فى (ز) .

(٤) ز : وإن كنت تعلم أنه

(٥) الحديث عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه فى : البخارى ٥٦/٢ (كتاب التهجد ، باب ما جاء فى التطوع) ، ٨١/٨ (كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الاستخارة) ، ١١٨/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : قل هو القادر) ؛ سنن أبى داود ٨٩/٢ ، ٩٠ (كتاب الوتر ، باب فى الاستخارة) ؛ سنن الترمذى ٢٩٨/١ - ٢٩٩ (كتاب الوتر ، باب ما جاء فى صلاة الاستخارة) ؛ سنن النسائى ٦٦/٦٠ (كتاب النكاح ، باب كيف الاستخارة) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٣٤٤/٣ .

والموجود والمعدوم . وأما القدرة فإنما تتعلق [بالممكن ، والإرادة إنما تتعلق بالموجود المخلوق ، والرحمة أخص منها فإنما تتعلق] ^(١) بالمخلوق ، وكذلك الملك إنما يكون ملكا على المخلوقات .

فالفاتحة اشتملت على الكمال في الإرادة ، وهو : الرحمة ، وعلى الكمال في القدرة ، وهو : مالك يوم الدين . وهذا وهذا إنما يتم بالصفات الاختيارية ، كما تقدم . والله سبحانه وتعالى أعلم ^(٢) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ك) ، (ض) . وأثبتته من (ز) .

(٢) ز : والله أعلم . وبعد هذه العبارة (ز) : والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم . وفي (ك) بعد كلمة « أعلم » : آخر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه .

الرسالة الثانية
شرح كلمات من "فنوح الغيب"

/ (*) هذا كتاب يشتمل على شرح كلمات رويت عن الشيخ الإمام العالم ، ص ١
الناسك الزاهد ، عبد القادر الكيلاني رحمه الله تعالى ، في كتابه المعروف « بفتوح
الغيب » وشرحها شيخ الإسلام ، ومفتي الشام ، الإمام العالم العامل ، الزاهد
الورع ، تقى الدين أبو العباس أحمد ، بن عبد الحليم ، بن عبد السلام ، بن تيمية
الحرّاني ، نفع الله به ، وأثابه الجنة ، وغفر له ولجميع المسلمين ، آمين ، ومتّعه الله
بالثناء الجميل ، والعطاء الجزيل .

/ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ .

ظ ١

قال شيخنا الإمام العلامة شيخ الإسلام ، أبو العباس أحمد ، بن
عبد الحليم ، بن عبد السلام ، العالم الربّاني ، والعامل النوراني بن تيمية الحرّاني ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ (*) .

الحمدُ لله [نحمده] ونستعينه [ونستهديه] (١) ونستغفره ، ونعوذ بالله من
شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده (٢) الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا

(*) - « ما بين النجمتين في (ز) = (مخطوطة لبيزيج) فقط ، ومكان هذا الكلام في (ض) =
مجموع فتاوى الرياض ، المطبوع بالرياض (١٠ / ٤٥٥ - ٥٤٩) : « قال شيخ الإسلام ، علامة الزمان ،
أبو العباس أحمد بن تيمية ، قدس الله روحه ، ونور ضريحه » .

(١) في الأصل (ز) : الحمد لله نستعينه . والمثبت من (ض) .

(٢) ض : من يهد .

هادى له . ونشهد ^(١) أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له] ^(٢) ونشهد ^(٣) أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً ^(٤) .

قال الجيلاني : لا بد
لكل مؤمن من أمر
يمثله ونهى يجتنبه
وقدر يرضى به

[فصل] ^(٥)

قال الشيخ أبو محمد عبد القادر [الكيلاني] ^(٦) في كتاب « فتوح الغيب » ^(٧) : « لا بُدَّ لكل مؤمن في سائر أحواله من ثلاثة أشياء : أمرٌ يمثله ، ونهى يجتنبه ، وقدر يرضى به . فأقل حالة لا يخلو المؤمن فيها من أحد هذه الأشياء ^(٨) الثلاثة ، فينبغي له أن يلزم همها ^(٩) قلبه ، وليحدث ^(١٠) بها نفسه ، ويأخذ بها الجوارح ^(١١) في سائر ^(١٢) أحواله » .

(١) ض : وأشهد .

(٢) وحده لا شريك له : زيادة في (م) = مجموع ٦٩ ظاهرة (مسودات ابن تيمية) ، ص ٢٧٧ - ص ٢٨٤ .

(٣) ض : وأشهد .

(٤) ض : ﷺ تسليماً كثيراً ؛ م = ﷺ .

(٥) فصل : زيادة في (ك) = مخطوطة الكواكب الدراري بدار الكتب المصرية تفسير ٦٤٥ المجلد الخامس والثمانين ص ٥٥ - ظ ٧٠ .

(٦) الكيلاني : زيادة في (ك) .

(٧) ص ٧ (الهامش) ، ط . مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٣٠ ، على هامش كتاب « بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في بعض مناقب ... عبد القادر الجيلاني » تأليف علي بن يوسف بن جرير اللخمي الشطنوفي .

(٨) الأشياء : ساقطة من (ك) .

(٩) ض : بها .

(١٠) م ، ض : ويحدث .

(١١) فتوح الغيب : ويأخذ بها الجوارح .

(١٢) م ، ض : في كل .

قلت^(١) : هذا كلام شريف جامع ، يحتاج إليه كل أحد ، وهو تفصيل لما
يحتاج إليه العبد ، وهي مطابقة لقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة يوسف : ٩٠] . ولقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا
وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾ [سورة آل عمران : ١٢٠] . ولقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ
تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٦] .

^(٢) فإن التقوى تتضمن فعل المأمور وترك المحذور . والصبر يتضمن الصبر
على المقدور . فالثلاثة ترجع إلى هذين الأصلين^(٢) ، والثلاثة في الحقيقة ترجع إلى
امتثال الأمر ، وهو طاعة الله ورسوله .

فحقيقة الأمر أن كل عبد فإنه محتاج في كل وقت إلى طاعة الله ورسوله ،
وهو أن يفعل في ذلك الوقت ما أمر به في ذلك الوقت .

وطاعة الله ورسوله هي عبادة الله التي خلق لها الجن والإنس . كما قال
تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات : ٥٦] ، وقال
تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [سورة الحجر : ٩٩] ، وقال تعالى ^(٣) :
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٢١] ^(٤) .

والرسل كلهم أمروا قومهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً . وقال ^(٥)

(١) ك : قال شيخ الإسلام ، مفتى الأنام ، بحر العلوم ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن
عبد السلام بن تيمية قلت ...

(٢ - ٢) هذه العبارات في هامش (م) وهي غير واضحة .

(٣) تعالى : ليست في (ك) .

(٤) ك : الذي خلقكم .. الآية .

(٥) ك : فقال .

تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [سورة النحل : ٣٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَاسْتَلْ مِنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [سورة الزخرف : ٤٥] .

ظ ٢

وإنما كانت الثلاثة ترجع إلى امتثال الأمر ، لأنه في الوقت الذى يؤمر فيه بفعل [أمور] من الفرائض ^(١) : كالصلوات الخمس والحج ونحو ذلك ، ^(٢) يحتاج إلى فعل ذلك المأمور .

الثلاثة ترجع إلى

امتثال الأمر

وفي الوقت الذى تحدث ^(٣) أسباب المعصية ^(٢) ، يحتاج إلى الامتناع والكراهة والإمساك عن ذلك ، وهذا فعل لما أمر به في هذا الوقت ، وأما من لم تخطر له المعصية ببال ، فهذا لم يفعل شيئا يؤجر عليه ، ولكن عدم ذنبه مستلزم لسلامته من عقوبة الذنب . والعدم المحض المستمر لا يؤمر به ، وإنما يؤمر بأمر يقدر عليه العبد ، وذاك لا يكون إلا حادثا : سواء كان إحداث إيجاد أمر ، أو إعدام أمر .

وأما القدر الذى يرضى به ، فإنه إذا ابتلى بالمرض أو الفقر أو الخوف ، فهو مأمور بالصبر أمر إيجاب ، ومأمور بالرضا : إما أمر إيجاب ، وإما أمر استحباب ، وللعلماء من أصحابنا وغيرهم في ذلك قولان . ونفس الصبر والرضا بالمصائب هو طاعة لله ورسوله ، فهو من امتثال الأمر ، / ^(٤) وهو عبادة لله .

ص ٣

لكن هذه الثلاثة وإن دخلت في امتثال الأمر ^(٤) عند الإطلاق ، فعند

(١) ز ، ك : بفعل من الفرائض . وأضاف ناشرا (ض) كلمة شيء هكذا : بفعل [شيء] من

الفرائض . والذى أثبتته من (م) .

(٢ - ٢) ساقط من (ك) .

(٣) ز : يحدث .

(٤ - ٤) : ساقط من (ك) .

التفصيل والاقتران إما أن تخص بالذكر ، وإما أن يُقال : يُراد بهذا ما لا يراد بهذا .
كما في قوله : ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [سورة هود : ١٢٣] ، وقوله : ﴿فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ
الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [سورة طه : ١٤] ، فإن هذا داخل في العبادة إذا أطلق اسم
العبادة ، وعند الاقتران إما أن يُقال : ذَكِّرَ ^(١) عموماً وخصوصاً ، وإما أن يُقال :
ذِكْرُهُ خصوصاً يغني عن دخوله في العام .

ومثل هذا قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة : ٥] ،
وقوله ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا . وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [سورة
الزمر : ٨ - ١٠] ، وقد يُقال : لفظ « التبتل » ^(٢) لا يتناول هذه الأمور المعطوفة كما
يتناولها لفظ العبادة والطاعة .

وبالجملة فرق بين ما يُؤمر به الإنسان ابتداءً ، وبين ما يُؤمر به عند حاجته
إلى جلب المنفعة ودفع المضرة ، أو عند حب الشيء وبغضه .

وكلام الشيخ - ^(٣) قدس الله روحه - يدور ^(٣) على هذا القطب ، وهو أن
يفعل المأمور ، ويترك / المحذور ، ويخلو فيما سواهما عن إرادة ^(٤) ، لئلا يكون له
[هو] ^(٥) مراد غير فعل ما أمره به ربه ^(٦) ، وما لم يُؤمر به العبد ، بل فعله الرب

(١) ض (فقط) : ذكره .

(٢) ض (فقط) : التبتل .

(٣ - ٣) : هذه الكلمات مطبوعة في مصورة (م) .

(٤) ك (فقط) : إرادته .

(٥) هو : زيادة في (م) .

(٦) ك ، ض : ما أمر الله به . والمثبت من (ز) ، (م) .

عز وجل ^(١) بلا واسطة العبد ، أو فعله بالعبد بلا هوًى من العبد . فهذا هو القدر الذى عليه أن يرضى به .

وسياتى من كلام الشيخ ما يبين مراده ، وأن العبد فى كل حال عليه أن يفعل ما أمر به ويترك ما نهى عنه . وأما إذا لم يكن هو أمراً للعبد ^(٢) بشئ من ذلك ، فما فعله الرب كان علينا التسليم فيما فعله ، ^(٣) وهذه هى الحقيقة فى كلام الشيخ وأمثاله .

وتفصيل الحقيقة الشرعية فى هذا المقام أن هذا ^(٤) نوعان : أحدهما : أن يكون العبد مأموراً فيما فعله الرب : إما بحب له وإعانة عليه ^(٥) ، وإما بيبغض له ودفع له . والثانى : أن لا يكون العبد مأموراً بواحد منهما .

فالأول مثل البر والتقوى الذى يفعله غيره ، فهو مأمور بحبه وإعانتته عليه ، كإعانة المجاهدين فى سبيل الله على الجهاد ^(٦) ، وإعانة سائر الفاعلين للحسنات على حسناتهم بحسب الإمكان ، ومحبة ذلك والرضا به . وكذلك هو مأمور عند مصيبة الغير إما بنصر ^(٧) مظلوم ، وإما بتعزية مصاب ، وإما بإغناء فقير ، ونحو ذلك .

وأما ما هو مأمور بيبغضه ودفعه ، فمثل ما إذا ظهر الكفر والفسوق والعصيان ، فهو مأمور بيبغض ذلك ودفعه وإنكاره بحسب الإمكان . كما قال

(١) ك ، ض : تعالى . والكلمة غير واضحة فى (م) .

(٢) ض (فقط) : وأما إذا لم يكن هو أمر العبد ...

(٣) - « ما بين النجمتين غير ظاهر فى هامش مصورة (م) .

(٤) ز : له .

(٥) لفظ الجهاد غير ظاهر فى مصورة (م) .

(٦) ز : بنصرة .

النبي ﷺ في الحديث الصحيح : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » (١) .

وأما ما لا يؤمر العبد فيه بواحد منهما ، فمثل ما يظهر له من فعل الإنسان حكم المباحات وأنواعها للمباحات التي لم يتبين له أنه يُستعان بها على طاعة ولا معصية ، فهذه لا يؤمر بحبها ولا يبغضها ، وذلك مباحات نفسه المحضة التي لم يقصد الاستعانة بها على طاعة ولا معصية ، مع أن هذا نقص منه ؛ فإن الذي ينبغي أنه لا يفعل من المباحات إلا ما يستعين به على الطاعة ، ويقصد الاستعانة بها على الطاعة ، فهذا سبيل المقرئين السابقين ، الذين تقربوا (٢) إلى / الله بالنوافل بعد الفرائض ، ولم يزل أحدهم يتقرب إليه بذلك حتى أحبه ، فكان سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها .

ظ ٤

[وأما من فعل المباحات] (٣) مع الغفلة ، أو فعل فضول المباح التي لا يُستعان بها على طاعة ، مع أداء الفرائض واجتناب المحارم ، باطنا وظاهراً ، فهذا من المقتصددين أصحاب اليمين .

وبالجملة الأفعال التي يمكن دخولها تحت الأمر والنهي ، لا تكون مستوية من كل وجه ، بل إن فعلت على الوجه المحبوب كان وجودها خيراً للعبد ،

(١) الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في : مسلم ٦٩/١ (كتاب الإيمان ، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان) ؛ سنن أبي داود ٤٠٦/١ (كتاب الصلاة ، باب خطبة يوم العيد) ، ١٧٣/٤ - ١٧٤ (كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي) ؛ سنن الترمذي ٣١٧/٣ - ٣١٨ (كتاب الفتن ، باب ما جاء في تغيير المنكر ...) ؛ سنن ابن ماجه ٤٠٦/١ (كتاب إقامة الصلاة ، باب ما جاء في صلاة العيدين) ، ١٣٣٠/٢ (كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٣٠/٣ .

(٢) ك : يتقربون .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ز) فقط .

وإلا كان تركها خيراً له ^(١) وإن لم يعاقب عليها ، ففضول المباح التى لا تعين على الطاعة ، عدمها خير من وجودها ، إذا كان مع عدمها يشتغل بطاعة الله ، فإنها تكون شاغلة له عن ذلك . وأما إذا قُدِّرَ أنها تشغله عمّا هو دونها ، فهي خير له مما دونها ، وإن شغلته عن معصية الله كانت رحمة في حقه ، وإن كان اشتغاله بطاعة الله خيراً له من هذا وهذا .

وكذلك أفعال الغفلة والشهوة التى يمكن الاستعانة بها على الطاعة ، كالنوم / الذى يُقصد به الاستعانة على العبادة ، والأكل والشرب واللباس والنكاح الذى يمكن الاستعانة به على العبادة ، إذا لم يُقصد به ذلك كان نقصاً من العبد ، وفوات حسنةٍ وخيرٍ يحبه الله . ص ٥

ففى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال لسعد : « إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله ، إلا ازددت بها درجة ورفعة ، حتى اللقمة فى فم امرأتك » ^(٢) . وقال فى الحديث ^(٣) الصحيح : « نفقة المسلم على أهله يحتسبها صدقة » ^(٤) .

(١) له : ساقطة من (ك) .

(٢) الحديث - مع اختلاف فى بعض الألفاظ - عن سعد بن أنى وقاص رضى الله عنه فى : البخارى ١٦/١ - ١٧ (كتاب الإيمان ، باب ما جاء أن الأعمال بالنية) ؛ مسلم ١٢٥٠/٣ - ١٢٥١ (كتاب الوصية ، باب الوصية بالثلث) ؛ سنن أبى داود ٥٣/٣ (كتاب الوصايا ، باب ما جاء فيما يؤمر به من الوصية) ؛ المسند (ط . المعارف) ٦٣/٣ - ٦٤ ، ٧٣ - ٧٤ .

(٣) الحديث : ساقطة من (ض) .

(٤) الحديث - مع اختلاف فى اللفظ - عن أبى مسعود عقبة بن عامر الأنصارى رضى الله عنه فى : البخارى ١٦/١ (كتاب الإيمان ، باب ما جاء أن الأعمال بالنية ..) ، ٨٣/٥ (كتاب المغازى ، باب حدثنى خليفة ...) ؛ سنن الترمذى ٢٣٢/٣ (كتاب البر ، باب ما جاء فى النفقة على الأهل) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٢٧٣/٥ .

فما لا يُحتاج ^(١) إليه من المباحات ، أو يُحتاج إليه ولم يصحبه إيمان يجعله حسنة ، فعدمه خير من وجوده ، إذا كان مع عدمه يشتغل بما هو خير منه . وقد قال النبي ﷺ : « في بضع أحدكم صدقة . قالوا : يا رسول الله : أيأتي أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في الحرام أما كان عليه وزر ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له بها أجر . ^(٢) : فلم تعتدون بالحرام ولا تعتدون بالحلال ^(٣) ؟ » .

وذلك أن المؤمن عند شهوة النكاح يقصد أن يعدل عمّا حرّمه الله إلى ما أباحه / الله ^(٤) ، ويقصد فعل المباح معتقداً أن الله أباحه ، والله يحب أن يؤخذ ^(٥) برخصه كما يكره أن تؤتى معصيته ، كما روى ذلك الإمام ^(٦) أحمد في المسند ورواه غيره ^(٧) ، ولهذا أحب القصر والفطر [في السفر] ^(٨) ، فعُدول المؤمن عن

(١) ك : فما يحتاج ، وهو تحريف .

(٢) هذا جزء من حديث طويل - مع اختلاف في الألفاظ - عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه في : مسلم ٦٩٧/٢ - ٦٩٨ (كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف) وأوله فيه : عن أبي ذر أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ : يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور بالأجور ... قال : أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ؟ الحديث . وهو في : سنن أبي داود ٣٦/٢ - ٣٧ (كتاب التطوع ، باب صلاة الضحى) ؛ المسند (ط . الحلبي) ١٦٧/٥ ، ١٦٨ .

(٣) عبارة : « فلم تعتدون .. إلخ لم أجدها في أى موضع من المواضع السابقة ، ولكن في المسند ١٦٧/٥ : « قال أفتحتسبون بالشر ولا تحتسبون بالخير ؟ » .

(٤) لفظ الجلالة ليس في (م) ، (ك) .

(٥) ض : يأخذ ، وهو تحريف .

(٦) ض (فقط) : كما رواه الإمام ...

(٧) الحديث في المسند (ط . المعارف) ١٧٠/٨ عن ابن عمر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : إن الله يحب أن تؤتى رخصه ، كما يكره أن تؤتى معصيته » وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح ، وأشار إلى وجود الحديث في « مجمع الزوائد » ١٦٢/٣ وقال الهيثمي : « رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح ، والبخاري والطبراني في الأوسط ، وإسناده حسن » . وأورد الحديث الألباني في « صحيح الجامع الصغير » وقال السيوطي : « حم (أحمد) حب (ابن حبان في صحيحه) هب (البيهقي في شعب الإيمان) عن ابن عمر » وصحح الألباني الحديث .

(٨) عبارة « في السفر » زيادة في (ك) .

الرهبانية والتشديد وتعذيب النفس الذى لا يحبه الله إلى ما يحبه الله [من الرخصة ^(١)] ، هو من الحسنات التى يثيبه الله عليها ، وإن فعل مباحاً لما اقترن به من الاعتقاد والقصد للذين كلاهما طاعة لله ورسوله ، فإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى .

وأيضاً فالعبد هو ^(٢) مأمور بفعل ما يحتاج إليه من المباحات : هو ^(٣) مأمور بالأكل عند الجوع ، والشرب عند العطش . ولهذا يجب على المضطر إلى الميتة أن يأكل منها ، ولو لم يأكل حتى مات كان مستوجبا للوعيد ، كما هو قول جماهير العلماء من الأئمة الأربعة وغيرهم . وكذلك هو مأمور بالوطئ عند حاجته إليه ، بل وهو مأمور بنفس عقد النكاح إذا احتاج إليه وقدر عليه .

فقول النبي ﷺ : « فى بضع أحدكم صدقة » ، فإن المباحة مأمور / بها لحاجته وحاجة المرأة إلى ذلك ، فإن قضاء ^(٤) حاجتها التى لا تنقضى إلا به بالوجه المباح صدقة .

ص ٦

والسلوك سلوكان : سلوك الأبرار أهل اليمين ، وهو أداء الواجبات وترك المحرمات باطنا وظاهرا . والثانى : سلوك المقرئين السابقين ، وهو فعل الواجب والمستحب بحسب الإمكان ، وترك المكروه والمحرم . كما قال النبي ﷺ : « إذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » ^(٥) .

سلوك الأبرار
وسلوك المقرئين

(١) عبارة « من الرخصة » : ساقطة من (ز) فقط .

(٢) هو : ساقطة من (ض) فقط .

(٣) هو : كذا فى (م) ، (ك) ، (ض) . وفى (ز) : وهو .

(٤) ز (فقط) : فإن قضى ... إلخ .

(٥) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى : البخارى ٩٤/٩ - ٩٥ (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ) ونصه : « دعونى ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه =

وكلام الشيوخ الكبار . كالشيخ عبد القادر وغيره - يشير إلى هذا السلوك ، ولهذا يأمرهم بما هو مستحب غير واجب ، وينهون عما هو مكروه غير محرم ، فإنهم يسلكون بالخاصة مسلك الخاصة ، وبالعامة مسلك العامة .

وطريق الخاصة - طريق المقرّين - ألا يفعل العبد إلا ما أمر به ، ولا يريد إلا ما أمره الله ورسوله ^(١) بإرادته ، وهو ما يحبه الله ويرضاه ، ويريده إرادة دينية شرعية ، وإلا فالحوادث كلها مرادة له خلقا وتكويناً ، والوقوف مع الإرادة الخلقية القدرية مطلقاً غير مقدور عقلاً ولا مأمور شرعاً .

وذلك لأن من الحوادث ما يجب دفعه / ولا تجوز إرادته ، كمن أراد تكفير الرجل ، أو تكفير أهله ، أو الفجور به أو بأهله ، أو أراد قتل النبي وهو قادر على دفعه ، أو أراد إضلال الخلق وإفساد دينهم وديانهم ، فهذه الأمور يجب دفعها وكراهيتها ، لا تجوز إرادتها .

وأما الامتناع عقلاً ؛ فلأن الإنسان مجبول على حب ما يلائمه وبغض ما ينافره ، فهو عند الجوع يحب ما يقيته ^(٢) كالطعام ولا يحب ما لا يقيته ^(٢) كالتراب ، فلا يمكن أن تكون إرادته لهذين سواء ، وكذلك يحب الإيمان والعمل الصالح الذي ينفعه ، ويبغض الكفر والفسوق الذي يضره ، بل يحب الله وعبادته وحده ، ويبغض عبادة ما دونه .

= ما استطعتم . والحديث - مع اختلاف في اللفظ - في : مسلم ٩٧٥/٢ (كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر) ؛ سنن النسائي ٨٣/٥ (كتاب المناسك ، باب وجوب الحج) ؛ سنن ابن ماجه ٣/١ (المقدمة ، باب إتباع سنة رسول الله ﷺ) .

(١) ك : إلا ما أمره الله به ورسوله ؛ ض : إلا ما أمر الله ورسوله .

(٢) ض (فقط) : يغنيه . وفي اللسان : « أقاته يقيته إذا أعطاه قوته ... قت الرجل أقوته إذا حفظت نفسه بما يقوته » .

كما قال الخليل عليه السلام : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۚ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ۚ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ٧٥ - ٧٧] (١) .

وقال تعالى (٢) : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴾ [سورة الممتحنة : ٤] .

فقد أمرنا الله أن ننأى بإبراهيم والذين معه ، إذ تبرأوا من المشركين ومما يعبدون / من دون الله . ص ٧

وقال الخليل عليه السلام : ﴿ إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ۚ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ [سورة الزخرف : ٢٦ ، ٢٧] ، والبراءة ضد الولاية ، وأصل [البراءة البغض ، وأصل [(٣) الولاية الحب .

وهذا لأن حقيقة التوحيد أن لا تحب إلا الله ، وتحب ما يحبه الله الله ، فلا تحب إلا الله ، ولا تبغض (٤) إلا الله . قال تعالى (٥) : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ١٦٥] .

(١) في (ز) ، (م) كتبت الآية الأولى محرفة إلى : أفرايتم ما تعبدون .

(٢) تعالى : ليست في (ك) .

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ز) فقط .

(٤) ض : لا يحب ... ويجب ... فلا يحب ... ولا يبغض . وفي (ك) ، (ز) ، (م) : هذه الكلمات غير منقوطة .

(٥) ز : وقال .

والفرق ثابت بين الحب لله والحب مع الله . فأهل التوحيد والإخلاص يحبون غير الله لله ، والمشركون يحبون غير الله مع الله ، كحب المشركين لآلهتهم ، وحب النصارى للمسيح ، وحب أهل الأهواء رؤوسهم .

فإذا عُرف أن العبد مفطور على حب ما ينفعه وبعض ما يضره ، لم ^(١) يمكن أن تستوى إرادته لجميع الحوادث فطرةً وخلقا ، ولا هو مأمور ^(٢) من جهة الشرع أن يكون مريداً لجميع الحوادث ، بل قد أمره الله بإرادة أمور وكرهه ^(٣) أخرى .

والرسل - صلوات الله عليهم وسلامه - بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها ، لا بتحويل الفطرة وتغييرها . وقد قال النبي ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه / وينصرانه ويمجسانه . قال ^(٤) تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الروم : ٣٠] ^(٥) .

ظ ٧

(١) لم : ساقطة من (ك) .

(٢) ز : مأموراً ، وهو خطأ .

(٣) ز : وكرهية .

(٤) ك : وقال .

(٥) هذا جزء من حديث عن أبي هريرة رضى الله عنه ولفظه : « كل مولود ... ويمجسانه ، كما تُنتج البهيمة بهيمةً جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » ثم قال أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم : (فطرة الله التي فطر ... لا يعلمون) « الحديث وهو - مع اختلاف في الألفاظ - في : البخارى ٩٤/٢ - ٩٥ - (كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي) ، وهو في عدة مواضع أخرى في البخارى ، وفي مسلم ٥٢/٨ - ٥٤ (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة) ؛ سنن أبى داود ٣١٦/٤ - ٣١٨ (كتاب السنة ، باب في ذرارى المشركين) ؛ سنن الترمذى ٣٠٣/٣ (كتاب القدر ، باب ما جاء كل مولود ...) ؛ المسند (ط . المعارف) ١٦٩/١٢ - ١٧٠ ، ١٨١/١٣ - ١٨٢ ، ١٢٩/١٤ - ١٣٠ ، ٢٠٧ ؛ الموطأ ٢٤١/١ . وانظر الحديث وتعليقى عليه في « درء تعارض العقل والنقل » ٧١/٣ .

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ : « يقول الله تعالى : « خلقت ^(١) عبادى حنفاء فاجتالهم الشياطين ^(٢) ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا » ^(٣) . والحنيفية هى الاستقامة بإخلاص الدين لله ، وذلك يتضمن حبه تعالى ^(٤) والذل له ، لا يُشرك به شئ : لا فى الحب ولا فى الذل ، فإن العبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل ، وذلك لا يستحقه إلا الله وحده ، وكذلك الخشية والتقوى لله وحده ، والتوكل على الله وحده .

والرسول يُطاع ويُحب ، فالحلال ما حلله ^(٥) والحرام ما حرّمه ، والدين ما شرعه . قال الله تعالى ^(٦) : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَحْشَئِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [سورة النور : ٥٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ [سورة التوبة : ٥٩] .

وهذا حقيقة / دين الإسلام . والرسول بعثوا بذلك ، كما قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ

ص ٨

(١) ز ، ض : إني خلقت . والمثبت من (م) ، (ز) .

(٢) ك : الشياطين عن دينهم .

(٣) الحديث عن عياض بن حمار المجاشعى رضى الله عنه فى : مسلم ٢١٩٧/٤ - ٢١٩٨ (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار) وأوله : أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم فى خطبته : « ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم وإني خلقت عبادى حنفاء كلهم ، وإنهم اتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم الحديث . وهو مع اختلاف فى اللفظ فى : المسند (ط . الحلبي) ١٦٢/٤ .

(٤) ز : حبه لله تعالى ، وهو تحريف .

(٥) ض : ما أحله .

(٦) ض : قال تعالى .

إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴿ [سورة الشورى : ١٣] ،
وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ ۝ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [سورة المؤمنون : ٥١ ، ٥٢] .

فهذا هو الأصل الذى يجب على كل أحد أن يعتصم به ، فلا بد أن يكون
مريداً محباً ^(١) لما أمره الله بإرادته ومحبته ، كارهها مبغضاً لما أمره الله بكراهته ^(٢)
وبغضه .

والناس فى هذا الباب أربعة أنواع . أكملهم الذين يحبون ما أحبه الله
ورسوله ، ويبغضون ما أبغضه الله ورسوله ، فيريدون ما أمرهم الله ورسوله
بإرادته ، ويكرهون ما أمرهم الله ورسوله بكراهته ، وليس عندهم حب
ولا بغض لغير ذلك ، فيأمرون بما أمر الله ورسوله [به] ^(٣) ولا يأمرؤن بغير
ذلك ، وينهون عن ما نهى الله ورسوله ، ولا ينهون عن غير ذلك .

وهذه حال الخليلين أفضل البرية : محمد وإبراهيم صلى الله عليهما
وسلم . وقد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال : إن الله اتخذنى خليلاً كما
اتخذ / إبراهيم خليلاً ^(٤) .

ظ ٨

(١) ز : محبا مريدا .

(٢) ز : بكراهيته .

(٣) به : ساقطة من (ز) وأثبتها من (ك) . وفى (ض) : أمر الله به ورسوله . والعبارة غير واضحة فى مصورة (م) .

(٤) ورد هذا الحديث مطولاً عن جندب رضى الله عنه فى : مسلم ١/٣٧٧ - ٣٧٨ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهى عن بناء المساجد على القبور) ونصه : سمعت النبى ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : إني أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل ، فإن الله تعالى قد اتخذنى خليلاً كما اتخذ =

وقال في الحديث الصحيح ^(١) . « إني والله لا أعطى أحداً ولا أمنع أحداً ، وإنما أنا قاسمٌ أضع حيث أمرت » ^(٢) .

وذكر أن ربّه خيرّه بين أن يكون نبياً ملكاً ، وبين أن يكون عبداً رسولاً ، فاختار أن يكون عبداً رسولاً ^(٣) ، فإن النبي الملك مثل داود وسليمان .

قال تعالى : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [سورة ص : ٣٩] ، قالوا : معناه إعط من شئت وامنع من شئت لا نحاسبك .

= إبراهيم خليلًا ، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا . ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إني أنهاكم عن ذلك . وجاءت بعض ألفاظ هذا الحديث في حديث آخر عن عبد الله بن عمرو في : سنن ابن ماجه ٥٠/١ (المقدمة ، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ) .

(١) ض : وقال ﷺ في الحديث الصحيح .

(٢) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في : البخارى ٨٥/٤ (كتاب فرض الخمس ، باب قول الله تعالى : فإن لله خمسة) ونصه فيه « ما أعطيك ولا أمنعكم . أنا قاسم أضع حيث أمرت » . والحديث أيضاً عنه في المسند (ط . الحلبي) ٤٨٢/٢ ونصه فيه : « والله ما أعطيك ولا أمنعكم ، وإنما أنا قاسم أضعه حيث أمرت » . وقال ابن حجر في تعليقه على حديث البخارى (فتح البارى ٢١٨/٦) : « وقد أخرجه أبو داود من طريق همام عن أبي هريرة بلفظ : إن أنا إلا خازن » . وجاء حديث آخر عن معاوية رضي الله عنه بلفظ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطى الحديث ، وانظر ما ذكرته عنه في « درء تعارض العقل والنقل » ٢٧٨/٨ (ت ٢) .

(٣) ذكر الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٨/٩ - ٢٠ في باب « تواضعه ﷺ » عدة أحاديث فيها الكلام عن تخييره ﷺ بين أن يكون نبياً ملكاً أو عبداً رسولاً واختياره ﷺ أن يكون عبداً رسولاً ، وقال عن الحديث الأول : « رواه أحمد والبخاري وأبو يعلى ورجال الأولين رجال الصحيح » . وحديث أحمد هو في المسند (ط . المعارف) ١٤٢/١٢ - ١٤٣ ... عن أبي زرعة - قال : ولا أعلمه إلا عن أبي هريرة - قال : جلس جبريل إلى النبي ﷺ ، فنظر إلى السماء ، فإذا ملك ينزل ، فقال جبريل : إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة ، فلما نزل قال : يا محمد ، أرسلني إليك ربك ، قال : أفمليك نبياً يجعلك ، أو عبداً رسولاً ؟ قال جبريل : تواضع لربك يا محمد ، قال : بل عبداً رسولاً وقال الشيخ أحمد شاكر عن الحديث : « إسناده صحيح » . والحديث الثانى في « مجمع الزوائد » عن عائشة بنفس المعنى ، وقال عنه الهيثمي : « رواه أبو يعلى وإسناده حسن » .

فالنبي الملك يُعطى بإرادته ، لا ^(١) يُعاقب على ذلك ، كالذى يفعل المباحات بإرادته ، وأما العبد الرسول فلا يُعطى ولا يمنع إلا بأمر ربه ^(٢) ، وهو محبته ورضاه وإرادته الدينية . والسابقون المقربون أتباع العبد الرسول ، والمقتصدون أهل اليمين أتباع النبي الملك .

وقد تكون للإنسان حال هو فيها خالٍ عن الإرادتين ، وهو أنه لا تكون له إرادة في عطاء ^(٣) ولا منع ، لا إرادة ^(٤) دينية هو مأمور بها ، ولا إرادة نفسانية : سواء كان منها عنها أو غير منهي عنها ، بل ما وقع كان مراداً له ، ومهما فُعل به كان مراداً له ، من غير أن يعرف ^(٥) المأمور به شرعاً في ذلك .

فهذا بمنزلة من له أموال / يعطيها ، وليس له إرادة في إعطاء معين : لا إرادة شرعية ولا إرادة مذمومة . بل يعطى كل أحد . فهذا إذا قُدِّر أنه قام بما يجب عليه بحسب إمكانه ، ولكنه خفى عليه الإرادة الشرعية في تفصيل أفعاله ، فإنه لا يُذم على ما فعل ، ولا يُمدح مطلقاً ، بل يمدح لعدم ^(٦) هواه ، ولو علم تفصيل المأمور به وأرادته إرادة شرعية لكان أكمل ، بل هذا - مع القدرة - إما واجب وإما مستحب ، وحال هذا خير من حال من يريد بحكم هواه ونفسه ، وإن كان ذلك مباحاً له ، وهو دون من يريد بأمر ربه لا بهواه ولا بالقدر المحض .

فمضمون هذا المقام أن الناس في المباحات - من الملك والمال وغير ذلك - على ثلاثة أقسام :

(١) ز : ولا .

(٢) ك : إلا بأمر الله ربه .

(٣) ز : إعطاء .

(٤) ز : لإرادة ، وهو تحريف .

(٥) ض (فقط) : يفعل .

(٦) ك ، م : بعدم .

قوم لا يتصرفون فيها إلا بحكم الأمر الشرعى ، وهو (١) حال نبينا ﷺ ، وهو (٢) حال العبد الرسول ومن اتبعه فى ذلك .

وقوم يتصرفون فيها بحكم إرادتهم والشهوة التى ليست محرمة ، وهذا النبى الملك (٣) ، وهو حال الأبرار أهل اليمين .

وقوم لا يتصرفون بهذا ولا بهذا . أما الأول فلعدم علمهم به . وأما الثانى فلزهدهم فيه ، بل يتصرفون / فيها بحكم القدر المحض إتباعا لإرادة الله الخلقية القدرية حين تعذر (٤) معرفة الإرادة الشرعية الأمرية . وهذا كالترجيح بالقرعة إذا تعذر الترجيح بسبب شرعى معلوم ، وقد يتصرف هؤلاء فى هذا المقام بإلهام يقع فى قلوبهم وخطاب .

ظ ٩

وكلام الشيخ عبد القادر - قدس الله روحه - كثيرا ما يقع فى هذا المقام ، فإنه يأمر بالزهد فى إرادة النفس وهواها ، حتى لا يتصرف بحكم الإرادة والنفس . وهذا رفع له عن حال الأبرار أهل اليمين ، وعن طريق الملوك مطلقا . ومن حصل هذا ، وتصرف بالأمر الشرعى المحمدى القرآنى ، فهو أكمل الخلق ، لكن هذا قد يخفى عليه ، فإن معرفة هذا على التفصيل قد يتعسر أو يتعسر فى كثير من المواضع .

ألا ترى أن النبى ﷺ لما حُكِّم سعد بن معاذ فى بنى قريظة (٥) ، فحكم بقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وغنيمة أموالهم ، قال : « لقد حكمت فيهم بحكم الله

(١) ز : وهى .

(٢) ك : وهى .

(٣) ك (فقط) : ... الملك ومن اتبعه .

(٤) ك : تعذرت .

(٥) ز : قريضة ، وهو تحريف .

من فوق سبعة أرقعة» ^(١) ، وذلك أن تخيير وليّ الأمر بين القتل والاسترقاق ، والمن والفداء ، ليس تخيير [شهوة] ^(٢) ، بل تخيير / رأى ومصالحة ، فعليه أن يختار الأصلح ، فإن اختار ذلك فقد وافق حكم الله وإلا فلا .

ولما كان هذا يخفى كثيرا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لبُرَيْدة ^(٣) : « إذا حاصرت أهل حصن فسألك أن تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله ، فإنك لا تدري ما حكم الله فيهم ، ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك » ^(٤) .

(١) جاء الحديث بهذا اللفظ في سيرة ابن هشام ٢٥١/٣ . ولكنه جاء - مع اختلاف في اللفظ - عن أنى سعيد الخدري في : البخارى ٦٧/٤ (كتاب الجهاد والسير ، باب إذا نزل العدو على حكم رجل) ، ٣٥/٥ - ٣٦ (كتاب مناقب الأنصار ، باب مناقب سعد بن معاذ) ، ١١٢/٥ (كتاب المغازى ، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ...) ؛ مسلم ١٣٨٨/٣ - ١٣٨٩ (كتاب الجهاد والسير ، باب جواز قتال من نقض العهد ...) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٢٢/٣ . ولفظ الحديث في هذه المواضع : « حكمت فيهم بحكم الله ، أو : بحكم الملك » . وأخرج الإمام أحمد في مسنده (ط . الحلبي) ١٤١/٦ - ١٤٢ حديثا مقاربا متصلا عن عائشة رضى الله عنها . وانظر ما ذكره الألبانى عن الحديث في « سلسلة الأحاديث الصحيحة » ٩١/١ - ٩٤ (حديث رقم ٦٧) . وقال ابن حجر في فتح البارى ٤١٢/٧ : « ... وفي رواية ابن إسحاق من مرسل علقمة بن وقاص : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة . وأرقعة بالقاف جمع رقيق ، وهو من أسماء السماء . قيل : سميت بذلك لأنها رقت بالنجوم » .

(٢) شهوة : ساقطة من (ز) .

(٣) لبريدة : زيادة في (ز) .

(٤) هذا جزء من حديث طويل عن سليمان بن بريدة عن أبيه رضى الله عنه وأوله في : مسلم ١٣٥٦/٣ - ١٣٥٨ (كتاب الجهاد والسير ، باب تأمير الإمام الأمراء ...) : « كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه ثم قال : اغزوا بسم الله في سبيل الله وإذا حاصرت أهل حصن ، فأرادوك على أن تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا » . والحديث - مع اختلاف في اللفظ - في : سنن أبى داود ٥١٣/٣ - ٥٢ (كتاب الجهاد ، باب في دعاء المشركين) ؛ سنن الترمذى ٨٥/٣ - ٨٦ (كتاب السير ، باب ما جاء في وصية النبي ﷺ في القتال) ؛ سنن ابن ماجه ٩٥٣/٢ - ٩٥٤ (كتاب الجهاد ، باب وصية الإمام) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٣٥٨/٥ .

والحاكم الذى [ينزل أهل الحصن على حكمه عليه أن] ^(١) يحكم باجتهاده ، فلما أمر سعد بما هو الأرضى لله والأحب إليه ، حكم بحكمه ، ولو حكم بغير ذلك لنفذ ^(٢) حكمه ، فإنه حكم باجتهاده ، وإن لم يكن ذلك هو حكم الله فى الباطن .

حكم الإلهام
فى الشريعة

ففى مثل هذه الحال ، التى لا يتبين الأمر الشرعى فى الواقعة المعينة ، يأمر الشيخ عبد القادر وأمثاله من الشيوخ ، تارة بالرجوع إلى الأمر الباطن والإلهام إن أمكن ذلك ، وتارة بالرجوع إلى القدر المحض لتعذر الأسباب المرجحة من جهة الشرع ، كما يرجح الشارع بالقرعة ، فهم يأمر أن لا يرجح بمجرد إرادته وهواه ، فإن هذا إما محرم ، وإما مكروه ، وإما منقص ^(٣) ، فهم فى هذا النهى كنههم عن فضول المباحات .

ثم إن تبين لهم الأمر الشرعى وجب الترجيح / به ، وإلا رجّحوا إما بسبب باطن من الإلهام والذوق ، وإما بالقضاء والقدر الذى لا يُضاف إليهم . ومن يرجح فى مثل هذه الحال باستخارة الله ، كما كان النبى ﷺ يعلم أصحابه الاستخارة فى الأمور كلها ، كما يعلمهم السورة من القرآن ^(٤) ، فقد [أصاب] ^(٥) .

ظ ١٠

وهذا كما أنه إذا تعارضت أدلة المسألة ^(٦) الشرعية عند الناظر المجتهد ، وعند المقلد المستفتى ، فإنه لا يرجح شيئا ، بل ما جرى به القدر أقرؤه ولم ينكروه . وتارة يرجح أحدهم ، إما بمنام وإما برأى مشير ناصح ، وإما برؤية المصلحة فى أحد الفعلين .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ز) فقط .

(٢) ز : أنفذ .

(٣) ز (فقط) : نقص .

(٤) سبق الكلام على حديث الاستخارة فى هذا الجزء ، ص ٦٩ (ت ٢) .

(٥) أصاب : ساقطة من (ز) ومكانها بياض .

(٦) ك : أدلة فى المسألة

وأما الترجيح بمجرد الاختيار ، بحيث إذا تكافأت ^(١) عنده الأدلة يرجح بمجرد إرادته واختياره ، فهذا ليس قول أحد من أئمة الإسلام ، وإنما هو قول طائفة من أهل الكلام ، ولكن قاله طائفة من الفقهاء في العامى المستفتى : أنه يخير بين المفتين ^(٢) المختلفين .

وهذا كما أن طائفة من السالكين إذا استوى عنده الأمران في الشريعة ، رجّح بمجرد ذوقه وإرادته ، فالترجيح بمجرد الإرادة التي لا تستند إلى أمر علمي باطن ولا ظاهر ، لا يقول به أحد / من أئمة العلم والزهد ، فائمة الفقهاء والصوفية لا يقولون هذا ، لكن ^(٣) من جوّز لمجتهد أو مقلد الترجيح بمجرد اختياره وإرادته ، فهو نظير من سوّغ للسالك الترجيح بمجرد إرادته وذوقه .

لكن قد يُقال : القلب المعمور بالتقوى إذا رجّح بإرادته فهو ترجيح شرعى . وعلى هذا التقدير فمن غلب على قلبه إرادة ما يحبه الله ، وبغض ما يكرهه ^(٤) ، إذا لم يدر في الأمر المعين : هل هو محبوب لله أو مكروه ^(٥) ، ورأى قلبه يحبه أو يكرهه ، كان هذا ترجيحاً عنده ، كما لو أخبره ^(٦) مَنْ صدّقه أغلب مِنْ كَذِبِهِ ، فإن الترجيح بخبر هذا عند انسداد وجوه ^(٧) الترجيح ترجيحٌ بدليل شرعى .

ففى الجملة متى حصل ما يُظن معه أن أحد الأمرين أحب إلى الله

(١) ك ، ز ، م : تكافت . والمثبت من (ض) .

(٢) ز : المفتين .

(٣) ض : ولكن .

(٤) ض : ما يكرهه الله .

(٥) ز : أو مكروهه ، وهو تحريف .

(٦) ك ، ز ، م : أخبر . والمثبت من (ض) .

(٧) ز : ونحوه ، وهو تحريف .

ورسوله ، كان هذا ترجيحاً بدليل شرعى . والذين أنكروا كَوْن الإلهام طريقاً شرعياً^(١) على الإطلاق ، أخطأوا كما أخطأ الذين جعلوه طريقاً شرعياً على الإطلاق .

ولكن إذا اجتهد السالك فى الأدلة الشرعية الظاهرة^(٢) فلم ير فيها ترجيحاً ، وألهم حينئذ رجحان أحد الفعلين مع حسن قصده وعمارته بالتقوى ، فالهام مثل هذا دليل فى حقه ، قد [يكون]^(٣) أقوى من كثير من الأقيسة / الضعيفة ، والأحاديث الضعيفة ، والظواهر الضعيفة ، والاستصحابات الضعيفة التى يحتج بها كثير من الخائضين فى المذهب والخلاف وأصول الفقه .

ظ ١١

وفى الترمذى عن أبى سعيد عن النبى ﷺ أنه قال : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله . ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٧٥]^(٤) .

وقال عمر بن الخطاب : « اقتربوا من أفواه المطيعين ، واسمعوا منهم ما يقولون ، فإنه يتجلى لهم أمور صادقة » .

(١) شرعياً : ساقطة من (ض) .

(٢) ز : الظاهرة الشرعية .

(٣) يكون : ساقطة من (ز) .

(٤) الحديث عن أبى سعيد الخدرى فى : سنن الترمذى ٣٦٠/٤ - ٣٦١ (كتاب التفسير ، سورة الحجر) وقال الترمذى : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » ؛ تفسير الطبرى (ط . بولاق) ٣١/١٤ - ٣٢ (عن أبى سعيد وابن عمر) . وذكر الحديث الألبانى فى « ضعيف الجامع الصغير » ٨٧/١ وقال عنه : (تنخ = البخارى فى التاريخ ، ت = الترمذى) عن أبى سعيد (الحكيم ، وسمويه ، طب = الطبرانى ، عد = ابن سعد فى الطبقات) عن أبى أمامة (ابن جرير = الطبرى) عن ابن عمر . ثم قال : « وانظر عن الحديث : المقاصد الحسنة للسخاوى (ط . الخانجي : ١٩٥٦/١٣٧٥) ، ص ١٩ - ٢٠ ؛ زاد المسير لابن الجوزى ٤/٤٠٩ . وذكر الهيثمى الحديث فى « مجموع الزوائد » ١٠/٢٦٨ عن أبى أمامة رضى الله عنه بدون قوله : ثم قرأ إلخ وقال عنه : « رواه الطبرانى وإسناده حسن » .

وقد ثبت في الصحيح قول الله تعالى : « ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، فبى يسمع ، وبى يبصر ، وبى يبطش ، وبى يمشى » (١) .

(٢) وفي مثل هذا يقال حديث وابصة عن النبي ﷺ أنه قال : « البر ما اطمأنت إليه النفس وسكن إليه القلب » (٢) ، والإثم ما حاك في نفسك ، وإن أفتوك وأفتوك » (٣) . وفي صحيح مسلم حديث النّوّاس بن سمعان عن النبي ﷺ أنه قال : « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في / نفسك ، وكرهت أن يطلع عليه » ص ١٢

(١) سبق الكلام على هذا الحديث القدسي في هذا الجزء ، ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢ - ٣) ما بين النجمتين ساقط من (ض) فقط .

(٢) ك : واطمأن إليه القلب . والمثبت من (ز) ، (م) .

(٣) ك : وإن أفتاك الناس وأفتوك . والمثبت من (ز) ، (م) . والحديث عن وابصة بن معبد الأسدي رضى الله عنه مختصرا ومطولا في : المسند (ط . الحلبي) ٢٢٧/٤ ، ٢٢٨ ؛ سنن الدارمي ٢٤٦/٢ (كتاب البيوع ، باب دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) ولفظ الحديث في المسند ٢٢٨/٢ : عن وابصة بن معبد قال : أتيت رسول الله ﷺ وأنا لا أريد أن لأدع شيئا من البر والإثم إلا سألته عنه ، وإذا عنده جمع ، فذهبت أخطئ الناس . فقالوا : إليك يا وابصة عن رسول الله ﷺ ، إليك يا وابصة . فقلت : أنا وابصة ، دعوني أدنو منه ، فإنه من أحب الناس إلي أن أدنو منه . فقال لي : ادن يا وابصة ، ادن يا وابصة . فدنوت منه ، حتى مست ركبتي ركبته ، فقال : يا وابصة ، أخبرك ما جئت تسألني عنه أو تسألني ؟ فقلت : يا رسول الله ، فأخبرني . قال : جئت تسألني عن البر والإثم . قلت : نعم . فجمع أصابعه الثلاث ، فجعل ينكت بها في صدرى ، ويقول : يا وابصة ، استفت نفسك ، البر ما اطمأن إليه القلب ، واطمأنت إليه النفس ، والإثم ما حاك في القلب ، وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس » قال سفيان : « وأفتوك » . وجاء حديث آخر بالفاظ مقاربة عن أنى ثعلبة الخشني رضى الله عنه في : المسند (ط . الحلبي) ١٩٤/٤ .

الناس» ^(١) . وقال ابن مسعود : الإِثْمُ حَوَازُ ^(٢) القلوب ^(٣) .

وأيضاً فالله تعالى فطر ^(٣) عباده على الحنيفية ، وهي ^(٤) حب المعروف وبغض المنكر ، فإذا لم تستحل ^(٥) الفطرة فالقلوب مفطورة على الحق ، فإذا كانت الفطرة مقومة بحقيقة الإيمان ، منورة بنور القرآن ، وخفى عليها دلالة الأدلة السمعية الظاهرة ، ورأى قلبه يرجح أحد الأمرين ، كان هذا من أقوى الأمارات عند مثله .

وذلك أن الله علّم القرآن والإيمان . قال تعالى ^(٦) : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [سورة الشورى : ٥١] ثم قال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [سورة الشورى : ٥٢] ^(٨) .

(١) الحديث عن النّوّاس بن سميّان رضى الله عنه في : ١٩٨٠/٤ (كتاب البر ، باب تفسير البر والإثم) ؛ سنن الترمذى ٢٣/٤ - ٢٤ ، (كتاب الزهد ، باب ما جاء في البر والإثم) ؛ سنن الدارمى ٣٢٢/٢ (كتاب الرقاق ، باب في البر والإثم) ؛ المسند (ط . الحلبي) ١٨٢/٤ .
(٢) ز : جوار ، وهو تحريف . وفي « لسان العرب » : وفي حديث ابن مسعود رضى الله عنه : الإثم حَوَازُ القلوب ، هكذا رواه شمر ، بتشديد الواو ، من حاز يحوز أى يجمع القلوب . والمشهور بتشديد الزاى . وقيل : حَوَازُ القلوب ، أى يحوز القلب ويغلب عليه حتى يركب ما لا يُحِب . قال الأزهري : ولكن الرواية : حَزَازُ القلوب ، أى ما حَزَّ في القلب وَحَلَّ فيه .

(٣) ض : فالله سبحانه وتعالى فطر ؛ م : فالله فطر .

(٤) ض (فقط) : وهو .

(٥) ز : تستحيل ، وهو خطأ .

(٦) ض (فقط) : قال الله تعالى .

(٧) م : إلا وحيًا . الآية ؛ ك : إلا وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء

إنه على حكيم ؛ ض : أو يرسل رسولا . الآية .

(٨) ك : ... من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم .

وقال جندب بن عبد الله وعبد الله بن عمر : « تعلمنا الإيمان ، ثم تعلمنا القرآن ، فازددنا إيماناً » (١) .

وفي الصحيحين عن حذيفة عن النبي ﷺ قال (٢) : « إن الأمانة نزلت (٣) في جذر قلوب الرجال ، فعلموا من القرآن ، وعلموا من السنة » (٤) .

وفي الترمذى - [بإسناد جيد] (٥) - وغيره (٦) حديث النواس بن سمعان عن النبي ﷺ / أنه (٦) قال : « ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبتي الصراط سوران ، وفي السورين أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة وداع يدعو على رأس الصراط ، وداع يدعو [من] (٧) فوق الصراط . فالصراط المستقيم هو الإسلام ، والستور حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله ، فإذا أراد العبد أن يفتح باباً من تلك الأبواب ، ناداه المنادى - أو كما قال - : يا عبد الله لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه تلجه ، والداعي على رأس الصراط كتاب الله ، والداعي فوق الصراط واعظُ الله في قلب كل مؤمن » (٨) .

(١) ذكر ابن تيمية هذا الأثر كاملاً في « درء تعارض العقل والنقل » ٤٥٤/٧ وتماه : « إيماناً ، وأنتم تتعلمون القرآن ، ثم تتعلمون الإيمان » .

(٢) ز ، ض : وسلم أنه قال ...

(٣) ز ، ض : إن الله أنزل الأمانة .

(٤) الحديث عن حذيفة رضى الله عنه في : البخارى ١٠٤/٨ (كتاب الرقاق ، باب رفع الأمانة) ، ٥٢/٩ (كتاب الفتن ، باب إذا بقى في حثالة من الناس) ، ٩٢/٩ (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ) ؛ ١٢٦/١ (كتاب الإيمان ، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب) ؛ سنن الترمذى ٣٢١/٣ (كتاب الفتن ، باب ما جاء في رفع الأمانة) ؛ سنن ابن ماجه ١٣٤٦/٢ (كتاب الفتن ، باب ذهاب الأمانة) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٣٨٣/٥ .

(٥) عبارة « بإسناد جيد » : زيادة في (م) .

(٦-٦) : ساقط من (ك) ، وعبارة « بن سمعان » ساقطة من (ض) . و « أنه » : ليست في (م) .

(٧) من : ساقطة من (ز) .

(٨) الحديث عن النواس بن سمعان رضى الله عنه - مع اختلاف في الألفاظ - في : سنن الترمذى =

فقد بين أن في قلب كل مؤمن واعظاً^(١) ، والواعظ الأمر والنهي بترغيب وترهيب ، فهذا الأمر والنهي الذي يقع في قلب المؤمن مطابق لأمر القرآن ونهيه ، ولهذا يقوى أحدهما بالآخر^(٢) ، وقد يؤتى العبد أحدهما ولا يؤتى الآخر .

كما في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري^(٣) عن النبي ﷺ أنه قال^(٤) : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن^(٥) » كمثل الأثرجة ريحها طيب وطعمها طيب^(٦) ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن / كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها طيب^(٧) ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل^(٨) الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح

ص ١٣

= ٢٢٢/٤ (كتاب الأمثال عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في مثل الله عز وجل لعباده) وأوله : إن الله ضرب مثلاً مستقيماً وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب . والحديث في المسند (ط . الحلبي) ١٨٢/٤ - ١٨٣ ، وجاء فيه مرتين أوله في الأولى : ضرب الله وفي الثانية : إن الله عز وجل ضرب

(١) ض : واعظ .

(٢) بعد كلمة « بالآخر » توجد خمسة أسطر في نسخة (ض) جاءت في غير موضعها ، أولها : كما قال تعالى : (نور على نور) قال بعض السلف إلخ . وسترده هذه العبارات في مكانها بعد قليل إن شاء الله .

(٣) الأشعري : زيادة في (ز) ، (ض) .

(٤) عبارة « أنه قال » : ليست في (م) .

(٥) بعد كلمة « القرآن » يوجد بياض في نسخة (م) بمقدار ثلاثة أسطر ولم يذكر ابن تيمية باقي

الحديث .

(٦) « - » ما بين النجمتين ساقط من (م) ومكانه بياض .

(٦) ض : طعمها طيب وريحها طيب .

(٧) ض : طعمها طيب ولا ريح لها .

(٨) ض : كمثل .

وطعمها مر» (١) .

وقد قال بعض السلف في قوله : ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ [سورة النور : ٣٥] قال : هو المؤمن ينطق بالحكمة وإن لم يسمع فيها بأثر ، فإذا سمع بالأثر كان نوراً (٢) على نور ، نور الإيمان الذى فى قلبه يطابق نور القرآن ، كما أن الميزان العقلى يطابق الكتاب المنزل ، فإن الله أنزل الكتاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط .

والإلهام فى القلب تارة يكون من جنس القول والعلم والظن والاعتقاد ، وتارة يكون من جنس العمل والحب والإرادة والطلب ، فقد (٣) يقع فى قلبه أن هذا القول أرجح وأظهر وأصوب ، وقد يميل قلبه إلى أحد الأمرين دون الآخر .

وفى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال : « قد كان فى الأمم قبلكم مُحَدِّثُونَ فَإِنْ يَكُنْ فى أمتى أَحَدٌ فَعَمْرُ مِنْهُمْ » (٤) والمحدث هو الملهم المخاطب (٥) .

(١) الحديث عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه فى : البخارى ٧٧/٧ (كتاب الأطعمة ، باب ذكر الطعام) ، ١٩٠/٦ - ١٩١ (كتاب فضائل القرآن ، باب فضل القرآن على سائر الكلام) ، ١٦١/٩ (كتاب التوحيد ، باب قراءة الفاجر والمنافق) ؛ مسلم ٥٤٩/١ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضيلة حافظ القرآن) ؛ سنن أبى داود ٣٥٧/٤ - ٣٥٨ (كتاب الأدب ، باب من يؤمر أن يجالس) ؛ سنن الترمذى ٢٧٧/٤ (كتاب الأمثال ، باب ما جاء مثل المؤمن القارىء للقرآن وغير القارىء) ؛ سنن ابن ماجه ٧٧/١ (المقدمة ، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٤٠٣/٤ - ٤٠٤ . والأترجة : التفاحة .

(٢) ز : نور .

(٣) ز : قد .

(٤) الحديث عن عائشة رضى الله عنها - مع اختلاف فى الألفاظ - فى : البخارى ١٧٤/٤ (كتاب الأنبياء ، الباب الأخير) ، ١٢/٥ (كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر بن الخطاب) ؛ مسلم ١٨٦٤/٤ (كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر ...) ؛ سنن الترمذى ٢٨٥/٥ (كتاب المناقب ، باب من أبواب مناقب أبى حفص عمر بن الخطاب) وقال الترمذى : « وأخبرنى بعض أصحاب ابن عيينة عن سفيان بن عيينة قال : محدثون ، يعنى : مفهّمون » ؛ المسند (ط . الحلبي) ٥٥/٦ .

(٥) بعد كلمة « المخاطب » توجد ثمانية أسطر فى نسخة (ض) جاءت فى غير موضعها وسبق =

وأيضاً فإذا كانت الأمور الكونية قد تنكشف للعبد المؤمن يقيناً أو ظناً ،
فالأمر الديني كذلك بطريق / الأولى ، فإنه إلى كشفها أحوَج ، لكن هذا في
الغالب لابد أن يكون كشفاً بدليل ، وقد يكون بدليل ينقدح في قلب المؤمن
لا يمكنه التعبير عنه ، وهذا أحد ما فُسِّر به معنى الاستحسان .

وقد قال من طعن في ذلك ، كأبي حامد وأبي محمد ^(١) : « ما لا يُعبر عنه
فهو هوس » ^(٢) . وليس كذلك ، فإنه ليس كل أحد يمكنه إثبات المعاني القائمة
بقلبه ، وكثير من الناس يبينها بياناً ناقصاً ، وكثير من أهل الكشف ^(٣) يلقى في
قلبه أن هذا الطعام حرام ، أو أن هذا الرجل كافر أو فاسق ، من غير دليل ظاهر ،
وبالعكس قد يلقى في قلبه محبة شخص ، وأنه ولي لله ، أو أن هذا المال حلال .
وليس المقصود هنا بيان أن هذا وحده دليل على الأحكام [الشرعية] ^(٤) ،
لكن أن مثل هذا يكون ترجيحاً لطالب الحق إذا تكافأت عنده الأدلة السمعية
الظاهرة ، فالترجيح بها ^(٥) خير من التسوية بين الأمرين المتناقضين قطعاً ، فإن

= ورودها من قبل (ص ٢٢ - ٢٣) وأولها : « في مثل هذا قول النبي ﷺ في حديث وابصة : البر
وقال ابن مسعود : الإثم حراز القلوب » .

(١) الأرجح أن ابن تيمية يقصد : أبا محمد المقدسي . وهو : أبو محمد تقي الدين عبد الغني بن
عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعلي الدمشقي الحنبلي ، العلامة المحدث ، ولد سنة ٥٤١ وتوفي
سنة ٦٠٠ . انظر ترجمته في : شذرات الذهب ٤/٣٤٥ - ٤/٣٤٦ ؛ العبر ٤/٣١٣ ؛ معجم المؤلفين
٢٧٥/٥ - ٢٧٦ ؛ الأعلام ٤/١٦٠ .

(٢) يقول أبو حامد الغزالي في كتابه « المستصفى في أصول الفقه » ١/١٣٨ - ١٣٩ (ط .
التجارية ، القاهرة ، ١٣٥٦/١٩٣٧) : « التأويل الثاني للاستحسان : قولهم : المراد به دليل ينقدح في
نفس المجتهد ، لا تساعده العبارة عنه ، ولا يقدر على إبرازه وإظهاره . وهذا هوس ، لأن ما لا يقدر على
التعبير عنه لا يدري أنه وهم وخیال أو تحقيق ... إلخ » .

(٣) ض (فقط) : الكشف .

(٤) الشرعية : ساقطة من (ز) فقط .

(٥) بها : ساقطة من (ك) فقط .

التسوية بينهما باطلّة قطعاً ، كما قلنا : إن العمل بالظن الناشئ عن ظاهر^(١) أو قياس ، خير من العمل بنقيضه إذا احتيج إلى العمل بأحدهما .

والصواب الذى عليه السلف والجمهور ، أنه لابد في كل حادثة / من دليل ص ١٤ شرعى ، فلا يجوز تكافؤ^(٢) الأدلة في نفس الأمر ، ولكن قد تتكافأ عند الناظر لعدم ظهور الترجيح له ، وأما من قال : إنه ليس في نفس الأمر حق معيّن ، بل كل مجتهد عالم بالحق الباطن في المسألة ، وليس لأحدهما على الآخر مزية في علم ولا عمل ، فهؤلاء قد يجوزون - أو بعضهم - تكافؤ الأدلة ، ويجعلون الواجب التخيير بين القولين .

وهؤلاء يقولون : ليس على الظن دليل في نفس الأمر ، وإنما رجحان أحد القولين هو من باب الرجحان بالميل والإرادة ، كترجيح النفس الغضبية للانتقام ، والنفس الحليمة للعفو .

وهذا القول خطأ ؛ فإنه لابد في نفس الأمر من حق معين يصيبه المستدل تارة ويخطئه أخرى ، كالكعبة في حق من اشتبهت عليه القبلة ، والمجتهد إذا أدّاه اجتهاده إلى جهة وسقط^(٣) عنه الفرض بالصلاة إليها ، كالمجتهد إذا أدّاه اجتهاده إلى قولٍ فعمل بموجبه : كلاهما مطيع لله ، وهو مصيب ، بمعنى أنه مطيع لله وله أجر على ذلك ، وليس مصيباً ، بمعنى أنه علم الحق المعين^(٤) ، فإن ذلك لا يكون إلا واحداً ، ومُصِيبُهُ له أجران .

(١) ز : الظاهر .

(٢) ك : تكافؤ .

(٣) ض (فقط) : سقط .

(٤) المعين : ساقطة من (ك) .

/ وهذا في كشف الأنواع التي يكون عليها دليل / شرعى ، لكن قد يخفى على العبد ، فإن الشارع يبين الأحكام الكلية . وأما [أحكام] ^(١) المعينات التي تسمى تنقيح المناط ، مثل كون الشخص المعين عدلا أو فاسقا ، ومؤمنا ^(٢) أو منافقا ، ووليا لله أو عدوا له ، وكون هذا [العقار] ^(٣) لیتيم أو فقير يستحق الإحسان إليه ، ^(٤) وكون هذا المعين عدوا للمسلمين يستحق القتل ^(٥) ، وكون هذا المال يخاف عليه من ظلم ظالم ، فإذا زهد فيه الظالم انتفع ^(٥) به أهله .

فهذه الأمور لا يجب أن تُعلم بالأدلة الشرعية العامة الكلية ، بل تعلم بأدلة خاصة تدل عليها . ومن طرق [ذلك] ^(٦) الإلهام ^(٧) ، فقد يلهم الله بعض عباده حال هذا المال المعين ، وحال هذا الشخص ، وإن لم يكن هناك دليل ظاهر يشركه فيه غيره .

وقصة الخضر مع موسى ^(٨) هي من هذا الباب ، ليس فيها مخالفة لشرع ^(٩) الله ، ^(١٠) فإنه لا يجوز قط لأحد : [لا] نبي ولا ولى [أن] يخالف ^(١١) شرع الله ^(١٠) ، لكن فيها علم حال ذلك المعين بسبب باطن يوجب فيه الشرع ما فعله الخضر ، كمن دخل إلى دار وأخذ ما فيها من المال لعلمه بأن صاحبها أذن

(١) أحكام : ساقطة من (ز) ، وأثبتها من (م) ، (ك) . وفى (ض) : الأحكام .

(٢) ض : أو مؤمنا .

(٣) العقار : ساقطة من (ز) .

(٤ - ٥) هذه العبارات سبقت في (ض) العبارات السابقة التي تبدأ بقوله : « وكون هذا العقار .. إلى قوله : الإحسان إليه » .

(٥) ك : وانتفع ، وهو تحريف .

(٦) ذلك : ساقطة من (ز) .

(٧) ك : إلهام ، وهو تحريف .

(٨) ض : وقصة موسى مع الخضر .

(٩) ز ، ك : شرع . والكلمة غير واضحة في مصورة (م) .

(١٠ - ١١) : ساقط من (ك) .

(١١) ز : لأحد نبي ولا ولى يخالف . والعبارة غير واضحة في مصورة (م) . والمثبت من (ض) .

له وغيره لم يعلم ، ومثل من رأى ضالة أخذها ولم يعرفها ، لعلمه / بأنه أتى ^(١) بها هدية له ، ونحو ذلك . ومثل هذا كثير ^(٢) عند ^(٣) أهل الإلهام الصحيح .
والنوع الثاني عكس هذا ، وهو [أنهم] ^(٤) يتبعون هواهم لا أمر الله ^(٥) ، فهؤلاء لا يفعلون ولا يأمرن إلا بما يحبونه بهوهم ، ولا يتركون وينهون إلا عما يكرهونه بهوهم ^(٦) . وهؤلاء شر الخلق ، قال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [سورة الفرقان : ٤٣] . قال الحسن : « هو المنافق لا يهوى شيئا إلا ركبته » ^(٧) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ [سورة القصص : ٥٠] . وقال عمر بن عبد العزيز : « لا تكن ممن يتبع ^(٨) الحق إذا وافق هواه ، ويخالفه إذا خالف هواه ، فإذا أنت لا تثاب ^(٩) على ما اتبعته من الحق ، وتُعاقب على ما خالفته » . وهو كما قال رضى الله عنه ، لأنه فى الموضعين إنما قصد اتباع هواه ، لم ^(١٠) يعمل لله .

(١) ك : أثر ، وهو تحريف .

(٢) ز : الباب ، وهو تحريف .

(٣) ز ، ك : عن . والمثبت من (ض) .

(٤) أنهم : ساقطة من (ز) .

(٥) ز : لا أمر الله .

(٦) ك : ولا يتركون وينهون عما يكرهون إلا بهوهم .

(٧) قال السيوطى فى « الدر المنثور » ٧٢/٥ : « وأخرج ابن أبى شيبه وابن المنذر وابن أبى حاتم عن الحسن : (أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) قال : لا يهوى شيئا إلا اتبعه . وأخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم عن قتادة : (أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) قال : كلما هوى شيئا ركبته » . وفى تفسير القرطبى للآية : « وعن الحسن : لا يهوى شيئا إلا اتبعه » . وفى « زاد المسير » : « وقال قتادة : هو الكافر لا يهوى شيئا إلا ركبته » . وأورد ابن الجوزى فى كتابه « ذم الهوى » (ص ١٧) ، بتحقيق الشيخ محمد الغزالى ، القاهرة ١٩٦٢/١٣٨١ قول الحسن كما أورده ابن تيمية هنا وذكر ابن الجوزى سنده إليه .

(٨) ز : اتبع .

(٩) ز : لا تثاب لك ، وهو تحريف .

(١٠) ز : ولم .

ألا ترى أن أبا طالب نصر النبي ﷺ وذبَّ عنه أكثر من غيره ، لكن فَعَلَ ذلك لأجل القرابة لا لأجل الله تعالى ^(١) ، فلم يتقبل الله ذلك منه ولم يُشبهه ^(٢) على ذلك ؟ وأبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، أعانه بنفسه وماله لله ، فقال الله تعالى ^(٣) : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى . الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى . وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ [سورة الليل : ١٧ - ٢١]

ظ ١٥

والقسم الثالث : الذى يريد تارة إرادةً يحبها الله ، وتارة إرادةً يبغضها [الله] ^(٤) ، وهؤلاء أكثر المسلمين ^(٥) : فإنهم يطيعون الله تارة ويريدون ما أحبه ، ويعصونه تارة فيريدون ^(٦) ما يهونونه وإن كان يكرهه .

والقسم الرابع : أن يخلو عن الإرادتين ، فلا يريد الله ولا لهواه ، وهذا يقع لكثير من الناس فى بعض الأشياء ، ويقع لكثير من الزهاد والنسك فى كثير من الأمور .

وأما خلو الإنسان ^(٧) من ^(٨) الإرادة مطلقا فممتنع ، فإنه مفطور على إرادة ما لا بد له منه ، وعلى كراهة ما يضره ويؤذيه . والزاهد الناسك إذا كان مسلما

(١) ز : لا لأجل القرابة لله تعالى ، وهو تحريف .

(٢) ز : ولم يشبهه ، وهو خطأ .

(٣) م : فقال الله ؛ ك : فقال الله فيه .

(٤) الله : ليست فى (ز) .

(٥) ز ، ك : أئمة المسلمين .

(٦) ز ، ض : ويريدون .

(٧) ك : وأما ما خلق فى الإنسان ، وهو تحريف .

(٨) ض : عن .

فلا بد أن يريد أشياء يحبها الله ، مثل أداء الفرائض وترك المحارم ، بل وكذلك عموم المؤمنين لابد أن يريد أحدهم أشياء يحبها الله ، وإلا فمن لم يحب الله ^(١) ولا أحب شيئاً لله ، فلم يحب شيئاً من الطاعات : لا الشهادتين ولا غيرهما ، ولا يريد ذلك ، فإنه لا يكون مؤمناً .

فلا بد لكل مؤمن من أن تكون له إرادة لبعض ما يحبه الله . وأما إرادة العبد لما يهواه / ولا يحبه الله ، فهذا لازم لكل من عصى الله ، فإنه أراد المعصية والله لا يحبها ولا يرضاها .

وأما الخلو عن الإرادتين المحمودة والمذمومة ، فيقع على وجهين : أحدهما : مع إعراض العبد عن عبادة الله وطاعته وإن علم بها ، فإنه قد يعلم كثيراً من الأمور أنه مأمور بها وهو لا يريدتها ولا يكره من غيره فعلها . وإذا اقتتل المسلمون والكفار لم يكن مريداً لانتصار هؤلاء الذى يحبه الله ، ولا لانتصار هؤلاء الذى ييغضه الله .

والوجه الثانى : يقع من كثير من الزُّهَّاد العُبَّاد ^(٢) : الممثلين لما يعلمون أن الله أمر به ، المجتنبين لما يعلمون أن الله نهى عنه . وأمور أخرى لا يعلمون أنها مأمور بها ولا منهى عنها ، فلا يريدونها ولا يكرهونها لعدم العلم ^(٣) ، ويرضون بها من جهة كونها مخلوقة مقدرة ، وقد يعاونون عليها ، ويرؤن هذا موافقة لله ، وأنهم لما خلوا عن هوى النفس كانوا مأمورين بالرضا بكل حادث بل والمعاناة عليه .

(١) ز : الله .

(٢) تكررت كلمة « العباد » فى (ز) ، وهو تحريف .

(٣) ك : لعدم العلم بها .

وهذا موضع يقع فيه الغلط ، فإن ما أحبه الله ورسوله علينا أن نحب ما أحبه الله ورسوله ، ونبغض ما يبغضه الله ورسوله ، وأما ما لا يحبه الله ورسوله ولا يبغضه الله ورسوله ، كالأفعال التي لا تكليف / فيها ، مثل أفعال النائم والمجنون ، فهذه إذا كان الله لا يحبها ولا يرضاها ولا يكرهها ويذمها ، فالمؤمن أيضا لا ينبغي أن يحبها ويرضاها ولا يكرهها .

ظ ١٦

وأما كونها مقدورة ومخلوقة لله فذاك لا يختص بها ، بل هو شامل لجميع المخلوقات . والله تعالى خلق ما خلقه لما شاء من حكمته ، وقد أحسن كل شيء خلقه .

المؤمن والقدر

والرضا بالقضاء ثلاثة أقسام .

أحدها : الرضا بالطاعات ، فهذا طاعة مأمور بها .

والثاني : الرضا بالمصائب ، فهذا مأمور بها : إما مستحب وإما واجب .

والثالث : الكفر والفسوق والعصيان ، فهذا لا يؤمر بالرضا به ^(١) ، بل يؤمر ببغضه وسخطه ، فإن الله لا يحبه ولا يرضاه . كما قال تعالى : ﴿ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [سورة النساء : ١٠٨] ، وقال : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٠٥] ، وقال : ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ [سورة الزمر : ٧] ، وقال : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ٣٢] ، وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٨٧] ^(٢) ^(٣) وقال : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٦٤] ^(٣) .

(١) ز : لا يؤمر به بالرضا به ، وهو تحريف .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ز) . وفي (ك) ، (ض) : إن الله لا يحب الكافرين .

(٣ - ٣) : هذه العبارات ليست في (م) ، (ض) .

وهو ، وإن خلقه لما له في ذلك من الحكمة ، فلا يمتنع أن يخلق ما لا يحبه لإفضائه إلى الحكمة التي يحبها ، كما خلق الشياطين . فنحن راضون عن الله بأن يخلق ما يشاء ، وهو محمود على ذلك .

وأما نفس هذا الفعل المذموم وفاعله ، فلا نرضى به ولا / نحمده ^(١) ، وص ١٧ فرق بين ما يُحِبُّ لنفسه وما يُراد لإفضائه إلى المحبوب مع كونه مبغضا ^(٢) من جهة أخرى ، فإن الأمر الواحد يراد من وجه ^(٣) ويكره من وجه آخر ، كالمرضى الذي يتناول الدواء الكريه ؛ فإنه يبغض الدواء ويكرهه ، وهو مع هذا يريد استعماله لإفضائه إلى المحبوب ، لا لأنه في نفسه محبوب .

وفي الحديث الصحيح : « يقول الله تعالى ^(٤) : ما ^(٥) ترددت عن شيء أنا فاعله كتترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن : يكره الموت ، وأكره مساءته ، ولا بد له منه » ^(٦) . فهو سبحانه لما كره مساءة عبده المؤمن الذى يكره الموت ، كان هذا مقتضيا أن يكره إماتته ، مع أنه يريد إماتته لما له في ذلك من الحكمة سبحانه وتعالى .

فالأمر الذى يبغضها الله وينهى عنها [لا تُحب ولا تُرضى] ^(٧) لكن

(١) ز : فلا يرضى به ولا يحمله .

(٢) ك : مبغضا .

(٣) ز : جهة .

(٤) تعالى : ساقطة من (ز) .

(٥) ز ، ض : وما .

(٦) هذا جزء من الحديث القدسي عن أنى هريرة وعائشة رضى الله عنهما وأوله : إن الله قال : من عادى لى ولينا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل ... وسبق الكلام على الحديث فى هذا الجزء (ص ٢٦ - ٢٧) .

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ز) ، (ك) ، وأثبتته من (م) ، (ض) .

نرضى^(١) بما يرضى الله به حيث خلقها ، لما له في ذلك من الحكمة ، فكذلك الأفعال التي لا يحبها ولا ييغضها لا ينبغي أن تُحب ولا تُرضى^(٢) كما لا ينبغي أن تُبغض .

[والرضا الثابت بالنص هو أن يرضى بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً . وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « من رضى بالله رباً ، وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، كان حقاً على الله أن يرضيه »^(٣)]^(٤) .

وأما بالنسبة إلى القدر فيرضى عن الله ، إذ له الحمد على كل حال ، ويرضى بما يرضاه من الحكمة التي خلق لأجلها ما خلق ، وإن كنا نبغض ما ييغضه من المخلوقات ، فحيث انتفى الأمر الشرعى / أو خفى الأمر الشرعى لا يكون الامتثال والرضا والمحبة ، كما يكون في الأمر الشرعى ، وإن كان ذلك مقدوراً .

ظ ١٧

وهذا موضع غلط فيه كثير من خاصة السالكين وشيوخهم ، فضلاً عن عامتهم ، ويتفاوتون في ذلك بحسب معرفتهم بالأمر الشرعى وطاعتهم له ،

(١) ز ، ك : يرضى .

(٢) عبارة « ولا ترضى » ليست في (ك) ، (م) .

(٣) لم أجد حديثاً بهذه الألفاظ ولكن ذكر السيوطي في « الجامع الكبير » ٧٨٠/١ حديثاً عن أبي سعيد الخدري نصه : « من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً وجبت له الجنة ، وأخرى يرفع الله بها أهلها في الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أو أبعد ما بين السماء والأرض : الجهاد في سبيل الله » وقال السيوطي : « حب = ابن حبان ، ك = الحاكم في المستدرک : عب = عبد الرازق) . وأشار إلى هذا الحديث عبد الغنى النابلسي في « ذخائر المواريث » ١٨٢/٣ ، وقال إنه في (م) = مسلم في الجهاد عن سعيد بن منصور ، (د) = سنن أبي داود : في الصلاة عن محمد بن رافع ، (س) = سنن النسائي في الجهاد عن الحارث بن مسكين . ولم أجد الحديث في مسلم وسنن أبي داود ، ولكنني وجدته بألفاظ مقاربة عن الحارث بن مسكين في : سنن النسائي ١٧/٦ - ١٨ (كتاب الجهاد ، باب درجة المجاهد في سبيل الله عز وجل) .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ز) فقط .

فمنهم من هو أعرف ^(١) من غيره بالأمر الشرعى وأطوع له ، فهذا يكون حاله أحسن ممن نقص ^(٢) عنه فى المعرفة بالأمر الشرعى والطاعة له ، ومنهم من يبعد عن الأمر الشرعى ويستترسل حتى ينسلخ من الإسلام بالكلية ، ويبقى واقفا مع هواه والقدر .

ومن هؤلاء من يموت كافراً ، ومنهم من يتوب الله عليه ، ومنهم من يموت فاسقاً ، ومنهم من يتوب الله عليه . وهؤلاء ينظرون إلى الحقيقة القدرية معرضين عن الأمر الشرعى ، ولا بد مع ذلك من اتباع أمر ونهى غير الأمر الشرعى ، إما من أنفسهم وإما من غير الله ورسوله ، إذ الاسترسال مع القدر مطلقاً ممتنع لذاته ، لما تقدم من أن العبد مفطور على محبة أشياء وبغض أشياء .

وقول من قال : « إن العبد يكون مع الله كالميت مع الغاسل » لا يصح ولا يسوغ على الإطلاق عند ^(٣) أحد من المسلمين ، وإنما يقال ذلك فى بعض المواضع ، ومع [هذا فإنما] ^(٤) ذلك لخفاء أمر الله عليه ، / وإلا فإذا علم ما أمر الله به وأحبه ، فلا بد أن يحب ما أحبه الله ، ويبغض ما أبغضه الله ^(٥) .

فصل

وكما أن الطريقة العلمية بصحة النظر من الأدلة والأسباب الموجبة للعلم ، كتدبر القرآن والحديث ، فالطريقة العملية بصحة الإرادة والأسباب

(١) ك : فمن هو أعرف ، وهو تحريف .

(٢) ك ، ض : يقصر .

(٣) ض : عن .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ز) .

(٥) لفظ الجلالة ليس فى (ض) فى هذا الموضع .

[هـ] ^(١) الموجبة للعمل ، [كعمارة الباطن بالمراقبة ، والخوف من الله على كل حال] ^(٢) ولهذا يسمُّون السالك في ذلك : المريد ، كما يسميه أولئك : الطالب .

والنظر جنس تحته حق وباطل ومحمود ومذموم ، وكذلك الإرادة . فكما أن طريق العلم لابد فيه من العلم النبوى الشرعى ، بحيث يكون معلومك المعلومات الدينية النبوية ، ويكون علمك بها مطابقا لما أخبرت به الرسل ، وإلا فلا ينفعك أى معلوم علمته ، ولا أى شئ اعتقدته فيما ^(٣) أخبرت به الرسل ، بل لابد من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فكذلك الإرادة لابد فيها من تعيين المراد ^(٤) وهو الله والطريق إليه ، وهو ما أمرت به الرسل ، فلا بد أن تعبد الله وتكون عبادتك إياه بما شرع على السنة رسله ، إذ لابد من تصديق الرسول فيما أخبر علما ، ولابد من طاعته فيما أمر عملا .

ولهذا كان الإيمان قولاً وعملاً مع موافقة السنة ، فالعلم الحق ما وافق علم الله ، والإرادة / الصالحة ما وافقت محبة الله ورضاه ، وهو حكمه الشرعى ، والله عليم حكيم .

ظ ١٨

فالأمر الخبرية لابد أن تطابق حب الله وأمره . فهذا حكمه ، وذاك علمه .

وأما من جعل حكمه مجرد القدر ، كما فعل صاحب « منازل السائرين » وجعل مشاهدة العارف الحكم يمنعه ^(٥) أن يستحسن [حسنة] ^(٦) أو يستقبح

(١) هـ : زيادة فى (ض) فقط .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة فى (ك) فقط .

(٣) ز : وفيها ، وهو تحريف .

(٤) ز : تعين على المراد .

(٥) ك : منعه .

(٦) حسنة : ساقطة من (ز) .

سيئة^(١) ، فهذا فيه من الغلط العظيم ما قد نبهنا عليه في غير هذا الموضع .
فلا ينفع المريد القاصد أن يعبد أى معبود كان ، ولا أن يعبد الله بأى عبادة كانت ، بل هذه طريقة المشركين المبتدعين الذين لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، كالنصارى ومن أشبههم من أهل البدع ، الذين يعبدون غير الله بغير أمر الله .

وأما أهل الإسلام والسنة فهم يعبدون الله وحده ، ويعبدونه بما شرع ، لا يعبدونه بالبدع ، إلا ما يقع من أحدهم خطأ . فالسالكون طريق الإرادة قد يغلطون تارة في المراد ، وتارة في الطريق إليه ، تارة يتألهون^(٢) غير الله بالخوف منه والرجاء له ، والتعظيم والمحبة له^(٣) ، وسؤاله والرغبة إليه ، فهذا من الشرك المحرم ، فإن حقيقة التوحيد أن لا تعبد إلا الله .

والعبادة تتضمن كمال الحب ، وكال / التعظيم ، وكال الرجاء ، والخشية ، والجلال ، والإكرام . والفناء في هذا التوحيد هو^(٤) فناء المرسلين وأتباعهم ، وهو أن تفتنى^(٥) بعبادته عن عبادة ما سواه ، وبطاعته عن طاعة ما سواه ، وبسؤاله عن سؤال ما سواه ، وبخوفه عن خوف ما سواه ، وبرجائه^(٦) عن رجاء ما سواه ، وبمحبة والحب فيه عن محبة ما سواه والحب فيه .

(١) ز : سيئته . ويقول الشيخ محمد بن عبد الله الأنصارى الهروى في كتابه « منازل السائرين » ص ١١ (تحقيق دى بوركى الدومنيكى ، ط . المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٦٢) : « واللطيفة الثالثة (من لطائف سرائر التوبة) أن مشاهدة العبد الحكم لم تدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة ، لصعوده من جميع المعانى إلى معنى الحكم » .

(٢) ز : فتألهون ، وهو تحريف ؛ ض : يألهون . والمثبت من (ك) ، (م) .

(٣) له : ساقطة من (ك) .

(٤) هو : ساقطة من (ض) .

(٥) ك : يغنى ، ز ، م : الكلمة غير منقوطة .

(٦) ز : وبرجاه .

وأما الغالطون في الطريق فقد يريدون الله ، لكن لا يتبعون الأمر الشرعى في إرادته ، لكن تارة يعبدونه أحدهم بما يظنه يرضيه ولا يكون كذلك ، وتارة ينظرون إلى (١) القدر لكونه مراده ، فيفنون في القدر الذى ليس لهم فيه غرض ، وأما الفناء المطلق فيه فممتنع . وهؤلاء يبقى (٢) أحدهم متبعا لذوقه ووجدته المخالف للأمر الشرعى ، أو ناظرا إلى القدر ، وهذا يبتلى به كثير من خواصهم .

والشيخ عبد القادر ونحوه من أعظم مشايخ (٣) زمانهم ، أمر (٤) بالتزام الشرع : الأمر (٥) والنهى ، وتقديمه على الذوق والقدر ، ومن أعظم المشايخ أمرا بترك الهوى والإرادة النفسية ، فإن الخطأ في الإرادة من حيث هى إرادة ، إنما يقع من هذه الجهة .

فهو يأمر / السالك أن لا تكون له إرادة من جهة هواه أصلا ، بل يريد ما يريد الرب عز وجل : إما إرادة شرعية إن تبين له ذلك ، وإلا جرى (٦) مع الإرادة القدريّة ، فهو إما مع أمر الرب ، وإما مع خلقه ، وهو سبحانه له الخلق والأمر .

ظ ١٩

وهذه طريقة شريفة صحيحة ، إنما يُخاف على صاحبها من ترك إرادة شرعية لا يعلم أنها شرعية ، أو من تقديم إرادة قدرية على (٧) الشرعية ، فإنه إذا لم

(١) إلى : ساقطة من (ض) .

(٢) ض : يفتى .

(٣) ض : مشايخ .

(٤) ك : أمر ؛ ض : أمرا . والمثبت من (م) ، (ز) .

(٥) ض (فقط) : والأمر .

(٦) ز : والأخرى ؛ ض : والاجرى .

(٧) على : ساقطة من (ك) .

يعلم الشرعية فقد يتركها ، وقد يريد ضدها ، فيكون ترك مأموراً أو فعل محظوراً وهو لا يعلم .

فإن طريق الإرادة يُخاف على صاحبها من ضعف العمل ، وما يقترن بالعلم من العمل والوقوع في الضلال ، كما أن طريقة العلم يُخاف على صاحبها من ضعف العمل ، وضعف العلم الذي يقترن بالعمل .

لكن لا يكلف الله نفساً إلا وسعها [من هذا وهذا] ^(١) . قال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [سورة التغابن : ١٦] ^(٢) فإذا تفقه السالك وتعلم الأمر والنهي بحسب اجتهاده ، وكان عمله ^(٣) وإرادته بحسب ذاك ، فهذا مستطاعه . وإذا أدى الطالب ما أمر به وترك ما نُهي عنه ، وكان علمه مطابقاً لعمله ، فهذا مستطاعه .

فصل

قال الشيخ عبد القادر ^(٤) / : « افن عن الخلق بحكم الله ^(٥) ، وعن هواك بأمره ^(٦) ، وعن إرادتك بفعله ^(٧) ، فحينئذ ^(٨) تصلح أن تكون وعاءً لعلم الله تعالى » ^(٩) .

ص ٢٠
أمر الجليلاني بالفناء
عن الخلق والهوى
والإرادة

(١) عبارة « من هذا وهذا » : ساقطة من (ز) ، (ك) .

(٢) بعد آية سورة التغابن توجد في (ك) فقط هذه العبارات : « وقال ﷺ : وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم » .

(٣) ض (فقط) : علمه ، وهو تحريف .

(٤) ز ، ض : الشيخ قدس الله روحه . والكلام التالي في « فتوح الغيب » ص ١٢ وهو في المقالة السادسة : في الفناء عن الخلق .

(٥) فتوح الغيب : عن الخلق بإذن الله تعالى .

(٦) فتوح الغيب : بأمر الله تعالى ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين .

(٧) فتوح الغيب : بفعل الله تعالى .

(٨) فتوح الغيب : وحينئذ .

(٩) تعالى : ليست في (ك) ، (ض) ، (م) . وهى في (ز) ، فتوح الغيب .

تعليق ابن تيمية

قلت : فحكمه يتناول خلقه وأمره ، أى : افن عن عبادة الخلق والتوكل عليهم بعبادة الله والتوكل عليه ، فلا تطعهم فى معصية الله ، ولا تتعلق بهم فى جلب منفعة ولا دفع مضرة .

وأما الفناء عن الهوى بالأمر وعن الإرادة بالفعل ، بأن يكون فعله موافقا للأمر الشرعى لا لهواه ، وأن تكون إرادته لما يخلق تابعة لفعل الله لا لإرادة نفسه ، فالإرادة تارة تتعلق بفعل نفسه وتارة بالخلقوات .

فالأول يكون بالأمر ، والثانى لا تكون ^(١) له إرادة . ولابد فى هذا أن يقيد بأن لا تكون له إرادة لم يؤمر بها ، وإلا فإذا أمر بأن يريد من المقدورات شيئا دون شئ ، فليد ما أمر بإرادته ، سواء كان موافقا للقدر أم لا .

وهذا الموضع قد يغلط فيه طائفة من السالكين ، والغالب على الصادقين منهم أنهم لم يعرفوا الإرادة الشرعية فى ذلك المعين ، وهم ليس لهم إرادة نفسانية ، فتركوا إرادتهم لغير المقدور .

قال الشيخ ^(٢) : « فعلامة فنائك / عن خلق الله ^(٣) انقطاعك عنهم ، وعن التردد إليهم ، واليأس مما فى أيديهم » .

ظ ٢٠

كلام الجيلاى عن
علامات الفناء

وهو كما قال . فإذا كان القلب لا يرجوهم ولا يخافهم ، لم يتردد إليهم الطلب شئ منهم ، وهذا يشتبه بما يكون مأمورا به من المشى إليهم لأمرهم بما أمر الله به ، ونهيهم عن ما نهاهم الله عنه ، كذهاب الرسل وأتباع الرسل إلى من يبلغونه رسالات الله ، فإن التوكل إنما يصح مع القيام بما أمر به العبد ، ليكون عابداً لله

تعليق ابن تيمية

(١) ك ، ز : لا يكون .

(٢) بعد الكلام السابق مباشرة فى « فتوح الغيب » ص ١٢ .

(٣) فتوح الغيب : الله تعالى .

متوكلا عليه ، وإلا فمن توكل عليه ولم يفعل ما أمر به ، فقد يكون ما أضاعه من الأمر أولى به مما قام به من التوكل ، أو مثله أو دونه ، كما أن من قام بأمر ولم يتوكل عليه ولم يستعن به فلم يقم بالواجب ، بل قد يكون ما تركه من التوكل والإستعانة أولى به مما فعله من الأمر أو مثله أو دونه .

قال الشيخ ^(١) : « علامة فنائك عنك وعن هواك ^(٢) ، ترك التكسب تابع كلام الجيلاني والتعلق بالسبب ^(٣) في جلب النفع ودفع الضر ، فلا تتحرك ^(٤) فيك بك ^(٥) ، ولا تعتمد ^(٦) عليك لك ، ولا تنصر ^(٧) نفسك ولا تذب عنك ^(٨) ، لكن تكل ذلك ^(٩) كله إلى من تولاه أولاً فيتولاه آخرًا ^(١٠) ، كما كان ذلك موكولا إليه في حالك كونك مغيبا في الرحم ، / وكونك رضيعا طفلا في مهدك » .

ص ٢١

قلت : وهذا لأن النفس تهوى وجود ما تحبه وينفعها ، ودفع ما تبغضه ^(١١) وتبغضها ، فإذا فني عن ذاك بالأمر فعل ما يحبه الله وترك ما يبغضه ، فاعتاض بفعل

تعليق ابن تيمية

(١) الشيخ : ليست في (ك) . والكلام التالي بعد الكلام السابق مباشرة في « فتوح الغيب »

ص ١٣ .

(٢) فتوح الغيب : فنائك عن هواك ...

(٣) ز : بالسبب .

(٤) ز : يتحول .

(٥) فتوح الغيب : فلا تحرك فيك ...

(٦) ز : يعتمد ؛ فتوح الغيب : تعتمد .

(٧) ز : ينصر .

(٨) فتوح الغيب : ... عليك لك ، ولا تذب عنك ، ولا تنفر (كذا) نفسك ...

(٩) ذلك : ساقطة من (ك) .

(١٠) فتوح الغيب : ولا تنفر نفسك تكل ذلك كله إلى الله تعالى لأنه تولاه أولاً فيتولاه آخرًا .

(١١) ز : يبغضها ، وهو تحريف .

محبوب الله عن محبوه ، ويترك ما يبغضه الله ^(١) عما أبغضه . وحينئذ فالنفس لا بد لها من جلب المنفعة ودفع المضرة ، فيكون في ذلك متوكلا على الله .

والشيخ رحمه الله ذكر هنا التوكل دون الطاعة ، لأن النفس لا بد لها من جلب المنفعة ودفع المضرة ، فإن [لم تكن متوكلة على الله في ذلك واثقة به] ^(٢) لم يمكن أن تنصرف ^(٣) عن ذلك فتمثل ^(٤) الأمر مطلقا ، بل لا بد أن تعصى ^(٥) الأمر في جلب المنفعة ودفع المضرة ، فلا تصح العبادة [لله] ^(٦) وطاعة أمره بدون التوكل عليه ، كما أن التوكل عليه لا يصح بدون عبادته وطاعته .

قال تعالى : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [سورة هود : ١٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [سورة الطلاق : ٢ ، ٣] ^(٧) ، وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا . رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [سورة

المزمل : ٨ ، ٩] .

والمقصود أن امتثال / الأمر على الإطلاق لا يصح بدون التوكل والاستعانة ، ومن كان واثقا بالله أن يجلب له ما ينفعه ويدفع عنه ما يضره ،

ظ ٢١

(١) ز : ما أبغضها الله ، وهو تحريف .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ز) .

(٣) ز : ينصرف .

(٤) ك : فيمثل ؛ ز : فتمثل .

(٥) ز ، ك : يعصى .

(٦) لله : ساقطة من (ز) .

(٧) في (ك) لم يرد إلا قوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) .

أمكن أن يدع هواه ويطيع أمر [مولاه] ^(١) ، وإلا فنفسه لا تدعه يترك ^(٢) ما يقول إنه محتاج فيه إلى غيره .

كلام آخر للجيلاني
عن علامة فناء
إرادة العبد

قال الشيخ ^(٣) : « علامة فناء إرادتك بفعل الله ^(٤) أنك لا تريد مراداً قط ، فلا يكون لك غرض ^(٥) ، ولا تقف لك حاجة ولا مرام ^(٦) ، لأنك ^(٧) لا تريد مع إرادة الله سواها ، بل يجرى فعله ^(٨) فيك ، فتكون أنت إرادة الله تعالى وفعله ^(٩) ، ساكن الجوارح ، مطمئن الجنان ، مشروح ^(١٠) الصدر ، منور الوجه ، عامر الباطن ^(١١) ، غنياً عن الأشياء بخالقها ، تقلّبك يد القدرة ، ويدعوك لسان الأزل ، ويعلمك رب الملل ^(١٢) ، ويكسوك نوراً ^(١٣) منه والحلل ، وينزلك منازل من سلف ^(١٤) من أولي العلم الأول ، فتكون منكسراً أبداً ، فلا

(١) ض ، ز ، م : أمره . والمثبت من (ك) .

(٢) ض : لا تدعه أن يترك .

(٣) ز ، ض : الشيخ رضى الله عنه . والكلام التالى فى « فتوح الغيب » بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ١٣ .

(٤) فتوح الغيب : علامة فنائك عن إرادتك بفعل الله ...

(٥) فتوح الغيب : ولا يكون لك غرض ؛ ز ، ك : فلا يكسر لك غرض ، وهو تحريف . والمثبت

من (م) ، (ض) .

(٦) ك : ولا تقف له حاجة ولا مرام ؛ فتوح الغيب : ولا يبقى لك حاجة ولا مرام .

(٧) فتوح الغيب : فإنك

(٨) فتوح الغيب : فعل الله ...

(٩) فتوح الغيب : فتكون أنت عند إرادة الله وفعله ...

(١٠) فتوح الغيب : منشرح ...

(١١) الباطن : كذا فى (م) ، (ز) ، (ض) . وفى (ك) ، فتوح الغيب : البطن .

(١٢) ك ، ز ، ض : الملك . والمثبت من (م) ، فتوح الغيب .

(١٣) فتوح الغيب : أنواراً .

(١٤) فتوح الغيب : وينزلك من أولى العلم الأول ، وسقطت عبارة « منازل من سلف » ، وفى

(ك) : من أول ، وهو تحريف .

تثبت فيك شهوة ولا إرادة ^(١) ، كالإناء المنثلم الذى لا يثبت فيه مائع ولا كدر ^(٢) ، فتنبو ^(٣) عن أخلاق البشرية فلن يقبل باطنك شيئا ^(٤) غير إرادة الله تعالى ^(٥) ، فحينئذ يضاف إليك التكوين وخرق العادات ، فيرى ذلك منك فى ظاهر الفعل والحكم ^(٦) وهو فعل الله / تبارك وتعالى ^(٧) حقا فى العلم ، فتدخل حينئذ فى زمرة المنكسرة قلوبهم الذين كسرت إرادتهم البشرية ، وأزيلت شهواتهم الطبيعية ، واستؤنفت ^(٨) لهم إرادات ^(٩) ربانية وشهوات إضافية ^(١٠) . كما قال النبى ﷺ : حُببَ إِلَيَّ من دنيائكم ثلاث : النساء والطيب ^(١١) وجعلت قرّة عينى فى الصلاة ^(١٢) : فأضيف ذلك إليه ^(١٣) بعد أن خرج منه وزال عنه ، تحقيقا لما

ص ٢٢

(١) فتوح الغيب : فلا يثبت فيك شهوة وإرادة .

(٢) فتوح الغيب : مائع وكدر .

(٣) فتنبو : كذا فى (م) . وفى (ك) ، (ز) : فتنبوا . وفى (ض) : فتنفوا . وفى « فتوح

الغيب » : فتنقى .

(٤) م ، ك ، ض : ساكنا . والمثبت من (ز) ، فتوح الغيب .

(٥) فتوح الغيب : الله عز وجل .

(٦) ز : فى ظاهر العقل والحلم ؛ م ، ك ، ض : فى ظاهر العقل والحكم . والمثبت من « فتوح

الغيب » ص ١٤ .

(٧) تبارك وتعالى : ليست فى « فتوح الغيب » .

(٨) ز ، ك ، ض : واستؤنفت . وفى (م) الكلمة غير منقوطة ، وفى « فتوح الغيب » :

فاستؤنفت .

(٩) فتوح الغيب : إرادة .

(١٠) عبارة « شهوات إضافية » : ساقطة من « فتوح الغيب » وفى (ك) كتبت عبارة

« شهوات إضافية » فى الأصل ، وأشير إلى الهامش حيث كتب تصحيح « وظيفية » بدلا من « إضافية » .

(١١) فتوح الغيب : الطيب والنساء .

(١٢) قال السخاوى فى « المقاصد الحسنة » ص ١٨٠ : « ... وأما ما استقر فى هذا الحديث من

زيادة « ثلاث » فلم أقف عليها إلا فى موضعين من « الإحياء » ، وفى تفسير آل عمران من الكشف ، وما

رأيتها فى شيء من طرق هذا الحديث بعد مزيد التفتيش . وبذلك صرح الزركشى فقال : إنه لم يرد فيه لفظ

« ثلاث » . قال : وزيادته محيلة للمعنى ، فإن الصلاة ليست من الدنيا » ثم قال السخاوى (ص ١٨١) = :

أشرت إليه ^(١) وتقدم ^(٢) . قال الله ^(٣) : أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى « وساق كلامه ، وفيه قوله : لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل الحديث .

قلت : هذا المقام هو آخر ما يشير إليه الشيخ عبد القادر ^(٤) . وحقيقته تعليق ابن تيمية أنه لا يريد كون شيء إلا أن يكون مأموراً بإرادته ، فقوله : « علامة فناء إرادتك بفعل الله أنك لا تريد مراداً قط » أى : لا تريد مراداً لم تؤمر بإرادته ، فأما ما أمرك الله ورسوله بإرادتك إياه ، فأرادته إما واجب وإما مستحب ، وترك إرادة هذا إما معصية وإما نقص .

وهذا الموضع يلتبس على كثير من السالكين ، فيظنون أن الطريقة الكاملة

= « وقال في تخريج الكشف (أى الحافظ العراق) : إن لفظ « الثلاث » لم يقع في شيء من طرقه وزيادته تفسد المعنى » . وضعف الدكتور محمد الصباغ الحديث في تعليقه على كتاب « الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة » للا على القارى (ط . بيروت ، ١٣٩١ / ١٩٧١) ص ١٧٧ .

والحديث الصحيح عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ هو : « حُبَّ إلَى من دنياكم : النساء والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة » . وهو في « صحيح الجامع الصغير » وقال عنه السيوطى : « حم = أحمد في مسنده ، ن = النسائى ، ك : الحاكم في المستدرک ، هق = البيهقى في السنن » عن أنس « وصححه الألبانى وأشار إلى « تخريج المشكاة ٥٢٦١ » . وفي تعليقه على « مشكاة المصابيح » للتريزى ٦٦٩/٢ (ط . المكتب الإسلامى ، دمشق ١٣٨١ / ١٩٦١) قال الشيخ الألبانى : « وقد اشتهرت على الألسنة زيادة أخرى وهى « ثلاث » ولا أصل لها في شيء من طرق الحديث ، بل هى مفسدة للمعنى كما لا يخفى » .

والحديث عن أنس رضى الله عنه فى : سنن النسائى ٥٨/٧ ، ٦٠ (كتاب عشرة النساء ، باب حب النساء) وأوله : « حُبَّ إلَى من الدنيا ... الحديث . وهو عن أنس فى المسند (ط . الحلبي) ١٢٨/٣ ، ٢٨٥ ، ١٩٩ .

(١) إليه : ساقطة من « فتوح الغيب » . وفى (ك) : إليه ﷺ .

(٢) فتوح الغيب : بما أشرنا وتقدم .

(٣) فتوح الغيب : الله تعالى .

(٤) ض : عبد القادر رضى الله عنه .

أن لا يكون للعبد إرادة أصلاً ، وأن قول أبن يزيد ^(١) : « أريد أن / لا أريد » ^(٢) لما قيل له : « ماذا تريد ؟ » نقص وتناقض ، لأنه قد أراد ، ويحملون كلام المشايخ الذين يُمدحون بترك الإرادة على ترك الإرادة مطلقاً .

وهذا غلط منهم على الشيوخ المستقيمين ، وإن كان من الشيوخ من يأمر بترك الإرادة مطلقاً ، فإن هذا غلط ممن قاله ، فإن ذلك ليس بمقدور ولا مأمور .

فإن الحى لابد له من إرادة ، فلا يكون حى [من الناس] إلا أن تكون له إرادة ^(٣) . وأما الأمر ^(٤) فإن الإرادة التى يحبها الله ورسوله ، ويأمر بها أمر إيجاب أو أمر استحباب ، لا يدعها إلا كافر أو فاسق أو عاصي إن كانت واجبة ، وإن كانت مستحبة كان تاركها تاركاً لما هو خير له .

(١) ز : أبو يزيد ، وهو خطأ . والأرجح أن ابن تيمية يقصد أبا يزيد البسطامى . وهو : أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى . ويقال : بايزيد ، صوفى شهير له شطحات كثيرة . يقول الزركلى : « وفى المستشرقين من يرى أنه كان يقول بوحدة الوجود ، وأنه كان أول قاتل بمذهب الفناء Nirvana ، ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية » . ولد سنة ١٨٨ وتوفى سنة ٢٦١ . انظر ترجمته ومذهبه فى : طبقات الصوفية ، ص ٦٧ - ٧٤ ؛ الطبقات الكبرى ١/٦٥ - ٦٦ ؛ صفة الصفوة ٤/٨٩ - ٩٤ ؛ شذرات الذهب ٢/١٤٣ - ١٤٤ ؛ ميزان الاعتدال ٢/٣٤٦ - ٣٤٧ ؛ الأعلام ٣/٣٣٩ ؛ الرسالة القشيرية ١/٨٠ - ٨٢ ؛ حلية الأولياء ١٠/٣٣ - ٤٢ . وقد ألف الدكتور عبد الرحمن بدوى الجزء الأول من كتابه « شطحات الصوفية » (ط . النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٩) وفيه نصوص مطولة من شطحات البسطامى .

(٢) ذكر هذه العبارة الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتابه « شطحات الصوفية » (نقل عن كتاب : النور من كلمات أبن طيفور) ص ١١٥ من نص جاء فى أوله : « قال : سمعت أبا موسى يقول : سمعت أبا يزيد يقول : قطعت المفاوز ... وفيه : ... قال : ما تريد ؟ قال : أريد أن لا أريد . قال : قد أعطيتك » .

(٣) ز : فلا يكون حياً لا تكون له إرادة ؛ ض : فلا يمكن حياً أن لا تكون له إرادة ؛ ك : فلا يكون حى من الناس إلا تكون له إرادة . وهذه العبارات غير واضحة فى مصورة (م) . ولعل ما أثبتته يستقيم به الكلام .

(٤) عبارة « وأما الأمر » : ساقطة من (ض) .

والله تعالى قد وصف الأنبياء والصدّيقين بهذه الإرادة ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [سورة الأنعام : ٥٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ [سورة الليل : ١٩ ، ٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً ﴾ [سورة الإنسان : ٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالْذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً ﴾ [سورة الأحزاب : ٢٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً ﴾ [سورة الإسراء : ١٩] ، وقال تعالى : ﴿ فَاعْبُدْ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴾ [سورة الزمر : ٢] ، وقال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي ﴾ [سورة الزمر : ١٤] وقال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ [سورة النساء : ٣٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات : ٥٦] .

ولا عبادة إلا بإرادة الله ولما أمر به ^(١) وقال تعالى ^(٢) ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [سورة البقرة : ١١٢] أى أخلص قصده لله . وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [سورة البينة : ٥] وإخلاص الدين له هو إرادته وحده بالعبادة .

وقال تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [سورة المائدة : ٥٤] ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ١٦٥] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [سورة آل عمران : ٣١] . وكل محب فهو مريد .

(١) ز : ولما يأمر به .

(٢) تعالى : ساقطة من (ك) .

وقال الخليل عليه السلام : ﴿ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٦] ثم قال : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٩] .

ومثل هذا كثير في القرآن ، يأمر الله بإرادته وإرادة ما يأمر به ، وينهى عن إرادة غيره ، وإرادة ما نهى عنه . وقد قال النبي ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ^(١) » ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة / يتزوجها ^(٢) فهجرته إلى ما هاجر إليه ^(٣) .

ظ ٢٣

فهما إرادتان : إرادة يحبها الله ويرضاها ، وإرادة لا يحبها ^(٤) ولا يرضاها ، بل إما نهى عنها وإما لم يأمر بها ولا ينهى عنها .
والناس في الإرادة ثلاثة أقسام :

قوم يريدون ما يهونونه ، فهؤلاء عبيد أنفسهم والشيطان .

وقوم يزعمون أنهم فرغوا عن الإرادة مطلقا ، ولم يبق لهم مراد إلا ما يقدره الرب ، وأن ^(٥) هذا المقام هو أكمل المقامات . ويزعمون أن من قام بهذا فقد

(١) ك (فقط) : ما نوى ... الحديث .

(٢) ض : ينكحها .

(٣) الحديث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه في : البخارى ٢/١ (كتاب الإيمان ، باب كيف كان بدء الوحي) ؛ مسلم ١٥١٥/٣ - ١٥١٦ (كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات » ؛ سنن النسائي ٥١/١ (كتاب الطهارة ، باب النية في الوضوء) ؛ سنن ابن ماجه ١٤١٣/٢ (كتاب الزهد ، باب النية) .

(٤) ض (فقط) : لا يحبها الله ...

(٥) ك ، ز ، م : أو أن .

قام ^(١) بالحقيقة ، وهى الحقيقة القدريّة الكونية ، وأنه ^(٢) شهد القيومية العامة ، ويجعلون الفناء ^(٣) فى شهود توحيد الربوبية هو الغاية ، وقد يسمون هذا : الجمع ^(٤) والفناء ^(٥) والاصطلام ^(٦) ونحو ذلك ، وكثير من الشيوخ زلقوا فى هذا الموضع .

وفى هذا المقام كان النزاع بين الجنيد بن محمد ^(٧) وبين طائفة من أصحابه الصوفية ، فإنهم اتفقوا على شهود توحيد الربوبية ، وأن الله خالق كل

(١) ز : أقام ، وهو تحريف .

(٢) ز (فقط) : وإن .

(٣) عند عبارة « ويجعلون الفناء » ينتهى الموجود من نسخة (م) ، واعتمد فيما يلى على (ك) ، (ز) ، (ض) فقط إن شاء الله .

(٤) فى كتاب « اصطلاحات الصوفية » لكمال الدين عبد الرزاق القاشانى ص ٤١ (تحقيق د . محمد كمال جعفر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١) : « الجمع : شهود الحق بلا خلق » ، وفى رسالة « اصطلاحات الصوفية » لابن عربى (طبع مع كتاب التعريفات للجرجانى ، ط . مصطفى الحلبى ، ١٩٣٨/١٣٥٧) ص ٢٣٦ يقول : « الجمع : إشارة إلى حق بلا خلق » . أما الجرجانى فيعرف الجمع والتفرقة (كتاب التعريفات ، ص ٦٨) بقوله : « الفرق : ما نسب إليك ، والجمع ما سلب عنك ، ومعناه : أن يكون كسبا للعبد من إقامة وظائف العبودية ، وما يلقى بأحوال البشرية ، فهو فرق ، وما يكون من قبل الحق من إبداء معان وإبتداء لطف وإحسان فهو جمع ، ولا بد للعبد منهما ، فإن من لا تفرقة له لا عبودية له ، ومن لا جمع له لا معرفة له ، فقول العبد : إياك نعبد ، إثبات للتفرقة بإثبات العبودية ، وقوله : وإياك نستعين ، طلب للجمع . فالتفرقة بداية الإرادة ، والجمع نهايتها » .

(٥) يعرف ابن عربى (المرجع السابق ص ٢٣٦) الفناء عند الصوفية بقوله : « الفناء : عدم رؤية العبد لفعله بقيام الله على ذلك » . وأما الجرجانى (السابق ، ص ١٤٨) فيعرفه بقوله : « الفناء سقوط الأوصاف المذمومة ، كما أن البقاء وجود الأوصاف الحمودة . والفناء فناءان : أحدهما ما ذكرنا ، وهو بكثرة الرياضة . والثانى : عدم الإحساس بعالم الملك والملكوت وهو بالاستغراق فى عظمة البارى ومشاهدة الحق . وإليه أشار المشايخ بقولهم : الفقر سواد الوجه فى الدارين ، يعنى : الفناء فى العالمين » .

(٦) يعرفه عبد الرزاق القاشانى (السابق ، ص ٣٠) بقوله : « الاصطلام هو الواله الغالب على القلب ، وهو قريب من الهيمن » وكذلك يعرفه ابن عربى (السابق ، ص ٢٤٠) بقوله : « الاصطلام : نوع وله يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه » .

(٧) أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادى الخزاز ، أصل أبيه من نهاوند وكان يبيع =

شئ^(١) وربه ومليكه ، وهو شهود القدر ، وسموا هذا مقام الجمع . فإنه خرج به
عن الفرق الأول ، وهو الفرق الطبيعي^(٢) بإرادة هذا وكراهة هذا ، ورؤية فعل هذا
وترك هذا ، فإن الإنسان قبل أن يشهد هذا التوحيد يرى للخلق فعلاً يتفرق به
قلبه في / شهود أفعال المخلوقات ، ويكون متبعاً لهواه فيما يريد ، فإذا أراد الحق
ص ٢٤
خرج بإرادته عن إرادة الهوى والطبع ، ثم يشهد^(٣) أنه خالق كل شئ ، فخرج
بشهود هذا الجمع عن ذاك الفرق ، فلما اتفقوا على هذا ذكر لهم الجنيد [بن
محمد]^(٤) الفرق الثاني ، وهو بعد هذا الجمع ، وهو الفرق الشرعي : ألا ترى أنك
تريد ما أمرت به ، ولا تريد ما نُهييت عنه ، وتشهد أن الله هو^(٥) يستحق العبادة
دون ما سواه ، وأن عبادته هي بطاعة رسله ، فتفرق بين المأمور والمحظور وبين
أوليائه وأعدائه ، وتشهد توحيد الألوهية ؟

فنازعه في هذا الفرق : منهم من أنكروه ، ومنهم من لم يفهمه ، ومنهم من
ادّعى أن المتكلم فيه لم يصل إليه . ثم إنك تجد كثيراً من الشيوخ إنما ينتهي^(٦) إلى

= الزجاج ولذلك يقال له القواريري . والجنيد إمام الصوفية ويقال له : سيد الطائفة ، لضبط مذهبه
بقواعد الكتاب والسنة . توفي ببغداد سنة ٢٧٩ وقيل ٢٩٨ . انظر ترجمته وأقواله في : طبقات الصوفية
ص ١٥٥ - ١٦٣ ؛ الطبقات الكبرى ١/٧٢ - ٧٤ ؛ صفة الصفوة ٢/٢٣٥ - ٢٤٠ ؛ وفيات الأعيان
١/٣٢٣ - ٣٢٥ ؛ شذرات الذهب ٢/٢٢٨ - ٢٣٠ ؛ طبقات الشافعية ٢/٢٦٠ - ٢٧٥ ؛ الأعلام
١٣٧/٢ - ١٣٨ ؛ القشيرية ١٠٦/٢ .

(١) ك : فإنه به خرج .

(٢) ك : الطبيعي .

(٣) ض : شهد .

(٤) بن محمد : زيادة في (ض) .

(٥) هو : ليست في (ض) .

(٦) ك : ينتهون .

ذلك الجمع ، وهو توحيد الربوبية والفناء فيه ، كما في كلام صاحب « منازل السائرين » ^(١) مع جلالة قدره ، مع أنه قطعاً كان قائماً بالأمر والنهي المعروفين .
لكن قد يدعون أن هذا لأجل العامة ، ومنهم من يتناقض ، ومنهم من يقول : الوقوف مع الأمر لأجل مصلحة العامة ، وقد يعبر [عنهم] ^(٢) بأهل المارستان .

ومنهم من يسمّى ^(٣) ذلك مقام التلبّيس .

[ومنهم من يقول : إنما التكليف على الإنسان مادام عبداً ، فإذا ترقى من منزلة العبودية (إلى منزلة) الحرية سقط عنه التكليف ، فلا يبقى عليه تكليف ، لأن الحر لا تكليف عليه لأحد] ^(٤) .

ومنهم من يقول : التحقيق أن يكون الجمع في قلبك مشهوداً ، / والفرق ط ٢٤
على لسانك موجوداً ، فيشهد بقلبه استواء المأمور والمحظور ، مع تفريقه بلسانه ^(٥)
بينهما .

ومنهم من يرى أن هذه هي الحقيقة ، التي هي منتهى سلوك ^(٦) العارفين ،
وغاية منازل الأولياء الصديقين .

ومنهم من يظن أن الوقوف مع إرادة الأمر والنهي يكون في السلوك والبداية .
وأما في النهاية فلا تبقى إلا إرادة القدر . وهو في الحقيقة قولٌ بسقوط العبادة

(١) وهو عبد الله الأنصارى الهروى ، وتقدم بعض كلامه .

(٢) عنهم : ساقطة من (ز) .

(٣) ك : سمى ؛ ز : يسم .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ز) ، (ض) وزدت عبارة (إلى منزلة) ليستقيم الكلام .

(٥) بلسانه : ساقطة من (ض) .

(٦) ك : سول .

والطاعة ، فإن العبادة لله والطاعة له ولرسوله إنما تكون في امتثال الأمر الشرعى ، لا في الجرى مع المقدور وإن ^(١) كان كفراً وفسوقاً وعصياناً ^(٢).

ومن هنا صار كثير من السالكين من أعوان الكفار والفجار وخفرائهم ، حيث شهدوا القدر معهم ، ولم يشهدوا الأمر والنهى الشرعيين . ومن هؤلاء من يقول : « من شهد القدر سقط عنه الملام » ويقول ^(٣) : إن الخضر إنما سقط عنه الملام لما شهد القدر .

وأصحاب شهود القدر قد يؤتى أحدهم ملكا من جهة خرق العادة بالكشف والتصرف ، فيظن ذلك ^(٤) كما لا في الولاية ، وتكون [تلك] ^(٥) الخوارق إنما حصلت بأسباب شيطانية وأهواء نفسانية ، وإنما الكمال في الولاية أن يُستعمل ^(٦) خرق / العادات في إقامة الأمر والنهى الشرعيين ، مع حصولهما ^(٧) بفعل المأمور وترك المحذور ، فإذا حصلت بغير الأسباب الشرعية فهي مذمومة ، وإن حصلت بالأسباب الشرعية ، لكن استعملت ليُتوصل بها إلى محرم كانت مذمومة ، وإن تُوصّل بها إلى مباح لا يُستعان بها على طاعة كانت للأبرار دون المقرّين ، وأما إن حصلت بالسبب الشرعى واستعين بها على فعل الأمر الشرعى ، فهذه خوارق المقرّين السابقين .

ص ٢٥

(١) ز : إن .

(٢) ض : أو فسوقاً أو عصياناً .

(٣) ض : ويقولون .

(٤) ز : فيظن أن ذلك ...

(٥) تلك : زيادة في (ض) .

(٦) ك : تستعمل .

(٧) ك ، ز : حصولها .

فلا بد أن يُنظر ^(١) في الخوارق في أسبابها وغاياتها : من أين حصلت ؟ وإلى ماذا أوصلت ؟ كما يُنظر في الأموال : في مستخرجها ومصروفها [ومن استعملها - أعنى الخوارق - في إرادته الطبيعية كان مذموماً] ^(٢) .

ومن كان خالياً ^(٣) عن الإرادتين الطبيعية والشرعية فهذا حسبه أن يُعفى عنه ، لكونه لم يعرف الإرادة الشرعية ، وأما إن عرفها وأعرض عنها ، فإنه يكون مذموماً مستحقاً للعقاب إن لم يُعف عنه ، وهو يُمدح بكون إرادته ليست بهواه ، لكن يجب مع ذلك أن تكون موافقة لأمر الله ^(٤) ورسوله ، لا يكفيه أن تكون ^(٥) لا من هذا ولا من هذا ، مع أنه لا يمكن خلوه ^(٦) عن الإرادة مطلقاً ، بل لابد له من إرادة ، فإن لم يرد ما يُحبه الله ورسوله أراد / ما لا يحبه الله ورسوله ، لكن إذا جاهد نفسه على ترك ما بهواه ^(٧) ، بقى مريداً لما يظن أنه مأمور به ، فيكون ضالاً .

ظ ٢٥

فإن هذا يشبه حال الضالين من النصارى . وقد قال تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [سورة الفاتحة : ٦ ، ٧] . قد قال النبي ﷺ : « اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون » ^(٨) .

(١) ك : تنظر .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ز) .

(٣) ز : خالصاً .

(٤) ض : الله تعالى .

(٥) ك : يكون .

(٦) ز : خلوه .

(٧) ض : تهواه .

(٨) الحديث عن عدى بن حاتم رضى الله عنه في سنن الترمذى في موضعين ٢٧١/٤ ، ٢٧٢ =

فاليهود ^(١) لهم إرادات فاسدة منهي عنها ، كما أخبر عنهم بأنهم عصوا وكانوا يعتدون ، وهم يعرفون الحق ولا يعملون به ، فلهم علم لكن ليس [لهم] ^(٢) عمل بالعلم ، وهم في الإرادة المذمومة المحرمة يتبعون أهواءهم ، ليسوا في الإرادة المحمودة المأمور بها ، وهي إرادة ما يحبه الله ورسوله .

والنصارى لهم قصد وعبادة وزهد ، لكنهم ضلّال يعملون بغير علم ، فلا يعرفون الإرادة التي يجبها الله ورسوله ، بل غاية أحدهم تجريد نفسه عن الإرادات ، فلا يبقى مريداً لما أمر الله به ورسوله ، كما لا يريد كثيراً مما نهى الله عنه ورسوله .

وهؤلاء ضالون عن مقصودهم ، فإن مقصودهم إنما هو في طاعة الله ورسوله . ولهذا كانوا ملعونين ، أى بعيدين / عن الرحمة التي تُنال بطاعة الله عز وجل ^(٣) .

والعالمُ الفاجرُ يشبه اليهود ، والعابد الجاهل يشبه النصارى . ومن أهل العلم من فيه شيء من الأول ، ومن أهل العبادة من فيه شيء من الثاني . وهذا الموضع تفرق فيه بنو آدم وتباينوا تبايناً عظيماً لا يحيط به إلا الله ، ففهم من لم يخلق الله خلقاً أكرم عليه منه ، وهو خير البرية ، ومنهم من هو شر البرية .

= (كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة فاتحة الكتاب) وأوله في الموضع الأول : أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد الحديث ، ولفظه : « فإن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضلّال » وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب ، وروى شعبة عن سماك بن حرب عن عباد بن حبيش عن عدى بن حاتم عن النبي ﷺ الحديث بطوله » . والحديث في المسند (ط . الحلبي) ٣٧٨/٤ وفيه : « إن المغضوب عليهم اليهود وإن الضالين النصارى ... » .

(١) ك : واليهود .

(٢) لهم : ساقطة من (ز) .

(٣) عبارة « عز وجل » ليست في (ك) .

وأفضل الأحوال فيه حال الخليلين : إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم ^(١) . ومحمد سيد ولد آدم ، وأفضل ^(٢) الأولين والآخرين ، وخاتم النبيين وإمامهم إذا اجتمعوا ، وخطيبهم إذا وفدوا ، وهو المعروج به إلى ما فوق الأنبياء كلهم ^(٣) : إبراهيم وموسى وغيرهما .

وأفضل الأنبياء بعده إبراهيم ، كما ثبت في الصحيح عن أنس بن مالك ^(٤) ، عن النبي ﷺ أن إبراهيم خير البرية ^(٥) .

وقد ثبت في صحيح مسلم ، عن جابر ، عن النبي ﷺ أنه كان يقول في خطبة يوم الجمعة : « خير الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ^(٦) » . وكذلك كان عبد الله بن مسعود يخطب بذلك يوم الخميس ، [كما] ^(٧) رواه البخاري في صحيحه ^(٨) .

(١) ك : محمد وإبراهيم عليهما السلام .

(٢) ك : أفضل .

(٣) كلهم : ساقطة من (ك) .

(٤) بن مالك : زيادة في (ز) .

(٥) الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه في : مسلم ١٨٣٩/٤ (كتاب الفضائل ، باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ) ولفظه : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا خير البرية . فقال رسول الله ﷺ : ذاك إبراهيم عليه السلام » . والحديث في : سنن أبي داود ٣٠٢/٤ (كتاب السنة ، باب في التخيير بين الأنبياء) ؛ المسند (ط . الحلبي) ١٧٨/٣ ، ١٨٤ .

(٦) الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه في : مسلم ٥٩٢/٢ (كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة) . وهو - مع اختلاف في اللفظ - في : سنن ابن ماجه ١٧/١ (المقدمة ، باب اجتناب البدع والجدل) ؛ سنن النسائي ١٥٣/٣ (كتاب صلاة العيدين ، باب كيفية الخطبة) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٣١٠/٣ .

(٧) كما : زيادة في (ك) .

(٨) ذكر البخاري في صحيحه في موضعين أثرا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بهذا المعنى الأول ٢٥/٨ (كتاب الأدب ، في الهدى الصالح) ونصه : قال عبد الله : إن أحسن الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ » . والثاني ٩٢/٩ (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ) . وانظر ما ذكره ابن حجر في : فتح الباري ٢٥٢/١٣ - ٢٥٣ .

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة قالت : ما ضرب / رسول الله ﷺ بيده خادماً له ، ولا امرأة ولا دابة ولا شيئاً قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه قط شيء فانتقم لنفسه ، إلا أن تنتهك محارم الله ، فإذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم الله (١) .

وقال أنس خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي : أف قط ، وما قال لي لشيء فعلته : لم فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله : لم لا فعلته ؟ وكان بعض أهله إذا عتبني (٢) على شيء قال : « دعوه ، فلو قضى شيء لكان (٣) .

ورسول الله ﷺ هو أفضل الخلائق ، وسيد ولد آدم ، وله الوسيلة في المقامات كلها ، ولم يكن حاله أنه لا يريد شيئاً ، ولا أنه يريد كل واقع ، كما أنه لم يكن حاله أنه (٤) يتبع الهوى ، بل هو منزّه عن هذا وهذا .

قال تعالى (٥) : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [سورة

(١) جاءت أحاديث مختصرة أو مطولة بنفس المعنى عن عائشة رضي الله عنها في : سنن أبي داود ٣٤٦/٤ (كتاب الأدب ، باب في التجاوز في الأمر) ؛ سنن ابن ماجه ٦٣٨/١ (كتاب النكاح ، باب ضرب النساء) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٣٢/٦ ، ٢٠٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٨١ ؛ سنن الدارمي ١٤٧/٢ (كتاب النكاح ، باب في النهي عن ضرب النساء) .

(٢) ض : عفتني .

(٣) هذا جمع بين حديثين روايا عن أنس رضي الله عنه الأول ينتهي عند عبارة .. لم لا فعلته ؟ وهو - مع اختلاف في الألفاظ - في : البخاري ١١/٤ (كتاب الوصايا ، استخدام اليتيم في السفر والحضر) ، ١٤/٨ (كتاب الأدب ، باب حسن الخلق والسخاء ...) ؛ سنن أبي داود ٣٤٢/٤ (كتاب الأدب ، باب في الحلم وأخلاق النبي ﷺ) ؛ سنن الترمذي ٢٤٨/٣ - ٢٤٩ (كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ) ؛ المسند (ط . الحلبي) ١٠١/٣ ، ١٢٤ ، ١٧٤ ، ٢٠٠ ، ٢٢٧ ، ٢٥٦ . وأما القسم الأخير من الحديث فهو في المسند (ط . الحلبي) ٢٣١/٣ .

(٤) ز : أن .

(٥) ض : قال الله تعالى .

النجم : ٣] وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [سورة الجن : ١٩] (١) .
وقال (٢) : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٣] ،
وقال : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ [سورة الإسراء : ١] . والمراد بعبده :
عابده المطيع لأمره ، وإلا فجميع المخلوقين عباداً (٣) بمعنى أنهم مُعَبَّدُونَ مخلوقون
مُدَبَّرُونَ .

وقد قال الله تعالى / لنبية (٤) : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾
[سورة الحجر : ٩٩] . قال الحسن البصري : « لم يجعل الله لعمل المؤمن أجلاً دون
الموت » (٥) .

[وقد] قال الله [تعالى] له (٦) : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم :
٤] قال ابن عباس - ومن وافقه كابن عيينة وأحمد بن حنبل - : « على دين
عظيم » (٧) . والدين فعل ما أمر به .

(١) ك : يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا .

(٢) ض : وقال تعالى .

(٣) ك : عباده .

(٤) ض : وقد قال الله لنبية ؛ ك : وقد قال تعالى لنبية .

(٥) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : « قال البخارى : قال سالم : الموت (قال المحققون لطبعة
دار الشعب : البخارى ، تفسير سورة الحجر ١٠٢/٦) . وسالم هذا هو : سالم بن عبد الله بن عمر ، كما
قال ابن جرير . حدثنا محمد بن بشار عن سالم بن عبد الله : (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قال :
الموت (تفسير الطبرى ٥١/١٤) . وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم
وغیره » . وانظر ما أورده الطبرى عن الحسن في تفسيره .

(٦) ك : وقد قال الله له ؛ ز : وقال الله له . والمثبت من (ض) .

(٧) فى « تفسير ابن كثير » للآية : « قال العوفى ، عن ابن عباس : أى وإنك لعل دين عظيم ، وهو
الإسلام . وكذلك قال مجاهد ، وأبو مالك ، والسدى ، والربيع بن أنس ، والضحاك ، وابن زيد » . وكذا
قال ابن الجوزى فى تفسيره « زاد المسير » ٤٢٨/٨ : « وفيه ثلاثة أقوال : أحدها : دين الإسلام ، قاله ابن
عباس » .

وقالت عائشة : « كان خُلِقَ القرآن » رواه مسلم ^(١) ، وقد أخبرت أنه لم يكن يعاقب لنفسه ولا ينتقم لنفسه ، لكن يعاقب الله وينتقم لله ^(٢) ، وكذلك أخبر أنس أنه كان يعفو عن حظوظه .

وأما حدود الله فقد قال : « والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » أخرجاه فى الصحيحين ^(٣) .

وهذا هو كمال الإرادة ؛ فإنه أراد ما يحبه الله ويرضاه من الإيمان والعمل الصالح وأمر بذلك ، وكره ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان ونهى عن ذلك ، كما وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ

(١) هذا الأثر عن عائشة رضى الله عنها جاء ضمن حديث طويل رواه مسلم ٥١٢/١ - ٥١٤ (كتاب صلاة المسافرين ، باب جامع صلاة الليل ...) وأوله أن سعد بن هشام أراد أن يغزو فى سبيل الله فقدم المدينة ... فأتى ابن عباس فسأله عن وتر رسول الله ﷺ ؟ فقال ابن عباس : ألا أدلك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ ؟ قال : من ؟ قال : عائشة فقلت : يا أيم المؤمنين : أنبئني عن خلق رسول الله ﷺ . قالت : أأنت تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى . قالت : فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن ... الحديث . وهو فى : سنن أبى داود ٥٥/٢ - ٥٧ (كتاب التطوع ، باب فى صلاة الليل) .

(٢) هذا الأثر عن عائشة رضى الله عنها فى البخارى ١٨٩/٤ (كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ) ونصه : « عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها » . والأثر - مع اختلاف يسير فى الألفاظ - فى : البخارى ٣٠/٨ (كتاب الأدب ، باب قول النبي ﷺ : يسروا ولا تعسروا ...) ، ١٦٠/٨ (كتاب الحدود ، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمة الله) ؛ مسلم ١٨١٣/٤ (كتاب الفضائل ، باب مبادئه ﷺ للأئمة ...) ؛ سنن أبى داود ٣٤٦/٤ (كتاب الأدب ، باب فى التجاوز فى الأمر) . والأثر فى الموطأ وفى مسند أحمد فى مواضع كثيرة .

(٣) الحديث عن عائشة رضى الله عنها وجاء فى البخارى فى ثلاثة مواضع : ٢٣/٥ (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب ذكر أسامة بن زيد) ، ١٧٥/٤ (كتاب الأنبياء ، باب حدثنا أبو الهيثم =

ظ ٢٧

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ [سورة الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧] (١) .

وأما لحظ (٢) لنفسه فلم يكن يعاقب ولا ينتقم ، بل يستوفى حق ربه ويعفو عن حظ نفسه ، وفي حظ نفسه ينظر إلى القدر فيقول : « لو قضى شيء لكان » . وفي حق الله يقوم بالأمر فيفعل ما أمره الله به ، ويجاهد في سبيل الله أكمل الجهاد الممكن (٣) ، فجاهدهم أولا بلسانه بالقرآن الذي أنزل عليه .

كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ۚ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [سورة الفرقان : ٥١ ، ٥٢] ثم لما هاجر إلى المدينة وأذن له في القتال ، جاهدهم بيده .

وهذا مطابق لما أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة وهو معروف أيضا من حديث عمر بن الخطاب ، عن النبي ﷺ في حديث احتجاج آدم وموسى ،

= (....) ونصه فيه ... أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت ... وفيه : ... فقال رسول الله ﷺ أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فاختطب ثم قال : إنما أهلك الذين قبلكم الحديث وهو في : البخارى ١٦٠/٨ (كتاب الحدود ، باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع) ؛ مسلم ١٣١٥/٣ - ١٣١٦ (كتاب الحدود ، باب قطع السارق الشريف وغيره) ؛ سنن أبى داود ١٨٨/٤ (كتاب الحدود ، باب في الحد يشفع فيه) . وجاء الحديث في سنن الترمذى وابن ماجه والنسائى والدارمى ومسنده أحمد .

(١) في (ك) : والأغلال التي كانت عليهم الآية .

(٢) ز : وأما لحظه ... ، وهو تحريف .

(٣) الممكن : ساقطة من (ك) .

لما لآم موسى آدم ^(١) لكونه أخرج نفسه وذريته من الجنة بالذنب الذى فعله ، فأجابه آدم بأن هذا كان مكتوبا علىّ قبل أن أُخلق بمدة طويلة . قال النبي ﷺ : « فحجّ آدم موسى » ^(٢) .

ص ٢٨

وذلك لأن ملام موسى لآدم لم يكن لحق / الله ، وإنما كان لما لحقه وغيره من الآدميين من المصيبة بسبب ذلك الفعل ، فذكر له آدم أن هذا كان أمراً مقدراً لا بد من كونه ، والمصائب التى تصيب العباد يؤمرون فيها بالصبر ، فإن هذا هو الذى ينفعهم . وأما لومهم لمن كان سبباً فيها فلا فائدة لهم فى ذلك . وكذلك ما فاتهم من الأمور التى تنفعهم ، يؤمرون فى ذلك بالنظر إلى القدر ، ^(٣) وأما التأسف والحزن فلا فائدة فيه ، فما جرى به القدر من قوت منفعة لهم ، أو حصول مضرة لهم ، فلينظروا فى ذلك إلى القدر ^(٤) ، وأما ما كان بسبب أعمالهم فليجتهدوا فى التوبة من الماضى ^(٥) والإصلاح فى المستقبل ، فإن هذا الأمر ينفعهم ، وهو مقلدور لهم بمعونة الله لهم .

وفى صحيح مسلم عن أنى هريرة ، عن النبي ﷺ أنه قال : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير . احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » ^(٥) ، وإن أصابك شئ فلا تقل : لو أنى فعلت لكان كذا

(١) ز ، ك : لآدم . والمثبت من (ض) .

(٢) الحديث عن أنى هريرة رضى الله عنه فى : البخارى ١٤٨/٩ (كتاب التوحيد ، باب وكلم الله موسى تكليماً) ؛ مسلم ٢٠٤٢/٤ - ٢٠٤٤ (كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى) ؛ سنن ابن ماجه ٣١/١ - ٣٢ (المقدمة ، باب فى القدر) ؛ المسند (ط . المعارف) ١١٧/١٣ ، ٢٣/١٤ ، ٥٦ ، ٢٤٥ . والحديث عن أنى هريرة وعن عمر رضى الله عنهما فى : سنن أنى داود ٣١١/٤ ، ٣١٢ (كتاب السنة ، باب فى القدر) .

(٣ - ٣) ساقط من (ك) .

(٤) ض : المعاصى . والمثبت من (ك) ، (ز) .

(٥) ض : ولا تعجزن .

وكذا ، ولكن قل : قدّر الله وما شاء فعل ، فإن لو ^(١) يفتح عمل الشيطان » ^(٢) .
أمر [النبي ﷺ] بحرص العبد على ^(٣) ما ينفعه والاستعانة بالله ، ونهاه
عن العجز . وأنفع ما للعبد طاعة الله ورسوله ، / وهي عبادة الله تعالى . وهذان
الأصلان هما حقيقة قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [سورة الفاتحة : ٥] ،
ونهاه عن العجز ، وهو الإضاعة والتفريط والتواني ^(٤) ، كما قال في الحديث الآخر :
« الكيس من دان نفسه ^(٥) وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع [نفسه] ^(٦) »
هواها وتمنّى على الله الأمانى » رواه الترمذى ^(٧) .

وفي سنن أبى داود أن رجلين تحاكما إلى النبي ﷺ ، فقضى على أحدهما ،
فقال المقضى عليه : حسبي الله ونعم الوكيل ، فقال النبي ﷺ : « إن الله يلوم على
العجز ، ولكن عليك بالكيس ، فإذا غلبك أمر فقل : حسبي الله ونعم
الوكيل » ^(٨) فالكيس ضد العجز . وفي الحديث : « كل شيء بقدر حتى العجز
والكيس » رواه مسلم ^(٩) .

(١) ز : اللو .

(٢) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى : مسلم ٢٠٥٢/٤ (كتاب القدر ، باب فى الأمر
بالقوة وترك العجز) ؛ سنن ابن ماجه ٣١/١ (المقدمة ، باب فى القدر) ١٣٩٥/٢ (كتاب الزهد ،
باب التوكل واليقين) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٣٦٦/٢ - ٣٧٠ .

(٣) ك : أمره ﷺ بالحرص على ... ؛ وسقطت كلمة « النبي » من (ز) . والمثبت من (ض) .

(٤) ز : بالتواني .

(٥) ز : النفس .

(٦) نفسه : ساقطة من (ز) .

(٧) الحديث عن شداد بن أوس رضى الله عنه فى : سنن الترمذى ٥٤/٤ (كتاب صفة القيامة ،
باب حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن) وقال الترمذى : « هذا حديث حسن » ؛ سنن ابن ماجه ١٤٢٣/٢
(كتاب الزهد ، باب ذكر الموت والاستعداد له) ؛ المسند (ط . الحلبي) ١٢٤/٤ .

(٨) الحديث عن عوف بن مالك رضى الله عنه فى : سنن أبى داود ٤٢٦/٣ (كتاب الأفضية ،
باب الرجل يخلف على حقه) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٢٤/٦ - ٢٥ . وضعف الألبانى الحديث فى
« ضعيف الجامع الصغير » ١٢٧/٢ .

(٩) الحديث عن ابن عمر رضى الله عنهما فى : مسلم ٢٠٤٥/٤ (كتاب القدر ، باب كل شيء =

وليس المراد بالعجز في كلام النبي ﷺ ما يُضاد القدرة ، فإن من لا قدرة له بحال لا يُلام ، ولا يُؤمر بما لا يقدر عليه بحال . ثم لما أمره بالاجتهاد والاستعانة بالله ونهاه عن العجز ، أمره ^(١) إذا غلبه أمرٌ أن ينظر إلى القدر ويقول : قدّر الله وما شاء فعل ، ولا يتحسّر ويتلهف ^(٢) ويحزن ، ويقول : لو أنى فعلت [كذا كذا] ^(٣) لكان ^(٤) كذا وكذا ، فإن لو ^(٥) فتفتح عمل الشيطان .

ص ٢٩

وقد قال بعض الناس في هذا / المعنى : الأمر ^(٦) أمران : أمرٌ فيه حيلة ، وأمرٌ لا حيلة فيه ، فما فيه حيلة لا تعجز عنه ^(٧) ، وما لا حيلة فيه لا تجزع منه ^(٨) . وهذا هو الذى يذكره أئمة الدين كما ذكر الشيخ عبد القادر وغيوه ، فإنه لا بد من فعل المأمور ، وترك المحذور ، والرضا أو الصبر ^(٩) على المقدور .
وقد قال تعالى حكاية عن يوسف : ﴿ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة يوسف : ٩٠] ، فالتقوى تتضمن فعل المأمور وترك المحذور ، والصبر يتضمن الصبر على المقدور .
وقد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾

= بقدر ؛ الموطأ ٨٩٩/٢ (كتاب القدر ، باب النبى عن القول بالقدر) ؛ المسند (ط . المعارف)
١٩٤ - ١٩٣/٨

- (١) ز : وأمره .
- (٢) ك : ولا يتلهف .
- (٣) كذا وكذا : زيادة في (ض) .
- (٤) ز ، ك : كان .
- (٥) ز : اللو .
- (٦) ز : الأمور .
- (٧) ض : لا يُعجز عنه .
- (٨) ض : لا يُجزع منه .
- (٩) ض : والصبر .

[سورة آل عمران : ١١٨ - ١٢٠] ^(١) فبين سبحانه أنه مع التقوى والصبر لا يضر المؤمنين كيد أعدائهم المنافقين .

وقال تعالى : ﴿ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٢٥] فبين أنه مع الصبر والتقوى يمدّهم بالملائكة وينصرهم على أعدائهم الذين يقاتلونهم .

وقال تعالى : ﴿ لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٦] / فأخبرهم أن أعداءهم من المشركين وأهل الكتاب لا بد أن يؤذوهم بالستهم ، وأخبر أنهم إن يصبروا ويتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ، فالصبر - والتقوى - يدفع شر العدو المظهر للعداوة ، المؤذين ^(٢) بالستهم والمؤذين بأيديهم ، وشر العدو المبطن للعداوة وهم المنافقون .

وهذا الذي كان خلق الرسول ﷺ وهدية ، هو أكمل الأمور . فأما من أراد ما يحبه الله تارة وما لا يحبه تارة ، أو لم يرد لا هذا ولا هذا ، فكلاهما دون خلق رسول الله ﷺ ، وإن لم يكن على واحد منهما إثم ، كالذي يريد ما أتيح له من نيل الشهوة المباحة والغضب والانتقام المباح ، كما هو خلق بعض الأنبياء والصالحين ، فهو وإن كان جائزاً لا إثم فيه ، فخلق رسول الله ﷺ أكمل منه .

وكذلك من لم يرد الشهوات المباحة ، وإن كان يستعان بها على أمر مستحب ، ولم يُرد أن يغضب وينتقم ويجاهد ^(٣) إذا جاز العفو ، و [إن] كان ^(٤)

(١) ز : خبالاً ودوا ...

(٢) ك : والمؤذين .

(٣) ك : ويجاهد وينتقم .

(٤) ز : وكان .

الانتقام لله أرضى ^(١) لله ، كما هو أيضا خلق بعض الأنبياء والصالحين ، فهذا وإن كان جائزا لا إثم فيه ، فخلق رسول الله ﷺ أكمل منه .

وهذا والذي قبله إذا / كان شريعة لنبي ، فلا عيب ^(٢) على نبي [فيما] شرع الله له ^(٣) ، لكن قد فضل الله بعض النبيين على بعض ، وفضل بعض الرسل على بعض .

ص ٣٠

والشريعة التي بُعث بها محمد ﷺ أفضل الشرائع ، إذ كان محمد ﷺ أفضل الأنبياء والمرسلين ، وأتمه خير أمة أخرجت للناس .

قال أبو هريرة في قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران : ١١٠] : ^(٤) « كنتم خير الناس للناس » ، تأتون بهم في الأقياد والسلاسل حتى تُدخلوهم الجنة : « يبذلون أنفسهم » ^(٥) وأموالهم في الجهاد لنفع الناس ، فهم خير الأمم للخلق .

والخلق عيال الله ، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله . وأما غير الأنبياء فمنهم ^(٦) من يكون ذلك شرعة لا تباعه لذلك النبي ، وأما من كان من أهل شريعة محمد ﷺ ومنهاجه ، فإن كان ما تركه واجبا عليه وما فعله محرما عليه ، كان مستحقا للذم والعقاب ، إلا أن يكون متأولا مخطئا ، فالله قد وضع عن هذه الأمة الخطأ والنسيان ، وذنب أحدهم قد يعفو الله عنه بأسباب متعددة .

(١) ك : رضى ، وهو تحريف .

(٢) ك : عتب .

(٣) ز : على شيء شرعه الله له ، والمثبت من (ك) ، (ض) .

(٤ - ٤) ساقط من (ك) .

(٥) ز ، ك : ... للناس وذلك أنهم يأتون بهم في الأقياد والسلاسل حتى يدخلوهم الجنة ويبذلون

أنفسهم إلخ . والمثبت من (ض) .

(٦) ك : منهم .

ومن أسباب هذا الانحراف ، أن من الناس من تغلب عليه طريقة الزهد في إرادة نفسه ، فيزهد في موجب الشهوة والغضب ، كما / يفعل ذلك من يفعله من عبّاد المشركين وأهل الكتاب ، كالرهبان وأشباههم . وهؤلاء يروّون الجهاد نقصاً لما فيه من قتل النفوس وسبى الذرية وأخذ الأموال ، ويروّن أن الله لم يجعل عمارة بيت المقدس على يد داود ، لأنه جرى على يديه سفك الدماء ، ومنهم من لا يرى ذبح شيء من الحيوان ، كما عليه البراهمة ، ومنهم من لا يحرم ذلك ^(١) ، لكنه هو يتقرب إلى الله بأنه لا يذبح حيواناً ولا يأكل لحمه ، بل ^(٢) ولا ينكح النساء ، ويقول في مراحه ^(٣) : فلان ما نكح ولا ذبح .

وقد أنكر النبي ﷺ على هؤلاء . كما في الصحيحين عن أنس أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر . فقال بعضهم : لا أتزوج النساء . وقال بعضهم : لا آكل اللحم . وقال بعضهم : لا أنام على فراش . فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه وقال ^(٤) : « ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ، لكنني أصلي وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، وآكل اللحم ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » ^(٥) .

وقد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ

(١) ز : لا يحرم بذلك ، وهو تحريف .

(٢) بل : ساقطة من (ض) .

(٣) ض : ويقول مادحه .

(٤) ك : فقال .

(٥) الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه في : البخارى ٢/٧ (كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح) ؛ مسلم ١٠٢٠/٢ (كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح ..) ؛ سنن النسائي ٤٩/٦ - ٥٠ (كتاب النكاح ، باب النهي عن التبتل) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٢٤١/٣ ، ٢٥٩ ، ٢٨٥ .

لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿ [سورة المائدة : ٨٧] ^(١) ، نزلت في عثمان بن مظعون وطائفة / معه : كانوا قد عزموا على التبتل ونوع من الترهّب ^(٢) .

ص ٣١

وفي الصحيحين عن سعد أنه قال : « ردّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ، ولو أذن له لاختصينا » ^(٣) .

والزهد النافع المشروع الذى يحبه الله ورسوله هو الزهد فيما لا ينفع فى الآخرة ، فأما ما ينفع فى الآخرة وما يُستعان به على ذلك ، فالزهد فيه زهد فى نوع من عبادة الله وطاعته ، والزهد إنما يُراد لأنه زهد فيما يضر ، أو زهد فيما لا ينفع ، فأما الزهد فى النافع ^(٤) فجهل وضلال . كما قال النبى ﷺ : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » ^(٥) .

والنافع للعبد هو عبادة الله وطاعته ^(٦) وطاعة رسوله ، وكل ما صدّه عن ذلك فإنه ضار لا نافع ، ثم الأنفع له أن تكون كل أعماله عبادة لله وطاعة له ، وإن أدّى الفرائض وفعل مباحاً لا يعينه على الطاعة ، فقد فعل ما ينفعه ومالا ينفعه ولا يضره .

(١) فى (ك) ، (ض) لم ترد آخر الآية (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) .

(٢) انظر تفسير الطبرى للآية ٥١٤/١٠ - ٥١٩ (ط . المعارف) ؛ تفسير ابن كثير (ط الشعب) ١٦١/٣ - ١٦٣ .

(٣) ض : لا اختصينا ، وهو تحريف . والحديث عن سعد بن أنى وقاص فى موضعين فى : البخارى ٤/٧ (كتاب الترغيب فى النكاح ، باب ما يكره من التبتل والخصاء) ، سنن النسائى ٤٨/٦ (كتاب النكاح ، باب النهى عن التبتل) . وفى البخارى فى نفس الموضع السابق رواية أخرى عن عبد الله ابن مسعود : « كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فقلنا : ألا نستخصى ؟ فنهانا عن ذلك ، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب » . وهو فى مسلم عن سعد رضى الله عنه فى : ١٠٢٠/٢ (كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح ...) .

(٤) ك : فى المنافع . وفى هامش (ز) كتب أمام هذا الموضع « مطلب تعريف الزهد » .

(٥) ض : ولا تعجزن . ومضى الحديث قبل صفحات قليلة (ص : ١٣٤) .

(٦) ز : هو طاعة الله وعبادته

وكذلك الورع المشروع هو الورع عمّا قد تخاف عاقبته ، وهو ما يُعلم ^(١) تحريمه وما يُشك ^(٢) في تحريمه وليس في تركه مفسدة أعظم من فعله ، مثل فعل محرم يتعين ^(٣) ، مثل من يترك أخذ الشبهة ورعاً مع حاجته / إليها ، ويأخذ بدل ذلك محرماً بيّناً تحريمه ، أو يترك واجباً تركه أعظمُ فساداً من فعله مع الشبهة ، كمن يكون على أبيه أو عليه ديون هو مطالب بها ، وليس له وفاء إلا من مال فيه شبهة فيتورع عنها ، ويدع ذمته وذمة أبيه مرتنة .

وكذلك من الورع الاحتياط بفعل ما يُشك في وجوبه ، لكن على هذا الوجه . وتامم الورع أن يعلم الإنسان خير الخيرين وشرّ الشرين ، ويعلم أن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفسد وتقليلها ، وإلا فمن لم يوازن ما في الفعل والترك من المصلحة الشرعية والمفسدة الشرعية ، فقد يدع واجبات ويفعل محرّمات ، ويرى ذلك من الورع . كمن يدع الجهاد مع الأمراء الظلمة ، ويرى ذلك ورعاً ، ويدع الجمعة والجماعة خلف الأئمة الذين فيهم بدعة أو فجور ، ويرى ذلك من الورع ، ويمتنع عن قبول شهادة الصادق وأخذ علم العالم ، لما في صاحبه من بدعة خفية ، ويرى ترك قبول سماع هذا الحق الذي يجب سماعه من الورع .

وكذلك الزهد والرغبة : من لم يراع ما يحبه الله ورسوله من الرغبة والزهد ، وما يكرهه / من ذلك ، وإلا فقد يدع واجبات ويفعل محرّمات . مثل من يدع ما يحتاج إليه من الأكل أو أكل ^(٤) الدسم حتى يفسد عقله أو تضعف قوته عمّا

(١) ز : تعلم . وفي هامش (ز) كتب أمام هذا الموضع : « مطلب في تعريف الورع » .

(٢) ز : تشك .

(٣) ض : مثل محرم معين .

(٤) ك : وأكل .

يجب عليه من حقوق الله وحقوق (١) عباده ، أو يدع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ، لما في فعل ذلك من أذى بعض الناس والانتقام منهم ، حتى يستولى (٢) الكفار والفجار على الصالحين الأبرار ، فلا ينظر المصلحة الراجحة في ذلك .

و [قد] قال (٣) تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٧] ، يقول سبحانه : وإن كان قتل النفوس فيه شر ، فالفتنة الحاصلة بالكفر وظهور أهله أعظم من ذلك ، فيُدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما .

وكذلك الذي يدع ذبح الحيوان أو يرى (٤) أن في ذبحه ظلماً له هو جاهل ، فإن هذا الحيوان لا بد أن يموت ، فإذا قُتل لمنفعة الآدميين وحاجتهم كان خيراً من أن يموت موتاً لا ينتفع به أحد . والآدمي أكمل منه (٥) ، ولا تتم مصلحته إلا باستعمال الحيوان في (٦) الأكل والركوب ونحو ذلك ، لكن ما لا يحتاج إليه من تعذيبه نهى الله عنه ، كصبر البهائم وذبحها في غير الحلق واللثة مع القدرة على ذلك ، وأوجب الله الإحسان بحسب الإمكان فيما أباحه من القتل والذبح ، كما في صحيح مسلم عن شَدَّاد بن أَوْس عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله كتب

ظ ٣٢

(١) ض : أو حقوق .

(٢) ز : حتى يستولوا ، وهو تحريف .

(٣) ك ، ز : وقال .

(٤) ك ، ز : ويرى .

(٥) ز : منهم .

(٦) ك ، ز : من .

الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » (١) .

وهؤلاء الذين زهدوا في الإرادات ، حتى فيما يحبه الله ورسوله من الإرادات ، بإزائهم طائفتان : طائفة رغبت فيما كره الله ورسوله الرغبة (٢) فيه من الكفر والفسوق والعصيان ، وطائفة رغبت فيما أمر الله ورسوله ، لكن لهوى (٣) أنفسهم لا لعبادة الله ، وهؤلاء الذين يأتون بصور الطاعات مع فساد النيات ، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ ، أنه قيل له : يا رسول الله : الرجل يقاتل شجاعةً ، ويقاتل حميةً ، ويقاتل رياءً ، فأى ذلك في سبيل الله ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » (٤) .

ص ٣٣

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة النساء : ١٤٢] ، وهؤلاء أهل إرادات فاسدة مذمومة ، فهم مع تركهم الواجب

(١) الحديث عن شداد بن أوس رضى الله عنه في : مسلم ١٥٤٨/٣ (كتاب العيد ، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل) ؛ سنن أبى داود ١٣٢/٣ - ١٣٣ (كتاب الأضاحى ، باب في الرفق بالذبيحة) ؛ سنن الترمذى ٤٣١/٢ (كتاب الديات ، باب ما جاء في النهى عن المثلة) ؛ سنن النسائى ١٩٩/٧ - ٢٠٠ (كتاب الضحايا ، باب الأمر بإحداذ الشفرة) ، ٢٠٢/٧ (كتاب الضحايا ، باب حسن الذبح) ؛ سنن ابن ماجه ١٠٥٨/٢ (كتاب الذبائح ، باب إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح) ؛ سنن الدارمى ٨٢/٢ (كتاب الأضاحى ، باب في حسن الذبيحة) .

(٢) ز : للرغبة .

(٣) ض : لهواء .

(٤) الحديث عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه في : البخارى ١٣٦/٩ (كتاب التوحيد ، باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) ، ٢٠/٤ (كتاب الجهاد ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا) ؛ مسلم ١٥١٢/٣ - ١٥١٣ (كتاب الإمارة ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ...) ؛ سنن أبى داود ٢١/٣ (كتاب الجهاد ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا) ؛ سنن ابن ماجه ٩٣١/٢ (كتاب الجهاد ، باب النية في القتال) ؛ سنن النسائى ٢٠/٦ (كتاب الجهاد ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا) ؛ المسند (ط . الحلبي ، ٣٩٢/٤ ، ٣٩٧ ، ٤٠٥ . وأول الحديث (وهذه رواية مسلم) : أن رجلا إعرابيا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، الرجل يقاتل للمغنم ... الحديث .

فعلوا الحرم ، وهؤلاء يشبهون اليهود كما يشبه أولئك النصارى .

قال تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَمَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [سورة آل

عمران : ١١٢] .

وقال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعُغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَاثُلْ عَلَيْهِمُ تِبَاءُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦] ^(١) .

فهؤلاء يتبعون أهواءهم غيًّا مع العلم بالحق ، وأولئك يتبعون أهواءهم مع الضلال / والجهل بالحق . كما قال تعالى : ﴿ لَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة : ٧٧] ، وكلا الطائفتين تاركة ^(٢) ما أمر الله ورسوله [به] ^(٣) من الإرادات والأعمال الصالحة ، مرتكبة لما نهى الله ورسوله عنه من الإرادات والأعمال الفاسدة .

ظ ٣٣

فصل

فأمر الشيخ عبد القادر ، وشيخه حماد [الدباس] ^(٤) وغيرهما من

(١) جاءت بعض كلمات آيتي سورة الأعراف في (ك) ، (ض) .

(٢) ك : باذلة ، وهو تحريف .

(٣) به : ساقطة من (ز) .

(٤) الدباس : ساقطة من (ك) ، (ز) ، وستأتى ترجمته فيما بعد (ص ١٦٣) .

المشايع أهل الاستقامة - رضى الله عنهم - بأنه لا يريد السالك مراداً قط ، وأنه لا يريد مع إرادة الله عز وجل سواها ، بل يجرى فعله فيه فيكون هو مراد الحق : إنما قصدوا به فيما لم يعلم العبد أمر الله ورسوله فيه ، فأما ما علم أن الله أمر^(١) به ، فعليه أن يريده ويعمل به ، وقد صرّحوا بذلك في غير موضع ، وإن كان غيرهم من الغالطين يرى القيام بالإرادة الخلقية هو الكمال ، وهو الفناء في توحيد الربوبية ، وأن السلوك إذا انتهى إلى هذا الحد ، فصاحبه إذا قام بالأمر فلاجل غيره ، أو أنه لا يحتاج أن يقوم بالأمر ، فتلك أقوال وطرائق فاسدة ، قد ثكلم عليها في غير هذا الموضع .

فأما المستقيمون من السالكين ، كجمهور مشايخ السلف ، مثل الفضيل ابن عياض ، وإبراهيم بن أدهم ، وأبى سليمان الداراني / ومعروف الكرخي ، والصري السقطي ، والجنيد بن محمد ، وغيرهم من المتقدمين ، ومثل الشيخ عبد القادر ، والشيخ حماد ، والشيخ أبى البيان ، وغيرهم من المتأخرين ، فهم لا يسوِّغون للسالك ، ولو طار في الهواء أو مشى على الماء ، أن يخرج عن الأمر والنهى الشرعيين ، بل عليه أن يفعل المأمور ويدع المحذور إلى أن يموت ، وهذا هو الحق الذى دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف .

وهذا كثير في كلامهم كقول الشيخ عبد القادر في كتاب « فتوح الغيب »^(٢) : « اخرج من نفسك ، وتنح عنها ، وانعزل عن ملكك ، وسلم الكل إلى الله تبارك وتعالى^(٣) ، وكن^(٤) بوابه على باب قلبك ، وامثل أمره تبارك وتعالى^(٥) في إدخال من يأمرك بإدخاله ، وانه نهيه في صدّ من يأمرك

(١) ز : أمره .

(٢) في المقالة السابقة « في إذهاب الغم » هامش ص ١٦ .

(٣) تبارك وتعالى : ليست في « فتوح الغيب » .

(٤) فتوح الغيب : فكن .

(٥) تبارك وتعالى : ليست في « فتوح الغيب » .

بصّده^(١) ، فلا تدخل الهوى قلبك بعد أن خرج منه ، فأخرج^(٢) الهوى من القلب بمخالفته وترك متابعتة في الأحوال كلها ، وإدخاله في القلب بمتابعتة وموافقته^(٣) ، فلا تُرد إرادة غير إرادته تبارك وتعالى^(٤) ، وغير ذلك منك تمنى^(٥) ، وهو وادى الحمقى^(٦) ، وفيه حتفك وهلاكك وسقوطك من عينه تبارك وتعالى^(٧) وحجابك عنه .

احفظ أبداً أمره ، وائته أبداً نهيه ، / وسلم إليه أبداً مقدوره^(٨) ، ولا تشركه بشيء من خلقه ، فأرادتك وهواك وشهواتك [كلها]^(٩) خلقه ، فلا تُرد ولا تهو^(١٠) ولا تشته كيلا^(١١) تكون مشركا^(١٢) . قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف : ١١٠] ، ليس الشرك عبادة الأصنام فحسب ، بل هو أيضا متابعتك لهواك ، وأن تختار مع ربك شيئا سواه : الدنيا وما فيها ، والآخرة وما فيها ، فما سواه تبارك وتعالى^(١٣) غيره ، فإذا ركنت إلى غيره فقد أشركت به عز وجل^(١٤)

ظ ٣٤

-
- (١) ك : في ضد من يأمر بكضده ، وهو تحريف .
 (٢) ز ، ض : وإخراج .
 (٣) فتوح الغيب : وموافقته .
 (٤) تبارك وتعالى : ليست في « فتوح الغيب » ، وفي (ك) : تعالى .
 (٥) فتوح الغيب ، ز ، ك : تمنى ؛ ض : غير (وهو تحريف) .
 (٦) فتوح الغيب : الحمقاء ؛ ز : الحمقا .
 (٧) تبارك وتعالى : ليست في « فتوح الغيب » .
 (٨) فتوح الغيب : لمقدوره .
 (٩) كلها : زيادة من « فتوح الغيب » .
 (١٠) ض : ولا تهوى ، وهو خطأ .
 (١١) ك ، ض : لئلا . والمثبت من (ز) ، « فتوح الغيب » هامش ص ١٧ .
 (١٢) ض : يكون شركا .
 (١٣) فتوح الغيب : عز وجل .
 (١٤) عز وجل : ساقطة من (ك) ، (ض) .

[غيره ^(١)] ، فاحذر ولا تركز ، وخف ولا تأمن ، وفتش ولا ^(٢) تغفل فتطمئن ^(٣) ، ولا تضيف إلى نفسك حالاً ولا مقاماً ، ولا تدع شيئاً من ذلك » .

وقال الشيخ عبد القادر أيضاً ^(٤) : « إنما هو الله ونفسك ، وأنت المخاطب . والنفس ضد الله وعدوته ^(٥) ، والأشياء كلها تابعة لله ، فإذا وافقت الحق ^(٦) في مخالفة النفس وعداوتها ^(٧) ، فكنت ^(٨) خصماً له على نفسك » ^(٩) .

إلى أن قال ^(١٠) : « فالعبادة كل العبادة في مخالفتك نفسك وهواك . قال تعالى ^(١١) : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [سورة ص : ٢٦] ^(١٢) » .

إلى أن قال ^(١٣) : « والحكاية المشهورة عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله ، لما رأى رب العزة في المنام فقال له : كيف الطريق إليك يا بارئخذاه ^(١٤) ؟ فقال :

(١) غيره : ساقطة من (ز) ، وكتبت عبارة « فإذا ركنت إلى غيره فقد أشركت به عز وجل » في هامش (ز) وفوقها عبارة « من فتوح الغيب » .

(٢) فتوح الغيب : فلا .

(٣) فتطمئن : ساقطة من (ك) .

(٤) في « فتوح الغيب » هامش ص ٢٣ في أول المقالة العاشرة : في النفس وأحوالها .

(٥) فتوح الغيب : وعدوه .

(٦) فتوح الغيب : تابعه لله ، والنفس لله خلقاً وملكاً ، وللنفس ادعاء وتمن وشهوة ولذة بملاستها ، فإذا وافقت الحق عز وجل ...

(٧) فتوح الغيب : وعداوتها .

(٨) ض : كنت .

(٩) فتوح الغيب : فكنت لله خصماً على نفسك .

(١٠) فتوح الغيب هامش ص : ٢٤ .

(١١) فتوح الغيب : ... في مخالفة نفسك . قال الله تعالى

(١٢) فتوح الغيب : لا تتبع ... وهو خطأ .

(١٣) بعد الكلام السابق بسطرين .

(١٤) عبارة « يا بارئخذاه » ليست في (ض) ، فتوح الغيب . والظاهر أنها عبارة فارسية .

اترك نفسك / وتعال (١) . فقال أبو يزيد (٢) : فانسخلت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها . فإذا ثبت أن الخير كله (٣) في معاداتها في الجملة في الأحوال كلها ، فإن كنت في حال التقوى فخالف النفس بأن تخرج من حرام (٤) الخلق ، وشبههم (٥) ومنهم (٦) ، والاتكال عليهم ، والثقة بهم ، والخوف منهم ، والرجاء لهم ، والطمع فيما عندهم من حطام الدنيا (٧) ، فلا ترج عطاءهم (٨) على طريق الهدية ، أو الزكاة ، أو الصدقة ، أو الكفارة ، أو النذر (٩) ، فاقطع همك منهم من سائر الوجوه والأسباب ، فاخرج (١٠) من الخلق جدا ، واجعلهم كاللباب يُرد ويفتح (١١) ، وكالشجرة يوجد (١٢) فيها ثمرة تارة ونخيل (١٣) أخرى ، كل ذلك بفعل فاعل ، وتديير مدبر ، وهو الله تبارك وتعالى ، فإذا اصحَّ لك هذا كنت

(١) جاءت هذه الحكاية في كتاب « النور من كلمات أبي طيفور » ، ضمن كتاب « شطحات الصوفية » تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي ، ص ٦٤ ونصها فيه : « سمعت أبا يزيد البسطامي - قدس الله روحه - يقول : رأيت رب العزة في المنام فقلت : كيف الطريق إليك ؟ فقال : اترك نفسك وتعال » .

(٢) ض : قال أبو يزيد . وفي « فتوح الغيب » . فقال .

(٣) فتوح الغيب : فإذا الخير كله ...

(٤) ض : أجرام ؛ فتوح الغيب : جرام .

(٥) فتوح الغيب : وشبههم ، وهو تحريف ظاهر .

(٦) ض ، فتوح الغيب : ومنهم .

(٧) فتوح الغيب : من أحكام الدنيا .

(٨) فتوح الغيب : فلا تبرح عطاياهم .

(٩) فتوح الغيب : على طريق الهداية والزكوة والصدقة أو النذر ؛ ك : على طريق والنذر .

(١٠) فتوح الغيب : ... والأسباب ، حتى إن كان لك نسب ذو مال لا تتمنى موته لثرت ماله ،

فاخرج ...

(١١) ض : يرد ويفتح ؛ ك : يردوه ويفتح .

(١٢) ك ، فتوح الغيب (هامش ص ٢٥) : توجد .

(١٣) ض : ونخيل ؛ فتوح الغيب : ونختل .

موحداً له تبارك وتعالى (١) . ولا تنس مع ذلك كسبهم لتتخلص (٢) من مذهب الجبرية ، واعتقد أن الأفعال لا تتم بهم دون الله تبارك وتعالى ؛ لكيلا تعبدتهم (٣) ، وتنسى الله تعالى ، ولا تقل (٤) فَعَلَهُمْ دون الله فتكفر وتكون (٥) قدريا ، لكن (٦) قل : هي لله خلقاً وللعباد كسباً ، كما جاءت به الآثار لبيان موضع الجزاء من الثواب والعقاب ، وامثل أمر الله فيهم ، وخلّص قسمك منهم بأمره ولا تجاوزه ، فحكمه / قائم يحكم عليك وعليهم (٧) ، فلا تكن أنت الحاكم ، وكونك معهم قدر ، والقدر ظلمة ، فادخل في الظلمة بالمصباح ، وهو الحكم : كتاب الله (٨) وسنة رسوله ﷺ ، لا تخرج عنهما .

ظ ٣٥

فإن خطر خاطر ، أو وُجد إلهام (٩) ، فاعرضهما (١٠) على الكتاب والسنة ، فإن وجدت فيهما (١١) تحريم ذلك ، مثل أن ثلهم بالزنا ، أو الربا ، أو مخالطة أهل الفسق والفجور (١٢) ، وغير ذلك من المعاصي ، فادفعه عنك ، واهجره ولا تقبله ، ولا تعمل به ، واقطع بأنه من الشيطان اللعين ، وإن وجدت فيهما إباحته (١٣) ،

(١) فتوح الغيب : الله جل وعلا ، لتكون موحداً للرب .

(٢) ز ، فتوح الغيب : لتتخلص .

(٣) ز : دون الله تبارك وتعالى كيلا تعبدتهم ؛ فتوح الغيب : دون الله لا تعبدتهم .

(٤) ض : ولا تقبل .

(٥) فتوح الغيب : فتكون .

(٦) ض : ولكن .

(٧) فتوح الغيب : فحكم الله قائم بحكمه عليك وعليهم .

(٨) فتوح الغيب : بالظلمة في المصباح ، وهو كتاب الله

(٩) ض : أو وجدت إلهاما ..

(١٠) فتوح الغيب : فاعرضه .

(١١) فتوح الغيب : فيها .

(١٢) فتوح الغيب : بالزنا والربا ومخالطة أهل الفسق والفجور ..

(١٣) فتوح الغيب : وإن وجدت فيها إباحة ...

كالشهوات المباحة : من الأكل والشرب واللبس والنكاح ^(١) ، فاهجره أيضا ولا تقبله ، واعلم أنه من إلهام النفس وشهواتها ، وقد أمرت بمخالفتها وعداوتها .

قلت : ومراده بهجر المباح : إذا لم يكن مأمورا به ، كما قد بين مراده في غير هذا الموضع ، فإن ^(٢) المباح المأمور به إذا فعله بحكم الأمر كان ذلك من أعظم نعم ^(٣) الله عليه ، وكان واجبا عليه . وقد قدّمت أنه يدعو إلى طريقة السابقين المقربين ، لا يقف عند طريقة الأبرار أصحاب اليمين .

قال ^(٤) : « وإن لم تجد في الكتاب والسنة تحريمه ولا إباحته ^(٥) ، بل هو أمر لا تعقله ^(٦) ، مثل أن يقال لك ^(٧) : ائت / موضع كذا وكذا ، الق فلانا الصالح . ولا حاجة لك هناك ، ولا في الصالح ؛ لاستغنائك عنه بما أولاك الله تعالى من نعمة ^(٨) من العلم والمعرفة ، فتوقف في ذلك ، ولا تبادر إليه فتقول : هل هذا الإلهام من الحق فاعمل به ؟ بل انتظر الخير في ذلك وفعل الحق ^(٩) ، بأن يتكرر ذلك الإلهام وتؤمر بالسعى ، أو علامة تظهر لأهل العلم بالله تبارك وتعالى ^(١٠) ، يعقلها العقلاء

ص ٣٦

(١) فتوح الغيب (هامش ص : ٢٦) : أو الشرب أو اللبس أو النكاح . وفي (ك) : سقطت كلمة « والشرب » .

(٢) ك : وأن .

(٣) ك ، ض : نعمة .

(٤) بعد كلامه السابق مباشرة في « فتوح الغيب » هامش ص ٢٦ .

(٥) فتوح الغيب : تحريمه وإباحته .

(٦) ك : لا تفعله .

(٧) فتوح الغيب : مثل السائق لك ..

(٨) فتوح الغيب : ... الله من نعمته ..

(٩) فتوح الغيب : فتقول : هذا إلهام من الحق جل وعلا فاعمل به ، بل انتظر الخير كله في ذلك وفعل الحق عز وجل .

(١٠) ز : بأن الله تبارك وتعالى ؛ ك : بالله (وسقطت عبارة : تبارك وتعالى) ؛ فتوح الغيب : بالله عز

وجل .

من أولياء الله ^(١) ، والمؤيدون ^(٢) من الأبدال .

وإنما لم تبادر ^(٣) إلى ذلك ، لأنك لا تعلم عاقبته وما يؤول الأمر إليه ، وربما كان فيه ^(٤) فتنة ، وهلاك ، ومكر من الله سبحانه ^(٥) وامتحان ، فاصبر حتى يكون هو عز وجل ^(٦) الفاعل فيك ، فإذا تجرد الفعل وحملت إلى هناك واستقبلت فتنة ، كنت محمولا محفوظا منها ^(٧) ، لأن الله تعالى لا يعاقبك على فعله ، وإنما تتطرق العقوبة ^(٨) نحوك ، لكونك في الشيء » .

قلت : فقد أمر - رحمه الله ^(٩) - بأن ما كان محظورا في الشرع يجب تركه ، ولا بد . وما كان معلوما أنه مباح بعينه ، لكونه يفعل بحكم الهوى لا بأمر الشارع فيترك أيضا ، وأما ما لم يعلم هل هو بعينه مباح لا مضرة فيه أو منه ، مثل السفر إلى مكان معين ، أو شخص / معين ، والذهاب إلى مكان معين أو شخص معين ^(١٠) ، فإن جنس هذا العمل ليس محرما ، ولا كل أفراده مباحة ؛ بل يحرم على الإنسان أن يذهب إلى حيث يحصل له ضرر في دينه ، فأمره بالكف عن الذهاب حتى يقهر ^(١١) أو يتبين له ^(١٢) في الباطن أن هذا مصلحة ، لأنه إذا

تعليق ابن تيمية

ظ ٣٦

(١) فتوح الغيب : العقلاء من الأولياء .

(٢) ز : والمريدون .

(٣) فتوح الغيب : يتبادر ، وهو تحريف .

(٤) ز : ربما كان فيه ؛ فتوح الغيب : وما كان فيه .

(٥) سبحانه : زيادة في (ز) .

(٦) ك ، ض : حتى يكون عز وجل هو ..

(٧) ض ، ك ، فتوح الغيب : فيها .

(٨) ز ، ض : العقوبات .

(٩) ز ، ض : رضى الله عنه .

(١٠) ز : إلى شخص معين أو مكان معين .

(١١) ض : حتى يظهر .

(١٢) ز : أو يتبين له .

لم يتبين له أن الذهاب واجب أو مستحب ، لم ينبغ ^(١) له فعله ، وإذا خاف الضرر انبغى ^(٢) له تركه ، فإذا أكره على الذهاب لم يكن عليه حرج ، فلا يؤاخذ ^(٣) بالفعل ، بخلاف ما إذا فعله باختياره وشهوته ^(٤) ، وإذا تبين أنه مصلحة راجحة كان حسناً .

وقد جاءت شواهد السنة بأن من ابتلى بغير تعرض منه أعين ، ومن تعرض للبلاء خيف عليه . مثل قوله ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة : « لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها » ^(٧) .

^(٨) ومنه قوله : « لا تتمنوا لقاء العدو ، وأسألوا الله العافية [فإذا لقيتموهم فاصبروا] » ^(٨) .

(١) ز : لم ينبغي ، وهو خطأ .

(٢) ض : ينبغي .

(٣) ك : فلا يؤخذ .

(٤) ض : أو شهوته .

(٥) ض : وإذا .

(٦) ز : من .

(٧) جاء هذا الحديث مختصراً كما أورده ابن تيمية أو مطولاً في بعض الروايات عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه في : البخاري ١٢٧/٨ - ١٢٨ (كتاب الأيمان والنذور ، الباب الأول) ، ١٤٧/٨ - ١٤٨ (كتاب كفارات الأيمان ، باب الكفارة قبل الحنث وبعده) ، ٦٣/٩ (كتاب الأحكام ، باب من لم يسأل الإمارة أعانه ، باب من سأل الإمارة وكل إليها) ؛ مسلم ١٢٧٣/٣ - ١٢٧٤ (كتاب الأيمان ، باب من حلف يمينا) ، ١٤٥٦/٣ (كتاب الإمارة ، باب النهي عن طلب الإمارة) ؛ سنن أبي داود ١٨٠/٣ (كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب ما جاء في طلب الإمارة) ؛ سنن الترمذي ٤٢/٣ - ٤٣ (كتاب النذور ، باب فيمن حلف على يمين) ؛ سنن النسائي ١٩٨/٨ - ١٩٩ (كتاب آداب القضاة ، باب النهي عن مسألة الإمارة) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٦٢/٥ ، ٦٣ .

(٨ - ٨) : ساقط من (ك) . وما بين المعقوفتين في (ض) فقط . والحديث عن عبد الله بن أبي =

وفي السنن : « من سأل القضاء واستعان عليه ^(١) وكِل إليه ، ومن لم يسأل القضاء ولم يستعن عليه أنزل الله عليه مَلَكًا يسدّده » وفي رواية : « وإن أكره عليه » ^(٢) .

وفي الصحيحين أنه [ﷺ] ^(٣) قال في الطاعون : « إذا سمعتم به بأرض / فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها ، فلا تخرجوا فراراً منه » ^(٤) .
ومنه ^(٥) أنه ﷺ نهى عن النذر ^(٦) .

ص ٣٧

= أوفى رضي الله عنه ، وجاء مختصراً عن أبي هريرة رضي الله عنه في : البخارى ٥١/٤ (كتاب الجهاد والسير ، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار) ، ٦٣/٤ (كتاب الجهاد ، باب لا تمنوا لقاء العدو) ؛ مسلم ١٣٦٢/٣ - ١٣٦٣ (كتاب الجهاد والسير ، باب كراهية تمنى لقاء العدو) ؛ سنن أبى داود ٥٧/٣ - ٥٨ (كتاب الجهاد ، باب في كراهية تمنى لقاء العدو) .

(١) ض (فقط) : عليه بالشفعاء

(٢) الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه بالفاظ مقاربة في : سنن الترمذى ٣٩٢/٢ (كتاب الأحكام ، باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضى) وذكر الترمذى حديثاً بعده وقال إن الحديث الثانى أصح من هذا الحديث . والحديث عن أنس أيضاً في المسند (ط . الحلبي) ١١٨/٣ ؛ سنن ابن ماجه ٧٧٤/٢ (كتاب الأحكام ، باب ذكر القضية) . وذكر الألبانى الحديث في « ضعيف الجامع الصغير » ٢٠٣/٥ وضعفه .

(٣) ﷺ : زيادة في (ض) .

(٤) الحديث بهذا اللفظ جزء من حديث طويل عن عبد الله بن عباس عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما في : البخارى ١٣٠/٧ (كتاب الطب ، باب ما يذكر في الطاعون) . والحديث بمعناه في نفس المكان عن أسامة ابن زيد رضي الله عنه . والحديث برواياته في : مسلم ١٧٣٧/٤ - ١٧٤١ (كتاب السلام ، باب الطاعون والطيرة) ؛ سنن الترمذى ٢٦٤/٢ (كتاب الجنائز ، باب ما جاء في الشهداء) ؛ الموطأ ٨٩٤/٢ - ٨٩٧ (كتاب الجامع ، باب ما جاء في الطاعون) .

(٥) ض : وعنه .

(٦) الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما في : البخارى ١٢٤/٨ - ١٢٥ ونصه : « قال : نهى النبي ﷺ عن النذر ، وقال : إنه لا يرد شيئاً ، وإنما يُستخرج به من البخيل » . والحديث عنه أيضاً في : البخارى ١٤١/٨ (كتاب الأيمان والنذور ، باب الوفاء بالنذر) ؛ مسلم ١٢٦١/٣ (كتاب النذر ، باب النهى عن النذر) ؛ المسند (ط . المعارف) ١٩١/٧ - ١٩٢ ، ١٠/٨ . والحديث أيضاً في سنن النسائى وابن ماجه . وجاء الحديث بمعناه عن أبى هريرة رضي الله عنه في مواضع متعددة .

ومنه قوله : « ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » (١) .

فصل

قال الشيخ عبد القادر (٢) : « وإن كنت في حالة (٣) الحقيقة ، وهي حالة الولاية ، فخالف هواك ، واتبع الأمر في الجملة . واتباع الأمر على قسمين : أحدهما : أن تأخذ من الدنيا القوت الذي هو حق النفس ، وتترك (٤) الحظ ، وتؤدى الفرض ، وتشغل بترك الذنوب : ما ظهر منها وما بطن .

تابع كلام الجيلاني

والقسم الثاني : ما كان بأمر باطن ، وهو أمر الحق تبارك وتعالى (٥) : يأمر عبده وينهاه ، وإنما يتحقق هذا الأمر في المباح الذي ليس له حكم في الشرع ، على معنى أنه (٦) ليس من قبيل النهي (٧) ولا من قبيل الأمر الواجب ، بل هو مهمل ترك (٨) العبد يتصرف فيه باختياره ، فسُمي مباحاً ، فلا يحدث العبد فيه شيئاً من عنده ، بل ينتظر الأمر فيه ، فإذا أمر امتثل ، فتصير (٩) جميع (١٠) حركاته

(١) مضى الحديث من قبل في هذه الرسالة (ص : ٣١) .

(٢) بعد كلامه السابق مباشرة في « فتوح الغيب » هامش ص : ٢٦ - هامش ص : ٢٨ .

(٣) ز ، ض : حال .

(٤) ز : وترك ، وهو تحريف .

(٥) فتوح الغيب : عز وجل .

(٦) أنه : ساقطة من « فتوح الغيب » .

(٧) ك : المنهى .

(٨) ز : بترك .

(٩) ض : فيصير .

(١٠) جميع : ليست في « فتوح الغيب » .

ظ ٣٧ وسكناته بالله [تعالى] ^(١) ، ما في الشرع حكمه / فبالشرع ، وما ليس له حكم في الشرع فبالأمر الباطن ، فحينئذ يصير محققاً ^(٢) من أهل الحقيقة ، وما ليس فيه أمر باطن فهو مجرد الفعل حالة التسليم ، وإن كنت في حالة ^(٣) حق الحق ، وهى حالة المحو ^(٤) والفناء ، [وهى] ^(٥) حالة الأبدال المنكسرى القلوب ^(٦) لأجل الحق ^(٧) ، الموحدن العارفين أرباب العلوم والفعل ^(٨) ، السادة الأمراء الشُّحْن ^(٩) الخفراء ^(١٠) للخلق ^(١١) ، خلفاء الرحمن وأخلائه ^(١٢) وأعيانه وأحبابه ^(١٣) عليهم السلام ، فاتِّباع الأمر فيها بمخالفتك إياك ، بالتبرُّى من الحول والقوة ، وأن لا يكون ^(١٤) لك إرادة وهمة فى شيء ألبتة ، دنيا وأخرى ^(١٥) ، عبد الملك

(١) تعالى : ليست فى (ز) ، (ك) . وفى « فتوح الغيب » : بالله عز وجل .

(٢) ض (فقط) : محققاً .

(٣) ز : حال .

(٤) ض : المحق ، وهو خطأ .

(٥) وهى : ساقطة من (ض) ، (ك) ، (ز) . وأثبتها من « فتوح الغيب » .

(٦) فتوح الغيب : المنكسرين للقلوب .

(٧) فتوح الغيب : لأجله .

(٨) فتوح الغيب : والعقل .

(٩) ض ، ز : السخى ، وهو تحريف . وفى « لسان العرب » : « قال ابن برى : وقول العامة فى

الشُّحْنَة إنه الأمير غلط . وقال الأزهري : شُحْنَة الكورة مَنْ فيهم الكفاية لضبطها من أولياء السلطان » .

(١٠) ز : الحضراء ؛ فتوح الغيب : خفراء .

(١١) ض : للحق .

(١٢) ض : وأجلاته .

(١٣) فتوح الغيب (هامش ص ٢٨) : وأحبابه

(١٤) ض : تكون .

(١٥) فتوح الغيب : وعقبى .

لا عبد المُلْك (١) ، وعبد (٢) الأمر لا عبد الهوى ، كالطفل مع الظئر (٣) ،
والميت الغسيل مع الغاسل ، والمريض المغلوب على جنبه مع الطبيب فيما سوى
الأمر والنهى .

وقال أيضا (٤) : « اتبع الشرع فى جميع ما ينزل بك إن كنت فى حالة
التقوى ، التى هى القدم الأولى (٥) ، واتبع الأمر فى حالة الولاية [وخمود] وجود
الهوى (٦) ولا تتجاوز (٧) ، وهى القدم الثانية ، وارض بالفعل ، ووافق ، وافن فى
حالة (٨) البدلية (٩) والغوثية (١٠) [والقبطية (١١) والصديقية (١٢)] ، وهى المنتهى .

(١) ض : عبد المَلَك ، وهو خطأ .

(٢) ك ، ز : عبد .

(٣) فى « لسان العرب » : « الظئر : مهموز : العاطفة على غير ولدها ، الرُضعة له من الناس
والإبل ، الذكر والأنثى فى ذلك سواء » .

(٤) فى « فتوح الغيب » هامش ص ٤٤ - هامش ص ٤٥ فى المقالة الثامنة عشر فى النهى عن
الشكوى .

(٥) ز : الأول ؛ ك : الأول .

(٦) ز ، ض ، ك : ووجود الهوى ، والمثبت من « فتوح الغيب » .

(٧) فتوح الغيب : ولا تتجاوز .

(٨) ك : فى حال .

(٩) البدلية نسبة إلى البدل عند الصوفية . ويعرف نيكلسون فى « دائرة المعارف الإسلامية »
البدل بقوله : « الأبدال جمع البدل ، والبدلاء جمع البديل ، يتصلان بطريق الصوفية الذى يرجع تاريخه إلى
القرن الثالث الهجرى ، وهو أن نظام العالم مكلف بحفظه عدد معين من الأولياء ، إذا مات واحد منهم حل
محلّه بدل أو بديل والجمع أبدال ، يستعمل عادة فى الفارسية والتركية مفردا . ويفسر بعض الكتاب البدل
بأنه الشخص الذى له قدرة على أن يخلف شخصا روحانيا عندما يترك مكانه ، أو الشخص الذى له قدرة
على التحول الروحاني . والاختلاف بين فيما أوردوه عن عدد الأبدال ومكانهم من سلسلة المراتب
الصوفية التى يكون القطب على رأسها . وقد أورد ابن حنبل فى مسنده أربعين من الأبدال خلقهم الله فى
الشام (ج ١ ص ١١٢) ويذكر أيضا أن هناك ثلاثين منهم فى أمة محمد (ج ٥ ص ٣٢٢) ويشير المكى
إلى ثلاثمائة من الأبدال يضمون الصديقين والشهداء والصالحين (قوت القلوب ، ج ٢ ، ص ٧٨ . انظر
سورة النساء الآية ٧١) . ويقول الهجويزى إنهم أربعون وإنهم فى المرتبة الرابعة ، يلون الأبرار السبعة ، =

= وفوقهم الأوتاد الأربعة ، ثم النقاء الثلاثة (كشف المحجوب ، ط . شو كوفسكى ، ص ٢٦٩ ، ترجمة نيكلسون ، ص ٢٨٤) . ويحدد ابن عرى عدد الأبدال بسبعة ويضعهم في المرتبة تحت الأوتاد (الفتوحات ، ج ٢ ، ص ٩) . وقد أخذ بهذا الرأي ابن الفارض في الثائية الكبرى .

وانظر تعريف « البداء » في « التعريفات للجرجاني » ، « اصطلاحات الصوفية » لابن عرى ، « اصطلاحات الصوفية » للقاشاني . وانظر تعليق الدكتور محمد مصطفى حلمي على « بدل » في « دائرة المعارف الإسلامية » .

وعلق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله على الحديث الذي يشير إليه نيكلسون وهو في المسند (ط . المعارف) ١٧١/٢ من مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله : « إنسانه ضعيف لانقطاعه .. وسيأتي في شأنهم حديث آخر في مسند عبادة بن الصامت ٣٢٢/٥ قال فيه أحمد هناك : « وهو منكر » . وأورد الألباني الحديثين في « ضعيف الجامع الصغير » ٢٧٥/٢ وقال عن كل منهما : « ضعيف » . والأول هو : « الأبدال بالشام ، وهم أربعون رجلا ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا ، يُسقى بهم الغيث ، ويُنتصر بهم على الأعداء ، ويُصرف عن أهل الشام بهم العذاب » . والثاني : « الأبدال في أمتي ثلاثون ، بهم تقوم الأرض ، وبهم تمطرون وبهم تُنصرون » . وانظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني (ط . دمشق ، ١٣٩٩) ٣٣٩/٢ - ٣٤١ الحديث رقم ٩٣٥ ، ٩٣٦ .

(١٠) ز ، ض ، ك : والعينية . والمثبت من « فتوح الغيب » ، وهي نسبة إلى الغوث عند الصوفية . (١١) والقبطية : ساقطة من (ز) ، (ض) ، (ك) . وأثبتها من « فتوح الغيب » . وفي كتاب « التعريفات » للجرجاني : « الغوث هو القطب حينما يلتجأ إليه ولا يسمى في غير ذلك الوقت غوثا » . وفي كتاب « اصطلاحات الصوفية » لابن عرى : « القطب وهو الغوث ، عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان ، وهو على قلب إسماعيل عليه السلام » والمقصود بالغوث الذي يزعمه الصوفية هو كما يقول الأستاذ الدكتور محمد مصطفى حلمي رحمه الله في تعليقه على مادة « بدل » في « دائرة المعارف الإسلامية » : « إن القطب بالمعنى الخاص يدل دلالة قوية على مذهب فلسفي في الحقيقة الحمديّة التي هي عند متفلسفة الصوفية ، أو صوفية الفلاسفة : المخلوق الأول الذي خلقه الله وكان واسطة في خلق كل ما في العالم من الكائنات الروحية والمادية » . وانظر تعليق على « درء تعارض العقل والنقل » ٣١٥/٥ - ٣١٦ . وانظر « اصطلاحات الصوفية » للقاشاني ، ص ١٦٧ .

(١٢) يقول القاشاني في « اصطلاحات الصوفية » في تعريف « الصديق » : « البالغ في الصدق . وهو الذي كمل تصديق كل ما جاءت به رسل الله علما وقولا وفعلا لضيء باطنه وقربه لباطن النبي ﷺ ، لشدة مناسبه له ، ولهذا لم يتخلل في كتاب الله مرتبة بينهما في قوله تعالى : (فأولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) [سورة النساء : ٦٩] » .

تنح عن طريق القدر^(١)، خلّ عن سبيله، رد نفسك / وهواك، كف لسانك عن الشكوى، فإذا فعلت ذلك إن كان خيرا زادك المولى طيبة ولذة وسرورا^(٢)، وإن كان شرا حفظك في طاعته فيه، وأزال عنك الملامة، وأفقدك فيه^(٣) حتى يتجاوز عنك، ويرحل^(٤) عند انقضاء أجله، كما ينقضى الليل فيسفر عن النهار، والبرد في الشتاء فيسفر عن الصيف.

ذلك أنموذج^(٥) عندك فاعتبر به^(٦)، ثم ذنوب وآثام وأجرام وتلويث^(٧) بأنواع المعاصي والخطيئات^(٨)، ولا يصلح لمجالسة الكريم إلا طاهر^(٩) عن أنجاس الذنوب والزلات^(١٠)، ولا يقبل على سدته^(١١) إلا طيب^(١٢) من دون الدعوى والهواشات^(١٣)، كما لا يصلح لمجالسة الملوك إلا الطاهر من الأنجاس وأنواع النتن والأوساخ، فالبلايا مكفرات (مطهرات)^(١٤). قال النبي ﷺ: « حمى يوم كفارة سنة »^(١٥).

(١) ك : طريق الفذ ؛ ض : الطريق القدر، وهو تحريف .

(٢) فتوح الغيب (هامش ص : ٤٥) . وسرورا ولذة .

(٣) ك : وفقدك فيه ؛ ض : وأفقدك فيه .

(٤) ض : ويرحلك .

(٥) ز ، ك : يا نموذج ؛ ض : النموذج . والمثبت من « فتوح الغيب » .

(٦) فتوح الغيب : بهم .

(٧) فتوح الغيب : وتلويثات .

(٨) ض : والخطايا ؛ فتوح الغيب : والخطيئات .

(٩) ز : طاهرا ؛ فتوح الغيب : الطاهر .

(١٠) * - * ما بين النجمتين ساقط من (ز) ، (ك) .

(١١) ض : ولا يقبل على شدته ؛ فتوح الغيب : ولا يقبل سدته . ولعل الصواب ما أثبتته .

(١٢) فتوح الغيب : طيبا .

(١٣) فتوح الغيب : الدعوى والهوامات .

(١٤) مطهرات : زيادة في « فتوح الغيب » .

(١٥) ذكره ابن الديبع الشيباني في « تمييز الطيب من الخبيث » ، ص ٦٩ والعجلوني في « كشف

الخفاء » ٣٦٧/١ وقال : « قال في المقاصد : رواه القضاعي في مسنده عن ابن مسعود مرفوعا في حديث بلفظ : وحمى ليلة تكفر خطايا سنة مجرمة . وله شاهد رواه ابن أبي الدنيا عن أبي الدرداء موقوفا بلفظ : =

قلت : فقد ^(١) بين الشيخ - رضى الله عنه - أن لزوم الأمر والنهى لا بد منه فى كل مقام ، وذكر الأحوال الثلاث التى جعلها : حال صاحب التقوى ، وحال الحقيقة ، وحال حق الحق . وقد فسر مقصوده بأنه لا بد للعبد فى كل حال من أن يريد فعل ما أمر به فى الشرع ، وترك ما نهى عنه فى الشرع ، وأنه إذا أمر العبد بترك إرادته ، فهو فيما لم يؤمر به ولم ينه عنه ، وهذا حق ، فإنه لم يؤمر به فيكون له إرادة فى وجوده ولا نهى عنه فتكون له إرادة فى عدمه ، فيخلو فى مثل هذا عن إرادة النقيضين .

وقد بين / أن صاحب الحقيقة عليه أن يلزم الأمر دائما : الأمر الشرعى ظ ٣٨
الظاهر إن عرفه ، أو الأمر الباطن ، وبين أن الأمر الباطن إنما يكون فيما ليس بواجب فى الشرع ولا محرم ، وأن مثل ^(٢) هذا ينتظر فيه الأمر الخاص حتى يفعله بحكم الأمر .

فإن قلت : فما الفرق بين هذا وبين صاحب التقوى الذى قبله ؟
وصاحب حق الحق الذى بعده ؟

قيل : أما الذين بعده الذين سماهم « الأبدال » فهم الذين لا يفعلون إلا بأمر الحق ، ولا يفعلون إلا به ، فلا يشهدون لأنفسهم فعلا فيما فعلوه من الطاعات ، بل يشهدون أنه هو الفاعل بهم ما قام بهم من طاعة أمره . ولهذا قال : « فاتباع الأمر فيها بمخالفتك إياك بالتبى من الحول والقوة » .

= حمى ليلة كفارة سنة . ورواه تمام فى فوائده عن أبى هريرة رفعه بلفظ الترجمة ، وزاد : وحمى يومين كفارة سنتين ، وحمى ثلاثة كفارة ثلاث سنين ، ولابن أبى الدنيا عن الحسن مرسل - رفعه - إن الله ليكفر عن المؤمن خطاياها كلها بحمى ليلة . وقال ابن المبارك عقب روايته له : إنه من جيد الحديث . ورواه ابن أبى الدنيا أيضا عن الحسن ، قال : كانوا يرجون فى حمى ليلة كفارة لما مضى من الذنوب . وله شواهد كثيرة يقوى بعضها بعضا . انتهى .

(١) ز : قد .

(٢) ز : وإن قيل ، وهو تحريف .

فهؤلاء يشهدون توحيد الربوبية مع توحيد الإلهية ، فيشهدون أن الله هو الذى خلق ما قام بهم من أفعال البر والخير ، فلا يرون لأنفسهم حمداً ولا منةً على أحد ، ويرون أن الله خالق أفعال العباد ، فلا يرون أحداً مسيئاً إليهم ، ولا يرون لهم حقاً على أحد ، إذ قد شهدوا أن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها ، وهم يعلمون أن العباد لا يستحقون من أنفسهم / ولا بأنفسهم على الله شيئاً ، بل هو الذى كتب على نفسه الرحمة .

ص ٣٩

ويشهدون أنه يستحق أن يُعبد لا ^(١) يشرك به شيئاً ، وأنه يستحق أن يتقى حق ثقاته ، وحق ثقاته أن يُطاع فلا يُعصى ، ويُذكر فلا يُنسى ، ويشكر فلا يُكفر ، فيرون أن ما قام بهم من العمل الصالح فهو بفضلته وجوده وكرمه ^(٢) ، له الحمد فى ذلك .

ويشهدون : أنه لا حول ولا قوة إلا بالله . وأما ما قام بالعباد من أذاهم ، فالله خالقه ^(٣) وهو من عدله ، وما تركه الناس من حقوقهم التى يستحقونها على الناس فهو الذى لم يخلقه ، وله الحمد على كل حال : على ما فعل وما لم يفعل . ولهذا كانوا منكسرة قلوبهم ؛ لشهودهم وجوده الكامل وعدمهم المحض ، ولا أعظم انكساراً ممن لم ير لنفسه إلا العدم ، لا يرى له شيئاً ، ولا يرى به شيئاً . وصاحب الحقيقة الذى هو دون هذا قد شاركه فى إخلاص الدين لله ، وأنه لا يفعل إلا ما أمر به ^(٤) ، فلا يفعل إلا لله ، لكن قصر عنه فى شهود

(١) ض : ولا .

(٢) ك : فهو فضله وجوده وكرمه ؛ ض : فهو جوده وفضله وكرمه .

(٣) ز : فهو خالقه ؛ ض : فهو خلقه .

(٤) به : ساقطة من (ك) .

توحيد الربوبية ورؤيته ، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، وأنه ليس له في الحقيقة شيء ، بل الرب هو [الخالق] الفاعل ^(١) لكل ما قام به ، وأن كمال هذا الشهود لا يبقى شيئاً من العجب ولا الكبر ونحو ذلك .

فكلاهما ^(٢) / قائم بالأمر مطيع لله ، لكن هذا يشهد أن الله هو الذى جعله مسلماً مصلياً ، وإنه هو فى الحقيقة لم يحدث شيئاً . وذلك وإن كان يؤمن بهذا ويصدق به - إذ ^(٣) كان مقراً بأن الله خالق أفعال العباد - [لكن] ^(٤) قد لا يشهده شهوداً يجعله فيه بمنزلة المعدوم .

وأيضاً بينهما فرق من جهة ثانية : وهى أن ^(٥) الأول تكون له إرادة فى أمور فتركها ، فهو يميز فى مراداته بين ما ^(٦) يؤمر به وما ينهى عنه ، وما لا يؤمر به ولا ينهى عنه . وهذا لم يبق له مراد ^(٧) أصلاً إلا [ما] ^(٨) أرادته الرب : إما أمراً به ^(٩) فيمثله هو بالله ^(١٠) ، وإما فعلاً فيه فيفعله الله به . ولهذا شبهه بالطفل مع الظئر فى غير الأمر والنهى .

وأما الأول : الذى هو فى مقام التقوى العامة فإن له شهوات للمحرمات ، وله التفات إلى الخلق ، وله رؤية نفسه ، فيحتاج إلى المجاهدة بالتقوى بأن يكف عن

(١) ز : بل للرب هو الفاعل . والمثبت من (ك) ، (ض) .

(٢) ز ، ك : وكلاهما .

(٣) ز : إذا .

(٤) لكن : ساقطة من (ز) .

(٥) أن : ساقطة من (ك) .

(٦) ض : بينا .

(٧) ز : مراد .

(٨) ما : ساقطة من (ز) .

(٩) به : ساقطة من (ك) .

(١٠) ك : بالله تعالى .

المحرمات ، وعن تناول الشهوات بغير الأمر . فهذا يحتاج أن يميّز بين ما يفعله وما لا يفعله ، وهو التقوى .

وصاحب الحقيقة : لم يبق له ما يفعله إلا ما يؤمر به فقط ، فلا يفعل إلا ما أمر به في الشرع ، وما كان مباحا لم يفعل إلا ما أمر به [باطنا] ^(١) .

وأما / الثالث : فقد تم شهوده في أنه لا يفعل إلا الله وبالله ، فلا يفعل إلا ما أمر [الله] ^(٢) به الله ، ويشهد أن الله هو الذي فعل ذاك ^(٣) في الحقيقة ، ولا تكون له همة ^(٤) أو إرادة أن يفعل لنفسه ولا لغير الله ، ولا يفعل بنفسه ولا بغير الله ^(٥) .

ص ٤٠

والثلاثة مشتركون في الطريق ، في أن كلاً منهم لا يفعل إلا الطاعة ، لكن يتفاوتون بكمال المعرفة والشهادة ، وبصفاء النية والإرادة ، والله أعلم .

فإن قيل : كلام الشيخ كله يدور على أنه يتبع الأمر مهما أمكن معرفته ظاهراً وباطناً ، وما ليس فيه أمر باطن ولا ظاهر ^(٦) يكون فيه مسلماً لفعل الرب ، بحيث لا يكون له اختيار ^(٧) لا في هذا ولا في هذا ، بل إن عرف الأمر كان معه ، وإن لم يعرفه كان مع القدر ، فهو مع أمر ^(٨) الرب إن عَرَفَ ^(٨) ، وإلا فمع خلقه ،

(١) باطنا : ساقطة من (ز) ، (ض) .

(٢) الله : ليست في (ز) ، (ك) .

(٣) ض : ذلك .

(٤) ك : ولا يكون هم ..

(٥) ض : الله تعالى .

(٦) ض : باطنا ولا ظاهراً .

(٧) ك : اعتبار .

(٨ - ٨) : مكانه بياض في (ك) .

فإنه سبحانه له الخلق والأمر . وهذا يقتضى أن من الحوادث ما ليس فيه أمر ولا نهى ^(١) ، فلا يكون لله فيه حكم لا باستحباب ولا كراهة ^(٢) .

وقد صرح بذلك هو ^(٣) والشيخ حمّاد الدبّاس ^(٤) ، وأن السالك يصل إلى أمور لا يكون فيها حكم شرعى بأمر ولا نهى ، بل يقف العبد مع القدر .

وهذا الموضع هو الذى يكون السالك فيه / عندهم مع الحقيقة القدريّة ^(٥) المحضّة ، إذ ليس هنا حقيقة شرعية .

وهذا مما ينازعهم فيه أهل العلم بالشرعية ، ويقولون : [إن] ^(٦) الفعل إما أن يكون بالنسبة إلى الشرع وجوده راجحاً على عدمه ، وهو الواجب والمستحب . وإما أن يكون عدمه راجحاً على وجوده ، وهو المحرّم والمكروه . وإما أن يستوى

(١) ك : أمر ونهى .

(٢) ز : كراهية .

(٣) أى الجيلاني ، وهو الشيخ أبو محمد محبى الدين عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكى دوست الحسنى ، الجيلاني أو الكيلاني أو الجيلي ، شيخ الطريقة القادرية ، من كبار الزهاد والصوفية ، ولد في جيلان (وراء طبرستان) سنة ٤٧١ ، وعاش في بغداد وتصدر للتدريس والإفتاء بها ، وتوفي سنة ٥٦١ . له كتب منها « الغنية لطالب طريق الحق » ، « فتوح الغيب » وهي مطبوعة . انظر ترجمة الجيلي في : شذرات الذهب ١٩٨/٤ - ٢٠٢ ، وذكر ابن العماد الحنبلي ٢٠٠/٤ أن ابن السمعاني قال عنه : « هو إمام الخنابلة وشيخهم في عصره » ؛ الذيل لابن رجب ٢٩٠/١ - ٣٠١ ؛ الطبقات الكبرى للشعراني ١٠٨/١ - ١١٤ ؛ فوات الوفيات لابن شاکر ٤/٢ - ٦ ؛ الأعلام ١٧١/٤ - ١٧٢ .

(٤) هو الشيخ أبو عبد الله حماد بن مسلم بن دده الدبّاس الرحبي الزاهد ، شيخ الشيخ عبد القادر الجيلاني ، نشأ ببغداد ، وكان له معلم للدبس ، وكان أمياً لا يكتب ، ولكنه كان شيخاً صوفياً له أتباع وأصحاب ، وكان ابن عقيل يحط عليه ويؤذيه . توفي في رمضان سنة ٥٢٥ . انظر ترجمته في : الطبقات الكبرى للشعراني ١١٦/١ ؛ شذرات الذهب ٧٣/٤ - ٧٤ .

(٥) ك : الحقيقة والقدرة .

(٦) إن : زيادة في (ك)

الأمران ، وهو المباح . وهذا ^(١) التقسيم بحسب الأمر المطلق .

ثم الفعل المعين الذى يُقال : هو مباح : إما أن تكون ^(٢) مصلحته راجحة للعبد ، لاستعانته به على طاعة ^(٣) ولحسن نيته ، فهذا يصير أيضاً محبوباً راجح الوجود بهذا الاعتبار . وإما أن يكون مفوّتاً للعبد ما هو أفضل له ، كالإباح الذى يشغله عن مستحب ، فهذا عدمه خير له .

والسالك المتقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض : لا يكون المباح المعين فى حقه مستوى الطرفين ، فإنه إذا لم يستعن به على طاعة ^(٤) ، كان تركه وفعل طاعة ^(٥) مكانه خيراً له ، وإنما قدر وجوده وعدمه سواء إذا كان مع عدمه يشغل بمباح مثله .

فيقال : لا فرق بين هذا وهذا ، فهذا يصلح للأبرار أهل اليمن الذين يتقربون إلى الله / بالفرائض : أداء ^(٦) الواجبات وترك المحرمات ، ^(٧) ويشغلون مع ذلك ^(٧) بمباحات . فهؤلاء قد يكون المباح المعين يستوى وجوده وعدمه فى حقهم ، إذا كانوا عند عدمه يشغلون بمباح آخر ، ولا سبيل إلى أن تترك النفس فعلاً إن لم تشتغل بفعل آخر يضاد الأول ؛ إذ لا تكون معطلة عن جميع الحركات والسكنات .

ص ٤١

(١) ز ، ك : هذا .

(٢) ز : يكون .

(٣) ض : طاعته .

(٤) ض : طاعته .

(٥) ض : الطاعة .

(٦) ز : إذا ، وهو تحريف ؛ ض : كأداء . والمثبت من (ك) .

(٧ - ٧) : مكانه بياض فى (ك) .

ومن هنا (١) أنكر الكعبي (٢) المباح في الشريعة ؛ لأن كل مباح فهو يشتغل به عن محرم ، وترك المحرم واجب ، ولا يمكنه تركه إلا أن يشتغل بضده ، وهذا المباح ضده ، والأمر بالشئ نهى عن ضده ، والنهى عنه أمر بضده المعين (٣) إن لم يكن له إلا ضد واحد ، وإلا فهو أمر بأحد أضداده ، فأى ضد تلبس به كان واجبا من باب الواجب المخير .

وسؤال الكعبي هذا أشكل على كثير من النظائر . فمنهم من اعترف بالعجز عن جوابه : [كأى الحسن] الآمدى (٤) ، وقوّه طائفة ، بناء على أن النهى عن الشئ أمر بضده ، كأى المعالى .

ومنهم من قال : هذا فيما كانت (٥) أضداده محصورة ، فأما ما ليست أضداده محصورة فلا يكون النهى عنه أمراً بأحدهما (٦) ، كما يفرق بين الواجب المطلق والواجب المخير ، فيقال / فى المخير : هو أمر بأحد الثلاثة ، ويقال فى المطلق : هو أمر بالقدر المشترك ، وجدى (٧) أبو البركات (٨) يميل إلى هذا .

(١) ض : ومن هذا .

(٢) أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي صاحب « المقالات » ورأس فرقة الكعبية من فرق المعتزلة ، وقد توفى سنة ٣١٩ هـ وقيل سنة ٣١٧ . انظر عنه وعن مذهبه : وفيات الأعيان ٢٤٨/٢ - ٢٤٩ ؛ الفرق بين الفرق ص ١٠٨ - ١١٠ ؛ الملل والنحل ١١٦/١ - ١١٧ ؛ اللباب ٤٤/٣ ؛ تاريخ بغداد ٣٨٤/٩ ؛ الخطط للمقرئى ٣٤٨/٢ ؛ لسان الميزان ٢٥٥/٣ ؛ الأعلام ١٨٩/٤ .

(٣) المعين : ساقطة من (ض) .

(٤) ز : كالآمدى .

(٥) ض : فيما إذا كانت .

(٦) ز : بأحدها .

(٧) ض : وجدنا .

(٨) هو محمد الدين عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن على بن تيمية الحراى ، جد المؤلف . ولد بحران حوالى سنة ٥٩٠ هـ وتوفى بها سنة ٦٥٢ . وكان من أئمة فقهاء الحنابلة . انظر ترجمته فى : الذيل لابن رجب ٢٤٩/٢ - ٢٥٤ ؛ فوات الوفيات ٥٧٠/١ ؛ شذرات الذهب ٢٥٧/٥ - ٢٥٩ ؛ النجوم الزاهرة ٣٣/٨ ؛ البداية والنهاية ١٨٥/١٣ ؛ الأعلام ١٢٩/٤ - ١٣٠ .

وقد ألزموا الكعبيّ إذا ترك الحرام بحرام آخر ، وهو قد يقول : عليه ترك المحرمات كلها إلى ما ليس بمحرم ، بل إما مباح وإما مستحب ، وإما واجب .
وتحقيق الأمر أن قولنا ^(١) : الأمر بالشئ نهى عن ضده وأضداده ، والنهى عنه ^(٢) أمر بضده أو بأحد أضداده ، من جنس قولنا : ^(٣) الأمر بالشئ أمر بلوازمه ^(٤) ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، والنهى عن الشئ نهى عن ما لا يتم اجتنابه إلا باجتنابه ، فإن وجود المأمور [به] ^(٥) يستلزم ^(٦) وجود لوازمه وانتفاء أضداده ، بل وجود كل شئ هو كذلك يستلزم وجود لوازمه وانتفاء أضداده ، وعدم المنهى عنه ^(٧) ، بل وعدم كل شئ يستلزم عدم ملزوماته ، وإذا كان لا يعدم إلا بضد يخلفه ^(٨) كالأكوان ^(٩) ، فلا بد عند عدمه من وجود بعض أضداده .

فهذا حق في نفسه ، لكن هذه اللوازم جاءت من ضرورة الوجود ، وإن لم تكن ^(١٠) مقصوده للأمر ^(١١) . والفرق ثابت بين ما يؤمر به قصداً ، وبين ما يلزمه ^(١٢) في الوجود .

(١) ك : إن قلنا .

(٢) ك : والمنهى عنه .

(٣ - ٣) : مكانه بياض في (ك) .

(٤) به : زيادة في (ك) .

(٥) ز : مستلزم .

(٦) ض : النهى عنه .

(٧) ك ، ض : يخلفه .

(٨) ك ، ز : كالألوان .

(٩) ز ، ض : يكن . وفي (ك) : غير منقوطة .

(١٠) ض : الأمر .

(١١) ك ، ض : وما يلزمه .

فالأول هو الذى يُذم ويُعاقب / على تركه ، بخلاف الثانى . فإن من أمر ٤٢
بالحج أو الجمعة وكان مكانه بعيدا ، فعليه أن يسعى من المكان البعيد ، والقريب
يسعى من المكان القريب . فقطع تلك المسافات من لوازم المأمور به ، ومع هذا
فإذا ترك هذان الجمعة والحج ، لم تكن عقوبة البعيد أعظم من عقوبة القريب ، بل
ذاك ^(١) بالعكس أولى ، مع أن ثواب البعيد أعظم . فلو ^(٢) كانت اللوازم
مقصوده للأمر لكان يُعاقب بتركها ، فكان تكون ^(٣) عقوبة البعيد أعظم ، وهذا
باطل قطعاً .

وهكذا إذا فعل المأمور به فإنه لابد من ترك أضداده ، لكن ترك الأضداد
هو من لوازم فعل المأمور به ، ليس مقصودا للأمر ، بحيث أنه إذا ترك المأمور به
عوقب على تركه لا على فعل الأضداد التى اشتغل بها ، وكذلك المنهى عنه مقصود
الناهى عدمه ، ليس مقصوده فعل شيء من أضداده ، وإذا تركه متلبساً بضد له
كان ذلك من ضرورة الترك .

وعلى هذا إذا ^(٤) ترك حراماً بجرام آخر فإنه يعاقب على ^(٥) الثانى ،
ولا يقال : فعَل واجبا وهو ترك الأول ، لأن المقصود عدم الأول ، فالمباح الذى
اشتغل به عن محرم لم يؤمر به ولا بأمثاله ^(٥) / [كان] ^(٦) أمراً مقصوداً ؛ لكن نُهى
عن الحرام ، ومن ضرورة ترك المنهى عنه الاشتغال بضد من أضداده ، فذاك يقع

(١) ض : ذلك .

(٢) ز : ولو .

(٣) ض : يكون .

(٤ - ٥) : مكانه بياض فى (ك) .

(٥) ض : امثاله .

(٦) زدت « كان » ليستقيم الكلام .

لازماً لترك المنهى عنه ، فليس هو الواجب المحدود بقولنا : « الواجب ما يُذم تاركه ، ويُعاقب تاركه » أو « يكون تركه سبباً للذم والعقاب » .

فقولنا : « ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » أو : « يجب التوصل إلى الواجب بما ليس بواجب » : يتضمن إيجاباً ^(١) للوازم . والفرق ثابت بين الواجب الأول والثاني ، فإن الأول يُذم تاركه ويعاقب ، والثاني واجب وقوعاً ، أى لا يحصل الأول ^(٢) إلا به ، ويؤثر به أمراً بالوسائل ، ويُثاب عليه ، لكن العقوبة ^(٣) ليست على تركه .

ومن هذا الباب إذا اشتبهت الميئة بالمدكّي ^(٤) ، فإن المحرم الذى يعاقب على فعله أحدهما ، بحيث إذا ^(٥) أكلهما جميعاً لم يعاقب عقوبة من أكل ميئتين ، بل عقوبة من أكل ميئة واحدة ، والأخرى وجب تركها وجوب الوسائل .

فقول من قال : كلاهما محرم ، صحيح بهذا الاعتبار . وقول من قال : المحرم فى نفس الأمر أحدهما ، صحيح أيضاً بذلك الاعتبار . وهذا نظير قول من قال : يجب التوصل إلى الواجب / بما ليس بواجب .

ص ٤٣

وإنكار أبى حامد [الغزالي] ^(٦) وأبى محمد [المقدسى] ^(٧) على من قال

(١) ك : إيجابه .

(٢) الأول : ساقطة من (ض) .

(٣) العقوبة : ساقطة من (ك) .

(٤) ك : اشتبه المدكّي بالمئة .

(٥) ك : لو .

(٦) الغزالي : زيادة فى (ض) .

(٧) المقدسى : زيادة فى (ض) . وهو أبو محمد تقى الدين عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن

سرور المقدسى الجماعيلى الدمشقى الحنبلى ، وسبقت ترجمته فى هذه المجموعة ، ص ١٠٠ .

هذا ، ومن قال : المحرم أحدهما ، لا يناسب طريقة الفقهاء ، وحاصله يرجع إلى نزاع لفظي . فإن الوجوب ^(١) والحرمة الثابتة لأحدهما ليست ثابتة للآخر ، بل هي ^(٢) نوع آخر ، حتى لو اشتبهت مملوكته بأجنبية بالليل ووطئها ^(٣) يعتقد ^(٤) حل وطء إحداهما ^(٥) وتحريم وطء الأخرى ، كان ولده من مملوكته ثابتا نسبه بخلاف الأخرى ، ولو قدرنا ^(٥) أنه ^(٦) اشتبهت ^(٧) أخته ^(٨) ^(٩) بأجنبية وتزوج إحداهما فحُدَّ مثلا ، ثم تزوج الأخرى ^(٩) لم يحْدِ حدين ، مع أنه لا حد في ذلك لجواز أن تكون المنكوحة هي الأجنبية .

وهذا تنحل شبهة الكعبي ، فإن المحرم تركه مقصود ، وأما الأشتغال بضد من أضداده فهو وسيلة .

فإذا قيل : المباح واجب ، بمعنى وجوب الوسائل ، أى قد ^(١٠) يُتوسل به إلى فعل واجب وترك محرم ^(١١) ، فهذا حق .

ثم إن هذا يُعتبر فيه القصد ؛ فإن كان الإنسان يقصد أن يشتغل بالمباح ليترك ^(١٢) المحرم ، مثل من يشتغل بالنظر إلى امرأته ووطئها ليدع بذلك النظر إلى

(١) ك : الواجب .

(٢) هي : ساقطة من (ض) .

(٣) كلمة « ووطئها » مكانها بياض في (ك) .

(٤) ك : معتقدا .

(٥ - ٥) : ساقط من (ك) ومكانه بياض .

(٦) ض : أنها .

(٧) ك : لو اشتبهت .

(٨) أخته : ساقطة من (ض) .

(٩ - ٩) : ساقط من (ك) ومكانه بياض .

(١٠) قد : ساقطة من (ك) .

(١١) ز : إلى ترك محرم وفعل واجب .

(١٢) ز : لترك .

الأجنبية ووطئها ، أو يأكل طعاما حلالا ليشغل به ^(١) عن الطعام الحرام ، فهذا يثاب على هذه النية والفعل .

كما بين ذلك النبي ﷺ / بقوله : « وفي بضع أحدكم صدقه . قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أما كان عليه وزر ؟ قالوا : بلى ^(٢) . قال : فلم تعتدّون بالحرام ولا تعتدّون ^(٣) بالحلال ^(٤) ؟ » .

ظ ٤٣

ومنه قول النبي ﷺ : « إن الله يحب أن تؤخذ برخصه كما يكره أن تؤتى معصيته » [رواه أحمد وابن خزيمة في صحيحه] ^(٥) .

وقد يقال : المباح يصير واجبا بهذا الاعتبار ، وإن تعين طريقا صار واجبا معينا ، وإلا كان واجبا مخيرا ، لكن مع هذا القصد ، وأما ^(٦) مع الذهول عن ذلك فلا يكون واجبا أصلا ، إلا وجوب الوسائل إلى الترك .

(١) ك : ليشغله .

(٢) عبارة « قالوا بلى » : ساقطة من (ض) .

(٣) ض : وزر فلم تحتسبون بالحرام ولا تحتسبون .

(٤) مضى هذا الحديث من قبل في هذه الرسالة (ص : ٨١) .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ز) . والحديث - مع اختلاف يسير في الألفاظ - عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما في المسند (ط . المعارف) ١٧٠/٨ وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله : « إسناده صحيح » والحديث في مجمع الزوائد ١٦٢/٣ وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح ، والبخاري والطبراني في الأوسط ، وإسناده حسن . وأورده الألباني في « صحيح الجامع الصغير » ١٤٦/٢ وقال السيوطي : « حم (أحمد) حب (ابن حبان في صحيحه) ، هب (البيهقي في شعب الإيمان) : عن ابن عمر » .

(٦) ض : أما .

وترك المحرم لا يشترط فيه القصد ، فكذلك ما يُتوسل به ^(١) إليه . وإذا قيل : هو مباح من جهة نفسه ^(٢) ، وأنه قد يجب وجوب الخيَّرات ^(٣) من جهة الوسيلة لم يُمنع ذلك . فالنزاع في هذا الباب نزاع لفظي اعتباري ، وإلا فالمعاني الصحيحة لا يَنزاع فيها من فهمها .

والمقصود هنا أن الأبرار أصحاب اليمين قد يشتغلون عن مباح بمباح آخر ^(٤) ، فيكون كل من المباحين يستوى وجوده وعدمه في حقهم ، أما السابقون المقربون فهم إنما يستعملون المباحات إذا كانت طاعةً لحسن القصد فيها ^(٥) ، والاستعانة على طاعة / الله ، وحينئذ فمباحاتهم طاعات .

ص ٤٤

وإذا كان كذلك لم تكن الأفعال في حقهم إلا ما يترجح وجوده ، فيؤمرون به ^(٦) شرعاً أمر ^(٧) استحباب ، أو ما يترجح عدمه فالأفضل لهم أن لا يفعلوه ، وإن لم يكن فيه إثم .

والشريعة قد بيَّنت ^(٨) أحكام الأفعال كلها . فهذا سؤال . وسؤال ثانٍ ، وهو أنه إذا قُدِّرَ أن من الأفعال ^(٩) ما ليس فيه أمر ولا نهى ، كما في حق الأبرار ، فهذا الفعل لا يُحمد ولا يُذم ، ولا يُحب ولا يُبغض ، ولا يُنظر فيه إلى ^(١٠) وجود

(١) ك : ما توسل به .

(٢) نفسه : مكانها بياض في (ك) .

(٣) وجوب الخيَّرات : مكانها بياض في (ك) .

(٤) ض : بمباح عن مباح آخر .

(٥) ز : منها .

(٦) به : ساقطة من (ك) .

(٧) ك : شرعاً إما أمر ؛ ز : شرعاً أم . والمثبت من (ض) .

(٨) ك : تثبت .

(٩) ك : من أفعالهم .

(١٠) ض : إلا .

القدر وعدمه ، بل إن فعلوه لم يحمدا ، وإن لم يفعلوه لم يحمدا ، فلا يُجعل من ما يحمدون عليه أنهم يكونون ^(١) في هذا الفعل كالميت بين يدَي الغاسل ، مع كون هذا الفعل صدر باختيارهم وإرادتهم ، إذ الكلام في ذلك .

وأما غير الأفعال الاختيارية ، وهو ما فعل بالإنسان [بغير اختياره] ^(٢) ، كما يُحمل الإنسان وهو لا يستطيع الامتناع ، فهذا خارج عن التكليف ، مع أن العبد مأمور في مثل هذا أن يحبه إن كان حسنةً ، ويبغضه إن كان سيئةً ^(٣) ، ويخلو عنهما إن لم يكن حسنة ولا سيئة ، فمن جعل الإنسان فيما يستعمله فيه القدر من الأفعال الاختيارية ^(٤) كالميت بين يدَي الغاسل ، فقد رفع / الأمر والنهي عنه في الأفعال الاختيارية ^(٥) ، وهذا باطل .

ظ ٤٤

وسؤال ثالث ، وهو أن حقيقة هذا القول طى بساط الأمر والنهي عن العبد في هذه الأحوال ، مع كون أفعاله اختيارية ، وهب أنه ليس له هوى ، فليس كل ما لا هوى فيه يسقط عنه فيه الأمر والنهي ، بل عليه أن يحب ما أحبه الله ورسوله ، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله .

قيل : هذه الأصول أسولة ^(٥) صحيحة .

وفصل الخطاب أن السالك قد يخفى عليه الأمر والنهي ، بحيث لا يدري هل ذلك الفعل مأمور به شرعاً أو منهي عنه شرعاً ، فيبقى ^(٦) هواه لئلا ^(٧) يكون

(١) ك : لأنهم لم يكونون ، وهو خطأ .

(٢) عبارة « بغير اختياره » : ساقطة من (ز) ، (ض) .

(٣) ز : شيء ، وهو تحريف .

(٤ - ٤) : ساقط من (ك) .

(٥) ض : أسئلة .

(٦) ز : فيقى .

(٧) ز ، ك : لأن لا .

له هوى فيه ، ثم يسلم فيه للقدر ^(١) ، وهو فعل الرب لعدم معرفته برضا ^(٢) الرب وأمره وحبه في ذلك الفعل .

وهذا يعرض لكثير من أئمة العباد وأئمة العلماء ، فإنه قد تكون ^(٣) عندهم أفعال وأقوال لا يعرفون حكم الله الشرعى فيها ، بل قد تعارضت عندهم فيها الأدلة ، أو خفيت الأدلة بالكلية ، فيكونون معذورين لخفاء الشرع عليهم .

وحكم الشرع إنما يثبت في حق العبد إذا تمكن من معرفته ، فأما ^(٤) ما لم يبلغه ولم يتمكن من معرفته فلا يطالب به ، وإنما عليه أن يتقى الله / ما استطاع . ص ٤٥
وهذا خطأ في العلم ، وليس خطأ في العمل ، وهو كالمجتهد المخطئ له أجر على قصده واجتهاده ، وخطأه مرفوع عنه .

فإن قيل : فإذا كان الأمر هكذا ، فالواجب على العبد أن يتوقف في مثل هذه الحال ، إذا لم يتبين له أن ذلك الفعل مأمور به أو منهى عنه ، وهو لا ^(٥) يريد أن يفعل شيئا لا مدح فيه ولا ذم ، فيقف لا يستسلم للقدر ^(٥) ، ويصير محلا لما يستعمل فيه من الأفعال ، اللهم إلا إذا فعل غيره فعلا ، فهو لا يمدحه ولا يذمه ، ولا يرضاه ولا يسخطه ، إذا لم يتبين له حكمه .

فأما كونه هو من أفعاله الاختيارية يصير مستسلما لما يستعمله القدر فيه ، كالطفل مع الظئر ، والميت مع الغاسل ، فهذا ما لم يأمر الله به ولا رسوله ، بل هذا

(١) ز : ثم يسلم فيه ثم يسلم منه للقدر .

(٢) ز : برضاء .

(٣) ض : يكون .

(٤) ض : وأما .

(٥- ٥) : ساقط من (ك) ومكانه بياض فيها .

محرم ، وإن عُفِيَ عن صاحبه . وَحَسَبُ صاحبه أن يُعْفَى عنه لاجتهاده وحسن قصده .

أما كونه يحمد على ذلك ، ويُجعل هذا أفضل المقامات ، فليس الأمر كذلك . وكونه مجرداً عن هواه ليس مسوغاً له أن يستسلم لكل ما يُفعل به .

ثم يقال : الأمور مع هذا نوعان : أحدهما : أن يُفعل به بغير اختياره ، كما يحمل الإنسان ولا يمكنه الامتناع ، وكما تُضجع المرأة / قهراً وتوطأ ، فهذا لا إثم فيه باتفاق العلماء . وأما أن يُكره بالإكراه الشرعى حتى يفعل ، فهذا أيضاً معفو^(١) عنه في الأفعال عند الجمهور ، وهو أصح الروايتين عن أحمد ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة النور : ٣٣] .

ظ ٤٥

وأما إذا لم يكره الإكراه الشرعى ، فاستسلامه للفعل المطلق الذى لا يُعرف أخير هو أم شر ، ليس هو مأموراً به ، وإن جرى على يده خرق عادة أو لم يجز ، فليس هو مأموراً أن يفعل إلا ما هو خير عند الله ورسوله .

قيل : هذا السؤال صحيح ، وحقيقة الأمر أن السالكين إذا وصلوا^(٢) إلى هذا المقام فبحسن^(٣) قصدهم وتسليمهم [وخضوعهم]^(٤) لربهم ، وطلبهم^(٥) منه أن يختار لهم ما هو الأصلح ، إذا استعملوا في أمر وهم^(٥) لا يعرفون^(٦) حكمة في الشرع رجوا أن يكون خيراً ؛ لأن معرفتهم بحكمه قد تتعذر^(٧) عليهم ،

(١) ز : معفو ، وهو خطأ .

(٢) عبارة « إذا وصلوا » مكانها بياض في (ك) .

(٣) ض : فيحسن .

(٤) وخضوعهم : زيادة في (ض) .

(٥-٥) : مكان هذه العبارات بياض في (ك) .

(٦) ض : في أمورهم لا يعرفون . والمثبت من (ز) .

(٧) ض : قد تعذر .

والإنسان غير عالم في كل حال بما هو الأصلح له في دينه ، وبما هو رضا الله ورسوله ^(١) ، فيبقى حالهم ^(٢) حال المستخير لله فيما لم يعلم عاقبته إذا قال : « اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت / علام الغيوب . اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ، ويسره لي ، ثم بارك لي فيه . وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، فاصرفه عني ، واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به » ^(٣) .

ص ٤٦

فإذا استخار الله كان ما شرح له صدره ، وتيسر له ^(٤) من الأمور هو الذي اختاره الله له ، إذ لم يكن معه دليل شرعي على أن عين ^(٥) هذا الفعل هو مأمور به في هذه الحال . فإن الأدلة الشرعية إنما تأمر بأمر مطلق عام ، لا بعين ^(٦) كل فعل من كل فاعل ، إذ كان ^(٧) هذا ممتنعا ، وإن كان ذلك المعين يمكن إدراجه تحت بعض خطاب الشارع العام ، إذا كانت الأفراد المعنية داخلة تحت الأمر العام الكلي ، لكن لا يقدر كل أحد على استحضار هذا ، ولا على استحضار أنواع الخطاب .

(١) ض : بما هو أرضى الله ورسوله .

(٢) ك : حاله .

(٣) مضى هذا الحديث من قبل في هذه المجموعة ، (ص : ٦٩)

(٤) له : ساقطة من (ك)

(٥) ك : غير .

(٦) ك : لا تعين .

(٧) ز : إذا كان .

(٨) ك : إذ .

ولهذا كان الفقهاء يعدلون إلى القياس عند خفاء ذلك عليهم . ثم القياس أيضا قد لا يحصل في كل واقعة ، فقد يخفى على الأئمة المجتهدين ، ^(١) من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، دخول الواقعة المعينة تحت ^(٢) / خطاب عام ، أو اعتبارها بنظير لها ، فلا يعرف لها أصل ^(٣) ولا نظير . هذا مع كثرة نظرهم في خطاب الشارع ومعرفة معانيه ودلالته ^(٤) على الأحكام ، فكيف بمن ^(٥) لم يكن كذلك ؟

ظ ٤٦

ثم السالك ليس قصده معرفة الحلال من الحرام ^(٦) ، بل مقصوده أن هذا الفعل المعين خير من هذا ، وهذا خير من هذا ، وأيهما أحب إلى الله في حقه في تلك الحال .

وهذا باب واسع لا يحيط به إلا الله ، ولكل سالك حال تخصه قد يؤمر فيها بما يُنهي عنه غيره ، ويؤمر في حال بما يُنهي عنه في حال آخر ^(٧) .

فقالوا : نحن نفعل الخير بحسب الإمكان ، وهو فعل ما علمنا أننا أمرنا به ، ونترك أصل الشر ، وهو هوى النفس ، ونلجأ إلى الله فيما سوى ذلك أن يوفقنا لما هو أحب إليه وأرضى له ^(٨) ؛ فما استعملنا فيه رجونا أن يكون من هذا الباب ، ثم إن أصبنا فلنا أجران ، وإلا فلنا أجر واحد ، وخطوئنا محطوط عنا ، فهذا هذا .
وحيثذ فمن قَدَّر أنه عَلِمَ ^(٩) المشروع وفَعَلَه فهو أفضل من هذا ، ولكن

(١ - ١) : ساقط من (ك) .

(٢ - ٢) : هذه العبارات مكانها بياض في (ك) .

(٣) ض : من .

(٤) ض : الحلال والحرام .

(٥) ض : في أخرى .

(٦) ك ، ز : وأرضا له .

(٧) ك : أن علم .

كثير ممن يعلم المشروع لا يفعله ، ولا يقصد ^(١) أحب الأمور إلى الله ، وكثير منهم يفعله [بشوب] ^(٢) من الهوى ، فيبقى هذا يفعل ^(٣) / المشروع بهوى ، وهذا يترك ^(٤) ما لم يعلم أنه مشروع بلا هوى . فهذا نقص في العلم ، وذاك نقص في العمل ، إذ العمل بهوى النفس نقص في العمل ، ولو كان المفعول واجبا .
فيقال : إن تاب صاحب الهوى من هواه كان أرفع بعلمه ، وإن لم يتب فله نصيب من عالم السوء .

ولهذا تشاجر رجلان من المتقدمين عام الحكمين في مثل هذا . فقال أحدهما لصاحبه : إنما مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث . وقال الآخر : أنت كالحمار يحمل أسفارا ؛ فهذا أحسن قصدا وأقوى علما .
ولهذا تجد أصحاب حسن القصد إنما يعيرون على هؤلاء أتباع الهوى وحب الدنيا والرئاسة ، وأهل العلم يعيرون على أولئك نقص علمهم بالشرع ، وعدوهم عن الأمر والنهى ، فهذا هذا .

والله هو المسئول أن يهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين [وحسن أولئك رفيقا] ^(٥) .

وقد قال بعض أهل الفقه والزهد : من الناس من سلك الشريعة ومنهم من سلك الحقيقة ، ولعله أراد هؤلاء وهؤلاء . فإن هؤلاء يرجحون بما ييسره ^(٦) الله ،

(١) ك : وهو يقصد .

(٢) مكان كلمة « شوب » بياض في (ز) .

(٣) ز ، ض : فعل .

(٤) ز ، ض : ترك .

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة في (ض) .

(٦) ز : يرجحون بما يسره .

مع حسن القصد واتباع الأمر والنهي المعلوم لهم ، مع / خفاء الأدلة الشرعية في ذلك المتيسر لهم . وهؤلاء يرجحون بالأدلة الشرعية من الظواهر ، والأقيسة ، وأخبار الآحاد ، وأقوال العلماء ، مع خفاء الأمر المتيسر لهم .

وأيضاً فهؤلاء قد يشهدون ما في ذلك الفعل المقدور ^(١) من المصلحة والخير ، فيرجحونه ^(٢) بحكم الإيمان ، وإن لم يعرفوا دليلاً من النص على حسنه ، وأولئك إنما يرجحون بالنصوص ^(٣) وما استنبط منها . فهؤلاء لهم القرآن ، وهؤلاء لهم الإيمان .

وسبب هذا أن كلا من الطائفتين خفيَ عليه ما مع الأخرى من الحق ، وكل من الطائفتين في طريقها حق وباطل . فأما المدَّعون للحقيقة بدون مراعاة الأمر والنهي الشرعيين ، فهم ضالون ، كالذين يعرفون الأمر والنهي ولا يفعلون إلا ما يهونه ^(٤) من الكبائر ، فإنهم فساق . وهؤلاء وهؤلاء ^(٥) الذين قيل فيهم : « احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون » . والحقيقة ^(٦) قد تكون قدرية ، ^(٧) وقد تكون ذوقية ، وقد تكون شرعية . ولفظ « الشرع » يتناول ^(٧) المبدل والمؤول والمنزل ^(٨) .

(١) ض : المقدور .

(٢) ك : فيرجحون .

(٣) ض : من النصوص .

(٤) ز : يهروا .

(٥) وهؤلاء : ساقطة من (ض) .

(٦) والحقيقة : مكانها بياض في (ك) .

(٧ - ٧) مكان هذه العبارات بياض في (ك) .

(٨) ك ، ض : المنزل والمؤول والمبدل .

والمقصود هنا ذكر أهل الاستقامة من الطائفتين ، والكلام / على حال أهل
العبادة والإرادة ، الذين خرجوا عن الهوى ، وهو الفرق الطبعي ، وقاموا بما علموه
من الفرق الشرعي . وبقي قسم ثالث ليس لهم فيه فرق طبعي ولا عندهم فيه فرق
شرعي ، فهو الذي جروا فيه مع الفعل والقدر .

وأما من جرى مع الفرق الطبعي : إما عالما بأنه عاصي ، وهو العالم الفاجر ،
أو محتجا بالقدر أو بذوقه ووجدته معرضا عن الكتاب والسنة ، وهو العابد
الجاهل - فهذا خارج عن الصراط المستقيم .

وهذا مما بيّن^(١) كمال حال الصحابة^(٢) ، وأنهم خير قرون هذه الأمة ، إذ
كانوا في خلافة النبوة يقومون بالفروق الشرعية في جليل الأمور ودقيقها ، مع اتساع
الأمر . والواحد من المتأخرين قد يعجز عن معرفة الفروق الشرعية فيما يخصه ، كما
أن الواحد من هؤلاء يتبع هواه في أمر قليل . فأولئك مع عظيم ما دخلوا فيه من الأمر
والنهي ، لهم العلم الذي يميزون به^(٣) بين الحسنات والسيئات ، ولهم القصد الذي
يفعلون فيه الحسنات . والكثير من المتأخرين العالمين والعابدين يفوت أحدهم
العلم في كثير من الحسنات والسيئات ، حتى يظن السيئة^(٤) حسنة وبالعكس ،
أو يفوته القصد في كثير من / الأعمال ، حتى يتبع هواه فيما وضع له من الأمر
والنهي .

فنسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين^(٥) أنعم عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

(١) ض : بين .

(٢) ض : الصحابة رضى الله عنهم .

(٣) به : ساقطة من (ك) .

(٤) ز : إليه ، وهو تحريف .

(٥) الذين : ساقطة من (ض) .

) هذا لعمري إذا كان عند العالم ما هو أمر الشارع ونبيه حقيقة ، وعند العابد حسن القصد الخالي عن الهوى حقيقة ، فأما من خلط الشرع المنزل بالمبدل^(١) والمؤول ، وخلط القصد الحسن باتباع الهوى ، فهؤلاء وهؤلاء مخلطون في علمهم وعملهم .

وتخليط هؤلاء في العلم سوى تخليطهم وتخليط غيرهم في القصد ، وتخليط هؤلاء في القصد سوى تخليطهم وتخليط غيرهم في العلم . فإنه من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ، وحسن القصد من أعون الأشياء على نيل العلم ودركه ، والعلم الشرعي من أعون الأشياء على حسن القصد والعمل الصالح ، فإن العلم قائد والعمل سائق والنفس حرون ، فإن وفي قائدها لم تستقم لسائقها ، وإن وفي سائقها لم تستقم لقائدتها . فإذا ضعف العلم حار السالك ولم يدر أين يسلك ، فغايبته أن يستطرح للقدر ، وإذا ترك العمل حاد^(٢) / السالك عن الطريق فسلك غيره ، مع علمه أنه تركه ، فهذا حائر لا يدرى أين يسلك مع كثرة سيره ، وهذا حائد^(٣) عن الطريق زائغ عنه مع علمه به .

ص ٤٩

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [سورة الصف : ٥] هذا جاهل وهذا ظالم . [قال تعالى] ^(٤) : ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٧٢] ، مع أن الجهل والظلم متقاربان^(٥) ، لكن الجاهل لا يدرى أنه ظالم ،

(*) - (*) مكان الكلمات التي بين النجمتين بياض في (ك) .

(١) ز : والمبدل .

(٢) ز : جاز ، ض : حار .

(٣) ز : جائز ، ض : ك : حائر . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) قال تعالى : زيادة في (ض) .

(٥) ك : متقاربان .

والظالم جَهْلُ الحقيقة المانعة له من العلم . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ [سورة النساء : ١٧] .

قال أبو العالية : سألت أصحاب محمد ﷺ فقالوا لى : كل من عصى الله فهو جاهل ، وكل من ^(١) تاب قبل الموت فقد تاب من قريب .

وقد روى الخلال عن أبى حيان التيمى قال : العلماء ثلاثة : فعالم بالله ليس عالما بأمر الله ، وعالم بأمر الله ليس عالما بالله ، وعالم بالله وبأمر الله .

فالعالم بالله الذى يخشاه ، والعالم بأمر الله الذى يعرف أمره ونبيه .

قلت : (*) والخشية تمنع اتباع الهوى . قال تعالى * : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [سورة النازعات : ٤٠] .

ظ ٤٩

والكمال / فى عدم الهوى وفى العلم ، [وذلك] ^(٢) هو لخاتم الرسل ﷺ الذى قال فيه : ﴿ وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [سورة النجم : ١ - ٤] ، فنفى عنه الضلال والغنى ، ووصفه بأنه ما ^(٤) ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يُوحى ، فنفى الهوى وأثبت العلم الكامل ، وهو الوحى . فهذا كمال العلم ، وذاك كمال القصد ، ﷺ ، ^(٥) وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ^(٥) .

(١) ز : وأن من ...

(٥ - ٥) الكلمات بين النجمتين وكلمة وأما من الآية الكريمة مكانها بياض فى (ك) .

(٢) وذلك : زيادة فى (ك) .

(٣) ﷺ : زيادة فى (ز) .

(٤) ض : لا .

(٥ - ٥) : زيادة فى (ز) .

ووصف أعداءه بضد هذين ، فقال [تعالى] ^(١) : ﴿ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ [سورة النجم : ٢٣] فالكمال المطلق للإنسان هو تكميل العبودية لله علما وقصدا .

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات :

. [٥٦]

وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [سورة الجن : ١٩] ^(٢) .

وقال فيما حكاه عن إبليس : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لأَعُوَّبَهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ [سورة ص : ٨٢ ، ٨٣] ، وقال ^(٣) : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [سورة الحجر : ٤٢] ، وقال : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ ﴾ [سورة يوسف : ٢٤] وقال [تعالى] ^(٤) : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ [سورة النحل : ٩٩ ، ١٠٠] وعبادته

ص ٥٠

[تعالى هي] ^(٥) طاعة أمره ، وأمره لنا ما بلغه الرسول عنه ، فالكمال في كمال طاعة الله ورسوله باطنا وظاهرا ، ومن ^(٦) كان لم يعرف ما أمر الله به فترك هواه واستسلم للقدر ، أو اجتهد في الطاعة فأخطأ فعل المأمور به إلى ما اعتقده مأمورا به ، أو تعارضت عنده الأدلة فتوقف عما هو طاعة في نفس الأمر ، فهؤلاء

(١) تعالى : زيادة في (ض) .

(٢) في (ك) : يدعوهم كادوا يكونون عليه لبدا .

(٣) ض : قال تعالى ؛ ك : وقال تعالى .

(٤) تعالى : ساقطة من (ز) .

(٥) تعالى هي : زيادة في (ك) .

(٦) ومن : ساقطة من (ز) .

مطيعون لله يثابون ^(١) على ما أحسنوه من القصد لله ^(٢) ، واستفروغوه من وسعهم في طاعة الله ، وما عجزوا عن علمه فأخطؤوه ^(٣) إلى غيره فمغفور لهم .

وهذا من أسباب ^(٣) فتن تقع بين الأمة ، فإن أقواما يقولون ويفعلون أمورا هم مجتهدون فيها ، وقد أخطأوا ، فتبلغ ^(٤) أقواما يظنون أنهم تعمدوا فيها الذنب ، أو يظنون أنهم لا يُعَدُّون بالخطأ ، وهم أيضا مجتهدون مخطئون ، فيكون هذا مجتهدا مخطئا في فعله ، وهذا مجتهدا مخطئا في إنكاره ، والكل مغفور لهم . وقد يكون أحدهما مذنباً ، كما قد يكونان جميعاً مذنبين : « وخير الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » ^(٥) .

والواحد / من هؤلاء قد يعطى تصرفا ^(٦) بالأمر والنهي ، فيؤلى ويعزل ، ويعطى ويمنع ، فيظن الظان أن هذا كمال ، وإنما يكون كمالا إذا كان موافقا للأمر ، فيكون طاعة لله ، وإلا فهو من جنس المُلْك ، وأفعال المُلْك إما ذنب ^(٧) ، وإما عفو ، وإما طاعة .

فالخلفاء الراشدون أفعالهم طاعة وعبادة ، وهم أتباع العبد الرسول ، ﷺ ^(٨) ، وهي طريق ^(٩) السابقين المقربين . وأما طريق ^(٩) الملوك العادلين ، فإما

(١) ض : مثابون .

(٢) لله : ليست في (ك) .

(٣ - ٣) : مكان هذه الكلمات بياض في (ك) .

(٤) ك : فبلغ .

(٥) هذا حديث سبق في هذه الرسالة (ص : ١٢٩) .

(٦) ض : طرفا .

(٧) ز : إما ذنب وإما ذنب ، وهو تحريف .

(٨) ﷺ : زيادة في (ز) .

(٩) ض : طريقة .

طاعة ، وإما عفو ، وهى طريقة الأنبياء الملوك ، وطريقة الأبرار أصحاب اليمين .
وأما طريقة الملوك الظالمين فتتضمن المعاصى . وهى طريقة الظالمين
لأنفسهم . قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ
ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ
الْكَبِيرُ ﴾ [سورة فاطر : ٣٢] ، فلا يخرج الواحد من المؤمنين عن أن يكون من أحد
هذه الأصناف : إما ظالم لنفسه وإما مقتصد وإما سابق بالخيرات .

وخوارق العادات ، إما مكاشفة ، وهى من جنس العلم الخارق ، وإما تصرف
وهى ^(١) من جنس القدرة الخارقة ، وأصحابها لا يخرجون / عن الأقسام
الثلثة ^(٢) . ص ٥١

فصل

وقد تفرّق الناس فى هذا المقام الذى هو غاية مطالب العباد ، فطائفة من
الفلاسفة ونحوهم يظنون أن كمال النفس فى مجرد العلم ، ويجعلون العلم الذى به
يكمل ما يعرفونه هم من علم ما بعد الطبيعة ، ويجعلون العبادات رياضة لأخلاق
النفس حتى تستعد للعلم فتصير النفس عالماً معقولاً موازياً ^(٣) للعالم الموجود .

وهؤلاء ضالون ، بل كافرون من وجوه : منها :
أنهم اعتقدوا الكمال فى مجرد العلم ، كما اعتقد جهنم ، والصالحى ^(٤) ،

الفلاسفة ضالون
كافرون من وجوه :
الأول

(١) ك : وهو .

(٢) عند هذا الموضع تنتهى نسخة (ض) = طبعة فتاوى الرياض ، وتبقى نسختا (ك) ، (ز) .

(٣) ك ، ز : موازنا ، وهو تحريف . والذى أثبتته هو كلام الفلاسفة .

(٤) لعله : صالح بن عمرو الصالحى . ذكره الشهرستانى فى « الملل والنحل » وذكر الصالحية =

والأشعري في المشهور من قوله ^(١) ، وأكثر اتباعه : أن الإيمان مجرد العلم .

لكن المتفلسفة أسوأ حالا من الجهمية ، فإن الجهمية يجعلون الإيمان هو العلم بالله ، وأولئك يجعلون كمال النفس في أن تعلم الوجود المطلق من حيث هو وجود ، والمطلق بشرط الإطلاق إنما يكون في الأذهان لا في الأعيان ، والمطلق لا بشرط لا يوجد أيضا في الخارج إلا معينا ، وإن علموا الوجود الكلي المنقسم إلى واجب وممكن ، فليس لمعلوم علمهم وجود في الخارج .

وهكذا من تصوف وتآله على طريقتهم / كابن عربي وابن سبين ونحوهما . ظ ٥١

وأیضا فإن الجهمية مقرّون ^(٢) بالرسل وبما جاؤوا به من حيث الجملة ، مقرّون بأن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وغير ذلك مما جاءت به الرسل ، بخلاف المتفلسفة .

وبالجملة فكمال النفس ليس في مجرد العلم ، بل لا بد ^(٣) مع العلم بالله من محبته وعبادته والإنابة إليه ، فهذا عمل النفس وإرادتها ، وذاك علمها ومعرفتها .

الوجه الثاني : أنهم ظنوا أن العلم الذي تكمل به النفس هو علمهم ، وكثير منه جهل لا علم . الثاني

= فقال : « أصحاب صالح بن عمرو الصالحى ومحمد بن شبيب وأبو شمر وغيلان بن حارث ومحمد بن التميمي ، كلهم جمعوا بين القدر والإرجاء » . وانظر كلام الأشعري على أنى الحسين الصالحى ، ومذهبه في الإرجاء في « مقالات الإسلاميين » ١/ ١٩٨ . وذكره القاضى عبد الجبار ضمن طبقات المعتزلة في كتابه « فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة » تحقيق فؤاد سيد ، ص ٢٨١ ، ط . تونس ، ١٣٩٣/ ١٩٧٤ .

(١) ك : قوله .

(٢) ك : يقرون .

(٣) لا بد : مكانها بياض في (ك) .

الثالث

الثالث : أنهم لم يعرفوا العلم الإلهي الذي جاءت به الرسل ، وهو العلم الأعلى الذي تكمل به ^(١) النفس ، مع العمل بموجبه .

الرابع

الرابع : أنهم يرون ^(٢) أنه إذا حصل لهم ذاك العلم سقطت عنهم واجبات الشرع وأبيحت لهم محرماته ^(٣) ، وهذه طريقة الباطنية من الإسماعيلية وغيرهم ، مثل أبي يعقوب السجستاني صاحب « الأقاليد الملوكوتية » ^(٤) وأمثاله ، وطريقة من وافقهم من ملاحدة الصوفية الذين يتأولون قوله : ﴿ وَاَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [سورة الحجر : ٩٩] إنك تعمل حتى يحصل لك العلم ، فإذا / حصل العلم سقط عنك العمل .

ص ٥٢

وقد قيل للجنيّد : إن قوما يقولون : إنهم يصلون من طريق البر إلى أن تسقط عنهم الفرائض وتباح لهم المحارم ، أو نحو هذا الكلام . فقال : الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر أحسن حالا من هذا ^(٥) .

ومن هؤلاء من يكون طلبه للمكاشفة ونحوها من العلم أعظم من طلبه لما فرض الله عليه ، ويقول في دعائه : اللهم إني أسألك ^(٦) العصمة في الحركات

(١) ك : به تكمل ...

(٢) ز : يريدون ، وهو تحريف .

(٣) ز : محرمات .

(٤) أبو يعقوب إسحاق بن أحمد السجستاني أو السجزي ، المعروف ببندانه ، من أشهر علماء الإسماعيلية وفلاسفتهم ، ومن كبار دعائهم ، وكان اليد اليمنى لأبي عبد الله محمد بن أحمد النسفي داعية أهل ما وراء النهر . صنف أبو يعقوب مصنفات كثيرة ، منها كتاب « أساس الدعوة » وكتاب « تأويل الشرائع » وله كتب مخطوطة في مكتبة الدكتور محمد كامل حسين رحمه الله . وقد عاش أبو يعقوب في بخارى ومات مقتولا سنة ٣٣١ . انظر : الفرق بين الفرق ، ص ١٧٠ ؛ طائفة الإسماعيلية ، ص ١٤٩ ، ١٨١ ؛ تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن ٥٧٥/٤ (الطبعة الأولى) .

(٥) ك : فقال : الزنا والسرقة وشرب الخمر خير من هذا .

(٦) ز : إني أسلك ، وهو تحريف .

والسكنات ، والخطرات والإرادات والكلمات ، من الشكوك والظنون والأوهام الساترة للقلوب ^(١) عن مطالعة الغيوب .

وأصل المتفلسفة أن الفلسفة التي هي الكمال عندهم هي التشبيه بالإله على قدر الطاقة ، وهم يقولون : إن حركات الأفلاك لأجل التشبيه بالأول .

وعلى هذا بنى أبو حامد كتابه في « شرح الأسماء الحسنى » ^(٢) ، وتخلق العبد بأخلاق الله ، وأنكر ذلك عليه المازري ^(٣) وغيره ، وقالوا : ليس لله خلق يتخلق به العبد .

وعدل أبو الحكم بن بركان ^(٤) عن لفظ ^(٥) التخلق إلى لفظ ^(٥) التعبد . وعلى هذا الأصل الفلسفي بنى ابن عربي معنى ولي الله ، وأنه المتشبه به ^(٦) المتخلق بأخلاقه ، كما يفسر أبو حامد التقرب من الله بالتشبيه به ، وابن عربي ونحوه يجعلون الولي أفضل من النبي بناءً على أصولهم الفلسفية الاتحادية .

(١) ز : الساترة في القلوب ، وهو تحريف .

(٢) وهو كتاب « المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى » لأبي حامد الغزالي ، طبع في القاهرة بال مكتبة العلامة ، بغير تاريخ ، وطبع طبعات أخرى منها طبعة سنة ١٣٢٤ ، ومنه نسخ خطية كثيرة . انظر : مؤلفات الغزالي للدكتور عبد الرحمن بدوي ، ص ١٣٥ - ١٣٦ ، ط . القاهرة ، ١٩٦٠ .
(٣) أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري ، محدث وفقه مالكي . ولد سنة ٤٥٣ وتوفي سنة ٥٣٦ له كتاب « الكشف والإنباء عن كتاب الإحياء » ذكره الذهبي في « سير أعلام النبلاء » ونقل عنه ، وأورد ذلك الدكتور عبد الكريم العثمان رحمه الله في كتاب « سيرة الغزالي » ط . دمشق ، بدون تاريخ (ص ٧٢ - ٧٣) . انظر ترجمة المازري في : وفيات الأعيان ٤/١٣١ ؛ شذرات الذهب ٤/١١٤ ؛ الأعلام ٧/١٦٤ .

(٤) هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد اللخمي الإفريقي ثم الإشبيلي ، متصوف توفي سنة ٥٣٦ بمراكش . انظر ترجمته في : شذرات الذهب ٤/١١٣ ؛ وفات الوفيات ١/٥٦٩ - ٥٧٠ ؛ لسان الميزان ٤/١٣ - ١٤ ؛ الأعلام ٤/١٢٩ .

(٥ - ٥) : ساقط من (ك) .

(٦) به : ساقطة من (ك) .

وطائفة أخرى عندهم أن الكمال في القدرة والسلطان والتصرف في الوجود ، بنفاذ الأمر والنهى ، إما بالملك والولاية الظاهرة ، وإما بالباطن ، وتكون عبادتهم ومجاهدتهم كذلك .

وكثير من هؤلاء يدخل في الشرك والسحر ، فيعبد الكواكب والأصنام لتعينه الشياطين على مقاصده ، وهؤلاء أضل وأجهل من الذين قبلهم .

وعامة من يعبد الله لطلب خوارق العادات يكون فيه نصيبٌ من هذا .

ولهذا كان منهم من يموت فاسقا أو مسلوبا ، وكلهم ضلال جهال .

وطائفة تجعل الكمال في مجموع الأمرين ، فيدخلون في أقوال وأعمال من الشرك والسحر ، ليستعينوا بالشياطين على ما يطلبونه من الإخبار بالأمور الغائبة ، وعلى ما ينفذ به تصرفهم في العالم .

وأما الحق ^(١) المبين فهو أن كمال الإنسان في أن يعبد الله علما وعملا ، كما أمره ربه . وهؤلاء هم عبادُ الله ، وهم المؤمنون والمسلمون ، وهم أولياء الله المتقون ، وحزب الله المفلحون ، / وجند الله الغالبون ، وهم أهل العلم النافع ، والعمل الصالح ، وهم الذين زكّوا نفوسهم ^(٢) وكملوها . كملوا القوة النظرية العلمية ، والقوة الإرادية العملية .

ص ٥٣

كما قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ [سورة ص: ٤٥] . وقال تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [سورة النجم: ١ - ٤] .

(١) ك : والحق .

(٢) ك : أنفسهم .

النجم : ١ - ٤] . وقال تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [سورة الفاتحة : ٦ ، ٧] ، وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا يَا تِئِنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [سورة طه : ١٢٣] . وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٥] ، وقال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [سورة فاطر : ١٠] ، وقال تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [سورة العصر : ٣] ^(١) .

هذا ما وجد في الأصل .

وصلَّى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليماً كثيراً .

كتبه محمد بن أحمد بن علي الخطيب بقرية ببيلا في ثاني عشر جمادى الأول سنة أربع وسبعمائة .

(١) بعد هذه الآية في (ك) : « والله سبحانه وتعالى أعلم . آخر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه » .

الرسالة الثالثة

قاعده في المحبته

/ (فصل في الحب والبغض)

لأبي العباس أحمد بن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم ، على الله توكل .

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وحبيبه وخليفه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

أما بعد ، فهذه قاعدة عظيمة في المحبة وما يتعلق بها ، من جمع الإمام العلامة ، شيخ الإسلام ، بركة الأنام ، بقية السلف الكرام ، أبي العباس أحمد ، بن الشيخ شهاب الدين عبد الحليم ، بن الشيخ مجد الدين أبي البركات عبد السلام ، ابن تيمية ، رضى الله عنه وأرضاه .

الحب والإرادة أصل
كل فعل وحركة
في العالم
والبغض والكراهة
أصل كل ترك فيه

قال رضى الله عنه : فصل في الحب والبغض ، والمحمود من ذلك والمذموم ، وأصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة ، فهو أصل كل فعل ومبدؤه . كما أن البغض والكراهة مانع وضاد ^(١) لكل ما انعقد بسببه ومادته ، فهو أصل كل ترك ، إذا فُسِّرَ الترك بالأمر الوجودى ^(٢) ، كما يفسره بذلك أكثر أهل النظر .

وأما إذا عُنِيَ بالترك مجرد عدم الفعل ، فعدم الفعل تارة يكون لعدم مقتضيه من المحبة والإرادة ولوازمهما ، وقد يكون لوجود مانعه من البغض والكراهة وغيرهما .

(١) في الأصل : وضاد .

(٢) في الأصل : الوجود .

فأما وجود الفعل فلا يكون إلا عن محبة وإرادة ، حتى دفعه للأمور التي يكرهها ويبغضها ، هو لما في ذلك من المحبوب أو اللذة يجدها بالدفع ، فيقال : شفى صدره وقلبه ، والشفاء والعافية بمحسوب .

والحبة والإرادة تكون ^(١) إما بواسطة وإما بغير واسطة ، مثل فعله للأشياء التي يكرهها ، كشرب الدواء والمكروه ، وفعل الأشياء المخالفة لهواه وصبره ، ونحو ذلك .

فإن هذه الأمور ، وإن كانت مكروهة من بعض الوجوه ، فإنما يفعل أيضا لمحبة وإرادة ، وإن لم تكن المحبة لنفسها ، بل المحبة لملازمها ، فإنه يحب العافية والصحة المستلزمة لإرادة شرب الدواء ، ويحب رحمة الله ونجاته من عذابه المستلزم لإرادة ترك ما يهواه ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [سورة النازعات : ٤٠] ، فلا يترك الحى ما / يحبه ويهواه إلا لما يحبه ويهواه ، لكن يترك أضعفهما محبة لأقواهما محبة ، كما يفعل ما يكرهه لما محبته أقوى من كراهة ذلك ، وكما يترك ما يحبه لما كراهته أقوى من محبة ذلك .

ظ ١٤٥

ولهذا كانت المحبة والإرادة أصلا للبغض والكراهة وعلة لها ، ولازما مستلزما ^(٢) لها من غير علة .

وفعل البغض في العالم إنما هو لمنافاة المحبوب ، ولولا وجود المحبوب لم يكن البغض ، بخلاف الحب للشيء ، فإنه قد يكون لنفسه ، لا لأجل منافاته للبغض ^(٣) ، وبغض الإنسان وغضبه مما يضاد وجود محبوبه ، ومانع ومستلزم لا يكره عليه ، ونجد قوة البغض للنفاى أشد وأحوط .

(١) في الأصل : يكون .

(٢) كلمة « مستلزما » ليست واضحة في الأصل المخطوط ، وكذا استظهرتها .

(٣) في الأصل : للبغض .

ولهذا كان رأس الإيمان الحب في الله والبغض في الله ، وكان من أحب الله ، وأبغض الله ، وأعطى الله ، ومنع الله ، فقد استكمل الإيمان .

فالمحبة والإرادة أصل في وجود البغض والكراهة ، والأصل في زوال البغض المكروه ، فلا يوجد البغض إلا لمحبة ، ولا يزول البغض إلا لمحبة .

فالمحبة أصل كل أمر موجود ، وأصل دفع كل ما يطلب الوجود ، ودفع ما يطلب الوجود أمر موجود ، لكنه مانع من وجود ضده ، فهو أصل كل موجود من بغيض ومانع ولوازمهما .

وهذا القدر الذى ذكرناه من [أن] ^(١) المحبة والإرادة أصل كل حركة في العالم ، فقد بينّا في القواعد وغيرها أن هذا يندرج فيه كل حركة وعمل . فإن ما في الأجسام من حركة طبيعية فإنما أصلها السكون ، فإنه إذا خرجت عن مستقرها ^(٢) كانت بطبيعتها تطلب مستقرها ، وما فيها ^(٣) من حركة قسرية فأصلها من القاسر القاهر ، فلم تبق حركة اختيارية إلا عن الإرادة .

والحركات : إما إرادية ، وإما طبيعية ، وإما قسرية . لأن الفاعل المتحرك إن كان له شعور بها فهي الإرادية ، وإن لم يكن له شعور فإن كانت على وفق طبع المتحرك فهي الطبيعية ، وإن كانت على خلاف ذلك فهي القسرية .

وبينّا أن ما في السموات والأرض ، وما بينهما من حركة الأفلاك والشمس والقمر والنجوم ، وحركة الرياح والسحاب والمطر والنبات وغير ذلك ، فإنما هو بملائكة الله تعالى الموكلّة بالسموات والأرض ، الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون .

(١) زدت « أن » ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : خرج عن مستقره .

(٣) في الأصل : وما فيه .

/ كما قال تعالى : ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ [سورة النازعات : ٥] ،
﴿ فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا ﴾ [سورة الذاريات : ٤] ، وكما دل الكتاب والسنة على أصناف
الملائكة ، وتوكلهم بأصناف المخلوقات .

ولفظ « المَلَك » يشعر بأنه رسول منفذ لأمر غيره ، فليس لهم من الأمر
شئ ، بل كم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن
الله لمن يشاء ويرضى ، ﴿ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا
وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۚ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ
وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [سورة مريم : ٦٤ ، ٦٥] .

وإذا كان كذلك فجميع تلك المحبات والإرادات ، والأفعال والحركات ،
هى عبادة لله رب الأرض والسموات ، كما قد بيناه في غير هذا الموضع .

وإذا كان كذلك فأصل المحبة المحمودة التى أمر الله بها ، وخلق خلقه
لأجلها ، هى ما فى عبادته وحده لا شريك له ، إذ العبادة متضمنة (١) لغاية الحب
بغاية الذل .

المحبة التى أمر
الله بها هى
عبادته وحده
لا شريك له

والمحبة لما كانت جنساً لأنواع (٢) متفاوتة فى القدر والوصف كان أغلب
ما يذكر منها فى حق الله ما يختص به ويليق به ، مثل العبادة والإنابة ونحوهما ؛ فإن
العبادة لا تصلح إلا لله وحده ، وكذلك الإنابة .

وقد تُذكر المحبة المطلقة (٣) لكن تقع فيها الشراكة ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ

(١) فى الأصل : يتضمن .

(٢) فى الأصل : أنواع .

(٣) فى الأصل : المطلق .

النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا
لِلَّهِ [سورة البقرة : ١٦٥] .

ولهذا كان هذا الحب أعظم الأقسام المذمومة في المحبة ، كما أن حب الله
أعظم الأنواع المحمودة ، بل عبادة الله وحده لا شريك له هي أصل السعادة
ورأسها ، التي لا ينجو أحد من العذاب إلا بها ، وعبادة إله آخر من دونه هو
أصل الشقاء ورأسه ، الذي لا يبقى في العذاب إلا أهله .

فأهل التوحيد الذين أحبوا الله وعبدوه وحده لا شريك له ، لا يبقى منهم
في العذاب أحد . والذين اتخذوا من دونه أندادا يحبونهم كحبه ، وعبدوا غيره ، هم
أهل الشرك ، الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ [سورة
النساء : ٤٨] ^(١) .

وجماع القرآن هو الأمر بتلك المحبة ولوازمها ، والنهي عن هذه المحبات
ولوازمها ^(٢) ، وضرب الأمثال والمقاييس للنوعين ، وذكر قصص أهل النوعين .

وأصل دعوة جميع المرسلين ، صلى ^(٣) الله عليهم وسلم ، قولهم :
﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [سورة الأعراف : ٥٩] ، وعلى ذلك قاتل من
قاتل منهم المشركين ، كما قال خاتم الرسل ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى
يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فإذا قالوها عصموا مني
دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله » ^(٤) . / قال الله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ

ظ ١٤٦

(١) لفظ الجلالة غير موجود في الآية في الأصل المخطوط .

(٢) في الأصل : وتلازمها .

(٣) في الأصل : وصلى .

(٤) مضى الحديث من قبل ١٥/١ (ت ١) .

مَنْ الدِّينَ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴿١٣﴾ [سورة الشورى : ١٣] .

ولهذا قال ﷺ في الحديث المتفق عليه في الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان » وفي رواية في الصحيح : « لا يجد طعم الإيمان إلا من كان فيه ثلاث : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله ، كما يكره أن يلقى في النار » (١) .

وفي الصحيح عن أنس أيضا عن النبي ﷺ قال : « والذي نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » (٢) .

وفي صحيح البخارى أن عمر قال : يا رسول الله : والله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسى ، فقال : « لا يا عمر ، حتى أكون أحب إليك من

(١) جاء الحديث بلفظ : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان » عن أنس بن مالك رضى الله عنه في : البخارى ٨/١ (كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان) ، ٩/١ (كتاب الإيمان ، باب من كره أن يعود في الكفر) ، ٢٠/٩ (كتاب الإكراه ، باب من اختار الضرب) ؛ مسلم ٦٦/١ (كتاب الإيمان ، باب بيان خصال ...) ؛ سنن ابن ماجه ١٣٣٨/٢ - ١٣٣٩ (كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء) .

وجاء الحديث بلفظ : « لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله ، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » عن أنس رضى الله عنه في : البخارى ١٤/٨ (كتاب الأدب ، باب الحب في الله) .

(٢) ورد الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه في : البخارى ٨/١ (كتاب الإيمان ، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان) ؛ مسلم ٦٧/١ (كتاب الإيمان ، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل) ؛ المسند (ط . الحلبي) ١٧٧/٣ ، ٢٠٧ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ؛ سنن ابن ماجه ٢٦/١ (المقدمة ، باب في الإيمان) .

نفسك » . قال : فوالذى بعثك بالحق لأنت أحب إليّ من نفسى . قال : « الآن يا عمر » ^(١) .

ولهذا ورد فى فضل هذه الكلمة : « شهادة أن لا إله إلا الله » من الدلائل ما يضيق هذا الموضوع عن ذكره ، وهى أفضل الكلام ، وما فيها من العلم والمحبة أفضل العلوم والمحبات ، كالحديث الذى فى السنن : « أفضل الذكر لا إله إلا الله » ^(٢) .

والآية المتضمنة لها أعظم آية فى القرآن ، كما فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال لأبى بن كعب : « يا أبا المنذر : أتدرى أى آية فى كتاب الله أعظم ؟ قال : ﴿ الله لا إله إلا هو الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٥] قال : فضرب بيده صدرى ، وقال : لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر » ^(٣) .

وإذا كانت كل حركة فأصلها الحب والإرادة من محبوب مراد لنفسه ^(٤) ،

(١) الحديث عن عبد الله بن هشام رضى الله عنه فى : البخارى ١٢٩/٨ (كتاب الإيمان ، باب كيف كانت يمين النبى ﷺ) ولفظ الحديث : لا والذى نفسى بيده حتى أكون أحب إليك الحديث .

(٢) الحديث عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه فى : سنن ابن ماجه ١٢٤٩/٢ (كتاب الأدب ، باب فضل الحامدين) ؛ سنن الترمذى ١٣٠/٥ (كتاب الدعوات ، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة) ونصه فيه : « أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله » . وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم . وقد روى على بن المدينى وغير واحد عن موسى بن إبراهيم هذا الحديث » وذكر الألبانى الحديث فى « صحيح الجامع الصغير » ٣٦٢/١ وحسنه .

(٣) الحديث بألفاظ مختلفة عن أبى بن كعب رضى الله عنه فى : مسلم ٥٥٦/١ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي) ؛ وفى المسند عنه (ط . الحلبي) ١٤٢/٥ وعن صحابى لم يذكر اسمه ٥٨/٥ .

(٤) فى الأصل : بنفسه .

لا يُحب لغيره ، إذ لو كان كل شيء محبوباً لغيره لزم الدُّور أو التسلسل . والشئ قد يُحب من وجه دون وجه ، وليس شئ يحب لذاته من كل وجه إلا الله وحده ، ولا تصلح (١) الإلهية إلا له ، ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا .

والإلهية المذكورة في كتاب الله هي العبادة والتأله ، ومن لوازم ذلك أن يكون هو الرب الخالق . وأما ما يظنه طوائف من أهل الكلام أن الألوهية هي نفس الربوبية ، وأن ما ذكر في القرآن من نفى إله آخر ، والأمثال المضروبة البيّنة (٢) فالمقصود به نفى رب يشركه في خلق العالم ، كما هو عادتهم في كتب الكلام - / فهذا قصور وتقصير منهم في فهم القرآن ، وما فيه من الحجج والأمثال أتوا فيه من جهة أن مبلغ علمهم هو ما سلكوه من الطريقة الكلامية ، فاعتقدوا أن المقصودين واحد (٣) ، وليس كذلك ، بل القرآن ينفي أن يعبد غير الله ، أو أن يتخذها إلهاً (٤) فيحبه ويخضع له محبة الإله وخضوعه ، كما بيّنت (٥) ذلك عامة آيات القرآن ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا ﴾ [سورة البقرة : ١٦٥] . ولهذا قال الخليل : ﴿ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٦] .

ص ١٤٧

ومن المعلوم أن كل حيّ فله إرادة وعمل بحسبه ، وكل متحرك فأصل حركته المحبة والإرادة ، ولا صلاح للموجودات (٦) إلا أن يكون كمال محبتها وحركتها لله تعالى ، كما لا وجود لها إلا أن يبدعها الله .

(١) في الأصل : ولا يصلح .

(٢) البيّنة : الكلمة في الأصل غير واضحة ، وكذا استظهرتها .

(٣) في الأصل : واجلد ، وهو تحريف .

(٤) في الأصل : أو أن يتخذها الله ، وهو تحريف . وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته .

(٥) كلمة « بينت » غير واضحة في الأصل ، وكذا استظهرتها .

(٦) في الأصل : الموجودات .

ولهذا قال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٢] ، ولم يقل : لعدمنا ، إذ هو قادر على أن يبقيا على وجهه الفساد ، لكن لا يمكن أن تكون صالحة إلا أن يُعبد الله وحده لا شريك له ، فإن صلاح الحى إنما هو صلاح مقصوده ومراده ، وصلاح الأعمال والحركات بصلاح إرادتها ونياتها .
ولهذا كان من أجمع الكلام وأبلغه قوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » ^(١) ، وهذا يعم كل عمل وكل نية .

فكل عمل فى العالم هو بحسب نية صاحبه ، وليس للعامل ^(٢) إلا ما نواه ^(٣) وقصده وأجبه وأراد به عمله ، ليس فى ذلك تخصيص ولا تقييد ، كما يظنه طوائف من الناس ، حيث يحسبون أن النية المراد به النية الشرعية المأمور بها ، فيحتاجون أن يحصروا ^(٤) الأعمال بالأعمال الشرعية ، فإن النية موجودة لكل متحرك ، كما قال النبى ﷺ فى الحديث الصحيح : « أصدق الأسماء الحارث وهمام » ^(٥) ، فالحارث هو العامل ^(٦) الكاسب ، والهمام هو القاصد المريد ، وكل إنسان متحرك بإرادته حارث همام .

(١) مضى الحديث فى هذه المجموعة (ص : ١٢٢) .

(٢) فى الأصل : وليس للعمل . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) فى الأصل : إلا ما هو نواه ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) فى الأصل : أن يحصروا . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٥) جاء الحديث مطولا عن أبى وهب الجشمى رضى الله عنه فى : سنن أبى داود ٣٩٤/٤ (كتاب الأدب ، باب فى تغيير الأسماء) ونصه فيه : « تسموا بأسماء الأنبياء ، وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها حارث وهمام ، وأقبحها حرب ، ومرة » والحديث عنه أيضا فى المسند ٣٤٥/٤ . وجاء حديث آخر نصه : « أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن » عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى سنن أبى داود فى الموضوع السابق وهو فى مسلم وسنن الترمذى وابن ماجه والنسائى والدارمى .

(٦) فى الأصل : العمل .

كما بينا أن المحبة والإرادة أصل كل عمل ، فكل عمل في العالم فعن إرادة ومحبة صدر .

ولهذا كانت المحبة والإرادة منقسمة إلى محبوب لله وغير محبوب ، كما أن العمل والحركة منقسم^(١) كذلك .

وإذا كان كذلك فالمحبة لها آثار وتوابع - سواء كانت صالحة محمودة نافعة / أو كانت غير ذلك - لها وجد وحلاوة وذوق ووصال وصدود ، ولها سرور وحزن ظ ١٤٧ وبكاء .

والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة ، وهي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه ، وهو السعادة . والضارة هي التي تجلب لصاحبها ما يضره ، وهو الشقاء .

ومعلوم أن الحى العالم لا يختار أن يحب ما يضره ، لكن [يكون]^(٢) ذلك عن جهل وظلم ، فإن النفس قد تهوى ما يضرها ولا ينفعها ، وذلك ظلم منها لها ، وقد تكون جاهلة بمخالها به ، بأن تهوى الشيء وتحبه - بلا علم منها بما في محبته من المنفعة والمضرة - وتتبع هواها ، وهذا حال من اتبع هواه بغير علم .

وقد يكون عن اعتقاد فاسد ، وهو حال من اتبع الظن وما تهوى نفسه ، وكل ذلك من أمور الجاهلية ، وإن كان كل من جهلها وظلمها لا يكاد يخلو عن شبهة يشتبها بها الحق ، وشهوته هي في الأصل محمودة إذا وضعت في محلها ، كحال الذى يجب لقاء قريبه^(٣) ، فإن هذا محمود ، وهو^(٤) أصل صلة الرحم التي هي شجنة من الرحمن .

(١) في الأصل : كما هو العمل بالحركة منقسمة .

(٢) زدت « يكون » ليستقيم الكلام .

(٣) في الأصل المصور كأنها : ربه ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) في الأصل : وهي .

لكن إذا اتبع هواه ، حتى خرج عن العدل بين ذوى القربى وغيرهم ، كان هذا ظلماً ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾ [سورة الأنعام : ١٥٢] ، وقال تعالى : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ [سورة النساء : ١٣٥] .

وكذلك الذى يجب الطعام والشراب والنساء فإن هذا محمود ، وبه يصلح حال بنى آدم ، ولولا ذلك لما استقامت نفس الأنساب ، ولا وجدت الذرية ، ولكن يجب العدل والقصد فى ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ [سورة الأعراف : ٣١] ، وكما قال تعالى : ﴿ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۚ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٦ ، ٧] .

فإذا تجاوز حد العدل ، وهو المشروع ، صار ظلماً ^(١) عادياً ، بحسب ظلمه وعدوانه .

وقد ذكرنا / فى مواضع [أن] ^(٢) المشروع ، والنافع ، والصالح ، والعدل ، والحق ، والحسن : أسماء متكافئة ، مسمّاهما واحد بالذات ، وإن تنوعت صفاته ، بمنزلة أسماء الله الحسنى ، فأسماءه تعالى ، وأسماء كتابه ، ودينه ، ونبيه ، مسمّى كل صنف من ذلك واحد وإن تنوعت صفاته . فكل عمل صالح هو نافع لصاحبه وبالعكس ، وكل نافع صالح فهو مشروع وبالعكس ، وكل ما كان صالحاً مشروعاً فهو حق وعدل وبالعكس .

(١) فى الأصل : ضالماً .

(٢) زدت « أن » ليستقيم الكلام .

ولكن الناس قد يدركون أحد النعتين فيستدلون به على وجود الآخر (١) ،
 مثل أن يعلم أن الله أمر بهذا الفعل وشرعه ، فيعلم من هذا وجوب (٢) كونه طاعة
 لله ورسوله ، وذلك الفعل بعينه يجب أن يكون عملاً صالحاً ، وهو النافع ، وأن
 يكون حقاً وعدلاً ، وهذا استدلال بالنص . وقد يعلم كون الشيء صالحاً أو عدلاً
 أو حسناً ، ثم يستدل بذلك على كونه مشروعاً ، وهو الاستدلال بالاستصلاح
 والاستحسان والقياس على كونه مشروعاً .

وهذه الطريقة فيها خطر عظيم ، والغلط فيها كثير ، لحفاء صفات الأعمال
 وأحوالها عنها ، وأن العالم بذلك ، كما ينبغي ، ليس هو إلا رسول الله ﷺ .
 فالاستدلال بالمصالح ، التي قد يقال لها المصالح المرسلة (٣) ، هو الذي
 يرى الشيء مصلحة وليس في الشرع ما ينفيه ، فيستدل بالمصلحة على أنه من
 الشريعة .

والاستحسان : أن يرى الشيء حسناً فيستدل بحسنه على أنه من الشرع .
 والعدل : أن يرى للشيء نظيراً وشبيهاً (٤) ، فيستدل على حكمه بحكم
 نظيره وشبيهه ، وليس هذا موضع الكلام في ذلك .

لكن أعلم الناس من كان رأيه واستصلاحه واستحسانه وقياسه موافقاً
 للنصوص ، كما قال مجاهد : أفضل العبادة الرأي الحسن ، وهو اتباع السنة . ولهذا
 قال تعالى : ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ ﴾
 [سورة سبأ : ٦] .

(١) في الأصل كأن العبارة : على الذات ووجود الآخر . ورأيت أن ما أثبتته يستقيم به الكلام .

(٢) في الأصل : وجب .

(٣) في الأصل : أراد الناسخ أن يكتب « المشتركة » ثم عدل عن ذلك وكتب فوقها « المرسلة » .

(٤) في الأصل : نظير وشبيه ، وهو خطأ .

ط ١٤٨

ولهذا كان السلف يسمون أهل الآراء المخالفة للسنة / والشرعية في مسائل الاعتقاد الخيرية ، ومسائل الأحكام العملية : أهل الأهواء ^(١) ، لأن الرأى المخالف للسنة جهل لا علم ، فصاحبه ممن اتبع هواه بغير علم .

ولهذا يذكر الله في القرآن من يتبع هواه بغير علم ، ويذم من يتبع هواه ^(٢) بغير هدى من الله ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ [سورة القصص : ٥٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ١١٩] .

وكل من اتبع هواه [اتبعه] ^(٣) بغير علم ، إذ لا علم بذلك إلا بهدى الله ، الذى بعث الله به رسله ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [سورة طه : ١٢٣ ، ١٢٤] ولهذا ذم الله الهوى في مواضع من كتابه .

واتباع الهوى يكون في الحب والبغض ، كقوله تعالى : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [سورة ص : ٢٦] ، فهنا يكون اتباع الهوى هو ما يخالف الحق في الحكم . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ

(١) في الأصل : العملية يسمونها أهل الأهواء .

(٢) في الأصل : وذم لمن يتبع هواه ... إلخ . وأرجو أن يكون ما أثبتته هو الصواب .

(٣) زدت كلمة « اتبعه » لتستقيم العبارة .

أُولَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿ [سورة النساء : ١٣٥] . فهنا يكون اتباع الهوى فيما يخالف القسط من الشهادة وغيرها . والحق هو العدل ، واتباع الهوى في خلاف ذلك هو من الظلم .

وقد نهى رسول الله ﷺ عن اتباع أهواء الخلق . وقال تعالى : ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [سورة البقرة : ١٢٠] ، فهنا عن اتباع أهواء الذين أتوا الكتاب بعد ما جاءه من العلم .

وكذلك / قال تعالى في الآية الأخرى ^(١) : ﴿ وَلَئِنْ أَتَبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ [سورة البقرة : ١٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾ [سورة المائدة : ٤٩] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْمْ شُهَدَاءُكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ١٥٠] .

فقد نهاه عن اتباع أهواء المشركين واتباع أهواء أهل الكتاب ، وحذره أن يفتنوه عما أنزل الله إليه من الحق ، وذلك يتضمن النهي عن اتباع أهواء أحد في خلاف شريعته وسنته ، وكذا ^(٢) أهل الأهواء من هذه الأمة .

(١) في الأصل : أخرى .

(٢) في الأصل : وهو ، وفوقها كتب : كذا . وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته .

وقد بين ذلك في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۖ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة الجاثية : ١٩] . فقد أمره في هذه الآية باتِّباع الشريعة التي جعله عليها ، ونهاه عن اتِّباع ما يخالفها ، وهى أهواء الذين لا يعلمون .

ولهذا كان كل من خرج عن الشريعة والسنة من أهل (١) الأهواء ، كما سمَّاهم السلف .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [سورة المؤمنون : ٧١] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة : ٧٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بَغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [سورة الأنعام : ١١٩] .

وقال تعالى : / ﴿ قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ [سورة القصص : ٤٨ - ٥٠] .

(١) فى الأصل : والسنة كان من أهل

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَآذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ * وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [سورة محمد : ١٦ ، ١٧] .

فذكر الذين أوتوا العلم ، وهم الذين يعلمون أن ما أنزل إليه ^(١) من ربه الحق ، ويفقهون ما جاء به ، وذكر المطبوع على قلوبهم فلا يفقهون إلا قليلا ، الذين اتبعوا أهواءهم : يسألونهم ^(٢) ماذا قال الرسول آنفا ، وهذه حال من لم يفقه الكتاب والسنة ، بل يستشكل ذلك فلا يفقهه ، أو قرأه متعارضا متناقضا ، وهي صفة المنافقين .

ثم ذكر صفة المؤمنين فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ ﴾ [سورة محمد : ١٧] زيادة الهدى ، وهو ضد الطبع على قلوب أولئك ، وآتاهم تقواهم ، وهو ضد اتباع أولئك الأهواء .

فصاحب التقوى ضد صاحب الأهواء ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ [سورة النازعات : ٤٠] ، وقال تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ [سورة الفتح : ٢٦] .

ولما كانت كل حركة وعمل في العالم فأصلها المحبة والإرادة ، وكل محبة وإرادة لا يكون أصلها محبة الله وإرادة وجهه فهي باطلة فاسدة ، كان كل عمل

(١) أى إلى النبي ﷺ .

(٢) في الأصل : يسألونهم .

لا يُراد به وجهه باطلا ، فأعمال الثقلين - الجن والإنس - منقسمة : منهم من يعبد الله ومنهم [من] ^(١) لا يعبد ، بل قد يجعل معه إلهًا آخر . وأما الملائكة فهم عابدون لله .

وجميع الحركات الخارجة عن مقدور بنى آدم والجن والبهائم فهي من عمل الملائكة ، وتحريكها لما ^(٢) في السماء والأرض وما بينهما ، / فجميع تلك الحركات والأعمال عبادات لله متضمنة لمحبه وإرادته وقصده ، وجميع المخلوقات عابدة لخالقها إلا ما كان من مردة الثقلين ، وليست عبادتها إياه قبولها لتدبيره ^(٣) وتصريفه وخلقه ، فإن هذا عام لجميع المخلوقات ، حتى كفار بنى آدم ، فلا يخرج أحد عن مشيئته وتدبيره ، وذلك بكلمات الله التي كان النبي ﷺ يستعيز بها ، فيقول : « أعوذ بكلمات الله التامات ، التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر » ^(٤) ، وهذا من عموم ربوبيته وملكوته .

وهذا الوجه هو الذى أدركه كثير من أهل النظر والكلام ، حتى فسروا ما فى القرآن والحديث من عبادة الأشياء وسجودها وتسبيحها بذلك ، وهم غالطون فى ^(٥) هذا التخصيص شرعا وعقلا أيضا .

فإن المعقول الذى لهم يعرفهم أن كل شيء وكل متحرك ، وإن كان له مبدأ ، فلا بد له من غاية ومنتهى - كما يقولون : له علتان : فاعلية وغائية . والذى

(١) زدت « من » لستقيم الكلام .

(٢) فى الأصل : مما .

(٣) فى الأصل : التدبير .

(٤) مضى الحديث فى المجموعة الأولى ص : ١٠ (ت ١) وأوردته كاملا هناك فارجع إليه .

(٥) فى الأصل : وفى .

ذكروه إنما هو من جهة العلة الفاعلية ، وبعض^(١) المخلوقين كذلك يجعلونه [من جهة] العلة الغائية^(٢) ، وهذا غلط .

فلا يصلح أن يكون شيء من المخلوقات علة فاعلية ولا غائية ، إذ لا يستقل مخلوق بأن يكون علة تامة قط ، ولهذا لم يصدر عن مخلوق واحد شيء قط ، ولا يصدر شيء في الآثار إلا عن اثنين من المخلوقات ، كما قد بينا هذا في غير هذا الموضع .

وكذلك لا يصلح شيء من المخلوقات أن يكون علة غائية تامة ، إذ ليس في شيء من المخلوقات كمال مقصود حتى من الأحياء^(٣) . فالمخلوقات بأسرها يجمع^(٤) فيها هذان^(٥) النقصان : أحدهما : أنه لا يصلح شيء منها أن تكون علة تامة ؛ لا فاعلية ولا غائية . والثاني : أن ما كان فيها علة فله علة ، سواء كان علة فاعلية أو غائية .

فإنه سبحانه رب كل شيء ومليكه ، وهو رب العالمين ، لا رب لشيء من الأشياء إلا هو ، وهو إله كل شيء ، وهو في السماء / إله ، وفي الأرض إله ، وهو الله في السموات وفي الأرض ، لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، وما من إله إلا الله ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

ظ ١٥٠

فعبادة المخلوقات وتسييحها هو من جهة إلهيته سبحانه وتعالى ، وهو الغاية المقصودة منها ولها .

(١) في الأصل : بعض .

(٢) في الأصل : يجعلون العلة الغائية ، ولعل ما أثبتته يستقيم به الكلام .

(٣) في الأصل : من الأحياء مراد .

(٤) في الأصل : يجمع .

(٥) في الأصل : هذا .

وأما في الشرع فإن الله فصل بين هذا وبين هذا ، فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [سورة الحج : ١٨] (١) .

فهذا السجود الذي فصل بين كثير من الناس الذي يفعلونه ، وكثير من الناس [الذين لا يفعلونه طوعاً] (٢) ، وهم الذين حق عليهم (٣) العذاب ، ليس هو ما يشترك فيه جميع الناس من خلق الله وربوبية الله تعالى إياهم وتديبرهم . وكذلك فصل بين الصنفين في قوله تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ٨٣] .

وكذلك في قوله : ﴿ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظُلْالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [سورة الرعد : ١٥] .

وهو سبحانه ذكر في الآية الأخرى (٤) سجود المخلوقات إلا الكثير من الناس ، لأنه ذكر الطوع فقط ، كما ذكر في التي قبلها أديان الناس فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سورة الحج : ١٧] ، ف تضمنت هذه الآية حال المخلوقات إلا الجن ، فإنهم لم يُذكروا باللفظ الخاص ،

(١) سقطت في الأصل بعض ألفاظ الآية الكريمة .

(٢) زدت عبارة « الذين لا يفعلونه طوعاً » ليستقيم الكلام .

(٣) في الأصل : عليه .

(٤) أى آية ١٨ من سورة الحج التي ذكرها ابن تيمية قبل سطور قليلة .

لكنهم يندرجون في الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ، فإنهم كما قالوا : ﴿ مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ﴾ [سورة الجن : ١١] .

وقد ذكر طائفة من أهل العربية أنهم يدخلون في لفظ الناس أيضا .

/ وقال سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّهُوا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ . وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ . يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [سورة النحل : ٤٨ - ٥٠] .

ص ١٥١

وفي الصحيحين حديث أبى ذر فى سجود الشمس تحت العرش إذا غابت (١) .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [سورة النور : ٤١] .

وقال تعالى : ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة الحديد : ١] ، ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة الحشر : ١] ، ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ

(١) ذكرت فى المجموعة الأولى ٣٦/١ الحديث الذى يشمل هذا المعنى وهو فى : البخارى ١٢٥/٩ (كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء) ؛ مسلم ١٣٨/١ (كتاب الأيمان ، باب بيان الزمن الذى لا يقبل فيه الإيمان) ولفظ الحديث فى البخارى هو : « عن أبى ذر قال : دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس ، فلما غربت الشمس قال : يا أبأ ذر هل تدرى أين تذهب هذه ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تذهب تستأذن فى السجود فيؤذن لها ، وكأنها قد قيل لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها . ثم قرأ : (ذَلِكَ مُسْتَقَرُّ لَهَا) فى قراءة عبد الله » . وقد أورد ابن تيمية الحديث فى الموضع المشار إليه مع اختلاف فى الألفاظ . وانظر الدر المنثور ٢٦٣/٥ .

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ [سورة الصف : ١] ، ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة الجمعة : ١] ، ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة التغابن : ١] ، ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [سورة الإسراء : ٤٤] .

قال تعالى : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا هُمْ يَسْتَحْسِرُونَ . يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٠ ، ١٩] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٠٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ . فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ [سورة فصلت : ٣٧ ، ٣٨] .

وقال تعالى : ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [سورة النساء : ١٧٢] ، ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مَنَّهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [سورة النساء : ١٧٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا . تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا . أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا . وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا . إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

إِلَّا آتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا . لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا . وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿ [سورة مريم : ٨٨ - ٩٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ . لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ . وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَلَدِكْ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٦ - ٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ . وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمَحَالِ ﴾ [سورة الرعد : ١٢ ، ١٣] .

وقالت الملائكة : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٣٠] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ . وَالطُّيُورَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ [سورة ص : ١٨ ، ١٩] .

فأما كثير من الناس ، وأهل الطبع المتفلسفة وغيرهم ، فيعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ، ويأخذون ^(١) بظاهر من القول ؛ يرون ظاهر الحركات والأعمال التي للموجودات ، ويرون بعض أسبابها القريبة ، وبعض حكمها وغاياتها القريبة : أن ذلك هو العلة لها : فاعلا وغاية ، كما يذكرونه في تشريح الإنسان وأعضائه وحركاته

أهل الطبع المتفلسفة
لا يشهدون الحكمة
الغاية من المخلوقات

(١) في الأصل : ويشتركون ، ولعل الصواب ما أثبتته .

الباطنة والظاهرة ، وما يذكرونه من القوى التى فى الأجسام ، التى هى تكون بها الحركة ، وما يذكرونه من كل شىء .

ومن ذلك ذكرهم ^(١) الطبيعة التى فى الإنسان ، والقوة الجاذبة ، والهاضمة الغذائية ، والدافعة ، والمولدة وغير ذلك ، وأن الرئة تُروِّح على القلب لفرط حرارته ، وأن الدماغ أبعد من القلب ^(٢) ، إلى غير ذلك من الأسباب / والحكم التى فيها من شهود ما فى مخلوقات الله من الأسباب والحكم ما هو عبرة لأولى الأبصار .

ص ١٥٢

لكن يقع الغلط من إضافة هذه الآثار العظيمة إلى مجرد قوة فى جسم ، ولا يشهدون الحكمة الغائية من هذه المخلوقات ، وأن ذلك هو عبادة ربها سبحانه وتعالى .

وقد يعارضهم ^(٣) كلهم طوائف من أهل الكلام ، فينكرون طبائع ^(٤) أهل الكلام ينكرون طبائع الموجودات وما فيها من القوى والأسباب ، ويدفعون ما أرى الله عباده من آياته فى الآفاق وفى أنفسهم ، مما شهد به فى كتابه من أنه خلق هذا بهذا ، كقوله ﴿ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ [سورة الأعراف : ٥٧] ، وقوله : ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [سورة الجاثية : ٥] .

وما فيها من القوى والأسباب

وكلا الطائفتين قد لا يعلمون ما فيها من الحكمة التى هى عبادة ربها ، وهذا هو المقصود الذى بعث الله به الرسل ، وأنزل به الكتب ، بل إنما يتنازعون فى

(١) فى الأصل : وذكرهم ، وهو تحريف .

(٢) بعد كلمة « القلب » توجد عبارة غير واضحة فى الأصل كأنها : « لكن والحركات عليه تعديلا له ولواجه » والكلام يستقيم بدونها .

(٣) فى الأصل : يعاوطهم ، وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : طباع .

فاعل هذه الأمور ، وما يتعلق بتوحيد الربوبية ، كما قدّمناه . وأما شهادة غاية هذه الأمور ، وما يتعلق بتوحيد الإلهية ، فقد لا يهتمون له . ولهذا كان في طرقهم من الضلالات والجهالات ما هو مخالف لصحيح المنقول وصریح المعقول .

لكن أهل العلم في إضافة جميع الحوادث إلى خلق الله ومشيعته وربوبيته أصح عقلا ودينا ، ومن أدخل في ذلك كل شيء ، حتى أفعال الحيوان ، فهو المصيب الموافق للسنة والعقل ، وهم متكلمة أهل الإثبات الذين يقرّرون أن الله خالق كل شيء وربّه ومليكه .

بخلاف القدرية الذين أخرجوا عن ذلك أفعال الحيوان ، وبخلاف أهل الطبع والفلسفة الذين يخرجون عن ذلك عامة الكائنات من العلل المولّدات ، وكلاهما باطل ، كما بيّن في غير هذا الموضع .

ولهذا تجد هؤلاء إذا تكلموا في الحركات التي بين السماء والأرض ، مثل حركة الرياح والسحاب والمطر وحدوث المطر ، من الهواء ^(١) الذي بين السماء والأرض تارة ، / ومن البخار المتصاعد من الأرض تارة ، كما ذكر ذلك أيضا غير واحد من السلف ، وهو حق مشهود بالأبصار ، كما يُخلق الولد في بطن أمه من المنى ، وكما يُخلق الشجر من الحب والنوى ، فشاهدوا بعض الأسباب المرئية ، وجهلوا أكثر الأسباب ، وأعرضوا عن الخالق المسبب لذلك كله ، وعما جاء في ذلك من عبادته وتسيّحه والسجود له ، الذي هو غاية حكمته .

فإن خلق الله سبحانه للسحاب بما فيه من المطر من هذا البحر وبخار الأرض ، كخلقه للحيوان والنبات والمعدن من هذه الأمور .

ظ ١٥٢

(١) في الأصل : الهوى .

ومعلوم أن المنى جسم صغير مشابه لهذا الذى فى الحيوان من الأعضاء المكسوة والمتنوعة فى أقدارها وصفاتها وحكمها وغاياتها ، هل يقول عاقل : إن هذا مضاف إلى عرض وصفة ؟ حال فى جسم صغير ؟ أو يضاف هذا إلى ذلك الجسم الصغير ؟ هذا من أفسد الأمور فى بديهة العقل .

ومعلوم أنه لا نسبة إلى خلق هذا من هذا ، وإلى ما يصنعه بنو آدم من الصور التى يصنعونها من المداد ، مثل الكتابة بالمداد ، ونسيج الثياب من الغزل ، وصناعة الأطعمة والبنيان من موادها ^(١) ، وهم مع ذلك لم يخلقوا المواد ولا ينفونها ^(٢) ، وإنما غايتهم حركة خاصة تعين على تلك الصورة ، ثم لو أضاف مضيف هذه الكتابة إلى المداد لكان الناس جميعا يستجهلون ويستحققونه . فالذى يضيف خلق الحيوان والنبات إلى مادتها ، أو ما فى مادتها من الطبع ، أليس هو أحق وأجهل وأظلم وأكفر ؟!

وكذلك خلق السحاب والمطر من الهواء والبخار ، هو كذلك إضافة الزلزلة إلى احتقان البخار ، وإضافة حركة الرعد إلى مجرد اصطكاك أجرام السحاب ، إلى غير ذلك من الأسباب التى ضلوا فيها ضلالا مبينا ، حيث جعلوها هى العلة التامة فاعلا ، ولم يعرفوا ^(٣) الغاية ، فجهلوا الوضعين . ونازعهم طوائف من الناس فيما يوجد من الأسباب والقوى التى فى الطباع ، وذلك أيضا جهل .

وإذا كانت المحبة والإرادة أصل كل عمل وحركة . وأعظمها فى الحق محبة الله / وإرادته بعبادته وحده لا شريك له ، وأعظمها فى الباطل أن يتخذ الناس من

(١) فى الأصل : من سوادها ، وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : ينفونها ، وهو تحريف .

(٣) فى الأصل . ولم يعرف .

دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، ويجعلون له عدلا وشريكا - عُلِمَ أن المحبة والإرادة أصل كل دين ، سواء كان ديناً صالحاً أو ديناً فاسداً ، فإن الدين هو من الأعمال الباطنة والظاهرة ، والمحبة والإرادة أصل ذلك كله ، والدين هو الطاعة والعبادة والخُلُق ، فهو الطاعة الدائمة اللازمة التي قد صارت عادة وخُلُقاً ، بخلاف الطاعة مرة واحدة ، ولهذا فُسِّرَ الدين بالعادة والخُلُق ، ويفسر الخلق بالدين أيضاً ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم : ٤] ^(١) ، قال ابن عباس : على دين عظيم ، وذكره عنه سفيان بن عيينة ، وأخذه الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة وبذلك فسراه ^(٢) .

المحبة والإرادة
أصل كل دين

معاني كلمة
« الدين »

وكذلك يفسر بالعادة ، كما قال الشاعر :

أهَذَا دينه أبداً وديني ؟ ^(٣) .

ومنه « الدِّينُ » . يقال : هذا ديدنه ، أى عادته ^(٤) اللازمة ^(٥) ، فإن « ديدن » من دَانَ ، بمنزلة صلصل من : صَلَّ ، وَكَبَّكَ من كَبَّ ، هو تضعيف له ، والمضعَّف قد يكون مشدداً ، وقد يكون حرف لين ، وهم يعاقبون في كلامهم

(١) في الأصل : إنك ...

(٢) سبق الكلام على تفسير هذه الآية في هذه المجموعة (ص : ٥٦) .

(٣) في « لسان العرب » أن هذا الكلام للمُتَقَبِّ العبدى يذكر ناقته وتنام البيت :

تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِيئِي أَهَذَا دِينُهُ أَبَدًا وَدِينِي ؟

والبيت في ديوان المثقب القصيدة رقم ٧٦ في « المفضليات » (تحقيق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، والأستاذ عبد السلام هارون ، ط . دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٢/١٣٧١) .

(٤) في الأصل : عبادته ، وهو تحريف .

(٥) في « اللسان » : « والدين : العادة والشأن ، تقول العرب : ما زال ذلك ديني ودَيْنِي أى عادتي » .

كثيرا بين الحرف المشدّد وحرف المثل (١) ، كما يُقال : تَقْضَى الْبَارَى وتَقْضَضَ ، ويُقال : تَسْرَر وتَسْرَى (٢) .

ودان : يكون من الأعلى القاهر ، ويكون من المطيع . يُقال : دِنْتُهُ فدان ، أَى : قَهْرْتُهُ فذلّ . كما قال :

هُوَ دَانَ الرَّبَابَ (٣) إِذْ كَرِهَهُ الدَّيْ نَ ، دِرَاكًا بعِزّة وصِيَال (٤)

ويُقال فى الأعلى (٥) : « كما تدين تدان » . وأما دين المطيع فيستعمل متعديا ودائما ولازما ، يقال : دنت الله ، ودنت لله . ويقال : فلان لا يدين الله ديننا ، ولا يدين لله ، لأن فيه معنى الطاعة والعبادة ومعنى الذل . فإذا قيل : دان الله فهو قولك : أطاع الله ، وأحبه ، وإذا قيل : دان لله ، فهو كقولك : ذلّ لله ، وخشع لله .

وقد ذكرت أن اسم العبادة يتناول غاية الحب بغاية الذل ، وهكذا الدين

(١) كلمة « المثل » غير منقوطة فى الأصل ، وكتب فوقها كلمة « كذا » .

(٢) فى الأصل : تسورّ وتسرى ، وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : الذباب ، وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : فأضحوا بعِزّة وصِيَال . وفى « لسان العرب » مادة « دين » : قال الأعشى يمدح

رجلا :

هُوَ دَانَ الرَّبَابَ ، إِذْ كَرِهُوا الدَّيْ نَ دِرَاكًا بِغِرْوَةِ وصِيَال
ثم دانت بعدُ الرَّبَابُ ، وكانت كعذاب عُقوبَةٍ الْأَقْوَال

قال : هو دانّ الرباب يعنى أذلّها ، ثم قال دانت بعدُ الربابُ ، أى ذلت له وأطاعته ، والدين لله من هذا إنما هو طاعته والتعبد له . ودانه ديننا أى أذله واستعبده . يقال : دِنْتُهُ فدان .

والبيت فى « ديوان الأعشى » ، ص ١٢ ، القصيدة الأولى ، تحقيق رودلف جاير ، ط . فيينا ، ١٩٢٧ . وجاء فى رواية للبيت : بعِزّة وصِيَال .

(٥) فى الأعلى : كذا بالأصل ، ولعل الصواب : فى المثل .

الذى يدين به الناس في الباطن والظاهر لا بد فيه من الحب والخضوع ، بخلاف طاعتهم للملوك ونحوهم ، فإنها قد تكون خضوعاً ظاهراً فقط .

والله سبحانه وتعالى سَمَّى يوم القيامة يوم الدين ، كما قال : ﴿ مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [سورة الفاتحة : ٤] ، وهو كما روى عن ابن عباس وغيره من السلف : « يوم يدين الله العباد بأعمالهم إن خيراً فخييراً ، وإن شراً فشرّاً » ^(١) . وذلك يتضمن جزاءهم وحسابهم .

فلهذا من قال : هو يوم الحساب ويوم الجزاء ، فقد ذكر بعض صفات الدين ، قال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ . وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ . إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ . يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ . وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ . ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ . يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ [سورة الانفطار : ٩ - ١٩] .

/ وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ . تُرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة الواقعة : ٨٦ ، ٨٧] ، أى : مقهورين ، ومدبرين ، ومجزين ^(٢) .

ظ ١٥٣

(١) في الأصل : إن خيراً فخييراً ، وإن شراً فشر . وهذا الأثر في تفسير الطبرى (ط . المعارف) ١٥٦/١ : « ... عن عبد الله بن عباس : (يوم الدين) ، قال : يوم حساب الخلائق ، وهو يوم القيامة ، يدينهم بأعمالهم ، إن خيراً فخييراً ، وإن شراً فشرّاً ، إلا من عفا عنه ، فالأمر أمره . ثم قال : (ألا له الخلق والأمر) [سورة الأعراف : ٥٤] .

(٢) يقول ابن الجوزي في تفسيره « زاد المسير » ١٥٥/٨ - ١٥٦ : « قوله تعالى : (غير مدنين) فيه خمسة أقوال . أحدها : محاسين ، رواه الضحاك عن ابن عباس وبه قال الحسن وابن جبير وعطاء وعكرمة . والثاني : موقنين ، قاله مجاهد . والثالث : مبعوثين ، قاله قتادة . والرابع : مجزين . ومنه يقال : دنته ، وكما تدن تدان ، قاله أبو عبيدة . والخامس : مملوكين أذلاء ، من قولك : دنت له بالطاعة ، قاله ابن قتيبة » .

لابد لكل طائفة
من بنى آدم من
دين يجمعهم

وإذا كان كل عمل عن محبة وإرادة ، والترك يكون عن بغض وكراهة - وكل أحد همّام حارث له حب وبغض ، لا يخلو الحى عنهما ^(١) ، وعمله يتبع حبه وبغضه ، ثم قد يكون ذلك في أمور هي له عادة وخلق ، وقد يكون في أمور عارضة لازمة - عُلِمَ أن [كل] ^(٢) طائفة من بنى آدم لابد لهم من دين يجمعهم ، إذ لا غنى لبعضهم عن بعض ، وأحدهم لا يستقل بجلب ^(٣) منفعتة ودفع مضرتة ، فلا بد من إجتماعهم ، وإذا اجتمعوا فلا بد أن يشتركوا في اجتلاب ما ينفعهم كلهم ، مثل طلب نزول المطر ، وذلك محبتهم له ، وفي دفع ما يضرهم مثل عدوهم ، وذلك بغضهم له ، فصار ولابد أن يشتركوا في محبة شيء عام ، وبغض شيء عام ، وهذا هو دينهم المشترك العام .

وأما اختصاص كل منهم بمحبة ما يأكله ويشربه وينكحه ، وطلب ما يستره ^(٤) باللباس ، فهذا يشتركون في نوعه لا في شخصه . بل كل منهم يحب نظير ما يحبه الآخر لا عينه ، بل كل منهم لا ينتفع في أكله وشربه ونكاحه ولباسه بعين ما ينتفع به الآخر ، بل بنظيره .

وهكذا هي الأمور السماوية في الحقيقة ، فإن عين المطر الذى ينزل في أرض هذا ، ليس هو عين الذى ينزل في أرض هذا ، ولكن نظيره ، ولا عين ^(٥) الهواء البارد الذى يصيب جسد أحدهم ، قد لا يكون نفس عين الهواء البارد الذى يصيب جسد الآخر ، بل نظيره .

(١) في الأصل : عنها .

(٢) زدت « كل » ليستقيم الكلام .

(٣) في الأصل : لجلب .

(٤) في الأصل : ما يضره ، وهو تحريف .

(٥) في الأصل : ولا من .

لكن الأمور السماوية تقع مشتركة عامة ، ولهذا تعلق حبهم وبغضهم بها عامة مشتركة . بخلاف الأمور التي تعلق بأفعالهم كالطعام واللباس . فقد تقع مختصة وقد تقع مشتركة (١) .

وإذا كان كذلك فالأمور التي يحتاجون إليها يحتاجون أن يوجبوها على أنفسهم ، والأمور التي تضرهم يحتاجون أن يحرموها على نفوسهم ، وذلك دينهم ، وذلك لا يكون إلا باتفاقهم على ذلك ، وهو التعاهد والتعاقد .

الدين هو التعاهد والتعاقد

ولهذا جاء في الحديث « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » (٢) .

فهذا هو من الدين المشترك بين جميع بني آدم : من التزام واجبات ومحرمات ، وهو الوفاء والعهد ، وهذا قد يكون باطلا فاسدا ، إذا كان فيه مضرة لهم راجحة على منفعته ، وقد يكون دين حق إذا كانت منفعة خاصة أو راجحة .

كما قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ ﴾ [سورة الكافرون : ١ - ٦] .

وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾ [سورة يوسف : ٧٦] (٣) .

(١) في الأصل : فقد يقع مختصا وقد يقع مشتركا .

(٢) الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه في مسند أحمد (ط . الحلبي) ١٣٥/٣ وأوله : « ... عن أنس بن مالك قال : ما خاطبنا نبي الله ﷺ إلا قال : لا إيمان لمن لا أمانة له » وهو أيضا فيه ٢٥١ ، ٢١٠ ، ١٥٤/٣ .

(٣) يقول ابن الجوزي في « زاد المسير » ٢٦١/٤ : « في المراد بالدين هاهنا قولان : أحدهما : أنه السلطان ، فالمعنى في سلطان الملك ، رواه العوفي عن ابن عباس . والثاني : أنه القضاء ، فالمعنى في قضاء الملك ، لأن قضاء الملك أن من سرق إنما يُضْرَب ويُغْرَم ، قاله أبو صالح عن ابن عباس » . وانظر تفسير الطبري للآية (ط . المعارف) ١٨٨/١٦ - ١٩٠ .

/ وقال تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ [سورة التوبة : ٢٩] .

والدين الحق هو طاعة الله وعبادته ، كما بينا أن الدين هو الطاعة المعتادة التي صارت خلُقًا ، وبذلك ^(١) يكون المطاع محبوباً مراداً ^(٢) ، إذ أصل ذلك المحبة والإرادة .

ولا يستحق أحد أن يُعبد ويطاع على الإطلاق إلا الله وحده لا شريك [له] ^(٣) ، ورسله وأولو الأمر أطيعوا لأنهم يأمرون بطاعة الله ، كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن عصى أميري فقد عصاني » ^(٤) .

وأما العبادة فلله وحده ليس فيها واسطة ، فلا يعبد العبد إلا الله وحده ، كما قد بينا ذلك في مواضع ، وبيننا أن كل عمل لا يكون غايته إرادة الله وعبادته فهو عمل فاسد غير صالح ، باطل غير حق ، أى لا ينفع صاحبه .

(١) في الأصل : وذلك .

(٢) في الأصل : محبوب مراد ، وهو خطأ .

(٣) له : ساقطة من الأصل .

(٤) جاء الحديث مختصراً ومطولاً مع اختلاف في الألفاظ عن أنى هريرة رضى الله عنه في : البخارى ٦١/٩ (كتاب الأحكام ، باب قول الله تعالى : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) ؛ مسلم ١٤٦٥/٣ ، ١٤٦٦ (كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية) ؛ سنن النسائي ١٣٨/٧ (كتاب البيعة ، باب الترغيب في طاعة الإمام) ، ٢٤٣/٨ (كتاب الاستعاذة ، باب الاستعاذة من فتنة الحيا) ؛ سنن ابن ماجه ٤/١ (المقدمة ، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ) ، ٩٥٤/٢ (كتاب الجهاد ، باب طاعة الإمام) ؛ المسند (ط . المعارف) ٥٢/١٣ ، ١٧٣ - ١٧٤ ، ١٧٤/١٤ ، ٧٦/١٦ ، ٣٩ - ٤٠ ، ١٧/١٧ ، ١٨/٩٥ ، المسند (ط . الحلي) ٤٦٧/٢ ، ٤٧١ ، ٥١١ .

وقد قال سبحانه : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [سورة البينة : ٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ١٩٣] .

وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ١٦١] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾ [سورة التوبة : ١٢٢] .

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ

(١) الحديث عن ابن عباس وأبي هريرة ومعاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهم في : البخارى ٢١/١ (كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) ، ٨٤/٤ (كتاب الخمس ، باب قول الله تعالى فَإِنَّ لِلَّهِ خَمْسَةَ) ، ١٠١/٩ (كتاب الاعتصام ، باب قول النبي ﷺ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ) ؛ مسلم ٧١٩ ، ٧١٨/٢ (كتاب الزكاة ، باب النهي عن المسألة) ؛ سنن الترمذى ١٣٧/٤ (كتاب العلم ، باب إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين) وقال الترمذى : « وفي الباب عن عمرو وأبي هريرة ومعاوية » ؛ سنن ابن ماجه ٨٠/١ (المقدمة ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم) ؛ سنن الدارمى ٢٩٧/٢ (كتاب الرقاق ، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) ؛ المسند (ط . المعارف) ٢٨٢/٤ ، ١٨٠/١٢ (ط . الحلبي) ٩٢/٤ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ٢٨٢ .

أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ [سورة البقرة : ٢١٧] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ الآية [سورة المائدة : ٥٤] .

وهو الدين الحق الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له ، وطاعته وطاعة رسوله هو الإسلام العام الذي لا يقبل الله ديناً غيره .

كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [سورة آل عمران : ١٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ٨٥] .

/ وقال تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ٨٣] .

وقال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ [سورة الشورى : ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً لَأَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام : ١٥٩] .

فإذا كان لابد لكل آدمي من اجتماع ، ولابد في كل اجتماع من طاعة ودين ، وكل دين وطاعة لا يكون لله فهو باطل - فكل دين سوى الإسلام فهو باطل . كل دين سوى الإسلام باطل
وأيضاً فلا بد لكل حي من محبوب ، هو منتهى محبته وإرادته ، وإليه تكون حركة باطنه وظاهره ، وذلك هو إلهه ، ولا يصلح ذلك إلا لله وحده لا شريك له ، فكل ما سوى الإسلام فهو باطل .

والمتفرقون أيضا فيه ، الذين أخذ كل منهم ببعضه وترك بعضه ، وافتقرت أهواؤهم ، قد برىء الله ورسوله منهم .

ولابد في كل دين وطاعة ومحبة من شيئين : أحدهما : الدين المحبوب لالبد في كل دين من شيئين : العقيدة والشرعة أو المعبود والعبادة . المطاع . وهو المقصود المراد .

والثاني : نفس صورة العمل التي تُطاع ^(١) ويُعبد بها ، وهو السبيل والطريق والشرعة والمنهاج والوسيلة .

كما قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى : ﴿ لَيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [سورة هود : ٧] قال : أخلصه وأصوبه . قالوا : يا أبا على ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ، [حتى يكون خالصا صوابا] ^(٢) ، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة .

فهكذا كان الدين يجمع هذين الأمرين : المعبود ، والعبادة . والمعبود إليه واحد ، والعبادة طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، فهذا هو دين الله الذي ارتضاه ، كما قال تعالى : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [سورة المائدة : ٣] ، وهو دين المؤمنين من الأولين والآخرين ، وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد غيره ، لأنه دين فاسد باطل ، كمن عبد من لا تصلح عبادته ، أو عبد بما لا يصلح أن يعبد به .

ثم مع اشتراك الأولين والآخرين في هذا الدين فيتنازعون في كل منهما ، فإن الله سبحانه له الأسماء الحسنی ، وله المثل الأعلى ، فقد تعرف هذه الأمة من أسمائه تنوع الناس في المعبود وفي العبادة

(١) في الأصل : يطاع .

(٢) ما بين المعقوفتين من كلام الفضيل بن عياض ، وسبق ورود هذا الكلام في المجموعة الأولى ،

وصفاته ما لا تعرف به الأمة الأخرى ، فهم مشتركون في عبادة نفسه ، وإن تنوعوا فيما عرفوه وعبدوه به من أسمائه وصفاته .

وقد رفع الله بعضهم فوق / بعض درجات ، فهذا تنوعهم في المعبود^(١) ، وكذلك حالهم في معرفة اليوم الآخر .

وأما تنوعهم في العبادة والطاعة من الأقوال والأفعال ؛ فإنهم متنوعون في ذلك أيضا .

وقد قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [سورة المائدة : ٤٨] .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الجاثية : ١٨] .

وقال تعالى : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ ﴾ [سورة الحج : ٦٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ [سورة الحج : ٣٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ وُجْهَةً هُوَ مُوَلِّيُّهَا ﴾ [سورة البقرة : ١٤٨] .

وهذان الأصلان قد جاءت شريعتنا فيهما^(٢) بأنواع : فجاءت في أسماء الله وصفاته بأنواع ، وجاءت في صفات العبادات بأنواع . والأصل الأول ينضم إليه اليوم الآخر وما جاء في نعته من الأسماء والصفات والوعد والوعيد .

(١) كتب في أعلى هذه الصفحة إلى اليسار : « الثاني » .

(٢) في الأصل : فيها .

وهذه الأصول الثلاثة : وهى الإيمان بالله ، وباليوم الآخر ، والعمل الصالح ، هى الموجبة ^(١) للسعادة فى كل ملة . كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٦٢] .
والشرع ^(٢) ما جاءت به الرسل ، وهو الأصل الرابع .

فإن هذه الأصول الأربعة متلازمة ، والتفرق فى ذلك بالأمر فى بعضه ، والنهى عن بعض ، هو من التفرق والاختلاف الذى ذمه الكتاب والسنة من المختلفين .

ذم الله التفرق
والاختلاف فى
الكتاب والسنة

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٦] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام : ١٥٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٥] .

ولهذا غضب النبى ﷺ لما اختلفوا فى القراءة ، وقال : « كلاهما محسن » ^(٣) .

(١) فى الأصل : هو الموجب .

(٢) فى الأصل : والنوع .

(٣) الحديث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فى موضعين فى : البخارى ١٢٠/٣ (كتاب الخصومات ، باب ما يذكر فى الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود) ، ١٧٥/٤ (كتاب الأنبياء ، الباب الأخير : حدثنا أبو إيمان ...) ونصه فى الموضع الأخير : « عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : =

وقال : « إن القرآن نزل على سبعة أحرف فاقروا منه ما تيسر » (١) .
وكذلك غضب لما تنازعوا في القدر ، وأخذوا يعارضون بين الآيات معارضة
تفضي إلى الإيمان ببعض دون بعض .

وهذا التفرق والاختلاف يوجب الشرك ، وينافي حقيقة التوحيد الذي هو
إخلاص الدين كله [لله] (٢) ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ﴾
[سورة الروم : ٣٠] ، ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً
كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْحُونَ ﴾ [سورة الروم : ٣١ ، ٣٢] .

فإقامة وجهة الدين حنيفاً ، وعبادة الله وحده لا شريك له - وذلك يجمع
الإيمان بكل ما أمر الله به وأخبر به - أن يكون الدين كله لله .

= سمعت رجلاً قرأ وسمعت النبي ﷺ يقرأ خلفها ، فبحث به النبي ﷺ فأخبرته ، فعرفت في وجهه
الكرامية ، وقال : كلاهما محسن ، ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا .

والحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه في : المسند (ط . المعارف) ٣٢٤/٥ - ٣٢٥ ، ٥/٦ ،
٥ - ٦ ، ١٥٥ ، ١٦٩ . وجاء الحديث عن أبي بن كعب رضي الله عنه (وفيه بيان أنه كان هو الرجل
الآخر وفي رواية أنه كان هناك قارئ ثالث) في المسند ١٢٤/٥ في عدة روايات .

(١) هذا جزء من حديث طويل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في : البخاري ١٢٢/٣
(كتاب الخصومات ، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض) ، ١٨٤/٦ - ١٨٥ (كتاب فضائل
القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف) ، ١٧/٩ - ١٨ (كتاب المرتدين ، باب ما جاء في
التأولين) ، ١٥٨/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : فاقروا ما تيسر من القرآن) ؛ مسلم
٥٦٠/١ (كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف) ؛ سنن الترمذي ٢٦٣/٤ -
٢٦٤ (كتاب القراءات ، باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف) ؛ سنن أبي داود ١٠١/٢ -
١٠٢ (كتاب الوتر ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف) ؛ سنن النسائي ١١٦/٢ - ١١٧ (كتاب
افتتاح الصلاة ، باب جامع ما جاء في القرآن) ؛ المسند (ط . المعارف) ٢٢٤/١ ، ٢٧٤ - ٢٧٥ ،
٢٨٣ - ٢٨٤ . وأول الحديث (البخاري ١٢٢/٣) : « سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يقول : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها فبحث به رسول الله
ﷺ فقلت : إني سمعت هذا يقرأ على غير ما أقرأتها . فقال لي : أرسله . ثم قال : أقرأ الحديث » .
(٢) زدت « لله » ليستقيم الكلام .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ﴾ ، وذلك أنه إذا كان الدين كله لله حصل الإيمان والطاعة لكل ما أنزله وأرسل به رسله ، وهذا يجمع كل حق ، ويُجمع عليه كل حق .

وإذا لم يكن كذلك فلا بد أن يكون لكل قول ما يمتازون به ، مثل معظّم مطاع ، أو معبود لم يأمر الله لعبادته وطاعته ، ومثل قول ودين ابتدعوه لم يأذن الله به ، ولم يشرعه ، فيكون كل من الفريقين مشركا من هذا الوجه .

وأيضاً ففى قلوب بنى آدم محبة وإرادة لما يتألهونه ويعبدونه ، وذلك هو قوام قلوبهم وصلاح نفوسهم ، كما أن فيهم محبة وإرادة لما يطعمونه وينكحونه ، وبذلك تصلح حياتهم ، ويدوم شملهم . وحاجتهم إلى التآله أعظم من حاجتهم إلى الغذاء ، فإن الغذاء إذا فقد يفسد الجسم ، ويفقد التآله تفسد النفس ، ولن يصلحهم إلا تآله الله وعبادته وحده لا شريك له ، وهى الفطرة التى فطروا عليها ، كما قال النبى ﷺ فى الحديث المتفق عليه : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » (١) .

وفى صحيح مسلم عن عياض بن حمار عن النبى ﷺ فيما يروى عن ربه أنه قال : « إئتني خلقت عبادى حنفاء فاجتالهم الشياطين » (٢) ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا » (٣) .

لكن أكثر الشرك فى بنى آدم بإيجاد إله آخر مع الله ، ودان بذلك كثير منهم فى أنواع كثيرة .

(١) مضى الحديث من قبل فى هذه المجموعة ، ص : ٨٥ .

(٢) فى الأصل : الشيطان ، وهو تحريف .

(٣) مضى الحديث من قبل فى هذه المجموعة ، ص : ٨٦ .

فصار كل طائفة من بنى آدم لا بد لهم من دين لهذين الأمرين : الحاجة نفوسهم إلى الإله الذى هو محبوب مطلوب لذاته ولأنه ينفع ويضر ، والحاجتهم إلى التزام ما يحبونه من الحاجات ويدفعونه من المضرات .

وهم مشركون فى المحبة للأشياء المنزلة : أعيانها وأنواعها ، فهم مشركون فى محبة الإله الذى يعبدونه وتعظيمه ، ومحبة من يبلغ عنه ما يختص به ، ومحبة أوامره ونواهيه . مشركون / فى محبة (١) غير ذلك ، ومشركون أيضا فى محبة جنس (٢) ما التزموه من الواجبات والمحرمات العامة ، التى هى جلب المنفعة لهم جميعا ، ودفع المضرة عنهم جميعا .

فهذه المحبة هى المحبة الدينية ، كحب الدين الذى هم عليه : حقا كان أو باطلا ، وكذلك محبة ما يعين على ذلك ويوصل إليه لأجل ذلك ، فهى (٣) أيضا محبة دينية .

وليس المقصود بالدين الحق مجرد المصلحة الدنيوية من إقامة العدل بين الناس فى الأمور الدنيوية ، كما يقوله طوائف من المتفلسفة فى مقصود النواميس والنبوات : أن المراد بها مجرد وضع ما يحتاج إليه معاشهم فى الدنيا من القانون العدى الذى ينتظم به معاشهم ، لكن هذا قد يكون المقصود فى أديان من لم يؤمن بالله ورسوله من أتباع الملوك المتفلسفة ونحوهم ، مثل : قوم نوح ، ونمرود ، وجنكيزخان (٤) وغيرهم (٥) .

(١) فى الأصل : فى محبته .

(٢) فى الأصل : حسن ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) فى الأصل : هى .

(٤) فى الأصل : جنكيسخان ، وأشير إلى الهامش حيث كتب « جنكيز خان » ورفقها كلمة

« صوابه » .

(٥) فى الأصل : وغيرها .

فإن كل طائفة من بنى آدم محتاجون إلى التزام واجبات ، وترك محرمات ، يقوم بها معاشهم وحياتهم الدنيوية . وربما جعلوا مع ذلك ما به يستولون به على غيرهم من الأصناف ويقهرونه ، كفعل الملوك الظالمين مثل جنكيزخان ^(١) .

فإذا لم يكن مقصود الدين والناموس الموضوع إلا جلب المنفعة في الحياة الدنيا ، ودفع المضرة فيها ، فليس لهؤلاء في الآخرة من خلاق ، ثم إن كان مع ذلك جعلوه ليستولوا به على غيرهم من بنى آدم ويقهروهم ، كفعل فرعون وجنكيزخان ^(١) ونحوهما ، فهؤلاء من أعظم الناس عذابا في الآخرة .

كما قال تعالى : ﴿ تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نُبَأٍ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ . إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿ [سورة القصص : ٣ ،

ظ ١٥٦

. [٤

وقد قص الله سبحانه قصة فرعون في غير موضع من القرآن ، وكان هو وقومه على دين لهم من دين الملوك ، كما قال تعالى في قصة يوسف : ﴿ مَا كَانَ لِأَيُّهَا أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [سورة يوسف : ٧٦] وهذا الملك كان فرعون يوسف ، وكان قبل فرعون موسى . وفرعون اسم لمن يملك مصر من القبط ^(٢) ، وهو اسم جنس كقيصر وكسرى والنجاشي ونحو ذلك .

وهؤلاء المتفلسفة الصابئة المبتدعة من المشائين ، ومن سلك مسلكتهم من المنتسبين إلى الملل في المسلمين واليهود والنصارى ، يجعلون الشرائع والنواميس

(١) في الأصل : جنكيسخان .

(٢) في « لسان العرب » : « والقبط : جيل بمصر ، وقيل : هم أهل مصر وبنوكها » .

والديانات من هذا الجنس ^(١) ، لوضع قانون تتم به مصلحة الحياة الدنيا ، ولهذا لا يأمرهم فيها بالتوحيد ، وهو عبادة الله وحده ، ولا بالعمل للدار الآخرة ، ولا ينهاهم فيها عن الشرك ، بل يأمرهم فيها بالعدل والصدق والوفاء بالعهد ، ونحو ذلك من الأمور التي لا تتم مصلحة الحياة الدنيا إلا بها ^(٢) ، ويشرعون التأله للمخلصين والمشركون .

وقد تكلمت على أقسام الديانات في غير هذا الموضع ، وبيّنت الطبيعي ، والمُلّى ، والشرعى . وإنما جاء ذكر هذا هنا مطردا .

ولهذا يقيمون النواميس بأنواع من الحيل والسحر والطلسمات ^(٣) ، كما وضعوه في كتب ذلك ، ويقولون في بعض الطيالسّم : هذا يصلح لوضع النواميس ، كما ^(٤) تواصت القرامطة والباطنية ، وكما كان يفعله سحرة فرعون وغيرهم - وآثارهم موجودة بذلك إلى اليوم - وكما يفعله المشركون من الترك والهند في بلادهم .

(١) في الأصل : الجيش ، وهو تحريف .

(٢) في الأصل : أبها ، وهو تحريف .

(٣) في « شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل » لشهاب الدين الخفاجي : مادة « طلسم » : « طلسم : لفظ يوناني لم يعربه من يوثق به ، وكونه مقلوبا من مسلط وهَمَّ لا يعتد به . وفي « السر المكتوم » : هو عبارة عن علم بأحوال تمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية لأجل التمكن من إظهار ما يخالف العادة والمنع مما يوافقها . انتهى » وانظر الصفدية ٦٦/١ . وفي « دستور العلماء » لعبد النبي بن عبد الرسول الأحمدي (ط . حيدر آباد) ٢٧٨/٢ : « الطلسم علم يتعرف منه كيفية تمزيج القوى العالية الفعالة بالسافلة المنفعلة ليحدث عنها أمر غريب في عالم الكون والفساد . واختلف في معنى الطلسم . والمشهور أقوال ثلاثة : الأول : أن الطل بمعنى الأثر فالمعنى أثر اسم . الثاني : أنه لفظ يوناني معناه : عقد لا يتحل . الثالث : أنه كناية عن مسلط . وعلم الطلسمات أسرع تناولا من علم السحر وأقرب مسلكا ، وللسكاكي في هذا الفن كتاب جليل القدر عظيم الخطر » .

(٤) في الأصل : وكما .

والمتفلسفة الصابئة تجعل ذلك جنسا لما بُعثت به الرسل من الآيات ، ويجعلون موسى والسحرة والذين عارضوه من جنس واحد .
وهؤلاء كما قال تعالى فيهم : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٢] هم مقرونون بأن منفعة ذلك لا تكون في الآخرة ، وإنما يرجون منفعته في الدنيا ، وإن كان فيه بلوغ بعض الأعراض من رئاسة أو شهوة (١) .

فهو كما قال الله تعالى : ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٢] إذ ما فيه من المضرة يربو (٢) على ما فيه من الخير (٣) . قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَآتَوْا لِمَثُوبَةٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ حَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٣] ، ولهذا كان ما نهى عنه من هذا الجنس إنما هو / لكون الضرر فيه أغلب من المنفعة ، فأما ما ينفع الناس فلم ينه الله عنه .

ص ١٥٧

ولهذا لما عرض على النبي ﷺ الرق (٤) قال : « من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل » (٥) وقال : « لا بأس بالرق ما لم يكن فيه شرك » (٦) .

(١) توجد في أعلى الصفحة كلمات كتب بعضها فوق بعض غير واضحة وكأنها : « لدى غير الله شر كبير كله » .

(٢) في الأصل : يزكى ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) في الأصل : الخط ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) في الأصل : الرقا .

(٥) ورد الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه في موضعين في : مسلم ١٧٢٦/٤ (كتاب السلام ، باب استحباب الرقية من العين ...) . وجاء الحديث أيضا عنه في المسند (ط . الحلبي) ٣٠٢/٣ ، ٣٣٤ ، ٣٨٢ ، ٣٩٣ .

(٦) في الأصل : شر ، وهو تحريف . والحديث عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه في : مسلم ١٧٢٧/٤ (كتاب السلام ، باب لا بأس بالرق ما لم يكن فيه شرك) ؛ سنن أبي داود ١٥/٤ (كتاب الطب ، باب ما جاء في الرق) .

وذكر البخارى فى صحيحه فى استخراج السحر عن قتادة قال : « قلت لسعيد بن المسيب : رجل به طب أو يُؤخَذُ عن امرأته : أيحلُّ عنه أو يُنشر ؟ قال : لا بأس به ، إنما يريدون به الإصلاح ، فأما ما ينفع الناس فلم يُنَّه عنه ^(١) .

فصل

وإذا كان الحب أصل كل عمل من حق وباطل ، وهو ^(٢) أصل الأعمال الحب أصل كل عمل الدينية وغيرها ، وأصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله ، كما أن أصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله ، فالتصديق بالحببة هو ^(٣) أصل الإيمان ، وهو قول وعمل ، كما قد بُيِّنَ فى غير هذا الموضع .

ومعلوم أن قوة ^(٤) المحبة لكل محبوب يتفاوت الناس فيها تفاوتاً عظيماً ،

(١) جاء هذا الأثر فى : البخارى ١٣٧/٧ (كتاب الطب ، باب هل يستخرج السحر) . وقال ابن حجر فى : فتح البارى ٢٣٣/١٠ : « عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يرى بأساً إذا كان بالرجل سحر أن يمشی إلى من يطلق عنه ، فقال : هو صلاح . قال قتادة : وكان الحسن يكره ذلك يقول : لا يعلم ذلك إلا ساحر . قال : فقال سعيد بن المسيب : إنما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع . وقد أخرج أبو داود فى « المراسيل » عن الحسن رفعه : « النشرة من عمل الشيطان » ووصله أحمد وأبو داود بسند حسن عن جابر . قال ابن الجوزى : « النشرة حل السحر عن المسحور ، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر . وقد سئل أحمد عن يطلق السحر عن المسحور ، فقال : لا بأس به قوله : (به طب) بكسر الطاء أى سحر ، وقد تقدم توجيهه . قوله : (أو يؤخذ) بفتح الواو مهموز وتشديد الحاء المعجمة بعدها معجمة : أى يحبس عن امرأته ولا يصل إلى جماعها . والأخذة بضم الهززة : هى الكلام الذى يقوله الساحر . وقيل : خرزة يرقى عليها ، أو هى الرقية نفسها . قوله : (أو يُحلُّ عنه) بضم أوله وفتح المهملة . قوله : (أو يُنشر) بتشديد المعجمة من النشرة بالضم ، وهى ضرب من العلاج يعالج به من يظن أن به سحراً أو مساً من الجن ، قيل لها ذلك لأنه يكشف بها عنه ما خالطه من الداء » .

(٢) فى الأصل : وهى .

(٣) فى الأصل : هى .

(٤) كلمة « قوة » غير واضحة فى الأصل ، وكذا استظهرتها .

ويتفاوت حال الشخص الواحد في محبة ^(١) الشيء الواحد ، بحيث يقوى الحب تارة ويضعف تارة ، بل قد يتبدل أقوى [الحب] ^(٢) بأقوى البغض وبالعكس .

قال تعالى : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ [سورة المتحنة : ١ - ٤] ، وإبراهيم هو إمام الحنفاء الذين يحبهم الله ويحبونه ، وهو خليل الله .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدُمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ٧٥ - ٧٧] .

وقال تعالى أيضا : ﴿ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٦] وقال بعد ذلك : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٩] .

وقد قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ١٦٥] .

ولا ريب أن محبة المؤمنين لربهم أعظم المحبات ، وكذلك محبة الله لهم هي محبة عظيمة جدا ، كما في صحيح البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « يقول الله تعالى : من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ، وما تقرب إلى عبدى

(١) فى الأصل : المحبة .

(٢) فى الأصل : أقوى ، وفوقها : كذا . ورأيت أن إثبات كلمة « الحب » يستقيم به الكلام .

بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى (١) يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، فبى يسمع ، وبى يبصر ، وبى يبطش ، وبى يمشى ، ولئن سألتى لأعطينه ، ولئن (٢) استعاذنى لأعيزته ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت ، وأكره مساءته ، ولا بد له منه » (٣) .

وقد تأول الجهمية - ومن اتبعهم من أهل الكلام - محبة الله لعبده على أنها الإحسان إليه ، فتكون من الأفعال .

تأويل طوائف من
المسلمين للمحبة
تأويلات خاطئة

وطائفة أخرى من الصفاتية قالوا : هى إرادة / الإحسان . وربما قال كلا من القولين بعض المنتسبين إلى السنة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم .

وسلف الأمة وأئمة السنة على إقرار المحبة على ما هى عليه .

وكذلك محبة العبد لربه يفسرها كثير من هؤلاء بأنها إرادة العبادة له ، وإرادة التقرب إليه ، لا يثبتون أن العبد يحب الله .

وسلف الأمة ، وأئمة السنة ، ومشايخ المعرفة ، وعامة أهل الإيمان : متفقون على خلاف قول هؤلاء المعطلة لأصل الدين ، بل هم متفقون على أنه لا يكون شيء من أنواع المحبة أعظم من محبة العبد ربه .

كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ١٦٥] ، وقال

(١) فى الأصل : الذى .

(٢) فى الأصل : ولا .

(٣) مضى هذا الحديث من قبل فى هذه المجموعة (ص ٢٧ الصفات ١٠٧ شرح) .

تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [سورة المائدة : ٥٤] ، وقال
تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ
مَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [سورة التوبة :
٢٤] ، فلم يرض [إلا] ^(١) بأن يكون الله ورسوله أحب إليهم من الأهلين
والأموال ، حتى يكون الجهاد في سبيل الله الذى هو من كمال الإيمان .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [سورة
الحجرات : ١٥] . ولهذا وصف الله المحييين له الذين يحبهم هو بالجهاد ، فقال تعالى :
﴿ مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾
[سورة المائدة : ٥٤] .

وأما تنازع الناس في لفظ « العشق » فمن الناس من أهل التصوف والكلام
تنازع الناس في
لفظ « العشق »
وغيرهم من أطلق هذا اللفظ في حق الله ، كما روى عبد الواحد بن زيد ^(٢) فيما
يؤثره عن [أحد أنبياء] الله ^(٣) أنه قال : « عشقنى وعشقتة » .

(١) زدت « إلا » ليستقيم الكلام .

(٢) عبد الواحد بن زيد البصرى صوفى وواعظ لحق الحسن البصرى وغيره ، متروك الحديث ،
وقال البخارى : عبد الواحد صاحب الحسن تركوه ، وقال الجوزجاني : سىء المذهب ليس من معادن
الصدق . توفى سنة ١٧٧ . انظر ترجمته وأقواله فى : العبر ١/٢٧٠ ؛ شذرات الذهب ١/٢٨٧ ؛ ميزان
الاعتدال ٢/٦٧٢ - ٦٧٣ ؛ لسان الميزان ٤/٨٠ - ٨١ ؛ حلية الأولياء ٦/١٥٥ - ١٦٥ ؛ الطبقات
الكبرى ١/٣٩ - ٤٠ .

(٣) فى الأصل : ياره (غير منقوطة) عن الله . ولعل الصواب ما أثبتته . وانظر كلام ابن تيمية
بعد قليل (ص ٢٤٠) .

وقال هؤلاء : العشق هو المحبة الكاملة التامة ، وأولى الناس بذلك هو الله ، فإنه هو الذى يجب أن يُحب أكمل محبة ، وكذلك هو يحب عبده محبة كاملة .
ولو قيل : إن العشق هو منتهى المحبة أو أقصاها ، أو نحو ذلك ، فهذا المعنى حق من العبد ، فإنه يجب ربه منتهى المحبة وأقصاها ، والله يحب عبده ، مثل إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم تسليما ، أقصى محبة تكون لعباده ومنتهاهما ، وهما خليل الله .

كما ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله قد اتخذنى خليلا ، كما اتخذ إبراهيم خليلا » ^(١) . وقال : « لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صاحبكم خليل الله » ^(٢) .

وذهب طوائف من أهل العلم والدين إلى إنكار ذلك فى حق الله . ولا ريب أن هذا اللفظ ليس مأثوراً عن أئمة السلف .

والذين أنكروه لهم من جهة اللفظ / مأخذان ، ومن جهة المعنى ص ١٥٨
مأخذان :

منكرو لفظ العشق لهم

من جهة اللفظ مأخذان

ومن جهة المعنى مأخذان

أما من جهة اللفظ : فإن هذا اللفظ ليس مأثوراً عن السلف . وباب الأسماء والصفات يُتبع فيها الألفاظ الشرعية ، فلا نطلق [إلا] ^(٣) ما يرد به الأثر .

المأخذ الأول من جهة اللفظ

(١) مضى الحديث من قبل فى هذه المجموعة (ص ٨٧ شرح) .

(٢) جاءت العبارات الأولى من هذا الحديث إلى قوله : « ... لاتخذت أبا بكر خليلا » جزءاً من أحاديث كثيرة عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم . ولكن الحديث بهذا النص جاء عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فى : مسلم ١٨٥٥/٤ (كتاب فضائل الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، باب من فضائل أبى بكر الصديق رضى الله عنه) .

(٣) زدت « إلا » ليستقيم الكلام .

والأولون يستدلون بمثل قول عبد الواحد بن زيد ونحوه .

وهؤلاء يقولون : هذا من الإسرائيليات التي لا يجوز الاعتماد عليها في شرعنا ، فإن ثبوت مثل هذا الكلام عن الله لا يُعلم إلا من جهة نبينا ﷺ ، وذلك غير مأثور عنه . ونحن لا نصدِّق بما ينقل عن الأنبياء المتقدمين ، إلا أن يكون عندنا ما يصدِّقه ، كما لا نكذب إلا بما نعلم أنه كذب . وقد قال النبي ﷺ : « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدِّقوهم ولا تكذبوهم ، فإما أن يحدثكم بباطل فتصدِّقوه ، وإما يحدثكم بحق فتكذبوه » ^(١) . وهذا الوجه يقتضى الامتناع من الإطلاق ، إلا [عند] ^(٢) الجزم بتحريمه في جميع الشرائع .

المأخذ الثاني : أن المعروف من استعمال هذا اللفظ في اللغة إنما هو في محبة جنس النكاح ، مثل حب الإنسان الآدمي مثله ممن يستمتع به من امرأة

المأخذ الثاني

(١) جاء هذا الحديث بألفاظ مقاربة عن أبي ثملة الأنصارى رضى الله عنه ونصه في : سنن أبي داود ١٤٣٣/٣ (كتاب العلم ، باب رواية حديث أهل الكتاب) : « أخبرني ابن أبي ثملة الأنصارى عن أبيه أنه بينما هو جالس عند رسول الله ﷺ وعنده رجل من اليهود مرَّ بجنابة ، فقال : يا محمد ، هل تتكلم هذه الجنابة ؟ فقال النبي ﷺ : « الله أعلم » فقال اليهودى : إنها تتكلم . فقال رسول الله ﷺ : « ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدِّقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالله ورسله ، فإن كان باطلا لم تصدِّقوه ، وإن كان حقا لم تكذبوه » . وهو في : المسند (ط . الحلبي) ١٣٦/٤ ؛ موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان لعلى بن أبي بكر الهيثمي (تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة ، ط . السلفية) ص ٥٨ . وضعف الألباني الحديث في « ضعيف الجامع الصغير وزيادته » ٩١/٥ وقال السيوطي : حم (المسند) ، د (سنن أبي داود) ، حب (صحيح ابن حبان) هق (سنن البيهقي) عن أبي ثملة الأنصارى . على أن حديثا صحيحا مقاربا جاء عن أبي هريرة رضى الله عنه ونصه في : البخارى ١٨١/٣ (كتاب الشهادات ، باب لا يُسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها) : « وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ : لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الآية » . وجاء هذا الحديث في مواضع أخرى في : البخارى ٢٠/٦ - ٢١ (كتاب التفسير ، سورة البقرة ، باب قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) ، ١١١/٩ (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء) ، ١٥٧/٩ (كتاب التوحيد ، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب العرية) .

(٢) زدت « عند » ليستقيم الكلام .

أو صبي . فلا يكاد يُستعمل هذا اللفظ في محبة الإنسان لولده وأقاربه ووطنه وماله ودينه وغير ذلك ، ولا في محبته لآدمي لغير صورته : مثل محبة الآدمي لعلمه ، ودينه ، وشجاعته ، وكرمه ، وإحسانه ، ونحو ذلك . بل المشهور من لفظ « العشق » هو محبة النكاح ومقدماته ، فالعاشق يريد الاستمتاع بالنظر إلى المعشوق ، وسماع كلامه أو مباشرته بالقبلة والحس والمعانقة أو الوطء ^(١) ، وإن ^(٢) كان كثير من العشاق لا يختار الوطء ، بل يحب [تقبيل ومعانقة] موطوءته ^(٣) ، فهو يحب مقدمات الوطء . وكمن اشتغل بالوسيلة عن المقصود .

ثم لفظ « العشق » قد يُستعمل في غير ذلك ، إما على سبيل التواطؤ ^(٤) ، فيكون حقيقة في القدر المشترك ، وإما على سبيل المجاز .

لكن استعماله في محبة الله إما أن يُفهم أو يُوهم المعنى الفاسد ، وهو أن الله يُحب ويُحب ، كما تحب صور الآدميين التي نستمتع بمعاشرتها ووطئها ، وكما ^(٥) تحب الحور العين التي في الجنة .

وهذا المعنى من أعظم الكفر ، وإن كان قد بلغ إلى هذا الكفر الاتحادية ، الذين يقولون : « إنه عين الموجودات » ^(٦) ، ويقولون : « ما نكح سوى نفسه ، وهو الناكح والمنكوح » ^(٧) .

(١) في الأصل : الوطئ .

(٢) في الأصل : إن .

(٣) في الأصل : بل يحب رطوبته ، وكتب فوقها « كذا » . ولعل ما أثبتته يستقيم به الكلام .

(٤) في الأصل : التواطئ .

(٥) في الأصل : كما .

(٦) انظر ما سبق في المجموعة الأولى ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ، ٢٠٤ .

(٧) انظر ما سبق ١٦٥/١ .

ظ ١٥٨

وكذلك الذين يقولون بالحللول العام ، / والذين يقولون بالاتحاد في صور معينة ^(١) ، أو بحلوله فيها ^(٢) ، كما يقوله الغالية من النصارى والرافضة وغالية النسك ، فإن هؤلاء يصفونه بما يوصف به البشر من النكاح ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، هو الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد .

ومن هؤلاء من يعشق الصور الجميلة ، ويزعم أنه يتجلى فيها ^(٣) ، وأنه إنما يحب مظاهر جماله . وقد بسطنا الكلام في كفرهم وضلالهم ^(٤) في غير هذا الموضع . فمن زعم أن الله يحب أو يعشق وأشار إلى هذا المعنى ، فهو أعظم كفرا من اليهود والنصارى .

وأما المأخذ المعنوي : فهو أن العشق : هل هو فساد في الحب والإرادة ، أو فساد في الإدراك والمعرفة ؟ قيل : إن العشق هو الإفراط في الحب حتى يزيد على القصد الواجب ، فإذا أفرط كان مذموما فاسدا ، مفسدا للقلب والجسم ، كما قال تعالى : ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٢] ، فمن صار [مُفْرِطاً صار مريضا] ^(٥) ، كالإفراط في الغضب والإفراط في الفرح وفي الحزن .

المأخذ المعنوي
قيل إن العشق
فساد في الحب
والإرادة

وهذا الإفراط قد يكون في محبة الإنسان لصورته ، وقد يكون في محبته لغير ذلك ، كالإفراط في حب الأهل والمال ، والإفراط في الأكل والشرب وسائر أحوال

(١) في أعلى هذه الصفحة إلى اليسار كتب عبارة كأنها « أصحاب الإمام كذلك التقرب » .

(٢) في الأصل : أو ما كوله فيها ، وهو تحريف . وأحسب أن الصواب ما أثبتته .

(٣) في الأصل : أنه يتلجى ، وهو تحريف . والمقصود أنهم يقولون إن الله تعالى يتجلى في الصور

الجميلة .

(٤) في الأصل : وظلالهم .

(٥) ما بين المعقوفين زدته ليستقيم الكلام .

الإنسان ، وهذا المعنى ممتنع في حق الله من الجهتين ، فإن الله لا يُحِبُّ محبة زيادة على العدل . ومحبة عباده المؤمنين له ليس لها حد تنتهى إليه ، حتى تكون الزيادة إفراطا وإسرافا ومجازاة للقصد . بل الواجب أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه منه كما يكره أن يلقى في النار » وفي رواية في الصحيح « لا يجد عبد / حلاوة الإيمان حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » إلى آخره (١) ، وقال : « والذي نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » (٢) .

وفي الصحيح أن عمر قال له : يا رسول الله والله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسى ، فقال : « لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك » ، قال : فلأنت أحب إلى من نفسى ، قال : « الآن يا عمر » (٣) .

وقد تقدم دلالة القرآن على هذا الأصل بقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [سورة التوبة : ٢٤] .

وقيل : إن العشق هو فساد في الإدراك والتخيل والمعرفة ؛ فإن العاشق يخيل

وقيل إن العشق
فساد في الإدراك
والتخيل والمعرفة

(١) مضى هذا الحديث من قبل في هذه القاعدة ، ص (١٩٨) .

(٢) مضى هذا الحديث من قبل في هذه القاعدة ، ص (١٩٨) .

(٣) مضى هذا الحديث من قبل في هذه القاعدة ، ص (١٩٨) .

له المعشوق على خلاف ما هو به حتى يصيبه ما يصيبه من داء العشق ، ولو أدركه على الوجه الصحيح لم يبلغ إلى حد العشق ، وإن حصل له محبة وعلاقة .

ولهذا يقول الأطباء : العشق مرض وسواسي شبيه بالمانخوليا ، فيجعلونه من الأمراض الدماغية التي تفسد التخيل كما يفسده المانخوليا .

وإذا كان الأمر كذلك امتنع في حق الله من الجانبيين . فإن الله بكل شيء عليم . وهو سميع بصير ، مقدّس منزّه عن نقص أو خلل في سمعه وبصره وعلمه . والمحبون ^(١) له عباده المؤمنون الذين آمنوا به وعرفوه بما تعرّف به إليهم من أسمائه وآياته ، وما قذفه في قلوبهم من أنوار معرفته ، فليست محبتهم إياه عن اعتقاد فاسد .

لكن قد يقال : إن كثيرا ^(٢) ممن يكون فيه نوع محبة لله ، قد يكون معها اعتقاد فاسد ، إذ الحب يستتبع الشعور ، لا يستلزم صريح المعرفة ، لا سيما من كان من عقلاء الجانبيين ، الذين عندهم محبة لله وتآله ، وفيهم فساد عقل ، فهؤلاء قد يصيب أحدهم ما يصيب العشاق في حق الله ، ومعهم حب شديد ، ونوع من الاعتقاد والفساد .

وكثيرا ^(٣) ما يعتري أهل المحبة من السكر والفناء ، أعظم ما يصيب السكران بالخمر ، والسكران بالصور ، كما قال تعالى في قوم لوط : ﴿ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٧٢] ، فالحب له سكر أعظم من سكر الشراب ، كما قيل :

(١) في الأصل : والمحبوب . وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته .

(٢) في الأصل : كثير ، وهو خطأ .

(٣) في الأصل : وكثير .

سُكْرَان : سكر هوى وسكر مدامة ومتى إفاقة من به سكران

ومعلوم أنه في حال السكر والفناء تنقص المعرفة والتمييز ، ويضطرب العقل والعلم ، / فيحصل في ضمن ذلك من الاعتقادات والتخيلات الفاسدة ، ما هو من جنس العشق الذى فيه فساد الاعتقاد .

وهؤلاء محمودون على ما معهم من محبة الله والأعمال الصالحة والإيمان به ، وأما ما معهم من اعتقاد فاسد وعمل فاسد لم يشرعه الله ورسوله ، فلا يُحمدون على ذلك . لكن إن كانوا مغلوبين على ذلك ، بغير تفريط ^(١) منهم ولا عدوان ، كانوا معذورين ، وإن كان ذلك لتفريطهم فيما أمروا به ، وتعديهم حدود الله ، فهم مذنبون في ذلك ، مثل ما يصيب كثيرا ممن يهيج حبه عند ^(٢) سماع المكاء والتصدية والأشعار الغزلية ، فتتولد لهم أنواع من الاعتقادات والإرادات التى فيها الحق والباطل ، وقد يغلب هذا تارة وهذا تارة .

فباب محبة الله ضل فيه فريقان من الناس : فريق من أهل النظر والكلام والمنتسبين إلى العلم ، جحدوها وكذبوا بحقيقتها .

وفريق من أهل التبعد والتصوف والزهد ، أدخلوا فيها من الاعتقادات والإرادات الفاسدة ما ضاهوا ^(٣) بها المشركين .

فالأولون يشبهون المستكبرين . وهؤلاء يشبهون المشركين .

ولهذا يكون الأول في أشباه اليهود ، ويكون الثانى في أشباه النصارى .

وقد أمرنا الله تعالى أن نقول : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمَسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

(١) فى الأصل : تفريط .

(٢) فى الأصل : عن .

(٣) فى الأصل : طاهو ، وهو تحريف .

فصل

ومن المعلوم أن كل محبة وبغضة فإنه يتبعها لذة وألم ، ففى نيل المحبوب لذة ، وفراقه يكون فيه ألم ، وفى نيل المكروه ألم ، وفى العافية منه تكون فيه لذة . فاللذة تكون (١) بعد إدراك المشتبه (٢) ، والمحبة تدعو (٣) إلى إدراكه .

كل محبة وبغضة
يتبعها لذة وألم

فال محبة : العلة الفاعلة لإدراك الملائم المحبوب المشتبه . واللذة والسرور هى الغاية .

واللذات الموجودة فى الدنيا ثلاثة أجناس : فجنس بالجسد تارة : كالأكل والنكاح ونحوهما مما يكون بإحساس الجسد ، فإن [أنواع] (٤) المأكول والملبوس يباشرها الجسد .

اللذات ثلاثة أجناس
الأول : اللذة
الحسية

و [جنس] يكون (٥) مما يتخيله ويتوهمه بنفسه ونفس غيره ، كالمدح له ، والتعظيم له ، والطاعة له . / فإن ذلك لذيد محبوب له ، كما أن فوات الأكل والشرب يؤلمه ، وأكل ما يضره يؤلمه . وكذلك فوات الكرامة - بحيث لا يكون له قدر عند أحد ولا منزلة - يؤلمه ، كما يؤلمه ترك الأكل والشرب . ويؤلمه الذم والإهانة ، كما يؤلمه الأكل والشرب الذى يضره .

الثانى : اللذة الرومية
ص ١٦٠

فالمأكول والمنكوح هى أجساد تُنال بالجسد ، يتلذذ بوجودها ، ويتألم بفقدائها ولحصول ما يضر منها (٦) . وأما الكرامة فهى فى النفوس إذا كانت النفوس

(١) فى الأصل : يكون .

(٢) فى الأصل : المشتبه ، وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : يدعوا .

(٤) زدت « أنواع » ليستقيم الكلام .

(٥) فى الأصل : ويكون .

(٦) فى الأصل : ما يصير منها .

ملائمة له وموافقة له ، بأن يعتقد فيه ما يسره ويوافق به بالحجة والتعظيم ، كان ذلك مما يوجب لذته ، ولذته بإدراكه ذلك الملائم من الناس ، ومدحهم المظهر لاعتقادهم ، ومن طاعتهم وموافقتهم المظهرة لمحبتهم ^(١) وتعظيمهم .

والجنس الثالث أن يكون ما يعلمه بقلبه وروحه ويعقله كذلك ^(٢) ، الثالث : اللذة العقلية كالتذاه ^(٣) بذكر الله ، ومعرفته ، ومعرفة الحق ، وتألمه بالجهل : إما البسيط ^(٤) ، وهو عدم الكلام والذكر ، وإما المركب وهو اعتقاد الباطل ، كما يتألم الجسد بعدم غذائه ^(٥) تارة ، وبالتغذى بالمضار أخرى .

كذلك النفس تتألم بعدم غذائها ^(٦) ، وهو ^(٧) موافقة الناس وإكرامهم تارة ، وبالتغذى ^(٨) بالضد ، وهو ^(٩) مخالفتهم وإهانتهم . فكذلك القلب يتألم بعدم غذائه ، وهو العلم ^(١٠) الحق وذكر الله تارة ، والتغذى بالضد ، وهو ذكر الباطل واعتقاده أخرى .

قال النبي ﷺ : « إن كل أحد يحب أن تؤتى مآدبه ، وإن مآدبه الله هي القرآن » ^(١١) .

(١) في الأصل : المظهر ومحبتهم .

(٢) في الأصل : بذلك .

(٣) في الأصل : كالتذاه .

(٤) في الأصل : البسيطة .

(٥) في الأصل : غذاه .

(٦) في الأصل : عذابها .

(٧) في الأصل : وهى .

(٨) في الأصل : وبالتغذى .

(٩) في الأصل : وهى .

(١٠) في الأصل : المعلم .

(١١) لم أجد حديثاً بهذه الألفاظ ، ولكنى وجدت أثراً عن عبد الله بن مسعود في : سنن الدارمى =

وهذه اللذات الثلاث : اللذات الحسية ، والوهمية ، والعقلية . وقد علمت أن كل ما خلقه الله في الحى من قوى الإدراك والحركة فإنما خلقه لحكمة ، وفي ذلك من جلب المنفعة للحى ، ودفع المضرة عنه ، ما هو من عظيم نعم الله عليه . والله سبحانه بعث الرسل لتكميل الفطرة وتقريرها ، لا بتحويلها وتغييرها ، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، والله شرع من الدين ما فيه استعمال هذه القوى على وجه العدل والاعتدال ، الذى فيه صلاح الدنيا والآخرة . ومن المعلوم أن قوى الحركة في الجسد ، التى هى حركات طبيعية ، متى لم تكن ^(١) على وجه الاعتدال ، وإلا فسد الجسد . وكذلك قوى الإدراك والحركة التى فيه وفي النفس متى لم تكن ^(٢) على وجه الاعتدال ، وإلا فسد الجسد . والحركة الطبيعية ليس فيها حس ولا إرادة ، وهذه / لا تكون عن حركة إرادية كما تقدم ، لكن لا يكون ذلك في نفس المتحرك بطبعه ^(٣) ، كحركة الغذاء قبل أن يصرفه الخارج من السبيلين وغير ذلك .

ظ ١٦٠

= ٤٣٣/٢ (كتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرأ القرآن) ونصه : « عن ابن مسعود قال : ليس من مؤدب إلا وهو يحب أن يؤتى أدبه ، وإن أدب الله القرآن » . وجاءت آثار أخرى عن ابن مسعود منها ما ذكره الدارمى في الموضع السابق : كان عبد الله يقول : « إن هذا القرآن مأدبة الله ، فمن دخل فيه فهو آمن » . ومنها أثر آخر عنه في سنن الدارمى ٤٢٩/٢ أوله : « إن هذا القرآن مأدبة الله فخذوا منه ما استطعتم » ومنها جزء من أثر طويل جاء في مجمع الزوائد للهيثمى ١٦٤/٧ أوله : وعن عبد الله - يعنى ابن مسعود - قال : « إن هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبة الله ما استطعتم » ، وفي نفس المكان أورد الهيثمى أثرا ثانيا أوله : « وعن أبى الأحوص قال : قال ابن مسعود : هذا القرآن مأدبة الله ، فمن استطاع أن يتعلم منه شيئا فليفعل » .

(١) في الأصل : يكن .

(٢) في الأصل : في من لم يكن .

(٣) في الأصل : بطبعية .

والله سبحانه قد شرع من هذه اللذات ما فيه صلاح حال الإنسان في الدنيا ^(١)، وجعل اللذة التامة بذلك في الدار الآخرة، كما أخبر الله بذلك على ألسن رسله بأنها هي دار القرار، وإليها تنتهي حركة العباد.

شرع الله من اللذات
ما فيه صلاح حال
الإنسان وجعل اللذة
التامة في الآخرة

واللذة هي الغاية من الحركات الإرادية، فتكون الغاية من اللذات عند الغاية من الحركات، ولا يخالف ما يوجد في الوسيلة والطريق، فإن الموجود فيها من اللذات بقدر ما يعين على الوصول إلى المقصود التام، وكل لذة، وإن جلّت، هي في نفسها مقصودة لنفسها، إذ المقصود لنفسه هو اللذة. لكن من اللذات ما يكون عوناً على ما هو أكثر منه أيضاً، فيكون مقصوداً لنفسه بقدره، ويكون مقصوداً لغيره بقدر ذلك الغير، وهذا من تمام نعمة الله على عباده، وكل ما يتعمون به، إذا استعملوه على وجه العدل الذي شرعه، أوصلهم به إلى ما هو أعظم نعمة منه.

ولذات الجنة أيضاً تتضاعف وتتزايد كما يشاء الله تعالى، فإن الله يقول، كما ذكره النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» ^(٢) وقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [سورة السجدة: ١٧].

(١) في الأصل: قد شرع الدنيا من ... في الدنيا. ولعل الصواب ما أثبتته.
(٢) الحديث عن أنى هريرة رضى الله عنه في صحيح البخارى ١٤٤/٩ (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى «يريدون أن يبدلوا كلام الله»)، ١١٨/٤ (كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة)، ١١٦/٦ (كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة تنزيل السجدة). وأول الحديث في هذا الموضع الأخير: «يقول الله تعالى: أعددت لعبادى والحديث في: مسلم ٢١٧٤/٤ (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) في أربعة مواضع؛ سنن الترمذى ٢٦/٥ (كتاب التفسير، باب تفسير سورة السجدة)؛ سنن ابن ماجه ١٤٤٧/٢ (كتاب الزهد، باب صفة الجنة)؛ سنن الدارمى ٣٣٥/٢ (كتاب الرقائق، باب ما أعد الله لعباده الصالحين)؛ المسند (ط. المعارف) ٤٦/١٧، ١٠٤/١٩.

ولهذا بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين : مبشرين بنعمة الله التامة في جنته لمن أطاعهم ، فاتبع الذكر الذى أنزل عليهم ، واستعمل (١) القسط الذى بعثوا به . ومنذرين بتعظيمهم عقاب الله لمن أعرض عن ذلك وعصاهم فكان من الظالمين .

قال تعالى : ﴿ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْى هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمًى ﴾ [سورة طه : ١٢٣ ، ١٢٤] .

وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ تَبَعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [سورة البقرة :

٣٨ ، ٣٩] .

وقد غلطت المتفلسفة من الصابئة والمشركون ونحوهم ، ومن حذا حذوهم من صَنَّفَ فى أصناف هذه اللذات ، كالرازى (٢) وغيره فى أمر هذه اللذات فى الدنيا والآخرة ، حتى جرَّهم ذلك الغلط إلى الدين الفاسد فى الدنيا بالاعتقادات الفاسدة ، والعبادات والزهاديات الفاسدة ، وإلى التكذيب بحقيقة ما أخبر الله به على ألسن رسله من وعده ووعيده ، / فصاروا تاركين لما ينفعهم من لذات الدنيا ، معرضين عما خلقوا له من لذات الآخرة ، ومعتاضين عن ذلك بأخذ ما يضرهم مما يظنون أنه لذة فى الدنيا ، أو موصل للذة فى الدنيا ، وهم فى ذلك : ﴿ إِنَّ

غلط المتفلسفة

ومن اتبعهم فى أمر هذه اللذات

ص ١٦١

(١) فى الأصل : واستعمال .

(٢) لفخر الدين الرازى كتاب « أقسام اللذات » ومنه نسخة خطية فى برلين وأخرى فى أفغانستان .
انظر : محمد صالح الزركان : فخر الدين الرازى وآراؤه الكلامية والفلسفية ، ص ٧٨ - ٧٩ ، ط . دار الفكر ، بيروت .

يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴿ [سورة النجم : ٢٣] ، فجهلوا المقاصد والوسائل ، فكانوا ضالين يقصدون ما ينفعهم ويلذهم ، وهم لا يعرفون عين مقصودهم ولا الطريق إليه ، وصار عامتهم غواة منهمكين في اللذات التي تضرهم .

والنصارى ضارعوهم في بعض ذلك حين كذبوا بكثير مما وعدوا به في ضل الأنصارى كذلك في أمر اللذات الآخرة من اللذات ، وضلوا بما ابتدعوه من العبادات ، فكانوا ضالين ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة : ٧٧] ، ولهذا يغلب على عوامهم الغى واتباع شهوات الغى ، إذ لم يحرموا عليهم شيئا من المطاعم والمشارب .

وأما اليهود فهم أعلم بالمقصود وطريقه ، لكنهم غواة قساة ، مغضوب اليهود أعلم لكنهم غواة قساة عليهم .

ويتبين ذلك بأصليين : أحدهما أنهم ^(١) اعتقدوا أن اللذات الحسية والوهمية ليست لذات في الحقيقة ، وإنما هي دفع آلام ، وربما حسنوا العبارة ^(٢) فقالوا : ليس المقصود بها التنعم ، وإنما المقصود بها دفع الألم ، بخلاف اللذات العقلية الروحانية ، فإنها هي اللذات فقط ، وهي المقصودة ^(٣) لذاتها فقط ، وعن هذا يدفعون أن تكون للنفوس بعد مفارقة الدنيا لذات حسية ، أو وهمية ، وإنما يكون لها لذات روحانية فقط .

(١) الكلام فيما يلي على الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام .

(٢) في الأصل : العارة .

(٣) في الأصل : المقصود .

تفصيل مقالة الفلاسفة
في اللذة

ثم إن من دخل مع أهل الملل منهم وافق ^(١) المؤمنين بإظهاره للإقرار بما جاءت به الرسل ، وقال : إن ما ^(٢) أخبرت به الرسل من الوعد والوعيد إنما هو أمثال مضروبة لتفهيم العامة المعاد الروحاني ، وما فيه من اللذة والألم الروحانيين ، وربما يغرب بعضهم فأثبت اللذات الخيالية ، بناءً على أن النفوس يمكن أن يحصل لها من إشراق الأفلاك [عليها] ^(٣) ما يحصل لها به من اللذة ما هو من أعظم اللذات الخيالية ، التي قد يقولون : هي أعظم من الحسية .

الأصل الثاني : / أن اللذات العقلية التي أقرُّوا بها لم تحصل لهم ، ولم يعرفوا الطريق إليها ، بل ظنوا أن ذلك إنما [هو] ^(٤) إدراك الوجود المطلق بأنواعه وأحكامه ، وطلبوا اللذة العقلية في الدنيا بما هو من هذا النمط من الأمور العقلية ، وتكلموا في الإلهيات بكلام حقه قليل وباطله كثير ، فكانوا طالبين للذة العقلية التي أثبتوها بالأغذية الفاسدة التي تضر وتؤلم ، أكثر من طلبها بالأغذية النافعة ، بل كانوا فاقدين لغذائها الذي لا صلاح لها إلا به ، وهو إخلاص الدين لله ، بعبادته ^(٥) وحده لا شريك له ، فإن هذا هو خاصة النفس التي خلقت له ، لا تصلح [إلا] ^(٦) به ، ولا تفسد ^(٧) فساداً مطلقاً مع وجوده قط ، بل من بات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة .

ظ ١٦١

كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال من وجوه متعددة - من

(١) في الأصل : ناسو (بدون نقط) ولعل الصواب ما أثبتته . والكلام هنا على الفلاسفة .

(٢) في الأصل : وقال بما . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) في الأصل : يمكن أن يجعل لها من احترام الأفلاك ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) زدت « هو » ليستقيم الكلام .

(٥) في الأصل : بعباده .

(٦) زدت « إلا » ليستقيم الكلام .

(٧) في الأصل : يفسد .

حديث عثمان بن عفان ، وأبى ذر ، ومعاذ بن جبل ، وأبى هريرة وعتبان بن مالك ، وعبادة بن الصامت ، وغيرهم - : ولا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد ، بل يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان أو مثقال شعيرة من إيمان أو مثقال ذرة من إيمان (١) .

وقد تكلمت على رسالة المبدأ والمعاد التي صنفها أبو علي بن سينا (٢) ، وزعم أن فيها من الأسرار المخزونة من فلسفتهم بما يناسب هذا مما ليس هذا موضعه ، وبينت ما دخل عليهم من الجهل والكفر في ذلك من وجوه بيّنة من لغاتهم ومعارفهم التي يفقهون بها ، ويعلمون صحة ما عليه أهل الإيمان بالله ورسوله ، وبطلان ما هم عليه مما يخالف ذلك من الحقيقة ، وإن زعموا أنهم موافقون لأهل الإيمان .

نعم هم مؤمنون ببعض ، وكافرون ببعض ، كما قد بيّنت أيضا مراتب ما معهم ومع غيرهم من الكفر والإيمان في غير هذا الموضع ، وذكرت ما كفروا به مما خالفوا به الرسل ، وما آمنوا به مما وافقوهم [فيه] (٣) .

(١) جاءت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ فيها تصديق لما ذكره ابن تيمية هنا . انظر مثلاً قوله ﷺ من حديث أنس بن مالك : « فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ... فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه ... » في : البخاري ١٣٠/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة) وهو بمعناه في مسلم ١٦٩/١ - ١٧٠ (كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية) . وانظر قوله ﷺ من حديث آخر لأنس بن مالك : « فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجوه منها ... » في : مسلم ١٨٣/١ (كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها) . وانظر : المسند (ط . المعارف) ٢٤٣/٤ ، (ط . الحلبي) ١٧/٣ ، ٩٤ - ٩٥ ، ١١٦ ، سنن ابن ماجه ٢٣/١ ، ١٤٤٣/٢ .

(٢) وهي « الرسالة الأضحوية في أمر المعاد » حققها الدكتور سليمان دنيا ، ط . دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٩/١٣٦٨ وقد تكلم عليها ابن تيمية في « درء تعارض العقل والنقل » انظر ج ١ ص ٩ ، ج ٥ ص ١٠ - ١٧ ، ص ٥٠ .

(٣) زدت « فيه » ليستقيم الكلام .

فإن الله أمرنا بالعدل ، وأمرنا / أن نعدل بين الأمم ، كما قال تعالى لرسوله : ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ [سورة الشورى : ١٥] ، وقال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [سورة الحديد : ٢٥] .

فصل

وإذا كان أصل الإيمان العملى هو حب الله تعالى ورسوله ﷺ ، وحب الله أصل التوحيد العملى ، وهو أصل التأليه ، الذى هو عبادة الله وحده لا شريك له ، فإن العبادة أصلها أكمل أنواع المحبة ، مع أكمل أنواع الخضوع ، وهذا هو الإسلام .

حب الله أصل
التوحيد العملى

وأعظم الذنوب عند الله الشرك به ، وهو سبحانه لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، والشرك : منه جليل ودقيق ، وخفى وجلى .

كما فى الحديث : « الشرك فى هذه الأمة أخفى من ديب النمل . فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله : إذا كان أخفى من ديب النمل فكيف نصنع به ؟ أو كما قال ، فقال : ألا أعلمك كلمة إذا قلتها نجوت من قليله وكثيره ؟ قل : اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما [لا] ^(١) أعلم » ^(٢) .

(١) لا : ساقطة من الأصل ، وزدتها لأنها من ألفاظ الحديث .

(٢) لم أجد حديثاً عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه بهذا المعنى ولكنى وجدت فى مسند الإمام أحمد ٤/٤٠٣ (ط . الحلبي) حديثاً آخر عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ونصه : « عن أبى على رجل من بنى كاهل قال : خطبتنا أبو موسى الأشعرى فقال : يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديب النمل . فقام إليه عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب فقالا : والله لتخرجن مما قلت أو لتأتين عمر =

فمعلوم أن أصل الإِشراك العملى بالله الإِشراك فى المحبة ، قال تعالى : أصل الإِشراك العملى بالله الإِشراك فى المحبة ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ١٦٥] ، فأخبر أن من الناس من يشرك بالله ، فيتخذ أندادا يحبونهم كما يحبون الله ، وأخبر أن الذين آمنوا أشد حبا لله من هؤلاء ، والمؤمنون أشد حبا لله من هؤلاء لأندادهم والله ، فإن هؤلاء أشركوا بالله فى المحبة ، فجعل المحبة مشتركة بينه وبين الأنداد ، والمؤمنون أخلصوا دينهم لله الذى أصله المحبة لله ، فلم يجعلوا لله عدلا فى المحبة ، بل كان الله ورسوله أحب إليهم ^(١) مما سواهما ، ومحبة الرسول هى من محبة الله ، وكذلك كل حب فى الله ، وهو الحب لله .

المؤمنون يحبون الله
ويغضون الله

كما فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان » ^(٢) وفى رواية فى الصحيح « لا يجد حلاوة الإيمان إلا من كان فيه ثلاث خصال : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يرجع فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يلقى فى النار » ^(٣) .

ولهذا / فى الحديث : « من أحب الله ، وأبغض الله ، وأعطى الله ، ومنع الله ،

ظ ١٦٢

= مأذون لنا أو غير مأذون . قال : بل أخرج مما قلت . خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : « يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديب الثعلب » . فقال له من شاء الله أن يقول : وكيف نتقيه وهو أخفى من ديب الثعلب يا رسول الله ؟ قال : « قولوا : اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلم » .

(١) فى الأصل : إليه .

(٢) مضى الحديث من قبل (ص : ١٩٨ ، ٢٤٣) .

(٣) مضى الحديث من قبل (ص : ١٩٨ ، ٢٤٣) .

فقد استكمل الإيمان» ^(١) وفي الأثر : ما تحاب رجلان في الله إلا كان أحدهما أشد حبا لصاحبه . لأن هذه المحبة من محبة الله ، وكل من كانت محبته لله أشد كان أفضل .

وخير الخلق محمد رسول الله ﷺ ، وخير البرية بعده إبراهيم ، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح ، وكل منهما خليل الله .

والخلة تتضمن كمال المحبة ونهايتها ، ولهذا لم يصلح الله شريك في الخلة ، بل قال ﷺ في الحديث الصحيح : « لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل الله » ^(٢) وفي لفظ : « أنا أبرأ إلى كل خليل من خلته » ^(٣) .

فمحبة ما يحبه الله الله من الأعيان والأعمال من تمام محبة الله ، وهو الحب في الله والله ، وإن كان كثير من الناس يغلط في معرفة كثير من ذلك أو وجوده ، فيظن في أنواع من المحبة أنها محبة لله ، ولا تكون لله ، ويظن وجود المحبة لله في أمور ، ولا تكون المحبة لله موجودة ، بل قد يعتقد وجود المحبة لله وتكون معدومة ، وقد يعتقد في بعض الحب أنه لله ، ولا يكون لله ، كما يعتقد وجود العلم أو العبادة

(١) الحديث عن أبي أمامة رضى الله عنه في : سنن أبي داود ٤/٣٠ (كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه) وهو - بألفاظ مقاربة - عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه في سنن الترمذى ٧٨/٤ (كتاب صفة القيامة ، باب منه) وقال الترمذى : هذا حديث منكر حسن . وهو في المسند عنه (ط . الحلبي) ٤٣٨/٣ ، ٤٤٠ . وصححه الألبانى في « صحيح الجامع الصغير » ٥/٢٢٩ وقال : « د (سنن أبي داود) والضياء عن أبي أمامة » .

(٢) مضى هذا الحديث من قبل (ص : ٢٣٩) .

(٣) الحديث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في : سنن ابن ماجه ١/٣٦ (المقدمة ، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ) ونصه : قال رسول الله ﷺ : « ألا إني أبرأ إلى كل خليل من خلته ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، إن صاحبكم خليل الله » . قال وكيع : يعنى نفسه .

أو غير ذلك من الصفات في بعض الأشخاص والأحوال ، ولا يكون ثابتا ، وقد يعتقد في كثير من الأعمال أنه معمول لله ، ولا يكون لله .

فمحنة ما يحبه الله من الأعمال الباطنة والظاهرة ، وهي الواجبات والمستحبات : إذا أحببت لله كان ذلك من محبة الله ، ولهذا يوجب ذلك محبة الله لعبده .

وكما في الحديث الصحيح عن الله تعالى : « من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ^(١) ، وبصره الذي يبصر به ^(٢) ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبى يسمع ، وبى يبصر ، وبى يبطش ، / وبى يمشي ، ولئن سألتني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت ، وأكره مساءته ، ولا بد له منه » ^(٣) .

وكذلك محبة كلام الله وأسمائه وصفاته ، كما في الحديث الصحيح : في الذي كان يصلي بأصحابه فيقرأ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ : إما أن يقرأها وحدها ، أو يقرأ بها مع سورة أخرى . فأخبروا بذلك النبي ﷺ ، فقال : « سلوه : لِمَ يفعل ذلك ؟ فقال : لأنى أحبها ، فقال : [إن] حبك [إياها أدخلك الجنة] » ^(٣) .

(١) في الأصل : بها ، وهو تحريف .

(٢) مضى الحديث من قبل (ص : ٢٦ - ٢٧) .

(٣) في الأصل : فقال : حبكا . والصواب ما أثبتته ، وهو لفظ الحديث في سنن الترمذي ٣٤٤/٤ . وقد جمع ابن تيمية هنا بين حديثين الأول عن عائشة رضي الله عنه ونصه في : البخاري ١١٥/٩ (كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى) : « عن عائشة أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله أحد . فلما =

وكذلك محبة ملائكة الله وأنبيائه وعباده الصالحين ، كما كان عبد الله بن عمر يدعو بالمواقف في حجه فيقول : « اللهم اجعلني أحبك ، وأحب ملائكتك ، وأنبياءك ^(١) وعبادك الصالحين ، اللهم حببني إليك وإلى ملائكتك وأنبيائك وعبادك الصالحين » .

بل محبة الله مستلزمة لمحبة ما يحبه من الواجبات كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [سورة آل عمران : ٣١] ، فإن اتباع رسوله هو من أعظم ما أوجبه الله تعالى على عباده وأحبه ، وهو سبحانه أعظم شيء بغضا لمن لم يتبع رسوله . فمن كان صادقا في دعوى محبة الله اتبع رسوله لا محالة ، وكان الله ورسوله أحب إليه مما سواها .

محبة الله مستلزمة
لمحبة ما يحبه
من الواجبات

والذنوب تنقص من محبة الله تعالى بقدر ذلك ، لكن لا تزيل المحبة لله ورسوله إذا كانت ثابتة في القلب ، ولم تكن الذنوب عن نفاق . كما في صحيح البخارى عن عمر بن الخطاب : حديث حمار الذى كان يشرب الخمر ، وكان النبي ﷺ يقيم عليه الحد ، فلما كثر ذلك منه لعنه رجل ، فقال النبي ﷺ :

الذنوب تنقص
من محبة الله

= رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : « سلوه لأى شيء يصنع ذلك ؟ » فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال النبي ﷺ : أخبروه أن الله يحبه » . وهذا الحديث جاء أيضا في : مسلم ٥٥٧/١ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها : باب فضل قراءة قل هو الله أحد) ؛ سنن النسائي ١٣٢/٢ (كتاب الافتتاح ، باب الفضل في قراءة قل هو الله أحد) . وأما الحديث الثانى فهو عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، وقد أورده الترمذى مرتين في سننه ٢٤٣/٤ - ٢٤٤ ونص الرواية المختصرة : « عن أنس أن رجلا قال : يا رسول الله : إني أحب هذه السورة : قل هو الله أحد . قال : إن حبك إياها أدخلك الجنة » .

(١) فى الأصل : وأنبيائك ، وهو خطأ .

« لا تلغنه ، فإنه يحب الله ورسوله » ^(١) . وفيه دلالة على أنا منهيون / عن لعنة أحد بعينه ، وإن كان مذنباً ، إذا كان يحب الله ورسوله .

فكما أن المحبة الواجبة تستلزم لفعل الواجبات ، وكال المحبة المستحبة تستلزم لكمال فعل المستحبات ، والمعاصي تنقض المحبة ، وهذا معنى قول الشبلي ^(٢) لما سئل عن المحبة ، فقال ما غنت به جارية فلان :

تعصى الإله وأنت تزعم حبه هذا محال في القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن أحب مطيع ^(٣)

وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » ^(٤) وقد تكلمنا على هذا في غير هذا الموضع .

(١) الحديث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه في : البخارى ١٥٨/٨ (كتاب الحدود ، باب ما يكره من لئن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة) .

(٢) هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلى ، من أئمة الصوفية ، ولد سنة ٢٤٧ و توفي سنة ٣٣٤ ببغداد ، تفقه على مذهب الإمام مالك ، وصحب الجنيد . انظر ترجمته وأقواله في : الرسالة القشيرية ١٤٨/١ - ١٤٩ ؛ صفة الصفوة ٢/٢٥٨ - ٢٦١ (وذكر الخلاف في اسمه واسم أبيه) ؛ حلية الأولياء ١٠/٣٦٦ - ٣٧٥ ؛ طبقات الصوفية ، ص ٣٣٧ - ٣٤٨ ؛ تاريخ بغداد ١٤/٣٨٩ - ٣٩٧ ؛ المنتظم ٦/٣٤٧ - ٣٤٩ ؛ الأعلام ٣/٢٠ - ٢١ .

(٣) نسب أبو حامد الغزالي هذين البيتين إلى عبد الله بن المبارك في الإحياء ١٤/١٠٣ (ط . لجنة نشر الثقافة الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٥٧) ورواهما :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

ونسب الدكتور محمد مصطفى حلمي رحمه الله البيتين إلى رابعة العدوية في كتابه « الحياة الروحية في الإسلام » ، ص ٧٧ ، ط . عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٤٥/١٣٦٤ .

(٤) الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه - مع اختلاف في الألفاظ - في : البخارى ٣/١٣٦ =

والمقصود هنا أن نفرق بين الحب في الله والله ، الذى هو داخل في محبة الله ، وهو من محبته ^(١) ، وبين الحب لغير الله الذى فيه شرك في المحبة لله ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ١٦٥] ، فإن هؤلاء يشركون بربهم في الحب ، عادلون به ، جاعلون له أندادا . وأولئك أخلصوا دينهم لله ، فكان حبهم الذى هو أصل دينهم كله لله ، وهذا هو الذى بعث الله به الرسل ، وأنزل به الكتب ، وأمر بالجهاد عليه .

كما قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ١٩٣] وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا ﴾

ص ١٦٤

[سورة التوبة : ٢٤] .

وقد علم أن محبة المؤمنين لربهم أشد من محبة هؤلاء المشركين لربهم ولأندادهم ، ثم إن اتخاذ الأنداد هو ^(٢) من أعظم الذنوب ، كما في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال : قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك . قلت : ثم أى ؟ قال : ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك .

= (كتاب المظالم ، باب النهي بغير إذن صاحبه) ، ١٠٤/٧ (كتاب الأشربة ، باب إنما الخمر والميسر ...) ، ١٥٧/٨ (كتاب الحدود ، باب لا يشرب الخمر) ، ١٦٤/٨ (كتاب الحدود ، باب إثم الزناة) ؛ مسلم ٧٧ ، ٧٦/١ (كتاب الإيمان ، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي) ؛ سنن أبى داود ٣٠٦/٤ (كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه) ؛ سنن الترمذى ١٢٧/٤ (كتاب الإيمان ، باب لا يزنى الزانى وهو مؤمن) ؛ سنن ابن ماجه ١٢٩٨/٢ - ١٢٩٩ (كتاب الفتن ، باب النهي عن النهية) ؛ سنن الدارمى ١١٥/٢ (كتاب الأشربة ، باب في التغليظ لمن شرب الخمر) ؛ المسند (ط . المعارف) ٤١/١٣ .

(١) كلمة « محبته » غير واضحة في الأصل وكذا استظهرتها .

(٢) في الأصل : هى .

قلت : ثم أى ؟ قال : ثم أن تزانى بحليلة جارك » ، فأنزل الله تصديق ذلك : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ [سورة الفرقان : ٦٨] ^(١) ، فدعاء إليه ^(٢) آخر مع الله هو اتخاذ نذ من دون الله ، يحبه كحب الله ، إذ أصل العبادة المحبة .

والحبة وإن كانت جنسا تحت أنواع ، فالمحوبات المعظمة ^(٣) لغير الله قد أثبت الشارع فيها اسم التعبد ، كقوله ﷺ في الحديث الصحيح : « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصة ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، إن أُعطيَ رضى ، وإن مُنع سخط » ^(٤) .

فسمي هؤلاء الأربعة [الذين] إن أعطوا رضوا ، وإن مُنعوا سخطوا - لأنها محبتهم ومرادهم - عباداً لها ^(٥) ، حيث قال : عبد الدرهم ، وعبد الدينار ، وعبد القطيفة ، وعبد الخميصة .

(١) الحديث - بألفاظ متقاربة - عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في : البخارى ١٨/٦ (كتاب التفسير ، سورة البقرة ، باب قوله تعالى : فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) ، ٨/٨ (كتاب الأدب ، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه) ، ١٦٤/٨ (كتاب الحدود ، باب إثم الزناة) ، ١٥٢/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : فلا تجعلوا لله أنداداً) ؛ مسلم ٩٠/١ ، ٩١ (كتاب الإيمان ، باب كون الشرك أقبح الذنوب) ؛ سنن الترمذى ١٧/٥ - ١٨ (كتاب التفسير ، تفسير سورة الفرقان) ؛ سنن أبى داود ٣٩٤/٢ (كتاب الطلاق ، باب في تعظيم الزنا) ؛ سنن النسائى ٨٢/٧ - ٨٣ (كتاب التحريم ، باب ذكر أعظم الذنب) ؛ المسند (ط . المعارف) ٢١٧/٥ ، ٧٦/٦ ، ٨٦ - ٨٧ .

(٢) في الأصل : إلهاً ، وهو خطأ .

(٣) في الأصل : المعظمة ، وهو تحريف .

(٤) الحديث - مع اختلاف في اللفظ - عن أبى هريرة رضى الله عنه في : البخارى ٣٤/٤ (كتاب الجهاد ، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله) ؛ سنن ابن ماجه ١٣٨٦/٢ (كتاب الزهد ، باب في المكثرين) وهو في موضعين .

(٥) في الأصل العبارة مضطربة هكذا : فسمي هؤلاء إن أعطوا رضوا وإن منعوا سخطوا لأنها محبتهم ومرضاهم إلى هذه الأتباع عباداً لها ، ولعل الصواب ما أثبتته .

مراتب العشق

فإذا كان الإنسان مشغولاً بمحبة بعض المخلوقات لغير الله ، الذى يرضيه وجوده ، ويسخطه عدمه - كان فيه من التعبد بقدر ذلك . ولهذا يجعلون العشق مراتب مثل : العلاقة ، ثم الصباية ، ثم الغرام ، ويجعلون آخره التيم : والتيم : التعبد ، وتيم الله : هو عبد الله . فيصير العاشق لبعض الصور عبداً لمعشوقه .

ذكر الله العشق
فى القرآن عن
المشركين

والله سبحانه إنما ذكر هذا العشق فى القرآن عن المشركين ، فإن العزيز وامراته وأهل مصر كانوا مشركين ، كما قال لهم يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ . وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ . يَا صَاحِبِى السُّجُنِ الرِّبَابُ مُتَّفَرْقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يوسف : ٣٧ - ٤٠] .

ظ ١٦٤

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنَ يَبْعَثَ اللّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ . الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [سورة غافر : ٣٤ ، ٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة يوسف : ٣٠] .

وأما يوسف عليه السلام فإن الله ذكر أنه عصمه بإخلاصه الدين لله ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [سورة يوسف : ٢٤] ، فأخبر سبحانه أنه صرف عنه السوء والفحشاء . ومن السوء عشقها ومحبتها ، ومن الفحشاء الزنا ، وقد يزنى بفرجه من لا يكون عاشقا ، وقد يعشق من لا يزنى بفرجه ، والزنا بالفرج أعظم من الإلمام بصغيرة كنظرة وقبله .

وأما الإصرار على العشق ولوازمه : من النظر ونحوه ، فقد يكون أعظم من الزنا الواحد بشيء كثير ، والمخلصون يصرف الله عنهم السوء والفحشاء ، ويوسف عليه السلام كان من المخلصين ، حيث كان يعبد الله ، لا يشرك به شيئا ، وحيث توكل على الله ، واستعان به ، كما قال تعالى : ﴿ وَالْأَلَّا تَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ . فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [سورة يوسف : ٣٣ ، ٣٤] .

وهذا تحقيق قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ [سورة النحل : ٩٨ - ١٠٠] ، فأخبر سبحانه أن المتوكلين على الله ليس للشيطان عليهم سلطان ، وإنما

المتولون للشيطان هم
الذين يحبون ما يحبه

سلطانه على المتولين له ، والمتولي من الولاية ، وأصله المحبة والموافقة ، كما أن العداوة أصلها البغض والمخالفة . فالمتولون ^(١) له هم الذين يحبون ما يحبه الشيطان ويوافقه ، فهم مشركون ^(٢) به حيث أطاعوه وعبدوه بامثال أمره ، كما قال تعالى :

(١) في الأصل : فالمتولين ، وهو خطأ .

(٢) في الأصل : مشركين ، وهو خطأ .

﴿ اَلَمْ اَعْهَدْ اِلَيْكُمْ يَا بَنِي اٰدَمَ اَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ اِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَاِنْ اَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [سورة يس : ٦٠ ، ٦١] .

والشياطين شياطين الإنس والجن ، والعبادة فيها الرغبة والرغبة . قال تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ اَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ اُسْتُكْبِرْتَ اَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ . قَالَ اَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ . قَالَ فَاخْرِجْ مِنْهَا فَاِنَّكَ رَجِيمٌ . وَاِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي اِلَى يَوْمِ الدِّينِ . قَالَ رَبِّ فَاَنْظِرْنِي اِلَى يَوْمٍ يُعْثُونَ . قَالَ فَاِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ . اِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ . قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَاغْوِيَنَّهُمْ اَجْمَعِينَ . اِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ . قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ اَقُولُ . لَاْمَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ اَجْمَعِينَ ﴾ [سورة ص : ٧٥ - ٨٥] فأقسم الشيطان ﴿ لَاغْوِيَنَّهُمْ اَجْمَعِينَ . اِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ .

ص ١٦٥

وقد أخبر الله أنه ليس له سلطان على هؤلاء ^(١) فقال في الحجر : ﴿ فَاخْرِجْ مِنْهَا فَاِنَّكَ رَجِيمٌ . وَاِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ اِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [سورة الحجر : ٣٤ ، ٣٥] ، ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا اَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْاَرْضِ وَلَاغْوِيَنَّهُمْ اَجْمَعِينَ . اِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٣٩ ، ٤٠] قال تعالى ﴿ اِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ اِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٤٢] .

وقوله ﴿ اِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ استثناء منقطع في أقوى القولين ، إذ العباد هم العابدون ، لا المعبودون . كما قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْاَرْضِ هَوْنًا ﴾ [سورة الفرقان : ٦٣] .

(١) في أعلى ص ١٦٥ كتب إلى اليسار منها : « الثالث » .

وقال تعالى : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [سورة الإنسان :

. [٦

وقال تعالى : ﴿ الْأَحْيَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ . يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾

[سورة الزخرف : ٦٧ - ٦٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [سورة الجن : ١٩] .

وقال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ [سورة الإسراء : ١] .

وقال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ [سورة ص : ٤٥] .

وإذا كان عباد الله المخلصون ليس له ^(١) عليهم سلطان ، وأن سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ، وقد أقسم أن يغويهم إلا عباد الله المخلصين ، وأخبر الله أن سلطانه ليس على عباد الله ، بل على من اتبعه من الغاوين .

عباد الله المخلصون
ليس للشيطان عليهم
سلطان

والغنى : اتباع الأهواء والشهوات ، وأصل ذلك أن الحب لغير الله كحب الأنداد ، وذلك هو الشرك ، قال الله تعالى فيه : ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ [سورة النحل : ١٠٠] ، فبين أن صاحب الإخلاص ، مادام صادقاً في إخلاصه ، فإنه يعتصم من هذا الغى وهذا الشرك ، وإن الغنى هو يضعف الإخلاص ، ويقوى هواه ^(٢) الشرك . فأصحاب

(١) أى للشيطان .

(٢) أى هوى الإنسان .

العشاق يتولون
الشیطان ويشركون به

العشق ، الذى يحبه الشیطان ، فیهم من تولّى الشیطان ، والإشراك به بقدر ذلك ، لما فاتهم من إخلاص المحبة لله ، والإشراك بینہ وبين غيره فى المحبة ، حتى يكون فيه نصيب / من اتخاذ الأنداد ، وحتى يصيروا عبيداً لذلك المعشوق ، فيفنون فيه ^(١) ويصرحون بأننا عبيد له ^(٢) ، فيوجد فى هذا الحب والهوى ، واقتراف ^(٣) ما يبغضه الله ، وما حرّمه من الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغى بغير الحق ، وأن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن يقولوا على الله ما لا يعلمون ، فيوجد فيه من الشرك الأكبر والأصغر ، ومن قتل النفوس بغير حق ، ومن الزنا ، ومن الكذب ، ومن أكل المال بالباطل ، إلى غير ذلك ما ينتظم هذه الأصناف التى يكرهها ^(٤) الله تعالى ، لأن أصله أن يكون حبه كحب الله ، وهو من ترك ^(٥) إخلاص المحبة ، ومن الإشراك بينہ وبين غيره ، أو من جعل المحبة لغير الله ، فإذا عمل موجب ذلك ، كان ذلك هو اتباع الهوى بغير هدى من الله .

ظ ١٦٥

وفى الأثر : ما تحت أديم السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع . قال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۚ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [سورة الفرقان : ٤٣ ، ٤٤] .

ولهذا لا يتلى بهذا العشق إلا من فيه نوع شرك فى الدين ، وضعف إخلاص لله . وسبب هذا ما ذكره بعضهم فقال : إنه ليس شئ من

(١) فى الأصل : فينمى فيه ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) فى الأصل : بأننا عبيداً له ، وهو خطأ .

(٣) فى الأصل : واجتناب ، وهو خطأ ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) فى الأصل : التى يكرهه ، وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : لأن أصله ما حبه كحب الله هو من ترك إلخ . ولعل ما أثبتته يستقيم به الكلام .

المحوبات يستوعب محبة القلب إلا محبة الله أو محبة بشر مثلك . أما محبة الله فهي التي تُخلق لها العباد ، وهي سعادتهم ، وقد تكلمنا عليها في غير هذا الموضع .

وأما البشر المتماثل ، من ذكر أو أنثى ، فإن فيه من المشاكلة والمناسبة ما يوجب أن يكون لكل شيء من الحب نصيب من المحبوب يستوعبه حبه ، ولهذا لا يُعرف لشيء ^(١) من المحوبات التي تُحب لغير الله من الاستيعاب ما يعرف لذلك ، حتى يُزيل العقل ، ويُفقد الإدراك ، ويُوجب انقطاع الإرادة لغير ذلك المحبوب ، ويوجب مرض ^(٢) الموت ، وإنما يعرض هذا كله لضعف ما في القلب من حب الله وإخلاص الدين له ، عبادةً واستعانةً ، فيكون فيه من الشرك ما يسلط الشيطان عليه ، حتى يغويه بهذا الغي ، الذي فيه من تولّى الشيطان والإشراك به ، ما يتسلط به الشيطان .

ولهذا قد يطيع هذا المحب لغير الله محبوه أكثر ^(٣) مما يطيع الله ، حتى يطلب القتل في سبيله ، كما يختار المؤمن القتل في سبيل الله ، وإذا كان محبوه مطيعه من وجه وعبداء له ، [فهو أولى] ^(٤) بأن / يكون هو مطيعه وعبداء له من وجه آخر .

وإذا كان النبي ﷺ قال : « شارب الخمر كعابد وثن » ^(٥) . ومّر على

(١) في الأصل : شيء . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) في الأصل : لمرض . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) في الأصل : لمحبه أو أكثر ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) زدت عبارة « فهو أولى » ليستقيم الكلام .

(٥) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في : سنن ابن ماجه ١١٢٠/٢ (كتاب الأشربة ، باب

مدمن الخمر) ونصه : « مدمن الخمر كعابد وثن » . وصححه الألباني في « صحيح الجامع الصغير »

رضى الله عنه ^(١) بقوم يلعبون بالشطرنج فقال : ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ؟ وأظنه قلب الرقعة ^(٢) .

وذلك أن الله جمع بين الخمر والميسر ، وبين الأنصاب والأزلام فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٩٠ ، ٩١] .

مع أن الخمر إذا سكر بها الشارب كان سكره يوماً أو قريباً من يوم أو بعض يوم ، وأما سكر الشهوة والحبة الفاسدة من العشق ونحوه فسكره قوى دائماً . قال تعالى فى قوم لوط : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٧٢] .

فكيف إذا خرج عن حد السكر إلى حد الجنون ، بل كان الجنون المطبق لا الحمق ^(٣) ، كما أنشد محمد بن جعفر فى كتاب « اعتلال القلوب » ^(٤) قال :
أنشدنى الصيدلانى :

قالت جُنُنْتُ عَلَى رَأْسِي فَقَلْتُ لَهَا الْعَشَقُ أَعْظَمُ مِمَّا بِالْمُجَانِينِ

(١) فى الأصل : ومر على عليم . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) أورد ابن كثير هذا الخبر فى تفسيره لآية ٥٢ سورة الأنبياء عن ابن أبى حاتم قال : مر على قوم يلعبون بالشطرنج ، فقال : ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ؟ لأن يس صاحبكم جماً حتى يطفأ خير له من أن يمسها .

(٣) فى الأصل : الحامق .

(٤) هو أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر السامرى الخرائطى ، محدث أديب ، ولد سنة ٢٤٠ وتوفى سنة ٣٢٧ ، من تصانيفه : « اعتلال القلوب » فى أخبار العشاق (وهو مخطوط) . انظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١٣٩/٢ - ١٤٠ ؛ شذرات الذهب ٣٠٩/٢ ؛ الأعلام ٢٩٧/٦ ؛ معجم المؤلفين ١٠٤/٩ - ١٥٥ .

العشق ليس يفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون في الحين^(١)

وقال الآخر :

سكران : سكر هوى وسكر مدامة ومتى إفاقة من به سكران

فصاحبه أحق بأن يشبه بعابد الوثن والعاكفين على التماثيل يعملونها^(٢)
على صورة آدمي .

وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ [سورة يوسف : ٣٠] أى : شغفها حبه ، أى وصل حبه إلى شغاف القلب ، وهى جلدة فى داخله ، فهذا يكون قد اتخذ ندا يحبه كحب الله .

وإذا كان الشيطان يريد أن يوقع بين المؤمنين العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فالعداوة والبغضاء التى يريد أن يوقعها بالعشق ، وصدّه عن ذكر الله وعن الصلاة بذلك أضعاف غيره ، كما قد تكلمنا عليه فى غير هذا الموضع ، وبيننا أن جميع المعاصى يجتمع فيها هذان الوصفان ، وأن ذكر ذلك فى الخمر والميسر اللذين هما من أواخر المحرمات - ينبّه على ما فى غيرهما من ذلك مما حُرّم / قبلهما : كقتل النفوس بغير حق ، والفواحش ، ونحو ذلك .

ومما يبين هذا أن الفواحش التى أصلها المحبة لغير الله ، سواء كان المطلوب المشاهدة أو المباشرة أو الإنزال أو غير ذلك ، هى فى المشركين أكثر منها فى

(١) أورد ابن الجوزى البيتين فى كتابه « ذم الهوى » ص ٣١٧ ، ونسبهما المحقق الأستاذ مصطفى

عبد الواحد إلى مجنون ليلى (انظر الفهرس ص : ٧١١) .

(٢) فى الأصل : يعملونه ، وهو تحريف .

المخلصين ، ويوجد فيهم ما لا يوجد في المخلصين لله .

قال الله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ . قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ . فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٧ - ٣٠] ، فأخبر سبحانه أنه جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ، وهو قوله تعالى : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ [سورة الكهف : ٥٠] وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ [سورة النحل : ١٠٠] .

وإذا كان سلطانه على أوليائه الذين تولوه والذين هم به مشركون ، وهم الذين لا يؤمنون بالله - وقال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٤٢] - فيكون هؤلاء هم الغاوين ، وهم الذين قال الشيطان : لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين .

ولهذا أخبر سبحانه عن أوليائه أنهم ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٨] ، فأخبر عن أولياء الشيطان ، وهم الذين يتولونه ، والذين هم به مشركون : أنهم إذا فعلوا فاحشة احتجوا بالتقليد

لأسلافهم ، وزعموا مع ذلك أن الله أمرهم [بها]^(١) ، فيتبعون الظن - في قولهم :
إن الله أمرهم بها - وما تهوى الأنفس في تقليد أسلافهم واتباعهم .

وهذا الوصف فيه بسط كثير لكثير من المنتسبين إلى القبلية من الصوفية
والعباد ، والأمراء والأجناد ، والمتكلمة والمتفلسفة ، والعامية وغيرهم ، يستحلون من
الفواحش ما حرّمه الله ورسوله ، وأصله العشق الذي ييغضه الله .

ص ١٦٧ / وكثير منهم يجعل ذلك ديناً ، ويرى أنه يتقرب بذلك إلى الله ، إما لزعمه
أنه يزكى النفس ويهديها ، وإما لزعمه أنه يجمع بذلك قلبه على آدمي ، ثم ينتقل إلى
عبادة الله وحده ، وإما لزعمه أن الصور الجميلة مظاهر الحق ومشاهده ، وربما
اعتقد حلول الرب فيها واتحاده بها ، ومنهم من يخص ذلك بها ، ومنهم من يقول
بإطلاق . وهؤلاء إذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها .

وكل هؤلاء فيهم من الإشراك بقدر ذلك ، ولهذا يظهر الافتتان بالصور
وعشقها فيمن فيهم شرك : كالنصارى والرهبان والمتشبهين بهم من هذه الأمة : من
كثير من المتفلسفة والمتصوفة الذين يفتنون بالأحداث وغيرهم ، فتجد فيهم قسطاً
عظيماً من اتخاذ الأنداد من دون الله ، يحبونهم كحب الله ، إما تدنيا ، وإما
شهوة ، وإما جمعا بين الأمرين . ولهذا تجد بين أغنيائهم^(٢) وفقرائهم ، وبين
ملوكهم وأمرائهم تحالفا على اتخاذ أنداد^(٣) من دون الله من هذين الوجهين .

ولهذا تجدهم كثيراً ما يجتمعون على سماع الشعر والأصوات التي تهيج
الحب المشترك : الذي يجتمع فيه محب الرحمن ، ومحب الأوثان ، ومحب الصليبان ،
ومحب الإخوان ، ومحب الأوطان ، ومحب المردان ، ومحب النسوان .

(١) زدت « بها » ليستقيم الكلام .

(٢) أغنيائهم : ليست واضحة بالأصل ، وكذا استظهرتها .

(٣) في الأصل : أندادا ، وهو خطأ .

وهذا السماع هو سماع المشركين ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [سورة الأنفال : ٣٥] .

وسبب ما ذكرنا أن الله خلق عباده لعبادته التي تجمع محبته وتعظيمه ، فإذا كان في القلب ما يجد حلاوته من الإيمان بالله والتوحيد له ، احتاج إلى أن يستبدل بذلك ما يهواه ، فيتخذ إلهه هواه ، فيتخذ الشيطان وذريته أولياء من دون الله ، وهم لهم عدو ، نفس للظالمين بدلا .

ولهذا كان هذا ونحوه من تبديل الدين ، وتغيير فطرة الله التي فطر الناس عليها . قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [سورة الروم : ٣٠] وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً ۚ إِنَّ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيداً ۚ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً ۚ وَلَا ضِلَّتْهُمْ وَلَا مَنِيتُهُمْ وَلَا مَرَّتُهُمْ فَلَيبَسْتَكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرَّتُهُمْ فَلَيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ [سورة النساء : ١١٦ - ١١٩] .

قال تعالى : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [سورة الروم : ٣٠] . ونفس ما خلقه الله لا تبديل له : لا يمكن أن توجد المخلوقات على غير ما يخلقه الله عليها ^(١) ، ولا أن تخلق على غير الفطرة التي خلقها ^(٢) الله عليها ، لكن بعض الخلق قد يغير بعضها ، كما قال النبي ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة / فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة [بهيمة] ^(٣) جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » ^(٤) .

ظ ١٦٧

(١) في الأصل : عليه .

(٢) في الأصل : خلقهم .

(٣) زدت كلمة « بهيمة » لأنها من ألفاظ الحديث .

(٤) مضمي الحديث من قبل (ص : ٨٥ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٣٨ ، ٢٣٠) .

ومما يبين ذلك أن أصل العبادة هي المحبة ، وأن الشرك فيها أصل الشرك ، كما ذكره الله في قصة إمام الخنفاء إبراهيم الخليل ، حيث قال : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٦] ، وقال في القمر : ﴿ لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٧] فلما أفلت الشمس قال : ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٨ ، ٧٩] .

ولهذا تبرأ إبراهيم من المشركين ومن أشركوا ^(١) بالله ، قال : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ٧٥ - ٧٧] وقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [سورة الممتحنة : ٤] .

ومما يوضح ذلك أنه قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة البقرة : ١٩٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سورة الأنفال : ٣٩] فأمر بالجهاد حتى لا تكون فتنة وحتى يكون الدين كله لله ، فجعل المقصود عدم كون الفتنة ، ووجود كون الدين كله لله ، وناقض ^(٢) بينهما ، فكون الفتنة يناقض كون الدين لله ، وكون الدين لله يناقض كون

(١) في الأصل : أشركوه ، وهو تحريف .

(٢) وناقض : في الأصل الكلمة غير واضحة ، وكذا استظهرتها .

الفتنة . والفتنة قد فُسِّرَت بالشرك ، فما حصلت به فتنة القلوب ففيه شرك ، وهو ينافي كون الدين كله لله .

الفتنة جنس تحته
أنواع من الشبهات
والشهوات

والفتنة جنس تحته أنواع من الشبهات والشهوات ، وفتنة الذين يتخذون من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله من أعظم الفتن . ومنه فتنة أصحاب العجل ، كما قال تعالى : ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ [سورة طه : ٨٥] قال موسى : ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٥] وقال تعالى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [سورة البقرة : ٩٣] .

قيل لسفيان بن عيينه : إن أهل الأهواء يحبون ما ابتدعوه من أهوائهم حبا شديدا ، فقال : أنسيت قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ١٦٥] وقوله تعالى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [سورة البقرة : ٩٣] أو كلاما هذا معناه ، وكل ما أحب لغير الله فقد يحصل به من الفتنة ما يمنع / أن يكون الدين لله .

ص ١٦٨

وعشق الصور من أعظم الفتن ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ ﴾ [سورة التغابن : ١٥] . ولهذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا ﴾ [سورة التوبة : ٢٤] .

وقد قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَن يَتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ . ولقد فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [سورة العنكبوت : ١ - ٣] .

ومما يبين ذلك أن رجلا قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت ، فقال : « أجعلتنى لله ندا ، بل ما شاء الله وحده » (١) فأنكر عليه أن يجعله ندا لله فى هذه الكلمة التى جمع فيها بينه وبين الله فى المشيئة ، إذ مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله ، فلا يكون شريكه ، لما يُعلم أن كون الشيء ندا لله قد يكون بدون أن يُعبد العبادة التامة ، فإن ذلك الرجل ما كان يعبد رسول الله تلك (٢) العبادة .

فصل

وهذا يتبين أن محبة الله توجب المجاهدة فى سبيله قطعا ، فإن من أحب الله وأحبه الله أحب ما يحبه الله ، وأبغض ما يبغضه الله ، ووالى من يواليه الله ، وعادى من يعاديه الله . لا تكون (٣) محبة قط إلا وفيها (٤) ذلك بحسب قوتها وضعفها ، فإن المحبة توجب الدنو من المحبوب ومحابته ، والبعد عن مكروهاته ، ومتى كان مع المحبة نبذ (٥) ما يبغضه المحبوب فإنها تكون تامة .

وأما مادة عدوه فإنها تنافى المحبة ، قال تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ

(١) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ، ولكنى وجدت حديثا مقاربا لفظه (فى المسند ط . المعارف) ٢٥٣/٢ عن ابن عباس أن رجلا قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت ! فقال النبي ﷺ : « أجعلتنى والله عدلا ، بل ما شاء الله وحده » . والحديث بلفظ مقارب عن ابن عباس رضى الله عنهما فى : المسند (ط . المعارف) ١٩٣/٤ ، ٨٥/٥ وجاء مختصرا ٢٩٦/٣ .

وذكر هذا الحديث ابن حجر فى « فتح البارى » (ط . السلفية) ٥٤٠/١١ وقال إن الحديث فى مسند أحمد والنسائى .

(٢) فى الأصل : ذلك .

(٣) فى الأصل : يكون .

(٤) فى الأصل : وفيه .

(٥) نبذ : ليست واضحة بالأصل ، وكذا استظهرتها .

أَوْ إِخْوَانُهُمْ أَوْ عَشِيرَتُهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴿٢٢﴾ [سورة المجادلة: ٢٢] ، فأخبر أن المؤمن - الذى لابد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، كما فى الحديث المتفق عليه : « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » ^(١) - لا تجده ^(٢) مواد لمن حاد الله ورسوله ، فإن هذا جمع بين الضدين لا يجتمعان . ومحبوب الله ومحبوب معاديه لا يجتمعان .

فالحب له ^(٣) لو كان مواداً لمحاده لكان محبا لاجتماع مراد المتحادين المتعادين وذلك ممتنع ، ولهذا لم تصلح هذه الحالة إلا لله ورسوله ، فإنه يجب على العبد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ولا يكون مؤمناً إلا بذلك . ولا تكون هذه المحبة مع محبة من يحاد الله ورسوله ويعاديه أبداً ، فلا ولاء لله إلا بالبراءة من عدو الله ورسوله .

وأما المؤمنون الذين قد يقاتل بعضهم بعضاً ، فأولئك ليسوا متحادين من كل وجه ، فإن مع كل منهما من الإيمان ما يحب عليه الآخر ، وإن كان يبغضه أيضاً ، فيجتمع فيهما المحبة والبغضة ، وكذلك كل منهما / لا يجب أن تكون جميع أفعاله موافقة لمحبة [الله] ^(٤) وجميع أفعال الآخر موافقة لبغض الله ، بل لابد أن يفعل أحدهما ما لا يحبه الله وإن لم يبغضه ، و لابد أن يكون فى الآخر أيضاً ما يحبه الله إذ هو مؤمن ، فيجب أن يعطى كل واحد من المحبة بقدر إيمانه ، ولا يجب أن يحب من أحدهما ما لا يحبه وإن كان لا يبغضه بل ولا يجب [من] واحدهما ^(٥) ما كان خطأ

ظ ١٦٨

(١) مضى الحديث من قبل (ص : ١٩٨ ، ٢٤٣) .

(٢) فى الأصل : لا يجد ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) فى الأصل : فالحب له . وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته .

(٤) زدت كلمة الجلالة ليستقيم الكلام .

(٥) فى الأصل : بل ولا يحبه واحدهما ، ولعل الصواب ما أثبتته .

أو ذنبا مغفورا ، وإن كان لا يبغض على ذلك ، فلا يحب إلا ما أحبه الله ورسوله ، فيحب ما كان من اجتهاده من عمل صالح .

وهذا الذى ذكرناه أمر يجده الإنسان من نفسه ويحسه : أنه إذا أحب الشيء لم يحب ضده ، بل يبغضه . فلا يتصور اجتماع إرادتين تامتين للضدين ، لكن قد يكون فى القلب نوع محبة وإرادة لشيء ، ونوع محبة وإرادة لضده ، فهذا كثير ^(١) ، بل هو غالب على بنى آدم ، لكن لا يكون واحد ^(٢) منهما تاما ، فإن المحبة والإرادة التامة توجب ^(٣) وجود المحبوب المراد مع القدرة ، فإذا كانت القدرة حاصلة ولم يوجد المحبوب المراد لم يكن الحب والإرادة تامة . وكذلك البغض التام يمنع وجود البغض مع القدرة ، فمتى ^(٤) وجد مع إمكان الامتناع لم يكن البغض تاما .

ومن هنا يعرف أن قول النبى ﷺ : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » ^(٥) على بابه : لو كان بغضه لما أبغضه الله من هذه الأفعال تاما لما فعلها . فإذا فعلها فإما أن يكون تصديقه بأن الله يبغضها فيه ضعف ، أو نفس بغضه لما يبغضه الله فيه ضعف ، وكلاهما يمنع تمام الإيمان الواجب .

ومحبة الله ورسوله على درجتين : واجبة وهى درجة المقتصدين ، ومستحبة وهى درجة السابقين .

محبة الله ورسوله على درجتين : واجبة ومستحبة

(١) فى الأصل : كثيرا ، وهو خطأ .

(٢) فى الأصل : واحدا ، وهو خطأ .

(٣) فى الأصل : توجد ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) فى الأصل : فمن . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٥) مضى الحديث من قبل (ص : ٢٥٩) .

المحبة الواجبة وهي
محبة المقتصدین

فالأولى تقتضى أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، بحيث لا يحب شيئاً يبغضه ، كما قال تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [سورة المجادلة : ٢٢] ، وذلك يقتضى محبة جميع ما أوجبه الله تعالى ، وبغض ما حرّمه الله تعالى ، وذلك واجب ، فإن إرادة الواجبات إرادة تامة تقتضى وجود ما أوجبه ^(١) ، [كما تقتضى عدم الأشياء التى نهى الله عنها] ^(٢) ، وذلك مستلزم لبغضها التام .

فيجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه ^(٣) الله ، ويبغض ما أبغضه الله . قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [سورة محمد : ٢٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ [سورة التوبة : ١٢٤ ، ١٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ﴾ [سورة الرعد : ٣٦] .

ص ١٦٩

وأما محبة السابقين بأن يحب ما أحبه الله من النوافل والفضائل محبة تامة . وهذه حال المقرّين الذين قرّبهم الله إليه . فإذا كانت محبة الله ورسوله الواجبة تقتضى بغض ما أبغضه الله ورسوله ، كما فى سائر أنواع المحبة ، فإنها توجب بغض

المحبة المستحبة
وهي محبة السابقين

(١) فى الأصل : ما واجبه . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) ما بين المعقوفين زدته ليستقيم الكلام .

(٣) فى الأصل : ما أوجبه . ولعل الصواب ما أثبتته .

الضد ، عُلِمَ أن الجهاد من موجب محبة الله ورسوله ، فإن مقصود الجهاد تحصيل (١) ما أحبه الله ، ودفع ما أبغضه الله .

فمن لم يكن فيه داع إلى الجهاد ، فلم يأت بالمحبة الواجبة قطعاً ، كان فيه ترك الجهاد لعدم المحبة نفاق (٢) ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [سورة الحجرات : ١٥] .

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال : « من [مات] ولم يغز (٣) ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق » (٤) .

وكذلك جمع بينهما في قوله تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ . يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ . خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿ [سورة التوبة : ١٩ - ٢٢] ، فقرنه بالمحبة (٥) في الآيتين من

(١) في الأصل : يحصل ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) في الأصل : فيكون فيه نفاقاً ، وهو خطأ .

(٣) في الأصل : من لم يغز . والمثبت هو تمام الحديث .

(٤) الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه في : مسلم ١٥١٧/٣ (كتاب الإمارة ، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو) ؛ سنن أبي داود ١٥/٣ - ١٦ (كتاب الجهاد ، باب كراهية ترك الغزو) ؛ سنن النسائي ٧/٦ - ٨ (كتاب الجهاد ، باب التشديد في ترك الجهاد) ؛ المسند (ط . المعارف) ٤١/١٧ .

(٥) أي فقرن الجهاد بالمحبة .

قوله : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرُسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [سورة التوبة : ٢٤] ، وفي قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [سورة المائدة : ٥٤] . فأخبر أن القوم الذين يحبهم الله ورسوله هم أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة الفتح : ٢٩] ، فوصفهم بالذلة والرحمة لأوليائهم ^(١) ، إخوانهم ، والعزة والشدة على أعدائهم أعدائهم ، وأنهم يجاهدون في سبيل الله .

والجهد من الجهد وهو الطاقة ، وهو أعظم من الجهد الذي هو المشقه ، فإن الضم أقوى من الفتح ، وكلما كانت الحروف أو الحركات أقوى كان المعنى أقوى .

ولهذا كان الجرح ^(٢) أقوى من الجرح ، / فإن الجرح هو المجروح نفسه ، وهو غير ^(٣) الجرح ، مصدر ، وهو فعل .

وكذلك الكره ، والمكره ، والمكره ، كما قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [سورة الرعد : ١٥] .

فالجهد : نهاية الطاقة والقدرة ^(٤) ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٧٩] .

(١) في الأصل : لأولياءه ، وهو تحريف .

(٢) في الأصل : الخرج ، وهو تحريف .

(٣) في الأصل : عين ، وهو تحريف .

(٤) في الأصل : القدرة .

وفي الحديث : « أفضل الصدقة جهد من مقل يُسرّه إلى فقير » ^(١) . ولهذا قال النبي ﷺ : « الجهاد سنام العمل » ^(٢) ، فإنه أعلى الإرادات في نهاية القدرة ، وهذا هو أعلى ما يكون من الإيمان ، كالسنام الذي هو أعلى ما في البعير ، وقد يكون بمشقة ، وقد لا يكون .

وأما الجهد فهو المشقة ، وإن لم يكن تمام القدرة .

فالجهاد في سبيل الله تعالى من الجهد ، وهي المغالبة [في سبيل] الله ^(٣) بكمال القدرة والطاقة ، فيتضمن شيئين ، أحدهما : است فراغ الوسع والطاقة . والثاني : أن يكون ذلك في تحصيل محبوبات الله ودفع مكروهاته ، والقدرة والإرادة بهما يتم الأمر .

وهنا ^(٤) انقسم الناس أربعة أقسام : فقوم لهم قدرة ، ولهم إرادة ومحبة غير

انقسام الناس
إلى أربعة أقسام

(١) الحديث بلفظ : « فأى الصدقة أفضل ؟ قال ﷺ : جهد المقل » عن عبد الله بن حُشبى رضى الله عنه في : سنن أبى داود ٩٣/٢ - ٩٤ (كتاب الصلاة ، باب طول القيام) ؛ سنن النسائي ٤٣/٥ - ٤٤ (كتاب الزكاة ، باب جهد المقل) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٤١١/٢ - ٤١٢ . وصحح الألباني هذا الحديث في تعليقه على مشكاة المصابيح للبريزي ٣٥٧/٢ . وجاء حديث آخر عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه في المسند (ط . الحلبي) ١٧٨/٥ وفيه : « قلت : يا رسول الله فما الصدقة ؟ قال : أضعاف مضاعفة وعند الله مزيد . قلت : أيها أفضل يا رسول الله ؟ قال : جهد من مقل أوسر إلى فقير » . وجاء حديث ثالث بمعنى الحديث السابق في المسند ٢٦٥/٥ عن أبى أمامة رضى الله عنه وضعف الألباني هذا الحديث الأخير في « ضعيف الجامع الصغير » ٣١٨/١ .

(٢) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه في : سنن الترمذى ١٠٤/٣ ، ١٠٥ (كتاب الجهاد ، باب أى الأعمال أفضل) ونصه : « سئل رسول الله ﷺ : أى الأعمال أفضل ؟ أو أى الأعمال خير ؟ قال : إيمان بالله ورسوله . قيل : ثم أى شيء ؟ قال : الجهاد سنام العمل . قيل : ثم أى شيء يا رسول الله ؟ قال : ثم حج مبرور » . ثم قال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح ، وقد روى من غير وجه عن أبى هريرة عن النبي ﷺ » . والحديث في : المسند (ط . المعارف) ٢٤٩/١٤ .

(٣) في الأصل : وهى الغالبة لله . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) في الأصل : هنا .

١ - قوم لهم قدرة وإرادة ومحبة غير مأمور بها ، فهم يجاهدون ، ويستعملون جهدهم وطاقتهم ، لكن لا في سبيل الله ، بل في سبيل آخر : إما محرمة ، كالفواحش مظهر منها وبطن ، والإثم والبغى بغير الحق ، والإشراك بالله ما لم ينزل به سلطانا ، والقول على الله بغير علم الحق .

وإما في سبيل لا ينفع عند الله ، مما جنسه مباح ، لاثواب فيه ، لكن الغالب [أن] ^(١) مثل هذا كثيرا ما يقتن ^(٢) به من الشبهة ما يجعله في سبيل الله أو في سبيل الشيطان .

٢ - قوم لهم إرادة صالحة ومحبة كاملة لله ، ولهم أيضا قدرة كاملة ، فهؤلاء سادة المحبين المحبوبين ، المجاهدين في سبيل الله ، لا يخافون لومة لائم ، كالسابقين ^(٣) الأولين من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم القيامة .

٣ - قوم فيهم إرادة صالحة ومحبة لله قوية تامة ، لكن قدرتهم ناقصة ، فهم يأتون بمحوبات الحق من مقدورهم ولا يتركون مما يقوون عليه شيئا ^(٤) ، لكن قدرتهم ^(٥) قاصرة ، ومحبتهم ^(٦) كاملة ، فهو مع القسم الذي قبله .

وما زال في المؤمنين على عهد النبي ﷺ وبعده من هؤلاء خلق كثير . وفي مثل هؤلاء قال النبي ﷺ : « إن بالمدينة لرجالا ماسرتم مسيرا ولا سلكتهم واديا

(١) زدت « أن » ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : يفترون ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) في الأصل : فالسابقين ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) في الأصل : ولا يأتون يتركون مما يقوون عليه شيئا . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٥) في الأصل : لكن قلوبهم . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٦) في الأصل : ومحبة . ولعل الصواب ما أثبتته .

إلا كانوا معكم . قالوا : وهم بالمدينة ؟ قال : وهم بالمدينة ، حبسهم العذر ^(١) .
وقال له سعد بن أنى وقاص : يارسول الله الرجل يكون حامية القوم يسهم له مثلما
يسهم لأضعفهم ؟ فقال : يأسعد وهل تنصرون إلا بضعفائكم ؟ بدعائهم
وصلواتهم واستغفارهم ^(٢) .

وروى أن النبي ﷺ كان يستفتح / بصعاليك المهاجرين ، وقال : « رب
أشعث أغبر ، ذى طمرين ، مدفوع بالأبواب ، لا يؤيه له ، لو أقسم على الله
لأبره » ^(٣) وهذا كثير .

(١) الحديث عن أنس رضى الله عنه فى : البخارى ٢٦/٤ (كتاب الجهاد ، باب من حبسه العذر
عن الغزو) ؛ سنن أبى داود ١٧/٣ - ١٨ (كتاب الجهاد ، باب فى الرخصة فى القعود من العذر) ؛ سنن
ابن ماجه ٩٢٣/٢ (كتاب الجهاد ، باب من حبسه العذر عن الجهاد) ؛ المسند (ط . الحلبي) ١٠٣/٣ ،
١٦٠ ، ٣٠٠ ، ٣٤١ . وجاء حديث آخر بألفاظ مقاربة عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه فى : مسلم
١٥١٨/٣ (كتاب الإمارة ، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر) ؛ سنن ابن ماجه (فى
الموضع السابق) .

(٢) الحديث عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أنى وقاص رضى الله عنه فى : البخارى ٣٦/٤ -
٣٧ (كتاب الجهاد ، باب من استعان بالضعفاء والصالحين فى الحرب) ونصه : « عن مصعب بن سعد
قال : رأى سعد رضى الله عنه أن له فضلا على من دونه . فقال النبي ﷺ : هل تنصرون وترزقون
إلا بضعفائكم ؟ » والحديث بألفاظ مقاربة فى : سنن النسائى ٣٧/٦ - ٣٨ (كتاب الجهاد ، باب
الاستنصار بالضعيف) . وما رواه ابن تيمية هو أقرب إلى رواية المسند (ط . المعارف) ٥١/٣ : « عن
سعد بن مالك (وهو سعد بن أنى وقاص رضى الله عنه) قال : قلت : يارسول الله ، الرجل يكون حامية
القوم ، أكون سهمه وسهم غيره سواء ؟ قال : ثكلتك أمك ابن أم سعد ! وهل ترزقون وتنصرون إلا
بضعفائكم !؟ » وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله فى تعليقه : « إسناده ضعيف لانقطاعه » ..

وقال ابن حجر فى « فتح البارى » ٨٨/٦ - ٨٩ عن رواية البخارى : « ثم إن صورة هذا السياق
مرسل لأن صعبا لم يدرك زمان هذا القول ، لكن هو محمول على أنه سمع ذلك من أبيه ، وقد وقع التصريح
عن مصعب بالرواية له عن أبيه عند الإسماعيلى ، وكذا أخرجه هو والنسائى » .

وجاء حديث آخر بألفاظ مقاربة عن أبى الدرداء رضى الله عنه فى سنن أبى داود ٣٢٢/٣ (كتاب
الجهاد ، باب فى الانتصار برذل الخليل والضعفة) ؛ المسند (ط : الحلبي) ١٩٨/٥ .

(٣) الحديث بألفاظ مقاربة عن أبى هريرة رضى الله عنه فى : مسلم ٢٠٢٤/٤ (كتاب البر =

والقسم الرابع : من قدرته قاصرة وإرادته للحق قاصرة ، وفيه من إرادة الباطل ما الله به عليم ، فهؤلاء ضعفاء المجرمين ، ولكن قد يكون لهم من التأثير بقلوبهم نصيب وحظ مع أهل باطلهم ، كما يوجد في العلماء والعباد والزاهدين من المشركين وأهل الكتاب ^(١) ومنافق هذه الأمة ما فيه مضاهاة ^(٢) لعلماء المؤمنين وعبّادهم ^(٣) ، وذلك أن الشيطان جعل [لكل] شيء ^(٤) من الخلق نظيرا في الباطل ، فإن أصل الشر هو الإشراف بالله ، كما أن أصل الخير هو الإخلاص لله .

٤ - من قدرته وإرادته للحق قاصرة ، وفيه إرادة للباطل

فإن الله سبحانه خلق الخلق ليعبدوه وحده لا يشركوا به شيئا ، وبذلك أرسل الرسل ، وبه أنزل الكتب ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [سورة النحل : ٣٦] .

والعبادة تجمع كمال المحبة وكمال الذل ، فالعابد محب خاضع ، بخلاف من يحب من لا يخضع له ، بل يحبه ليتوسل به إلى محبوب آخر ؛ وبخلاف من يخضع لمن لا يحبه ، كما يخضع للظالم ، فإن كلاً من هذين ليس عبادة محضة . وإن كل

العبادة تجمع كمال المحبة وكمال الذل

= والصلة ، باب فضل الضعفاء) ، ٢١٩١/٤ (كتاب الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء) . وجاء حديث آخر عن معاذ بن جبل رضى الله عنه في : سنن ابن ماجه ١٣٧٨/٢ (كتاب الزهد ، باب من لا يؤبه له) ونصه : « عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : ألا أخبرك عن ملوك الجنة ؟ قلت : بلى . قال : « رجل ضعيف مستضعف ، ذو طمرين ، لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره » . وضعف الألباني هذا الحديث في « ضعيف الجامع الصغير » ٢٤٢/٢ . وقال ابن الأثير في « النهاية في غريب الحديث والأثر » : « الطمر : الثوب الخلق » . وانظر : المسند (ط . الحلي) ١٤٥/٣ ، ٤٠٧/٥ .

(١) في الأصل : الكتب .

(٢) في الأصل : مظاهاة .

(٣) في الأصل : وعبادتهم ، وهو تحريف .

(٤) في الأصل : لشيء ، ولعل الصواب ما أثبتته .

محبوب لغير الله ، ومعظم لغير الله ، ففيه شوب من العبادة ، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصة ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش » (١) .

وذلك كما جاء في الحديث : « إن الشرك في هذه الأمة أخفى من ديب النمل » (٢) مع أنه ليس في الأمم أعظم تحقيقا للتوحيد من هذه الأمة ، ولهذا كان شداد بن أوس يقول : يا نعايا (٣) العرب يا نعايا (٣) العرب ، إن أخوف ما أخوف عليكم الرياء والشهوة الخفية » قال أبو داود : الشهوة الخفية : حب الرياسة (٤) . وفي حديث الترمذى عن كعب بن مالك أن النبي ﷺ قال : « ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » قال الترمذى : حديث حسن صحيح (٥) . والحرص يكون على [قدر] (٦) قوة الحب والبغض .

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [سورة يوسف : ١٠٦] ، وروى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال للنبي ﷺ : إذا كان

(١) مضى هذا الحديث من قبل (ص : ٢٦١) .

(٢) مضى هذا الحديث من قبل (ص : ٢٥٤) .

(٣) نعايا : الكلمة في الأصل غير منقوطة ، وكذا قرأتها ، وانظر التعليق التالى .

(٤) علقت على هذا الأثر في المجموعة الأولى (ص ٢٣٣ ت ١) وذكرت في تعليقي أن المنزى في « الترغيب والترهيب » ٥٠/٤ ذكر أن هذه ألفاظ حديث رواه عبد الله بن زيد رضى الله عنه عن النبي ﷺ وأن الحديث رواه الطبراني بإسنادين أحدهما صحيح . وذكرت في فهرس التصويبات والاستدراكات أن الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى نهى إلى أن القراءة الصحيحة هي « نعايا » لا « بغايا » (كما جاءت في طبعة الترغيب والترهيب) وأحالنى إلى « النهاية » لابن الأثير ، و « الفائق » للزمخشرى . وانظر « النهاية » مادة « نعا » .

(٥) الحديث عن كعب بن مالك رضى الله عنه فى : سنن الترمذى ١٦/٤ - ١٧ (كتاب الزهد ، باب حدثنا سويد بن نصر) ؛ سنن الدارمى ٣٠٤/٢ (كتاب الرقاق ، باب ما ذئبان جائعان) ؛ المسند ط . الحلبي ٤٥٦/٣ ، ٤٦٠ .

(٦) زدت كلمة « قدر » ليستقم الكلام .

الشرك أخفى من ديب النمل فكيف نتجنبه ؟ فقال النبي ﷺ : « ألا أعلمك / كلمة إذا قلتها نجوت من قليله وكثيره ، قل : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، واستغفرك لما لا أعلم » (١) فأمره مع الاستعاذة من الشرك المعلوم بالاستغفار ، فإن الاستغفار والتوحيد بهما يكمل الدين .

ظ ١٧٠

كما قال تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [سورة حمد : ١٩] وقال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ . أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ . وَإِنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ [سورة هود : ١ - ٣] .

وفي الحديث : « إن الشيطان قال : أهلك بني آدم بالذنوب ، وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك بثت فيهم الأهواء ، فهم يذنبون ولا يستغفرون ، لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » (٢) وهذا كذلك ، فإن من اتخذ إلهه هواه صار يعبد ما يهواه ، وقد زين له سوء عمله فرآه حسنا .

قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا . قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [سورة الكهف : ١٠٢ - ١٠٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِلرِّعَازِ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [سورة غافر : ٣٧] .

(١) مضى هذا الحديث من قبل (ص : ٢٥٤) .

(٢) لم أجد هذا الحديث .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ تَكَصَّ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ . إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة الأنفال : ٤٨ ، ٤٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ [سورة الأنعام : ١٣٧] .

وكإل الدين هو أداء الواجبات وترك المحرمات ، والفعل والترك أصلهما الحب والبغض ، فإذا ترك مأمورا أو فعل محظورا ^(١) فإنما هو لنقص الإيمان الذي هو التصديق ، وحب ما يحبه الله وبغض ما يبغضه الله .

والحجوبات على قسمين : قسم يُحب لنفسه ، وقسم يُحب لغيره . إذ لا بد من محبوب يُحب ^(٢) لنفسه ، وليس شيء شرع أن يحب لذاته إلا الله تعالى ، وكذلك التعظيم لذاته ، تارة يعظم الشيء لنفسه ، وتارة يعظم لغيره ، وليس شيء يستحق التعظيم [لذاته] ^(٣) إلا الله تعالى .

وكل ما أمر الله أن يُحب ويُعظم فإنما محبته لله وتعظيمه عبادة لله ، فالله هو المحبوب المعظم في المحبة والتعظيم ، المقصود المستقر الذي إليه المنتهى . وأما ما سوى ذلك فيحب لأجل الله ، أى لأجل محبة العبد لله : يحب ما أحبه الله ،

(١) في الأصل : فعلا محضورا ، وهو تحريف .

(٢) في الأصل : يحبه ، وهو تحريف .

(٣) زدت « لذاته » ، ليستقيم الكلام .

فمن تمام محبة الشيء محبة محبوب المحبوب ، وبغض بغضه ، ويشهد لهذا الحديث :
« أوثق عرى الإيمان الحب في الله ، والبغض في الله » (١)

وفي السنن « من أحب لله وأبغض لله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان » (٢) .

ص ١٧١
فمن أحب شيئاً لذاته / أو عظمه لذاته غير الله فذاك شرك به ، وإن أحبه ليتوصل به إلى محبوب آخر وتعظيم آخر سوى الله فهو من فروع هذا . والله سبحانه لم يشرع أن يعبد [الإنسان] (٣) شيئاً من دونه ، أو يتخذ إلهاً ليتوصل بعبادته ، كما قال تعالى : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [سورة الزخرف : ٤٥] وقال تعالى : ﴿ سَتُنْفِئُ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوًى لِلظَّالِمِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٥١] .

من أحب شيئاً كما يحب
الله أو عظمه كما يعظم
الله فقد أشرك
فمن أحب شيئاً كما يحب الله ، أو عظمه كما يعظم الله فقد جعله الله ندا ، وإن كان [يقول :] (٤) إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ، وأنهم شفعاؤنا عند الله .

(١) الحديث - مع اختلاف في بعض الألفاظ - في مسند أحمد (ط . الحلبي) ٢٨٦/٤ عن البراء ابن عازب رضى الله عنه ولفظه « إن أوسط عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله » . وحسنه الألباني في « صحيح الجامع الصغير » ١٨١/٢ وقال السيوطي : « حم (أحمد في مسنده) ، ش (مصنف ابن أبي شيبة) ، هب (البيهقي في شعب الإيمان) عن البراء » . وقال السيوطي في « الجامع الكبير » : « أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والحب في الله والبغض في الله » - (ط ب) = الطبراني في المعجم الكبير عن ابن عباس .

(٢) مضى الحديث من قبل (ص : ٢٥٦) .

(٣) زدت كلمة « الإنسان » ليستقيم الكلام .

(٤) زدت كلمة « يقول » ليستقيم الكلام .

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ١٦٥] أى يحبونهم كما يحبون الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله منهم ، لأنهم أخلصوا لله ، فلم يجعلوا المحبة مشتركة بينه وبين غيره ، فإن الاشتراك فيها يوجب ^(١) نقصها ، والله لا يتقبل ذلك ، كما فى الحديث الصحيح يقول الله تعالى « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل عملا أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء ، وهو كله للذى أشرك » ^(٢) .

فالمؤمن - الذى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما - لابد أن يكون ما أحبه الله ورسوله أحب إليه مما لم يحبه الله ورسوله ، وأن يبغض ما يبغضه الله ورسوله ، فلا يكون ذلك البغض أحب إليه من محبوب الله ورسوله .

والحب التام منا مستلزم للإرادة التامة الموجبة للفعل مع القدرة ، والبغض التام منا مستلزم للكرهية التامة المانعة للقدرة . فإذا كان العبد قادرا على محبات الحق ولا يفعلها فلضعف محبتها فى قلبه ، أو وجود ما يعارض الحق ، مثل محبته لأهله وماله ، فإن ذلك قد يمنعه عن فعل محبوب الحق .

كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا ﴾ [سورة التوبة : ٢٤] .

وقال ﷺ : « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من

(١) فى الأصل : توجب .

(٢) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى : مسلم ٢٨٨٩/٤ (كتاب الزهد ، باب من أشرك فى عمله غير الله) ؛ سنن ابن ماجه ١٤٠٥/٢ (كتاب الزهد ، باب الرياء والسمعة) ؛ المسند (ط . المعارف) - مع اختلاف يسير فى الألفاظ - ١٥٥/١٥ .

ولده ووالده والناس أجمعين» ^(١) . وقال له عمر : والله يارسول الله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي . فقال : لا يا عمر ، حتى أكون أحب إليك من نفسك . قال : فأنت أحب إليّ من نفسي . قال : الآن يا عمر ^(٢) . وهذان الحديثان في الصحيح .

فإن كانت واجبات نقص من درجة ^(٣) المقتصدين من أصحاب اليمين حتى يتوب أو يمحوها بشيء آخر ، وإن كانت نوافل - فإنها ^(٤) من القرب - بحسب ذلك . وإذا فعل مكروهات الحق فلضعف بعضها في قلبه ، أو لقوة محبتها التي تغلب بعضها . فالإنسان لا يأتي شيئا من المحرمات - كالفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق ، والشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا ، والقول على الله بغير علم - إلا لضعف الإيمان في أصله أو كماله ، أو ضعف / العلم والتصديق ، وإما ضعف المحبة والبغض .

ظ ١٧١

الإنسان لا يفعل
الحرام إلا لضعف
إيمانه ومحبه

لكن إذا كان أصل الإيمان صحيحا ، وهو التصديق ، فإن هذه المحرمات [يفعلها المؤمن مع كراهته] وبغضه لها ^(٥) ، فهو إذا فعلها لغلبة الشهوة عليه ، فلا بد أن يكون مع فعلها فيه بغض لها ، وفيه خوف من عقاب الله عليها ، وفيه رجاء لأن يخلص من عقابها ، إما بتوبة ، وإما حسنات ، وإما عفو ، وإما دون ذلك ، وإلا فإذا لم يبغضها ، ولم يخف الله فيها ، ولم يرج رحمته ، فهذا لا يكون مؤمنا بحال ، بل [هو] ^(٦) كافر أو منافق .

(١) مضى الحديث من قبل (ص : ١٩٨ ، ٢٤٣) .

(٢) مضى الحديث من قبل (ص : ١٩٨ - ١٩٩ ، ٢٤٣) .

(٣) في الأصل : من حد . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) في الأصل : فإنه . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٥) في الأصل جاءت هذه العبارات محرفة هكذا : لكن إذا كان إيمانكم صحيحا وهو تصديقه

فإن هذه المحرمات وبغضه لها . ولعل ما أثبتته يستقيم به الكلام .

(٦) زدت « هو » ليستقيم الكلام .

فكل سيئة يفعلها المؤمن لا بد أن تقترب بها حسنات له ، لكن قوة شهوته للسيئة وما زُينَ له فيها ، حتى ظن أنها مصلحة له ، أوجب وقوعها ، وهو اتباع الظن وما تهوى الأنفس ، وهذا القدر عَارَضَ بعض إيمانه فترجَّح عليه ، حتى ما هو ضد لبعض الإيمان ، فلم يبق مؤمناً بالإيمان الواجب . كما قال النبي ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » ^(١) ، وهو فيما يفعله متبع للشيطان ، فيما زينه له حتى رآه حسناً ، وفيما أمره به فطأعه ، وهذا من الشرك بالشيطان ، كما قال تعالى : ﴿ افْتَحِذُوهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ [سورة الكهف : ٥٠] وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ الْأَ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . وَإِنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [سورة يس : ٦٠ ، ٦١] .

ولهذا لم يخلص من الشيطان إلا المخلصون لله ، كما قال تعالى عن إبليس : ﴿ وَلَا غَوِيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٣٩ ، ٤٠] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٤٢] وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ [سورة النحل : ٩٩ ، ١٠٠] .

فإذا كان الشيطان ليس له سلطان إلا على من أشرك به ، فكل من أطاع الشيطان في معصية الله فقد تسلط الشيطان عليه ، وصار فيه من الشرك بالشيطان بقدر ذلك .

(١) مضي الحديث من قبل (ص : ٢٥٩ ، ٢٧٧) .

والشيطان يوالى الإنسان بحسب عدم إيمانه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٧] وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ تَقْيِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ . حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾ [سورة الزخرف : ٣٦ - ٣٨] وقال تعالى في قصة يوسف عليه السلام : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [سورة يوسف : ٢٤] .

ويشهد لهذا ما ثبت في صحيح مسلم عن جابر عن النبي ﷺ : « إن الشيطان ينتصب عرشه على البحر ، ويبعث ^(١) سراياه ^(٢) » .

فجميع ما نهى الله عنه [هو] ^(٣) من شعب الكفر وفروعه ، كما أن كل ما أمر الله به هو من الإيمان والإخلاص / لدين الله ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [سورة الأنفال : ٣٩] .

لكن قد يكون ذلك شركاً أكبر ، وقد يكون شركاً أصغر ، بحسب ما يفترون ^(٤) به من الإيمان ، فمتى اقترن بما نهى الله عنه الإيمان لتحريمه وبغضه وخوف

(١) في الأصل : ويبعث . والذي أثبتته هو لفظ الحديث .

(٢) الحديث عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ولكن جاء بثلاث روايات أولها : « سمعت النبي ﷺ يقول : إن عرش إبليس على البحر ، فيبعث سراياه فيفتنون الناس ، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة » . والرواية الثالثة موافقة للرواية الأولى من قوله : « فيبعث ... إلخ » وأما الرواية الثانية فهي مطولة أولها : « إن إبليس يضع عرشه على الماء ، ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة ... الحديث . وجاء الحديث برواياته في مسلم ٢١٦٧/٤ (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب تحريش الشيطان) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٣١٤/٣ ، ٣٣٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦٦ ، ٣٨٤ .

(٣) زدت « هو » ليستقيم الكلام .

(٤) في الأصل : ما يفترون ، وهو تحريف .

العقاب ورجاء الرحمة لم يكن شركاً أكبر ، وأما إن اتخذ [الإنسان ما يهواه] ^(١) إلهاً من دون الله وأحبه ^(٢) كحب الله فهذا شرك أكبر ، والدرجات في ذلك متفاوتة .

وكثير من الناس يكون معه من الإيمان بالله وتوحيده ما ينجيه من عذاب الله ، وهو يقع في كثير من هذه الأنواع ، ولا يعلم أنها شرك ، بل لا يعلم أن الله حرّمها ، ولم تبلغه في ذلك رسالة من عند الله ، والله تعالى يقول : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [سورة الإسراء : ١٥] ، فهؤلاء يكثرّون جداً في الأمكنة والأزمنة التي تظهر فيها فترة الرسالة بقلّة القائمين بحجة الله ، فهؤلاء قد يكون معهم من الإيمان ما يُرحمون به ، وقد لا يُعذّبون بكثير مما يُعذّب [به] ^(٣) غيرهم ممن كانت عليه حجة الرسالة .

فينبغي أن يعرف أن استحقاق العباد للعذاب بالشرك فما دونه مشروط ببلاغ الرسالة في أصل الدين وفروعه ، ولهذا لما كثّر الجهل وانتشر ، زَيّن الشيطان لكثير من الناس أنواعاً من المحرمات ضاهوا ^(٤) بها الحلال ، وقد لا يعلمون أنها محرّمة بغیضة إلى الله ، بل قد يظنون أن ذلك محبوب لله مأمور به ، وقد يظنون أن فيها هذا وهذا ، وهم في ذلك يتّبعون الظن وما تهوى الأنفس . وقد يعلمون تحريم ذلك ، ويظهرون عدم الوجه المحرم خداعاً ونفاقاً . فهؤلاء غير المؤمن الذي يحب الله ورسوله ويأتي بالمحرم معتقداً أنه محرّم ، وهو مبغض له ^(٥) ، خائف راج ^(٦) .

(١) ما بين المعقوفين زدته ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : وأحب .

(٣) زدت « به » ليستقيم الكلام .

(٤) في الأصل : ظاهوا .

(٥) في الأصل : يبغض له ، وهو تحريف .

(٦) في الأصل : راجى ، وهو خطأ .

تزيين الشيطان لكثير
من الناس أنواعاً من
المحرمات ضاهوا بها الحلال

وهذه الأمور توجد في الأقسام الثلاثة . ونحن نذكر أمثلة ذلك في المحرمات التي ذكرها الله في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ٣٣] فالله سبحانه قد حرم الفواحش كما ذكر .

وقد قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٥ ، ٦] ، فلم تُبح إلا المرأة التي هي زوج أو ملك يمين . وقد ذكر ما اشترطه في الحلال بقوله : ﴿ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانٍ ﴾ [سورة النساء : ٢٥] ^(١) ، وقوله ﴿ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾ [سورة المائدة : ٥] .

كما في الصحيح عن عائشة قالت : كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء ^(٢) : وذكرت أصحاب الرايات ، وهن المسافحات ، وأن إلحاق النسب في

(١) قال الطبري في تفسيره (ط . المعارف) ١٩٣/٨ : « غير مسافحات ولا متخذات أخدان : ذات الخليل الواحد . قال (أي ابن عباس رضي الله عنهما) : المسافحات : المعانات بالزنا كان أهل الجاهلية يحرمون ما ظهر من الزنا ، ويستحلون ما خفى ، يقولون : أما ما ظهر منه فهو لوم ، وأما ما خفى فلا بأس بذلك » . وفي تفسير ابن كثير للآية : « وقال الضحاك : ولا متخذات أخدان : ذات الخليل الواحد المقر به » .

(٢) هذا الأثر عن عائشة رضي الله عنها جاء في مواضع منها في : البخاري ١٥/٧ - ١٦ (كتاب النكاح ، باب من قال : لا نكاح إلا بولي) ؛ سنن أبي داود ٣٧٧/٢ - ٣٧٨ (كتاب النكاح ، باب في وجوه النكاح التي كان يتناكح بها أهل الجاهلية) . ونص هذا الأثر في البخاري : « أخبرني عروة ابن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء ، فنكاح منها نكاح الناس اليوم : يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها .

ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها : أرسل إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسه أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد ، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع . =

وطههن كان بالقافة ^(١) ، وذكرت التي يطأها جماعة محصورة ^(٢) ، وأن الإلحاق كان بتعيين المرأة . وذكرت نكاح الاستبضاع ^(٣) ، وهو غير ^(٤) نكاح ذوات الأخدان . وذكرت النكاح الرابع ، وهو النكاح المعروف ، الذي أحله الله .

فالشيطان جعل من الحرام / ما فيه مضاهاة للحلال ، وإن سُمي باسم آخر ، لكن المعنى فيه اشتراك ، فالله أباح للرجل امرأته ومملوكته ^(٥) ، وكل من الرجل والمرأة زوج الآخر ^(٦) ، فذوات الأخدان بينهن [وبين أخدانهن] ^(٧) نوع ازدواج واقتران كذلك ، ولهذا ميز الله بين هذا وهذا .

= ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها ، فإذا حملت ووضعت ، ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطيع رجل منهم أن يمتنع ، حتى يجتمعوا عندها تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم ، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان ، تُسمى من أحبب باسمه ، فيلحق به ولدها ، لا يستطيع أن يمتنع به الرجل .

ونكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها ، وهن البغايا ، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً ، فمن أرادهن دخل عليهن ، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها ، جمعوا لها ودعوا لها بالقافة ، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك . فلما بُعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله ، إلا نكاح الناس اليوم .

(١) قال ابن حجر في « فتح الباري ١٨٥/٩ » : « القافة : جمع قائف بقاف ثم فاء ، وهو الذي يعرف شَبَّه الولد بالوالد بالآثار الخفية » .

(٢) في الأصل : محصورة ، ولعل الصواب ما أثبتته ، وانظر قول عائشة رضي الله عنها في التعليق السابق : « يجتمع الرهط دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها » .

(٣) في الأصل : الاستمتاع ، وهو تحريف وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته ، وانظر خبر عائشة السابق رضي الله عنها .

(٤) في الأصل : وهي من ، وهو تحريف ، وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته . وقد ذكر ابن حجر في « فتح الباري ١٨٤/٩ » : « قوله (أربعة) : قال الداودي وغيره : بقي عليها (أى على عائشة رضي الله عنها) أنهاء لم تذكرها : الأول : نكاح الخدن ، وهو قوله تعالى : ﴿ ولا متخذات أخدان ﴾ [سورة النساء : ٢٥] . وانظر التفسير السابق لآية ٢٥ من سورة النساء .

(٥) في الأصل : ومملوكيه .

(٦) في الأصل : آخر .

(٧) في الأصل : فذوات الأخدان بينهما ... إلخ . ولعل الصواب ما أثبتته .

وأخفى ^(١) من ذلك مؤاخاة كثير من الرجال لكثير من النساء أو لكثير من الصبيان ، وقولهم : إن هذه مؤاخاة لله إذا لم تكن ^(٢) المؤاخاة على فعل الفاحشة كذوات الأخدان ؛ فهذا الذى يظهره للناس الذين يوافقونهم ويقرّونهم على ذلك ، ويروّون كلهم أن من أحب صبيا - أو امرأة - لصورته وحسنه من غير فعل فاحشة ، فإن هذا محبة لله .

فهذا من الضلال والغى وتبديل الدين ، حيث جعل ماكرهه الله محبوبا لله ، وهو نوع من الشرك ، والمحجوب المعظم بذلك طاغوت .

وذلك أن اعتقاد أن التمتع بالمحبة والنظر أو نوع من المباشرة إلى المرأة الأجنبية والصبيان هو لله وهو حب فى الله ، كفر وشرك ، كاعتقاد أن محبة الأنداد حب لله ، وأن الاجتماع على الفاحشة تعاون على البر والتقوى ، وأن الإقامة على ذلك بالعبادة ^(٣) هى عبادة لله ، ونحو ذلك .

فاعتقاد أن هذه الأمور التى حرمها الله ورسوله تحريما ظاهرا : أنها دين الله ومحبة الله ، نوع من الشرك والكفر .

ثم قد يكون منها - من خفيها - أشياء تروج على من لم يبلغه العلم ، كما اشتبه على كثير من العلماء والعباد أن استماع أصوات الملاحى تكون عبادة لله ، واشتبه ^(٤) على من هو أضعف علما وإيمانا أن التمتع بمشاهدة هذه الصور يكون عبادة لله .

ثم بعد هذا الضلال ومافيه من الغى هم أربعة أقسام :

(١) فى الأصل : واخفا .

(٢) فى الأصل : لم يكن .

(٣) فى الأصل : بالقيادة .

(٤) فى الأصل : اشتبه .

قوم يعتقدون أن هذا لله ويقتصرون عليه ، كما يوجد مثل ذلك في كثير من الأجناد والمتنسكة والعامّة .

وقوم يعلمون أن هذا ليس لله ، وإنما يظهرون هذا الكلام نفاقاً وخداعاً ، لئلا يُنكر عليهم ، وهؤلاء من وجه أمثل ، لما يُرجى لهم من التوبة ، ومن جهة أخبث ، لأنهم يعلمون التحريم ويأتون المحرم .

وقوم مقصودهم ما وراء ذلك من الفاحشة الكبرى ، فتارة يكونون من أولئك الظالمين الذين يعتقدون أن هذه المحبة التي لاوطء فيها لله ، فيفعلون شيئاً لله ، ويفعلون هذا لغير الله ، وتارة يكونون ^(١) من أولئك الغاوين المنافقين الذين يظهرون أن هذه المحبة لله ، وهم يعلمون أنها للشيطان ، فيجمع هؤلاء بين هذا الكذب وبين الفاحشة الكبرى . وهؤلاء في هذه المخادنة ^(٢) والمؤاخاة يضاهون النكاح ^(٣) ، فإنه يحصل بين هذين من الاقتران والازدواج ما يشبه اقتران الزوجين ، ويزيد عليه تارة ، وينقص عنه أخرى . وما يشبه اقتران المتحابين في الله والمتآخين ^(٤) في الله ، لكن الذين / آمنوا أشد حبا لله .

ص ١٧٣

فالمتحابان في الله يعظم تحابهما ويقوى ويثبت ، بخلاف هذه المؤاخاة الشيطانية ، فإنه يترتب عليها أنواع من الفساد . ثم هذا قد يظهر ويتشعّر حتى قد يسمونه زواجا ، ويقولون ^(٥) : تزوج هذا بهذا ، كما يفعل ذلك بعض المستهزئين

(١) في الأصل : يكون ، وهو تحريف .

(٢) في الأصل : المخادنة ، وهو تحريف .

(٣) في الأصل : يظاهرون للنكاح ، وهو تحريف .

(٤) في الأصل : المتواخين .

(٥) في الأصل : ويقول ، وهو تحريف .

بآيات الله من فجّار الفساق ^(١) والمنافقين ، ويقرّه الحاضرون على ذلك ويضحكون ، وربما أعجبهم مثل هذا المزاح .

كما أن اعتقاد أن هذه المحبة لله أوجب لمن كان من فجّار الفساق والمنافقين أن يقول لهم : الأمرد حبيب الله ، والملتحي عدو الله ، وذلك يعجبهم ويضحكون منه ، وحتى اعتقد كثير من المردان أن هذا حق ، وهو داخل في قول النبي ﷺ : « إذا أحب الله العبد نادى في السماء : يا جبريل إني أحب فلانا ^(٢) » ، فيصير يعجبه أن يُحب ويعتقد الغاوى أنه محبوب .

وذلك أن من فقهاء الكوفة من لا يوجب في اللوطية الحد بل التعزير ، إلا إذا أسرف ^(٣) فيه فإنه يبيح قتله سياسة ، ومن الفقهاء من يوجب فيه حد الزاني ، كأشهر قولي الشافعي ، وإحدى الروايتين عن أحمد ، وقول أبي يوسف ومحمد . وأكثر فقهاء الحجاز وأهل الحديث يوجبون قتلها جميعا ، كمذهب مالك ، وظاهر مذهب أحمد .

وزعم بعض الفقهاء أن فجور [الرجل] بمملوكه ^(٤) شبهة في درء ^(٥) الحد ، وهو موجب للتعزير ، كما هو أحد القولين في وطء أخته المحرّمة عليه برضاع

(١) في الأصل : من فجّار الفجار ، وستكرر العبارة بعد قليل كما أثبتنا هنا .

(٢) الحديث عن أبي هريرة رضي الله في : البخارى ١١١/٤ (كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة) ، وبقية الحديث فيه : « ... فلانا فأحبيه فيحبه جبريل ، فينادى جبريل في أهل السماء : إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض » . والحديث أيضا في : البخارى ١٤/٨ (كتاب الأدب ، باب المقه من الله تعالى) ، ١٤٢/٩ (كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة) ؛ مسلم ٢٠٣٠/٤ (كتاب البر والصلة والآداب ، باب إذا أحب الله عبدا حبه إلى عباده) ؛ سنن الترمذى ٣٧٨/٤ (كتاب تفسير القرآن ، سورة مريم) ؛ المسند (ط . المعارف) ٤٨/١٤ ، ٢٠٩/١٦ ، ٨١/١٨ - ٨٢ ، (ط . الحلبى) ٥١٤/٢ .

(٣) في الأصل : أشرف ، وهو تحريف .

(٤) في الأصل : أن الفجور بمملوكه . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٥) في الأصل : دار ، وهو تحريف .

أو محرّمته . وأيضا فالعقوبة بالقتل إنما تكون في حق البالغ ^(١) ، وأما الصبي - وأمثاله - فيجوز قتله إذا قاتل مع الكفار ^(٢) ، فأما بمجرد فعله هو بنفسه فلا يقتل بل يعاقب بما يزجره ^(٣) .

وكذلك النوع الثاني من الحلال ، وهو ملك اليمين ، فإن المرأة قد تملك الرجل ، والرجل قد يملك الصبي ، وقد يكون في هذا الملك نوع من ملك الرجل الأمة ، فربما استمتعت المرأة بملوكها بمقدمات النكاح ، أو بالنكاح ، مضاهاة لاستمتاع الرجل بملوكته ^(٤) ، وربما تأوّلت القرآن على ذلك ، واعتقدت أن ذلك داخل في قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَمْلُوكَتٌ أَيْمَانُهُمْ ﴾ [سورة المؤمنون : ٦] ، كما رفع إلى عمر ابن الخطاب امرأة تزوجت عبدها ، وتأوّلت هذه الآية ، ففرّق بينهما ، وأدّبه ، وقال : ويحك إنما هذه للرجال لا للنساء ^(٥) .

وكذلك كثير من جهّال الترك وغيرهم قد يملك من الذكران من يحبهم ويستمتع بهم ، وقد يتأوّل بعضهم على ذلك : ﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَمْلُوكَتٍ أَيْمَانُهُمْ ﴾ [سورة المؤمنون : ٦] ، ومن المعلوم أن هذا كفر بإجماع المسلمين ، فالاعتقاد بأن ^(٥) الذكران حلال - بملك أو غير ملك - باطل وكفر بإجماع المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم .

(١ - ١) : هذه العبارات مضطربة محرفة في الأصل ، وكذا استظهرتها .

(٢) انظر في حكم اللواط : المغنى لابن قدامة ٣١/٩ - ٣٢ (ط . مطبعة العاصمة ، القاهرة ، بدون تاريخ) ؛ نيل الأوطار للشوكاني ٢٨٦/٧ - ٢٨٨ (ط . المنيرية ، ١٣٤٤) ؛ المحلى لابن حزم ٣٨٠/١١ - ٣٨٦ (ط . المنيرية ، ١٣٥٢) .

(٣) في الأصل : بملوكه ، وهو تحريف .

(٤) انظر : تفسير الطبري (دار المعارف) ٥٨٦/٩ ؛ تفسير ابن كثير ٤٥٧/٥ وقال ابن كثير عن هذا الأثر : « هذا أثر غريب منقطع » .

(٥) في الأصل : فاعتقاد بيان ، وهو تحريف .

ثم من هؤلاء من يتأول هذه الآية ، ومنهم من يتأول : ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ﴾ [سورة البقرة : ٢٢١] ولا يفرق بين المنكوح والناكح ، كما سألتني مرة بعض الناس عن هذه الآية ، وكان ممن يقرأ القرآن ويطلب العلم ، وقد ظن أن معناها إباحة ذكران المؤمنين .

وآخرون قد يجتمع بهم من يقول لهم : إن في هذه المسألة ^(١) خلافا ، ويكذب / أئمة المسلمين الذين لا تكون مذهبهم ظاهرة في بلاده ، مثل من يكون بأرض الروم فيكذب على مذهب مالك ويقول : هو مباح في مذهب مالك ، ومنهم من يقول : هذا مباح للضرورة ، مثل أن يبقى الرجل أربعين يوما ^(٢) ، إلى أمثال هذه الأمور التي خاطبني فيها ، وسألتني عنها ، طوائف من الجند والعامّة والفقراء ، وكان عندهم من هذه الاعتقادات الفاسدة ألوان مختلفة ، قد صدتهم عن سبيل الله .

ظ ١٧٣

ومنهم من قد بلغه خلاف بعض العلماء في وجوب الحد في بعض الصور ، فيظن أن ذلك خلاف في التحريم ، فرمى قال ذلك أو اعتقده ، ولا يفرق بين الخلاف على الحد المقدّر والتحريم ، وأن الشيء قد يكون من أعظم المحرمات ، كالدم والميتة ولحم الخنزير ، وليس فيه حدّ مقدر .

ثم ذلك الخلاف قد يكون قولاً ضعيفاً ^(٣) ، فيتولد من ذلك القول الضعيف - الذي هو خطأ بعض المجتهدين ^(٤) ، وهذا ^(٥) الظن الفاسد الذي هو خطأ بعض الجاهلين - ومن الكذب الذي هو فرية بعض الظالمين ، تبديل

(١) في الأصل : المسلمة .

(٢) أربعين يوما : كذا بالأصل . والمقصود أن يبقى الرجل أربعين يوما بدون نكاح .

(٣) في الأصل : معناها ، وهو تحريف .

(٤) في الأصل : المجتهد ، وهو تحريف .

(٥) في الأصل : وهو .

الدين ، وطاعة الشياطين ، وسخط رب العالمين ، حتى نُقل أن كثيرا من الممالك يتمدح بأنه لا يعرف إلا سيده ، كما تتمدح الأمة بأنها لا تعرف إلا سيدها وزوجها ، وكذلك كثير من المردان ^(١) الأحداث يتمدح بأنه لا يعرف إلا خدينه وصديقه أو مؤاخيه ، كما تتمدح المرأة بأنها لا تعرف إلا زوجها . وكذلك كثير من الزناة بالممالك والأحداث من الصبيان ، قد يتمدح بأنه عفيف عما سوى خدنه ، الذي هو قرينة كالزوجة ، أو عما سوى مملوكه الذي هو قرينه ^(٢) ، كما يتمدح المؤمن بأنه عفيف [إلا] ^(٣) عن زوجته أو ما ملكت يمينه .

ولا ريب أن الكفر والفسوق والعصيان درجات ، كما أن الإيمان والعمل الصالح درجات : ﴿ هُمْ دَرَجَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٦٣] . وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ [سورة التوبة : ٣٧] ، وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَدَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَزَدَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ [سورة التوبة : ١٢٤ ، ١٢٥] وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [سورة الصف : ٥] ، كما قال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ [سورة إبراهيم : ٢٧] وقال ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ [سورة المائدة : ٦٨] ، كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ ﴾ [سورة الرعد : ٣٦] .

فالمتخذ خدنا من الرجل والنساء أقل شرا من المسافح ، لأن الفساد في ذلك أقل ، والمستخفى بما يأتيه أقل إثما من المجاهر المستعلن ، كما في الحديث عن

(١) في الأصل كأنها : اللصفا . ولعل الصواب ما أثبتته . وانظر : إغاثة اللهفان لابن القيم ، ١٤٦/٢ ط . الفقى ، القاهرة ١٣٥٨/١٩٣٩ .

(٢) في الأصل الكلمة غير واضحة كأنها « كربنه » ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) زدت « إلا » ليستقيم الكلام .

النبي ﷺ أنه قال : « من ابتلى من هذه القاذورات بشيء فليستتر بستر الله ، فإنه من يبد لنا صفحته نُقِمَ عليه كتاب الله » (١) .

وقد قال ﷺ : « من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة » (٢) .

وفي الحديث : / « إن الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها ، ولكن إذا أعلنت فلم تنكر ضرت الجماعة » (٣) .

ص ١٧٤

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : « كل أمتي معافي إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يبيت (٤) الرجل على الذنب وقد ستره الله ، فيصبح فيتحدث بذنبه (٥) ، ويقول : يا فلان فعلت الليلة كيت وكيت » ، أو كما قال (٦) .

(١) الحديث عن زيد بن أسلم رضى الله عنه في : الموطأ ٨٢٥/٢ (كتاب الحدود ، باب ما جاء فيمن اعترف على نفسه بالزنا) ولفظه : أن رجلا اعترف على نفسه بالزنا فأمر به رسول الله ﷺ فجلد . ثم قال : أيها الناس ، قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله . من أصاب من هذه القاذورات الحديث .

(٢) الحديث بهذا اللفظ جزء من حديث طويل عن أبي هريرة رضى الله عنه في : مسلم ٢٠٧٤/٤ (كتاب الذكر ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن) وأوله : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا الحديث . وهو - مع اختلاف في اللفظ - في : سنن أبي داود ٣٩٣/٤ (كتاب الأدب ، باب في المعونة للمسلم) ؛ سنن ابن ماجه ٨٢/١ (المقدمة ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم) ٨٥٠/٢ (كتاب الحدود ، باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات) ؛ سنن الترمذى ٤٣٩/٢ (كتاب الحدود ، باب ما جاء في الستر على المسلم) ؛ المسند (ط . المعارف) ١٦١/١٣ ، ٨٦/١٥ وفي مواضع أخرى فيه .

(٣) ذكر السيوطي في « الجامع الكبير » هذا الحديث بلفظ : « الخطيئة إذا أخفيت لا تضر إلا صاحبها ، وإذا ظهرت فلم تغير ضرت العامة » ثم قال السيوطي : « الدليلى عن أبي هريرة » .

(٤) في الأصل : أن يسب (بغير نقط) .

(٥) في الأصل : سبه ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٦) الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه في : البخارى ١٩/٨ - ٢٠ (كتاب الأدب ، باب ستر

المؤمن على نفسه) ونصه : « كل أمتي معافي إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ، =

فالإقلال والاستخفاء خير من هذه الوجوه ، ولكن قد يقتزن بها ما يكون أعظم من بعض المسافحة والمجاهرة ، وهى المحبة والتعظيم التى توجب محبة ما يحبه الخدن ، وتعظيم ما يعظمه ، وموالة من يواليه ، ومعاداة من يعاديه ، والاستسرار بذلك والنفاق فيه ، فقد تكون فى هذه الموالة والمعاداة والنفاق من العدوان والضرر على المسلمين ، أعظم مما فى المجاهرة والمسافحة ، ويكون ^(١) ذلك بمنزلة الكافر المعلن كفره ، وهذا بمنزلة المنافق . فأما إذا لم يكن عدوان على الناس وتضييع لحقوقهم لانتفاء المحبة أو لغير ذلك ، فالأول أحب وأفحش . وتفاوت الشرور فى القدر والصفة كثير ، كما يتفاضل الخير أيضا فى القدر والوصف ، والواجب استعمال ^(٢) الكتاب والسنة فى جميع الأمور ^(٣) .

ولا ريب أن هذه المخادنة وملك اليمين ونحو ذلك مما فيه اشتراك فى محرم مضاد للحلال ، لابد أن يتضمن من ^(٤) المباح ما يصير فيه من الشبه بالحلال ، و [من] التمييز ^(٥) عن الحرام المحض ما يكون فيه رواج له ، إذ الحرام المحض من كل وجه لا يشتهى بالحلال المحض من كل وجه ، بل يقتنى ^(٦) الرجل المملوك لنوع من الاستخدام ، ويضم إلى ذلك الاستمتاع ، وقد يكون هذا أغلب فى نفسه من

= ثم يصبح وقد ستره الله ، فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنه » . والحديث أيضا فى : مسلم ٢٢٩١/٤ (كتاب الزهد ، باب النهى عن هتك الإنسان ستره) .

(١) فى الأصل الكلمة غير واضحة كأنها : مراده . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) فى الأصل : واستعمال .

(٣) فى الأصل كأنها : والدارين .

(٤) فى الأصل : فى ، وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : والتمييز . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٦) فى الأصل : يقى . ولعل الصواب ما أثبتته .

الآخر ، وقد يكون بالعكس . وذلك الاستخدام قد يكون مباحا في الشريعة ، وقد يكون فيه نوع من الظلم والعدوان ، إما باسترقاق الأحرار ، وإما باشتراء المماليك لنفسه بالمال المغضوب ^(١) من بيت المال أو غيره ، وإما في استخدامهم على وجه الكبرياء والعلو في الأرض بإذلاله لهم ^(٢) في غير طاعة الله ، وإذلال الناس بهم في غير طاعة الله ، إلى أمثال ذلك من الوجوه التي يكون فيها من الظلم والعدوان أمور عظيمة ، وينضم إلى ذلك الفاحشة .

وكذلك في المخادنة التي صورتها مؤاخاة ، قد تكون لأجل الاستئجار لصناعة ونحوها ، وقد تكون لتعلم صناعة أو كتابة أو قراءة أو علم أو تأديب وتنوير ، وغير ذلك من الأمور المباحة والمستحبة والواجبة في الدين ، وقد تكون لكفالة وتربية ، إما ليتم ذلك الصبي أو غريمته ، أو لقرابة بينهما ، أو غير ذلك ، وقد يكون اشتراكا محضا في صناعة أو تجارة أو بحمل مال ، أو مجاورة وصلة ^(٣) ، أو تعلم أو تأديب أو غير ذلك مما يشترك الناس فيه لغير فاحشة بشركة مباحة أو مأمور بها أو منهي ^(٤) عنها ، ويكون بينهم في ذلك من التعاقد والتحالف ما يكون بين المشتركين في الأمور ، وقد يسمى ذلك صديقا ورفيقا ، وسمى بالتركية / خوشدانشا وغير ذلك ، وهو من قسم التحالف ، فيكون بين المشتركين في الحلال والحرام ^(٥) من المعاوضة والمشاركة ، [إما] ^(٦) على غير فاحشة ، وإما ^(٧)

ظ ١٧٤

(١) في الأصل : المال لنفسه المغضوب ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) في الأصل : بإذلالهم له ، وهو خطأ . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) في الأصل الكلمة غير واضحة وكذا استظهرتها .

(٤) في الأصل : أو منها ، وهو خطأ .

(٥) في الأصل : في المشتركين في الحرم ، والكلام ناقص ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٦) زدت « إما » ليستقيم الكلام .

(٧) في الأصل : إما .

معاوضة بتلك ، فتكون شبهة مع الشهوة . فغالب وقوع المحرمات من هذا الباب ، وقد لُبس فيه الحق بالباطل ، وأُشرك^(١) فيه الحق بالباطل .

موقف المؤمن من
الشرور والخيرات وما
يجب عليه حيالها

والمؤمن ينبغي له أن يعرف الشرور الواقعة ، ومراتبها في الكتاب والسنة ، كما يعرف الخيرات الواقعة ، ومراتبها في الكتاب والسنة ، فيفترق [بين]^(٢) أحكام الأمور الواقعة الكائنة ، والتي يُراد إيقاعها في الكتاب والسنة ، ليقدم ما هو أكثر خيراً وأقل شراً على ما هو دونه ، ويدفع أعظم الشرين باحتمال أدناهما ، ويحتلب أعظم الخيرين بفوات أدناهما ، فإن من لم يعرف الواقع في الخلق ، والواجب في الدين ، لم يعرف أحكام الله في عباده ، وإذا لم يعرف ذلك كان قوله وعمله بجهل ، ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح .

وإذا عَرَفَ ذلك فلا بد أن يقترب بعلمه العمل الذي أصله محبته لما يحبه الله ورسوله ، وبغضه لما يبغضه الله ورسوله . وما اجتمع فيه الحبيب والبغض ، المأمور به والمنهى عنه ، أو الحلال والمحظور^(٣) ، أعطى كل ذي حق حقه ليقوم الناس بالقسط ، فإن الله بذلك أنزل الكتاب ، وأرسل الرسل ، فالعلم بالعدل قبل فعل العدل .

فإذا علم وأحب^(٤) ، كان من تمامه الجهاد عليه ، كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة الحديد : ٢٥]^(٥) ، والعلم

(١) في الأصل : وأشركه .

(٢) زدت « بين » ليستقيم الكلام .

(٣) في الأصل : والمحضور .

(٤) في الأصل : واجب .

(٥) جاءت الآية في الأصل محرفة .

هو طريق إلى العمل وسبب ، كما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ [سورة الكهف : ٨٤] أى علما .

فالعلم بالخير سبب إلى فعله ، والعلم بالشر سبب إلى منعه ، هذا مع حسن النية ، وإلا فالنفس الأمارة بالسوء قد يكون علمها ^(١) بالسوء سبب لفعله ، وبالخير سبب لمنعه ، وكذلك الإثم والبغى بغير الحق ، مثل الخمر الذى أُنْخِذَ منه أنواع من المسكرات ، وقيل : إنها حلال ، وُسِّمَتْ بغير أسماء الخمر ، وهى من الخمر .

وكذلك ظلم العباد فى النفوس والأموال والأعراض ، فيه ما قد سُمى حقاً وعدلاً ^(٢) وشرعاً وسياسة وجهاداً فى سبيل الله ، وهو من الكفر والفسوق والعصيان ما لا يحصىه إلا الله . وكذلك الإشراك بالله بغير حق ، والقول بما لا يعلم ، مثل أنواع الغلو فى الدين ، واتخاذ العلماء والعباد أرباباً من دون [الله ، والقول] ^(٣) بتحريم الحلال ، وتحليل الحرام ، وأنواع الإشراك بالمخلوقات : عبادة لها ، واستعانة بها ، وغُلُوها فيها ، وقولاً على الله فى أسمائه وصفاته وأحكامه ما ^(٤) قد دخل فى ذلك من الباطل الذى سُمِّى بأسماء محمودة أو غير مذمومة : كالعبادة ، والزهادة ، والتحقيق ، وأصول الدين ، والفقه ، والعلم ، والتوحيد ، والكلام ، والفقر والتصوف ما لا يحصىه إلا الله ^(٥) .

ص ١٧٥

ومما ينبغى أن يُعرف أن كل تبديل يقع فى الأديان ، بل كل اجتماع فى العالم ، لابد فيه من التحالف ، وهو الاتفاق والتعاقد على ذلك ، من اثنين فصاعداً .

(١) فى الأصل : عملها ، وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : وعده . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) ما بين المعقوفين زدته ليستقيم الكلام .

(٤) بعد « ما » كتب « وبها » ويبدو أنها زائدة ، ونسى الناسخ حذفها .

(٥) فى أعلى صفحة ١٧٥ إلى اليسار كتب : الرابع .

بنو آدم لا يمكن
عيشهم إلا بالتعاقد
والتحالف

فإن بنى آدم لا يمكن ^(١) عيشهم إلا بما يشتركون فيه من جلب منفعتهم ودفع مضرتهم . فاتفاقهم على ذلك هو التعاقد والتحالف .

ولهذا كان الوفاء بالعهود من الأمور التى اتفق أهل الأرض على إيجابها لبعضهم على بعض ، وإن كان منهم القادر الذى لا يوفى بذلك ، كما اتفقوا فى إيجاب العدل والصدق ، فإذا اتفقوا وتعاهدوا على اجتلاب الأمر الذى يحبونه ، ودفع الأمر الذى يكرهونه ، أعان بعضهم بعضا على اجتلاب المحبوب ، ونصر بعضهم بعضا على دفع المكروه ، ولو لم يتعاهدوا بالكلام ، فنفس اشتراكهم فى أمر يوجب عليهم اجتلاب ما يصلح ذلك الأمر المشترك ، ودفع ما يضره ، كأهل النسب الواحد ، وأهل البلد الواحد ، فإن التناسب والتجاور يوجب التعاون على جلب المنفعة المشتركة ، ودفع الضرر المشترك .

فصار الاشتراك بينهم تارة يثبت بفعلهم ، وهو التعاقد على ما فيه خيرهم ^(٢) ، وتارة يثبت بفعل الله تعالى . وقد جمع الله عز وجل هذين الأصلين فى قوله تعالى : ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ [سورة النساء : ١] ، وذكر فى هذه السورة [الأمور] ^(٣) التى بينهم من جهة الخلق ، وهى من جهة العقود ، كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ [سورة الفرقان : ٥٤] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ . وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ [سورة الرعد : ٢٠ ، ٢١] الآية .

(١) فى الأصل : لا تمكن .

(٢) بعد كلمة « التعاقد » يوجد فى المصورة كلمات غير واضحة كأنها : لعطارد عنها . ولعل ما أثبتته يستقيم به المعنى .

(٣) زدت « الأمور » ليستقيم الكلام .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ . الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٦ ، ٢٧] .

وإذا كان لابد في كل ما يشتركون فيه ، من تحالف وغير تحالف ، من التعاون على جلب المحبوب ، والتناصر لدفع المكروه ، فالمحسوب هو الموالي ، والمكروه هو المعادى ، فلا بد لكل بنى آدم من ولاية وعداوة . ولهذا جميعهم يتماحدون بالشجاعة والسماحة ؛ فإن السماحة إعانة على وجود المحبوب بالأموال والمنافع وغير ذلك ، والشجاعة نصر لدفع المكروه بالقتال وغيره ، ولا قوام لشيء من أمور بنى آدم إلا بذلك ، ومبنى ذلك بينهم على العدل في المشاركات والمعاوضات .

فظهر أن جميع أمور بنى آدم لابد فيها من تعاون بينهم ، ودفع ومنع لغيرهم ، فلا بد لهم من عقد وقدرة ، والعقد أصله الإرادة كما قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ﴾ [سورة النساء : ١] / أى يتعاهدون ويتعاقدون ^(١) ، والقدرة : القدرة .

ظ ١٧٥

ومعلوم أنه لابد في كل فعل من إرادة وقدرة ، والمشترون لابد من اتفاقهم في إرادة وفي قدرة . فالذى يناله بعضهم من جلب محبوب ودفع مكروه من بعض ، هو بالإرادة والطوع ، والذى ينالونه من غيرهم من جلب محبوب ودفع مكروه ، وهو بالقدرة على ذلك العدو المكروه منه ، كما أن ^(٢) الوطء ^(٣) بملك النكاح الذى هو عقد ، أصله الإرادة والطوع ، وملك اليمين ، الذى هو قهر بالقدرة على سبيل الكره ، واشتراكهم فى الجلب والدفع إما أن يكون تبعا لتعاقدهم ، وإما أن

(١) فى تفسير الطبرى للآية عن الضحاك والربيع : اتقوا الله الذى به تعاقدون وتعاهدون .

(٢) فى الأصل : كما لو أن

(٣) فى الأصل : الوطى .

يكون بأمر أمر مطاع فيهم ، فالأول : هو التحالف . والثاني : ما يطاع بغير تحالف ، سواء كانت طاعته بحق أو بغير حق .

فالذى بحق ما أمر الله بطاعته من أنبيائه وأولى الأمر من المؤمنين ، وطاعة الوالدين ، ونحو ذلك ، وما يُجَاب به بعضهم إلى مراد بعض بحق ، فإن ذلك هو معنى الطاعة ، إذ المقصود بها موافقة المطلوب .

وأما بغير حق فكطاعة الطواغيت ، وهو كل ما عظم بباطل .

وكل قوم لا تجمعهم طاعة مطاع في جميع أمورهم ، فلا بد لهم من التعاقد التحالف يكون وفقا
الشريعة منزلة أو شريعة
غير منزلة أو سياسة
والتحالف فيما لم يأمرهم به المطاع .

ولهذا كانت الشريعة المنزلة من عند الله الأفعال فيها التي تجب لله ، وتجب لبعض الناس على بعض : تارة تجب بإيجاب الله ، وتارة تجب بالعقد : كالنذر ، وكعقود المفاوضات والمشاركات ، فلا واجب في الشريعة إلا بشرع أو عقد .

وإذا لم يكونوا على شريعة منزلة من عند الله ، فإما أن يكونوا على شريعة [غير] ^(١) منزلة أو سياسة وضعها بعض المعظمين ^(٢) فيهم بنوع قدرة وعلم ونحو ذلك ، وما بقدرة من هذه الأمور الجامعة أوجب التحالف بينهم ، فإنه لا ينتظم لهم أمر إلا بطاعة أمر متحالفون عليه ، أو يأمرهم به من يطيعونه ، ولهذا أنكر التحالف في الأمم الخارجة عن الشريعة ، وفي الخارجين عنها ، وفي الأمور التي لا تُردُّ إلى الشريعة ، وإنما يظهر ذلك حيث تدرس آثار النبوة المطاعة ، فيتحالف قوم على طاعة ملك أو شيخ ، أو طاعة بعضهم لبعض في ^(٣) أمور

(١) زدت « غير » ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : المعظمين .

(٣) في الأصل : من .

يتفقون عليها ويتحالفون ، كما كان العرب في جاهليتهم ^(١) يتحالفون . ومنه الحليف الذى يكون في القبيلة / فيصير منهم . ص ١٧٦ .

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ [سورة النساء : ٣٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة النحل : ٩١ ، ٩٢] .

وكذلك ما يوجد من التحالف بالتآخى وغير التآخى للملوك والمشايخ وأهل الفتوة ورماة البندق ، وسائر المتفقين على بعض الأمور ، هو داخل في هذا . وأيمان ^(٢) التعاقد والتحالف عام لبنى آدم ، وهم في جاهليتهم تارة يتحالفون تحالفاً يحبه الله ، كما قال النبي ﷺ : « لقد شهدت حلفاً مع عمومى ^(٣) في دار عبد الله بن جُدعان ما يسرنى بمثله حُمُر النَّعَم ، أو قال : [ما] ^(٤) يسرنى حُمُر النَّعَم وأن أنقضه ^(٥) ، ولو دُعيت إلى مثله في الإسلام لأُجبت » ^(٦) .

(١) في الأصل : كما كان في العرب جاهليتهم ، وهو تحريف .

(٢) في الأصل : ... هذا إيمان .

(٣) في الأصل : في عمومى . وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته . وعبرة « مع عمومى » جاءت في حديث آخر ، كما سوف أبينه بعد قليل إن شاء الله .

(٤) زد « ما » ليستقيم الكلام .

(٥) في الأصل : وإن نقضه . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٦) لم أجد هذا الحديث في كتب السنة ، ولكن جاء في سيرة ابن هشام ١٤١/١ - ١٤٢ =

وفي مثل هذا ما رواه [مسلم] عن [جبير بن مطعم ، عن] النبي ﷺ ^(١) أنه [قال :] ^(٢) « لا حلف في الإسلام ، وما كان من حلف في الجاهلية فلم يزد الإسلام إلا شدة » ^(٣) .

= ونصه : « قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله ابن عوف الزهري يقول : قال رسول الله ﷺ : لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حُمُر النَّعَم ، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت » .

وذكر الخبر ابن سعد في « الطبقات الكبرى » ١٢٨/١ - ١٢٩ (ط . بيروت ، ١٣٧٦/١٩٥٧) ونصه فيه : « قال : وأخبرنا محمد بن عمر قال : فحدثني محمد بن عبد الله عن الزهري عن طلحة بن عبد الله بن عوف عن عبد الرحمن بن أزهر عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله ﷺ : ما أحب أن لي بخلف حضرتة بدار ابن جدعان حُمُر النَّعَم وأنى أغدر به ، هاشم وزهرة وثيم تحالفوا أن يكونوا مع المظلوم ما بَلَّ بحر صوفة ، ولو دُعيت به لأجبت . وهو حلف الفضول » .

(١) في الأصل : ما رواه (كذا) عن جابر عن النبي ﷺ . وكتبت كلمة « كذا » فوق البياض . والصواب ما أثبتته إن شاء الله .

(٢) زدت « قال » ليستقيم الكلام .

(٣) الحديث عن جبير بن مطعم رضى الله عنه في : مسلم ١٩٦٠/٤ (كتاب فضائل الصحابة ، باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه رضى الله تعالى عنهم) ونصه فيه : « لا حلف في الإسلام ، وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة » . والحديث أيضاً في : سنن أبي داود ١٧٧/٣ - ١٧٨ (كتاب الفرائض ، باب في الحلف) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٨٣/٤ .

على أن هذا الحديث يقابله حديث آخر عن أنس رضى الله عنه جاء في : البخارى ٩٦/٣ (كتاب الكفالة ، باب قول الله تعالى : والذين عاقدت أيمانكم) ونصه : « ... حدثنا عاصم ، قال : قلت لأنس رضى الله عنه : أبلغك أن النبي ﷺ قال : لا حلف في الإسلام ؟ فقال : قد حالف النبي ﷺ بين قريش والأنصار في داري » . وجاء هذا الحديث أيضاً في : سنن أبي داود ١٧٨/٣ (كتاب الفرائض ، باب في الحلف) وفي مواضع أخرى في كتب السنة .

وقال النووي في شرحه على مسلم ٨١/١٦ - ٨٢ : « قال القاضي : قال الطبري : لا يجوز الحلف اليوم ، فإن المذكور في الحديث والموارثة به وبالمؤاخاة كله منسوخ لقوله تعالى : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض » [سورة الأنفال : ٧٥] . وقال الحسن : كان التوارث بالخلف ، فنسخ بأية الموارث . قلت : أما ما يتعلق بالإرث فيستحب فيه المخالفة عند جماهير العلماء . وأما المؤاخاة في الإسلام ، والمخالفة على طاعة الله تعالى ، والتناصر في الدين ، والتعاون على البر والتقوى وإقامة الحق ، فهذا باقٍ لم ينسخ » .

وهذا الحلف يسمى حلف المُطَيِّين^(١) ، كان يقدم إلى مكة من يظلمه بعض أكابرها ، فيستصرخ فلا ينصروه أحد ، حتى أنشد بعض القادمين :

يا آل مكة مظلوم بضاعته بيطن مكة بين الركن والحجر

وكان عبد الله بن جدعان^(٢) من خيارهم ، فاجتمعت قبائل من قريش في بيته على التحالف للتعاون على العدل ونصر المظلوم ، ووضعوا أيديهم في قصعة فيها طيب ، فسمى حلف المطييين^(٣) .

(١) جاء ذكر حلف المطييين في مسند أحمد في موضعين الأول ١٢١/٣ - ١٢٢ (ط . المعارف) ونصه : « ... عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي ﷺ قال : شهدت حلف المُطَيِّين مع عمومتى وأنا غلام ، فما أحب أن لي حُمْرُ التَّعَمِ وأنى أنكته . قال الزهري : قال رسول الله ﷺ : لم يُصب الإسلام حلفاً إلا زاده شدة ، ولا حلف في الإسلام ، وقد ألف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار » . والحديث الثاني ١٣٦/٣ (ط . المعارف) وهو مختصر للحديث الأول وصحح الشيخ أحمد شاكر الحديثين (والقسم الذي يبدأ بكلام الزهري مرسل) ، وذكر أن الحديث في مجمع الزوائد ١٧٢/٨ وأن ابن كثير نقله في تاريخه ٢٩٠/٢ - ٢٩١ . وأن ابن كثير نقل عن البيهقي قوله : « وزعم بعض أهل السير أنه أراد حلف الفضول ، فإن النبي ﷺ لم يدرك حلف المطييين » ووافق ابن كثير البيهقي (انظر كلامه في ذلك) ، ولكن الشيخ أحمد شاكر رحمه الله خالفه وقال : « ولا شك أن الحلف الذي كان عقيب موت قصي قديم ، ولكن هذا لا ينفي أن يسمى الحلف الذي شاهده رسول الله ﷺ « حلف المطييين » فهو حلف آخر كان قبل البيعة ، ولعله كان توكيداً للحلف القديم . انظر : النهاية ٢٤٩/١ - ٢٥٠ وفيها : « وكان رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه من المطييين ، وكان عمر رضي الله عنه من الأحلاف » . ونحو هذا في قاموس الفيروزابادي في مادة (ط ي ب) .

(٢) انظر ما ذكره ابن كثير في تاريخه من أخبار عبد الله بن جدعان ٢١٧/٢ - ٢١٨ = ١١٦/١ - ١١٧ (السيرة النبوية لابن كثير ، تحقيق الأستاذ مصطفى عبد الواحد ، ط . عيسى الحلبي ، ١٩٦٤/١٣٨٤) .

(٣) قال ابن كثير في تاريخه ٢٩١/٢ - ٢٩٢ = السيرة النبوية ٢٥٨/١ - ٢٥٩ : « قالوا : وكان حلف الفضول قبل المبعث بعشرين سنة في شهر ذى القعدة ، وكان بعد حرب الفجار بأربعة أشهر ، وذلك لأن الفجار كان في شعبان من هذه السنة . وكان حلف الفضول أكرم حلف سُمِعَ به ، وأشرفه في العرب ، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب . وكان سببه أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل ، فحبس عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف : عبد الدار =

فأما إذا كان القول على الشريعة التي بعث الله بها رسوله في دينهم وديناهم فإن ذلك يغنيهم عن ^(١) التحالف إلا عليها ، فعليها يكون تحالفهم وتعاقدهم وتعاونهم وتناصرهم ، كما وصف الله به المحبين المحبوبين في قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [سورة المائدة : ٥٤] .

وعلى ذلك يُبَايَعُ المطاعون ^(٢) فيهم من الأمراء والعلماء وغيرهم ، كما قال أبو بكر الصديق في خطبته للمسلمين : « أطيعوني ما أطعت الله [ورسوله] ^(٣) ، فإذا عصيت الله [ورسوله] ^(٤) فلا طاعة لي عليكم » .

= ومخزوماً ومُجَمَّحاً وسهماً وعدى بن كعب ، فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل ، وزبروه - أى انتهروه - فلما رأى الزبيدي الشر أوفى على أنى قبيس عند طلوع الشمس ، وقريش في أندية حول الكعبة ، فنادى بأعلى صوته :

يا آل فِهْرٍ لمظلوم بضاعته بطن مكة نائى الدار والنفر
ومُحَرَّمٍ أشعثٍ لم يَقْضِ عُمرته يا للرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تَمَّتْ كرامته ولا حَرَامَ لثوب الفاجر الغدير

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب ، وقال : ما لهذا مترك . فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جُذعان فصنع لهم طعاماً ، وتحالفوا في ذى القعدة في شهر حرام ، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكوننّ يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه ما بَلَّ بحر صوفة ، ومارسى ثبير وجراء مكانها ، وعلى التماسي في المعاش . فسمت قریش ذلك الحلف حلف الفضول ، وقالوا : لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر ... » .

(١) في الأصل : يعينهم على . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) في الأصل : الطاعون ، وهو تحريف ظاهر .

(٣) ورسوله : ساقطة من الأصل ، وهى من تمام خطبة أنى بكر رضى الله عنه .

(٤) في الأصل : فيكم ، وهو خطأ . وقد أورد ابن كثير في « تاريخه » ٣٠١/٦ الخطبة كاملة وسندها : « وقال محمد بن إسحاق بن يسار ، حدثني الزهرى ، حدثني أنس بن مالك قال ... » وأول الخطبة : « أما بعد أيها الناس فإنى قد وليت عليكم ولست بخيركم » وقال ابن كثير : « وهذا إسناد صحيح » .

وبذلك أمر الله ورسوله في طاعة أولى الأمر ، فقال النبي ﷺ : « على المرء المسلم السمع والطاعة : في عسره ويسره ، ومنشطه ومكرهه ^(١) ، ما لم يؤمر بمعصية الله ، فإذا أمر بمعصية / الله فلا سمع ولا طاعة » ^(٢) . وقال النبي ﷺ : « إنما الطاعة في المعروف » ^(٣) ، و « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ^(٤) .

وفي الصحيح أن عبد الله بن عمر كتب بيعته إلى عبد الملك بن مروان لما اجتمع الناس عليه : « لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين ، إني قد أقررت لك بالسمع والطاعة على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت ، وقد أقررتني لما أقررت به » ^(٥) فأخبره أنه يعاقده على ما أمر الله به من الطاعة له في طاعة الله بحسب قدرته ، وهذا واجب عليه بالشرع .

ظ ١٧٦

(١) في الأصل : ومكرهه . والمثبت هو لفظ الحديث .

(٢) جمع ابن تيمية هنا بين حديثين . الأول عن ابن عمر رضي الله عنهما ونصه (في مسلم) : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » . وسبق هذا الحديث في المجموعة الأولى ، ص ٢٧٤ ت ٣ . والحديث الثاني عن أنس هريرة رضي الله عنه ، ونصه في مسلم ١٤٦٧/٣ ، (كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية) : « عليك السمع والطاعة ، في عسرك ويسرك ، ومنشطك ومكرهك ، وأثرة عليك » ، وهو في : سنن النسائي ١٢٦/٧ (كتاب البيعة ، باب البيعة على الأثرة) .

(٣) سبق ورود هذا الحديث في المجموعة الأولى من « جامع الرسائل » ص ٢٧٤ وذكرت نصه وتكلمت عليه في (ت ١) . والحديث أيضا عن علي رضي الله عنه في : البخاري ١٦١/٥ (كتاب المغازي ، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني خزيمه) ، ٨٨/٩ (كتاب الأحاد ، باب ما جاء في إجازة خير الواحد الصدوق في الآذان والصلاة) ؛ سنن أبي داود ٥٥/٣ (كتاب الجهاد ، باب في الطاعة) ؛ سنن النسائي ١٤٢/٧ (كتاب البيعة ، جزاء من أمر بمعصية فأطاع) ؛ المسند (ط . المعارف) ٢٢١ ، ٩٨ ، ٤٦/٢ .

(٤) مضى الحديث من قبل في المجموعة الأولى ، ص ٢٧٤ ت ٢ فارجع إليه .

(٥) في الأصل : وقد أمرتني لما أقررت به . وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته . وجاء هذا الأثر مرتين في : صحيح البخاري ٧٧/٩ ، ٧٨ (كتاب الأحكام ، باب كيف يبائع الإمام الناس) عن عبد الله ابن دينار عن عبد الله بن عمر أنه كتب « إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت ، وإن بنيتي قد أقرتوا بذلك » . وجاء الأثر بمعناه في : الموطأ ٩٨٣/٢ (كتاب البيعة ، باب ما جاء في البيعة) .

فهو تعاقد على ما أمر الله بمنزلة نفس الدخول في الإسلام ، وبيعة النبي ﷺ ، كما بايعه الأنصار ، وكما بايعه المسلمون تحت الشجرة ، وكما كان يبايع المسلمين على السمع والطاعة ويلقنهم : فيما استطعتم ^(١) .

وطاعة الرسول واجبة على الخلق بإيجاب الله بمعاقبتهم على ذلك : معاقدة على طاعة الله ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ٨١] .

لكن هذا إنما كان ظاهرا في أيام الخلفاء الراشدين ، وبعدهم كثرت العقود الموافقة للشريعة تارة ، والمخالفة لها أخرى ، فلا جرم كان الحكم العام في جميع هذه العقود أنه يجب الوفاء فيها بما كان طاعةً لله ، ولا يجوز الوفاء فيها بما كان معصية لله ، كما قال النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة : « ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ، ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ، وإن كان مائة شرط . كتاب الله ^(٢) أحق ، وشرط الله أوثق » ^(٣) وقال ﷺ : « من نذر أن

(١) جاءت أحاديث متعددة ذكر فيها أن النبي ﷺ كان يقول لصحابته إذا بايعوه على السمع والطاعة (أو يلقنهم) : « فيما استطعت » أو « فيما استطعتم » وللنساء : « فيما استطعن وأطقن » . وانظر هذه الأحاديث المتعددة التي جاءت عن عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وأميمة بنت رقيقة رضي الله عنهم جميعا في : البخارى ٧٧/٩ ، ٧٨ (كتاب الأحكام ، باب كيف يبايع الإمام الناس) ؛ مسلم ١٤٩٠/٣ (كتاب الإمارة ، باب البيعة على السمع والطاعة) ؛ سنن النسائي ١٣٦/٧ - ١٣٧ (كتاب البيعة ، باب البيعة فيما يستطيع الإنسان) ؛ سنن ابن ماجه ٩٥٨/٢ (كتاب الجهاد ، باب البيعة) ؛ الموطأ ٩٨٢/٢ - ٩٨٣ (كتاب البيعة ، باب ما جاء في البيعة) ؛ المسند (ط . المعارف) ١٩٣/٧ ، ٢٨٨ - ٢٨٩ ، ١٣٠/٨ ، ١١٢/٩ .

(٢) في الأصل : ما به من شرط كان الله . والتصحيح من روايات الحديث الصحيحة .

(٣) هذا جزء من حديث عن عائشة رضي الله عنها وأولها (وهذا لفظ البخارى ٩٤/١) عن =

يطيع [الله] ^(١) فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » ^(٢) ، وفي السنن « المسلمون على شرطهم ، إلا شرطاً أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً » ^(٣) .

فأما أمر الدين وما يحبه الله ويقرب إليه ، فليس لعقود بنى آدم فيه أثر ، بل المرجع في ذلك إلى أمر الله ورسوله ، فلا دين إلا ما أمر الله به ، ومن اتبع في ذلك عقود بنى آدم ، فهم الذين اتبعوا شركاءهم ، الذين شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن الله / به ، وهذه حال جميع ما ابتدع من الدين ، فإن الذى ابتدعه وافقه عليه غيره وحالفه ، فاتخذوه ديناً ، فتدين هذا فيه يظهر حال جميع [أهل] ^(٤) البدع المخالفة للكتاب والسنة وأن ^(٥) الموافقة عليها هى من هذا الباب .

ص ١٧٧

= عائشة قالت : أتتها بريرة تسألها في كتابتها . فقالت : إن شئت أعطيت أهلك ويكون الولاء لى فلما جاء رسول الله ﷺ ذكرته ذلك ، فقال : « اتباعيها فأعتقها ، فإن الولاء لمن أعتق » ثم قام رسول الله ﷺ على المنبر ... الحديث . وهو في : البخارى ٩٤/١ (كتاب الصلاة ، باب ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد) وهو في مواضع أخرى في البخارى ١٢٤/٨ ، مسلم ١١٤٢/٢ - ١١٤٣ (كتاب العتق ، باب إيمان الولاء لمن أعتق) ؛ سنن أبى داود ٢١/٤ (كتاب العتق ، باب في بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة) ؛ سنن النسائى ٢٦٨/٧ (كتاب البيوع ، باب بيع المكاتب) ؛ سنن ابن ماجه ٨٤٢/٢ - ٨٤٣ (كتاب العتق ، باب المكاتب) ؛ الموطأ ٧٨٠/٢ - ٧٨١ (كتاب العتق ، باب مصير الولاء لمن أعتق) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٨٢/٦ .

(١) لفظ الجلالة غير موجود بالأصل .

(٢) الحديث عن عائشة رضى الله عنها في : البخارى ١٤٢/٨ (كتاب الأيمان والنذور ، باب النذر في الطاعة ، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية) ؛ سنن أبى داود ٢٣٢/٣ (كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية) ؛ سنن النسائى ١٦/٧ (كتاب الأيمان والنذور ، باب النذر في الطاعة ، باب النذر في المعصية) ؛ سنن ابن ماجه ٦٨٧/١ (كتاب الكفارات ، باب النذر في المعصية) ؛ الموطأ ٤٧٦/٢ (كتاب النذور ، باب ما لا يجوز من النذور في معصية الله) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٣٦/٦ ، ٤١ ، ٢٢٤ .

(٣) هذا جزء من حديث عن عمرو بن عوف المزنى عن أبيه عن جده رضى الله عنه في : سنن الترمذى ٤٠٣/٢ (كتاب الأحكام ، باب ما ذكر عن رسول الله ﷺ في الصلح بين الناس) . وأول الحديث : « الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً حرّم حلالاً أو أحلّ حراماً ، والمسلمون على شروطهم ... الحديث . وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » وذكر المباركفورى في شرحه ٥٨٤/٤ - ٥٨٥ (ط . السلفية ، المدينة المنورة ، ١٣٨٥/١٩٦٥) أقوال العلماء في هذا التصحيح وخلاصتها أن طرق الحديث يشهد بعضها لبعض وأقل أحوالها أن يكون المتن الذى اجتمعت عليه حسناً .

(٤) زدت « أهل » ليستقيم الكلام .

(٥) في الأصل : أن .

وأكثر ما ينفق بين المسلمين ما فيه حق وباطل ، إذ الباطل المحض لا يبقى بينهم ، وذلك يتضمن التحالف على غير ما أمر الله به ، والتبديل لدين الله بما بُس من الحق بالباطل ، وهذه حال اليهود والنصارى وسائر أهل الضلال ، فإنهم عدلوا عما أمرهم الله باتباعه ، فلبسوه بباطل ابتدعوه ، بدلوا به دين الله ، وتحالفوا على ذلك الذى ابتدعوه .

وأما المعاملات فى الدنيا فالأصل فيها أنه لا يحرم منها إلا ما حرمه الله ورسوله ، فلا حرام إلا ما حرم الله ، ولا دين إلا ما شرعه . وإذا لم يحرم إلا ما حرمه الله ورسوله فكأن ما كان بدله بدون التعاقد يجب بالتعاقد ، فإن العقد يوجب على كل واحد من المتعاضدين والمتشاركين ما أوجبه الآخر على نفسه له ، ولهذا قال

النبي ﷺ : « المسلمون على شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً ، أو حرم حلالاً » . المسلمون على شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً

وهذا الموضع كثر ^(١) فيه غلط كثير من الفقهاء بتحريم عقود وشروط لم يحرمها الله ، كما كثر ^(٢) فى الأول غلط كثير من العبّاد والعلماء بابتداع دين لم يشرعه الله ، وإيجابه بالتعاقد عليه ، حتى يوجبون طاعة شخص معين ميت أو حي من العلماء فى كل شيء ، ويحرمون طاعة غيره فى كل شيء نازعه فيه ، لمجرد عقد العامى الذى انتسب إلى هذا دون هذا .

وكذلك فى المشايخ ، حتى قد يأمرونه بمخالفة ما تبين له من الشريعة لأجل العقد الذى التزمه للمذهب والطريقة ، فيشترطون شروطاً ليست فى كتاب الله ، ويأمرون بطاعة المخلوق فى معصية الخالق ، وأكثر ذلك يدخله نوع من الاجتهاد

(١) فى الأصل : كبير ، وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : كبر ، وهو تحريف .

الظاهر الذى فيه نوع من اتّباع الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى .

والواجب فى جميع هذه الأمور أن ما يتبين أنه طاعة لله ورسوله وجب اتّباعه ، وما اشبهه على الإنسان حاله سلك فيه مسلك الاجتهاد بحسب قدرته ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، واجتهاد العامة هو طلبهم للعلم من العلماء بالسؤال والاستفتاء بحسب إمكانهم .

فإذا كان جميع ما عليه بنو (١) آدم لا بد فيه من تعاون وتناصر ، وفيه ما هو شرك بالله ، وفيه ما هو قول على الله بغير علم ، وفيه ما هو إثم وبغى ، وفيه ما هو من الفواحش - علم أنه لا بد فى الإيمان من التعاون والتناصر على فعل ما يحبه الله تعالى ، ودفع ما يبغضه الله تعالى ، وهذا / هو الجهاد فى سبيله ، وأن أمر الإيمان لا يتم بدون ذلك ، كما لا يتم غير الإيمان إلا بما هو من نوع ذلك .

ظ ١٧٧

فكل المتعاونين المتناصرين يجاهدون ، ولكن فى سبيل الله تارة ، وفى سبيل غير الله تارة ، ولا صلاح لبنى آدم إلا بأن يكون الدين كله لله ، وتكون كلمة الله هى العليا .

قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [سورة الأنفال : ٣٩] وهؤلاء الذين تولوا الله فتولاهم (٢) الله ، والذين يدينون لغير الله هم ظالمون بتولى بعضهم بعضا ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ . إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة الحاثية :

(١) فى الأصل : بنى .

(٢) فى الأصل : يولاهم .

١٨، ١٩] ، ولا يتم لمؤمن ذلك إلا بأن يجمع بين ما جمع الله بينه ، ويفرق بين ما فرق الله بينه ، وهذه حقيقة الموالاة والمعاداة ، التي مبناها على المحبة والبغضة .

فالموالاة تقتضى التحاب ^(١) والجمع ، والمعاداة تقتضى التباعد والتفرق . والله سبحانه قد ذكر الموالاة والجمع بين المؤمنين ، فقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٥٥] . وذكر العداوة بينهم وبين الكفار فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٥١] ثم ذكر حال المستنصرين بهم ^(٢) فإن الموالاة موجبها التعاون والتناصر .

فلا يُفرَّق بين المؤمنين لأجل ما يتميز به بعضهم عن بعض ، مثل الأنساب والبلدان ، والتحالف على المذاهب والطرائق والمسالك والصدقات وغير ذلك ، بل يُعطى كلٌّ من ذلك حقه ، كما أمر الله ورسوله ، ولا يُجمع بينهم وبين الكفار الذين قطع الله الموالاة بينهم وبينه ، فإن دين الله هو الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

والله سبحانه أرسل رسله بالبينات ، وأنزل معهم الكتاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط ، فيحتاج المؤمن إلى معرفة العدل ، وهو الصراط المستقيم ، وإلى العمل به ، وإلا وقع إما في جهل وإما في ظلم .

(١) في الأصل : التجات ، وهو تحريف .

(٢) وهو قوله تعالى في الآية التالية : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٥٢] . وانظر تفسير الطبري للآية ١٠/٤٠٢ - ٤٠٧ (ط . المعارف) .

وذلك إنما وقع من التبديل والعقود الفاسدة ، كما ذكرنا من ليس الحق بالباطل ، حيث صارت المحرمات : من الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغى بغير / الحق ، والإشراك بالله ما لم يُنزل به سلطانا ، والقول على الله بغير علم - قد بُسِّ بها من الحق المأذون فيه ما صارت بسببه شبيهة ^(١) للحق الحسن ، وإن كانت مشتملة مع ذلك على الباطل السيئ ، وإن صار أصحابها بين عمل صالح وآخر سيئ ، فقوم ينكرون ذلك كله لما علموا فيه من المنكر البغيض ، وأقوام يقرّون ذلك كله لما فيه من المحبوب .

ص ١٧٨

وهذه القاعدة قد ذكرناها غير مرة ، وهى اجتماع الحسنات والسيئات ، والثواب والعقاب ، فى حق الشخص الواحد ، كما عليه أهل جماعة المسلمين من جميع الطوائف ، إلا من شذَّ عنهم من الخوارج والوعيدية ، من المعتزلة ونحوهم ، وغالب المرجئة .

فإن هؤلاء ليس للشخص عندهم إلا [أن] ^(٢) يثاب أو يُعاقب ، محمود من كل وجه ، أو مذموم من كل وجه . وقد بيّنا فساد هذا فى غير هذا الموضع ، بدلائل كثيرة من الكتاب والسنة ، وإجماع الأمة ، وذكرنا أيضا الكلام ^(٣) فى الفعل الواحد نوعا وشخصا ^(٤) .

والغرض هنا أن هؤلاء الذين لبسوا الحق والباطل ، حصل فى مقابلتهم من أعرض ^(٥) عن الحق والباطل جميعا ، فصار هؤلاء مذمومين على فعل السيئات ،

(١) فى الأصل : سببه شبهه . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) زدت « أن » ليستقيم الكلام .

(٣) فى الأصل : فى الكلام .

(٤) انظر ما ذكره ابن تيمية فى ذلك فى كتابه « الإيمان » .

(٥) فى الأصل : مع من أعرض .

محمودين على فعل الحسنات ، وأولئك يُذمُّون على ترك الحسنات الواجبات ،
ويمدحون على ما قصدوا تركه لله من السيئات .

وسبب ذلك أن الإنسان فيه ظلم وجهل ، فإذا غلب عليه رأى أو خُلُق ،
استعمله في الحق والباطل جميعا ، لم يحفظ حدود الله . ولهذا يأمر الله بحفظ حدوده .

مثال ذلك أن من الناس من يكون في خلقه سماحة ولين ومحبة ، فيسمح
بمحبتة وبتعظيمه ونفعه وماله للحسن الذي يحبه الله ويأمر به ، كمحبة الله ورسوله
وأوليائه المؤمنين ، والإنفاق في سبيله ، ونحو ذلك . ويسمح أيضا بمحبة الفواحش
والإنفاق [فيها] ^(١) ، فتجده ^(٢) يحب الحق والباطل جميعا ، ويصدق بهما ،
ويعين عليهما .

ومنهم من يكون في خلقه قوة ، فيمتنع من فعل الفواحش ويبغضها ، ويمتنع
مع ذلك من محبة نفع الناس والإحسان إليهم والحلم عن سيئاتهم ، فتجده يبغض
الحق والباطل جميعا ، ويكذب بهما ، ولا يعين على واحد منهما ، بل ربما صدَّ
عنهما .

وذلك لأن النفس أَمارة بالسوء ، والشيطان يزِين للمرء سوء عمله فيراه
حسنا ، وهو متبع هواها . وما فيها من العلم والإيمان [يدعوهُ إلى الخير حتى]
تذهب الحسنات بالسيئات ^(٣) ، وإنما يفعل من الحسنات ما أقبلت عليه ^(٤)
إرادته ومحبتة / دون ما أبغضته .

ظ ١٧٨

(١) زدت « فيها » ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : فيجده .

(٣) في الأصل : والإيمان يجب أن تذهب الحسنات بالسيئات . ولعل ما أثبتته يستقيم به
الكلام .

(٤) في الأصل : ما تيسر عليهما . ولعل الصواب ما أثبتته .

وفي الإنسان قوتان : قوة الحب ، وقوة البغض . وإنما خلق ذلك فيه ليحب الحق الذي يحبه الله ، ويبغض الباطل الذي يبغضه الله ، وهؤلاء هم الذين يحبه الله ويحبونه .

والنفس تميل إلى الإشراك بحسب الإمكان ، فإذا غلب على النفوس قوة المحبة لما يناسبها ، فأحبت الحق ، فقد تنجذب ^(١) بسبب ذلك إلى محبة ما يقارنه من الباطل .

ومن هنا مال كثير من النساك إلى محبة الأصوات والصور وغير ذلك ، بسبب ما فيهم من المحبة ، التي فيها ما هو لله ، لكن لبَّسوا فيها الحق بالباطل . وكذلك قد يكون الشخص بالمحبة يميل إلى شهوات الغنى في بطنه وفرجه وإنفاق الأموال فيها ، ثم إنه بسبب ما فيه من الحب والدين يحب الحق وأهله ويعظمهم . فتجد ^(١) كثيرا من أهل الشهوات ، وفيهم من المحبة لله ورسوله ما لا يوجد في كثير من النساك ، كما قال النبي ﷺ في حمار الذي كان يشرب الخمر كثيرا : « لا تلعنه ، فإنه يحب الله ورسوله » والحديث في صحيح البخارى وغيره ^(٢) .

فصل

وإذا كان كل عمل أصله المحبة والإرادة ، والمقصود [منه] التمتع ^(٣) بالمراد المحبوب ، فكل حى إنما يعمل لما فيه تنعمه ولذته ، فالتنعم هو المقصود الأول من كل قصد ، كما أن التعذب والتألم هو المكروه أولا [وهو سبب] كل بغض ^(٤) وكل

المقصود الأول
من كل عمل
هو التمتع واللذة

(١) في الأصل : فيجرا ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) مضى الحديث في هذه القاعدة من قبل (ص : ٢٥٨ - ٢٥٩) .

(٣) في الأصل : والمقصود والتمتع . وكتب كلمة « كذا » فوق كلمة « التمتع » . ولعل الصواب

ما أثبتته .

(٤) في الأصل : أولا فكل بغض إلخ . ولعل الصواب ما أثبتته .

حركة امتناع . لكن وقع الجهل والظلم في بنى آدم ، فعمدوا إلى الدين الفاسد ^(١) والدنيا الفاجرة : طلبوا بهما النعيم ، وفي الحقيقة فإنما فيهما ^(٢) ضده .

وبيان ذلك أن الأعمال التي يعملها جميع بنى آدم إما أن يتخذونها ديناً ، أو لا يتخذونها ديناً . والذين يتخذونها ديناً إما أن يكون الدين بها دين حق ، أو دين باطل . فنقول ^(٣) : النعيم التام هو ^(٤) في الدين الحق .

النعيم التام هو
في الدين الحق

فأهل الدين الحق هم الذين لهم النعيم الكامل ، كما أخبر الله بذلك في كتابه في غير موضع ، كقوله : ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [سورة الفاتحة : ٦ ، ٧] .

وقوله عن المتقين المهتدين : ﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٥] .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۚ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۚ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۚ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ [سورة طه : ١٢٣ - ١٢٦] .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنِ تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَخُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

[سورة البقرة : ٣٨] .

(١) في الأصل العبارة مضطربة ومحرقة كأنها : في بنى آدم يحتمل بالدين الفاسد ... إلخ . ولعل ما أثبتته يستقيم به الكلام .

(٢) في الأصل : فيها .

(٣) في الأصل : فيقول .

(٤) في الأصل : هي .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [سورة

الانفطار : ١٣ ، ١٤] .

ص ١٧٩ ووَعَدُ أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ / الصَّالِحِ بِالنَّعِيمِ التَّامِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ، ووَعَدُ الْكَفَّارِ بِالْعَذَابِ التَّامِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ أَعْظَمَ مِنْ أَنْ ^(١) يَذْكَرَ هُنَا ، وَهَذَا مِمَّا لَمْ يَنَازِعَ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ .

ولكن تذكر ^(٢) هنا نكتة نافعة ، وهو أن الإنسان قد يسمع ويرى ما يصيب كثيراً من أهل الإيمان والإسلام في الدنيا من المصائب ، وما يصيب كثيراً من الكفار والفجار في الدنيا من الرياسة والمال وغير ذلك ، فيعتقد أن النعيم في الدنيا لا يكون إلا لأهل الكفر والفجور ، وأن المؤمنين ليس لهم في الدنيا ما يتنعمون به إلا قليلاً ، وكذلك قد يعتقد أن العزة والنصرة قد تستقر للكفار والمنافقين على المؤمنين . وإذا سمع ما جاء في القرآن من أن العزة لله ورسوله وللمؤمنين ، وأن العاقبة للمتقوى ، وقول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ ﴾ [سورة الصافات : ١٧٣] وهو ممن يصدّق بالقرآن - حمل هذه الآيات على الدار الآخرة فقط ، وقال : أما الدنيا فما نرى بأعيننا [إلا] ^(٣) أن الكفار والمنافقين فيها يظهرون ويغلبون المؤمنين ، ولهم العزة والنصرة ، والقرآن لا يردّ بخلاف المحسوس ، ويعتمد على هذا فيما إذا أُدِيلَ عليه عدو من جنس الكفار والمنافقين أو الظالمين ، وهو عند نفسه من أهل الإيمان والتقوى ، فيرى أن صاحب الباطل قد علا ^(٤)

من الخطأ الظن
بأن نعيم الدنيا
لا يكون إلا لأهل
الكفر والفجور

(١) في الأصل : أعظم من .

(٢) في الأصل : يذكر .

(٣) زدت « إلا » ليستقيم الكلام .

(٤) في الأصل : على .

على صاحب الحق ، فيقول : أنا على الحق وأنا مغلوب ، وإذا ذكره [إنسان] ^(١) بما وعده الله من حسن ^(٢) العاقبة للمتقين ، قال : هذا في الآخرة فقط . وإذا قيل له : كيف يفعل الله بأوليائه مثل هذه الأمور ؟ قال : يفعل ما يشاء ، وربما قال بقلبه أو لسانه ، أو كان حاله يقتضى أن هذا من نوع الظلم ، وربما ذكر قول بعضهم : ما على الخلق أضر من الخالق ، لكن يقول : يفعل الله ما يشاء . وإذا ذُكر برحمة الله وحكمته لم يقل ^(٣) إلا أنه يفعل ما يشاء . فلا يعتقدون أن ^(٤) صاحب الحق والتقوى منصور ومؤيد ^(٥) ، بل [يعتقدون أن الله] ^(٦) يفعل ما يشاء .

وهذه الأقوال مبنية على مقدمتين : إحداهما : حسن ظنه بدين نفسه / نوعاً أو شخصاً ^(٧) واعتقاد أنه قائم ^(٨) بما يجب عليه ، وتارك ما نهى عنه في الدين الحق ، واعتقاده في خصمه ونظيره خلاف ذلك : أن ^(٩) دينه باطل نوعاً أو شخصاً ، [لأنه] ^(١٠) ترك المأمور وفعل المحظور .

والمقدمة الثانية : أن الله قد لا يؤيد صاحب الدين الحق وينصره . وقد لا يجعل له العاقبة في الدنيا ، فلا ينبغي الاعتراض بهذا .

(١) زدت « إنسان » ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : حق ، وهو تحريف .

(٣) في الأصل : لم يستعد .

(٤) في الأصل : فلا يعتمدون على . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٥) في الأصل : موبدا ، وهو تحريف .

(٦) ما بين المعقوفين زدته ليستقيم الكلام .

(٧) في الأصل : تسوعاً أو سحضا ، وهو تحريف .

(٨) في الأصل : قائماً ، وهو خطأ .

(٩) في الأصل : أنه .

(١٠) زدت « لأنه » ليستقيم الكلام .

المؤمن يطلب نعيم
الدنيا والنعيم التام
في الآخرة

ومن المعلوم أن العبد وإن أقر بالآخرة فهو يطلب حسن^(١) عاقبة الدنيا ، فقد يطلب ما لا بد منه من دفع الضرر ، وجلب المنفعة ، وقد يطلب من زيادة النفع ودفع الضرر ما يظن أنه مباح ، فإذا اعتقد أن الدين الحق قد ينافي ذلك لزم من ذلك إعراض القلب عن الرغبة في كمال الدين الحق ، وفي حال السابقين والمقربين ، بل قد يعرض عن حال المقتصدين أصحاب اليمين ، فيدخل مع الظالمين ، بل قد يكفر ويصير من المرتدين المنافقين أو المعلنين بالكفر ، وإن لم يكن هذا في أصل الدين كان في كثير من أصوله وفروعه ، كما قال النبي ﷺ : « يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ، أو يمسى مؤمنا ويصبح كافرا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا »^(٢) ، وذلك إذا اعتقد أن الدين لا يحصل إلا بفساد دنياه ، ولذلك فإنه يفرح بحصول الضرر له ويرجو ثواب ضياع ما لا بد له من المنفعة^(٣) .

وهذه الفتنة التي^(٤) صدت أكثر بنى آدم عن تحقيق الدين ، وأصلها الجهل بحقيقة الدين ، وبحقيقة النعيم ، الذي هو مطلوب النفوس في كل وقت ، إذ قد ذكرنا أن كل عمل فلا بد فيه من إرادة به لطلب ما ينعم ، فهناك عمل يُطلب به النعيم ، ولا بد أن يكون المرء عارفا^(٥) بالعمل الذي يعمل به ، وبالنعيم الذي يطلبه .

(١) في الأصل : من . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه وأوله (في مسلم) : « بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل ... الحديث وهو في : مسلم ١١٠/١ (كتاب الإيمان ، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن) ؛ المسند (ط . المعارف) ١٧٩/١٥ - ١٨٠ ، (ط . الحلبي) ٣٧٢/٢ .

(٣) في الأصل العبارة سقيمة ونصها : دنياه لحصول ضرره يحتمل ثواب ما لا بد منه من المنفعة . وأرجو أن تكون العبارات التي أثبتتها أقرب شيء إلى ما قصده ابن تيمية .

(٤) في الأصل : الذي .

(٥) في الأصل : فالذى يطلب به النعيم فلا بد أن يكون المرء عارف ، ولعل الصواب

ما أثبتته .

ثم إذا عَلِمَ هذين الأصلين ، فلا بد أن تكون فيه إرادة جازمة على العمل بذلك ، وإلا فالعلم بالمطلوب وبطريقه لا يحصلان المقصود إلا مع الإرادة الجازمة ^(١) . والإرادة الجازمة لا تكون إلا مع الصبر ، ولهذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَالْعَصْرُ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [سورة العصر : ١-٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [سورة السجدة : ٢٤] . فاليقين هو العلم الثابت المستقر ، والصبر [لا بد منه لتحقيق الإرادة الجازمة] ^(٢) .

والمقدمتان اللتان ^(٣) التي بنيت عليهما هذه البلية مبناهما ^(٤) على الجهل بأمر الله ونهيه ، / وبوعده ووعيده . فإن صاحبهما ^(٥) إذا اعتقد أنه قائم بالدين الحق ، فقد اعتقد أنه فاعل للأمر ^(٦) ، تارك للمحذور ، [وهو على العكس من ذلك] ^(٧) ، وهذا يكون من جهله بالدين الحق .

وإذا اعتقد أن صاحب الحق لا ينصره الله في الدنيا ، بل قد تكون العقوبة في الدنيا للكفار على المؤمنين ، ولأهل الفجور على أهل البر - فهذا من جهله بوعده الله تعالى .

من الخطأ الاعتقاد أن
الله ينصر الكفار
في الدنيا
ولا ينصر المؤمنين

(١) في الأصل : وبطريقه لا يحصله إن لم يعلم ، وهو كلام لا يستقيم ، ولعل ما أثبتته أقرب شئ إلى المقصود .

(٢) في الأصل : والصبر الصبر . ولعل ما أثبتته بين معقوفتين يستقيم به الكلام .

(٣) في الأصل : والمقدمتان المقدمتان التي ، وهو تحريف ، ولعل الصواب نا أثبتته .

(٤) في الأصل : مبناها .

(٥) في الأصل : صاحبهما .

(٦) في الأصل : فقد اعتقد أنه قائم بالأمر ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٧) ما بين المعقوفتين زدته ليستقيم الكلام .

أما الأول ، فما أكثر من يترك واجبات لا يعلم بها ولا بوجوبها ، وما أكثر من يفعل محرمات لا يعلم بتحريمها ، بل ما أكثر من يعبد الله بما حرم ويترك ما أوجب ، وما أكثر من يعتقد أنه هو المظلوم المحق من كل وجه ، وأن خصمه هو الظالم المبطل من كل وجه ، ولا يكون الأمر كذلك ، بل يكون معه نوع من الباطل والظلم ، ومع خصمه نوع من الحق والعدل .

وحبك الشيء يعمى ويصم ، والإنسان مجبول على محبة نفسه ، فهو لا يرى إلا محاسنها ، ومبغض لخصمه ، فلا يرى إلا مساوئه . وهذا الجهل غالبه مقرون بالهوى والظلم ، فإن الإنسان ظلوم جهول .

وأكثر ديانات الخلق إنما هي عادات أخذوها عن آبائهم وأسلافهم ، وتقليدهم في التصديق والتكذيب ، والحب والبغض ، والموالة والمعاداة .

كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُوهُ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [سورة لقمان : ٢١] وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَقْلُبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ . وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ [سورة الأحزاب : ٦٦ ، ٦٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيَا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [سورة الشورى : ١٤] ^(١) .

وأما الثاني ، فما أكثر من يظن أن أهل الدين الحق في الدنيا يكونون أذلاء معذيين بما فيه ، بخلاف من فارقههم إلى طاعة أخرى وسبيل آخر ، ويكذب بوعد الله بنصرهم .

(١) جاءت الآيات السابقة في الأصل محرفة .

والله سبحانه قد بين بكتابه كلا المقدمتين فقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [سورة غافر : ٥١] .

وقال تعالى في كتابه : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ
لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّا جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ ﴾ [سورة الصافات : ١٧١ - ١٧٣] .

وقال تعالى في كتابه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [سورة المجادلة : ٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَلِينَ * كَتَبَ
اللَّهُ لَا غَلِيظَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [سورة المجادلة : ٢٠ ، ٢١] .

ظ ١٨٠

/ وقال تعالى في كتابه : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ
يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ
آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِيُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٥٥ ، ٥٦] .

وذم من يطلب النصرة بولاء غير هؤلاء ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ
مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ
فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ
فَيُصِيبُحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَؤَلَاءِ الَّذِينَ
أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾
[سورة المائدة : ٥١ - ٥٣] .

وقال تعالى في كتابه : ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُلِيتُوعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ
جَمِيعًا ﴾ [سورة النساء : ١٣٨ ، ١٣٩] .

وقال تعالى في كتابه : ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة المنافقون : ٨] .

وقال تعالى في كتابه : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ ﴾ [سورة فاطر : ١٠] .

وقال في كتابه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ [سورة الفتح : ٢٨] .

وقال تعالى في كتابه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيْدِنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عُدُوِّهِمْ فَأَصَبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ [سورة الصف : ١٠ - ١٤] .

وقال تعالى في كتابه : ﴿ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ وَإِلَى مَطْهَرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاجْعَلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [سورة آل عمران : ٥٥] .

وقال تعالى في كتابه : ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْهَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الفتح : ٢٢ ، ٢٣] .

وقال تعالى في كتابه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ [سورة الحشر : ٢] إلى قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [سورة الحشر : ٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٣٩] .

وَقَالَ تَعَالَى لَمَّا قَصَّ قِصَّةَ نُوحٍ ، وَهِيَ نَصْرُهُ عَلَى قَوْمِهِ فِي الدُّنْيَا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة هود : ٤٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقَوَى ﴾ [سورة طه : ١٣٢] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ [سورة آل عمران : ١١٨] إلى قوله ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [سورة آل عمران : ١٢٠] .

وقال تعالى : ﴿ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٢٥] .

وقال يوسف وقد نصره الله في الدنيا لما دخل عليه إخوته : ﴿ قَالُوا أَتُنتَكِرُ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة يوسف : ٩٠] .

وقال تعالى في كتابه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [سورة الأنفال : ٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [سورة الطلاق ٢ ، ٣] .

وقد روى عن أبي ذر عن النبي ﷺ أنه قال : « لو عمل الناس كلهم بهذه الآية لوسعتهم » رواه ابن ماجه وغيره (١) .

وأخبر أن ما يحصل له من مصيبة انتصار العدو وغيرها ، إنما هو بذنوبهم ، / فقال تعالى في يوم أحد : ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [سورة آل عمران : ١٦٥] .

ظ ١٨١

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [سورة آل عمران : ١٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [سورة الشورى : ٣٠] .

(١) الحديث عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه في : سنن ابن ماجه ١٤١١/٢ (كتاب الزهد ، باب الورع والتقوى) ونصه : « حدثنا هشام بن عمار وعثمان بن أبي شيبة ... عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرف كلمة (وقال عثمان : آية) لو أخذ الناس كلهم بها لكفتمهم » قالوا : يا رسول الله ، آية آية ؟ قال : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا » . قال المعلق : « في الروايد : هذا الحديث رجاله ثقات ، غير أنه منقطع ، وأبو السليل لم يدرك أبا ذر ، قاله في التهذيب » . وذكر ابن كثير الحديث في تفسير الآية وزاد : « قال : فجعل يتلوها ويردها على حتى نعست . ثم قال : « يا أبا ذر كيف تصنع إذا خرجت من المدينة ؟ الحديث » .

وقال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ [سورة النساء : ٧٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [سورة الروم : ٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ أَوْ يُوبِقْهُمْ بِمَا كَسَبُوا ﴾ [سورة الشورى : ٣٤] .

وذم في كتابه من لا يثق بوعده لعباده المؤمنين ، وذكر ما يصيب الرسل والمؤمنين ، فقال تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۚ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۚ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۚ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۚ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَكْبَهُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب : ١٠ - ١٤] .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْزِئِينَ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٤] .

[وقال تعالى : (١) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۚ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّى مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ

(١) زدت عبارة « وقال تعالى » ليستقيم الكلام .

الْمُجْرِمِينَ . لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّلْقَوْمِ يُؤْمِنُونَ ﴿ [سورة يوسف : ١٠٩ - ١١١] .

ولهذا أمر الله رسوله والمؤمنين باتباع ما أنزل إليهم ، وهو طاعته ، وهو المقدمة الأولى . وأمرهم / بانتظار وعده ، وهي المقدمة الثانية . وأمرنا بالاستغفار والصبر ، لأنهم لابد أن يحصل لهم تقصير وذنوب ^(١) فيزيله الاستغفار ، ولابد مع انتظار الوعد من الصبر ، فبالاستغفار تتم الطاعة ، وبالصبر ^(٢) يتم اليقين بالوعد ، وإن كان هذا كله يدخل في مسمى الطاعة والإيمان .

ص ١٨٢

قال تعالى : ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [سورة يونس : ١٠٩] .

وقال ^(٣) تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُم نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّل لِّكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٣٤] .

وقال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة هود : ٤٩] .

وأمرهم أيضا بالصبر إذا أصابهم مصيبة بذنوبهم ، مثل ظهور العدو ، وكما قال تعالى في قصة أُنُحِد : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ . إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ

(١) في الأصل : من نصر وسكون ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) في الأصل : فالاستغفار يتم الطاعة ، والصبر ...

(٣) في الأصل : قال .

الظَّالِمِينَ . وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿ [سورة آل عمران : ١٣٩ -

١٤١] .

وأيضاً فقد قص سبحانه في كتابه نصره لرسله وعباده المؤمنين على الكفار في قصة نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وفرعون وغير ذلك . وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة يوسف : ١١١] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [سورة النور :

٣٤] .

وهذا يتبين بأصلين : أحدهما أن حصول النصر وغيره من أنواع النعيم لطائفة أو شخص لا ينافي ما يقع في خلال ذلك من قتل بعضهم وجرحه ومن أنواع الأذى ، وذلك أن الخلق كلهم يموتون ، فليس في قتل الشهداء مصيبة زائدة على ما هو معتاد لبنى آدم ، فمن عد القتل في سبيل الله مصيبة مختصة بالجهاد كان من أجهل الناس ، بل الفتن التي تكون بين الكفار وتكون بين المختلفين من أهل القبلة ليس مما يختص بالقتال ، / فإن الموت يعرض لبنى آدم بأسباب عامة ، وهي المصائب ^(١) التي تعرض لبنى آدم من مرض بطاعون وغيره ، ومن جوع وغيره ، وبأسباب خاصة ، فالذين يعتادون القتال لا يصيبهم أكثر مما يصيب من لا يقاتل ، بل الأمر بالعكس ، كما قد جرَّبه الناس .

ثم موت الشهيد من أيسر المיתات ، ولهذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ لَّنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا . قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِن أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب : ١٦ ، ١٧] .

(١) في الأصل : وهي الطوفات . ولعل الصواب ما أثبتته .

ما سبق يتبين
بأصلين : الأصل
الأول : حصول
النصر وغيره من
أنواع النعيم
لا ينافي وقوع
القتل أو الأذى

ظ ١٨٢

فأخبر سبحانه أن الفرار من القتل أو الموت لا ينفع ، فلا فائدة فيه ، وأنه لو نفع لم ينفع إلا قليلا ، إذ لا بد من الموت .

وأخبر أن العبد لا يعصمه من الله [أحد ^(١)] إن أراد به سوءا أو أراد به رحمة ، وليس له من دون الله ولى ولا نصير ، فأين نفر من أمره وحكمه ؟ ولا ملجأ منه إلا إليه ، قال تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة الذاريات : ٥٠] وهذا أمر يعرفه الناس من أهل طاعة الله وأهل معصيته ، كما قال أبو حازم الحكيم : « لما يلقى الذى لا يتقى الله من معالجه الخلق أعظم مما يلقاه الذى يتقى الله من معالجه التقوى » .

والله تعالى قد جعل أكمل المؤمنين إيمانا أعظمهم بلاء ، كما قيل للنبي ﷺ : أى الناس أشد بلاء ؟ قال : « الأنبياء ، ثم الصالحون ، ثم الأمتل فالأمتل ، يُبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان فى دينه صلابة زيد فى بلائه ، وإن كان فى دينه رقة خُفِّفَ عنه ، ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشى على الأرض وليس عليه خطيئة » ^(٢) .

ومن هذا أن الله شرع من عذاب الكفار بعد نزول التوراة بأيدي المؤمنين فى الجهاد ما لم يكن قبل ذلك ، حتى إنه قيل : لم ينزل بعد التوراة عذاب عام من السماء للأمم ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا

(١) زدت كلمة « أحد » ليستقيم الكلام .

(٢) الحديث - مع اختلاف فى الألفاظ - عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فى : سنن الترمذى ٢٨/٤ (كتاب الزهد ، باب الصبر على البلاء) وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » ؛ سنن ابن ماجه ١٣٣٤/٢ (كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء) ؛ سنن الدارمى ٣٢٠/٢ (كتاب الرقاق ، باب فى أشد الناس بلاء) ؛ المسند (ط . المعارف) ٤٥/٣ - ٤٦ ، ٥٢ ، ٧٨ ، ٩٧ . وجعل البخارى أحد عناوين كتاب الطب (المرضى) فى صحيحه ١١٥/٧ : باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمتل فالأمتل .

الْقُرُونِ الْأُولَى بِصَائِرِ النَّاسِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿ [سورة القصص :

٤٣] .

فإنه قبل ^(١) ذلك قد أهلك قوم فرعون وشعيب ولوط وعاد وثمود وغيرهم ، ولم يهلك الكفار بجهد المؤمنين . ولما كان موسى أفضل من هؤلاء ، وكذلك محمد ، وهما الرسولان المبعوثان بالكتابين العظيمين ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ [سورة المزمل : ١٥] . / وقال تعالى : ﴿ قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾ [سورة القصص : ٤٨] إلى قوله ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ ﴾ [سورة القصص : ٤٩] .

ص ١٨٣

وأمر الله هذين الرسولين بالجهاد على الدين . وشريعة محمد ﷺ أكمل ، فلهذا كان الجهاد في أمته أعظم منه في غيرهم .

قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٦] .

وقال تعالى ^(٢) : ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ﴾ [سورة محمد : ٤] .

وقال تعالى للمنافقين : ﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْتِيَ دِينًا ﴾ [سورة التوبة : ٥٢] .

(١) في الأصل : قيل .

(٢) في الأصل : قال .

فالجهد للكفار أصلح من هلاكهم بعذاب سماءٍ من وجوه : أحدها : أن ذلك أعظم في ^(١) ثواب المؤمنين وأجرهم وعلو درجاتهم ، لما يفعلونه من الجهاد في سبيل الله ، لأن تكون كلمة الله هي العليا ، ويكون الدين كله لله .

الثاني : أن ذلك أنفع للكفار أيضا ، فإنهم قد يؤمنون من الخوف ، ومن أسر منهم وسيم ^(٢) من الصغار يُسلم أيضا ، وهذا من معنى قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران : ١١٠] قال أبو هريرة : « وكنتم خير الناس للناس تأتون بهم في الأقياد والسلاسل حتى تدخلوهم الجنة » ^(٣) فصارت الأمة بذلك خير أمة أخرجت للناس ، وأفلح بذلك المقاتلون ، وهذا هو مقصود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذا من معنى كون محمد ﷺ ما أرسل إلا رحمة للعالمين ، فهو رحمة في حق كل أحد بحسبه حتى المكذبين له ، هو في حقهم رحمة أعظم مما كان غيره .

ولهذا لما أرسل الله إليه ملك الجبال وعرض عليه أن يقلب عليهم الأخشبين قال : « لا ، استأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له » ^(٤) .

(١) في الأصل : من .

(٢) في الأصل : وستى .

(٣) ورد هذا الأثر في : البخارى ٣٧/٦ - ٣٨ (كتاب التفسير ، سورة آل عمران ، باب كنتم خير أمة أخرجت للناس) ونصه فيه : « .. عن أنى هريرة رضى الله عنه : كنتم خير أمة أخرجت للناس . قال : خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام » . وانظر تفسير ابن كثير للآية ٧٧/٢ (ط . دار الشعب) .

(٤) هذه العبارة بمعنى جزء من حديث ورد في البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها ونصه في : البخارى ١١٥/٤ (كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء ...) عن عائشة : « ... أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت =

الوجه الثالث : أن ذلك أعظم عزة للإيمان وأهله ، وأكثر لهم ، فهو يوجب من علو الإيمان وكثرة أهله ما لا يحصل بدون ذلك ، وأمر المنافقين والفجار بالمعروف ونهيهم عن المنكر هو من تمام الجهاد ، وكذلك إقامة الحدود .

ظ ١٨٣

ومعلوم أن في الجهاد وإقامة / الحدود من إتلاف النفوس والأطراف والأموال ما فيه ، فلو بلغت هذه النفوس [النصر] ^(١) بالدعاء ونحوه من غير جهاد ، لكان ^(٢) ذلك من جنس نصر ^(٣) الله للأنبياء المتقدمين من أمهم لما أهلك نفوسهم وأموالهم .

وأما النصر بالجهاد وإقامة الحدود فذلك من جنس نصر الله لما يختص به رسوله ، وإن كان محمد ﷺ وأمه منصورين بالنوعين جميعا ، لكن يُشرع في الجهاد باليد ما لا يشرع في الدعاء ^(٤) .

وأما الأصل الثاني : فإن التنعم [إما] ^(٥) بالأموال الدنيوية ، وإما بالأموال الدنيوية .

فأما الدنيوية فهي الحسية : مثل الأكل والشرب والنكاح واللباس وما يتبع ذلك ، والنفسية : وهي الرياسة والسلطان .

فأما الأولى ، فالمؤمن والكافر والمنافق مشتركون في جنسها ، ثم يُعلم أن

= رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فناداني ملك الجبال ، فسلم عليّ ، ثم قال : يا محمد ، فقال : ذلك فما شئت ؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشيش . فقال النبي ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا . والحديث في : مسلم ١٤٢٠/٣ - ١٤٢١ (كتاب الجهاد ، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين) .

(١) زدت كلمة « النصر » ، ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : لكن ، وهو تحريف .

(٣) في الأصل : انتصار .

(٤) في الأصل : في الدعاء في الجهاد باليد ، ويبدو أن عبارة « في الجهاد باليد » المكررة زائدة .

(٥) زدت « إما » ليستقيم الكلام .

الأصل الثاني :
التنعم إما بالأموال
الدنيوية وإما
بالأموال الدنيوية
١ - الدنيوية

التنعم بها ليس هو حقيقة واحدة مستوية في بنى آدم ، بل هم متفاوتون في قدرها ووصفها تفاوتاً عظيماً .

فإن من الناس من يتنعم بنوع من الأطعمة والأشربة الذى يتأذى بها غيره ، إما لاعتياده ببلده ، وإما لموافقته مزاجه ، وإما لغير ذلك ^(١) .

ومن الناس من يتنعم بنوع من المناكح لا يحجبها غيره ، كمن سكن البلاد الجنوبية فإنه يتنعم بنكاح السمر ، ومن سكن البلاد الشمالية فإنه ^(٢) يتنعم بنكاح البيض .

وكذلك اللباس والمساكن ، فإن أقواماً يتنعمون من البرد بما يتأذى به غيرهم ، وأقواماً يتنعمون [من المساكن] ^(٣) بما يتأذى به غيرهم ، بحسب العادة والطباع .

وكذلك الأزمنة ، فإنه [فى] الشتاء ^(٤) يتنعم الإنسان بالحر ، وفى الصيف يتنعم بالبرد .

وأصل ذلك أن التنعم فى الدنيا بحسب الحاجة إليها والانتفاع بها ، فكل ما كانت الحاجة أقوى والمنفعة أكثر كان التنعم واللذة أكمل ، والله قد أباح للمؤمنين الطيبات .

فالذين يقتصدون فى المآكل نعيمهم بها أكثر من نعيم المسرفين ^(٥) فيها ، فإن أولئك إذا أدمنوها وألفوها لا يبقى لهذا عندهم كبير لذة ، مع أنهم قد لا يصبرون عنها ، وتكثر ^(٦) أمراضهم بسببها .

(١) فى الأصل : وإما لغير الله ، وهو تحريف . وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته .

(٢) فى الأصل : فإن .

(٣) زدت عبارة « من المساكن » ليستقيم الكلام .

(٤) فى الأصل : فإن الشتاء .

(٥) فى الأصل : المشرفين ، وهو تحريف .

(٦) فى الأصل : وتكرر .

وأما الدين ^(١) فجماعه شيئان : تصديق الخبر ، وطاعة الأمر .

ومعلوم أن التنعم بالخبر بحسب شرفه وصدقه ، والمؤمن معه من الخبر الصادق عن الله وعن مخلوقاته ما ليس مع غيره ، فهو من أعظم الناس نعيما بذلك ، بخلاف من يكثّر في أخبارهم الكذب .

وأما طاعة الأمر ، فإن من كان ما يؤمر به صلاحا / وعدلا ونافعا يكون تنعمه به أعظم من تنعم ^(٢) من يؤمر بما ليس بصلاح ولا عدل ولا نافع .

وهذا من الفرق بين الحق والباطل ، فإن الله سبحانه يقول في كتابه : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴾ . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ . ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿ [سورة محمد : ١ - ٣] .

وقال : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [سورة النور : ٣٩] .

وتفصيل ذلك أن الحق نوعان : حق موجود ، وحق مقصود . وكل منهما ملازم للآخر .

فالحق الموجود هو الثابت في نفسه ، فيكون العلم به حقا ، والخبر عنه حقا .
والحق المقصود هو النافع ، الذي إذا قصده الحى انتفع به ، وحصل له النعيم .

(١) يقصد ابن تيمية ، وأما الدينية ، وسبق أن ذكر أن التنعم إما بالأمر الديني وإما بالأمر الدينية ، وتكلم فيما سبق على الأمور الدينية ، وهو يتكلم هنا على الأمور الدينية .
(٢) في الأصل : ينعم .

فصل

ومما يُظهر الأمر ما ابتلى الله به عباده في الدنيا من السراء والضراء ، وقال سبحانه : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ . وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ . كَلَّا ﴾ [سورة الفجر : ١٥ - ١٧] .

يقول الله سبحانه ليس الأمر كذلك ، ليس إذا ما ابتلاه فأكرمه ونعمه يكون ذلك إكراما مطلقا ، وليس إذا [ما] قدر ^(١) عليه رزقه يكون ذلك إهانة ، بل هو ابتلاء في الموضعين ، وهو الاختبار والامتحان ، فإن شَكَرَ الله على الرخاء ، وصبر على الشدة ، كان كل واحد من الحالين خيرا له ^(٢) ، كما قال النبي ﷺ : « لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء فشكر كان خيرا ^(٣) له ، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا ^(٣) له » ^(٤) . وإن لم يشكر ولم يصبر كان كل ^(٥) واحد من الحالين شرا له .

(١) في الأصل : إذا بقدر ، وهو تحريف .

(٢) في الأصل : خير له ، وهو خطأ .

(٣) في الأصل : خير ، وهو خطأ .

(٤) الحديث عن صهيب رضى الله عنه في : مسلم ٢٢٩٥/٤ (كتاب الزهد ، باب المؤمن أمره كله خير) ولفظه فيه : « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر الحديث . وهو في المسند ٣٣٢/٤ ، ٣٣٣ ، ١٥/٦ وأول الحديث في الموضعين الأولين : « وعجبت من أمر (لأمر) المؤمن وفي الموضع الأخير : عجبت من قضاء الله للمؤمن ، على أن القسم الأول من كلام ابن تيمية جاء في حديث آخر عن أنس رضى الله عنه في المسند (ط : الحلبي) ١١٧/٣ ولفظه : « عجبت للمؤمن إن الله لم يقض قضاء إلا كان خيرا له » ، ١٨٤/٣ ولفظه : « عجبت للمؤمن إن الله لا يقضى للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له » ، وقال الألباني عن الحديث في « سلسلة الأحاديث الصحيحة » ٢٨/٤ : إنه صحيح .

(٥) في الأصل : كان على ، وهو تحريف .

تنازع الناس فيما
ينال الكافر في الدنيا
من التَّعَمُّ ، هل هو
نعمة في حقه أم لا ؟

وقد تنازع الناس فيما ينال الكافر في الدنيا من التَّعَمُّ ، هل هو نعمة في حقه أم لا ؟ على قولين . وكان ^(١) أصل النزاع بينهم هو النزاع في القدرة .

والقدرية الذين / يقولون : لم يرد الله لكل أحد إلا خيرا له بخلقه وأمره ، وإنما العبد هو الذى أراد لنفسه الشر بمعصيته ، ويترك ^(٢) طاعته التى يستعملها بدون مشيئة الله وقدرته أراد لنفسه الشر .

وهؤلاء يقولون : ما تُعَمُّ به الكافر فهو نعمة تامة ، كما تُعَمُّ به المؤمن سواء ، إذ عندهم ليس لله نعمة خص بها المؤمن دون الكافر أصلا ، بل هما في ^(٣) النعم الدينية سواء ، وهو ما بيَّنه ^(٤) من أدلة الشرع والعقل ، وما خلقه من القدرة والألطاف ، ولكن أحدهما اهتدى بنفسه بغير نعمة أخرى خاصة من الله ، والآخر ضل بنفسه من غير خذلان يخصه من الله . وكذلك النعم الدنيوية هى في حقهما ^(٥) على السواء .

والذين ناظروا هؤلاء من أهل الإثبات ربما زادوا في المناظرة نوعا من الباطل ، وإن كانوا في الأكثر على الحق . فكثيرا ما يرد مناظر المبتدع باطلا عظيما بباطل دونه .

ولهذا كان أئمة السنة ينهون عن ذلك ، ويأمرون بالاعتصام ولزوم السنة المحضة ، وأن لا يُرد باطل بباطل ^(٦) .

(١) في الأصل : وكل . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) في الأصل : ونزل . ولعل ما أثبتته هو الصواب .

(٣) في الأصل : من . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) أى ما بيَّنه الله تعالى لهم .

(٥) في الأصل : في حقها ، وهو تحريف .

(٦) في الأصل : وأن لا يرد بباطل بباطل ، وهو تحريف .

فقال كثير من هؤلاء : ليس لله على الكافر نعمة دنيوية ، كما ليس له عليه نعمة دينية تخصه ^(١) ، إذ اللذة المستعقبة ألما أعظم منها ليست بنعمة ، كالطعام المسموم ، وكمن أعطى غيره أموالا ليطمئن ثم يقتله أو يعذبه .

قالوا : والكافر كانت هذه النعم سببا في عذابه وعقابه ، كما قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا تُمَلِّى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٨] .

وقال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٥٥ ، ٥٦] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٤٤] .

وقال تعالى : ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ . وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ [سورة القلم : ٤٤ ، ٤٥] .

وخالفهم آخرون من أهل الإثبات للقدر أيضا ، فقالوا : بل لله على الكافر نعم دنيوية .

والقولان في عامة أهل الإثبات من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم .

قال هؤلاء : والقرآن قد دل على امتنانه على الكفار بنعمه ، ومطالبته إياهم بشكرها ، فكيف يقال ليست نعماً ؟ / قال تعالى ^(٢) : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا

ص ١٨٥

(١) في الأصل : تخصهم ، وهو تحريف .

(٢) في أعلى هذه الصفحة إلى اليسار كتب : « الخامس » .

نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ . جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ﴿ [سورة إبراهيم : ٢٨ ، ٢٩] إلى قوله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٢] إلى قوله : ﴿ وَإِنْ تَعْلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٤] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [سورة الإنسان : ٣] ، وكيف يكون كفورا من لم ينعم عليه بنعمه ؟

فالمراد لازم قول هؤلاء : أن الكفار لم يجب عليهم شكر الله إذ لم يكن قد أنعم عليهم عندهم . وهذا القول يُعلم فسادَه بالاضطرار من دين الإسلام ، فإن الله ذم الإنسان بكونه كفورا غير شكور ، إذ يقول : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ [سورة العاديات : ٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنَّا كَافُورًا . وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَه لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ﴾ [سورة هود : ٩ ، ١٠] .

وقد قال صالح عليه السلام لقومه : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمُ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمُ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ٧٤] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾ [سورة إبراهيم : ٢٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴾ [سورة النحل : ١١٢] .

[وقال] ^(١) الأولون : قد قال تعالى : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾

(١) زدت « وقال » ليستقيم الكلام .

والكفار لم يدخلوا في هذا العموم ، فعلم أنهم خارجون عن النعمة . وقال ^(١) تعالى في خطابه للمؤمنين : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [سورة طه : ٨١] وقال تعالى : ﴿ وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ﴾ [سورة آل عمران ١٠٣] ، ﴿ وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ ﴾ [سورة المائدة : ٧] ، وقال تعالى : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٢] .

وأما الكفار فخطبوا بها من جهة / ما هي تنعم ولذة وسرور ، ولم تسم ^(٢) في حقهم نعمة على الخصوص ، وإنما تسمى نعمة باعتبار أنها نعمة في حق عموم بني آدم ، لأن المؤمن سعد بها في الدنيا والآخرة ، والكافر يُنعم بها في الدنيا .

ظ ١٨٥

وذلك أن كفر الكافر نعمة في حق المؤمنين ، فإنه لولا وجود الكفر والفسوق والعصيان لم يحصل [جهاد المؤمنين للكفار وأمرهم الفساق والعصاة بالمعروف ونهيهم إياهم عن المنكر] ^(٣) ، ولولا وجود شياطين الإنس والجن لم يحصل للمؤمنين من بعض هذه الأمور ومعاداتها ومجاهداتها ومخالفة الهوى فيها ما ينالون به أعلى الدرجات وأعظم ^(٤) الثواب .

والإنسان فيه قوة الحب والبغض ، وسعاده في أن يحب ما يحبه الله ، ويبغض ما يبغضه الله ، فإن لم يكن في العالم ما يبغضه ويجهده أصحابه لم يتم إيمانه وجهاده ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [سورة الحجرات : ١٥] .

(١) في الأصل : قال .

(٢) في الأصل : ولم يسم .

(٣) ما بين المعقوفين زده ليستقيم الكلام .

(٤) في الأصل : وعظم .

قالوا : ولو كانت هذه اللذات نعماً مطلقة لكانت نعمة الله على أعدائه في الدنيا أعظم من نعمته على أوليائه . قالوا : ونعمة الله التي بدلوها كفراً هي إنزال الكتاب وإرسال الرسول ، حيث كفروا بها وجحدوا أنها حق ، كما قال عليه السلام ^(١) : « ألا [لا] ^(٢) فخر إني ^(٣) من قريش » ^(٤) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَوْمًا كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴾ [سورة النحل : ١١٢] ، هم الذين كفروا بما أنزل الله من الكتاب والرسول ، وتلك نعمة الله المعظمة . وقال تعالى : ﴿ أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٤٤] .

رأى ابن تيمية

وحقيقة الأمر أن هذه الأمور فيها من التمتع باللذة والسرور في الدنيا ما لا نزاع فيه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ [سورة غافر : ٧٥] ، وقال تعالى : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ

(١) في الأصل : كما قال على عليه السلام ، وهو تحريف .

(٢) زدت « لا » ليستقيم الكلام .

(٣) في الأصل : إن ، وهو تحريف .

(٤) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ ، ولكن جاءت أحاديث كثيرة فيها النص على أن النبي ﷺ من قريش ، منها الحديث الذي جاء في صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع (كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي ﷺ) ، يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » . وأورد هذا الحديث الترمذی في سننه ٢٤٤/٥ - ٢٤٥ (كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ : باب ما جاء في فضل النبي ﷺ) كما أورد أحاديث أخرى بنفس المعنى في نفس الباب . وأورد الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٤/٨ - ٢١٩ (كتاب علامات النبوة ، باب في كرامة أصله ﷺ) عدة أحاديث تنص على أن النبي ﷺ كان من قريش .

الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴿ [سورة الأحقاف : ٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ
أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾ [سورة المزمل : ١١] ، وقال تعالى : ﴿ ذَرُهُمْ يَأْكُلُوا
وَيَتَمَتَّعُوا وَلَهُمْ الْأَمَلُ ﴾ [سورة الحجر : ٣] ، / وقال تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [سورة الحديد : ٢٠] ، وهذا أمر محسوس .

ص ١٨٦

لكن الكلام في أمرين : أحدهما : هل هي نعمة أم لا ؟ والثاني : أن جنس
تنعم المؤمن في الدنيا بالإيمان وما يتبعه : هل هو مثل تنعم الكافر ، أو دونه ،
أو فوقه ؟ وهذه هي المسألة المقدّمة .

فأما الأول فيقال : اللذات في أنفسها ليست نفس فعل العبد ، بل قد
تحدث عن فعله مع سبب آخر ، كسائر المتولدات التي يخلقها الله تعالى بأسباب
منها فعل العبد .

لكن اللذات تارة تكون بمعصية من ترك مأمور ، أو فعل محظور ، كاللذة
الحاصلة بالزنا ، وبموافقة [الفسّاق] ^(١) ، وبظلم الناس ، وبالشرك ، والقول على الله
بغير علم . فهنا المعصية هي سبب للعذاب الزائد على لذة الفعل . لكن ألم
العذاب قد يتقدم ، وقد يتأخر ، وهي تشبه أكل الطعام الطيب الذي فيه من
السموم ما يُمرض أو يقتل . ثم ذلك العذاب يمكن دفعه بالتوبة وفعل حسنات
آخر ، لكن يقال : تلك اللذة الحاصلة بالمعصية لا تكون معادلة ^(٢) لها ما في
التوبة عنها والأعمال الصالحة من المشقة والألم . ولهذا قيل : ترك الذنب أمر من
التماس التوبة ، وقيل : رب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا .

(١) زدت كلمة « الفسّاق » ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : معاومة ، ولعل الصواب ما أثبتته .

لكن فعل التوبة والحسنات الماحية قد يُوجب من الثواب أعظم من ثواب ترك الذنب أولاً ، فيكون ألم التائب أشد من التارك إذا استويا من جميع الوجوه ، وثوابه أكثر . وكذلك لما ^(١) يكفر الله به الخطايا من المصائب مرارة تزيد ^(٢) على حلاوة المعاصي .

وتارة تكون اللذات بغير معصية من العبد ، لكن عليه أن يطيع الله فيها ، فيتجنب ^(٣) فيها ترك مأموره وفعل محظوره ^(٤) ، كما يؤتاه العبد من المال والسلطان ، ومن المآكل والمناكح التي ليست بمحرمة .

والله سبحانه أمر مع أكل الطيبات بالشكر ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٢] وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها » ^(٥) . وفي الأثر : « الطاعم الشاكر كالصائم الصابر » رواه ابن ماجه عن النبي ﷺ ^(٦) .

(١) في الأصل : ما . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) في الأصل : يزيد .

(٣) في الأصل : فيعصيه ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) في الأصل : ونقل محظوره ، وهو تحريف .

(٥) الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه - مع اختلاف يسير في الألفاظ - في : مسلم ٢٠٩٥/٤ (كتاب الذكر والدعاء ، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب) ؛ سنن الترمذي ١٧٢/٣ (كتاب الأطعمة ، باب في الحمد على الطعام إذا فرغ منه) ؛ المسند (ط . الحلبي) ١٠٠/٣ ، ١١٧ .

(٦) جاءت عبارات هذا الحديث عنواناً لأحد أبواب كتاب الأطعمة في البخاري ٨٢/٧ (كتاب الأطعمة ، باب الطاعم الشاكر مثل الصائم الصابر) وقال البخاري بعد ذلك : « فيه عن أبي هريرة عن =

وقد قال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ [سورة التكاثر : ٨] .

ولما ضاف النبي ﷺ أبا الهيثم بن التيهان وجلسوا في الظل ، وأطعمهم فاكهة ولحما ، وسقاهم ماء باردا ، قال : « هذا من / النعيم الذى تسألون عنه » (١) .

ظ ١٨٦

والسؤال عنه لطلب شكره ، لا لإثم فيه . فالله تعالى يطلب من عباده شكر نعمه ، وعليه (٢) أن لا يستعين بطاعته على معصيته ، فإذا ترك ما وجب عليه (٣)

= النبى ﷺ ، وشرح ابن حجر هذا الكلام فى فتح البارى ٥٨٢/٩ - ٥٨٣ فقال : « هذا الحديث من الأحاديث المعلقة التى لم تقع فى هذا الكتاب موصولة ، وقد أخرجه المصنف فى « التاريخ » والحاكم فى « المستدرک » من رواية سليمان بن بلال ولفظه : « إن للطاعم الشاكر من الأجر مثل ما للصائم الصابر » . ونص ابن حجر بعد ذلك على أن الحديث أخرجه من طرق مختلفة ابن ماجه وابن خزيمة والترمذى وابن حبان . والحديث فى : سنن ابن ماجه ٥٦١/١ (كتاب الصيام ، باب فيمن قال : الطاعم الشاكر كالصائم الصابر) عن أنى هريرة رضى الله عنه بلفظ : « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر » وعن سنان بن سنان الأسلمى رضى الله عنه ولفظه : « الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم الصابر » .

(١) هذا جزء من حديث طويل عن أنى هريرة رضى الله عنه فى : مسلم ١٦٠٩/٣ - ١٦١٠ (كتاب الأشربة ، باب جواز استباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك) وفى حديثه أن المضيف هو « الأنصارى » أو « رجل من الأنصار » . والحديث فى : سنن الترمذى ١٣/٤ - ١٤ (كتاب الزهد ، باب ما جاء فى معيشة أصحاب النبى ﷺ) . وأورد المنذرى الحديث فى الترغيب والترهيب ١٦٦/٥ - ١٦٧ وقال : « رواه مالك بلاغا باختصار ومسلم ، واللفظ له والترمذى بزيادة ، والأنصارى المهم هو أبو الهيثم بن التيهان بفتح المثناة فوق وكسر المثناة تحت وتشديدها ، كذا جاء مصرحا به فى الموطأ والترمذى ، وفى مسند أنى يعلى ومعجم الطبرانى من حديث ابن عباس أنه أبو الهيثم ، وكذا فى المعجم أيضا من حديث ابن عمر . وقد رويت هذه القصة من حديث جماعة من الصحابة مصرّح فى أكثرها بأنه أبو الهيثم ، وجاء فى معجم الطبرانى الصغير والأوسط وصحيح ابن حبان من حديث ابن عباس وغيره أنه أبو أيوب الأنصارى . والظاهر أن هذه القصة اتفقت مرة مع أنى الهيثم ، ومرة مع أنى أيوب ، والله أعلم » .

(٢) أى وعلى العبد .

(٣) فى الأصل : من .

نعمته من حق ، واستعان بها على محرم ، صار فعله بها وتركه لما فيها سببا للعذاب أيضا ، فالعذاب استحققه - بترك المأمور وفعل المحذور - على النعمة التي هي من فعل الله تعالى ، وإن كان فعله وتركه بقضاء الله وقدره : بعلمه ومشيتته وقدرته وخلقه .

فإن حقيقة الأمر أنه نعم العبد تنعيما ، وكان ذلك التنعيم سببا لتعذيبه أيضا ، فقد اجتمع في حقه تنعيم وتعذيب ، ولكن التعذيب إنما كان بسبب معصيته ، حيث لم يؤد حق النعمة ، ولم يتق الله فيها .

وعلى هذا ، فهذه التمتع هي نعمة من وجه دون وجه ، فليست من النعم المطلقة ، ولا هي خارجة عن جنس النعم مطلقها ومقيدها . فباعتبار ما فيها من التمتع يصلح أن يطلب حقها من الشكر وغيرها ، ويُنبى عن استعمالها في المعصية ، فتكون نعمة في باب الأمر والنهى ، والوعد والوعيد .

وباعتبار ^(١) أن صاحبها يترك فيها المأمور ويفعل فيها المحذور الذى يزيد عذابه على نعمها كانت وبالا عليه ، وكان أن لا يكون ذلك من حقه خيرا له من أن يكون ، فليست نعمة في حقه في باب القضاء والقدر ، والخلق والمشيئة العامة ، وإن كان ذلك يكون نعمة في حق عموم الخلق والمؤمنين ، وعلى هذا يظهر ما تقدم من خيرات الله ^(٢) ، فإن ذلك استدراج ، ومكر ، وإملاء .

وهذا الذى ذكرناه من ثبوت الإناعام بها من وجه ، وسلبه من وجه آخر ، مثل ما ذكر الله فى قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ

(١) فى الأصل : وباعتبار بها ، ورأيت أن « بها » زيادة من الناسخ .

(٢) فى الأصل : ما يقدم من خير الله . ولعل الصواب ما أثبت .

فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ . وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ . كَلَّا ﴿ [سورة الفجر : ١٥ - ١٧] ، فإنه قد أخبر أنه أكرمه ، وأنكر قول المبتلى : رَبِّي أَكْرَمَنِ ، واللفظ الذى أخبر الله به مثل اللفظ الذى أنكره الله من كلام المبتلى ، لكن المعنى مختلف . فإن المبتلى اعتقد أن هذه كرامة ^(١) مطلقة ، وهى النعمة : التى يقصد بها [أن] ^(٢) التَّعَمُّ إِكْرَامٌ له ^(٣) ، والإنعام بنعمة لا يكون سببا لعذاب أعظم منها ، وليس الأمر كذلك ، بل الله تعالى ابتلاه بها ابتلاءً ، ليتبين هل يطيعه فيها أم يعصيه ، مع علمه بما سيكون من الأمرين ، لكن العلم بما سيكون شىء ، وكون الشىء / والعلم به شىء .

ص ١٨٧

وأما قوله تعالى : ﴿ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ﴾ فإنه تكريم بما فيه من اللذات ، ولهذا قرنه بقوله : (وَنَعَّمَهُ) ، ولهذا كانت ^(٤) خوارق العادات التى تسميها العامة « كرامة » ليست عند أهل التحقيق كرامة مطلقا ، بل فى الحقيقة الكرامة هى : لزوم الاستقامة ، وهى طاعة الله ، وإنما هى مما يبتلى الله به عبده ، فإن أطاعه بها رفعه ^(٥) ، وإن عصاه بها خفضه ^(٦) ، وإن كانت من آثار طاعة أخرى ، كما قال تعالى : ﴿ وَالْوَّاسِقَاتُ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا . لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [سورة الجن : ١٦ ، ١٧] .

(١) فى الأصل : هذا اكرامه . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) زدت « أن » ليستقيم الكلام .

(٣) فى الأصل : إكرام عليه .

(٤) فى الأصل : كان .

(٥) فى الأصل : رفعة .

(٦) فى الأصل : حفظة .

وإذا كان في النعمة والكرامة هذان الوجهان ^(١) ، فهي من باب الأمر والشرع نعمة [يجب] ^(٢) الشكر عليها ، وفي باب الحقيقة القدريّة لم تكن ^(٣) لهذا الفاجر بها إلا فتنة وحنة استوجب بمعصية الله فيها العذاب ، وهي في ظاهر الأمر قبل أن يعرف حقيقة الباطن ابتلاء وامتحان ، يمكن أن تكون ^(٤) من أسباب سعادته ، ويمكن أن تكون من أسباب شقاوته ، وظهر بها جانب الابتلاء بالمر ، فإن الله يبتلي بالخلو والمر ، كما قال تعالى : ﴿ وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٥] ، وقال : ﴿ وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٨] .

فمن ابتلاه الله بالمر : بالبأساء والضراء والبأس ، وقدر عليه رزقه ، فليس ذلك إهانة له ، بل هو ابتلاء . فإن أطاع الله في ذلك كان سعيدا ، وإن عصاه في ذلك كان شقيا ، كما كان مثل ذلك ^(٥) سببا للسعادة في حق الأنبياء والمؤمنين ، وكان شقاء وسببا للشقاء في حق الكفار والفجار .

وقال تعالى : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٧] وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ﴾ [سورة البقرة : ٢١٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى

(١) في الأصل : هذين الوجهين ، وهو خطأ .

(٢) زدت « يجب » ليستقيم الكلام .

(٣) في الأصل : يكن ، وهو تحريف .

(٤) في الأصل : يكون .

(٥) في الأصل : كما كان ذلك مثل ذلك .

النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿
[سورة التوبة : ١٠١] وقال تعالى : ﴿ وَلَنَذِيقَنَّ هُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَذْيِ دُونَ الْعَذَابِ
الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة السجدة : ٢١] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم
بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٧٦] .

وكما أن الحسنات ، وهى المسار ^(١) الظاهرة التى يبتلى بها العبد ، تكون عن طاعات فعلها العبد ، فكذلك السيئات ، وهى المكارة التى يُبتلى بها العبد ، تكون عن معاصى فعلها العبد . كما قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ ﴾ [سورة النساء : ٧٩] .

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [سورة آل عمران : ١٦٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [سورة الشورى : ٣٠] .

وقال تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ ﴾ [سورة النساء : ٦٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ [سورة الشورى : ٤٨] .

ثم تلك المسار ، التى هى من ثواب طاعته ، إذا عصى الله فيها كانت / سببا لعذابه ، والمكارة التى هى عقوبة معصيته إذا أطاع الله فيها كانت سببا

ظ ١٨٧

(١) فوق كلمة « المسار » كتب فى الأصل : « كذا » . والمقصود بها الأمور السارة .

لسعادته ، فتدبر هذا لتعلم أن الأعمال بخواتيمها ، وأن ما ظاهره نعمة هو لذة عاجلة قد تكون سببا للعذاب ، وما ظاهره عذاب وهو ألم ^(١) عاجل قد يكون ^(٢) سببا للنعم . وما هو طاعة - فيما يرى الناس - قد يكون سببا لهلاك العبد برجوعه عن الطاعة ، إذا ابتلى في هذه ^(٣) الطاعة ، وما هو معصية - فيما يرى الناس - قد يكون سببا لسعادة العبد بتوبته منه ، وتصبره على المصيبة ، التي [هي] ^(٤) عقوبة ذلك الذنب .

فالأمر والنهي يتعلق بالشئ الحاصل ، فيؤمر العبد بالطاعة مطلقا ، وينهى عن المعصية مطلقا ، ويؤمر بالشكر على كل ما يتنعم به .

وأما القضاء والقدر ، وهو ^(٥) علم الله وكتابه ، وما طابق ذلك من مشيئته وخلقه ، فهو باعتبار الحقيقة الآجلة ، فالأعمال بخواتيمها ، والمنعم عليهم في الحقيقة هم الذين يموتون على الإيمان .

وقد يُذكر تنازع الناس في هذا الباب :

فالمثبتة للقضاء والقدر من متكلمة أهل الإثبات وغيرهم يلاحظون القدر من علم الله وكتابه ومشيئته وخلقه ، وقد يعرضون عما جاء به الأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، وعن الحكمة العامة ، وما في تفصيل ذلك من الحكم الخاصة .

(١) في الأصل : المر . وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته ، أو يكون : مر .

(٢) في الأصل : تكون .

(٣) في الأصل : في بره ، وهو تحريف .

(٤) زدت « هي » ليستقيم الكلام .

(٥) في الأصل : هو .

وأما من لم يلاحظ إلا الأمر والنهي والوعد والوعيد فقط من القدرية ومن ضاهاهم في حاله ، فقد كفر بما وجب عليه الإيمان به من خلق الله وكتابه ومشيئته ، وتديروا لعباده المؤمنين الذين سبقت لهم منه الحجة بتدبير^(١) خاص ، ومن قضائه على الكفار بما هو فيه عدل سبحانه ، كما في الحديث المرفوع : « ماضٍ فينا أمرٌك ، عدلٌ فينا قضاؤُك »^(٢) ، ولا يظلم ربك أحداً .

وإذا عُرف أن كل واحد من الابتلاء بالسراء والضراء قد يكون في باطن الأمر مصلحة للعبد أو مفسدة له ، وأنه إن أطاع الله بذلك كان مصلحة له ، وإن عصاه كان مفسدة له - تبين أن الناس أربعة أقسام : منهم من يكون صلاحه على السراء ، ومنهم من يكون صلاحه على الضراء ، ومنهم من يصلح على هذا وهذا ، ومنهم من لا يصلح على واحد منهما .

(١) في الأصل : بتدبير .

(٢) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ، ولكن جاء الحديث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في المسند مرتين (ط . المعارف) ٢٦٧/٥ - ٢٦٨ ، ١٥٣/٦ - ١٥٤ ، ونصه في الموضع الأول « عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أصاب أحداً قط همٌّ ولا حزنٌ فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدلٌ فيَّ قضاؤُك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهب همي ، إلا أذهب الله همَّه وحزنه ، وأبدله مكانه فرجاً » . قال : فقيل : يا رسول الله ألا تتعلمها ؟ فقال : « بلى ، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها » .

وصحح الشيخ أحمد شاكر الحديث وأشار إلى وجوده في مجمع الزوائد ١٣٦/١٠ وفي المستدرک للحاكم ٥٠٩/١ - ٥١٠ . وانظر بقية ما ذكره الشيخ أحمد شاكر عن الحديث .

وأول الحديث في الموضع الثاني ١٥٣/٦ - ١٥٤ : « ما قال عبد قط إذا أصابه همٌّ وحزنٌ إلخ وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٦/١٠ - ١٣٧ الحديث بمعناه عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه وأوله : « من أصابه همٌّ أو حزنٌ الحديث وقال عنه : « رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه » ونقل الناشر في الهامش تعليق ابن حجر : « قلت : هذا الحديث أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي من رواية عبد الجليل بهذا الإسناد ، فلا وجه لاستدراكه - ابن حجر » .

والإنسان الواحد قد تجتمع له هذه الأحوال الأربعة في أوقات متعددة ،
أو في وقت واحد باعتبارها ^(١) أنواع يبتلى بها .

وقد جاء في الحديث المرفوع : « إن من عبادى من لا يصلحه إلا الغنى ،
ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادى من لا يصلحه إلا الفقر ، ولو أغنيته
لأفسده ذلك ، وإن من عبادى من لا يصلحه إلا السقم ، ولو أصححته لأفسده
ذلك ، وذلك أنى أدبر عبادى ، إني بهم خبير بصير » ^(٢) .

فكما أن التمتع العاجل ليس بنعمة في / الحقيقة ، قد يكون في الحقيقة بلاء وشرا
باعتبار ^(٣) المعصية فيه . والطاعة المتقدمة قد تكون حابطة وسببا للشر باعتبار
ما يعقبها ^(٤) من ردة وفتنة ^(٥) ، فكذلك التألم العاجل قد يكون ^(٦) في الحقيقة
خيرا أو نعمة ، والمعصية المتقدمة قد تكون سببا للخير باعتبار التوبة والصبر على
ما تعقبه من مصيبة ^(٧) ، لكن تتبدل ^(٨) الطاعة والمعصية .

وهذا يقتضى أن العبد محتاج في كل وقت إلى الاستعانة بالله على طاعته ،
وتثبيت قلبه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) في الأصل : با غيار .

(٢) لم أجد هذا الحديث .

(٣) في الأصل : فاعتبار ، وهو تحريف .

(٤) في الأصل : ما يتعقبه ، وهو تحريف .

(٥) في الأصل : وفتنته ، وهو تحريف .

(٦) في الأصل : تكون .

(٧) في الأصل : محبة ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٨) في الأصل : تبدل . ولعل الصواب ما أثبتته .

حال الإنسان
عند السراء والضراء

وذلك أن الإنسان ^(١) هو كما وصفه الله بقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا
الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُوفُوسٌ كَفُورٌ . وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ
ضُرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ [سورة هود : ٩ ، ١٠] .
وقال تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
كَبِيرٌ ﴾ [سورة هود : ١١] .

فأخبر أنه عند الضراء بعد السراء ، يئأس من زوالها في المستقبل ، ويكفر
بما ^(٢) أنعم الله به عليه قبلها ، وعند النعماء بعد الضراء يأمن من عود
[الضراء] ^(٣) في المستقبل ، وينسى ما كان فيه بقوله : ﴿ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي
إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ [سورة هود : ١٠] : على غيره ، يفخر عليهم بنعمة الله عليه .
وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً . وَإِذَا مَسَّهُ
الْخَيْرُ مَنُوعاً ﴾ [سورة المعارج : ١٩ - ٢١] فأخبر أنه جزوع عند الشر لا يصبر عليه ،
منوع عند الخير ييخل به .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٤] ، وقال تعالى :
﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ [سورة العاديات : ٦] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا
جَهُولًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٧٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ [سورة الإسراء :
١٠٠] ، وقال : ﴿ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴾ [سورة فصلت : ٤٩] ، وقال تعالى :
﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ اأَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ [سورة الإسراء : ٦٧] .

(١) في الأصل : الاثنين ، وهو تحريف ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) في الأصل : ما .

(٣) زدت كلمة « الضراء » لتستقيم العبارة .

وقد وصف المؤمنين بأنهم صابرون في البأساء والضراء وحين البأس ، حال المؤمن عندهما والصابرون في النعماء أيضا بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [سورة هود : ١١] والصبر في السراء قد يكون أشد ، ولهذا قال من قال من الصحابة : « ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر » .

وكان النبي ﷺ يستعيز بالله من فتنه الفقر وشر فتنه الغنى ^(١) . وقال لأصحابه : « والله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخاف أن تُبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم ، فتتنافسوا فيها كما تنافسوا فيها ، وتهلككم كما أهلكتهم » ^(٢) .

(١) أورد ابن الأثير الجزري في « جامع الأصول » ١٢٢/٥ (ط . السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٧٠ / ١٩٥٠) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهَرَم والمَقَرَم ، ومن فتنه القبر وعذاب القبر ، ومن فتنه النار وعذاب النار ، ومن شر فتنه الغنى ، ومن شر فتنه الفقر الحديث ، وقال ابن الأثير إن الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ، وذكر أن في رواية أبي داود : أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات : « اللهم إني أعوذ بك من فتنه النار وعذاب القبر ، ومن شر الغنى والفقر » .

(٢) الحديث عن عمرو بن عوف رضي الله عنه ونصه في : البخاري ٩٠/٨ (كتاب الرقاق ، باب ما يُحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأقي بجزيتهما ، وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي ، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين ، فسمعت الأنصار بقدومه ، فوافته صلاة الصبح مع رسول الله ﷺ ، فلما انصرف تعرضوا له ، فتبسم حين رآهم ، وقال : « أظنكم سمعتم بقدوم أبي عبيدة وأنه جاء بشيء ؟ » قالوا : أجل يا رسول الله . قال : « فأبشروا وأملوا ما يسركم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكنني أخشى أن تُبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم ، فتتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلقتهم » . وجاء الحديث عنه أيضا في : البخاري ٩٦/٤ - ٩٧ (كتاب الجزية ، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب) ، ٨٤/٥ - ٨٥ (كتاب المغازي ، باب حدثني خليفة حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري) ؛ مسلم ٢٢٧٣/٤ - ٢٢٧٤ (كتاب الزهد والرقائق ، الباب الأول) ؛ سنن الترمذي ٥٦/٤ (كتاب صفة القيامة ، باب حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس) ؛ سنن ابن ماجه ١٣٢٤/٢ - ١٣٢٥ (كتاب الفتن ، باب فتنه المال) ؛ المسند (ط . الحلبي) ١٣٧/٤ ، ٣٢٧ .

فمن لم يتصف بحقيقة الإيمان هو إما قادر وإما عاجز . فإن كان قادرا أظهر ما في نفسه بحسب قدرته من : الفواحش ، والإثم ، والبغى ، والإشراك بالله ، والقول عليه بغير علم ، ومن ترك القسط ، وترك إقامة الوجه عند كل / مسجد ، ودعاء الله مخلصا له الدين ، ثم يكون شرهم بحسب كل منهم ، من حيث نفوسهم وقدرتهم^(١) ، فإن العبد لا يفعل إلا بقدرته وإرادة ، فمن كان أقدر وأفجر كان أمره أشد ، كفرعون وأمثاله من الجبارين المتكبرين ، لا يصبرون عن أهوائهم ، ولا يتقون الله .

ظ ١٨٨

وأما المؤمن فإنه مع قدرته يفعل ما أمر الله به من البر والتقوى ، دون ما نهى عنه من الإثم والعدوان .

ثم أولئك الذين لم يتصفوا بحقيقة الإيمان - بل فيهم من الفجور كفر أو نفاق أو فسوق ما فيهم - إذا كانوا عاجزين عن إرادتهم ، لا يقدرّون على أهوائهم بنوع من أنواع القدرة ، تجدهم أذل الناس وأطوع الناس لمن^(٢) يستعملهم في أغراضهم ، وأجزع الناس لما أصابهم ، ذلك أنه ليس في قلوبهم من الإيمان ما يعتاضون به ، وتستغنى به نفوسهم ، ويصبرون به عما لا يصلح لهم .

وهذه حال الأمم البعيدين عن العلم والإيمان ، كالترك التتار [والعرب]^(٣) في جاهليتهم ، فإنهم أعز الناس إذا قدروا ، وأذل الناس إذا قهروا .

(١) في الأصل : بحسب أمر من حيث نفوسهم وقدرتهم . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) في الأصل : من .

(٣) زدت كلمة « والعرب » لتستقيم العبارة .

وأما المؤمنون ، فكما قال تعالى لهم وقد غلبوا : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٣٩] ، فهم الأعلىون إذا كانوا مؤمنين ولو غلبوا .

وقال كعب بن زهير ^(١) في صفة الصحابة :

ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم يوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا ^(٢)

وهذا كان المشروع في حق كل ذى إرادة فاسدة من الفواحش والظلم والشرك والقول بلا علم - أحد أمرين : إما إصلاح إرادته ، وإما منع قدرته ، فإنه إذا اجتمعت القدرة مع إرادته الفاسدة حصل الشر .

وأما ذو الإرادة الصالحة فتؤيد قدرته حتى يتمكن من فعل الصالحات ، وذو القدرة الذى لا يمكن سلب قدرته يسعى في إصلاح إرادته بحسب الإمكان . فالمقصود تقوية الإرادة الصالحة والقدرة عليها بحسب الإمكان ، وتضعيف الإرادة الفاسدة والقدرة معها بحسب الإمكان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وهذا مما يظهر به حسن حال المؤمن وترجحه في النعيم واللذة على الكافر في الدنيا قبل الآخرة ، وإن كانت الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر .

المؤمن أرجح في النعيم
واللذة من الكافر في
الدنيا قبل الآخرة
وإن كانت الدنيا سجن
المؤمن وجنة الكافر

(١) في الأصل : ابن مالك ، والتصويب في هامش الأصل : « صوابه ابن زهير » .

(٢) البيت في شرح ديوان كعب بن زهير ، صنعة أبى الحسن بن الحسين السكرى ، ص ٢٥ ، ط . دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٩/١٩٥٠ ولكنه فيه :

لا يفرحون إذا نالت رماحهم قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا

وأورد ابن تيمية البيت في كتاب « الاستقامة » ٢/٢٧٤ (وانظر ت ٢) .

فأما ما وُعد به المؤمن بعد الموت من كرامة الله [فإنه] ^(١) تكون الدنيا ^(٢) بالنسبة إليه سجنًا ، وما للكافر بعد الموت من عذاب الله [فإنه] ^(٣) تكون الدنيا جنة ^(٤) بالنسبة إلى ذلك .

وذلك أن الكافر صاحب الإرادة الفاسدة إما عاجز وإما قادر ، فإن كان عاجزًا تعارضت إرادته [وقدرته] حتى لا يمكنه الجمع بينهما ، [وإن كان قادرًا أقبل على الشهوات وأسرف في] التذاذه بها ولا يمكنه تركها ^(٥) .

/ ولهذا تجد القوم ^(٦) من الظالمين أعظم الناس فجورًا وفساداً ^(٧) وطلبًا لما يروّحون به أنفسهم من مسموع ومنظور ومشموم ومأكول ومشروب ، ومع هذا فلا تطمئن ^(٨) قلوبهم بشيء من ذلك ، هذا فيما ينالونه ^(٩) من اللذة ، وأما

ص ١٨٩

(١) زدت « فإنه » ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : تكون في الدنيا .

(٣) زدت « فإنه » ليستقيم الكلام .

(٤) في الأصل : تكون في الدنيا جنته .

(٥) في الأصل اضطربت السطور الأخيرة وجاء الكلام فيها ناقصًا محرفًا هكذا : « وذلك أن الكافر صاحب الإرادة الفاسدة إما قادر وإما عاجز (وتحتها علامة التقديم والتأخير) فإن كان قادرًا تعارضت إرادته حتى لا يمكنه الجمع بينهما وسهاون حتى يقلد التذاذه بها أو يعدم ولا يمكنه تركها » . ولعل ما أثبتته هو أقرب شيء إلى الصواب إن شاء الله .

(٦) في الأصل : القول ، وهو تحريف .

(٧) في الأصل : صحو وبلا ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٨) في الأصل : بتطمين ، وهو تحريف .

(٩) في الأصل : يتناولونه ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته .

ما يخافونه من الأعداء ، فهم أعظم الناس خوفاً ، ولا عيشة لخائف . وأما العاجز منهم فهو في عذاب عظيم ، لا يزال في أسف على ما فاتته وعلى ما أصابه .

وأما المؤمن فهو مع قدرته له من الإرادة الصالحة والعلوم النافعة ما يوجب طمأنينة قلبه وانشرح صدره بما يفعله من الأعمال الصالحة ، وله من الطمأنينة وقرة العين ما لا يمكن وصفه ، وهو مع عجزه أيضاً [له] ^(١) من أنواع الإرادات الصالحة والعلوم النافعة التي يتنعم بها ما لا يمكن وصفه .

لذات أهل البر
أعظم من لذات
أهل الفجور

وكل هذا محسوس مجرب ، وإنما يقع غلط أكثر الناس أنه قد أحس بظاهري من لذات أهل الفجور وذاقها ، ولم يذق لذات أهل البر ولم يخبرها ، ولكن أكثر الناس جهال ، كما لا يسمعون ولا يعقلون ، وهذا الجهل لعدم شهود حقيقة الإيمان ووجود حلاوته وذوق طعمه ، انضم إليه أيضاً جهل كثير من المتكلمين في العلم بحقيقة ما في أمر [الله] ^(٢) من المصلحة والمنفعة ، وما في خلقه أيضاً لعبده المؤمن من المنفعة والمصلحة ، فاجتمع الجهل ^(٣) بما أخبر الله به من خلقه وأمره ، وما أشهده عباده من [حقيقة الإيمان] ووجود [حلاوته] ^(٤) مع ما في النفوس من الظلم ، مانعاً للنفوس من عظيم نعمة الله وكرامته ورضوانه ، موقعاً لها في بأسه وعذابه وسخطه .

(١) زدت « له » ليستقيم الكلام .

(٢) زدت لفظ الجلالة لتستقيم العبارة .

(٣) في الأصل : فاجتمع أهل الجهل ، وهو خطأ .

(٤) في الأصل العبارات محرفة مضطربة هكذا : « وما أشهده عباده من موجوده بمكان هذا الجهل » ولعل الصواب ما أثبتته .

لما خاض الناس
في مسائل القدر
ابتدع طوائف منهم
مقالات مخالفة
للكتاب والسنة :
بدع القدرية

وذلك أن الناس لما خاضوا في مسائل القدر ، ولم يخلق الله ويأمر ، ونحو ذلك ، بغير هدى من الله ، فرّقوا دينهم وكانوا شيعا .

فزعم فريق أنه لا يخلق أحدا من الأشخاص إلا لأجل مصلحة المخلوق / ولا يأمره إلا لأن أمره مصلحة له أيضا ، وإنما العبد هو الذى صرف عن نفسه المصلحة وفعل المفسدة ^(١) بغير قدرة الرب وبغير مشيئته ، وهم إنما قصدوا بها تنزيه الرب عن الظلم والعيب ، ووصفه بالحكمة والعدل والإحسان ، لكن سلبوه علمه ^(٢) وقدرته وكتابته ^(٣) وخلقته ، ونفوا ^(٤) مشيئته وعمومها .

فقال قوم منهم : إنه لا يعلم ولا يكتب ما يكون من العباد حتى يفعلوه ^(٥) .

وقال آخرون : بل علم ذلك وعلم أنهم لا يطيعونه ، ولا يفعلون إلا ما يضرهم ، ومع هذا فقصد تعريفهم بالخلق والأمر للمنفعة الخالصة الدائمة .

فقال لهم الناس : من علم أن مقصوده من الخير لا يكون ، وقد سعى في حصوله بمنتهى قدرته ، كان من أجهل الفاعلين وأسفهم ، فزهوه عن قليل من السفه بالتزام ما هو أكثر منه ، وزعموا أنه لا يقدر إلا على ما فعل بهم ، فسلبوه قدرته .

(١) في الأصل : « وإنما العبد هو الذى صرف عن نفسه مصلحة وفعل مفسد مشقة » وهى عبارات محرفة ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) في الأصل : عمله ، وهو تحريف ، واحسب أن الصواب ما أثبتته .

(٣) في الأصل : وكتابه ، وهو تحريف ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) في الأصل : ونقود ، وهو تحريف ، وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته .

(٥) في الأصل : حتى فعلوه ، وهو خطأ .

بدع طائفة من
أهل الإثبات

فرد على هؤلاء طائفة من أهل الإثبات ، فأثبتوا عموم قدرته وعموم مشيئته وخلقه وعلمه القديم ، وكل هذا حسن موافق للكتاب والسنة ، وهو مع تمام الإيمان القدر : بعلم الله القديم ، ومشيئته ، وخلقه ، وقدرته على كل شيء ، لكن ضموا إلى ذلك أشياء ليست من السنة .

فإنه من السنة أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وألا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون ، وأنه يأمر العباد بطاعته ، ومع هذا يهدى من يشاء ويضل من يشاء ، كما قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة يونس : ٢٥] .

فزعوا مع ذلك أنه يخلق الخلق لا لحكمة في خلقهم ، ولا لرحمته لهم ، بل قد يكون خلقهم ليضرهم ^(١) كلهم ، وهذا عندهم حكمة ، فلم ينزهه عما نزه [عنه] ^(٢) نفسه من الظلم ، حيث أخبر أنه إنما يجزي الناس بأعمالهم ، وأنه لا يزر وازرة وزر أخرى ، وأنه من يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً .

بل زعموا أن كل مقدور عليه فليس بظلم ، مثل تعذيب الأنبياء والمرسلين ، وتكريم الكفار والمنافقين ، وغير ذلك مما نزه الله نفسه عنه ، فلم يكن الظلم الذي نزه الله نفسه عنه حقيقة عند هؤلاء ، إذ كل ما يمكن ويقدر عليه فليس بظلم . فقله تعالى : ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ ﴾ [سورة غافر : ٣١] / عندهم : لا يريد ^(٣) ما لا يكون ممكناً مقدوراً عليه ، وهو عندهم ^(٤) لا يقدر

(١) في الأصل : لنصرهم ، وهو تحريف ، وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته .

(٢) زدت « عنه » ليستقيم الكلام .

(٣) في الأصل : عندهم فقله قوله لا يريد . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) في الأصل : وهو عندهم عليه وهو عندهم ولعل الصواب ما أثبتته .

على الظلم حتى يكون تاركاً له ، وزعموا أنه قد يأمر العباد بما لا يكون مصلحة لهم ولا لواحد منهم ، لا يكون الأمر مصلحة ، ولا يكون فعل المأمور به مصلحة ، بل قد يأمرهم بما إن فعلوه ^(١) كان مضرة لهم ، وإن لم يفعلوه عاقبهم [به] ^(٢) ، فيكون العبد فيما يأمره به بين ضررين : ضرر إن أطاع ، وضرر إن عصى . ومن كان كذلك كان أمره للعباد مضرة لهم ، لا مصلحة لهم .

وقالوا : يأمر بما يشاء ، وأنكروا أن يكون في الأحكام الشرعية من العلل المناسبة للأحكام من جلب المنافع ودفع المضار ما تبقى [الأحكام] الشرعية ^(٣) ممكنة به ، حتى كان منهم من دفع علل الأحكام بالكلية ، ومنهم من قال : العلل مجرد علامات ودلالات على الحكم ، لأنها أمور تناسب الحكم وتلائمه ، وهو يجوزون مع هذا ألا يكون للعبد ثواب ومنفعة في فعل المأمور به ، لكن لما جاءت الشريعة بالوعد قالوا ^(٤) هو موعود بالثواب الذي وُعد به ، وربما قالوا : إنه في الآخرة فقط ، فإن الفعل المأمور به قد ^(٥) لا يكون [فيه] ^(٦) مصلحة للعباد ولا منفعة لهم بحال ، ولا يكون فيه ^(٧) تنعم لهم ولا لذة بحال ، بل قد يكون مضرة لهم ومفسدة في حظههم ، ليس فيه ما ينفعهم ^(٨) ، ومعلوم أنه إذا اعتقد المرء

(١) في الأصل : بما به إن فعلوه .

(٢) زدت « به » لتستقيم العبارة .

(٣) في الأصل : ما هي الشرعية . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) في الأصل : قال .

(٥) في الأصل : فقد .

(٦) زدت « فيه » لتستقيم العبارة .

(٧) في الأصل كأن العبارة : فلا يكون لله ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٨) في الأصل كأنها : يؤلمهم ، ولعل الصواب ما أثبتته .

[أن] ^(١) طاعة الله ورسوله فيما أمراه [به] ^(٢) قد لا يكون [فيها] ^(٣) مصلحة له ولا منفعة ، ولا فيها تنعم ولا لذة ^(٤) ولا راحة ، بل يكون [فيها] ^(٥) مفسدة له ومضرة عليه ، وليس فيها إلا ألمه ^(٦) وعذابه - كان هذا من أعظم الصوارف له عن فعل ما أمر الله به ورسوله ، ثم إن كان ضعيف الإيمان بالوعد والوعد ترك الدين بالكلية ، وإن كان مؤمنا بالوعد صارت دواعيه مترددة بين هذا العذاب وذلك العذاب ، وإن كان مؤمنا بوعد الآخرة فقط اعتقد أنه لا تكون له ^(٧) في الدنيا مصلحة ولا منفعة ^(٨) ، بل [لا] ^(٩) تكون المصلحة والمنفعة في الدنيا إلا لمن كفر أو فسق وعصى .

ظ ١٩٠

الرد عليهم

وهذا أيضا وإن كان / هو غاية حال هؤلاء ، فهو مما يصرف النفوس عن طاعة الله ورسوله ، ويبقى العبد المؤمن متردد الدواعي بين هذا وهذا . وهو لا يخلو من أمرين : إما أن يرجح جانب الطاعة التي يستشعر أنه ليس فيها طول عمره له مصلحة ولا منفعة ولا لذة ، بل عذاب وألم ، بل مفسدة ومضرة ، وهذا لا يكاد يصبر عليه أحد .

(١) زدت « أن » ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : فيما أمره ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) زدت « فيها » ليستقيم الكلام .

(٤) في الأصل : لعذبه ، وهو تحريف ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٥) زدت « فيها » ليستقيم الكلام .

(٦) في الأصل كأنها : ليس فيها إله ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٧) في الأصل : في الآخرة فقط ثم فرح أنه يكون له ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٨) في الأصل : مصلحة بلا منفعة ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٩) زدت « لا » ليستقيم الكلام .

وإما أن يرجع جانب المعصية تارة أو تارات أو غالبا ، ثم إن أحسن أحواله مع ذلك أن ينوى التوبة قبيل موته .

ولا ريب إن كان ما قاله هؤلاء حقا فصاحب هذه الحال أكيس وأعقل ممن مَحَضَّ طاعة الله طول عمره ، إذ أن هذا ^(١) سلم من عذاب ذلك المطيع في الدنيا ، ثم إنه بالتوبة أحبط عنه العقاب ، وأبدل الله سيئاته بالحسنات ، فصارت جميع سيئاته حسنات ، فصار ثوابه في الآخرة قد يكون أعظم وأعظم من ثواب ذلك المطيع الذى مَحَضَّ الطاعة ، ولو كان ثوابه دون ثواب ذلك ^(٢) لم يكن التفاضل بينهم إلا كتفاضل أهل الدرجات في الجنة ، وهذا مما يختاره أكثر الناس على مكابدة العذاب والشقاء والبلاء بطول العمر ، إذ هو أمر لا يصبر عليه أحد ، فإن مصابرة العذاب ستين أو سبعين سنة بلا مصلحة ولا منفعة ولا لذة أمر ليس هو من جِبِلَّةِ الأحياء ، إذا جَوَّزُوا أن لا يكون فى شىء من طاعة الله مصلحة ولا منفعة طول عمره .

وهؤلاء يجعلون العباد مع الله بمنزلة الأجراء مع المستأجرين ، كأن الله استأجرهم طول مقامهم فى الدنيا ليعملوا ما لا ينتفعون به ، ولا فيه لربهم منفعة ، ليعوضهم مع ذلك بعد الموت بأجرتهم ، وفى هذا من تشبيه الله ^(٣) بالعاجز الجاهل السفیه ما يجب تنزيه الله عنه ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

(١) فى الأصل : إذا هنا ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) فى الأصل : ولو كان ثوابه دون ذلك ثواب ذلك . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) فى الأصل : أمر السنة لله ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته .

والحق الذى يجب اعتقاده أن الله سبحانه إنما أرسل رسوله رحمة للعالمين ، المقالة الصحيحة لأهل السنة والجماعة ص ١٩١
وأن لإرسال الرسل وإنزال الكتب / رحمة عامة للخلق أعظم من إنزال المطر وإفلاح البذر ، وإن يحصل بهذه الرحمة ضرر لبعض النفوس ^(١) .

ثم إنه سبحانه - كما قال قتادة وغيره من السلف : لم يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليه ، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلافه ^(٢) ، بل أمرهم بما فيه صلاحهم ، ونهاهم عما فيه فسادهم .

وفي الحديث الصحيح ، حديث أبى ذر عن النبى ﷺ : « يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ، يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد يسألوني فأعطيت كل إنسان منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئا إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه الخيط غمسة واحدة ، يا عبادى إنما هي أعمالكم ترد عليكم ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » ^(٣) .

(١) في الأصل : وأن يحصل بهذه الرحمة نصر (بدون نقط) وبعض النفوس ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) في الأصل : بخلافه ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) الحديث عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه في : مسلم ١٩٩٤/٤ (كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم) ، وسبق هذا الحديث في المجموعة الأولى ، ص ١٤٨ وعلقت عليه هناك (ت ١) .

رفع الله الحرج
عن المؤمنين

وقال تعالى في وصف النبي الأُمِّي : ﴿ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٧] .

وقال تعالى لما ذكر (١) الوضوء : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٦] .
فأخبر أنه لا يريد أن يجعل علينا من حرج فيما أمرنا به ، وهذه نكرة مؤكدة بحرف « مِنْ » (٢) ، فهي تنفي كل حرج ، وأخبر أنه إنما يريد تطهيرنا وإتمام نعمته علينا .

وقال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [سورة الحج : ٧٨] ، فقد أخبر أنه ما جعل علينا في الدين من حرج نفيا عاما مؤكدا ، فمن اعتقد أن فيما أمر الله به مثقال ذرة من حرج فقد كذب الله ورسوله ، فكيف بمن اعتقد [أن] (٣) المأمور به قد يكون فسادا وضرا لا منفعة فيه ولا مصلحة لنا ، ولهذا [لما] (٤) لم يكن فيما أمر الله ورسوله حرج علينا ، لم يكن الحرج من ذلك إلا من النفاق ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [سورة النساء : ٦٥] .

ظ ١٩١

(١) في الأصل : لما ذكروا .

(٢) في الأصل : وهذه يكره مور كده بحرف من . وفوق حرف « من » كتب « كذا » . وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته .

(٣) زدت « أن » ليستقيم الكلام .

(٤) زدت « لما » لتستقيم العبارة .

وقال الله تعالى فيما أمر به من الصيام : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [سورة البقرة : ١٨٥] ، فإذا كان لا يريد فيما أمرنا به ما يعسر علينا ، فكيف يريد ما يكون ضررا وفسادا لنا بما أمرنا به إذا أطعناه فيه ؟

ثم إنه يكون قد أخبر أن الإيمان والطاعة خير من الكفر والمعصية للعبد في الدنيا والآخرة ، وإن كان لجهله يظن أن ذلك خير له ^(١) في الدنيا ، كما يقوله هؤلاء الذين فهم جهل ونفاق ، الذين قد يقولون : إن المأمور به قد لا يكون فيه للعبد مصلحة ولا منفعة طول عمره ، بل يكون ذلك في المنهى عنه ، فقال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة :

٢١٦] .

وقال تعالى عن الذين اتبعوا : ﴿ مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ ﴾ إلى قوله ﴿ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٢] فأخبر أنهم يعلمون أن هذه الأمور لا تنفع ^(٢) بعد الموت ، بل لا يكون لصاحبها نصيب في الآخرة ، وإنما طلبوا بها منفعة الدنيا ، وقد يسمون ذلك العقل المعيشي ، أى العقل الذى يعيش به الإنسان في الدنيا عيشة طيبة ، فقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٣] ، فأخبر أن أوليائه ^(٣) الذين آمنوا وكانوا يتقون ، ينهم ^(٤) على

(١) في الأصل : خيرا له ، وهو خطأ .

(٢) في الأصل : لا ينفع .

(٣) في الأصل : أوليائه ، وهو خطأ .

(٤) في الأصل : يبهيم ، وهو تحريف .

[أن في] ^(١) ذلك ما هو خير لهم مما طلبوه في الدنيا لو كانوا يعلمون ، فيحصل لهم في الآخرة ^(٢) من الخير الذي هو المنفعة ودفع المضرة ما هو أعظم مما يحصلوه / بذلك من خير الدنيا . ص ١٩٢

كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة يوسف : ٥٦] ، ثم قال : ﴿ وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [سورة يوسف : ٥٧] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَتَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٤٧ ، ١٤٨] ^(٣) . وقال عن إبراهيم : ﴿ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [سورة النحل : ١٢٢] .

وقد قال تعالى ما يبين به أن فعل المكروه من المأمور خير من تركه في الدنيا أيضا . قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا . وَإِذْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا . وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [سورة النساء : ٦٦ - ٦٨] .

(١) زدت عبارة « أن في » ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : في الدنيا ، وهو خطأ . وأجوا أن يكون الصواب ما أثبتته .

(٣) سقطت كلمة « الكافرين » من الأصل .

وهذا في سياق حال ﴿ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [سورة النساء : ٦٠] ، وهؤلاء منافقون من أهل الكتاب .

والمشركون حالهم أيضا شبيهه ^(١) بحال الذين نبذوا كتاب الله وراءهم ظهريا كأنهم لا يعلمون : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٢] ، فإن أولئك عدلوا عما في كتاب الله إلى اتباع الجبت ، والطاغوت ، والسحر ، والشيطان . وهذه حال الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الذين يؤمنون بالجبت والطاغوت ، وحال الذين يتحاكمون إلى الطاغوت من المظهرين [للإيمان] ^(٢) بالله ورسله فيها من حال هؤلاء .

والطاغوت كل معظم ومتعظم بغير طاعة الله ورسوله ، من إنسان أو شيطان أو شيء من الأوثان .

وهذه حال كثير ممن يشبه اليهود من المتفقهة والمتكلمة وغيرهم ممن فيه نوع نفاق من هذه الأمة ، الذين يؤمنون بما خالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من أنواع الجبت والطاغوت ، والذين يريدون أن يتحاكموا إلى غير كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا . فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ

ظ ١٩٢

(١) في الأصل : شبههم ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) زدت كلمة « للإيمان » لتستقيم العبارة .

ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّ أَرْدُنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿ [سورة النساء : ٦١ ، ٦٢] (١)
 أى هؤلاء لم يقصدوا ما فعلوه من العدل عن طاعة الله ورسوله إلى اتباع ما اتبعوه من الطاغوت إلا لما ظنوه من جلب منفعة لهم ودفع مضرة عنهم ، مثل طلب علم وتحقيق ، كما يوجد في صنف المتكلمة ، ومثل طلب أذواق ومواجيد ، كما يوجد في صنف المتعبدة ، ومثل طلب شهوات ظاهرة وباطنة ، كما يوجد في صنف الذين يريدون العلو ، والذين يتبعون شهوات الغنى (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [سورة النساء : ٦٠] أى ضلوا عن مطلوبهم الذى هو جلب المنفعة ودفع المضرة ، فإن ذلك إنما هو فى طاعة الله ورسوله دون اتباع الطاغوت ، فإذا عاقبهم الله بنقيض مقصودهم فى الدنيا فأصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ، قالوا : ما أردنا بما فعلناه (٣) إلا إحسانا : أى أردنا الإحسان إلى نفوسنا لا ظلمها ، وتوفيقا : أو جمعا بين هذا وهذا ، لتجتمع الحقائق والمصالح .

قال تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [سورة النساء : ٦٣] من الاعتقادات الفاسدة والإرادات الفاسدة : الظن وما تهوى الأنفس ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ [سورة النساء : ٦٣] .

ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا

(١) فى الأصل جاءت آيتنا سورة النساء ناقصتين محرفتين .

(٢) فى الأصل : الغنى ، وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : ما أردنا إلا بما فعلناه ، وهو خطأ .

رَّحِيماً ﴿ [سورة النساء : ٦٤] فدعاهم سبحانه بعد ما فعلوه من النفاق إلى التوبة ، وهذا من كمال رحمته بعباده ، يأمرهم قبل المعصية بالطاعة ، وبعد المعصية بالاستغفار ، وهو رحيم بهم في كلا الأمرين : بأمره لهم بالطاعة أولاً برحمته ، وأمرهم بالاستغفار من رحمته ، فهو سبحانه رحيم بالمؤمنين الذين أطاعوه أولاً ، والذين استغفروه ثانياً .

فإذا كان رحيماً بمن يطيعه ، والرحمة توجب إيصال ^(١) ما ينفعهم إليهم ، ودفع ما يضرهم عنهم ، فكيف يكون المأمور به مشتملاً على ضررهم دون منفعتهم ؟

معنى المجيء إلى
الرسول ﷺ بعد مماته

وقوله : (فجاءوك) : المجيء إليه في حضوره معلوم كالدعاء إليه ، وأما في مغيبه ومماته ^(٢) فالجيء إليه كالدعاء إليه والرد إليه . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ ﴾ [سورة النساء : ٦١] وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [سورة النساء : ٥٩] / وهو الرد والمجيء إلى ما بُعث به من الكتاب والحكمة ، وكذلك المجيء إليه ^(٣) لمن ظلم نفسه هو الرجوع إلى ما أمره به ، فإذا رجع إلى ما أمره به فإن الجأئ إلى الشيء في حياته ممن ظلم نفسه يجيء إليه داخلاً في طاعته ، راجعاً عن معصيته ، كذلك في مغيبه ومماته .

واستغفار الله موجود في كل مكان وزمان ، وأما استغفار الرسول فإنه أيضاً

(١) في الأصل : أفعال ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) في الأصل : وماته ، وهو تحريف .

(٣) في الأصل : المحبة إليه ، وهو تحريف . والإشارة هنا إلى قوله تعالى : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله ...) الآية .

يتناول الناس في مغيبه وبعد مماته ، فإنه أمر بأن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ، وهو مطيع لله ^(١) فيما أمره به . والتائب داخل في الإيمان ، إذ المعصية تنقص ^(٢) الإيمان ، والتوبة من المعصية تزيد في الإيمان بقدرها ، فيكون له من استغفار النبي ﷺ بقدر ذلك .

فأما مجيء الإنسان إلى [الرسول ﷺ] ^(٣) عند قبره ، وقوله : استغفر لي ، أو سل لي ربك ، أو ادع لي ، أو قوله في مغيبه : يا رسول الله ادع لي ، أو استغفر لي ، أو سل لي ربك كذا وكذا ، فهذا لا أصل له ^(٤) ، ولم يأمر الله بذلك ، ولا فعله واحد من سلف الأمة المعروفين في القرون الثلاثة ، ولا كان ذلك معروفا بينهم ، ولو كان هذا مما يستحب لكان السلف يفعلون ذلك ، ولكان ذلك معروفا فيهم ، بل مشهورا بينهم ، ومنقولاً عنهم . فإن مثل هذا إذا كان طريقاً إلى غفران السيئات وقضاء الحاجات ، [لكان] ^(٥) مما تتوفر ^(٦) الهمم والدواعي على فعله وعلى نقله ، لا سيما فيمن كانوا أحرص الناس على الخير ، فإذا لم يعرف أنهم كانوا يفعلون ذلك ، ولا نقله أحد عنهم ، [علم] ^(٧) أنه لم يكن مما يستحب ويؤمر به .

(١) في الأصل : الله .

(٢) في الأصل : ينقص .

(٣) ما بين المعقوفتين زدته ليستقيم الكلام .

(٤) في الأصل : فهذا الأصل له ، وهو تحريف .

(٥) زدت « لكان » ليستقيم الكلام .

(٦) في الأصل : تتوفر .

(٧) زدت كلمة « علم » لتستقيم العبارة .

بل المنقول الثابت عنه ما أمر الله به النبي ﷺ من نبيه عن اتخاذ قبره عيداً ووثناً ، وعن اتخاذ القبور مساجد (١) .

وأما ما ذكره بعض الفقهاء من حكاية العتبي عن الأعرابي الذي أتى قبر النبي ﷺ وقال : « يا خير البرية : إن الله يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ الآية [سورة النساء : ٦٤] ، وإني قد جئت » (٢) وأنه رأى النبي ﷺ / في المنام وأمره أن يبشر الأعرابي (٣) - فهذه الحكاية ونحوها مما يذكر في قبر النبي ﷺ وقبر غيره

(١) وردت أحاديث كثيرة نهي فيها النبي ﷺ عن اتخاذ قبره عيداً ووثناً ، وعن اتخاذ القبور مساجد ، منها عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبرى عيداً ، وصلوا علىّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم » وهو في : سنن أبي داود ٢/٢٩٣ (كتاب المناسك ، باب زيارة القبور) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٣٦٧/٢ .

ومنها عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم حديث النبي ﷺ : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وهو في : البخارى ٩١/١ (كتاب الصلاة ، باب حدثنا أبو إيمان) ؛ مسلم ٣٧٧/١ (كتاب المساجد ، باب النبي عن بناء المساجد على القبور) .

ومنها حديث : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وهو في الموطأ ١٧٢/١ (كتاب قصر الصلاة في السفر ، باب جامع الصلاة) عن عطاء ابن يسار ؛ المسند (ط . المعارف) ٨٦/١٣ - ٨٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) في الأصل كتب فوق كلمة « جئت » : « كذا » .

(٣) قال ابن كثير في تفسير آية ٦٤ من سورة النساء : « وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الدباغ في كتابه « الشامل » الحكاية المشهورة عن العتبي قال : كنت جالسا عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) وقد جئتكم مستغفراً لذنبى مستشفعاً بك إلى ربى ، ثم أنشأ يقول :

يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي ، فغلبتني عيني فرأيت النبي ﷺ في النوم ، فقال : يا عتبي الحق الأعرابي فبشّره أن الله قد غفر له » .

من الصالحين ، فيقع مثلهما لمن في إيمانه ضعف ، وهو جاهل بقدر الرسول وبما أمر به ، فإن لم يُعَف [عن] مثل هذا ^(١) لحاجته ، وإلا اضطرب إيمانه ، وعظم نفاقه ، فيكون في ذلك بمنزلة المؤلفة بالعطاء في حياة النبي ﷺ ، كما قال : « إني لأتألف ^(٢) رجالا بما في قلوبهم من الهلع والجزع ، وأكُل رجالا إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير » ^(٣) ، مع أن أخذ ذلك المال مكروه لهم ، فهذه أيضا مثل هذه الحاجات .

وأما المشروع الذي وردت به سنته فهو دعاء المسلم ربه ، متوسلا به ، لا دعاؤه ^(٤) في مماته ومغيبه ، وهو أن يفعل ^(٥) كما في الحديث الذي رواه الترمذی وصححه أن النبي ﷺ علم رجلا أن يقول : « اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك محمد ، نبي الرحمة ، يا محمد يا نبي الله : إني أتوسل بك إلى ربي في حاجتي

(١) في الأصل كأنها : فإن لم يسعف مثل هذا . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) في الأصل : لأتلف (بدون نقط) ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته . ولفظ الحديث : إني لأعطي ...

(٣) الحديث عن عمرو بن تغلب رضي الله عنه ونصه في البخاري : « حدثنا عمرو بن تغلب أن رسول الله ﷺ أتى بمال أو سبي فقسمه فأعطى رجالا وترك رجالا ، فبلغه أن الذين ترك عتبا ، فحمد الله ثم أثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد فوالله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل ، والذي أدع أحب إلي من الذي أعطي ، ولكن أعطي أقواما لما رأى في قلوبهم من الجزع والهلع ، وأكُل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير ، فيهم عمرو بن تغلب » فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حُمِرَ التَّعَم » .

والحديث في : البخاري ١٠/٢ - ١١ (كتاب الجمعة ، باب من قال في الخطبة بعد الثناء : أما بعد) ، ١٥٦/٩ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : إن الإنسان خلق هلوعا) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٦٩/٥ .

(٤) في الأصل : لا دعاء .

(٥) في الأصل بعد عبارة « أن يفعل » كرر الناسخ عبارة : « ولا دعاء في مماته ومغيبه » .

ليقضيهما ، اللهم شفّعه فيَّ » (١) . وذلك أن الله يقول : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٥] وقال تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ [سورة السجدة : ٤] ، ثم قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سورة النساء : ٦٥] .

فأقسم بنفسه على أنه نفى إيمان من لم يجمع أمرين : تحكيمه فيما شجر بينهم ، ثم أن لا يجد في نفسه حرجا . وهذا يوجب أنه ليس في أمره ونهيه ما يوجب الحرج لمن امتثل ذلك ، فإن حكمه لابد فيه من أمر ونهى ، وإن كان فيه إباحة أيضا ، فلو كان المأمور به والمنهى عنه مضرة للعبد ومفسدة ، وألما بلا لذة راجحة ، لم يكن العبد ملوما على وجود الحرج فيما هو مضرة له ومفسدة .

ولهذا لم يتنازع العلماء أن الرضا بما أمر الله به ورسوله واجب محجب ، لا يجوز كراهة ذلك وسخطه ، وأن محبة ذلك واجبة ، بحيث يبغض ما أبغضه الله ، على المؤمن أن يحب ما أحب الله ويبغض ما أبغضه الله ويرضى بما قدره الله

(١) الحديث عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه في : سنن ابن ماجه ٤٤١/١ - ٤٤٢ (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في صلاة الحاجة) ونص الحديث : عن عثمان بن حنيف أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله لى أن يعافنى . فقال : « إن شئت أخرت لك وهو خير ، وإن شئت دعوت » . فقال : ادعه . فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ، ويصلى ركعتين ، ويدعو بهذا الدعاء : « اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة ، يا محمد إنى قد توجهت بك إلى ربي في حاجتى هذه لتقضى . اللهم فشفعه فيَّ » . وقال ابن ماجه : « قال أبو إسحاق : هذا حديث صحيح » . وذكر الحديث الترمذى في سننه (تحفة الأوحى بشرح جامع الترمذى للمباركفورى ، تحقيق محمد عبد الرحمن عثمان ، ط . المدينة المنورة) ٣٢/١٠ - ٣٣ . وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أنى جعفر ، وهو غير الخطمى » . وقال المباركفورى في شرحه : « وأخرجه النسائى وزاد فى آخره : فرجع وقد كشف الله عن بصره . وأخرجه أيضا ابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وزاد فيه : فدعا بهذا الدعاء ، فقام وقد أبصر . وأخرجه الطبرانى » .

ويسخط ما أسخطه الله من المحذور ، ويجب ما أحبه ، ويرضى ما رضىه الله من المأمور .

وإنما تنازعوا في الرضا بما يقدره الحق من الألم بالمرض والفقر . فقول : هو واجب ، وقيل هو مستحب وهو أرجح . والقولان في أصحاب الإمام أحمد وغيرهم . وأما الصبر على ذلك فلا نزاع أنه واجب .

وقد قال تعالى في الأول : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ۝ ﴾ [سورة التوبة : ٥٨ ، ٥٩] .

فجعل من المنافقين من سخط فيما منعه الله إياه ورسوله ، وحضهم^(١) بأن يرضوا بما آتاهم الله ورسوله . والذي آتاه الله ورسوله يتناول ما أباحه دون ما حظره ، / ويدخل [في]^(٢) المباح العام ما أوجبه وما أحبه . ص ١٩٤

وإذا كان الصبر على الضراء ونحو ذلك مما أوجبه الله وأحبه ، كما أوجب الشكر على النعماء وأحبه ، كان كل من الصبر والشكر مما يجب محبته وعمله^(٣) . فيكون ما قُدر للمؤمن من سراء معها شكر وضراء معها صبر خيراً له ، كما قال النبي ﷺ : « لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، أن أصابته سراء فشكر كان خيراً له ، وإن أصابته ضراء فصبر كان

(١) في الأصل : وخصهم ، وهو تحريف .

(٢) زدت « في » ليستقيم الكلام .

(٣) في الأصل : وعلمه .

خييرا له» ^(١) . وإذا كان خيرا فالخير هو المنفعة والمصلحة الذى فيه النعيم واللذة كما تقدم .

فيكون كل مقدور قُدر للعبد إذا عمل فيه بطاعة الله ورسوله خيرا له ، وإنما يكون شرا له لمن عمل بمعصية ^(٢) الله ورسوله ، ومثل ذلك فهو - بحسبه ^(٣) ونيته - بلاء ^(٤) قد يعمل فيه بطاعة الله ، وقد يعمل فيه بمعصية الله ، فلا يوصف بواحد ^(٥) من الأمرين .

فصل

وإذا كان كل حركة فى الوجود فلا تخلو من أن تكون إرادية أو طبيعية أو قسرية ، وتبين أن الطوعية والقسرية فرع ^(٦) وتبع للإرادية - فثبت أن جميع الحركات ناشئة عن الإرادة والاختيار ، وذلك يبطل أن يضاف خلق شيء من المخلوقات إلى الطبع الذى فى الأجسام ، مثل ^(٧) أن يكون الخالق للأجنة فى الأرحام هو طبع ، أو الخالق ^(٨) للنبات هو طبع ، لأن الطبع لا يكون مبدءاً لحركة

جميع الحركات ناشئة
عن الإرادة والاختيار

(١) مضى الحديث من قبل فى هذه المجموعة قبل صفحات (ص : ٣٤٢) .

(٢) فى الأصل : معصية .

(٣) فى الأصل : يحبه .

(٤) فى الأصل : وبلاء .

(٥) فى الأصل : بأحد .

(٦) فى الأصل : نوع ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٧) فى الأصل : قبل ، وهو تحريف . وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته .

(٨) فى الأصل : أو خالق .

[الجسم] ^(١) وانتقال أصله ، إلا إذا أُخرج عن طبعه بغير طبعه ، كما يُجمع بين الأجسام بالمزج والخلط ، فتنتقل عن مراكزها ومحالها المخالف لمقتضى طبعها ^(٢) ، وعند التحقيق يعود الطبع إلى أنه ليس فيها سبب للحركة عن حالها وسكونها ، فيكون الطبع بمنزلة السكون وعدم الحركة ، أو أمراً ^(٣) وجودياً منافياً للحركة ، فالحركة الواردة عليها مخالفة له ^(٤) ، والطبع جمود ^(٥) ، وهى [تنتقل] ^(٦) عن إرادة وحركة ، فعلم بطلان إصابة شئ من الحوادث العرضية ^(٧) عن مجرد الطبع الذى فى الموات ، فكيف بالحوادث الجوهرية ؟!

والإرادة والاختيار مستلزمة للحياة والعلم ، كما أن الحياة أيضاً مستلزمة للعلم والإرادة ، بل وللإرادة والحركة ، كما قرر ذلك عثمان بن سعيد ^(٨) وغيره من أئمة السنة .

(١) زدت كلمة « الجسم » ليستقيم الكلام .

(٢) فى الأصل : فينتقل عن مراكزها ومحالها المخالف ليقضى طبعها ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) فى الأصل : أو أمر ، وهو خطأ .

(٤) أى للطبع .

(٥) فى الأصل الكلمة غير واضحة ، وكأنها : جسمه ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٦) زدت كلمة « تنتقل » ليستقيم الكلام .

(٧) فى الأصل : الفرضية ، وهو تحريف .

(٨) يقول ابن تيمية فى كتاب « الاستقامة » ٧٠/١ ، ٧١ ط . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتحقيقى ، الرياض ، ١٤٠٣ / ١٩٨٣ : « وكذلك لفظ الحركة أثبتته طوائف من أهل السنة والحديث ، وهو الذى ذكره حرب بن إسماعيل الكرماني فى السنة التى حكاها عن الشيوخ الذين أدرکهم وكذلك هو الذى ذكره عثمان بن سعيد الدارمى فى نقضه على بشر المريسي ، وذكر =

وكما أن الحركة مستلزمة للإرادة والحياة ، فالحياة أيضا مستلزمة للحركة والإرادة ، ولهذا كان أعظم آية في القرآن : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٥] . فالاسم الحى مستلزم لصفاته وأفعاله ، وهو من أعظم / البراهين العقلية على ثبوت صفات الكمال ، والمصحح لها ، والمستلزم ثبوتها ونفى نقيضها ، كالعلم والكلام والسمع والبصر وغير ذلك ، كما هو مبين فى موضعه .

فصل

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ . فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تُصيبنَا دائرة فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ . وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَؤَالِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأُصْبِحُوا خَاسِرِينَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ

= أن ذلك مذهب أهل السنة » ويقول الدارمى فى كتابه « رد الإمام الدارمى عثمان بن سعيد على بشر المريسى العنيد » ص ١٩ ، بتحقيق محمد حامد الفقى ، ط . أنصار السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٥٨ : « وأما دعواك : أن تفسير « القيوم » الذى لا يزول عن مكانه فلا يتحرك . فلا يقبل مثل هذا التفسير إلا بأثر صحيح ، مأثور عن رسول الله ﷺ ، أو عن بعض أصحابه أو التابعين . لأن الحى القيوم يفعل ما يشاء ، ويتحرك إذا شاء ، وينزل ويرتفع إذا شاء ، ويقبض ويسط ، ويقوم ويجلس إذا شاء ، لأن أمانة ما بين الحى والميت التحرك . كل حى متحرك لا محالة ، وكل ميت غير متحرك لا محالة . »

يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ
آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿ [سورة المائدة : ٥١ - ٥٦] .

وأصل الموالاة هي المحبة ، كما أن أصل المعاداة البغض ، فإن التحاب يوجب
التقارب والاتفاق . والتباغض يوجب التباعد والاختلاف ، وقد قيل : المولى من
الْوَلِيِّ : وهو القرب ، وهذا يلي هذا ، أى هو يقرب منه ^(١) .

أصل الموالاة الحب
وأصل المعاداة البغض

والْعَدُوُّ من الْعَدَاءِ وهو البعد ^(٢) ، ومنه الْعُدْوَةُ ^(٣) . والشئ إذا ولى
الشئ ودنا منه وقرب إليه اتصل به ، كما أنه إذا عُدِّي عنه ، ونأى عنه ، وبعد منه ،
كان ماضيا عنه ^(٤) .

فأولياء الله ضد أعدائه ، يقربهم منه ويدنّبهم إليه ، ويتولاهم ويتولونه ، ويحبهم
ويرحمهم ، ويكون عليهم منه صلاة ، وأعداؤه ^(٥) يبعدهم ويلعنهم ، وهو إبعاد منه ومن
رحمته ، ويبغضهم ويبغض عليهم ، وهذا شأن المتوالين والمتعادين ^(٦) . فالصلاة ضد
اللعنة ، والرحمة والرضوان ضد الغضب ، والسخط والعذاب ضد النعيم .

قال تعالى في حق الصابرين : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخِرُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٥٧] ^(٧) .

ص ١٩٥

(١) في « لسان العرب » : « والْوَلِيُّ : القرب والدنو ويقال : تباعدنا بعد وُلِّي ، ويقال منه .
وَلَيْهِ يَلِيهِ ، بالكسر فيهما ، وهو شاذ وكل مما يليك : أى مما يقاربك » .

(٢) في الأصل : وهو البعد منه ، والظاهر أن « منه » زيادة من الناسخ . وفي اللسان « الْعَدَاءُ :
بعد الدار ، والْعَدَاءُ البعد » وفيه أيضا : وطالت عُدَاؤُهُمْ أى تباعدهم وتفرقهم » .

(٣) في اللسان : « الْعُدْوَةُ : المكان المتباعد » وهى عدوة الوادى .

(٤) في اللسان : « الْعِدَى : التباعد . وقوم عِدَى إذا كانوا متباعدين لا أرحام بينهم ولا حلف .
وقومٌ عِدَى إذا كانوا حربا والعُدُوُّ : ضد الصديق قال الجوهري : الْعُدُوُّ ضد الْوَلِيِّ » .

(٥) في الأصل : وأعدائه ، وهو خطأ .

(٦) في الأصل : المتوالين والمتعادين .

(٧) في أعلى ص ١٩٥ من الأصل إلى اليسار كتب « السادس » .

وقال تعالى في حق المنافقين : ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [سورة الفتح : ٦] .

وقال تعالى في حق المجاهدين : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ [سورة التوبة : ٢١] .

وقال تعالى في قاتل المؤمن متعمدا : ﴿ فَجَزَّأُوهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء : ٩٣] .

والمتلاعنان يقول الرجل في الخامسة : ﴿ أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنْ الْكَاذِبِينَ ﴾ [سورة النور : ٧] وذلك يكون قاذفا . وقد قال تعالى : ﴿ إِنْ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة النور : ٢٣] ، وتقول المرأة في الخامسة : ﴿ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [سورة النور : ٩] ، لأنه إذا كان صادقا كانت زانية فاستحقت الغضب الذي هو ضد الرحمة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [سورة النور : ٢] ، فنهى عن الرأفة بهما في دين الله .

والمؤمن يغار ، والله يغار ، وغيره الله أعظم ، كما قد استفاض عن النبي ﷺ في الصحيح من غير وجه أنه قال : « لا أحد أغير من الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » (١) .

(١) الحديث - مع اختلاف يسير في الألفاظ - عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في : البخارى ٥٧/٦ (كتاب التفسير ، تفسير سورة الأنعام ، باب ولا تقربوا الفواحش) ، ٣٥/٧ (كتاب النكاح ، باب الغيرة) ، ١٢٠/٩ (كتاب التوحيد ، باب قوله الله تعالى : ويحذركم الله نفسه) ، ١٢٣/٩ =

وفي بعض ^(١) الأحاديث الصحاح : « لا أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته » ^(٢) وفي بعضها « إن الله يغار ، وغيرته أن يأتي العبد ما حرم عليه » ^(٣) .

والغيرة فيها من البغض والغضب ما يدفع به [الإنسان] ^(٤) ما غار منه ، فالزنا وإن كان صادرا عن الشهوة والمحبة منهما ، أو من أحدهما ، فإن ذلك مقابل [بضرورة التنزه عن الفواحش ، والتورع عن المحرمات] ^(٥) . فأمر الله أن

= (كتاب التوحيد ، باب لا شخص أغير من الله) ؛ مسلم ٢١١٣/٤ - ٢١١٤ (كتاب التوبة ، باب غيرة الله تعالى) ؛ سنن الترمذى ٢٠٠/٥ - ٢٠١ (كتاب الدعوات ، باب حدثنا محمد بن بشار) ؛ المسند (ط . المعارف) ٢١٩/٥ - ٢٢٠ ، ٥٦/٦ - ٥٧ ، ٥٩ ؛ سنن الدارمى ١٤٩/٢ (كتاب النكاح ، باب في الغيرة) .

(١) في الأصل : وبعض .

(٢) الحديث عن عائشة رضى الله عنها في : البخارى ٣٥/٧ (كتاب النكاح ، باب الغيرة) ولفظه فيه : « يا أمة محمد ما أحد أغير من الله أن يرى عبده أو أمته يزني . يا أمة محمد ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » . وجاء الحديث عنها رضى الله عنها مطولا وأوله : خسفت الشمس في عهد رسول الله الحديث ومنه : فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ثم قال : يا أمة محمد والله ما من أحد أغير الحديث ، وهو مع اختلاف يسير في الألفاظ في : البخارى ٣٤/٢ (كتاب الكسوف ، باب الصدقة في الكسوف) ؛ مسلم ٦١٨/٢ (كتاب الكسوف ، باب صلاة الكسوف) ؛ سنن النسائى ١٠٨/٣ (كتاب الكسوف ، باب نوع آخر منه) (من صلاة الكسوف) ؛ المسند (ط . الحلبي) ١٦٤/٦ .

(٣) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه في : البخارى ٣٥/٧ (كتاب النكاح ، باب الغيرة) ؛ مسلم ٢١١٤/٤ (كتاب التوبة ، باب غيرة الله تعالى ، وتحريم الفواحش) ؛ سنن الترمذى ٤١٧/٢ (كتاب الرضاع ، باب ما جاء في الغيرة) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٣٤٣/٢ ، ٥٣٩ .

(٤) زدت كلمة « الإنسان » لتستقيم العبارة .

(٥) في الأصل : مقابل بصدق . ولعل ما أثبتته من كلام زدته بين المعقوفتين تستقيم به العبارة .

لا تأخذنا ^(١) بهما رافة في دين الله ، فهناك عن أن تكون ^(٢) منا رافة تدفع العذاب عنهما ، فضلا عن أن يكون محبة لذلك الفعل . ولهذا أخبرنا به بأنه لا يحب ذلك أصلا ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٨] ، وما لا يأمر به لا أمر إيجاب ولا أمر استحباب لا يحبه ، قال لوط عليه السلام : ﴿ إِنِّي لَعَمَلِكُم مِّنَ الْفَالِغِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ١٦٨] والقلبي : بغضه وهجره ^(٣) ، والأنبياء وأولياء الله ، / يحبون ما يحب الله ويبغضون ما يبغض .

ظ ١٩٥

وربما قيل : القلي أشد البغض ، فالله سبحانه يبغض ذلك ، وهو سبحانه يبغض كل ما نهى عنه ، كما أنه يحب كل ما أمر به . بل الغيرة مستلزمة لقوة البغض ، إذ كل من يغار يبغض ما غار منه ، وليس كل من يبغض شيئا يغار منه ، فالغيرة أحض وأقوى .

ولا ريب أن المرأة المزوجة الزانية استحقت الغضب لشيئين : لأجل ما في الزنا من التحريم . ولأنها ^(٤) اعتدت فيه على الزوج فأفسدت فراشه . ولهذا كان للزوج ^(٥) إذا قذف امرأته ولم يأت بأربعة شهداء : أن ^(٦) يلاعنها ، لما له في ذلك من الحق ، ولأنه مظلوم إذا كان صادقا ، وعليه في زناها من الضرر ما يحتاج إلى

(١) في الأصل : يأخذنا .

(٢) في الأصل : يكون .

(٣) أى بغض العمل وهجره .

(٤) في الأصل : ولهذا . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٥) في الأصل : الزوج ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٦) في الأصل : أى . ولعل الصواب ما أثبتته .

دفعه بما شرعه الله ، كالمقذوف الذى له أن يستوفى حد القذف من القاذف الذى ظلمه فى عرضه ، فكذلك الزوج له أن يستوفى حد الفاحشة من البغى الظالمة له ، المعتدية عليه . كما قال النبى ﷺ فى حق الرجل على امرأته « وأن لا يوطئن فرشكم من تكرهونه » ^(١) ، فلهذا كان له أن يقذفها ابتداءً ، [وقذفها] ^(٢) إما مباح له وإما واجب عليه إذا احتاج إليه لنفى النسب ، ويضطرها بذلك إلى أحد أمرين : إما أن تعترف ^(٣) فيقام عليها الحد ، فيكون قد استوفى حقه ، وتطهرت هى أيضا من الجزاء لها والنكاح [فى الآخرة] ^(٤) بما ^(٥) حصل ، وإما أن تبوء بغضب الله عليها وعقابه فى الآخرة الذى هو أعظم من عقاب الدنيا ، فإن الزوج مظلوم معها ، والمظلوم له استيفاء حقه إما فى الدنيا وإما فى الآخرة ^(٦) ، قال الله تعالى :

(١) فى الأصل : من يكرهونه ، وهذه العبارة جزء من حديث جاء عن عمرو بن الأحوص رضى الله عنه فى : سنن الترمذى ٤١٥/٢ (كتاب الرضاع ، باب ما جاء فى حق المرأة على زوجها) وأوله : عن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال حدثنى أبى أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ فذكر فى الحديث قصة فقال : « ألا واستوصوا بالنساء خيرا فأما حقكم على نساكنكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون الحديث وقال عنه الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » ، وهو فى : سنن ابن ماجه ٥٩٤/١ (كتاب النكاح ، باب حق المرأة على الزوج) . وجاءت هذه العبارة أيضا ضمن حديث مطول عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ورد فى كتب السنن ، وهو فى : سنن ابن ماجه ١٠٢٢/٢ - ١٠٢٧ (كتاب المناسك ، باب حجة رسول الله ﷺ) ؛ سنن الدارمى ٤٤/٢ - ٤٩ (كتاب المناسك ، باب فى سنة الحاج) كما جاءت نفس العبارة فى حديث ثالث عن أبى حرة الرقاشى عن عمه رضى الله عنه فى المسند (ط . الحلبي) ٧٢/٥ - ٧٣ .

(٢) زدت « وقذفها » ليستقيم الكلام .

(٣) فى الأصل : يعترف .

(٤) زدت عبارة « فى الآخرة » ليستقيم الكلام .

(٥) فى الأصل : ما .

(٦) بعد كلمة الآخرة توجد فى الأصل عبارة « بخلاف الزوج » وهى عبارة مقحمة ومخدفة يستقيم الكلام .

﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ ﴾ [سورة النساء : ١٤٨]
 [بخلاف غير الزوج] ^(١) فإنه ليس له حق الافتراء ، فليس له قذفها ، ولا أن
 يلاعن إذا قذفها ، لأنه غير محتاج إلى ذلك [مثل] ^(٢) الزوج ، ولا هو مظلوم في
 فراشها ، لكن يحصل بالفاحشة من ظلم غير الزوج ما لا يحتاج إلى اللعان ، فإن
 في الفاحشة إلحاق عار بالأهل ، والعار يحصل بمقدمات الفاحشة .

فإذا لم تكن الفاحشة معلومة بإقرار ولا بينة كان عقوبة ما ظهر منها كافيا
 في استيفاء الحق ، مثل الخلوة والنظر ونحو ذلك من الأسباب التي نهى الله عنها ،
 وهذا من محاسن الشريعة .

وكذلك كثيرا ما يقترب بالفواحش من ظلم غير الزانيين ، فإنه إذا حصل
 بينهما محبة ومودة فاحشة كان ذلك موجبا لتعاونهما على أغراضهما ، فيبقى ^(٣)
 كل منهما يعين الآخر على أغراضه التي يكون ^(٤) فيها ظلم الناس ، فيحصل
 العدوان والظلم للناس بسبب اشتراكهما / في القبيح ، وتعاونهما ^(٥) بذلك على
 الظلم ، كما جرت العادة في البغي من النساء والصبيان أن خدنه أو المسافح به
 يحصل له منه من الإكرام والعطاء والنصر والمعاونة ما يوجب استطالة ذلك الفاجر
 بترك حقوق الخلق والعدوان عليهم .

(١) زدت عبارة « بخلاف غير الزوج » ليستقيم الكلام ، والمقصود غير الزوج من أهل الزوجة
 أو أهل الزوج مثلا .

(٢) زدت كلمة « مثل » لتستقيم العبارة .

(٣) في الأصل : بقى .

(٤) في الأصل : تكون .

(٥) في الأصل : ويعاونهما .

وأيضاً [فإن] محبته له قد تحمل ^(١) الطالب الراغب على أخذ أموال الناس بغير حق ليعطيه ذلك ^(٢) ، وتحمله أيضاً على ترك حقوق الناس وقطيعة رحمه ^(٣) لأجل ذلك الشخص ، فإنه لا يمكن الجمع بين الأمرين . ويحمّله أيضاً على الانتصار له بالعدوان .

ففى الجملة المحبة توجب موافقة الحب للمحجوب . فإذا كانت المحبة فاسدة لا يحبها الله ولا يرضاها ، إذا لم يتعد ضررها للآخرين ، تكون العقوبة لهما حقاً لله ، لكن هى فى الغالب ، بل فى اللازم ، يتعدى ضررها إلى الناس ؛ فإن كل واحد من الشخصين عليه حقوق للناس ، وهو يُنهى عن العدوان عليهم ، فإذا تحابا وتعاونا لم يتمكن كل منهما من القيام بحقوق الناس ، واحتاج إلى أن يعتدى عليهم .

ولا ينبغى للإنسان أن يعتبر بظاهر ما يُقال : إن الإنسان إذا فعل فاحشة فإن الإثم عليه خاصة ، وليس ذلك بظلم للغير ^(٤) ، فإن ذلك إنما هو فى الفاحشة المحضة ، مثل الزنا المحض ^(٥) ، الذى لم يتعلق به حق الغير ، فأما زنا الزوجة ففيه ظلم بالاتفاق كما بيناه .

وكذلك المحبة والعشق الفاسد ، فإن هذا أعظم ضرراً من الزنا مرة واحدة ،

(١) فى الأصل : أيضاً محبته له قد يحمل ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) فى الأصل : ليطيعه ذلك ، وهو تحريف . وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته .

(٣) فى الأصل : ويطيعه رحمه ، وهو تحريف . وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته .

(٤) فى الأصل : الغير . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٥) فى الأصل : المختص ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته .

فإن الرجل إذا زنا مرة أو مرتين حصل غرضه ، وكذلك المرأة ، ثم إنه قد يكون بِعَوْضٍ ^(١) من أحدهما للآخر وقد لا يكون ، فربما كان فيه ظلم للغير .

وأما المحبة والعشق ، فإن ذلك مستلزم للعدوان على غيرهما في العادة ، فإن المحبة توجب أن يُعْطَى المحبوب من المنافع والأموال ما يوجب حرمان الغير والعدوان عليه ، ويوجب من الانتصار للمحبوب والدفع عنه ما فيه أيضا ترك حق الغير والعدوان عليه . ألا ترى أن الرجل إذا أحب غير امرأته ، أو المرأة [إذا] ^(٢) أحب غير زوجها ، قصر كل منهما في حقوق الآخر واعتدى عليه . بل إذا أحب الرجل امرأة أو صبيا قصر في حقوق أهله وأصدقائه ممن ^(٣) له عليه حق ، بل وظلمهم أيضا ، كما يظلم غيرهم لأجله؟! وهذا سوى ما في ذلك من حق الله الذي يوجب غليظ عقابه . وإن كان الرجل العاقل قد يقوم / من الحقوق بما يمكن ، ويدع الظلم بحسب الإمكان ، إلا أن هذا مظنة وسبب لذلك ، وهذا مما يوجب تحيّر الرجل وتردده وتلومه إلى الحق تارة وإلى الباطل أخرى ، وهذا مرض عظيم ، كما ذكر الله تعالى ذلك في قوله : ﴿ فَيُطَمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٢] . وأما ما في ذلك من ظلم كل منهما لنفسه ولخذه فذاك ظاهر ، لكنهما ^(٤) ظلما أنفسهما ، فهما الظالمان المظلومان . وأما الغير فظلما بغير رضاه ولا اختياره .

وكذلك ما تفضى إليه هذه المحبة الباطلة من ظلم كل منهما للآخر ، إما بقتله ، وإما بتعذيبه بغير الحق ، وإما منعه من الاتصال بالناس ، وفعل ما يختار

(١) في الأصل : ثم إنه كان يعوض . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) زدت « إذا » ليستقيم الكلام .

(٣) في الأصل : من .

(٤) في الأصل : ممكنهما .

من مصلحة وغيرها . ففيها هذه المفاصد كلها وأكبر منها ، لكن ذلك ظلم منهما لأنفسهما مبدؤه ^(١) المحبة الفاسدة .

ولهذا أمر سبحانه أن لا تأخذنا ^(٢) بهما رأفة في دين الله ، فإن الرأفة والرحمة توجب أن توصل للمرحوم ^(٣) ما ينفعه ، وتدفع عنه ما يضره ، وإذا رأف بهما أحد ^(٤) لأجل ما [في] ^(٥) قلوبهما من الشهوة والمحبة وغير ذلك ، وترك عذابهما ^(٦) ، كان ذلك جالبا لما يضرهما ودافعا لما ينفعهما ، فإن ذلك مرض في قلوبهما . والمريض ^(٧) الذي يشتهي ما يضره ليس دواؤه ^(٨) إعطاءه ^(٩) المشتهى الضار ، بل دواؤه ^(١٠) الحمية وإن آلمته ، وإعطاؤه ^(١١) ما ينفعه ، وتعويضه عن ذلك الضار بما أمر مما لا يضر .

فهكذا أهل الشهوات الفاسدة ، وإن أضمرت قلوبهم نار الشهوة ليس رحمتهم والرأفة بهم تمكينهم ^(١٢) من ذلك ، أو ترك عذابهم ، فإن ذلك يزيد

(١) في الأصل : مبدؤه .

(٢) في الأصل : يأخذ .

(٣) في الأصل : المرحوم .

(٤) في الأصل : دب ، وهو تحريف ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٥) زدت « في » ليستقيم الكلام .

(٦) في الأصل : عذابها .

(٧) في الأصل : والمرض . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٨) في الأصل : دواه .

(٩) في الأصل : أعطاه .

(١٠) في الأصل : دواه .

(١١) في الأصل : وأعطاه .

(١٢) في الأصل : تمكينهم .

بلاءهم^(١) وعذابهم ، والحرارة التي في قلوبهم مثل حرارة المحموم ، متى مُكِّن المحموم مما يضره ازداد مرضه ، أو انتقل إلى مرض شر منه .

فهذه حال أهل الشهوات ، بل تُدفع تلك الشهوة الحلوة بضدها ، والمنع من موجباتها ، ومقابلتها بالضد من العذاب المؤلم ونحوه الذي^(٢) يخرج المحبة من القلب كما قيل :

فإني رأيت الحب في القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فإذا كان يحصل بالمحبة ونيل الشهوة أمر مما يزيد ألمه على لذتها انكفّت النفس . وكذلك إذا حصل بدله أمر لذيد أطيب منه اغتاضت النفس . فاللذيد يُترك لما يرجح عليه من لذيد وأليم ، كما أن الأليم محتمل لما يرجح عليه من لذيد وأليم . وإذا تكافأ تقابلا ، فلم يغلب أحدهما الآخر ، بل تبقى الأمور على ما هو عليه إذا استوت الدواعي والصوارف ، / واحتمال الأليم وفوت اللذيد وإن كان فيه مرارة ، فذلك يُدفع به ما هو أمر منه ، ويُجلب به ما هو أرجح منه من الحلو .

ص ١٩٧

ولكن هذا من محبة بنى آدم وفتنتهم التي لا بد منها ، وهي مخالفة الأهواء ، فلا تقوم مصلحة أحد من بنى آدم بدون ذلك أبدا ، لا مصلحة دنياه ولا مصلحة دينه ، كما قال إبراهيم الحرنجى^(٣) : « أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم ، ولابد من الصبر في جميع الأمور ، قال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرُ * إِنَّ

(١) في الأصل : بلاءهم ، وهو تحريف .

(٢) في الأصل : التي .

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله البغدادى الحرنجى ، من أعلام المحدثين ومن الزهاد ، ولد سنة ١٩٨ وتوفي سنة ٢٢٥ . انظر ترجمته وأقواله في : طبقات الحنابلة ١/ ٨٦ - ٩٣ ؛ تاريخ بغداد ٦/ ٢٧ - ٤٠ ؛ صفة الصفوة ٢/ ٢٢٨ - ٢٣٢ ؛ الأعلام ١/ ٢٤ - ٢٥ .

الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿ [سورة العصر : ١ - ٣] ﴾ .

فلا بد من التواصي بالحق والصبر ، إذ أهل الفساد والباطل لا يقوم باطلهم إلا بصبر عليه أيضا ، لكن المؤمنون يتواصون بالحق والصبر ، وأولئك يتواصون (١) بالصبر على باطلهم ، كما قال قائلهم (٢) : ﴿ أَنْ آمَشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ ﴾ [سورة ص : ٦] .

فالتواصي بالحق بدون الصبر ، كما يفعله الذين يقولون آمنا بالله فإذا أُوذِيَ أحدهم في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ، والذين يعبدون الله على حرف ، فإن أصاب أحدهم خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة .

والتواصي بالصبر بدون الحق ، كقول الذين قالوا : أن امشوا واصبروا على آلهتكم ، كلاهما موجب للخسران . / وإنما نجا (٣) من الخسران الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، وهذا موجود في كل من خرج عن هؤلاء من أهل الشهوات الفاسدة ، وأهل الشبهات الفاسدة ، أهل الفجور ، وأهل البدع .

ظ ١٩٧

وما ذكرناه من أن المحبة الفاسدة توجب ظلم المتحايين (٤) لأنفسهما

(١) في الأصل : يتواصو .

(٢) في الأصل : كما قال تعالى قاتلهم ، وهو تحريف .

(٣) في الأصل نحوا .

(٤) في الأصل : المعانين . وهو تحريف ، ولعل الصواب ما أثبتته .

ولغيرهما موجود في كل محبة يبغضها الله ، كمحبة الأنداد والشركاء من دونه ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنَّادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ١٦٥] وقال تعالى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [سورة البقرة : ٩٣] وكمحبة أهل الشهوات لجنس ^(١) الفواحش ، ومحبة أهل الظلم ، والقائلين على الله ما لا يعلمون ، فإن المحبة توجب تعاون المتحايين واتفاقهما ، فلا بد أن يبغضا ويعاديا ^(٢) من يبغض ذلك منهما ويخالفهم فيه .

ومعلوم أن كل مؤمن فإنه يبغض ما يبغضه الله ، ويحب ما يحبه الله ؛ فلا بد أن يكون التحاب الذي يبغضه الله موجبا لنوع بغض المؤمنين بحسبه .

فصل

تقسيم العلم
إلى فعل وانفعال

قد كتبت في غير هذا الموضع أن الناس وإن تنازعوا في العلم : هل هو صفة انفعالية تابعة للمعلوم ، كما قد يطلقه كثير من أهل الكلام ؟ أو هو صفة فعلية مؤثرة في المعلوم ، كما يقوله طوائف من المتفلسفة ؟

فإن الصواب أنه ينقسم إلى النوعين جميعا . فمنه ما هو تابع للمعلوم غير مؤثر فيه بحال ، وهو العلم النظري القولي الخبرى المحض ، كعلمنا بما لا تأثير لنا في وجوده ، كالعلم بالخالق سبحانه وتعالى وملائكته وكتبه وأنبيائه وسائر مخلوقاته . ومنه ما هو فعلى ^(٣) له تأثير في المعلوم ، كعلمنا بأفعالنا الاختيارية ^(٤) وما يترتب عليها / من حصول منفعة ودفع مضرة .

ص ١٩٨

(١) في الأصل : في جنس ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) في الأصل : وتعاوننا ، وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) في الأصل : فعل .

(٤) في الأصل : الاختياره .

وهذا التقسيم ثابت في علم الله تعالى ، فإنه يعلم نفسه ويعلم مخلوقاته أيضا . والأول علم بموجود ، والثاني علم بمقصود .

لكن العلم بالموجود المستغنى عن أفعالنا يتبع العلم به حبه تارة وبغضه أخرى ، فيكون العلم به سببا لأفعال لنا متعلقة به ، فيكون هذا العلم الانفعالي فعليا مؤثرا من هذا الوجه ، وعلمنا بالحسنات والسيئات التي في أفعال غيرنا من هذا الوجه .

وعلم الرب سبحانه بأفعال عباده الصالحة والسيئة مستلزم أيضا حبه للحسنات وبغضه للسيئات . والعلم بالمقصود من أفعالنا ، وإن كان مؤثرا في المعلوم ، وهو سبب في حصوله ، فلا يكون إلا بعد علم بأمر موجودة أوجب قصدا أو اختيارا ^(١) لتلك الأفعال ، فإن الفعل الاختياري يتبع الإرادة ، والإرادة تتبع المراد ، فلا بد أن يتصور الفاعل المراد قبل قصد الفعل الذي هو سبب إليه ، كما يقال : آخر الفكرة أول العمل ^(٢) ، وتسمى العلة الغائية . [فلا بد من تصور] ذلك المراد ^(٣) ، وأن يكون ما يترتب على الفعل من لذة تجلب منفعة وتدفع ^(٤) مضرة ، فاللذة مشروطة بالإحساس باللذيد ، والإنسان لا يفعل ابتداءً لطلب لذيد إلا أن يكون قد أحسَّ قبل ذلك فأحبه واشتاه واشتاق إليه ، وذلك علم بأمر موجود تابع للمعلوم ، تبعه علم بأمر مقصود تابع للعلم . وإن كانت اللذة

علم الرب بأفعال عباده
الصالحة والسيئة يستلزم
حبه للحسنات وبغضه
للسيئات

(١) في الأصل : أو إخبارا ، وهو تحريف . وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته .

(٢) في الأصل : أول الفكر آخر العمل ، وهو خطأ ، وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته .

(٣) في الأصل : الغائية وذلك المراد . ووجدت أن العبارة غير مستقيمة ، ولعل ما أثبتته يستقيم به الكلام .

(٤) في الأصل : ودفع .

قد تحصل ابتداءً لا عن شوق ، كمن يذوق الشيء الطيب الذي لم يكن يعرفه فيحبه بعد ذلك ، لكن هذا لم يتقدم منه طلب وفعل في حصول هذا المحبوب ، بخلاف من ذاقه ابتداءً فأحبه ، ثم سعى في تحصيل نظائر ما حصل له ابتداءً .

فقد تبين أن كلاً من العلمين : الفعلي والانفعالي مستلزم للآخر ، وكذلك

ظ ١٩٨

علم الرب سبحانه / وتعالى بنفسه مستلزم لعلمه بصفاته وأفعاله ومفعولاته ، وهو سبحانه يحمد نفسه ويشني عليها ، فلا نخصي ثناء عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه ، وعلمه ^(١) بأفعاله ومفعولاته مستلزم لعلمه بنفسه ، وعلمه بالمخلوقات وأفعالها يتبعه حبه وبغضه ، وأمره ونهيه ، وعلمه بما يفعله بعباده من ثواب وعقاب وغير ذلك تابع لعلمه بما هي عليه ، وقد تكلمنا على نحو هذا في غير هذا الموضوع .

وإنما المقصود في هذا المكان أن هذا التقسيم الوارد في العلم يرد نحوه في

الإرادة والمحبة ونحو ذلك .

الإرادة والمحبة ينقسمان
أيضاً إلى فعليتين
وانفعاليتين

فإن الإرادة والمحبة تنقسم أيضاً إلى فعلية مؤثرة في المراد المحبوب ، وهي إرادة الفعل وحبه [وإن كان المراد المحبوب تابعا لمفعولا معدوماً] ^(٢) ، وقد ظن بعض الناس أن الإرادة والمحبة ليست إلا هذا النوع ، حتى قال : لا تتعلق الإرادة والمحبة إلا بالمعدوم دون الموجود ، وبالمحدث دون القديم ، وهذا قول طوائف من أهل الكلام . وأكثر هؤلاء هم أكثر القائلين بأن العلم لا يكون إلا انفعالياً ^(٣) ،

(١) في الأصل : وعلم .

(٢) ما بين المعقوفين زدته ليستقيم الكلام .

(٣) في الأصل : إلا غالباً ، وهو تحريف . وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته .

فيجعلون العلم لا يتعلق في الحقيقة إلا بمعلوم متبوع كالموجود ، ويجعلون الإرادة لا تتعلق إلا بمراد تابع كالمفعول المعلوم .

وتنقسم إلى انفعالية تابعة للمراد المحبوب ليست مؤثرة في وجوده أصلا ، بل يكون المحبوب المراد موجودا بدون الإرادة ، وإنما يحب المحب ذلك الموجود ويريده ، ويقال في كثير من أنواع ذلك : يهواه ويعشقه ، ونحو ذلك من العبارات .

وهذا القسم في الحقيقة هو الأصل في القسم الأول ، كما قد تكلمنا عليه في بعض القواعد المتقدمة من سنين ^(١) ، وذكرنا أن العلم - والإرادة - إنما يتعلق أولا بالموجود ، وأن تعلقه بالمعدوم تابع لتعلقه بالموجود ، وذكرنا أن الإنسان لا يحب الشيء ويريده حتى يكون له به شعور أو إحساس أو معرفة ونحو ذلك ، ويكون مع ذلك بنفسه إليه ميل ^(٢) وفيها له حب ، وكل واحد من هاتين الفرقتين في ^(٣) فطرته وجبلته المعرفة والمحبة ، ولهذا كان كل / مولود يولد على الفطرة : فطرة الإسلام ، وهي عبادة الله وحده ، وأصل ذلك معرفته ومحبته . والنفس لا تحس العدم ^(٤) المحض ، وإنما تعرف العدم بنوع من القياس المقدّر على الوجود ، كما يقدر في نفسه جبل ياقوت وبحر زئبق ، فنزل ذلك مما علمه من الجبل ومن الياقوت ، ثم ينفي ^(٥)

ص ١٩٩

(١) بعد كلمة « السنين » توجد عبارة غير واضحة كأنها « المستلزمة الاعتراف » والكلام يستقيم

بلونها .

(٢) في الأصل : مثل .

(٣) في الأصل : هو في .

(٤) في الأصل : القدم ، وهو تحريف .

(٥) في الأصل : يبقى ، وهو تحريف ، والسياق يدل على صواب ما أثبتته .

ذلك المقدر في ذهنه أن يكون موجودا في الخارج ، وهو لم يحكم على نفيه حتى صار موجودا في نفسه وجودا تقديريا ^(١) .

فإذا كان الحب يتبع الإحساس ، والإحساس لا يكون إلا بموجود ما ، الحب يتبع الإحساس
والإحساس يكون
بموجود لا بمعدم [فإن ما] ^(٢) يُحب لا يكون إلا بموجود . وأيضا فإن الإحساس لا يكون أولا إلا لموجود ، فكذلك الحب في نفسه لا يكون إلا لموجود أو محبوب ^(٣) ، وإن كان يحب وجود المعدوم [فهو] ^(٤) لا شيء ، وما ليس بشيء لا يكون محبوبا ، وإن كان يحب وجود المعدوم ويريده ^(٥) ، فلا بد أن يكون قبل ذلك قد ذاقه والتذ به موجودا حتى أحبه بعد ذلك ، أو ذاق والتذ ^(٦) بنظيره أو بما ^(٧) يشبهه كما ذلك في العلم ، وهذا مذكور في غير هذا الموضع .

ولا يرد على هذا ما يوجد من بكاء الصبي حين يولد قبل أن يذوق طعم اللبن ، فإذا ذاق اللبن التذ به وسكن ، فإن الصبي قبل ذوقه اللبن لم يكن يحبه ويشتهي ، ولكن يجد ألم الجوع فيبكي من ذلك الألم . فلما ذاق اللبن ووجد لذته ، وأنه أذهب ألم الجوع أحبه من حينئذ ، ومن حينئذ صار يشتهي ويحبه . وهكذا كل

(١) في الأصل : تقديرا ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) زدت « فإن ما » ليستقيم الكلام .

(٣) في الأصل : موجودا ومحبوبا . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) زدت « فهو » ليستقيم الكلام .

(٥) في الأصل : ويراد . وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته .

(٦) في الأصل : واليد ، وهو تحريف .

(٧) في الأصل : أو لما .

من جاع فإنه لا يشتهي شيئا معيناً إلا أن يكون ذاقه قبل ذلك ، ولكن يجد طلباً لما يزيل به ألم الجوع ، ولهذا إذا حضر عنده ما قد ذاقه قبل ذلك ، وما لم يذقه قبل ذلك ، اشتاق إلى الأول وأحبه ، وكان شوقه إلى الثاني ومحبته إياه مشروطاً بذوقه إياه وسماع وصفه ممن يخبره ، [فإن سماع الوصف] ^(١) يورث المحبة والشوق كما يورث العلم ، كما قيل :

والأذن تعشق قبل العين أحياناً

لكون النفس ذاقَت طعم الحب لما هو من نظير لذلك أو شبيه به ولو من وجه بعيد ، فكما أن الشيء لا يتصور إلا [بعد] الحس به ^(٢) ، أو بما فيه شبه به من بعض / الوجوه ، فكذلك لا يحب كذلك .

ظ ١٩٩

ولهذا ضُربت الأمثال للتعريف والترغيب والترهيب ، فإن الأمور الغائبة عن المشاهدة والإحساس لا تُعرف وتُحب وتبغض إلا بنوع من القياس والتمثيل

كان الغائب أكمل في الصفات المطلوبة ^(٣) المشتركة ، كالموعود به من أمر الجنة والنار ، وكما يصف به الرب نفسه سبحانه وتعالى ، أو ما كان دون ذلك ، كما مثل من الأمور بما هو أكمل منه .

الأمور الغائبة لا تعرف ولا تحب وتبغض إلا بنوع من القياس والتمثيل

ومن هنا ضل من ضل من الصابئة المتفلسفة ، ومن أضلوه من أهل الملل ، حيث ظنوا أن ما وصف الله به الجنة والنار إنما هي أمثال مضرورية لفهم المعاد الروحاني من غير أن تكون حقائق . وضل من رد عليهم من نفاة أهل الكلام . كما

(١) زدت عبارة « فإن سماع الوصف » ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : إلا الحسن به . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) كتب في الأصل فوق كلمة « المطلوبة » : « كذا » .

أصاب الفريقين مثل ذلك في أمر النفس الناطقة ، حيث تقابلوا ^(١) بالنفى والإثبات ، وحيث اتفق الفريقان على مثل هذا الضلال في صفات ذى الجلال ، فخاضوا في باب الإيمان بالله واليوم الآخر خوضا ليس هذا موضع بسط الكلام فيه ، وإن كان كل ذى مقالة فلا بد أن تكون في مقالته ^(٢) شبهة من الحق ، ولولا ذلك لما راجت واشتبهت .

وإن كانت الإرادة والمحبة تنقسم إلى متبوعة للمراد تكون له كالسبب الفاعل ، وإلى تابعة للمراد يكون هو لها كالسبب الفاعل ، وتكون ^(٣) عنه كالسبب المفعول ، وهذا هو الأصل .

وإذا ^(٤) عُلم أن جميع حركات العالم صادرة عن محبة وإرادة ، ولا بد للمحبة والإرادة من سبب فاعل يكون هو المحبوب المراد - عُلم بذلك أنه لا بد لجميع الحركات من إله يكون المعبود المقصود المراد المحبوب لها ^(٥) ، وأنها دالة على الإله الحق من هذا الوجه ، وأنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، وهذا غير هذا الوجه الذى دلت منه على ربوبيته . وقد بسطنا الكلام على ذلك في مواضع متعددة ، إذ هو أجل العلم الإلهي ^(٦) وأشرفه . وإنما كان المقصود هنا التنبيه على أن الإرادة نوعان كالعلم ، والله أعلم .

(١) في الأصل : تقاتلوا . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) في الأصل العبارة محرفة هكذا : وإن كان حال ذى مقاله فلا بد من مقالته في ، وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته .

(٣) في الأصل : ويكون .

(٤) في الأصل : وقد ، وهو تحريف .

(٥) في الأصل : بها .

(٦) في الأصل : إذ هو احد العلم اللاهى ، وهو تحريف .

الفهارس

- ١ - فهرس الآيات القرآنية .
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية والقدسية والآثار .
- ٣ - فهرس اللغة .
- ٤ - فهرس الشعر .
- ٥ - فهرس الأعلام .
- ٦ - فهرس الطوائف والقبائل والفرق .
- ٧ - فهرس الأماكن والبلدان .
- ٨ - فهرس المصطلحات والبحوث الفرعية .
- ٩ - فهرس أسماء الكتب .
- ١٠ - فهرس مراجع التحقيق .
- ١١ - فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
١	الفاتحة	٢	٥٨
		٣	٥٩
		٤	٢٢٠
		٥	٦٣
		٥	٧٧
		٥	١٣٥
		٧ ، ٦	١٢٧
		٧ ، ٦	١٨٩
		٧ ، ٦	٣٢٣
٢	البقرة	٥	٣٢٣
		٢٧ ، ٢٦	٣٠٨
		٣٠	٢١٤
		٣٨	٣٢٣
		٩٣	٢٧٤
		١٠٢	٣٧٣ ، ٣٧١
		١٠٣	٣٧١
		١٢٠	٢٠٦

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
٢	البقرة	١٥٧	٣٨٤
		١٦٥	١٩٧
		١٦٥	٢٠٠
		١٦٥	٢٥٥
		١٦٥	٢٦٠
		١٦٥	٣٩٥ ، ٢٧٤
		١٧٢	٣٤٦
		١٧٢	٣٤٩
		١٧٧	٣٥٣
		١٨٥	٣٧١
		١٨٥	٣٧١
		١٩٣	٢٦٠
		١٩٣	٢٧٣
		٢١٣	٢٥٤
		٢١٤	٣٣٣
		٢١٤	٣٥٣
		٢١٦	٣٣٧
		٢١٦	٣٧١
		٢١٦	٢٨٠
		٢٢١	٣٠٠
		٢٥٥	٣٧٩ ، ٢٨٣

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
٣	آل عمران	١٩	٢٢٥
		٣١	١٤
		٣١	١٢١
		٣١	٢٥٨
		٣٢	١٠٦
		٥٥	٣٣٠
		٥٩	١١
		٧٣	٢١١
		٨١	٣١٥
		٨٣	٢٢٥
		٨٥	٢٢٥
		١٠٣	٣٤٦
		١٠٥	٢٢٨
		١١٠	٣٣٨
		١١٢	١٤٣
		١١٨ - ١٢٠	١٣٦
		١٢٠	٧٥
		١٢٠	٣٣١
		١٢٥	١٣٧
		١٢٥	٣٣١
		١٣٩	٣٣١
		١٣٩	٣٦١

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
٣	آل عمران	١٣٩ - ١٤١	٣٣٥
		١٤٤	٣٤٧
		١٤٧ ، ١٤٨	٣٧٢
		١٥١	٢٢٨
		١٥٥	٣٣٢
		١٦٣	٣٠١
		١٦٥	٣٣٢
		١٧٨	٣٤٤
		١٨١	١٦
		١٨٦	٧٥
		١٨٦	١٣٧
٤	النساء	١	٣٠٧
		١	٣٠٨
		١٧	١٨١ ، ١٨٠
		٢٥	٣٠
		٣٣	٣١٠
		٣٦	١٢١
		٤٨	١٩٧
		٦٠	٣٧٤ ، ٣٧٣
		٦٢	٣٧٤ ، ٣٥٤
		٦٥	٣٧٩ ، ٣٧٠
		٧٩	٣٣٣

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
٤	النساء	٧٩	٣٥٤
		٩٣	٣٨٥ ، ٦٠
		١٠٨	١٠٦
		١١٦ - ١١٩	١٧٢
		١٣٥	٢٠٣
		١٣٥	٢٠٦ ، ٢٠٥
		١٣٨ ، ١٣٩	٣٢٩
		١٤٢	١٤٣
		١٤٨	٣٨٩
		١٧٢	٢١٣
٥	المائدة	١	٦٢
		٣	٢٢٦
		٥	٢٩٤
		٦	٣٧٠
		٧	٣٤٦
		٤٢	١٥
		٤٨	٢٢٧
		٤٩	٢٠٦
		٥١	٣١٩
		٥١ - ٥٦	٣٨٤ ، ٣٨٣
		٥٤	٢٢١
		٥٤	٢٢٥

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
٥	المائدة	٥٤	٢٨٠
		٥٤	٣١٣
		٥٥	٣١٩
		٥٦ ، ٥٥	٣٢٩
		٦٤	١٠٦
		٦٥	١٣
		٦٨	٣٠١
		٧٧	١٤٤
		٧٧	٢٠٧
		٨٧	١٠٦
		٨٧	١٤٠ ، ١٣٩
		٩١ ، ٩٠	٢٦٨
		١١٢	٢٩
٦	الأنعام	١	٥٨
		١٥	٢٩
		٣٤	٣٣٤
		٥٢	١٢١
		٧٦	٥٠
		٧٦	١٢٢
		٧٦	٢٠٠
		٧٦	٢٣٦
		٧٦	٢٧٣

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
٦	الأنعام	٧٦ - ٧٩	٥٠
		٧٧	٢٧٣
		٧٨ ، ٧٩	٥٢
		٧٨ ، ٧٩	٢٧٣
		٧٩	١٢٢
		٧٩	٢٣٦
		١١٢	٣٨
		١١٩	٢٠٥
		١١٩	٢٠٧
		١٣٧	٢٨٧
		١٥٠	٢٠٦
		١٥٢	٢٠٣
		١٥٩	٢٢٥
		١٥٩	٢٢٨
		١٦١	٢٢٤
٧	الأعراف	١١	١٠
		٢٢	١٢
		٢٧	٢٩٢
		٢٧ - ٣٠	٢٧٠
		٢٨	٢٧٠
		٣١	٢٠٣
		٣٣	٢٩٤

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
٧	الأعراف	٥٤	٥٩
		٥٧	٢١٥
		٥٩	١٩٧
		٧٤	٣٤٥
		١٤٦	١٤٤
		١٥٥	٢٧٤
		١٥٧ ، ١٥٦	١٣٣ - ١٣٢
		١٥٧	٣٧٠
		١٧٦ ، ١٧٥	١٤٤
		٢٠٦	٢١٣
٨	الأنفال	٢٩	٣٣٢
		٣٥	٢٧٢
		٣٩	٣١٨
		٣٩	٢٧٣
		٣٩	٢٩٢
		٤٨	٢٨٧
٩	التوبة	٧	١٥
		١٩ - ٢٢	٢٧٩
		٢١	٣٨٥
		٢٤	٢٣٨
		٢٤	٢٤٣
		٢٤	٢٦٠

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
٩	التوبة	٢٤	٢٧٤
		٢٤	٢٨٠
		٢٤	٢٨٩
		٢٩	٢٢٣
		٣٧	٣٠١
		٥٢	٣٣٧
		٥٩ ، ٥٨	٣٨٠
		٥٩	٨٦
		٧٩	٢٨٠
		١٠١	٣٥٤ ، ٣٥٣
		١٠٥	١٥
		١٠٥	٥٤
		١٢٢	٢٢٤
		١٢٥ ، ١٢٤	٢٧٨
١٠	يونس	١٤	١٦
		٢٥	٣٦٥
		١٠٩	٣٣٤
١١	هود	٣ - ١	٢٨٦
		٧	٢٢
		٧	٢٢٦
		١٠ ، ٩	٣٤٥
		١٠ ، ٩	٣٥٨

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
١١	هود	١٠	٣٥٨
		١١	٣٥٨
		١١	٣٥٩
		٤٩	٣٣١
		٤٩	٣٣٤
		١٢٣	٧٧
		١٢٣	١١٦
١٢	يوسف	٢٤	١٨٢
		٢٤	٢٦٣
		٢٤	٢٩٢
		٣٠	٢٦٢
		٣٠	٢٦٩
		٣٤ ، ٣٣	٢٦٣
		٤٠ - ٣٧	٢٦٢
		٥٦	٣٧٢
		٥٧	٣٧٢
		٧٦	٢٢٢
		٧٦	٢٣٢
		٩٠	٧٥
		٩٠	١٣٦
		٩٠	٣٣١
		١٠٦	٢٨٥

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
١٢	يوسف	١٠٩ - ١١١	٣٣٤
		١١١	٣٣٥
١٣	الرعد	١١	١٣
		١١	٤٥
		١٢ ، ١٣	٢١٤
		١٥	٢١١
		١٥	٢٨٠
		٣٦	٢٧٨
١٤	إبراهيم	٢٨	٣٤٥
		٢٩	٣٤٥
		٣٢	٣٤٥
		٣٤	٣٤٥
		٣٤	٣٥٨
		٣٩	١٦
		٣٩	٥٤
١٥	الحجر	٣	٣٤٨
		٣٩ ، ٤٠	٢٦٤
		٣٩ ، ٤٠	٢٩١
		٤٢	١٨٢
		٤٢	٢٦٤
		٤٢	٢٧٠
		٤٢	٢٩١

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
١٥	الحجر	٧٢	٢٤٤
		٧٢	٢٦٨
		٧٥	٩٤
		٩٩	٧٥
		٩٩	١٣١
		٩٩	١٨٦
١٦	النحل	٣٦	٧٦
		٣٦	٢٨٤
		٤٨ - ٥٠	٢١٢
		٩٢ ، ٩١	٣١٠
		٨٩ - ١٠٠	٢٦٣
		٩٩ ، ١٠٠	١٨٢
		٩٩ ، ١٠٠	٢٩١
		١٠٠	٢٦٥
		١٠٠	٢٧٠
		١١٢	٣٤٥
		١١٢	٣٤٧
		١٢٢	٣٧٢
١٧	الإسراء	١	١٣١
		١	٢٦٥
		١٥	٢٩٣
		١٦	١٣

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
١٧	الإسراء	١٦	١٤
		١٩	١٢١
		٤٤	٢١٣
		٥٤	٦١
		٦٧	٣٥٨
		١٠٠	٣٥٨
١٨	الكهف	١	٥٨
		٢٤ ، ٢٣	١٣
		٥٠	٢٧٠
		٥٠	٢٩١
		٥١	٥٨
		٨٤	٣٠٦
		١٠٤ - ١٠٢	٢٨٦
		١٠٩	٢٢
		١١٠	١٤٦
١٩	مريم	٦٥ ، ٦٤	١٩٦
		٩٥ - ٨٨	٢١٤ - ٢١٣
٢٠	طه	١٤	٧٧
		٤٦	١٦
		٨١	٣٤٦
		٨٥	٢٧٤
		١٢٤ - ١٢٢	٢٠٥

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
٢٠	طه	١٢٣	٧٧
		١٢٣	١٨٩
		١٢٣ ، ١٢٤	٢٥٠
		١٢٣ - ١٢٦	٣٢٣
		١٣٢	٣٣١
٢١	الأنبياء	١٩ ، ٢٠	٢١٣
		٢٢	٢٠١
		٢٥	٢٨٤
		٢٦ - ٢٩	٢١٤
		٣٥	٣٥٣
٢٢	الحج	١٧	٢١١
		١٨	٢١١
		٣٤	٢٢٧
		٤٦	٥٥
		٦٧	٢٢٧
		٧٨	٣٧٠
٢٣	المؤمنون	٥ ، ٦	٢٩٤
		٦	٢٩٩
		٥١ ، ٥٢	٨٧
		٥٥ ، ٥٦	٣٤٤
		٧١	٢٠٧
		٧٦	٣٥٤

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
٢٤	النور	٧	٣٨٥
		٣٣	١٧٤
		٣٤	٣٣٥
		٣٥	٣٨
		٣٥	٩٩
		٣٩	٣٧
		٣٩	٣٤١
		٤٠	٣٧
		٤١	٢١٢
		٥٢	٨٦
٢٥	الفرقان	٤٣	١٠٣
		٤٤ ، ٤٣	٢٦٦
		٤٤	٤٠
		٥٢ ، ٥١	١٣٣
		٥٤	٣٠٧
		٦٣	٢٦٤
		٦٨	٢٦١
٢٦	الشعراء	٧٧ - ٧٥	٥٢
		٧٧ - ٧٥	٨٤
		٧٧ - ٧٥	٢٣٦
		٧٧ - ٧٥	٢٧٣
		١٦٨	٣٨٧

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
٢٧	الثلث	٤	١١
٢٨	القصص	٤ ، ٣	٢٣٢
		٣٠	١١
		٤٣	٣٣٧ ، ٣٣٦
		٤٨	٣٣٧
		٥٠	١٠٣
		٥٠	٢٠٥
		٥٠	٢٠٧
		٦٢	١٣
		٦٥	١٣
		٨٨	٤٦
٢٩	العنكبوت	٣ - ١	٢٧٤
		٢١ ، ٢٠	٥٩
٣٠	الروم	٣٠	٨٥
		٣٠	٢٢٩
		٣٠	٢٧٢
		٣٢ ، ٣١	٢٢٩
		٣٦	٣٣٣
٣١	لقمان	١٥	٥٦
		٢١	٥٦
		٢١	٣٢٨
٣٢	السجدة	٤	٣٧٩ ، ٢٠

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
٣٢	السجدة	١٣	٣٨
		١٧	٢٤٩
		٢١	٣٥٤
		٢٤	٣٢٧
٣٣	الأحزاب	١٠ - ١٤	٣٣٣
		١٥ ، ١٦	٣٣١
		١٦ ، ١٧	٣٣٥
		٢٩	١٢١
		٣٢	٣٩١ ، ٢٤٢
		٦٦ ، ٦٧	٣٢٨
		٧٢	١٨٠
		٧٢	٣٥٨
٣٤	سبا	٦	٢٠٤
٣٥	فاطر	١٠	١٨٩
		١٠	٣٣٠
		٣٢	١٨٤
٣٦	يس	٩ ، ١٠	٢٩
		٦٠ ، ٦١	٢٦٤
		٦٠ ، ٦١	٢٩١
		٨٢	١٣
		٨٢	٣٩
٣٧	الصافات	٨٥ - ٨٧	٥٣

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
٣٧	الصافات	٩٥ - ٩٦	٥٣
		١٧١ - ١٧٣	٣٢٩
		١٧٣	٣٢٤
٣٨	ص	٦	٣٩٤
		١٨ ، ١٩	٢١٤
		٢٦	٤٧
		٢٦	٢٠٥
		٣٩	٨٨
		٤٥	١٨٨
		٤٥	٢٦٥
		٧٥ - ٨٥	٢٦٤
٣٩	الزمر	٢	١٢١
		٧	١٥
		٧	١٠٦
		١٤	١٢١
٤٠	غافر	٣١	٣٦٥
		٣٤ ، ٣٥	٢٦٢
		٣٧	٢٨٦
		٥١	٣٢٩
		٧٥	٣٤٧
٤١	فصلت	٣٧ ، ٣٨	٢١٣
		٤٩	٣٥٨

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
٤٢	الشورى	١٣	١٩٨ ، ١٩٧
		١٣	٢٢٥
		١٤	٣٢٨
		١٥	٢٥٤
		٣٠	٣٣٢
		٣٠	٣٥٤
		٣٤	٣٣٣
		٤٨	٣٥٤
		٥١	٩٦
		٥٢	٩٦
٤٣	الزخرف	٢٤	٥٦
		٢٧ ، ٢٦	٨٤
		٣٨ - ٣٦	٢٩٢
		٤٥	٧٦
		٤٥	٢٨٨
		٥٥	١٥
		٦٩ - ٦٧	٢٦٥
٤٥	الجاثية	٥	٢١٥
		١٨	٢٢٧
		١٩ ، ١٨	٣١٨
		١٩	٢٠٧
٤٦	الأحقاف	٢٠	٣٤٨
		٣٣	٢٩
٤٧	محمد	٣ - ١	٣٤١

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
٤٧	محمد	٤	٣٣٧
		١٧ ، ١٦	٢٠٨
		١٧	٢٠٨
		١٩	٢٨٦
		٢٨	١٥
		٢٨	٢٧٨
٤٨	الفتح	٦	٣٨٥ ، ٣٦٠
		٢٦	٢٠٨
		٢٧	١٣
		٢٨	٣٣٠
		٢٩	٢٨٠
٤٩	الحجرات	١٥	٢٣٨
		١٥	٢٧٩
		١٥	٢٤٦
٥٠	ق	٣٧	٤٠
٥١	الذاريات	٤	١٩٦
		٥٠	٣٣٦
		٥٦	٧٥
		٥٦	١٢١
		٥٦	١٨٢
٥٣	النجم	١ - ٤	١٨١
		١ - ٤	١٨٨

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
٥٣	النجم	٣	١٣٠
		٢٣	٢٥١
٥٥	الرحمن	٢٧ ، ٢٦	٤٦
٥٦	الواقعة	٨٧ ، ٨٦	٢٢٠
٥٧	الحديد	١	٢١٢
		٢٠	٣٤٨
		٢٥	٢٥٤
		٢٥	٣٠٥
٥٨	المجادلة	١	١٦
		٥	٣٢٩
		٢١ ، ٢٠	٣٢٩
		٢٢	٢٧٦ - ٢٧٥
		٢٢	٢٧٨
٥٩	الحشر	١	٢١٢
		٢	٣٣١
		٤	٣٣١
٦٠	المتحنة	٤ - ١	٢٣٦
		٤	٥٢
		٤	٨٤
		٤	٢٧٣
٦١	الصف	١	٢١٣
		٤	١٥

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
٦١	الصف	٥	١٨٠
		٥	٣٠١
		١٠ - ١٤	٣٣٠
٦٢	الجمعة	١	٢١٣
٦٣	المنافقون	٨	٣٣٠
٦٤	التغابن	١	٦٩
		١	٢١٣
		١٥	٢٧٤
		١٦	٣٠
		١٦	١١٣
٦٥	الطلاق	٣ ، ٢	٣٣٢
		٣ ، ٢	١١٦
٦٧	الملك	٨ - ١٠	٤٠
		١٠	٥٥
٦٨	القلم	٤	١٣١
		٤	٢١٨
		٤٥ ، ٤٤	٣٤٤
٧٠	المعارج	١٩ - ٢١	٣٥٨
٧٢	الجن	١١	٢١٢
		١٦ ، ١٧	٣٥٢
		١٩	١٣١
		١٩	٢٦٥
٧٣	الزمل	٨ ، ٩	١١٦
		٨ - ١٠	٧٧

رقم السورة	السورة	الآية	الصفحة
٧٣	المزمل	١١	٣٤٨
		١٥	٣٣٧
٧٥	القيامة	٤٠	٢٩
٧٦	الإنسان	٦	٢٦٥
		٩	١٢١
		٢٨	١٤
٧٩	النازعات	٥	١٩٦
		٤٠	١٨١
		٤٠	١٩٤
		٤٠	٢٠٨
٨٢	الانفطار	١٩ - ٩	٢٢٠
		١٤ ، ١٣	٣٢٤
		١٩ - ١٧	٦١
٨٩	الفجر	١٧ - ١٥	٣٤٢
		١٧ - ١٥	٣٥٢ ، ٣٥١
٩٢	الليل	٢١ - ١٧	١٠٤
		٢٠ ، ١٩	١٢١
٩٨	البينة	٥	١٢١
		٥	٢٢٤
١٠٠	العاديات	٦	٣٤٥
		٦	٣٥٨
١٠٢	التكاثر	٨	٣٥٠
١٠٣	العصر	٣ - ١	٣٩٤
		٣	١٨٩
١٠٩	الكافرون	٦ - ١	٢٢٢

فهرس الأحاديث النبوية والقدسية والآثار

رقم مسلسل	الحديث	الصحاحى الراوى	الصفحة
	(١)		
١	الآن يا عمر (انظر : لا يا عمر حتى أكون ...)	عبد الله بن هشام	١٩٨ - ١٩٩ ، ٢٤٣ ، ٢٩٠
٢	إبراهيم خير البرية	أنس	١٢٩
٣	أتدرون ما قال ربكم الليلة ...	زيد بن خالد الجهنى	١٢٣
٤	أتعجبون من غيرة سعد ...	المغيرة بن شعبة	٤٩
٥	اتقوا فراسة المؤمن ...	أبو سعيد الخدرى	٩٤
٦	أجعلتنى لله ندا ، بل ما شاء الله وحده	ابن عباس	٢٧٥
٧	أحاديث تخيير الرسول ﷺ بين أن يكون نبيا ملكا وبين أن يكون عبدا رسولا	أبو هريرة وعائشة	٨٨
٨	أحاديث التشهد	عدد من الصحابة	٦٧
٩	أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ...	أبو هريرة	١٣٤ ، ١٤٠
١٠	إذا أحب الله العبد نادى فى السماء ...	أبو هريرة	٢٩٨
١١	إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم	أبو هريرة	٣١
١٢	إذا تكلم الله بالوحي سمع ...	ابن مسعود	٢٤ - ٢٥

رقم مسلسل	الحديث	الصحاحى الراوى	الصفحة
١٣	إذا حاصرت أهل حصن وأوله : اغزوا بسم الله فى سبيل الله	سليمان بن بريدة	٩١
١٤	إذا حدثكم أهل الكتب	أبو غنلة الأنصارى	٢٤٠
١٥	إذا صليتم فأقيموا صفوفكم	أبو موسى الأشعرى	٢٨ ، ١٦
١٦	إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده أوله : إذا صليتم	أبو موسى الأشعرى	٢٨ ، ١٦
١٦	إذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين	أبو سعيد الخدرى	٦٥
١٧	إذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه	أبو هريرة	٦٢
١٨	إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين	جابر بن عبد الله	١٧٥ ، ٦٩
١٩	أصدق الأسماء الحارث وهمام	أبو وهب الجشمى	٢٠١
٢٠	اعلم أبا مسعود الله أقدر عليك	أبو مسعود البدرى	٣٠ - ٢٩
٢١	أعوذ برضاك من سخطك ... أوله : فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش ...	عائشة	١٩
٢٢	أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه	عبد الله بن عمرو بن العاص	٦١
٢٣	اغزوا بسم الله فى سبيل الله	سليمان بن بريدة	٩١
٢٤	أفضل الذكر لا إله إلا الله	جابر بن عبد الله	١٩٩
٢٥	أفضل الصدقة جهد من مقل يسره إلى فقير	عبد الله بن حُبَيْش	٢٨١

رقم مسلسل	الحديث	الصحاح الراوى	الصفحة
٢٦	ألا فخر إني من قريش	لم أجده	٣٤٧
٢٧	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا ...	أبو هريرة وبمعناه عن عدد من الصحابة	١٩٧
٢٨	إن استعطت أن تعمل بالرضا مع اليقين	ابن عباس	٣١
٢٩	إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال	حذيفة بن اليمان	٩٧
٣٠	إن بالمدينة لرجالا ما سرتهم مسيرا ...	أنس بن مالك	٢٨٢ - ٢٨٣
٣١	إن حبك إياها أدخلك الجنة	عائشة ، أنس	٢٥٧
٣٢	إن الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها	أبو هريرة	٣٠٢
٣٣	إن الشرك في هذه الأمة أخفى من ديب التمل	أبو موسى الأشعري	٢٥٤ ، ٢٨٥ - ٢٨٦
٣٤	إن الشيطان قال : أهلك بني آدم بالذنوب وأهلكوني ...	لم أجده	٢٨٦
٣٥	إن الشيطان ينتصب عرشه على البحر	جابر بن عبد الله	٢٩٢
٣٦	إن القرآن نزل على سبعة أحرف	عمر بن الخطاب	٢٢٨
٣٧	إن كل أحد يحب أن تؤتى مآدبه	أثر عن ابن مسعود	٢٤٧
٣٨	إن الله أتخذني خليلا	جندب بن عبد الله	٨٧ ، ٢٣٩

رقم مسلسل	الحديث	الصحاحى الراوى	الصفحة
٣٩	إن الله قال من عادى لى وليا	أبو هريرة ، وعائشة	١٠٧ ، ١٠٨ ، ٢٣٦
٤٠	إن الله كتب الإحسان على كل شىء	شداد بن أوس	١٤٢ - ١٤٣
٤١	إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة	أنس بن مالك	٣٤٩
٤٢	إن الله يحب أن تؤتى رخصه	ابن عمر	٨١ ، ١٧٠
٤٣	إن الله يحدث من أمره ما يشاء	ابن مسعود	٥
٤٤	إن الله يغار ...	أبو هريرة	٣٨٦
٤٥	إن الله يلوم على العجز	عوف بن مالك	١٣٥
٤٦	إن من عبادى من لا يصلحه إلا الغنى	لم أجده	٣٥٧
٤٧	أنا أبرأ إلى كل خليل من خلته	ابن مسعود	٢٥٦
٤٨	أنا أغنى الشركاء عن الشرك	أبو هريرة	٢٨٩
٤٩	الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل	سعد بن أبى وقاص	٣٣٦
٥٠	إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله	سعد بن أبى وقاص	٨٠
٥١	إنما الأعمال بالنيات	عمر بن الخطاب	١٢٢ ، ٢٠١
٥٢	إنما الطاعة فى المعروف	على بن أبى طالب	٣١٤
٥٣	إنى أسألك وأتوسل إليك بنبيك محمد	عثمان بن حنيف	٣٧٨ - ٣٧٩

رقم مسلسل	الحديث	الصحاح الراوى	الصفحة
٥٤	إني قد أقررت لك بالسمع والطاعة	أثر عن عبد الله بن عمر	٣١٤
٥٥	إني لأتألف رجالا بما في قلوبهم من الهلع والجزع	عمرو بن تغلب	٣٧٨
٥٦	إني والله لا أعطي أحدا ولا أمنع أحدا	أبو هريرة	٨٧ - ٨٨
٥٧	أوثق عرى الإيمان الحب في الله	البراء بن عازب	٢٨٨
٥٨	أو ليس قد جعل لكم ما تصدقون ؟	أبو ذر الغفاري	٨١ ، ١٧٠
٥٩	أى الذنب أعظم ؟ أن تجعل لله ندا .	ابن مسعود	٢٦٠ ، ٢٦١
	(ب)		
٦٠	البر حسن الخلق	النواس بن سمعان	٩٥ - ٩٦
٦١	البر ما اطمأنت إليه النفس	وابصة بن معبد	٩٥
	(ت)		
٦٢	التبتل والنهي عنه	سعد بن أبى وقاص	١٤٠
٦٣	تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار	أبو هريرة	٢٦١
	(ث)		
٦٤	ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان	أنس بن مالك	١٩٨ ، ٢٤٣ ، ٢٥٥
	(ج)		
٦٥	الجهاد سنام العمل	أبو هريرة	٢٨١

رقم مسلسل	الحديث	الصحاحى الراوى	الصفحة
	(ح)		
٦٦	حبب إلى من دنياكم ثلاث	أنس بن مالك	١١٨
٦٧	حديث الشفاعة		٦٦ ، ٢٣
٦٨	حلف المطيبين		٣١٢
٦٩	حمى يوم كفارة سنة	أبو هريرة	١٥٨
	(خ)		
٧٠	خير الكلام كلام الله	جابر بن عبد الله	١٨٣ ، ١٢٩
	(د)		
٧١	دعوه فلو قضى شئ لكان	أنس بن مالك	١٣٠
	(ر)		
٧٢	رب أشعث أغبر ، ذى طمرين	أبو هريرة	٢٨٣
	(س)		
٧٣	سجود الشمس تحت العرش	أبو ذر الغفارى	٢١٢
	(ش)		
٧٤	شارب الخمر كعابد وثن	أبو هريرة	٢٦٧
	(ض)		
٧٥	ضرب الله مثلا صراطا مستقيما	النواس بن سمعان	٩٧
	(ط)		
٧٦	الطاعم الشاكر كالصائم الصابر	أثر عن أبى هريرة	٣٤٩
	(ع)		
٧٧	على المرء المسلم السمع والطاعة	ابن عمر	٣١٤

رقم مسلسل	الحديث	الصحاحى الراوى	الصفحة
٧٨	عليك السمع والطاعة ، فى عسرك ويسرك (ف)	أبو هريرة	٣١٤
٧٩	فحج آدم موسى	أبو هريرة	١٣٤
٨٠	فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراس	عائشة	١٩
٨١	فى بضع أحدكم صدقة أوله : أوليس قد جعل الله لكم فيما استطعتم	أبو ذر الغفارى	١٧٠ ، ٨١
٨٢	(ق)	جماعة من الصحابة	٣١٥
٨٣	قال الله : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه	أبو هريرة وأنس	٢٧
٨٤	قد كان فى الأمم قبلكم محدثون (ك)	عائشة	٩٩
٨٥	كان خلقه القرآن	أثر عن عائشة	١٣٢
٨٦	كان النكاح فى الجاهلية على أربعة أنحاء	أثر عن عائشة	٢٩٤
٨٧	كل أمتى معافى إلا المجاهرين	أبو هريرة	٣٠٢
٨٨	كل أمر ذى بال لا يبدأ بالحمد فهو أجذم	بمعناه عن أبى هريرة	٦٧
٨٩	كل شىء بقدر حتى العجز	ابن عمر	١٣٥
٩٠	كل مولود يولد على الفطرة	أبو هريرة	٨٥ ، ١١٣ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ٢٣٠ ، ٢٧٢

رقم مسلسل	الحديث	الصحاحى الراوى	الصفحة
٩١	كلاهما محسن	ابن مسعود وأبى بن كعب	٢٢٨
٩٢	الكيس من دان نفسه (ل)	شدّاد بن أوس	١٣٥
٩٣	لا أحد أحب إليه المدح من الله	ابن مسعود	٤٩
٩٤	لا أحد أغير من الله أن يزنى عبده	عائشة	٣٨٦ ، ٤٨
٩٥	لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش	ابن مسعود	٣٨٥
٩٦	لا استأنى بهم لعل الله أن يخرج من أصلاهم	عائشة	٣٣٨
٩٧	لا إيمان لمن لا أمانة له	أنس	٢٢٢
٩٨	لا بأس بالرق	عوف بن مالك الأشجعى	٢٣٤
٩٩	لا بأس به إنما يريدون به الصلاح	سعيد بن المسيب	٢٣٥
١٠٠	لا تتمنوا لقاء العدو	عبد الله بن أبى أوفى وأبو هريرة	١٥٢
١٠١	لا تجعلوا بيوتكم قبورا	أبو هريرة	٣٧٧
١٠٢	لا تسأل الإمارة	عبد الرحمن بن سمرة	١٥٢
١٠٣	لا تلعه فإنه يحب الله ورسوله	عمر بن الخطاب	٢٥٨ - ٢٥٩ ، ٣٢٢
١٠٤	لا حلف في الإسلام	جبير بن مطعم	٣١١

رقم مسلسل	الحديث	الصحاحى الراوى	الصفحة
١٠٥	لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق	النواس بن سمعان	٢٧٤/١ ، ٣١٤/٢
١٠٦	لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك ، ولفظه فى البخارى : لا والذى نفسى بيده حتى	عبد الله بن هشام	١٩٨ - ١٩٩ ، ٢٤٣ ، ٢٩٠
١٠٧	لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل	أبو هريرة	٢٦ - ٢٧ ، ٢٥٧
١٠٨	لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن	أبو هريرة	٢٥٩ ، ٢٧٧ ، ٢٩١
١٠٩	لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان	صهيب	٣٤٢ ، ٣٨٠ - ٣٨١
١١٠	لقد حكمت فيهم بحكم الله	أبو سعيد الخدرى	٩٠ - ٩١
١١١	لقد شهدت حلفا مع عمومتى فى دار عبد الله بن جدعان	بمعناه عن جبير بن مطعم	٣١٠
١١٢	لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت	فضالة بن عبيد	٢٦
١١٣	لما قضى الله الخلق كتب فى كتاب	أبو هريرة	٦٠
١١٤	اللهم إنى أعوذ بك من الكسل والهرم	عائشة	٣٥٩
١١٥	لو عمل الناس كلهم بهذه الآية لو سعتهم	أبو ذر الغفارى	٣٣٢

رقم مسلسل	الحديث	الصحاحى الراوى	الصفحة
١١٦	لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً	ابن مسعود	٢٣٩ ، ٢٥٦
١١٧	ليهنك العلم أبا المنذر (م)	أبى بن كعب	١٩٩
١١٨	ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي حسن الصوت	أبو هريرة	٢٦
١١٩	ما بال أقوام قالوا لكنى أصلى وأنا	أنس	١٣٩
١٢٠	ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست فى كتاب الله	عائشة	٣١٥
١٢١	ما دخل جوفى ما يدخل جوف ذات كبد	كعب بن عجرة	٤٤
١٢٢	ما ذئبان جائعان أرسلنا فى غنم بأفسد ...	كعب بن مالك	٢٨٥
١٢٣	ما ضرب رسول الله يده خادماً له	عائشة	١٣٠
١٢٤	ماض فىنا أمرك ، عدل فىنا قضاؤك	ابن مسعود	٣٥٦
١٢٥	مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن	أبو موسى الأشعرى	٩٨ - ٩٩
١٢٦	مر على قوم يلعبون بالشطرنج	أثر عن على	٢٦٧
١٢٧	المسلمون على شرطهم	عمرو بن عوف المزنى عن أبيه عن جده	٣١٦

رقم مسلسل	الحديث	الصحابى الراوى	الصفحة
١٢٨	من ابتلى من هذه القاذورات بشيء فليستتر	زيد بن أسلم	٣٠٢
١٢٩	من أحب لله وأبغض لله وأعطى الله	أبو أمامة ، سهل بن معاذ الجهنى	٢٥٥ - ٢٥٦ ، ٢٨٨
١٣٠	من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل	جابر بن عبد الله	٢٣٤
١٣١	من أطاعنى فقد أطاع الله	أبو هريرة	٢٢٣
١٣٢	من رأى منكم منكرا فليغيره بيده	أبو سعيد الخدرى	٧٩
١٣٣	من رضا بالله رباً	أبو سعيد الخدرى	١٠٨
١٣٤	من سأل القضاء	أنس بن مالك	١٥٣
١٣٥	من ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة	أبو هريرة	٣٠٢
١٣٦	من عادى لى ولما .. أوله : إن الله قال من عادى لى	أبو هريرة وعائشة	٢٦ - ٢٧ ، ١٠٧
١٣٧	من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا	أبو موسى الأشعرى	١٤٣
١٣٨	من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو	أبو هريرة	٢٧٩
١٣٩	من نذر أن يطيع الله فليطعه	عائشة	٣١٥ - ٣١٦
١٤٠	من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله	خولة بنت حكيم	١٩

رقم مسلسل	الحديث	الصحاحى الراوى	الصفحة
١٤١	من يرد الله به خيرا	ابن عباس وأبو هريرة	٢٢٤
		ومعاوية	
١٤٢	المؤمن القوى خير وأحب إلى الله	أبو هريرة	١٣٥ - ١٣٤
	(ن)		
١٤٣	نفقة المسلم على أهله يحتسبها	أبو مسعود عقبة بن	٨٠
	صدقة	عامر	
١٤٤	النهي عن النذر	ابن عمر	١٥٣
	(هـ)		
١٤٥	هذا من النعم الذى تسألون عنه	أبو هريرة	٣٤٩
	(و)		
١٤٦	وأن لا يوطنن فرشكم من	عمرو بن الأحوص	٣٨٨
	تكرهونه		
١٤٧	وكنتم خير الناس للناس	أثر عن أنى هريرة	٣٣٨
١٤٨	والذى نفسى بيده لا يؤمن	أنس بن مالك	٢٤٣ ، ١٩٨
	أحدكم حتى أكون أحب إليه		٢٨٩ ، ٢٧٦
١٤٩	والذى نفسى بيده لو أن فاطمة	عائشة	١٣٢
	بنت محمد سرقت		
١٥٠	والله ما الفقر أخشى عليكم	عمرو بن عوف	٣٥٩
١٥١	وهل تنصرون إلا بضعفائكم	سعد بنأى وقاص	٢٨٣
	(ى)		
١٥٢	يا عبادى إني حرمت الظلم على	أبو ذر الغفارى	٣٦٩
	نفسى		

رقم مسلسل	الحديث	الصحاح الراوى	الصفحة
١٥٣	يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة	ابن مسعود	٣٠
١٥٤	يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان	جماعة من الصحابة	٢٥٢ - ٢٥٣
١٥٥	يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا : أوله : بادروا بالأعمال	أبو هريرة	٣٢٦
١٥٦	يقول الله : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت	أبو هريرة	٢٤٩
١٥٧	يقول الله : خلقت عبادي حنفاء	عياض بن حمار	٢٣٠ ، ٨٦
١٥٨	يقول الله : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى	أبو هريرة	٢٤ - ٢٥ ، ٥٦
١٥٩	يقول الله : ما ترددت عن شيء أنا فاعله . وأوله : إن الله قال من عادى لى ولما	أبو هريرة وعائشة	١٠٨ ، ٢٥٧
١٦٠	ينزل ربنا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل ..	أبو هريرة	٢٥
١٦١	اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون	عدى بن حاتم	١٢٧

فهرس اللغة

٣٨٤ :	العُدُو	٢٦ :	أذن
٢٦٢، ٢٤٢-٢٣٨ :	العشق	٥٠ :	الأفول
٢٦٢ :	العلاقة	٢٦٢ :	التيم
٢٦٢ :	الغرام	٤٥ ، ٤٤ :	التغير
٢٦٥ :	الغنى	٢٦٢ :	تيم الله
٢٧٤ :	الفتنة	٢٨٠ :	الجُرح
٢٦٣ :	الفحشاء	٢٨٠ :	الجرح
٣٨٧ :	القلی	٢٨١ ، ٢٨٠ :	الجهاد
١٣٥ :	الكيس	٢٨١ ، ٢٨٠ :	الجهُد
٢٢ :	اللازم	٢٨١ ، ٢٨٠ :	الجهَد
٢٤٨ - ٢٤٦ :	اللذة	٢٤٨ :	الحركة الطبيعية
٦١ :	المالك	٥٧ :	الحمد
٢٢ :	المتعدى	٩٦ ، ٨٦ :	الحنيفية
٥٨ :	المحاسن	٢٥٦ :	الخلة
٥٨ :	المساوىء	٢١٩ :	دان
٥٤ ، ١٧ :	المعدوم	٢١٨ :	الديدين
٢١٧ :	المنى	٢١٨ - ٢١٩ :	الدين
٣٨٤ :	المولى	٢٦٢ :	الصبابة
٢٦٣ :	الولاية	٢٨٤ ، ٢١٩ :	العبادة
٣٨٤ :	الولى	١٣٦ :	العجز

مسائل لغوية :

- إذا ظرف لما يستقبل من الزمان : ١٤
استعمال لفظ العشق في اللغة إنما هو في محبة جنس النكاح : ٢٤٠ - ٢٤١
جواب الشرط والأمر يكون بعده لا قبله : ١٤ ، ٢٧ ، ٢٨
جوازم الفعل المضارع ونواصبه تخلصه للاستقبال : ١٤
حتى حرف غاية ٢٧
طائفة من أهل العربية يدخلون الجن في لفظ الناس : ٢١٢
لام كي تقتضى أن ما بعدها متأخر عن المعلوم : ١٦

فهرس الشعر

أول البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	الصفحة التعليق
يا آل مكة	والحجر	البسيط	١	بعض التابعين	٣١٢
ليسوا	نيلوا	البسيط	١	كعب بن زهير	٢ ٣٦١
سكران	سكران	الكامل	١	رجل	٢٦٩
قالت	بالمجانين	البسيط	٢	الصيدلاني	٢ ٢٦٩-٢٦٨
العشق	في الحين				

فهرس الأعلام

- آدم (عليه السلام) : ١٠ ، ١٣٤
الآمدى = أبو الحسن على بن أوى
على محمد بن سالم الثعلبى ،
سيف الدين : ٨ ، ٩ ، ٣١ ، ٤١
إبراهيم (عليه السلام) : ٣٨ ،
٥٠ - ٥٤ ، ٥٩ ، ٨٤ ، ٨٧ ،
١٢٢ ، ١٢٩ ، ٢٠٠ ، ٢٣٦ ،
٢٣٩ ، ٢٥٦ ، ٢٧٣ ، ٣٧٢
إبراهيم الحرى = أبو إسحاق إبراهيم
ابن إسحاق بن بشير بن عبد الله
البغدادى الحرى : (٣٩٣)
إبليس (الشيطان) : ٥٣ ، ١٨٢ ،
٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ،
٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٨٦ ،
٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ،
٣٢١ ، ٣٤٦ ، ٣٧٣
ابن خزيمة = محمد بن إسحاق بن
خزيمة : ١٧٠
ابن سبعين = أبو محمد عبد الحق بن
إبراهيم بن محمد بن نصر : ١٨٥
ابن سينا = أبو على الحسين بن
عبد الله : ٢٥٣
ابن عباس = عبد الله بن عباس
- (رضى الله عنهما) : ١٣١ ،
٢١٨ ، ٢٢٠
ابن عبد البر = أبو عمر بن
عبد البر : ٤
ابن عربى = أبو بكر محبى الدين محمد
ابن على بن محمد الحاتمى الطائى
الأندلسى : ١٨٥ ، ١٨٧
ابن عقيل = أبو الوفاء على بن عقيل
ابن محمد بن عقيل البغدادى : ٢١
ابن عيينة = سفيان بن عيينة
ابن كرام = أبو عبد الله محمد بن
كرام بن عراق السجستانى : ١٠
ابن ماجة = أبو عبد الله محمد بن
يزيد القزوينى : ٣٣٢ ، ٣٩٤
ابن المبارك = عبد الله بن المبارك بن
واضح الحنظلى ، أبو عبد الرحمن :
٤
ابن مسعود = عبد الله بن مسعود
(رضى الله عنه) : ٩٦ ، ١٢٩ ،
٢٦٠
أبو اسماعيل الأنصارى = عبد الله
ابن محمد بن على الهروى
الأنصارى : ٤

جندب بن جنادة بن سفيان بن
 عبيد : ٢١٢ ، ٢٥٣ ، ٣٣٢ ،
 ٣٦٩
 أبو سعيد الخدرى (رضى الله عنه) =
 سعد بن مالك بن سنان
 الخدرى الأنصارى الخزرجى :
 ٩٤
 أبو العالية : ١٨١
 أبو عبد الله بن منده = محمد بن
 إسحاق بن محمد : ٤
 أبو محمد المقدسى = تقى الدين
 عبد الغنى بن عبد الواحد بن
 على بن سرور المقدسى الجماعى
 الدمشقى الحنبلى : (١٠٠) ،
 (١٦٨)
 أبو مسعود البدرى (رضى الله عنه) =
 عقبة بن عمرو بن ثعلبة
 الأنصارى البدرى : ٢٩
 أبو معاذ التومنى : (٦)
 أبو المعالى الجوينى = إمام الحرمين
 عبد الملك بن عبد الله بن يوسف
 الجوينى : ٩
 أبو موسى الأشعرى (رضى الله عنه) =
 عبد الله بن قيس بن سليم بن
 حضار بن حرب : ٩٨

أبو البركات = عبد السلام بن تيمية
 [جد المؤلف] (١٦٥)
 أبو بكر الباقلانى = محمد بن الطيب
 ابن محمد بن أبو بكر القاضى :
 ١١
 أبو بكر الصديق = عبد الله بن أبى
 قحافة عثمان بن عامر بن كعب
 التيمى القرشى (رضى الله عنه) :
 ١٠٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٨٥ ، ٣١٣
 أبو بكر عبد العزيز = عبد العزيز بن
 جعفر بن أحمد بن يزداد بن
 معروف المعروف بغلام الخلال :
 ٤
 أبو حازم الحكيم : ٣٣٦
 أبو الحسن = على بن اسماعيل
 الأشعرى : ١١ ، ٢١ ، ١٨٥
 أبو الحكم بن برجان = عبد السلام
 ابن عبد الرحمن بن محمد
 اللخمى الإفريقى ثم الإشبلى :
 (١٨٧)
 أبو حيان التيمى : ١٨١
 أبو داود (الإمام) = سليمان بن
 الأشعث السجستانى الأزدى :
 ١٣٥ ، ٢٨٥
 أبو ذر الغفارى (رضى الله عنه) =

الأشعري .

إمراة العزيز : ٢٦٢

أنس (رضى الله عنه) = ابن مالك

ابن النضر بن ضمضم البخارى

الخزرجى الأنصارى : ١٢٩ ،

١٣٠ ، ١٣٩ ، ١٩٨

الأوزاعى = أبو عمرو عبد الرحمن

ابن يحمى : ٢٦

البخارى = محمد بن اسماعيل بن

إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله :

٤ ، ٥ ، ٢٠ ، ١٢٩ ، ٢٣٥ ،

٢٣٦

الترمذى = محمد بن عيسى بن

سورة السلمى البوغى أبو عيسى :

٩٤ ، ٩٧ ، ٢٨٥ ، ٣٧٨

جابر بن عبد الله (رضى الله عنه)

ابن عمرو بن حرام الخزرجى

الأنصارى السلمى : ١٢٩ ،

٢٩٢

جيريل (عليه السلام) : ٢٩٨

جبير بن مطعم (رضى الله عنه)

ابن عدى بن نوفل بن عبد مناف

القرشى : ٣١١

جندب بن عبد الله (رضى الله عنه) :

٩٧

أبو هريرة (رضى الله عنه) =

عبد الرحمن بن صخر الدوسى :

٢٣٦ ، ٢٥٣ ، ٢٧٩ ، ٣٨٨

أبو الهيثم بن النبهان : ٣٥٠

أبو يزيد البسطامى = طيفور بن

عيسى البسطامى : (١٢٠) ،

١٤٧ ، ١٤٨

أبو يعقوب السجستانى = إسحاق

ابن أحمد السجستانى

أو السجزي المعروف ببندانة :

(١٨٦)

أبو يوسف = يعقوب بن إبراهيم بن

حبیب الأنصارى الكوفى

البغدادى : ٣٦ ، ٢٩٨

أبى بن كعب (رضى الله عنه) =

أبى بن كعب بن قيس بن عبد :

١٩٩

أحمد (الإمام) = أحمد بن محمد بن

حنبل : ٤ ، ١٠ ، ٢٦ ، ٣٧ ،

١٣١ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ٢١٨ ،

٢٩٨

إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الخنظلى

التميمى المروزى (أبو يعقوب بن

راهويه) : ٤

الأشعري انظر: أبو الحسن

محمد بن عمر بن الحسن الرازي :

٨ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤١ ،

٤٣ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٢٥٠

زهير الأثرى : ٦

سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) :

١٤٠ ، ٢٨٣

سعد بن عباد (رضي الله عنه) :

٤٩

سعد بن معاذ (رضي الله عنه) : ٩٠

سعيد بن منصور أبو عثمان بن شعبة

الروزي : ٤

سفيان بن عيينة : ١٣١ ، ٢١٨ ،

٢٧٤

سليمان (عليه السلام) : ٨٨

الشافعي (الإمام) = محمد بن

إدريس بن العباس بن عثمان بن

شافع الهاشمي القرشي : ٣٦ ، ٢٩٨

الشبلي = أبو بكر دلف بن جحدر

الشبلي : (٢٥٩)

شداد بن أوس (رضي الله عنه) :

٢٨٥

شعيب (عليه السلام) : ٣٣٥ ،

٣٣٧

صالح (عليه السلام) : ٣٣٥ ،

٣٤٥

جنكيزخان : ٢٣٢

الجنيد بن محمد بن جنيد البغدادي

الخرزاز أبو القاسم : (١٢٣) ،

١٢٤ ، ١٨٦

جهم بن صفوان السمرقندي أبو

محرز : ١٨٤

حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) : ٩٧

حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلي

الكرماني : ٤

الحسن البصري : ١٠٣ ، ١٣١

الحلي = جمال الدين أبو منصور

الحسن بن يوسف بن علي بن

المطهر : (٨) ، ٩

حماد الدباس : (١٤٤) ، ١٦٣

حماد بن زيد بن درهم الأزدي

الجهضمي : ٥ ، ٢٦

حمار : ٢٥٨ ، ٣٢٢

الحضر (عليه السلام) : ١٠٢ ،

١٢٦

الخلال = أبو بكر أحمد بن محمد بن

هارون : ١٨١

الدارمي = أبو سعيد عثمان بن سعيد

السجزي : ٤ ، ٣٨٢

داود (عليه السلام) : ٨٨ ، ١٣٩

الرازي = أبو عبد الله فخر الدين

عثمان بن مظعون (رضى الله عنه) :

١٤٠

العزیز : ٢٦٢

عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) :

٩٤ ، ٩٩ ، ١٣٤ ، ١٩٨ ،

٢٤٣ ، ٢٩٠ ، ٢٩٩ ، ٢٥٨ ،

عمر بن عبد العزيز : ١٠٣

عياض بن حمار (رضى الله عنه) :

٢٣٠

الغزالي = محمد بن محمد بن محمد

الطوسي ، أبو حامد : ٤ ، ٣٣ ،

١٠٠ ، ١٦٨ ، ١٨٧ ،

فرعون : ٥٣ ، ٥٤ ، ٢٣٢ ، ٢٨٦ ،

٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٦٠ ،

الفضيل بن عياض : ٢٦ ، ٢٢٦ ،

قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز ،

أبو الخطاب السدوسي البصري :

٢٣٥ ، ٣٦٩ ،

كعب بن زهير (رضى الله عنه) :

٣٦١

كعب بن مالك (رضى الله عنه) :

٢٨٥

الكعبي = أبو القاسم عبد الله بن

أحمد بن محمود الكعبي البلخي :

(١٦٥) ، ١٦٦ ، ١٦٩ ،

الصالحى = صالح بن عمرو

الصالحى : (١٨٤) ، ٢٨٤ ،

الطوسي = محمد بن الحسن نصير

الدين : (٨)

عائشة (رضى الله عنها) : ١٣٠ ،

١٣٢ ، ٢٩٤ ،

عبادة بن الصامت (رضى الله عنه) :

٢٥٣

عبد الرحمن بن سمرة (رضى الله عنه) :

١٥٢

عبد القادر الكيلاني : ٧٣ ، ٧٤ ،

٨٤ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١١٢ ،

١١٣ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٣٦ ،

١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ،

(١٦٣)

عبد الله بن جدعان : ٣١٠ ، ٣١٢ ،

عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضى

الله عنهما) : ٩٧ ، ٢٥٨ ، ٣١٤ ،

عبد الله بن عمرو بن العاص (رضى

الله عنهما) : ٦٠ ،

عبد الملك بن مروان : ٣١٤ ،

عبد الواحد بن زيد : ٢٣٨ ، ٢٤٠ ،

عتبان بن مالك : ٢٥٣ ،

عثمان بن عفان (رضى الله عنه) :

٢٥٣

٢٦١، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٧٥،

٢٧٧، ٢٨١ - ٢٨٣، ٢٨٥،

٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩١،

٢٩٢، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣١٠،

٣١١، ٣١٤ - ٣١٧، ٣٢٢،

٣٢٦، ٣٣٢، ٣٣٦ - ٣٣٩،

٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٦،

٣٥٧، ٣٥٩، ٣٧٠، ٣٧٣،

٣٧٥ - ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨٥،

٣٨٨

محمد بن أحمد بن علي الخطيب: ١٨٩

محمد بن الحسن (صاحب أبي

حنيفة): ٢٩٨

محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن

شاكر السامري (أبو بكر):

(٢٦٨)

مسلم = ابن الحجاج بن مسلم

القشيري النيسابوري أبو الحسن:

١٠، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٤،

١٣٥، ١٤٢، ٢٧٩، ٣١١،

موسى (عليه السلام): ٧، ١١،

١٢، ١٦، ٣٤، ٥٣، ١٠٢،

١٢٩، ١٣٤، ٢٣٢، ٢٣٤،

٣٣٧

نعيم بن حماد الخزاعي: ٥

لوط (عليه السلام): ٣٣٥،

٣٣٧، ٣٨٧

المازري = محمد بن علي بن عمر

التميمي أبو عبد الله: (١٨٧)

مالك (الإمام) بن أنس بن مالك

الأصبحي الحميري، أبو عبد الله:

٣٦، ٢٩٨، ٣٠٠

مجاهد = أبو الحجاج مجاهد بن جبر

المكي: ٢٠٤

محمد (رسول الله ﷺ): ٣، ٥،

١٦، ١٩، ٢٣، ٢٦ - ٣٢،

٤٤، ٤٨ - ٥٠، ٥٦، ٦٠،

٦٥ - ٦٧، ٦٩، ٧٤، ٧٩ -

٨٢، ٨٥ - ٨٧، ٩٠ - ٩٢،

٩٤، ٩٥، ٩٧ - ٩٩، ١٠٤،

١٠٦، ١٠٨، ١١٨، ١٢٢،

١٢٧ - ١٣٠، ١٣٢،

١٣٤ - ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣،

١٤٩، ١٥٢، ١٥٣،

١٥٨، ١٧٠، ١٨١، ١٨٩،

١٩٣، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠١،

٢٠٤، ٢٠٦، ٢٢٣، ٢٢٤،

٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٣٦،

٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٧،

٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٤ - ٢٥٨،

- النواس بن سميان (رضي الله عنه) :
 ٩٧ ، ٩٥
- هود (عليه السلام) : ٣٣٥
 وابصة بن معبد الأسدي (رضي الله
 عنه) : ٩٥
- نوح (عليه السلام) : ٣٣١ ،
 ٣٣٥
- هارون (عليه السلام) : ١٦
- يوسف (عليه السلام) : ١٣٦ ،
 ٢٣٢ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٣٣١

فهرس الطوائف والقبائل والفرق

- أئمة الإسلام: ٤-٦، ١٠، ١٤، ٣٨٧، ٣٦٥
 ٣٠٠، ٩٣
 أئمة السنة والحديث: ٤-٦، ٣٧، ٣٦، ١٩، ١٤، ١٠
 ٤٥، ٤٦، ٥٥، ٢٣٧، ٣٨٢، ٣٤٣، ٢٩٨
 الأبدال: ١٥٩
 الاتحادية: ٢٤١
 الأجناد: ٣٠٠، ٢٩٧، ٧١
 أرباب العلوم: ١٥٥
 الإسماعيلية: ١٨٦
 أصحاب أحمد: ٢٣٧، ٣٤٤، ٣٨٠
 أصحاب الرايات: ٢٩٤
 أصحاب شهود القدر: ١٢٦
 أصحاب العجل: ٢٧٤
 أصحاب العشق: ٢٦٥-٢٦٦
 أصحاب اليمين: ١٥٠، ١٦٤، ٣٢٦، ٢٩٠، ١٨٤، ١٧١
 الأطباء: ٢٤٤
 الأمراء: ٢٧١، ٣١٣
 الأنبياء: ٣٢، ٥٥، ٥٦، ١٢١، ٣٠٩، ٢٥٨، ١٣٨، ١٣٧
 ٣١٩، ٣٣٦، ٣٣٩، ٣٥٣
 الأنصار: ٥٦، ٢٨٢، ٣١٥
 أهل الآراء: ٢٠٥
 أهل الإثبات: ٢١٦، ٣٤٣-
 ٣٦٥، ٣٥٥، ٣٤٤
 أهل الأرض: ٢٥٦، ٣٠٧
 أهل الاستقامة: ١٤٤، ١٧٩
 أهل الإسلام: ١١١، ٣٢٤
 أهل الأهواء: ٨٥، ٢٠٥-٢٠٧، ٢٧٤
 أهل الإيمان والعمل الصالح: ٣٢٤، ٣٣٨
 أهل البدع: ٥١، ٥٦، ٣٩٤
 أهل البر: ٣٢٧، ٣٦٣
 أهل التحقيق: ٣٥٢
 أهل التعبد: ١٧٩، ٢٤٥
 أهل التوحيد: ٨٥، ١٩٧، ٢٥٣
 أهل الحقيقة: ١٥٥، ١٦٠
 أهل الدرجات: ٣٦٨
 أهل الدين: ٣٢٣، ٣٢٨
 أهل الشبهات الفاسدة: ٣٩٤
 أهل الشرك: ١٩٧
 أهل الشهوات: ٣٢٢، ٣٩٢-
 ٣٩٥

- أهل الضلال : ٣١٧
 أهل الطاعة : ٣٣٦
 أهل الطبع : ٢١٤ ، ٢١٦
 أهل الظلم : ٣٩٥
 أهل العربية : ٢١٢
 أهل العلم : ١٦٣ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،
 ١٧٧ ، ١٨٨ ، ٢١٦
 أهل العلم والدين : ٢٣٩
 أهل الفتوة : ٣١٠
 أهل الفساد والباطل : ٣٩٤
 أهل الفسق والفجور : ١٤٩ ،
 ٢٩٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٣٨
 أهل القبلة : ٣٣٥
 أهل القبور : ٥٣
 أهل الكتاب : ١٣٩ ، ٢٠٦ ،
 ٢٨٤
 أهل الكشوف : ١٠٠
 أهل الكلام : ٢٠٠ ، ٩٣ ، ٦ ، ٥ ،
 ٢٠٩ ، ٢١٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،
 ٢٧١ ، ٣٦٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ،
 ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠
 أهل المحبة : ٢٤٣
 أهل المذاهب الأربعة : ٢١
 أهل مصر : ٢٦٢
 أهل المعصية : ٣٣٦
 أهل الملل : ٢٥٢ ، ٤٠٠
 أهل النظر : ١٩٣ ، ٢٠٩ ، ٢٤٥
 أهل اليمن : ٨٩ ، ٩٠
 الأولون : ٢٤٠ ، ٢٤٥
 الأولون والآخرون : ٢٢٦
 أولياء الله : ٣٨٤
 أولياء الشيطان : ٢٧٠
 الباطنية : ١٨٦ ، ٢٣٣
 البراهمة : ١٣٩
 بنو آدم : ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،
 ٢٣٠ - ٢٣٢ ، ٢٧٧ ، ٢٨٦ ،
 ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١٦ ،
 ٣١٨ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٣٥ ،
 ٣٤٠ ، ٣٤٦ ، ٣٩٣
 بنو قريظة : ٩٠
 التتار : ٣٦٠
 الترك : ٣٦٠
 الترك والهند : ٢٣٣
 الجبرية : ١٤٩
 الجمهور : ١٠١ ، ١٧٤
 الجن : ٣٤٦
 الجن والإنس : ٢٠٩ ، ٢١١
 جهال الترك : ٢٩٩
 الجهمية : ٣ ، ٥ ، ٧ ، ١٠ ، ١٣ ،
 ٢٩ ، ٤٦ ، ١٨٥ ، ٢٣٧
 الحنفاء : ٨٦ ، ٢٧٣
 الحنفية (أتباع أبي حنيفة) : ٢١
 الحواريون : ٢٩
 الخاصة : ٨٣

- الشياطين : ٢٦٤ ، ٣٤٦
 الشيوخ : ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٤٠ ،
 ٢٣٧ ، ٣١٠ ، ٣١٧
 الصابئة : ٢٥٠ ، ٤٠٠
 الصابرون : ٣٥٩
 الصالحون : ٥٣ ، ٥٦ ، ١٣٧ ،
 ١٣٨ ، ٢٥٨ ، ٣١٩ ، ٣٣٦ ،
 ٣٧٨
 الصحابة : ١٧٩ ، ٣٥٩ ، ٣٦١
 الصديقون : ٣١٩
 الصفاتية : ٢٣٧
 الصوفية : ٩٣ ، ٢٣٨ ، ٢٧١
 عاد وثمود : ٣٣٧
 العارفون : ١٥٥
 العامة : ٢٧١ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ ،
 ٣١٨
 العباد : ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٧٣ ،
 ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ،
 ٢٨٤ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٣١٧ ،
 ٣٧٤
 العرب : ٣١٠ ، ٣٦٠
 العلماء : ٩ ، ١٠ ، ٢٠ ، ٥٠ ، ٥٥ ،
 ٨٢ ، ٩٣ ، ١٢٨ ، ٢٨٤ ،
 ٢٩٦ ، ٣٠٠ ، ٣١٣ ، ٣١٧ ،
 ٣١٨ ، ٣٧٩
 علماء المسلمين : ١٠
 الفجار : ٣٣٩ ، ٣٥٣ ، ٣٩٤
- الخلفاء الراشدون : ١٨٣ ، ٣١٥
 الخلق : ١٣٧ ، ٢٥٦ ، ٣٢٨ ،
 ٣٥١
 الخوارج : ٣٢٠
 الرافضة : ٢٤٢
 الرسل : ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٦٠ ،
 ٢٨٤ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ،
 ٣٦٥
 رمة البندق : ٣١٠
 الرهبان : ١٣٩ ، ٢٧١
 الزهاد : ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٧٧ ،
 ٢٨٤
 السابقون : ٨٩ ، ١٧١ ، ١٧٣ ،
 ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٣٢٦
 السالكون : ٩٣ ، ١١٠ ، ١١١ ،
 ١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٤٥ ،
 ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ،
 ١٧٦
 السالمية : ٤ ، ٦ ، ١٢ ، ١٧ ، ٢٩ ،
 سحرة فرعون : ٢٣٣
 السلف : ٥ - ٦ ، ١٠ ، ١٢ ،
 ١٤ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٦ ،
 ٣٧ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ١٠١ ،
 ١٤٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٦ ،
 ٢٢٠ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٣٦٩ ،
 ٣٧٦
 الشهداء : ٣١٩ ، ٣٣٥

- الفقراء : ٣٠٠
 الفقهاء : ٩٣ ، ١٦٩ ، ١٧٦ ،
 ١٧٧ ، ٢٩٨ ، ٣١٧ ، ٣٧٣ ،
 ٣٧٧
 فقهاء الحجاز : ٢٩٨
 فقهاء الكوفة : ٢٩٨
 الفلاسفة : ٣٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ،
 ١٨٧ ، ٢١٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،
 ٢٣٤ ، ٢٥٠ ، ٢٧١ ، ٣٩٥ ،
 ٤٠٠
 القبط (قبائل مصر) : ٢٣٢
 القدريّة : ٢١٦ ، ٣٤٣ ، ٣٥٦
 القرامطة : ٢٣٣
 قوم إبراهيم : ٥٣
 قوم جنكيز خان : ٢٣١
 قوم شعيب : ٣٣٧
 قوم فرعون : ٢٣٢ ، ٣٣٧
 قوم لوط : ٢٤٣ ، ٢٦٨ ، ٣٣٧
 قوم غرود : ٢٣١
 قوم نوح : ٥٣ ، ٢٣١ ، ٣٣١
 الكراميّة : ٦ ، ٩ ، ١٠ ، ٢١ ،
 ٢٩ ، ٣٠
 الكفار : ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ،
 ٣٣٥ - ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٣٨
 ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٦٥
 الكلاّية : ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١١ -
 ١٣ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٤٦
- المبتدعون : ١١١
 المتأخرون : ٨ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٥٦ ،
 ١٧٩
 المتوكلون : ٢٦٣
 المتولون : ٢٦٣ ، ٢٦٥
 المجاهدون : ٣٨٥
 المحبّون : ٣١٣
 المخلصون : ٢٢٣ ، ٢٦٣ - ٢٦٥ ،
 ٢٧٠ ، ٢٩١
 المرتدون : ٣٢٦
 المرجئة : ٣٢٠
 المسلمون : ١٩ ، ٤٦ ، ١٠٤ ،
 ١٠٩ ، ١٨٨ ، ٢٣٢ ، ٢٩٩ ،
 ٣٠٣ ، ٣١٣ ، ٣١٥ - ٣١٧ ،
 ٣٢٠
 المشاؤون : ٢٣٢
 المشركون : ٨٤ ، ٨٥ ، ١١١ ،
 ١٣٩ ، ١٩٧ ، ٢٠٦ ، ٢٣٣ ،
 ٢٥٠ ، ٢٦٠ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،
 ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٤ ، ٣٧٣
 المطاعون : ٣١٣
 المعتزلة : ٣ ، ٥ ، ٧ ، ١٣ ، ٢٩ ،
 ٣٢٠
 المعطّلة : ٢٣٧
 المقاتلون : ٣٣٨
 المقرّبون : ٢٧٨ ، ٣٢٦
 الملائكة : ١٠ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ،

- ٣٥٩، ٣٥٦، ٣٥٣، ٣٥١
 ٣٩٤، ٣٧٦، ٣٧٥، ٣٦١
 النسك : ١٠٤، ٢٤٢، ٢٩٧، ٣٢٢
 النصارى : ١٢٧، ١٢٨، ١٤٣، ٢١٢، ٢٣٢، ٢٤٢، ٢٤٥
 ٢٥١، ٢٧١، ٢٩٩، ٣١٧
 النظار : ٤١، ١٦٥
 النفاة : ٢٨، ٤١، ٤٦، ٤٨، ٥٠
 الهشامية : (٦)، ٢١
 الوعيدية : ٣٢٠
 اليهود : ١٢٧، ١٤٣، ٢٣٢، ٢٤٢، ٢٥١، ٢٩٩
 ٣١٧، ٣٧٣
- ٢٠٩، ٢١٤، ٢٥٨
 ملاحدة الصوفية : ١٨٦
 الملوك الظالمون : ١٨٤، ٢٣٢
 المنافقون : ١٣٧، ٢٠٨، ٢٩٨
 ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٣٧-٣٣٩
 ٣٦٥، ٣٧٣، ٣٨٠، ٣٨٥
 المهاجرون : ٥٦، ٢٨٢، ٢٨٣
 الموحّدون العارفون : ١٥٥
 ومنون : ١٨٤، ١٨٨، ٢٠٨
 ٢٢٦، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٥٢
 ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦٩
 ٢٧٦، ٢٨٢، ٢٨٩، ٣٠٩
 ٣١٩، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٣٣
 - ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤٦

فهرس الأماكن والبلدان

(ح)

٣١٢ الحجر

(د)

٣١٠ دار عبد الله بن جُدعان

(ر)

٣١٢ الركن

(م)

٣١٢ مكة

فهرس المصطلحات والبحوث الفرعية (*)

(أ)

٣٦ ، ٣٢ إثبات الصانع
	أصول الفقه :
٢٠٤ ، ١٠٠ الاستحسان
	إنكار الكعبي المباح في الشريعة وموقف النظر منه
٧٧ - ١٦٥ ورأى ابن تيمية
١٠١ تكافؤ الأدلة
١٠٢ تنقيح المناط
٢٠٤ المصالح المرسله

(ت)

التصوف :

١٥٧ - ١٥٦ الأبدال والبديلة
١٨٧ ابن برجان وابن عرنى وتأثرهم بالفلسفة
١٨٤ ، ١٢٧ - ١٢٦ خوارق العادات
	الشيخ عبد القادر الجيلاني من أعظم مشايخ
١١٢ زمانهم
	الغزالي بنى كلامه في « شرح الأسماء الحسنى » على
١٨٧ مذهب الفلاسفة
١٢٠ غلط الشيوخ الذين يأمررون بترك الإرادة مطلقا
	غلط الهروى صاحب « منازل السائرين » في
١٢٥ ، ١١١ - ١١٠ كلامه عن القدر
١٥٧ - ١٥٦ الغوثية والقبطية (الغوث والقطب)

(*) هذا الفهرس يتضمن بعض المصطلحات والبحوث التى لم يشر إليها فى فهرس الموضوعات .

١٢٦ ، ١٢٥	القائلون بسقوط العبادة والطاعة وشهود القدر
	كفر الاتحادية لقولهم إن الله يُحِبُّ وَيُحَبُّ كما يحب
٢٤٢ - ٢٤١	الآدميون
١٤٥	المستقيمون من المشايخ
١٢٥	مقام التلبس
١٢٤	مقام الجمع
	النزاع بين الجنيد وطائفة من أصحابه في شهود
١٢٥ - ١٢٣	القدر

التفسير :

٢٩٥ - ٢٩٤	تفسير المسافحات وذوات الأخدان
٧٠ - ٥٦	سورة الفاتحة ودلالاتها على الصفات الاختيارية
٣٠٠ - ٢٩٩	ضلال بعض الرجال والنساء في تفسير ملك اليمين ..
٥٤ - ٥٠	قصة مجادلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام للمشركين
٢٩٥ - ٢٩٤	النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء

(د)

الدين :

١٢٩	إبراهيم أفضل الأنبياء بعد محمد
٣٢٨	أكثر ديانات الخلق عادات وتقليد للأسلاف
١٢٨ - ١٢٧	ضلال اليهود والنصارى
١٣٩	غلو الرهبان والبراهمة
١٣٣ - ١٣٠	محمد أفضل الخلائق وسيد ولد آدم

(ذ)

٣٧ - ٣٦	ذم السلف للكلام
---------	-----------------------

(س)

السلوك :

الأصول الثلاثة : الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل	
الصالح هي الموجبة للسعادة في كل ملة	٢٢٨
اتباع الهوى يكون في الحب والبغض	٢٠٥ - ٢٠٦
اعتقاد بعض الضالين أن التمتع بالنساء أو الصبيان من	
غير فعل الفاحشة هو حب في الله	٢٩٦
التوحيد أصل السعادة ورأسها والشرك أصل الشقاء	
ورأسه	١٩٧
التوكل لا يصلح بدون العبادة والطاعة	١١٥ - ١١٧
الجهاد للكفار أصلح من هلاكهم بعذاب سماء من	
ثلاثة وجوه	٣٣٨ - ٣٣٩
الحب له سكر أعظم من سكر الشراب	٢٤٤ - ٢٤٥
حقيقة التوحيد	٨٤ - ٨٥
الحى لا بد له من إرادة	١٢٠ - ١٢٢
الحُلَّة تتضمن كمال المحبة ونهايتها	٢٥٦
ذم الله في كتابه من لا يثق بوعدته لعباده المؤمنين	٣٣٣ - ٣٣٤
الرازى غلط في أمر اللذات	٢٥٠ - ٢٥١
الزهد الصحيح	١٤٠ ، ١٤١ - ١٤٣
عشق الصور من أعظم الفتن	٢٧٤
الفناء الصحيح	١١١ ، ١١٣ - ١١٤
القرآن والإيمان	٩٦ - ٩٩
قصة الخضر مع موسى	١٠٢ - ١٠٣
كل عمل صالح هو نافع لصاحبه وبالعكس ، وكل	
نافع صالح فهو مشروع وبالعكس	٢٠٣ - ٢٠٥

كل متحرك فاصل حركته المحبة والإرادة ١٩٩ - ٢٠٢ ، ٢٠٨ - ٢١٤

كل محبة وإرادة لا يكون أصلها محبة الله وإرادة وجهه فهي فاسدة	٢٠٨
الكمال في عدم الهوى وفي العلم	١٨١ - ١٨٣
لا يستحق أحد أن يعبد ويطاع على الإطلاق إلا الله وحده لا شريك له	٢٢٣ - ٢٢٥
اللذة هي الغاية من الحركات الإرادية	٢٤٩
المحبة والإرادة أصل للبغض والكراهة وعلة لها	١٩٤ - ١٩٥
المحبة أصل كل أمر موجود	١٩٥
المحبة الفاسدة تفضي إلى ظلم الغير	٣٨٩ - ٣٩٢
المستخفى بما يأتيه من المعاصي أقل إثما من الجاهر المستعلن	٣٠١ - ٣٠٢
المعنى الشامل للعبادة	٧٦ - ٨٢
الناس في الإرادة ثلاثة أقسام	١٢٢ - ١٢٣
النهي عن الغلو في الدين	١٣٩ - ١٤٠
الورع المشروع	١٤١
سيرة ابن تيمية	٥٦

(ص)

صفات الله :

الآيات الدالة على الصفات الاختيارية	١٠ - ١٦
إرادة الله	٣٨ - ٣٩

٢٣٧	تأولت الجهمية وأتباعهم من المتكلمين محبة الله
٢٢ ، ٢١	لعبدته على أنها الإحسان إليه وتأولت محبة العبد لربه
٤٩ - ٤٣	على أنها إرادة العبادة له
٢٠ ، ١٩	التسلسل
٢١ - ١٩	التغير
٥٥ ، ٥٤	الخلق فعل الخالق والمخلوق مفعوله
٦٩ ، ٣٦ - ٣٣ ، ١٧ ، ٧	الخلق والمخلوق
٣٠ ، ٢٩	سمع الله وبصره
٤٦	صفات الكمال
٣١ ، ٢١ ، ١٠ - ٧	القدرة على الأعيان
٥١ ، ٤١ ، ٣٢	كلام الله
٥٤ ، ١٧	مسألة حلول الحوادث
٢٩ ، ٢٨	المعلوم لا يرى ولا يُسمع
٣٣ ، ١٠	هل يكون مقدور الله بائنا عنه أو يكون قائما بذاته
	تعالى
	يسمى النفاة الصفات الاختيارية حلول الحوادث ..

(ع)

العالم :

٣٦ ، ٣٢	حدوث العالم
١٩٥	الحركات إما إرادية وإما طوعية وإما قسرية
٢١٤ - ٢١١	سجود المخلوقات كلها لله وطاعتها له وتسبيحها له

العقل والنقل ٣٩ - ٤٠

(ف)

الفقه :

٢٩٩ - ٢٩٨	حكم اللوطية
٦٦ - ٦٥	دعاء الرفع بعد الركوع
٦٤ - ٦٣ ، ٥٦	الزيارة الشرعية والزيارة البدعية
٢٣٥	هل يجوز حل السحر عن المسحور ؟

الفلسفة :

	سقوط واجبات الشرع وإباحة المحرمات عند
١٨٦	الفلاسفة
٢٥٢	قول الفلاسفة بالمعاد الروحاني
١٨٧ - ١٨٤	كمال النفس عند الفلاسفة والرد عليهم

(ق)

القضاء والقدر :

١٣٤ - ١٣٣	احتجاج آدم وموسى
١٠٦	الرضا بالقضاء ثلاثة أقسام
١٠٧ - ١٠٦	لا يجوز أن نرضى بالكفر والفسوق والعصيان
١١٣ - ١١٢	لا يجوز تقديم الإرادة القدرية على الإرادة الشرعية .
	مزاعم طائفة من أهل الإثبات : أن الله يخلق الخلق لا
	لحكمة ولا لرحمة وأن كل مقدور عليه فليس بظلم ،
٣٦٦ - ٣٦٥	وغير ذلك
	مقالة القدرية وطائفة من أهل الإثبات فيما يُنعم به
٣٤٧ - ٣٤٣	الكافر

فهرس أسماء الكتب

- أبكار الأفكار ، للآمدى أبى الحسن على بن محمد بن سالم الثعلبى ،
سيف الدين : ٩ .
- اعتلال القلوب فى أخبار العشاق ، لأبى بكر محمد بن جعفر بن محمد بن
سهل بن شاكر السامرى الخرائطى : ٢٦٨ .
- الأقاليد الملكوتيه ، لأبى يعقوب إسحاق بن أحمد السجستانى : ١٨٦ .
- الترمذى (السنن) : ٩٧ .
- رسالة المبدأ والمعاد ، تصنيف أبو على بن سينا (وهى الرسالة الأضحويه
فى أمر المعاد) : ٢٥٣ .
- السر المكتوم فى السحر ومخاطبة النجوم ، لفخر الدين الرازى : ٥٢ .
- شرح الأسماء الحسنى ، لأبى حامد الغزالى : ١٨٧ .
- صحيح البخارى ، لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى : ٢٥٨ ، ٥ .
- الصحيح لمسلم ، لأبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى
النيسابورى : ٢٨ ، ٢٧٩ .
- الصحيحان : ٢٣ ، ٢٧ ، ٦٠ ، ٨٠ ، ٩٧ ، ٩٨ .
- فتوح الغيب ، لعبد القادر الجيلانى : ٧٣ ، ٧٤ ، ١٤٥ .
- المطالب العاليه للرازى : ٨ ، ٣٩ .
- منازل السائرين ، لأبى إسماعيل عبد الله محمد بن على الهروى
الأنصارى : ١١٠ ، ١٢٥ .
- نهاية العقول فى دراية الأصول ، لفخر الدين الرازى : ٩ .

فهرس مراجع التحقيق^(٥)

(أ)

أخبار الرجال ، محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي ، بمبيء محلة جبور
كلي ، إيران ، ١٣١٧ .
الأسماء والصفات ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، بتحقيق
الكوثري ، ط . السعادة ، القاهرة ، ١٣٥٨ .
اصطلاحات الصوفية ، لابن عربي (طبعت مع كتاب التعريفات
للجرجاني) ، ط . مصطفى الحلبي ١٣٥٧/١٩٣٨ .
اصطلاحات الصوفية ، لكمال الدين عبد الرزاق القاشاني ، تحقيق
الدكتور محمد كمال جعفر ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨١ .
الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، للقاضي أبي بكر محمد
ابن الطيب الباقلاني ، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري ، نشر عزت العطار ،
القاهرة ، ١٣٦٩/١٩٥٠ .

(ب)

بروكلمان ، انظر : المراجع الأجنبية : GAL .

(ت)

تفسير ابن كثير ، ط . الشعب ، القاهرة ، ١٣٩٠/١٩٧١ .
تكملة الفهرست لابن النديم = طبع مع الفهرست لابن النديم ، ط .
التجارية ، القاهرة ، ١٣٤٨ .

(٥) ذكرت هنا فقط أسماء المراجع التي لم أذكرها من قبل في فهرس المجموعة الأولى ويستطيع القارئ أن يراجع فهرس المجموعة الأولى لمعرفة المراجع الأخرى .

تليس إبليس ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، الطبعة . الثانية ،
المطبعة المنيرية ، القاهرة ، ١٣٦٨ .

(ح)

حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق الأستاذ
محمود حسن ربيع ، ط . مكتبة الأزهر ، الطبعة الثانية ، القاهرة ،
١٩٣٨/١٣٥٧ .

حلية الأولياء ، لأبي نعيم الأصبهاني ، ط . الخانجي ، القاهرة ،
١٩٣٢/١٣٥١ .

(د)

دائرة المعارف الإسلامية ، ط . كتاب الشعب ، القاهرة .
دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد وآخرين ،
ط . القاهرة .

درء تعارض العقل والنقل ، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ،
تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، ط . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،
الطبعة الأولى ، ١٩٨٢/١٤٠٣ .

دستور العلماء ، للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمدي ،
ط . حيدر آباد ، ١٣٢٩ .

ديوان الأعشى ، تحقيق رودلف جابر ، ط . فينا ، ١٩٢٧ .

(ذ)

ذم الهوى ، لأبي الفرج عبد بن الجوزي ، تحقيق مصطفى عبد الواحد
ومراجعة محمد الغزالي ، ط . القاهرة ، ١٩٦٢/١٣٨١ .

(ر)

الرسالة القشيرية في علم التصوف ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ،
محمود بن الشريف . نشر دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٣٨٥/١٩٦٦ .

(س)

سنن الترمذى ، لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى (بشرح
ابن العرى) ط . المطبعة المصرية بالأزهر ، القاهرة ١٣٥٠/١٩٣١ .
طبعة أخرى ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، نشر المكتبة السلفية
بالمدينة المنورة (ط . المدنى بالقاهرة) ، ١٣٨٤/١٩٦٤ .
سير أعلام النبلاء ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، يخرج معهد
المخطوطات بالجامعة العربية ، ط . المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
سيرة الغزالي ، للدكتور عبد الكريم عثمان ، ط . دار الفكر ، دمشق ،
بدون تاريخ .

(ش)

شطحات الصوفية ، للدكتور عبد الرحمن بدوى ، ط . النهضة
المصرية ، القاهرة ١٩٤٩ .

(ص)

صحيح الجامع الصغير ، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ، منشورات
المكتب الإسلامى ، ط . الأولى ١٣٨٨/١٩٦٩ .
صحيح مسلم ، لأبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ،
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط . عيسى الحلبي ، ١٣٧٤/١٩٥٥ .
طبعة أخرى = الجامع الصحيح ، استانبول ، ١٣٢٩ - ١٣٣٣

صون المنطق والكلام عن فنى المنطق والكلام للسيوطى ، تحقيق الدكتور النشار ، والسيدة سعاد عبد الرازق ، ط . مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٠/١٣٨٩ .

طبعة أخرى : صون المنطق والكلام عن فنى المنطق والكلام ، للسيوطى ، تحقيق الدكتور على سامى النشار ، ط . الخانجي ١٣٦٦/١٩٤٦ .

(ط)

طائفة الإسماعيلية ، للدكتور محمد كامل حسين ، ط . القاهرة ، ١٩٥٩ .

(ف)

فتح البارى بشرح البخارى ، لابن حجر العسقلانى ، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز ، ط . السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٠ .

فتوح الغيب ، ط . مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٣٠ ، على هامش كتاب « بهجة الأسرار ومعدن الأنوار فى بعض مناقب عبد القادر الجيلانى » تأليف على بن يوسف بن جرير اللخمى الشطنوفى .

فخر الدين الرازى وآراؤه الكلامية والفلسفية ، لمحمد صالح الزركان ، ط . دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ .

الفرق بين الفرق ، لابن طاهر البغدادى ، تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط . صبيح ، بدون تاريخ .

طبعة أخرى ، تحقيق محمد زاهد الكوثرى ، نشر عزت الحسينى ، القاهرة ، ١٩٤٨/١٣٦٧ .

فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، للقاضى عبد الجبار ، تحقيق فؤاد سيد ، ط . تونس ، ١٩٧٤/١٣٩٣ .

الفهرست ، لابن النديم ، ط . التجارية ، القاهرة ، ١٣٤٨ .

طبعة أخرى : تحقيق جوستاف فلوجل (مصوره عن طبعة ليبزيج ، ألمانيا ، ١٨٧١) ، ط . بيروت ، ١٩٦٤ .

فهرست الطوسی ، محمد بن الحسن الطوسی ، المكتبة المرتضیة بالنجف ،
العراق ، ١٣٥٦/١٩٣٧ .

(م)

مسند الطیالسی = منحة المعبود فی ترتیب مسند الطیالسی ، لأحمد بن
عبد الرحمن البنا ، ط . المنیرية بالأزهر ، ١٣٥٣/١٩٣٤ .
معجم المؤلفین ، لعمر رضا كحاله ، نشر المثنی ، دار إحياء التراث
العربی ، بیروت ، ١٣٧٦/١٩٥٧ .
منازل السائرین ، تحقیق دی بورکی الدومنکی ، ط . المعهد العلمی
الفرنسی للآثار الشرقیة ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

Brockelmann (K) GAL : Geschichte der Arabischen Litteratur, 5 Vols,
Leiden, 1937-49.

فهرس الموضوعات

أ - ح المقدمة
أ - ج ١ - رسالة في الصفات الاختيارية
د - و ٢ - رسالة شرح من كلمات من فتوح الغيب
و - ح ٣ - قاعدة في المحبة
ح منهج التحقيق
٧٠ - ٣ رسالة في الصفات الاختيارية
١٣ - ٣ فصل
٣ مقالة الجهمية والمعتزلة
٤ مقالة الكلائية والسالمية
٤ مقالة السلف وأهل السنة
٥ - ٤ صفة الكلام
٥ مقالة الجهمية والمعتزلة في صفة الكلام
٨ - ٦ مقالة الكلائية والسالمية فيها
٩ - ٨ مقالة الرازي
٩ مقالة الآمدى
١٠ - ٩ مقالة الجوينى
١٣ - ١٠ الآيات الدالة على صفة الكلام
١٥ - ١٣ فصل
١٤ - ١٣ صفة الإرادة
١٥ - ١٤ صفتا المحبة والرضا
٢٢ - ١٥ فصل
١٨ - ١٥ صفتا السمع والبصر

٢٢ - ١٩ أفعال الرب الاختيارية
٢٨ - ٢٢ فصل
٢٨ - ٢٣ الأدلة على هذا الأصل من السنة
٤٠ - ٢٨ فصل
٣١ - ٢٨ مواقف النفاة من مسألة الصفات والرد عليهم
٣٦ - ٣٤ الرد على حجة للنفاة من وجوه
٣٤ الأول
٣٥ - ٣٤ الثاني
٣٥ الثالث ، الرابع ، الخامس
٣٦ - ٣٥ السادس
٧٠ - ٤١ فصل
٥٥ - ٤١ فساد حجج النفاة لحلول الحوادث
٤١ الحجة الأولى ، فساد هذه الحجة
٤١ الحجة الثانية
٤٣ - ٤١ بطلان هذه الحجة من وجوه
٤٢ - ٤١ الوجه الأول
٤٢ الوجه الثاني
٤٣ الوجه الثالث ، الوجه الرابع
٤٣ إثبات بطلان هذه الحجة
٤٩ - ٤٤ المعنى الصحيح للتغير
٥٠ الحجة الرابعة
٥٥ - ٥٠ الرد عليها
٧٠ - ٥٥ استطراد في الكلام على الصفات الاختيارية

١٨٩ - ٧١	رسالة شرح كلمات من فتوح الغيب
١٠٩ - ٧٤	فصل
	قال الجيلاني : لا بد لكل مؤمن من أمر يمثلته ونهى
٧٤	يجتنبه وقدر يرضى به
٧٦ - ٧٥	تعليق ابن تيمية
٧٩ - ٧٦	الثلاثة ترجع إلى إمتثال الأمر
٨٢ - ٧٩	حكم المباحات وأنواعها
٨٩ - ٨٢	سلوك الأبرار وسلوك المقرين
٩٢ - ٨٩	الناس في المباحات على ثلاثة أقسام
١٠٦ - ٩٢	حكم الإلهام في الشريعة
١٠٩ - ١٠٦	المؤمن والقدر
١١٣ - ١٠٩	فصل
١٤٤ - ١١٣	فصل
١١٣	أمر الجيلاني بالفناء عن الخلق والهوى والإرادة
١١٤	تعليق ابن تيمية
١١٤	كلام الجيلاني عن علامات الفناء
١١٥ - ١١٤	تعليق ابن تيمية
١١٥	تابع كلام الجيلاني
١١٧ - ١١٥	تعليق ابن تيمية
١١٩ - ١١٧	كلام آخر للجيلاني عن علامة فناء إرادة العبد
١٤٤ - ١١٩	تعليق ابن تيمية
١٥٤ - ١٤٤	فصل
١٥١ - ١٤٥	تابع كلام الجيلاني
١٥٤ - ١٥١	تعليق ابن تيمية
١٨٤ - ١٥٤	فصل

١٥٨ - ١٥٤ تابع كلام الجيلاني
١٨٤ - ١٥٩ تعليق ابن تيمية
١٨٩ - ١٨٤ فصل
١٨٦ - ١٨٤ الفلاسفة ضالون كافرون من وجوه :
١٨٥ - ١٨٤ الأول
١٨٥ الثاني
١٨٦ الثالث ، الرابع
٤٠١ - ١٩٠ قاعدة في الحجة
	الحب والإرادة أصل كل فعل وحركة في العالم
١٩٦ - ١٩٣ والبغض والكراهة أصل كل ترك فيه
٢١٤ - ١٩٦ الحجة التي أمر الله بها هي عبادته وحده لا شريك له ...
	أهل الطبع المتفلسفة لا يشهدون الحكمة الغائية من
٢١٥ - ٢١٤ المخلوقات
	أهل الكلام ينكرون طبائع الموجودات وما فيها من
٢١٨ - ٢١٥ القوى والأسباب
٢١٨ الحجة والإرادة أصل كل دين
٢٢٠ - ٢١٨ معاني كلمة « الدين »
٢٢٢ - ٢٢١ لا بد لكل طائفة من بنى آدم من دين يجمعهم
٢٢٣ - ٢٢٢ الدين هو التعااهد والتعاقد
٢٢٥ - ٢٢٣ الدين الحق هو طاعة الله وعبادته
٢٢٦ - ٢٢٥ كل دين سوى الإسلام باطل
	لا بد في كل دين من شيئين : العقيدة والشرعية أو
٢٢٦ المعبود والعبادة
٢٢٨ - ٢٢٦ تنوع الناس في المعبود وفي العبادة

- ٢٣١ - ٢٢٨ ذم الله التفرق والاختلاف في الكتاب والسنة
يقول بعض المتفلسفة إن المقصود بالدين مجرد يقول
- ٢٣٥ - ٢٣١ الدنيوية
- ٢٤٥ - ٢٣٥ فصل
الحب أصل كل عمل والتصديق بالحببة هو أصل
- ٢٣٧ - ٢٣٥ الإيمان
- ٢٣٨ - ٢٣٧ تأويل طوائف من المسلمين للمحبة تأويلات خاطئة
- ٢٣٩ - ٢٣٨ تنازع الناس في لفظ « العشق »
منكرو لفظ العشق لهم من جهة اللفظ مأخذان ومن
- ٢٤٥ - ٢٣٩ جهة المعنى مأخذان
- ٢٤٠ - ٢٣٩ المأخذ الأول من جهة اللفظ
- ٢٤٢ - ٢٤٠ المأخذ الثاني
- المأخذ المعنوي : قيل إن العشق فساد في الحب والإرادة
- ٢٤٥ - ٢٤٣ وقيل إن العشق فساد في الإدراك والتخيل والمعرفة
- ٢٥٤ - ٢٤٦ فصل
- ٢٤٦ كل محبة وبغضة يتبعها لذة وألم
- ٢٤٨ - ٢٤٦ اللذات ثلاثة أجناس :
- ٢٤٦ الأول : اللذة الحسية
- ٢٤٧ - ٢٤٦ الثاني : اللذة الوهمية
- ٢٤٧ الثالث : اللذة العقلية
- شرع الله من اللذات ما فيه صلاح حال الإنسان
- ٢٥٠ - ٢٤٩ وجعل اللذة التامة في الآخرة

٢٥١ - ٢٥٠	غلط المتفلسفة ومن اتبعهم في أمر هذه اللذات
٢٥١	ضل النصارى كذلك في أمر اللذات
٢٥١	اليهود أعلم لكنهم غواة قساة
٢٥٤ - ٢٥٢	تفصيل مقالة الفلاسفة في اللذة
٢٥٧ - ٢٥٤	فصل
٢٥٤	حب الله أصل التوحيد العملى
٢٥٥	أصل الإِشراك العملى بالله الإِشراك فى المحبة
٢٥٨ - ٢٥٥	المؤمنون يحبون الله ويبغضون الله
٢٥٨	محبة الله مستلزمة لمحبة ما يحبه من الواجبات
٢٦١ - ٢٥٨	الذنوب تنقص من محبة الله
٢٦٢	مراتب العشق
٢٦٣ - ٢٦٢	ذكر الله العشق فى القرآن عن المشركين
٢٦٥ - ٢٦٣	المتولون للشيطان هم الذين يحبون ما يحبه
٢٦٥	عباد الله المخلصون ليس للشيطان عليهم سلطان
٢٦٩ - ٢٦٦	العشاق يتولون الشيطان ويشركون به
	يوقع الشيطان العداوة والبغضاء بين المؤمنين
٢٧٢ - ٢٦٩	بالعشق
٢٧٤ - ٢٧٣	أصل العبادة المحبة والشرك فيها أصل الشرك
٢٧٥ - ٢٧٤	الفتنة جنس تحت أنواع من الشبهات والشهوات ...
٣٢٢ - ٢٧٥	فصل
٢٧٥	محبة الله توجب المجاهدة فى سبيله
٢٧٧ - ٢٧٥	مواد عدو الله تنافى المحبة
٢٧٩ - ٢٧٧	محبة الله ورسوله على درجتين : واجبة ومستحبة : ..
٢٧٨	المحبة الواجبة وهى محبة المقتصدين

٢٧٩ - ٢٧٨	الحبة المستحبة وهي حبة السابقين
٢٨١ - ٢٧٩	ترك الجهاد لعدم المحبة التامة وهو دليل النفاق
٢٨٤ - ٢٨١	انقسام الناس إلى أربعة أقسام :
٢٨٢	١ - قوم لهم قدرة وإرادة ومحبة غير مأمور بها
٢٨٢	٢ - قوم لهم إرادة صالحة ومحبة كاملة لله وقدرة كاملة .
	٣ - قوم فيهم إرادة صالحة ومحبة قوية لكن قدرتهم
٢٨٣ - ٢٨٢	ناقصة
٢٨٤	٤ - من قدرته وإرادته للحق قاصرة وفيه إرادة للباطل
٢٨٨ - ٢٨٤	العبادة تجمع كمال المحبة وكمال الذل
	من أحب شيئا كما يحب الله أو عظمه كما يعظم الله فقد
٢٩٠ - ٢٨٨	أشرك
٢٩٣ - ٢٩٠	الإنسان لا يفعل الحرام إلا لضعف إيمانه ومحبته
	تزيين الشيطان لكثير من الناس أنواعا من الحرام
٣٠٥ - ٢٩٣	ضاهوا بها الحلال
	موقف المؤمن من الشرور والخيرات وما يجب عليه
٣٠٦ - ٣٠٥	حياها
٣٠٩ - ٣٠٧	بنو آدم لا يمكن عيشهم إلا بالتعاقد والتحالف
	التحالف يكون وفقا لشرعية منزلة أو شريعة غير
٣١٧ - ٣٠٩	منزلة أو سياسة
	المسلمون على شروطهم إلا شرطا أحل حراما أو
٣٢٢ - ٣١٧	حرّم حلالا
٣٤١ - ٣٢٢	فصل
٣٢٣ - ٣٢٢	المقصود الأول من كل عمل هو التمتع واللذة
٣٢٤ - ٣٢٣	النعم التام هو في الدين الحق

٣٢٥ - ٣٢٤	من الخطأ الظن بأن نعيم الدنيا لا يكون إلا لأهل الكفر والفجور
٣٢٧ - ٣٢٦	المؤمن يطلب نعيم الدنيا والنعيم التام في الآخرة
٣٣٥ - ٣٢٧	من الخطأ الاعتقاد أن الله ينصر الكفار في الدنيا ولا ينصر المؤمنين
٣٣٩ - ٣٣٥	ما سبق يتبين بأصلين : الأصل الأول : حصول النصر وغيره من أنواع النعيم لا ينافي وقوع القتل أو الأذى
٣٤١ - ٣٣٩	الأصل الثاني : التنعم إما بالأمر الدنيوية وإما بالأمر الدينية
٣٤٠ - ٣٣٩	١ - الدنيوية
٣٤١	٢ - الدينية
٣٨١ - ٣٤٢	فصل
٣٤٧ - ٣٤٣	تنازع الناس فيما ينال الكافر في الدنيا من التمتع ، هل هو نعمه في حقه أم لا ؟
٣٥٧ - ٣٤٧	رأى ابن تيمية
٣٥٨	حال الإنسان عند السراء والضراء
٣٦١ - ٣٥٩	حال المؤمن عندهما
٣٦٣ - ٣٦١	المؤمن أرجح في النعيم واللذة من الكافر في الدنيا قبل الآخرة وإن كانت الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
٣٦٣	لذات أهل البر أعظم من لذات أهل الفجور
٣٦٧ - ٣٦٤	لما خاض الناس في مسائل القدر ابتدع طوائف مقالات مخالفة للكتاب والسنة :
٣٦٤	بدع القدرية

٣٦٧ — ٣٦٥ بدع طائفة من أهل الإثبات
٣٦٨ — ٣٦٧ الرد عليهم
٣٦٩ المقالة الصحيحة لأهل السنة والجماعة
٣٧١ — ٣٧٠ رفع الله الحرج عن المؤمنين
	الإيمان والطاعة خير من الكفر والمعصية للعبد في
٣٧٥ — ٣٧١ الدنيا والآخرة
٣٧٩ — ٣٧٥ معنى المجيء إلى الرسول ﷺ بعد مماته
	على المؤمن أن يحب ما أحب الله ويغض ما أبغضه
٣٨١ — ٣٧٩ الله ويرضى بما قدره الله

فصل

٣٨٣ — ٣٨١ جميع الحركات ناشئة عن الإرادة والاختيار
٣٩٥ — ٣٨٣ فصل
٣٩٥ — ٣٨٤ أصل الموالاتة الحب وأصل المعاداة البغض
٤٠١ — ٣٩٥ فصل
٣٩٦ — ٣٩٥ تقسيم العمل إلى فعلی وانفعالی
	علم الرب بأفعال عباده الصالحة والسيئة
٣٩٧ — ٣٩٦ يستلزم حبه للحسنات وبغضه للسيئات
	الإرادة والمحبة ينقسمان أيضا إلى
٣٩٩ — ٣٩٧ فعليتين وانفعاليتين
	الحب يتبع الإحساس والإحساس
٤٠٠ — ٣٩٩ يكون بموجود لا بمعدوم
	الأمر الغائبة لا تعرف ولا تحب ولا تبغض إلا بنوع
٤٠١ — ٤٠٠ من القياس والتمثيل

الفهارس ٤٠٣

- ١ - فهرس الآيات القرآنية ٤٠٥ - ٤٢٨
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية والقدسية والآثار ٤٢٩ - ٤٤١
- ٣ - فهرس اللغة ٤٤٣ - ٤٤٤
- ٤ - فهرس الشعر ٤٤٥
- ٥ - فهرس الأعلام ٤٤٧ - ٤٥٣
- ٦ - فهرس الطوائف والقبائل والفرق ٤٥٥ - ٤٥٩
- ٧ - فهرس الأماكن والبلدان ٤٦١
- ٨ - فهرس المصطلحات والبحوث الفرعية ... ٤٦٣ - ٤٦٨
- ٩ - فهرس أسماء الكتب ٤٦٩
- ١٠ - فهرس مراجع التحقيق ٤٧١ - ٤٧٥
- ١١ - فهرس الموضوعات ٤٧٧ - ٤٨٦

للدكتور محمد رشاد سالم

المؤلفات

- ١ - المدخل إلى الثقافة الإسلامية الطبعة السادسة دار القلم الكويت ١٤٠٤/١٩٨٤
- ٢ - مقارنة بين الغزالي وابن تيمية دار القلم الكويت ١٣٩٥/١٩٧٥

في مجال التحقيق

- ١ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية الجزء الأول ، ط . دار العروبة ، القاهرة ١٣٨٢/١٩٦٢
- ٢ - الجزء الثاني ، ط . دار العروبة ، القاهرة ، ١٣٨٤/١٩٦٤
- ٣ - جامع الرسائل لابن تيمية المجموعة الأولى ، ط . المدني ، ١٣٨٩/١٩٦٩
- ٤ - درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٩٠/١٩٧٠
- ٥ - كتاب الصفدية لابن تيمية ، الجزء الأول ، ط . حنيفة ، الرياض ، ١٩٣٦/١٩٧٦
- ٦ - درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١١ جزءاً ، ط . مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ، السعودية ، ١٣٩٩/١٩٧٩ - ١٤٠٣/١٩٨٣
- ٧ - مسألة فيما إذا كان في العبد محبة لابن تيمية ضمن كتاب « دراسات عربية وإسلامية » ط . المدني ، القاهرة ١٤٠٣/١٩٨٢
- ٨ - الاستقامة لابن تيمية جزءان ، ط . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٤/١٩٨٣
- ٩ - جامع الرسائل لابن تيمية المجموعة الثانية ، ط . المدني ، ١٤٠٥/١٩٨٤

تحت الطبع

- ١ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية ، ٩ أجزاء ، ط . مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، السعودية
- ٢ - كتاب الصفدية لابن تيمية ، الجزء الثاني ، ط . الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء والارشاد ، الرياض ، السعودية